أعيان العصر وأعوان النصر

لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي

توفي ٧٦٤ هـ

حقّقه

الدكتور علي أبو زيد

الدكتور نبيل أبو عمشة　　الدكتور محمد موعد　　الدكتور محمود سالم محمد

قدم له

مازن عبد القادر المبارك

الجزء الرابع

دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان

دار الفكر
دمشق - سورية

الرقم الاصطلاحي: ٤-٠١١, ١١٥٠
الرقم الدولي للسلسلة: ISBN: 1-57547-494-8
الرقم الدولي: ISBN: 1-57547-498-0
الرقم الموضوعي: ٩١٠
الموضوع: التراجم والسير والأنساب
العنوان: أعيان العصر وأعوان النّصر
التأليف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصَّفدي
التحقيق: د. علي أبو زيد، د. نبيل أبو عمشة،
د. محمد الموعد، د. محمود سالم محمد
قدم له: مازن عبد القادر المبارك
الصف التصويري: دار الفكر - دمشق
التنفيذ الطباعي: المطبعة العلمية - دمشق
عدد الصفحات: ٦٨٦ ص
قياس الصفحة: ١٧×٢٥سم
عدد النسخ: ٢٠٠٠ نسخة

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من

دار الفكر بدمشق
برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد
ص.ب: (٩٦٢) دمشق - سورية
برقياً: فكر
فاكس ٢٢٣٩٧١٦
هاتف ٢٢٣٩٧١٧، ٢٢١١١٦٦
http://www.fikr.com/
E-mail: info @fikr.com

الطبعة الأولى
1418هـ = 1998 م

بسم الله الرحمن الرحيم

أعيان العصر وأعوان النصر

بسم الله الرحمن الرحيم

وهو حسبي ونعم الوكيل

قال الشيخ الإمام العالم الفاضل العَلاّمَة نادرة الزمان أبو الصّفاء صلاح الدين خليل الصفدي ، مَتّع الله العالمين بطول بقائهِ آمين[(١)] .

حرف الغين

١٣٢٥ - غازان بن أرغون بن أبغا*

ابن هولاكو بن تولى بن جنكزخان ، السلطان الكبير والقان الجليل إيلخان ، معز الدين .

كان من أجلّ ملوك هذا البيت وأعظم مَنْ رَكِبَ ظهرَ أدهمَ أو امتطى صهوة كُمَيْت . جزءٌ أعظمُ مِنْ كلّهم ، وواحدٌ في موازنةِ جُلّهم ، رابطَ الجأش ، ضابط السياسة والانتعاش ، خبيرا بالحروب وتدبيرها ، وهلاكِ أعاديه[(٢)] وتدميرها .

وكان أشْقَرَ ربعة خفيف العارضين واللحيه ، غليظ الرقبة ، كبير الوجه ، عليه من المهابة حلْية وأيّ حلْيه :

(١) هذه المقدمة خلت منها (أ) ، (ط) .

* تاريخ أبي الفداء : ٥٠/٤ ، والبداية والنهاية : ٢٩/١٤ ، وفوات الوفيات : ٩٧/٤ ، والدرر : ٢١٢/٣ ، والشذرات : ١٩/٦ ، وقد خلا الأصل من ترجمته ، وأثبتناها عن (أ) .

(٢) (ط) : « أعدائه » .

يمـد يـديـه في المفـاضـة ضيغم وعينيـه من تحت البرّتكـة أرقم[١]

لَمّا ملك أخذ نفسه في الملك مأْخَذَ جنكزخان ، ودوّخ البلاد والأقطار وأخذ مَن أدّى الأمانة ومَنْ خان . وكان لا يعفّ عن الأموال ويعف عنِ الدماء ، ويودّ لعلوّ همّته أن يملك[٢] ما تحت السماء .

وكان يؤثر أن يَظْهَر العدلُ عنه ، ويودّ لو تمّكن منه ، ولذلك تسمّى « محمود » ، يريد به[٣] نور الدين الشهيد . وينتمي إلى تقليد أفعالهِ في القريب والبعيد ، فما تمسّك من ذلك إلا بأقصر سبب ، وحَكَى ولكنْ فاته الشَّنَبُ . هذا في بلاد أذربيجان والعراق ، وما ضُرب فيه له خام أو امتد رواق ، وأما الشام فإنه مُني من مغوله بالدّاء العضال ، ورُمِي من جبّاريهم بِما يُرمى به الغرضِ من النبال في النّضال ، وسلّم الله منهم بعضَ السلامة ، ولطف بأهله إلاّ من أسروه فما سرّوه أو جرّعوه حِمامه . ولكن لَمّا عادوا[٤] في الواقعة الثانية أخذ الله بالثأر لنا ﴿ فهل ترى لهم من باقية ﴾[٥] :

وإن كان أعجبكم عـامُكم فعُـودا إلى حِمْصَ في قـابـل
فـإن الحسـام الخضيبَ الـذي قُتلتم بـه في يـد القـاتـل

والذي أعتقده أنه من حين ظهر جنكزخان ما جرى للمغول بعد واقعة عين جالوت ولا إلى يومنا مثل واقعة شَقْحَب[٦] ، كادت تأتي على نوعهم فناء ، فإنّ الموت أهّل بهم ورحّب ، وما نجا منهم إلاّ من حصّنه الأجل ، أو اختار الأسرَ لِمَا وجد من[٧] الوجل .

---

(١) كذا في (أ) ، (ط) ، (ق) .
(٢) (ط) : « لو ملك » .
(٣) ليست في (ط) .
(٤) (أ) : « عاد » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .
(٥) الحاقة : ٨/٦٩ .
(٦) سنة (٧٠٢ هـ) ، انظر : البداية والنهاية : ٢٥/١٤ ، وتاريخ أبي الفداء : ٤٨/٤ .
(٧) ليست في (ط) .

ولم يزل غازان على حاله إلى أن ...[١] وصلت إليه يدٌ سواء عندها البازي الأشهب والغراب الأبقع .

وتوفي في ثاني[٢] عشر شوال سنة ثلاث وسبع مئة ، ببلاد قزوين ، وحُمل إلى تربة بـ « شم » ظاهر توريز ، والعوام يسمّون هذا المكان : الشام ، وهي تربة اشتملت على عمارة جليلة .

وظاهر توريز يشتمل[٣] على ثلاث مدارس : للشافعية وللحنفية وللحُكماء[٤] ، وعلى مارستان وجامع وخانقاه ، ورصد للكواكب ، وخزائن للكتب ، ودار مضيف ، وأوقاف ذلك تغلّ في السنة نحو خمس مئة ألف دينار رائج ، والرائج ستة دراهم ، والدرهم نصف وربع كاملي . وكان النظر في ذلك للخواجا رشيد[٥] وأولاده .

واختلفت أخباره[٦] على البلاد الإسلامية[٧] ، وخبط القُصَّاد فيها تخبيطاً كبيراً . واشتهر أخيراً أنه سُمّ في منديل تمسَّحَ به بعد الجماع ، فتعلّل مُدَّةً ومات .

وكان الشيخ علاء الدين الوداعي ـ المقدّم ذِكْرُه ـ تلك المدّة في البيرة ، فكتب مطالعة عن نائبها إلى السلطان الملك الناصر محمد ، وكتب فيها :

قد مات قازانُ بلا مِرْيَةٍ ولم يَمُتْ في الحِجَجِ الماضِيَه
بل شنّعوا عَنْ موته فانثنى حيّا ولكنْ هذهِ القَاضِيَه

فكتب الجواب إلى الأمير سيف الدين طوغان نائب البيرة شيخنا العلاّمة

---

(١) كذا بياض في (أ) ، (ط) ، (ق) .
(٢) (أ) : « ثامن » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) والدرر .
(٣) (ط) : « عمارة جليلة ظاهر توريز ، وتشتمل .... » .
(٤) (ط) : « والحكماء » .
(٥) هو رشيد الدولة ، فضل الله بن أبي الخير ، ستأتي ترجمته في موضعها .
(٦) (أ) : « أجناده » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .
(٧) (ط) : « الشامية » .

شهاب الدين أبو الثناء محمود ـ رحمه الله تعالى ـ : ووقفنا على البيتين اللذين نُظما في [وَصْف][(١)] حال قازان ، وتحقُّقِ مَوْتِهِ بعد اختلاف الأخبار فيه ، والجواب عنهما :

مـــات من الرعب وإن لم تكن بموتـه أسيافنـا راضيـه
وإنْ يفتهـا فـأخـوه إذا رأى ظبـاهـا كانت القـاضِيَـه

وللوداعي ـ رحمه الله تعالى ـ في موت قازان عدة مقاطيع منها ما نقلته من خطه :

لقد مات قازانٌ فويلُ منافقٍ يكابرُ فيه بالخديعة والمكْرِ
ولم يَبْـقَ إلاّ أن يجيء بنَفْسـه ويحلف أني قـد شَبِعْتُ مِنَ القَبْرِ

ونقلت منه أيضاً له :

وكم يجعل القصّادُ حيّا وميتا قَزَاناً وأَوْحَتْهُم شياطينهم وَحْيَا
إلى أن قضى نحبا وصار إلى لظى وأصبح فيها لا يموت ولا يحيا

ونقلت منه أيضاً له مضمنا :

قد قال غازانُ يا للمسلمين لَقَدْ ثارت بقُصَّادكم بين الورى الفِتَنُ
كم قد نُعيت وكم قد متّ عندكم ثمّ انتفضت فزال القُطْن والكَفَنُ

وكان جلوس غازان على تخت الْمُلكِ في سنة ثلاث وتسعين وست مئة . وحسّن له نائبُه نوروز[(٢)] الإسلامَ ، فأسلم في سنةِ أربع وتسعين ، ونثر الفضة والذهب واللؤلؤ على رؤوس الناس ، وفشا بذلك الإسلام في التتار . وكان[(٣)] صاحبَ العراقين وخراسان وفارس والجزيرة وأذربيجان والروم .

(١) زيادة من (ط) ، (ق) .
(٢) ستأتي ترجمته في موضعها .
(٣) (ط) : « وكان هو » .

قال العز الإربلي الطبيب[١] ما معناه : إن غازان لمّا ملك استَضَافَ نساء أبيه إلى نسائه [علَى ياسا[٢] المغول في ذلك ، وكان مُغْرىً بحبّ بلغان خاتون دون نسائه][٣] ، وهي أكبر نساء أبيه ، فلما أسلم قيل له : إن الإسلام يفرّق بينك وبينها ، لأنه لا يَجُوز في دين الإسلام أن ينكح الرجل ما نكح آباؤه من النساء ، فَهَمَّ بالرّدة إلى أن أفتاه بعض العلماء بأن أرغون أباه كان كافراً . وكانت بلغان خاتون معه سِفَاحاً والحرامُ غَيْرُ مُحَرِّم ، فيجوز لك أن تنكحها ، فَسُرَّ بذلك ، وعقدَ عَقْد نكاحه عليها ، وثبت على الإسلام ، ولولا ذلك لارتد . قال : ولاموا مَن أفتاه ، فقال : إنما قلت ظاهرَ الشرع ، وإن تسهّلْتُ فالتّسهُّل[٤] في ارتكاب غازان بمحرّمٍ واحد وأسهلُ من أن يرتدَّ كافراً ، ويَنْتَصِبَ لمعاداةِ الإسلام وأهْلِهِ . فاستُحسن ذلك من قوله ، وعُرِف فيه حُسْنُ قَصْدِه .

وكان غازان يتكلم بالتركية والمغلية[٥] والفارسية ، ولكنه ما يتكلم بها إلاّ مع الخواجا رشيد وأمثالِهِ من خواصِّ حَضْرَتِهِ ، ويفهم أكثر ما يقال قدّامه بالعربي ، ولا يُظهر أنّه يَفْهَمُه تعاظماً لأجل ياسا جنكزخان الخالصة . ولّما ملك أخذ نفسه بطريق جنكزخان ، وأقام الياسا المغولية ، ورتّب الأرغوجية لعمل[٦] الأرغو وأن يلزم كل أحد قَدْرَه ، ولا يتعدّى طَوْرَه ، وأن يكون الآغا آغا والأيني أيني ، وصرف همّته وعزيمته إلى إقامة العساكر وسدّ الثغور ، وقَصَدَ الأعداء في الأطراف ونفّذ البراليغ[٧] والأحكام بعمارة البلاد والكف عن سفك الدماء وتوفير أهل كل صنعة على عملها ليكثروا

(١) حسن بن أحمد بن زفر ، سلفت ترجمته في موضعها .
(٢) كلمة مغولية تعني ههنا القوانين ، وقد سلفت الإشارة إليها .
(٣) زيادة من (ط) ، (ق) .
(٤) في (أ) : « فالتسهيل » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .
(٥) (ط) : « يتكلم بالمغلية » .
(٦) (ط) : « بعمل » .
(٧) جمع بَرْلَغ ، وهو المرسوم .

وتعمر البلاد كما كانت في [أيام] (١) الخلفاء ـ رضوان الله عليهم ـ والملوك الخوارزمية وغيرهم . إلاّ أنه كان مع شجاعته وحزمه ورأيه مبخّلاً بالنسبة إلى ملوك بيته .

قال القاضي شهاب الدين بن فضل الله [علي إن شيخنا] (٢) شمس الدين الأصفهاني حدّثني [عنه] (٣) أنه أجاز خواجا رشيد على كِتَابٍ صنّفه باسمه ألف ألف دينار ، أخذ(٤) بها عِقاراً(٥) خراباً كان يساوي أضعاف ذلك ، ثم عمّره بجاهه ، فتضاعفت قيمته .

قلت : مِثْلُ هذا لا يُعَدُّ كَرَماً ، لأن هؤلاء الملوك عطاؤهم لخواصهم ومَن يقرّبونه ويحبّونه ليس بقياس ولا على قاعدة مطَّرِدَة ، فإن السلطان الملك الناصر محمد كان يعطي خواصه مثل بكتمر الساقي وقوصون وبشتاك والحجازي ويلبغا أضعاف هذا العطاء(٦) ، وهذا الخواجا رشيد لم يكن عند قازان أحد في محلّه ولا في رتبته لأنه كان لا يثق إلا به ، وهو جليسه وأنيسه ونديمه(٧) وطبيبه وطبّاخه ، فلا يأكل إلاَّ من يده أو من أيدي أولاده ، وكانوا يطبخون الطعام له في قُدورِ فضة ، ويغرفونها في الطّياسي الذهب والجفانات(٨) الذهب ، ويحملونها بأنفسهم إليه ، ويقطع له خواجا رشيد ويلقمه بيده . وكان بيد خواجارشيد على هذه الوظيفة مغل بَلَدَيْن ، إلى غير ذلك من الأرزاق الواسعة ، وكان يطلعه من أسراره على ما لا يطّلع غيره عليه .

---

(١) زيادة من (ط) .
(٢) زيادة من (ط) ، (ق) .
(٣) زيادة من (ط) .
(٤) زيادة من (ط) .
(٥) (أ) : « أخذتها » ، وأثبتنا ما في (ط) . وفي (ط) : « عقاراً كان ... » .
(٦) (ط) : « أضعاف ذلك » .
(٧) ليست في (ط) .
(٨) (ط) ، (ق) : « والخناقات » .

ولّما استقر غازان وثبتت قدمه قطع الراتب [عن][١] كاز خاناه السراي وجـامعِهم بتوزير وما[٢] كان لهم من قديم الزمان ، فجاءته رُسل ملك السراي وقالوا له : خرجت عن الياسا ، فردّهم أقبح رد ، وقال : الياسا ما أقرره أنا ، ويكفيكم[٣] سكوتي عنهم .

قال نظام الدين يحيي بن الحكيم[٤] : إن هولاكو لّما فتح البلاد لمنكوقان نزّل نفسه منزلة النائب له ، لا يخرج له عن أمر ، فبعث يقول له : إن بركة آغا يعني ملك السراي ليس في بلاده صنّاع ولا لها كبيرُ دخل ، ويحتاج هو وعسكره إلى قماش فتكون له مراغة وتوريز ، فسَلَّمها إلى نواب بركة ، فعمّروا بها كازخاناة لاستعمال القماش ، والكازخاناة عندهم بمنزلة دار الطراز[٥] [عندنا] ، وبنوا لهم جامعاً وظفّ له وظائف ، وكتب عليهما اسمه . ثم كانوا فيما بعد يُجرون للكازخاناة والجامع بعضَ خراج مراغة وتوريز ، فقطع غازان ذلك رأساً ، والجامع والكازخاناة إلى الآن باقيان[٦] ، وعليهما اسم بركة .

ثم إن قازان بعد ذلك تسمى بالقان [وأفرد][٧] نفسه بالذكر في الخطبة[٨] وضَرب السكة باسمه دون القان الأكبر ، وطرد نائبه من بلاده ، ولم يسبق قازان إلى هذا أحدٌ من آبائه . بل كان هولاكو وجميع من جاء بعده لا ينزلون أنفسهم إلا منزلة [نواب][٩] القان الأكبر ، ولا يُسمّى أحد منهم بالقان ، وإنما يقال السلطان فلان ،

---

(١) زيادة لعل السياق يقتضيها .
(٢) (أ) ، (ق) : (ما) ، وأثبتنا ما في (ط) .
(٣) (ط) ، (ق) : « ويكفيهم » .
(٤) في الأصل : « الحكم » ، وأثبتنا ما في (ط) ، وهو يحي بن عبد الرحمن الجعبري ، نظام الدين المعروف بابن النور الحكيم ، توفي بعد السبعين والسبع مئة . الدرر : ٤/٤١٧ .
(٥) زيادة من (ق) ، (ط) .
(٦) (ط) : « هما باقيان » .
(٧) زيادة من (ق) ، (ط) .
(٨) (ط) : « بالذكر والخطبة » .
(٩) زيادة من (ق) ، (ط) .

والسكّة والخطبة للقان الأكبر دونهم ، وإنْ ذكر لأحد منهم اسم ، ذُكر على سبيل التبع ، وإن كانوا مُلاّك البلاد وحكامها ، ولهم جباية الخراج ، وإليهم العقد والحل والولاية والعزل .

وقال قازان لّما طَرَد نائب القان : أنا أخذت البلاد بسيفي ، ما أخذتها[١] بجنكزخان ولا بأحد . ولا[٢] يجسر أحد على مراجعته . ولهذا لا يقال ذهب هولاكي ولا أبغاوي ولا أرغوني ، وما يقال إلا ذهب قازاني وذهب خربندي وذهب بوسعيدي .

قال القاضي شهاب الدين بن فضل الله : قال لي الأمير سيف الدين ظهير بغا - رحمه الله تعالى - : المغل تقول : « من رأى غازان مافاتته رؤية جنكزخان » . ثم قال : مات مُلْكُ المغلِ من[٣] بعده . قال : فحكيت ماقاله للأمير سيف الدين أيتمش الناصري ، وكان أعرف أهلِ زمانه بأحوال المغل ، فقال : لا أخطأ إلاّ مَنْ رأى غازان مافاتته رؤية هولاكو ، ومن رأى أبغا مافاتته رؤية جنكزخان ، وما مات ملك المغل بعد غازان ، وإنما ماتت ياسا المغل .

قال : وقال لي ظهير بغا : كان غازان إذا اشتد غضبه ، وهو جائع أكل ، أو هو بعيد العهد بالنساء جامع ، وتشاغل عن غضبه بهذا وأمثاله . وكان يقول : آفة العقل الغضب ، ولا يصلح للملك أن يكون في عقله آفة[٤] .

وقال : كان غازان إذا غضب خرج إلى وسيع الفضاء[٥] ، ويقول : الغضب إذا خزنته ازداد ، وإذا صرفته تصرف .

---

(١) (أ) ، (ق) : « ماأخذته » ، وأثبتنا ما في (ط) .
(٢) (ط) ، (ق) : « ولم » .
(٣) ليست في (ط) .
(٤) (ط) : « غضبٌ وآفة » .
(٥) (ط) : « وسع من الفضاء » .

وقال : كان يقول : المُلك بلا رجال ، شجرة بلا أغصان ، والملك بلا مال ، شجرة بلا ثمر ، والملك بلا سلاح ، شجرة بلا ورق ، والملك بلا إحسان ، شجرة بلا فيء .

وقال : رُمي بعض أولاد القانات بابنه ، فقال الناس : ابن قان يكون بهذا[١] ، كيف يتفق هذا ؟ فقال لهم غازان : ما العنب منه خَمْرٌ وخَلّ !

وقال : ركب قازان يوماً فرساً ، فلَعِبَ به ، فقال له[٢] : معذور أنت ، محمود غازان فوقك . فوقع عنه ، فقال : لولا وقوع المطر على الأرض ما طلع النبات . انتهى .

وضَرَب غازان في مدة مُلكه سبع مصافّات ، منها ما حضره بنفسه ، ومنها ما لم يحضره[٣] ، فأولها المصاف الذي بينه وبين نوروز بن أرغون آغا ، وكان هذا نوروز قد سعى لغازان حتى ملك ، ثم وقع في خاطره أنه آن خروج المهدي ، وأنه هو يكون المهّد له ، فاستحال على غازان ، وخرج غازان لقتاله ، واستعان نوروز[٤] بالأكراد اللوّ ، فانتصر غازان ، وهرب نوروز إلى أقاصي خراسان ، ثم لجأ إلى قلعة ، فأمسكه صاحبها وقطع رأسه ، وجهّزه إلى غازان ، فأنكر عليه غازان ، وقال : كان قَتْلُ هذا إلى ما هو إليك ، ثم إنه قتله به[٥] .

والمصاف الثاني مع اللو الأكراد ، لكونهم قاموا مع نوروز ، فكَسَرهم كسرة عظيمة أُبيعت فيها البقرة الفتيَّة السمينة بخمسة دراهم ، والرأس الغنم بدرهم ، وأبيع الصّبي البالغ الحسن الصورة باثني عشر درهماً .

(١) (ط) : « أين كان يكون هذا » .
(٢) ليست في (ط) .
(٣) (ط) : « منها ما خصّه .... مالم يخصّه » .
(٤) (ط) : « غازان » ، سهو .
(٥) (ط) : « وقتله به » .

قال الإربلي : وقُتل في هذه الواقعة أَوّلاً وآخراً خمسون ألفاً .

والمصاف الثالث كان مع عرب البطائح وواسط ، وكانوا قد ملّكوا عليهم شيخا منهم يُدعى عمران ، وكان قد حاربه عز الدولة بن بويه عدّة نُوَب ، ولم ينتصف منه .

وللصاف الرابع والخامس والسادس بالشام ، نوبة حمص ونوبة الأطراف ونوبة شقحب ، فانتصر في الأولى ، ومَلَك الشام مدة أربعة أشهر ، وفي الثانية طلع رأساً برأس ، وفي الثالثة كانت الكسرة على جيشه .

والمصاف السابع كان من أهل كرمان بعد حصارها ونهب أموالها ، وعفّ عن الدماء في الذراري[١] والنساء .

ولم يَصْدع حصاةَ قلبه ولا فلّ عرشَ قواه مثلُ نوبة شقحب ، فإنها أماتته بغبنه غبناً[٢] ، وكانت بغير رأيه ، لأنه جهّز قطلوشاه بالعساكر ليغير بهم على حلب والأطراف ، وأمره ألا يعدّي[٣] حمص ، فلمّا جاء إلى البلاد وجد عساكرها قد تقهقرت قدامه ، والبلاد خالية ، وليس للجيوش ولا للسلطان في الشام خبر ، فظن أن كسرتهم نوبةَ حمص مابقي لها خبر ، فجاء إلى دمشق ، ومرّ على ظاهرها وجرّه الطمعُ إلى مصر ، لعلّه يملك لغازان مملكة الإسلام . فأنجز الله وعده ، ونصر حزبه . ولمّا رجع قطلوشاه شَتَمه وضربه وأوقفه يوماً في الشمس وحملها غازان على نفسه ، فلم تتطاول به الأيام حتى مات .

وقيل : إن بلغان خاتون سمّته في منديل عقيب نكاحها .

قال القاضي شهاب الدين : ولم يصح هذا ، وإنما هذا شيء ادعته يَلَقْطُو بنت

---

(١) (ط) : « وعفّ عن الذراري » .

(٢) في (أ) : « غمّا » ، وأثبتنا مافي (ق) ، (ط) .

(٣) في (أ) : « ألا يتعدى » ، وأثبتنا مافي (ق) ، (ط) .

أبغا[١] ، ومشت بـه إلى ملـوك الإسـلام ، وكانت تكاتبهم ، وادّعت أنهـا حسّنت ذلـك لبلغان خاتون ، لأن بلغان خاتون كان لها أرب لم تخل فيه من هوى ، وكانت تخـافـه ، فقالت لها : أمرك مابقي يَخْفَى ، فعاجليه وإلا فروحك رائحة .

قال الإربلي : وكان غازان له نظر في عواقب الأمور وخبرةٌ تـامَّةٌ بتـدبير الملـك ، وكان يلتحق في أفعـالـه بجـدّه الأكبر هولاكو ، ولم يكن فيـه مـا يشينـه ، غير أنـه كان مبخّلاً ، لكن كانت هيبته قوية ، وكان الرعايا في أيامه آمنين .

قلت : وخُطب لـه على منبر دمشق في يوم الجمعـة رابع عشر شهر ربيع الآخر سنـة تسع وتسعين وست مئـة بحضور المغـل ، ودُعي لـه على السـدّة ، وقرئ مرسـوم بتـوليـة قبجق نيابة دمشق[٢] .

وكان قـد كتب غـازان لأهل دمشـق فرمـانـا بـإشـارة الأمير سيف الـدين قبجـق ونسخته :

بقُوَّةِ الله تعالى ، ليعلمْ أمراءُ التومانات والألوف والمئات وعمومُ عساكرنـا من المغول والتتار والأرمن والكُرج وغيرهم مِمَّنْ هو داخلٌ تحت طاعتنا أنّ الله سبحـانـه وتعـالى لَمّـا نوّر قلوبنـا بنور الإسلام ، وهـدانـا إلى ملّـة النبي عليـه السلام ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صـدرَهُ للإسلامِ فهوَ على نُـوْرٍ من رَبّـهِ فـويـلٌ للقـاسيـةِ قلـوبُهُم مِنْ ذكرِ اللهِ أولئـكَ في ضَـلالٍ مُبينٍ ﴾[٣] ولمّا سَمِعْنَا أنّ حكّام [مصر والشـام خـارجون عن طرائق الـدين غير متمثلين بأحكام][٤] الإسلام ناقضون لعهودهم ، مخالِفون لمَعْبُودهم ، حالفون بـالأَيمـان الفـاجره ، ظالمون في[٥] أحكامهم المتغـايره ، ليس لـديهم وفـاءٌ ولا ذِمـام ، ولا لأمورهم التئـام ولا

(١) هي عمّة غازان ، ستأتي ترجمتها في موضعها .

(٢) البداية والنهاية : ٨/١٤ ، وستأتي ترجمة (قبجق) في موضعها .

(٣) الزمر : ٢٢/٣٩ .

(٤) زيادة من (ط) ، (ق) .

(٥) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (ط) .

انتظام ، وكان أحدهم ﴿ إذا تولَّى سَعَى في الأرضِ ليُفْسِدَ فيها ويُهْلِكَ الْحَرْثَ والنَّسلَ واللهُ لا يُحبُّ الفَسَادَ ، وإذا قيلَ له اتقِ اللهَ أخذتْهُ العِزَّةُ بالإثمِ ، فحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ولبئسَ المهادُ ﴾[١] ، وشاع الخبر أنّ شعارهم الحيف على الرعية ، ومد الأيدي إلى حريمهم وأموالهم بالأذيّه ، والتخطي عن جادة العدل والإنصاف . وارتكابهم الجور والاعتساف[٢] ، حَمَلَتْنَا الحميّةُ الدينيّة والحفيظةُ الإسلامية على أن تَوَجَّهْنا إلى هذه البلاد ، لإزالة العدوان والفساد ، مستصحبين الجمّ الغفير من العساكر ، ونَذَرْنا على أنفسنا إنْ وفّقَنا اللهُ تعالى بحولِه وقُوَّته لفتح البلاد ، أنْ نُزيل عَنْ أهلها العدوانَ والفساد ، ونَبْسُط العدلَ في العباد ، ممتثلين الأمر الإلهي المطاع ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون ﴾[٣] ، وإجابة إلى ماندِبَ إليه الرسول عليه السلام : المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في أحكامهم وأهليهم[٤] .

وحيث كانت طوّيتنا[٥] مشتملة على هذه الطوية الجميلة والنذور الأكيدة ، مَنَّ الله سبحانه وتعالى علينا بتبلّج تباشير النصر المبين ، وأتمّ علينا نعمته ، وأنزل علينا سكينته ، فهزمنا العدّة[٦] الطاغية ، والجيوش الباغيه ، ففرقناهم أيدي سبا ﴿ ومزّقناهم كل ممزّق ﴾[٧] ، حتى ﴿ جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقا ﴾[٨] . فازدادت صدورنا انشراحاً للإسلام ، وقويت نفوسنا بحقيقة الأحكام ،

---

(١) البقرة : ٢٠٥/٢ ، ٢٠٦ .

(٢) (أ) : « والإعساف » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

(٣) النحل : ٩٠/١٦ .

(٤) الحديث في صحيح مسلم ، في الإمارة : ١٤٥٨/٣ ، رقم (١٨) .

(٥) (ط) : « طريقتنا » .

(٦) (ط) : « فقهرنا العدوّ » .

(٧) سبأ : ١٩/٣٤ .

(٨) الإسراء : ٨١/١٧ .

منخرطين في زُمْرَة مَنْ حُبِّب إليه الإيمان ، فوجب علينا رعاية تلك العهود الموثقة والنذور المؤكّدة ، فصدَرت مراسمنا العالية أن لا يتعرّض أحدٌ من العساكر المذكورة على اختلاف طبقاتهم بدمشق وأعمالها وسائر البلاد الشامية ، وأن يكفوا أظفار التعدّي عن أنفسهم وأموالهم وحريمهم وأطفالهم ، وأن لا يحوموا حول حماهم بوجه من الوجوه حتى يشتغلوا بصدور منشرحة وآمال منفسحة لعمارة البلاد وما هم بصدده من تجارة وزراعة .

وكان في هذا الهرج العظيم وكثرة العساكر تعرُّضُ بعضِ نفر يسير إلى بعض الرعايا وأسرهم ، فقتلنا منهم ليعتبر الباقون ويقطعوا أطماعهم عن النّهب والأسر وليعلموا أنّا لا نسامح بعد هذا الأمر البليغ البتة ، وأن لا يتعرّضوا لأحد من أهل الأديان من اليهود والنصارى والصابئة ، فإنما يبذلون الجزية لتكون أموالهم كأموالنا ، ودماؤهم كدمائنا ، لأنهم من جُملة الرعايا ، قال عليه السلام : الإمام الذي على الناس راع وهو مسؤول عنهم[١] ، فسبيلُ القُضَاة والخطباء والمشايخ والعلماء والشرفاء والأكابر وعامة الرعايا الاستبشار بهذا النصر الهنيّ والفتح السنيّ ، وأخذ الحظ الوافر من الفرح والسرور ، مقبلين على الدعاء لهذه الدولة القاهرة والمملكة الظاهرة .

وكتب بتاريخ خامس ربيع الآخر ، وقرئ هذا الفرمان في الجامع ، ونثر الناس عليه بعضَ دنانير وبعض[٢] دراهم .

ولما نزل قازان على دمشق دخلها الأمير سيف الدين قبجق ، وجلس بالعزيزية ، وكتب للناس أمانات من جهته ، وخُطب يوم الجمعة رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة [تسع و][٣] تسعين وست مئة بجامع دمشق لغازان ، وقرئ مرسوم بولاية قبجق

(١) انظر الجامع الصغير : ٩٥/٢ ، ومسلم في الإمارة (١٤٥٩/٣) برقم (٢٠) .

(٢) ليست في (ط) .

(٣) زيادة من (ط) .

لدمشق . وفي رابع عشري جمادى الأولى خرج جماعة من القلعة وكسروا المجانيق التي للتتار بالجامع الأموي .

ودُقّت البشائر ، ورحل غازان عن دمشق بعدما أخذ أموالاً كثيرة وترك قبجق نائبا عليها ، وعنده قطليشاه ، ومعه جماعة من المغول .

قال الشيخ وجيه الدين بن المنجا[(١)] ـ رحمه الله تعالى ـ : الذي حُمل من دمشق إلى خزانة غازان ثلاثة آلاف [ألف][(٢)] أو ست مئة ألف درهم سوى ما تحّق من البراطيل والتراسيم وإنْ[(٣)] شيخ المشايخ الذي نزل بالعادلية حصل له ماقيمته [ست][(٤)] مئة ألف [والذي حصل للأصيل بن نصير الدين الطوسي مئة ألف][(٥)] درهم والصفي السنجاري[(٦)] ثمانون ألفاً .

قلت : هذا خارج عمّا نهبه المغل والأرمن للناس من الصالحية ومن المدينة وضواحيها ، ولعلّه يقارب هذا المقدار .

وفي سادس عشري جمادى الأولى ، نودي في دمشق بخروج الناس إلى البلاد والقرى والحواضر ، وألا يُغرّر أحد بنفسه . وفي سابع عشري رجب أُعيدت الخطبة للملك الناصر محمد بن قلاوون على منابر الجوامع بدمشق[(٧)] .

---

(١) نقله في البداية والنهاية : ٩/١٤ .
(٢) زيادة من (ق) و (ط) والبداية .
(٣) (ط) : « وابن » .
(٤) زيادة من (ق) و (ط) والبداية .
(٥) زيادة من (ط) و (ق) والبداية .
(٦) في البداية : « السخاوي » ، تحريف ، انظر : الدارس : ٤٠٨/١ ، ٤٠٩ .
(٧) ههنا ينتهي ما بين أيدينا من نسخة (أ) ، وجاء في آخرها « تمّ الجزء الرابع من أعيان العصر وأعوان النصر ، بحمد الله تعالى وحسن توفيقه ، ويتلوه إن شاء الله في الخامس غازي بن داود بن عيسى » .

١٣٢٦ - غازي بن داود بن عيسى بن محمد بن أيوب*

الأمير الملك المظفر بن الناصر صاحب الكرك بن المعظّم بن العادل .

كان رجلاً جيداً كبير القدر محترماً مبجلاً ، عنده فضيلة وفيه تواضع .

قال شيخنا البرزالي : روى لنا عن خطيب مردا ، والصدر البكري . كان قد حج وزار القدس ، وقدم دمشق وأقام بها مدة ثلاثة أيام .

ثم إنه عاد إلى القاهرة فتوفي بها - رحمه الله تعالى - في ثاني عشر شهر رجب سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .

ومولده في جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وست مئة بقلعة الكرك .

ودفن بالقرافة ، وصُلّيَ عليه بدمشق غائباً .

١٣٢٧ - غازي بن خطلبا**

شهاب الدين الصرخدي ثم الدمشقي .

أخبرني من لفظه شيخنا أثير الدين قال : كان المذكور جنديّاً ثم تصوّف ثُمَّ اشْتُغل[1] بالقاهرة وتعدّل [2] وقعد في الدكان يسترزق مع الشهود .

وأنشدني لنفسهِ بباب المدرسة الفاضليّة :

فلولا حظوظُ النفسِ ما كنتُ في الهوى ... أسيراً وفي بَحر الهوى أنت غارقُ
دَع الكلَّ والإخلاصَ إن كنت خالصاً ... وإيّاك والأوهام فهي العَلائقُ

---

* الدرر : ٢١٥/٣ ، والشذرات : ٣١/٦ ، وذيول العبر : ٧١ ، والنجوم الزاهرة : ٢٢٤/٩ .

** لم نقف على ترجمة له .

(١) في (ط) : « اشتغل » .

(٢) زيادة من (ط) .

إذا ما نظرتَ الخلقَ بالحق لن ترى سوى الحقِّ إنّ الكلّ بالحقّ ناطقُ
وأيْنَ السوى والغيرُ إن كنت عارفاً سوى صُوَرٍ والسرُّ في الكل فارِقُ

١٣٢٨ - غازي بن عبد الرحمن بن أبي محمد*

شهاب الدين الدمشقي[١] الكاتب المشهور المجوّد .

كاتب كبتِ البروقُ وراءَه وَمَا لحقت غبارَه ، ولانْشَقَتْ الرياضُ ريحانه ولا ملكت الملوك طُومَارَه . لحق الوَلِيّ التبريزي ، فكان الوليَ وَسْمِياً وهو وَلِيُه[٢] ، وخطُّه تحت طبقته والوليُّ عليِّه .

وَكَتَب عليه جماعةٌ من الكُتّاب وأبْناء الرؤساء وأرباب الآداب ، وكان يدّعي أنه كتب على الوليّ ، والصحيح أنه كتب على ابن النجّار[٣] ، وأتى بما يخجِل الجواهرَ والأحجار .

ولم يزل إلى أن حقّقَ الْمَوْتُ نَسْخَه ، وأوجب عَقْد الحياة فَسْخَه .

وتوفي رحمه الله تعالى ليلة الثلاثاء رابع عشر شوال سنة تسع وسبع مئة .

ومَوْلِدُه سنة ثلاثين وست مئة .

وكان قد أجاد قلمَ الرقاع ، وكان يُكتّب الناس على طريق الوليّ التبريزي ويَسْتَحْسِنها ويقول : ما كتب أحدٌ مِثلهُ ، وكان يجلس في المدرسة العزيزيّة وَيكتّب الناس فيها مدة خمسين سنة وقبلها مدةً زمانية تحتَ مئذنة فيروز ، وكتب عليه عَامَّةُ من أجاد الخط في زمانه كشمس الدين محمد بن أسد النجار[٤] ونجم الدين بن

---

* تالي وفيات الأعيان : ١٢٧ ، والدرر : ٢١٥/٣ .
(١) ليست في (ط) .
(٢) الولي : المطر بعد المطر .
(٣) إبراهيم بن سليمان بن حمزة القرشي الدمشقي كتب للأمجد صاحب بعلبك .
(٤) ستأتي ترجمته في موضعها .

البصيص[١] ، وابن الأخلاطي[٢] ، وغيرهم ، وإن كان ابن النجار قد كتب على ابن الشيرازي[٣] فإن أكثر انتفاعه إنما كان بالشهاب غازي ، وكان إماماً في التوفيق ومعرفته بالخط أكثر من كتابته باليد ، ولكنّه كان في لسانه سَفَهٌ وبَذَاءَة مع كل بنت شَفَه وغير ذلك .

وكان قَدْ سَمِعَ شيئاً من الحديثِ من ابن عبد الدائم ، وروى ، وسمع عليه الطلبة .

١٣٢٩ ـ غازي بن عمر بن أبي بكر*

ابن محمد بن أبي بكر بن أيوب ، الأمير شهاب الدين أخو المعظم عيسى بن المغيث بن العادل بن الكامل بن العادل الكبير .

أجاز لي بخطه في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة بالقاهرة .

١٣٣٠ ـ غازي بن أحمد**

الصَّدْر الكبير ، القاضي شهاب الدين المعروف بابن الواسطي الكاتب .

كان صدراً كبيرا ، ورئيساً[٤] تنقّل في المباشرات حتى صار وزيرا ، وعلا بكتابته وتدبيره محّلاً أثيرا ، إلا أنه ما كان يخلو من جَوْر ، ومَيل إلى تَنَقل[٥] من طور إلى طور ، وكانت لديه فَضيله ، وأدبٌ عنده منه نُكتٌ جليله .

---

(١) موسى بن علي ، ستأتي ترجمته .

(٢) ويعرف بابن الخلاطي ، وهو : محّد بن نجيب بن محّد الكاتب ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن هبة الله ، ستأتي ترجمته في موضعها .

* الدرر : ٢١٦/٣ .

** نكت الهميان : ٢٢٤ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٢٧ ، والدرر : ٢١٤/٣ .

(٤) (ط) :« رئيساً » بلا واو .

(٥) (ط) :« من جَوْرٍ وتنقّلٍ » .

وكتب الإنشاء بالقاهره ، وأبرز طروسه كالرياض الزاهره ، وكان خَطُّه كالوشي إذا حُبِك ، والذهب الخالص إذا سُبِك .

ولم يزل إلى أن أضرّ ، وقوبل بما أضمر وأسَرّ ، حتى التحق بربّه ، وجرّه القبر إليه وضمّه بتربه .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثامن عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتي عشْرَة وسبع مئة .

ومولده بحلب ، وكان من أبناء الثمانين رحمه الله تعالى .

خدم بديوان الاستيفاء نائباً في حلب ، ثم خَدَم كاتب الجيش بها ، ثم إنه تَوجَّه إلى مصر وخدم هناك في جهات ، وحضر إلى حلب مستوفياً في دولة الظاهر بيبرس وصُرِف ، وعاد إلى مصر ورُتِّبَ بديوان الإنشاء . وكان يكتب خطاً حسناً ، رأيتُ بخطه نسخة (المثل السائر) في مجلَدةٍ واحدة في غاية الحسن .

ثم إنه ولي نظر الصحبة في الأيام المنصوريّة . ورافق الأمير بدر الدين بكتوت الأقرعي[1] سنة اثنتين وثمانين وست مئة والأقرعي مُشدّ الصحبة وصادرا الناس وعاقباهم ، ووصل أذاهما إلى القُضَاة .

ثم إنه ولي نظر حلب في الدولة الناصرية إلى سنة اثنتين وسبع مئة ، وَصُرِف ، ثم إنه ولي نظر الدواوين بدمشق ، ثم إنه صُرِف وأعيد إلى حلب وقد ضَعُف نظره جداً ، وتوفي بها رحمه الله تعالى في التاريخ المذكور .

وكان قد وصل من مصر إلى دمشق متولِّيَ النظر بها [عوضاً][2] عن شرف الدين بن مزهر[3] في شهر ربيع الآخر سنة عشر وسبع مئة .

---

(١) (ت ٦٩٤) ، الوافي : ١٠/٢٠٠ .

(٢) زيادة من (ط) .

(٣) في الدرر : « هرمز » ، تحريف ، وهو : يعقوب بن مظفر ، ستأتي ترجمته في موضعها .

١٣٣١ ـ غازي بن قرا أرسلان بن ارُتق*

ابن غازي بن ألبي بن تمرتاش بن غازي بن أرتق ، الملك المنصور نجم الدين بن الملك المظفر فخر الدين بن الملك السعيد نجم الدين بن الملك المنصور ناصر الدين صاحب ماردين .

أقام في سلطنة ماردين نحو عشرين سنة ، وَليها بعد أخيه السعيد داود ، وولي بعده الأمير علي ولُقب بالملك العادل ، فبقي سبعة عشر يوماً ، ومات رحمه الله تعالى وولي بعده أخوه الملك الصالح شمس الدين بن الملك المنصور ، وكان المنصور رجلاً سميناً بديناً إذا ركبَ يكون خلفه محفّه دائماً خوفاً من تعب يحصل له ، فتكون المحفّة مهيأة ، ولما مرض أخرجَ أهل السجون وتصدّق .

وتوفي رحمه الله تعالى في تاسع شهر ربيع الآخر في سنة اثنتي عشرة وسبع مئة ، ودُفن رحمه الله تعالى بمدرستهم تحت القلعة عند أبيه وأجداده ، رحمهم الله تعالى أجمعين ، وكان شيخاً في عشر السبعين[(١)] .

اللقب والنّسَب

☆ **أولاد ابن غانم :** جماعة ، منهم القاضي شمس الدين محمد بن سلمان بن حمايل ، وهو والد الرؤساء الإخوة : الشيخ علاء الدين علي ، وأولاده بدر الدين محمد وجمال الدين عبد الله ، ونجم الدين أحمد . والشيخ شهاب الدين أحمد وولده تاج الدين عبد الله وأمين الدين إبراهيم . والشيخ حسام الدين سلمان بن حسن . والشيخ بهاء الدين أبو بكر ، وولده شهاب الدين أحمد . والشيخ أبو الحسن عبد الله . وجمال الدين عمر بن محمد بن سلمان . وفخر الدين عثمان .

---

* البداية والنهاية : ٦٨/١٤ ، والدرر : ٢١٦/٣ ، والشذرات : ٣١/٦ ، وذيول العبر : ٦٩ ، والنجوم الزاهرة : ٢٢٤/٩ .

(١) (ط) : « التسعين » ، تحريف .

☆ **والغانمي** : إبراهيم بن يونس .

☆ **والغافقي** : النحوي إبراهيم بن أحمد بن عيسى .

☆ **الغالب بأمر الله** : صاحب الأندلس إسماعيل بن الفرج .

☆ **ابن غاليه** : المسند يوسف بن أحمد .

☆ **الغُتْمِيّ** : نائب الرحبة ، حسام الدين لاجين .

☆ **الغزي** : بدر الدين حسن بن علي ، أخوه الحسين بن علي ، الشيخ محمد المُنَجِّم .

☆ **الغرّافي** : إبراهيم بن أحمد بن عبد المحسن ، وتاج الدين علي بن أحمد بن عبد المحسن .

☆ **ابن غنّوم** : صدر الدين يوسف بن أحمد .

☆ **الغُورِي** : محمد بن الحسين .

١٣٣٢ - غنايم بن إسماعيل بن خليل*

الشيخ الصالح أبو محمد التدمري الخَوَّاص بقرية راوية بقبر الست مِنْ غُوطة دمشق[١] .

كان رجلاً مباركاً معروفاً بالصلاح والديانة من البيانِيّة .

سمع من الشيخ تقي الدين بن الواسطي ، وكان عنده فهم ، وله شعر ، ويحفظ جملة من اللغة . وكان حسن الأخلاق ، أخبرَ باليوم الذي ، يموت فيه وصَدَق .

وتوفي رحمه الله تعالى في رابع عُشْرَي شهر شوال سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، تجاوز الثمانين .

---

* الدرر : ٢١٧/٣ ، وفيه : « غانم بن إسماعيل » .

(١) انظر معجم البلدان .

حرف الفاء

١٣٣٣ ـ فارس بن أبي فراس بن عبد الله*

الجعبري الحوائصي ، الشيخ الصالح المُعَمّر أبو محمد .

أجاز لي في سنة تسعٍ وعشرين وسبع مئة بدمشق .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

النسب واللقب

☆ **الفارسي** : علاء الدين علي بن بلبان .

☆ **الفاروثي** : نصير الدين عبد الله بن عمر .

☆ **الفاتولة** : عبد الله .

☆ **الفار الشطرنجي** : أحمد بن محمد .

☆ **الفارقي** : جماعة منهم : سعد الدين سعد الله بن مروان .

☆ **الفارقي النحوي الكفري** : سليمان بن أبي حرب .

☆ **زين الدين الخطيب** : عبد الله بن مروان .

☆ **الفاشوشة الكتبي** : إبراهيم بن أبي بكر .

☆ **الفارغ الحموي** : أمين الدين عبد الحق بن أبي علي .

---

* الدرر : ٢١٩/٣ ، ووقع في الأصل : « ابن أبي فارس » ، وأثبتنا ما في (ط) والدرر .

١٣٣٤ ـ فاطمة بنت إبراهيم بن محمود بن جوهر*

الشيخة المعمّرة الْمُسْنِدة العابدة ، أم محمد البطائحية البعلية ، والدة الشيخ إبراهيم بن القريشة[١] ، وقد تقدّم ذكره في الأَبَارِه .

سمعت (صحيح البخاري) من ابن الزبيدي ، وسمعت من العلاّمة الحصري (صحيح مسلم) .

وحدّثت في أيام ابن عبد الدائم ، وطال عمرها ، وروت الصحيح مرّات .

سمع منها شيخنا العلاّمة قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، وسراج الدين بن الكويك ، وتقي الدين بن أبي الحسن ، وابن شيخنا الذهبي[٢] ، وعدد كثير .

وتوفيت ـ رحمها الله تعالى ـ سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

ومولدها سنة خمس وعشرين وست مئة .

١٣٣٥ ـ فاطمة بنت إبراهيم بن عبد الله بن أبي عمر**

المقدسيّة الصّالحية المعمّرة[٣] ، خاتمة أصحاب إبراهيم بن خليل ، وآخر مَنْ حَدّث بالإجازة في الدنيا عن محمد بن عبد الهادي[٤] ، وابن السروري[٥] ، وابن عُوّة[٦] ، وخطيب مردا ، وغيرهم .

---

* الدرر : ٣/٢٢٠ ، والشذرات : ٦/٢٨ ، وذيول العبر : ٦٠ .

(١) في الدرر والشذرات : « القرشيّة » . وفي ذيول العبر : « القرشية » .

(٢) عبد الله بن محمّد بن عثمان (ت٧٥٤) ، وفيات ابن رافع : ١/٣١٦ .

** وفيات ابن رافع : ١/٢٣٨ ، والدرر : ٣/٢٢٠ ، وذيول العبر : ٢٥٩ .

(٣) (خ) : « الشيخة الصالحة المعمرة » .

(٤) في ذيول العبر : « عبد القادر » . ومحمد بن عبد الهادي بن يوسف المقدسي (ت٦٥٨هـ) . العبر : ٥/٢٤٩ .

(٥) أبو طالب تمّام بن أبي بكر بن أبي طالب الدمشقي السروري (ت٦٥٨) ، الشذرات : ٥/٢٩٢ .

(٦) عمر بن أبي نصر بن أبي الفتح الجزري (ت٦٥٦) ، الشذرات : ٥/٢٨٠ .

توفيت رحمها الله تعالى في ذي القعدة سنة سبع وأربعين وسبع مئة[١] .

١٣٣٦ - فاطمة أم عبد الله*

ابنة الشيخ الإمام المقرئ المحدّث جمال الدين سليمان بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن سعد الله بن عبد الله[٢] بن أبي القاسم الأنصاري الدمشقي .

كانت امرأةً صالحة ، وقفت وبرّت أهلها وأقاربها في حياتها .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : روت لنا عن أكثر من مئة شيخ ، منهم - بالسماع - المُسَلَّم المازني[٣] ، وكريمة ، وابن رواحة . وبالإجازة المجد القزويني ، والحسين بن صَصْرَى ، والفتح بن عبد السلام ، والداهري[٤] ، وابن عُفيجة[٥] ، والحسن بن الجواليقي[٦] ، وأحمد بن النرسي ، وعبد السلام بن سكينة[٧] ، والمهذب بن قُنَيدة[٨] ، والأخوان ابنا الزبيدي[٩] وعبد اللطيف بن الطبري[١٠] ، ومحاسن الخزايني ، وشرف النساء بنت الأنبوسي[١١] ، وجماعة من البغداديين وغيرهم .

(١) توفيت عن أزيد من ثلاث وتسعين سنة ، كما في ذيول العبر .

* الدرر : ٢٢٢/٣ ، والشذرات : ١٧/٦ .

(٢) زيادة من (ق) ، (ط) .

(٣) المسلم بن أحمد بن علي المازني (ت ٦٣١) ، الشذرات : ١٤٧/٥ .

(٤) أبو الفضل عبد السلام بن عبد الله بن أحمد (ت ٦٢٨) ، السير : ٣٠٤/٢٢ .

(٥) محمّد بن عبد الله بن المبارك البندنيجي (ت ٦٢٥) ، السير : ٢٨٠/٢٢ .

(٦) الحسن بن إسحاق بن موهوب بن أحمد (ت ٦٢٥) ، السير : ٢٧٨/٢٢ .

(٧) عبد السلام بن عبد الرحمن بن علي (ت ٦٢٧) ، السير : ٣٣٣/٢٢ .

(٨) في الأصل و (ط) : « فقيدة » ، تحريف ، وهو المهذب بن علي بن هبة الله الأزجي (ت ٦٢٦) ، السير : ٣١٣/٢٢ ، والشذرات : ١٢١/٥ .

(٩) هما الحسن والحسين ابنا مبارك بن محمد بن يحيى ، توفي الحسن سنة (٦٢٩) ، (السير : ٣١٥/٢٢) ، والحسين سنة (٦٣٠) ، (السير : ٣٥٨/٢٢) .

(١٠) عبد اللطيف بن عبد الوهاب بن محمد الطبري (ت ٦٢٩) ، والشذرات : ١٣٢/٥ .

(١١) أمة الله بنت أحمد بن عبد الله (ت ٦٢٦) ، الشذرات : ١١٩/٥ .

وقرأ عليها شيخنا الذهبي قبل موتها بيوم ، وحضر[١] معه جماعة ، وأسمعت كثيراً .

وكان لها إجازات من العراق وأصبهان ودمشق .

وتوفيت رحمها الله تعالى ثاني عشري شهر ربيع الآخر سنة ثمان وسبع مئة .

ومولدها تقريباً سنة عشرين وستّ مئة .

١٣٣٧ - فاطمة بنت عباس بن أبي الفتح*

الشيخة الْمُفْتِية الفقيهة العالمة الزاهدة العابدة ، أم زينب البغدادية الحنبليّة الواعظة .

كانت تصعد المنبر وتعظ النساء ، فيُنيب لوعظها[٢] ، ويقلع من أساء ، وانتفع بوعظها جماعة من النسوه ، ورّقت قلوبهن للطاعة بعد القسوه ، كم[٣] أَذْرَت عبرات ، وأجرت عيوناً من الحسرات كأنها أيكيّة على فننها ، وحمامة تصدح في أعلى غصنها[٤] .

وكانت تدري الفقه وغوامضه الدقيقه ، ومسائله العويصه ، التي تدور مباحثها بين المجاز والحقيقه . وكان ابن تيمية رحمه الله تعالى يتعجب من علمها ، ويُثني على ذكائها وخشوعها وبكائها .

وبحَثَتْ مع الشيخ صدر الدين بن الوكيل في الحيض وراجت ، وزخرت بحور علومها وماجت ، فلو عاينتُها لقرّبت من الشيخ تقي الدين في تفضيلها . ولن أُقْصيه ،

(١) في الأصل : « وحضرت » ، وأثبتنا ما في (ط) .

* الدرر : ٢٢٦/٣ ، وفيه : « بنت عياش » ، وحسن المحاضرة : ٣٩٠/١ ، والشذرات : ٣٤/٦ .

(٢) في الأصل : « وعظها » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « ثمّ » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

(٤) في الأصل : « على غصنها » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

وقلت له : هذه التي يصحّ أن يقال عنها : إنها بأربع أخْصِية ، لأنها مؤنثة قد تفرّدت بالتذكير ، وعارفة لم يدخل على معرفتها تنكير .

ولم تزل على طريق[١] سداد واعتداد من الازدياد إلى أن فُطم من الحياة رضاعها ، وآن من الدنيا ارتجاعها .

وتوفيت رحمها الله تعالى بالقاهرة في يوم عرفة سنة أربع عشرة وسبع مئة .

انصلح بها جماعة [نساء][٢] في دمشق وبصدقها في وعظها وتذكيرها وقناعتها ، تحوّلت بعد السبع مئة إلى مصر ، وانتفع بها في مصر من النساء جماعة ، وبَعُد صيتها . وكانت قد تفقّهت عند المقادسة بالشيخ شمس الدين وغيره .

حكى لي غير واحد أن الشيخ تقي الدين بن تيمية قال : بقي في نفسي منها شيء ، لأنها[٣] تصعد المنبر ، وأردت أن أنهاها ، فنمتُ ليلة ، فرأيت النبي ﷺ وسلم في المنام ، فسألته عنها . فقال : امرأة صالحة ، أو كما قال .

وحكى لي أيضاً أنها بحثت مع الشيخ صدر الدين بن الوكيل في الحيض ، وراجعت عليه . ثم قالت : أنت تدري هذا علما ، وأنا أدريه علماً وعملاً .

١٣٣٨ - فاطمة بنت محمد بن جميل بن حمد*

ابن حُميد بن أحمد بن عطّاف ، الشيخة الصالحة المعمّرة ، أم محمد البغدادية المولد ، الدمشقية .

سمعت من والدها ، وأجاز لها السّلفي أجازت لي بدمشق سنة تسع وعشرين وسبع مئة ، وكتب عنها بإذنها عبد الله بن المحب .

---

(١) في الأصل : « طرائق » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

(٢) زيادة من (ط) ، (ق) .

(٣) في (ق) ، (ط) : « لكونها » .

* الدرر : ٢٢٧/٣ .

وتوفيت رحمها الله تعالى سنة[١] ثلاثين وسبع مئة .

١٣٣٩ - فاطمة بنت القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد*

أم الحسن ابنة شيخنا الإمام علم الدين البرزالي .

نقلْتُ من خط شيخنا والدها ، رحمها الله تعالى ، قال : أحضرتها سماع الحديث ، ولها ثلاثة أيام ، حضرت على ابن الموازيني ، وفاطمة بنت سليمان[٢] ، وابن مشرّف ، والمخرّمي[٣] ، وفاطمة بنت البطائحي ، والفخر إسماعيل بن عساكر ، وجماعة .

وسمعت من القاضي بهاء الحنبلي ، وإبراهيم بن النصير[٤] ، وعيسى المطعم[٥] ، وأبي بكر بن عبد الدايم والبهاء بن عساكر ، وابن سعد ، وجماعة من الشيوخ . وسمعت (صحيح البخاري) على ست الوزراء بنت ابن المنجّا ، وحفظت من الكتاب العزيز ، وتعلّمت الخط ، وكتبت ربعة [ظريفة][٦] ، وكتاب (الأحكام) لابن تيمية ، و (صحيح البخاري) ، وكمّلته قبل موتها بأيام قليلة .

قلت : ونسختها هذه بدمشق من النسخ التي يعتمد عليها ، ويُنقل منها .

قال : وكَتَبت غير ذلك ، وحجت ، وسمعت بطريق الحجاز ، وحدّثت بالحرمين الشريفين .

---

(١) في الأصل : « من سنة » ، وأثبتنا ما في (ط) .

* تاريخ أبي الفداء : ١٠٢/٤ ، والشذرات : ٩٧/٦ .

(٢) في الأصل : « ابن يوسف أم محمد بنت الحسن » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) ، وما أثبتناه من (ط) ، (ق) ، وما يقتضيه نسب والدها .

(٣) إبراهيم بن الحسن ، سلفت ترجمته .

(٤) في الأصل و (ط) : « البصير » ، وأثبتنا ما في الإعلام للذهبي ، ووفاته (٧١٩هـ) .

(٥) في الأصل : « المعظم » ، وأثبتنا ما في (ط) ، وقد سلفت الإشارة إليه .

(٦) زيادة من (ق) ، (ط) .

وكانت امرأة مباركة محافظة على الفرائض والنوافل ، لها اجتهاد وحرص على فعل الخير ، تجتهد يوم دخول الحمّام أن لا تؤخر الفريضة عن وقتها ، لا تدخل حتى تصلي الظهر ، وتجتهد في الخروج ، لإدراك العصر ، وكذلك تسارع في قضاء أيام الحيض من شهر رمضان تصومها وتعجلها وتحتاط فيها ، وكان فيها مودّة ، وخير وعقل ومعرفة وخير[١] لم يفارقها قط . وتزوجت نحو خمس سنين ، ولم تخرج من البيت ، ومارأيت منها إلاّ ما يسرّني ، وكنت إذا رأيتها تصلّي أفرح وأقول : أرجو الله أن ينفعني بها ، فإنها كانت تصلي صلاة مكملة ، وتجتهد في الدعاء ، ولم تسألني قط شيئاً من الدنيا ، ولا شراء حاجة . وانتفعت بها في الدنيا وأرجو أن ينفعني الله بها في الآخرة .

واعتبرتُ الشيوخ الذين سمعت منهم فوجدتهم مئة وخمسة وثمانين نفساً .

وتوفيت رحمها الله تعالى في يوم الاثنين حادي عشري صفر سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، ودفنت عند تربتهم خارج الباب الشرقي .

ومولدها يوم الجمعة سادس عشر شهر ربيع الأول سنة سبع وسبع مئة .

١٣٤٠ - فاطمة بنت الخشّاب*

نقلت من خطّ القاضي شهاب الدين بن فضل الله ، قال : بلغني عنها وقد سكنت قريباً مني أنها تجيد النظم ، فكتبت إليها لأمتحنها في شهر رجب سنة تسع عشرة وسبع مئة :

هل ينْفعُ الْمُشتاقَ قُرْبُ الدّارِ ... والوصلُ ممتنعٌ على الزّوّار
يا نازلين بمُهجتي وديارُهم ... من ناظريَّ بمطْمح الأبصار
هيّجْتُمُ شَجَني فعُدتُ إلى الصِّبا ... من بعد ما وخط المشيبُ عِذاري[٢]

(١) قوله : « وخير » ، ليس في (ط) .

* الدرر : ٣/٢٢٥ ، وفيه : « فاطمة بنت علي بن عمر بن خالد المخزومية بنت الخشاب » .

(٢) في (ق) ، (ط) : « خطّ » . ووخطه الشيب : خالطه .

أَنَّي اهتـديتُ، ولَيْلَتي مُسـودّةٌ وضَلَلْتُ حين أضاءَ ضوءُ نهاري
عهدي بأنّي لا أخاف من الردى فحَذار من لَحْظِ العيون حَذارِ
لا أرهبُ اللّيثَ الهزبر مُجَاوِراً داري، وأرهبُ مِن جوار جَوار
الصائبات بلحظهنّ مقاتلي هل للسّهام لديّ من أوتار
يا جيرتي الأدْنَيْن حقّي واجبٌ إن كنتم ترعون حقّ الجار[١]
ليلي بكم أدب الزمان مقسّمٌ ما بين تسهيد إلى أفكار[٢]
يا جيرةً جارَ الزمان ببُعدهم وهُمُ بأقرب منزل وجوار
إنّي سمعت صفاتكم فسكرت من طربي بغير مُدامة وخُمار
وهويت بالأخبار حسنكم كما تُهوى الجنان بطيّب الأخبار
يا مُعرضين وما جنيت إليهم ذنباً سوى وجدي وقرب ديار
ميلوا إليّ فللغصون تمايلٌ حتى تقبلّ أوَجْهَ الأَنْهَار
وتلفّتوا نحوي التفاتَ أوانسٍ إنّ الأوانِسَ غيرُ ذات نِفار
واجلوا محاسنكم لأحظى بالذي قد كنت أسمعه من الأخبار
لا تحسبوا أن السُفور نقيصة أو ما ترون مطالع الأقمار
أو تحسبوا أنّي أضيّع سرّكم وأنا المُعَدُّ لمودَع الأسرار
أيجوز أن أظما وورد نداكم صفوٌ من الأقذاء والأكدار[٣]
وأموت من دائي وفي أيديكم طبّي من الأسقام والأخطار
ولقد عُرفتم في الأنام بمنطق عذب المذاقة طيّب المشتار
فحويتم حسن الصفات مؤيداً بمحاسن الأقوال والآثار
بمحاسن تَهَبُ العقول بلاغة وبلاغة تذر المفوّه عاري
أخرستم الفصحاء إذ أنطقتم مَنْ لا يُجيز القول بالأشعار

(١) في الأصل : « يا جيرة الأنس » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .
(٢) (ط) : « إنكار » .
(٣) في الأصل : « الأقذار » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

فبعثت من نظمي قلادة أدمع نُثِرتَ لآليها بلا استعبار
نفثات مصدور الفؤاد متيم عجزت موارده عن الإصدار

قال : فكتبت الجواب إليّ :

إن كان غرّكم جمالُ إزاري فالقبحُ في تلك المحاسن واري
لا تحسبوا أني أماثل شعركم أنّى تُقاسُ جداولٌ ببحار
لو عاصر الكنديُّ عَصْرَكم رمى لكمُ عوالي راية الأشعار
أقصى اجتهادي فهم ظاهر نظمكم لا أنني أُدْعَى دُعاء مُجار
من قصّرت عنه الفحول فحقه أن ليس يبلغه لحاق جواري
ولربما استحسنت غير حقيقة فإذا سفرتُ أشحتَ بالأبصار
لستُ الطُّموحَ إلى الصِّبا من بعدما وضح المشيبُ بلمّتي كنهاري

قلت : هذا الشعر كثير من امرأة في مثل هذا الزمان ، ولعلها أشعر من ذكران كثيرين في عصرنا ، وممّن تقدمنا أيضاً ، وما أحسن ما استعملت لفظ جواري هنا في القافية[(١)] .

اللقب والنسب[(٢)]

☆ **ابن الفاكهاني** : عمر بن علي .

☆ **ابن الفراء** : مقدم البريدية ، الأمير علاء الدين علي بن عبد الرحمن . ابنه : ناصر الدين محمد بن علي .

☆ **ابن الفرات** : عز الدين عبد الرحيم بن علي .

(١) لم يذكر المؤلف شيئاً عن ولادتها ووفاتها ، وفي الدرر أنها ولدت سنة (٧٠٨) وسمعت من وزيرة والحجّار صحيح البخاري وحدّثت ، سمع منها أبو حامد بن ظهيرة بعد السبعين .

(٢) زيادة يقتضيها منهج الكتاب .

١٣٤١ ـ فخريّة بنت عثمان*

أم يوسف البَصْرَوية ، الحاجّة الصوامّة القوامة العابدة الزاهدة ، زاهدة عصرها ، وفريدة دهرها .

رفضت الدنيا ، ولم ترض إلاّ بالمنزلة العليا ، خرجت عن أهلها ومالها ، وتقوّتت في القوت ببعض حلالها ، وانزوت بحرم القدس الشريف ، وتبرّأت عن التالد والطريف ، وقنعت من العيش الرغيد بكوز ماءٍ ورغيفٍ .

واشتهر أمرها ، وعُرَف الناس[1] خَبَرَهَا ، وأعرضت عن الدنيا الفانيه ، وأصبحت وهي لرابعةٍ[2] ثانيه . وجرّبَ الناس لها أحوالا ، وصدّقوا منها مقاماً ومقالا . وكان لها كرامات ، وعن وجوه الدنيا انصرافات وانصرامات . وكانت تتمنّى أن تموت بمكّة ، وتدفن إلى جانب قبر خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها . فسمع الله لها هذه الأمنيَّة واستجاب منها .

وتوفيت رحمها الله تعالى في مستهلّ صفر سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة عن ست وثمانين سنة .

حكى لي أخوها الأمير صفيّ الدين أبو القاسم البصروي ، قال : حَمَلَ إليها أخي نجم الدين ستة عشر ألف درهم مما يخصّها ، فتصدقت بالجميع في جلسة واحدة ، ولم تترك منها درهماً واحداً .

كانت تستقي ماء الوضوء بنفسها ولا تستعين بأحد . ولما حجّت في سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، قالت عند منصرف الحاج للذي قد توجّه يخدمها من جهة أخيها :

---

* لم نقف على ترجمة لها .

(١) في (ط) ، (خ) ، (ق) : « عرف بين الناس » .

(٢) في الأصل : « رابعة » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (خ) ، (ق) .

انصرف ودعني في حالي ، فأنا إذا دخل الحجاج[١] إلى دمشق التحقت بربي ، وكان الأمر كما ذكرت ، وتوفيت رحمها الله تعالى مستهل صفر ، ودفنت إلى جانب قبر خديجة زوج النبي ﷺ .

وأقامت بالقدس منقطعة أربعين سنة تقف على باب الحرم تصلي إلى أن يُفتح الباب فتكون أوّل داخل إليه ، وآخر خارج منه ، وتقتات بشيء يسير مما يُحضر إليها من مُلكها ، وهو قريب من مئتي درهم ، وتؤثر الفقراء والمساكين بالباقي . وطار ذكرها في الآفاق ، ودخل إليها الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى مرات ، ومعه الذهب ، ويخرج به وما تقبل منه شيئاً .

وسيأتي ذكر أخيها صفي الدين أبو[٢] القاسم ، وذكر أخيها نجم الدين محمد بن عثمان في مكانيهما[٣] ، إن شاء الله تعالى .

١٣٤٢ ـ فرج بن قراسنقر*

الأمير جمال الدين بن الأمير شمس الدين قراسنقر المنصوري ، و [أخوه][٤] الأمير علاء الدين ، وقد تقدم ذكره ، كان جميل الصورة حسن الشكالة .

توفي رحمه الله تعالى بدمشق في ثالث عُشري شهر ربيع الأول سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بالقبيبات . وهو والد الأمير جمال الدين فرج أيضاً .

☆ **الفرجوطي :** محمد بن محمد .

---

(١) (خ) : « الحاج » .

(٢) كذا في الأصل على الحكاية لأنه اسم له وليس كنية .

(٣) في الأصل : « مكانها » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (خ) ، (ق) .

* الدرر : ٣/٢٣٠ .

(٤) زيادة من (ط) ، (ق) .

١٣٤٣ ـ فَرَج بن محمد بن أحمد*

الشيخ الإمام العالم نور الدين الأرْدَبيلي ، بفتح الهمزة وسكون الراء وفتح الدال المهملة وكسر الباء الموحدة وياء آخر الحروف ساكنة ولام ، الشافعي ، مدّرس المدرسة الناصرية[١] الجوّانية بدمشق ، داخل باب الفراديس ، والمدرسة الجاروخيّة .

كان عالماً ديّنا ، فاضلاً صينا ، منجمعاً عن الناس ، مباعداً مَنْ لا يشاكله من الأجناس[٢] .

وله إلمام (بالكشّاف) يعرفه ويُقْرِيه ، ويُسبغ كؤوس ما فيه من المشكل[٣] ويُمريه .

وعلّق على (منهاج) الشيخ محيي الدين النواوي في مواضع منه مفرّقة في نحو ستة مجلدات .

ولم يزل على حاله إلى أن طُفي[٤] نوره ، وغلب على نهار عيشه دَيْجُوره .

وتوفي رحمه الله تعالى في العشر الأوسط من جمادى الآخرة سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

وَرَدَ إلى دمشق ولازم شيخنا العلامة شمس الدين الأصفهاني مدّة مقامه في دمشق ولم[٥] يفارقه .

---

* وفيات ابن رافع : ٢٦٥ ، والدرر : ٢٣٠/٣ ، والدارس : ١٧٢/١ .

(١) في الأصل : « المنصورية » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) والدارس .

(٢) في الأصل : « الناس » ، وأثبتنا ما في (خ) ، (ط) ، (ق) .

(٣) قوله : « من المشكل » . ليس في (خ) .

(٤) (خ) : « أطفئ » .

(٥) في (ق) ، (ط) ، (خ) : « لم » بغير واو .

ولمّا توفي الشيخ كال الدين بن الشيرازي تولّى عوضاً عنه تدريس المدرسة الناصرية في جمادى الأولى[١] سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

اللقب والأنساب

☆ **ابن فرج الإشبيلي :** شهاب الدين أحمد بن فرج .

☆ **ابن فرحون :** علي بن محمد .

١٣٤٤ ـ أبو الفرج ، ولي الدولة ابن الخطير*

تقدم في الدولة لّما ظهر النشّو صهره ، وأضاء في سماء المعالي بَدْرُه ، خدم عند كبار الأمراء الناصريّه ، وتطفّل الأمراء على خدمته لهمّته السّريَّه ، وخضع الناس له ودانوا ، وتطامنوا لترفّعه[٢] واستكانوا .

وكان حُلْوَ الصورة لطيف الإشاره ، عذب الكلام ، طلق العباره ، فصيحاً في نطقه ، مليحاً في خلقه وخُلقه ، يحفظ ما راق من شعر المتأخرين ، ووقائع المعاصرين النازلين والمفتخرين ، ويندب ماهو أرشق من حركات القدود المشوقه ، وألطف من إشارات العيون المعشوقه ، ويذوق الأحجيّة النحوّية ويضعها بلا كلفه ، ويأتي بها وهي أحسن من البدر إذا تطّلع في السّدفه[٣] ، حتى كنت أعجب منه ومن اقتداره ، مع عدم اشتغاله بما يعينه في هذا الفن إذا جرى في مضماره ، وأمّا التصحيف فكان لا يتكلّف فهمه ولا يردّ من الإصابة فيه سَهْمَه ، وأمّا التورية والاستخدام ، فكانا له من أطوع الأرقّاء والخدّام ، يذوقها حال ما يطرقان سمعه ، ويِقد ذهنه لفهمها كأنّه شمعه .

---

(١) قوله : « في جمادى الأولى » ليس في (خ) .

* انظر شيئاً من خبره في بدائع الزهور ٤٧٦/١/١ .

(٢) (خ) : « لرفعته » .

(٣) (خ) : « من البدور .. من السّدفة » .

ثم اشتملت عليه قافية صهره ، وجرّته إلى الردى ، فصودر وقاسى من القلة ما رّق له منه العِدَا ، ثم أعان الله وأفرج عنه ، وعادت له الدولة لتأخذ حظها منه . ثم إنّ الزمان استدرك عليه مافرط ، وأوقعه في أُحْبُوله الوَهْم والغَلَط ، فسمّروا شخصه على جَمَل ، وشَمّروا إليه ذيل الأجل ، وفاز عدوُّه بالسرور والشمات ، وقال وليّه : « عُلُوٌّ في الحياة [وفي][١] الممات » .

وكان قد أسلم فما سَلِم ، وحكم الله فيه بما علم ، وحلّ بمن يعرفه هجوم[٢] الوجوم ، « وعند الله تجتمع الخصوم » . وكانت واقعته في سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة في شهر ربيع الأول .

كان وليُّ الدولة هذا قد تزوج وهو نصرانّي ، بأختِ القاضي شرف الدين النشو ناظر الخاص قبل اتصال النشو بالسلطان ، ولما تولى النشو الخاصَّ عَظُمَ وليُّ الدولة ، وزادت وجاهته ، وتقدم على إخوة[٣] النشو . وخدم عند الأمير سيف الدين أرغون شاه ، ثم إنه انفصل من عنده وخدم عند الأمير علاء الدين طَيْبغا المجدي ، وتحدث في ديوان الأمير سيف الدين بهادر الْمُعزّي ، وهو أمير مئة مقدم ألف من أمراء المشورة ، وفي ديوان الأمير سيف الدين طقبغا ، وزادت وجاهته ، فلما أُمسك القاضي شرف النشو وجماعته ، أمسك هو في الجملة ، ولكنه دخل إلى السلطان ، وقال : والله ياخوند أنا ماأحمل[٤] عقوبة ، وأنا أحمل موجودي ، فإن بلغ مولانا السلطان أنه بقي لي درهم واحد ، خُذْ روحي ، فأمر السلطان بأن لا يُعاقب ، وسَلِم تلك المرة إلاّ من ضَرْب يسير .

(١) زيادة من (ط) ، (خ) ، (ق) .

(٢) في الأصل : « هجور » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (خ) ، (ق) .

(٣) في الأصل و (ط) : « أخوه » ، وأثبتنا ما في (خ) ، (ق) .

(٤) في الأصل : « لاأحمل » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) .

وتوفي النشو تحت العقوبة وأَهْلُه ، وبقي وليّ الدولة وأخوه الشيخ الأكرم في الاعتقال بعدما استُصفي موجودهما .

وكان قد عمّر داراً عظيمة على بركة الفيل في حكر أزدمر الشجاعي فأبيعت في [جملة][1] موجوده ، وموجود أخيه ، ولما مرض السلطان الملك الناصر محمد مرضه الذي مات فيه ، أفرج عن وليّ الدولة وعن أخيه فيمن أفرج عنه من الاعتقال بالشام ومصر .

وكان الأمير سيف الدين ملكتمر الحجازي يعرف وليّ الدولة ، لأنّ مجد الدين رزق الله أخا النشو ، كان كاتبه ، فطلب من الملك المنصور أبي بكر ، فرسم به له ، فأخذه وأسلم على يده وبقي عنده .

وعاد إلى تلك العظمة بزائد ، ورُمي بأشياء مما أوجبت خلع المنصور ، وأوحى أعداؤه إلى الأمير سيف الدين قوصون ما أَوحَوه ، فقَبض عليه ، وحسّنوا له تسميره ، فأُخرِجَ من محبسه وسُمّر على جمل ، وهو لابسٌ فرجيّةً بسنجاب وشَعَّلُوا قدّامه الشموع ، وطافوا به بالمغاني في شوارع القاهرة ، ثم قضى الله أمره فيه .

وبلغني أنه وقف قدّام دكّان الشهود على باب خانقاه « سعيد السعداء » . وقال : يا مسلمين اشهدوا أنني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، واللهِ لم يَبْدُ شيء مما رُمِيْتُ به ، ولكنْ لي ذنوبٌ ، وخطايا تقدَّمت ، هذا بها .

١٣٤٥ ـ فرج الله بن علم السعداء*

الصدر الرئيس أمين[2] الدين بن العسّال .

---

(١) زيادة من (خ) ، (ق) .

* الدرر : ٣/٢٢٩ .

(٢) في الأصل : « ابن أمين » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ط) (ق) والدرر .

دخل هذا[١] هو وأخوه سعد الدين [أسعد][٢] بن علم السعداء إلى القاهرة عُقيب ما جرى للنصارى ما جرى من إلزامهم بلبس الأزرق وشد الزنّار ، فأَنِفا من ذلك وأسلما .

وكان هذا أمين الدين صدراً محتشماً ، فيه مكارم ومروءة ، ورأى من السعادة في دمشق ما لا رآه أمثاله ، وباشر صحابة الديوان مدّة ، ولما غضب تنكز على ابن الحنفي ناظر ديوانه ، وتوفي رحمه الله تعالى ، تولّى أمينُ الدين نَظَر ديوانه ، فأقام به مدة ، ثم إنه عُزِل منه ، وعاد إلى صحابة الديوان ، وعمّر القاعات المليحة المشهورة عند « قناة صالح »[٣] داخل دمشق ، واجتهد وسعى ، فزوّج صلاح الدين يوسف ابن أخيه ، الآتي ذِكرهُ في مكانه إن شاء الله تعالى ، بابنة الصاحب شمس الدين غبريال .

ولم يزل في سعادة وصدارة إلى أن توفي رحمه الله تعالى في حادي عشر شهر رمضان سنة ثلاثين وسبع مئة .

النسب والألقاب

☆ **الفرسيسي** : فخر الدين علي بن عثمان .

☆ **الفزاري** : الخطيب شرف الدين أحمد بن إبراهيم . الشيخ برهان الدين إبراهيم بن عبد الرحمن . والده تاج الدين عبد الرحمن .

☆ **ابن أبي الفصيح** : فخر الدين أحمد بن علي . وجلال الدين عبد الله بن أحمد . والدمَرْنَدْري عبد الرحمن بن العليم .

☆ **الفصيح** : المغني عبد العزيز .

---

(١) ليست في (ط) .

(٢) زيادة من (ق) ، (ط) ، وانظر : الدرر : ٤/٤٤٩ .

(٣) أشار إليها صاحب الدارس : ٢/٢٥٠ .

١٣٤٦ ـ فضل الله بن عمر بن أحمد بن محمد*

القاضي بدر الدين بن إمام الدين القزويني الشافعي .

قدم دمشق للحج ، ونزل بتربة أم الصّالح عند ابن أخيه القاضي إمام الدين[١] والخطيب جلال الدين .

وحصل له ضعفٌ فلم يمكنه السفر .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة ست وتسعين وست مئة ، وشيعه الخلق إكراماً لأخويه .

وكان مع شيخوخته يكرر على (الوجيز) ، وكانت له حلقة إقراءٍ بتبريز ، ثم ولي قضاء بنسكار[٢] بلده بالروم ، وكانت له معرفة بالحساب وغير ذلك .

١٣٤٧ ـ فضل الله بن أبي بن الخير عالي**

رشيد الدولة ، فخر الوزراء ، مُشير الدول الهمذاني ، الطبيب العطار والده .

أسلم هو ، ومات والده يهودياً على دينه ، وجرى القضاء بسَعْدِ ولده هذا في ميادينه ، واتصل بغازان محمود ، وخَدَمَتْهُ في خِدْمَتهِ السّعود ، فقرّبه نجيّا ، وقُرَّ به عَيْناً لّما استقرّ به صَفيّا ، وعظّم شانه ، وعلا بتمكنه مكانه ، ولم يكن عنده أحد في محلّه ، وحَكمه في حرمِهِ وحَلّه .

ثم إنه اتّصل بعده بخربندا ، فزاده على ذلك وعقد له لواءً من السعد وبَنْدا ، وزاد

---

* لم نقف على ترجمته .

(١) هو عمر بن عبد الرحمن القزويني (ت٦٩٩هـ) . (النجوم الزاهرة : ١٩٢/٨) .

(٢) كذا في الأصل ، وفي (ط) : « بنكبار » وفي (ق) : « ينكسار » .

** الوافي : ٧٨/٢٤ ، والدرر : ٢٣٢/٣ ، وفيه : « غالي » ، والشذرات : ٤٤/٦ .

علوّا ، واستفاد غلوّا ، وكثرت أمواله ، وامتدت آماله ، وصار في عداد الملوك ، ونُظِمَتْ جواهرُ سعوده في السلوك .

ثم إن الدّهر تيقظ ، وتيقّن هلاكه وما تحفّظ ، فنقض ما أَبْرَم ، ونفض ما أكرم ، ولما طبّب خربندا ومات ، نزل به المكروه والشمات ، وشغب عليه الوزراء ، علي شاه وأمثاله ، وصاده من المقدور حبائله وحباله ، فدارى عن نفسه بقناطير مِنَ الذهب ، ودفع جملاً من الجواهر[١] ، فما أفاد ، لأنّ عمره ذَهَب .

وقتِل هو وابنه قَبْلَه ، وذبحوهما على غير قِبله ، وذلك في سنة ست عشرة وسبع مئة .

وقال الشيخ علم الدين البرزالي : في جمادى الأولى سنة ثماني عشرة وسبع مئة ، وعاش بضعاً وسبعين سنة ، ولمّا قتلوه فصَلُوا أعضاءه ، وبعث إلى كلّ بلد بعضوٍ من أعضائه ، وأحرقت جثته ، يقال : إن جوبان أخذ منه ألف ألف مثقال .

وكان فيه حلم وتواضع وسخاء وبذل للعلماء والصلحاء ، وكان ذا رأي ودهاء ومروءة ، وفسّر القرآن ، وأدخل فيه الفلسفة .

ويقال : إنه كان [جيّد][٢] الإسلام ـ رحمه الله تعالى ـ ولما مات خلّف بنين وبنات ، وعمائر فاخرة ، وأموالاً لا تُحصر ، وأحرقت تآليفه بعده .

ثم وزر ابنه محمد بعده[٣] بسنوات ، وتمكّن أيضاً وسيأتي ذكره في مكانه .

وكان قد نُسب رشيد الدولة إلى أنه سقى خربندا السم ، فطلبه جوبان على البريد السلطانيّة ، وأحضره بين يديه ، وقال له : أنت قتلت القان . فقال : كيف أفعل ذلك ، وأنا كنت رجلاً طبيباً عطاراً ضعيفاً بين الناس ، فصرت في أيامه وأيام أخيه

(١) في (ق) ، (ط) : « الجوهر » .
(٢) زيادة من (ق) ، (ط) والوافي .
(٣) في الأصل : « ابنه بعده محمّد » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

متصرفاً في أموال المملكة ، ولا يتصرف الأمراء والنواب إلاّ بأمري ، وحصّلْتُ من الجواهر في أيامها مالا يحصى ؟.

وأُحضر الجلال الطبيب ابن الحَزّان طبيب خربندا ، فسألوه عن موت خربندا ، وقالوا : أنت قتلته ؟ فقال : الملك أصابته هيضة قوية فانهل[1] بسببها ثلاث مئة مجلس ، وتقيّأ قيئاً كثيراً ، فطلبني وعرض عليّ هذا الحال فاجتمع الأطباء بحضور الرشيد على أعطائه أدوية قابضة مخشنة للمعدة والأمعاء .

فقال الرشيد : عنده امتلاء ، وهو يحتاج إلى الاستفراغ بعد فسقيناه برأيه دواء مسهلاً ، فانسهل به سبعين مجلساً ، فمات ، وصدّقه الرشيد على ذلك . فقال الجوبان فأنت يا رشيد[2] قتلته ، فأمر بقتله . واستأصلوا جميع أمواله وأملاكه ، وقتلوا قبله ولده إبراهيم ، وكان عمره ست عشرة سنة .

وحُمل رأس الرشيد إلى تبريز ، ونودي عليه هذا رأس اليهودي الذي بدّل كلام الله تعالى ، وقُطعت أعضاؤه وحُمل كل عضوٍ إلى بلد ، وأحرقت جثته ، وقام في ذلك الوزير علي شاه التبريزي ، وقال بعضهم : إن الوزير كان ملحداً عدوّاً للإسلام .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : ولّما قدم علينا الشيخ تاج الدين الأفضلي التبريزي حاجاً إلى دمشق في رمضان سنة ثماني عشرة وسبع مئة . فذكرناه ، فذكر قتل الشيخ والنداء عليه . وقال : قَتْلُه أعظمُ مِنْ قَتْل مئة ألف نصراني ، فإنه كان يكيد الإسلام .

قال الإربلي : الأفضليُّ كان قد تكلم في الرشيد مرّة ، وهو يهودي ، وقد بدّل كلام الله ، فقصده الرشيد لينتقم منه[3] ، فاختفى الأفضلي منه مدة ، ثم وقعت فيه شفاعة ،

(١) في الأصل : « قام » ، وأثبتنا ما في (ق) ، وفي (ط) : « فأسهل » .

(٢) في الأصل : « الرشيد » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

(٣) في ق : « لنفسه منه » ، وفي (ط) : « منه لنفسه » .

فعفى عنه وطلبه إليه ، وطيّب قلبه وخلع عليه خلعة سنية ، فلم يقبلها منه ، وبقي في نفس الأفضلي منه إلى الآن يُذمّه حيّاً وميتاً . والرشيد ما دخل في الإسلام كرهاً ، وقد كان يناصح المسلمين ويخدمهم في كلّ الأحوال .

قلت : وحكى لنا نجم الدين قاضي الرحبة ما رآه[1] الرشيد من الشفاعة[2] على أهل الرحبة ، وحَقْنِ دمائهم ، وكيف ساعدهم على خلاصهم من التتار ، وإصلاح أمورهم مع الملك الناصر ، وله في تبريز عظيمة من البرّ ، وكان مشغولاً بسعادته عن معاداة الإسلام وكيده ، ولم يكن يتبعُ إلاّ أعداه ، ومن يقصد أذاه وسواء أكان مسلماً أو كافراً أو صالحاً أو فاسقاً .

١٣٤٨ ـ فضل بن عيسى*

الأمير الكبير شجاع الدين أخو الأمير حسام الدين مهنّا بن عيسى .

كان ذا رأي وفضل ، وخير وعدل ، وهمة بلغت السِّماك ، وعَزْمَة ليس لها عن الحزم انفكاك .

تولى إمرة آلِ فضل سنين عديده ، ونزل من السعادة بروجاً مشِيده ، وأخذها منه موسى ابن أخيه في وقت وأعيدت إليه مع عَود المِقَةِ وذهاب المقْت .

وكان خبيراً بأخلاق السلطان ، دَرِباً بأحوال العُربان ، قَدْ خَبرهم وجرّبهم ، وصرفهم على ما أراد ، وسُرّ بهم لـمّا سَرَّ بَهُم ، وكثرت إقطاعاته وأمواله ، وزادت مواشيه وغلاله ، ونمت عبيده وإماؤه ، ومطرته بالسعادة والأمن سماؤه .

ولم يزل على حاله إلى أن فضّ لفضل خَتْمَ القبر وكُسِر كَسراً ماله جَبْر .

(١) في الأصل : « قال ما رآه » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) ، وهو الوجه .
(٢) (ط) (ق) : « الشفقة » .
* الدرر : ٢٣١/٣ .

وتوفي رحمه الله تعالى ...(١) .

ورأيته برحبة مالك بن طوق .

وكان إذا وَرَدَت جِماله الفُرات يظنّ الإنسان أنّ الله تعالى قد ملأ الفضاء جمالاً ، وبلغني هناك أنه دفن في بعض دفائنه في تلك الأراضي قِدْراً فيها ثمانون ألف دينار ، وضاع المكان منه ولم يقع له على خبر .

وكان السلطان الملك الناصر محمد قد أخذ الإمرة من أخيه مهنّا لّما خرج عن الطاعة في واقعة قراسُنقر ، وأعطاها للأمير شجاع الدين فضل ، وغضب عليه في وقت وأعطاها للأمير مظفر الدين موسى بن مهنّا ، ثم أعادها إلى فضل .

١٣٤٩ ـ فضل بن عيسى بن قنديل*

الشيخ الزاهد العابد الصالح العَجْلُوني . كان مقيماً بالمدرسة المسماريّة .

كان مشهوراً بالخير والصلاح ، وتعبير الرؤيا ، اشتغل في ذلك على الشيخ شهاب الدين العابر الحنبلي ، وكان لا يقبل من أحد شيئاً ، وعُرض عليه خَزْن المُصحف العثماني ، فامتنع . وكان لا يقبل لأحد شيئاً .

وحضر إليه الأمير سيف الدين تنكز ـ رحمه الله تعالى ـ و ـ وزاره وهو في بيته في المدرسة المذكورة .

مولده سنة تسع وأربعين وستّ مئة(٢) .

ودفن بمقبرة الصّوفيّة قريباً من قبر الشيخ تقي الدين بن تيميّة ، وحضر جنازته القضاة ، والأمراء والأعيان والجم الغفير .

---

(١) كذا بياض في الأصل و (ط) و (ق) ، ولم يذكر صاحب الدرر سنة وفاته أيضاً .

* البداية والنهاية : ١٧٢/١٤ ، والدرر : ٢٣١/٣ .

(٢) في الأصل و (ط) : « وسبع مئة » ، سهو وأثبتنا ما في (ق) ، وفي الدرر أنّ ولادته كانت سنة (٦٤٩) ووفاته سنة (٧٣٥) ، وكذا جاءت سنة وفاته في البداية .

الألقاب والأنساب

☆ **ابن فضل الله :** جماعة منهم : شهاب الدين أحمد بن يحي . ولدُه شرف الدين عبد الوهاب . القاضي محي الدين يحي بن فضل الله . أخوه القاضي شرف الدين عبد الوهاب . بدر الدين محمد بن يحي .

١٣٥٠ ـ فضيل بن عَرَبي بن معروف بن كلاب الْجُرْفي*

والْجُرْف : قرية ببلاد أُدْفو

كان رجلاً مباركاً متورعاً متطوعاً ، يحكي عنه أهل تلك الناحية حكاياتٍ عجيبة من الكرامات والصلاح .

قال الفاضل كال الدين الأُدْفُوّي : قال لي بعض الْجُرفيّة : إنّي زرعت أنا وهو مقثأةً ، فظهر فيها بطّيخة كبيرة . وكان بعض الفلاحين يشتهي أن يسرقها ، ويخشى من الشيخ فضيل ، فقطعها ودفعها إليه ، وقال : خُذها حَلاَلاً .

وحكى لي[(١)] نفيس الخولي ، وكان قد أسلم وحَسُن إسلامه ، قال : رأيت في النوم ثعباناً كبيراً وقصدني ثم صار إنساناً . وقال لي : تبْ عن القضية الفلانية ، فوقع في نفسي أنه فضيل ، فلمّا وصلنا إلى الجرف قلت له : يا شيخ فضيل أنا من قبيل أن تعاملني بهذه المعاملة ؟ فقال : ماهي ؟ القضية الفلانية ؟ نعم[(٢)] أنا هو .

[قال][(٣)] : وحكى لي الجُرفية : أنه كان يوماً بأدفو ، فركبوا إلى أن وصلوا

---

* الوافي : ٨٢/٢٤ ، والطالع السعيد : ٤٦٦ ، والدرر : ٢٣١/٣ ، وفيه : « الفضل » .

(١) عبارة الوافي : « قال : وحكى لي » . والقول ما زال للأدفوي في الطالع السعيد .

(٢) في الطالع : « قلت : نعم . قال : أنا هو » .

(٣) زيادة من (ط) ، (ق) ، والقول للأدفوي أيضاً .

[إلى][(١)] قلاوة الكُوم - وهي أرض كشف - فوقف في مكان ، وحوّق حوّاقة[(٢)] ، وقال : ادفنوني هاهنا ، ثم توجه إلى بيته ، فأقام ثلاثة أيام أو نحوها . وتوفي - رحمه الله تعالى - ودفناه بتلك البقعة وبينها وبين مسكنه مسافة طويلة .

ووفاته في سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

الألقاب والأنساب

☆ **ابن الفُقّاعي** : جمال الدين إسماعيل بن محمد .

☆ **ابن الفهّاد القُوصي** : محمد بن إبراهيم .

☆ **ابن أبي الفوارس** : محمد بن مجاهد .

☆ **ابن الفُوَطي** : كمال الدين المؤرخ ، عبد الرزاق بن أحمد .

☆ **ابن الفويرة** : جمال الدين يحي بن محمد . ووالده [بدر الدين][(٣)] محمد بن يحي وعلاء الدين علي بن يَحْيَى .

☆ **ابن الفُويّة** : محمد بن أحمد .

١٣٥١ - فَيْرُوز الأمير نجم الدين*

أحد أمراء الطبلخانات بصفد .

كان في شكله قصيرا ، إلا أنه في الحرب كان يُرى بصيرا ، فيه شجاعة وإقدام ، وثَبَاتٌ عند الوَثبات لا تُزحزح له الأقدام .

---

(١) زيادة من (ق) ، (ط) ، والوافي ، والطالع .

(٢) في الأصل : « حوقة » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) ، والوافي ، والطالع .

(٣) زيادة من (ط) م (ق) .

* الوافي : ١٠٢/٢٤ ، والدرر : ٢٣٤/٣ ، وفيه : « فيروز بن عبد الله » .

وكان ذا تجمُّل وافر ، واضطلاع بـأمر الإمرة متظـافر ، كثير الرَّخت ، وافي الحـظ من ذلك والبَخْت ، يتجمل في خروجه إلى الأيْزاك ، ويَظْهَر بجماعة من الجند الـذين تهول أشكالهم من الأتراك ، وكان لصفد به جَمال ، ولبَدْرِ ذِكْرِهـا في البلاد بـه كمال . إلى أن كتب نائبُها الحاج أرقطاي في معناه إلى السلطان في سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، فأمر باعتقاله في قلعة صفد . فأقام بهـا مُعْتقلاً نحواً من خمس سنين . ثم إنّ الأمير سيف الدين تنكز ـ رحمه الله تعالى ـ شفع فيه . فأُفْرِجَ عنه ، وحضر إلى دمشق بطّالاً .

ولم تطل مدته حتى توفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة خمس وثلاثين وسبع مئة تقريباً .

وكان يرميه أهل صفد بأنه ظَفِر بإكسيرٍ كان مع بعض المغاربة ، وأنه تزوج بامرأة المغربي ، وأخذه منها .

وعمّر بصفد داراً حسنة بالنسبة إلى صفد وعمل إلى جانبها تربة مليحـة ومسجـداً ، ونقل غالب أحجار الدار من عكّا . وأقام بصفد مدة ـ رحمه الله تعالى ـ .

حرف القاف

١٣٥٢ ـ القاسم بن محمد بن يوسف*

شيخنا الإمام الحافظ المحدّث المؤرّخ عَلَم الدين أبو محمد ابن العَدْل بهاء الدين ابن الحافظ زكي الدين البِرْزالي ـ بكسر الباء الموحدة ، وسكون الراء وبعدها زاي ، وألف ولام ـ الإشبيلي ثم الدمشقي الشافعي[(١)] .

حفظ القرآن العظيم ثم (التنبيه) ومقدمة ...[(٢)] في صغره ، وسُمِّعَ سنة ثلاث وسبعين وست مئة من أبيه ، ومن القاضي عز الدين بن[(٣)] الصّائغ .

ولمّا سُمِّعَ (صحيح البخاري) على الإربلي بَعَثه والده فسمَّعه سَنَةَ سَبْع ، وأحبّ طَلَبَ الحديث ونسخ الأجزاء ، ودار على الشيوخ ، وسمع من ابن أبي الخير ، وابن أبي عُمر ، وابن عَلاَّن ، وابن شَيْبَان ، والمقداد ، والفخر ، وغيرهم . وجَدَّ في الطلب وذهب إلى بعلبك ، وارتحل إلى حلَب سنة خمس وثمانين ، ومنها ارتحل إلى مصر ، [وأكثر][(٤)] عن العز الحرّاني وطبقته .

وكتب بخطه كثيراً وخَرّج لنفسه ولغيره كثيراً ، وجلس في شبيبته مع العدول

---

* الوافي : ١٦١/٢٤ ، والفوات : ١٩٦/٣ ، والبداية والنهاية : ١٨٥/١٤ ، والدرر : ٢٣٧/٣ ، والشذرات : ١٢٢/٦ .

(١) زاد في الوافي : وُلِدَ في جمادى الأولى سنة خمس وستين وست مئة .

(٢) كذا بياض في الأصل و (ط) و (ق) والوافي .

(٣) ليست في الوافي .

(٤) زيادة من (ق) والوافي .

الأعيان[١] مدة . وتقدم في معرفة الشروط . ثم إنه اقتصر على جهاتٍ تقومُ بـه ، وحصّل كتباً جيدة ، وأجزاء في أربع خزائن ، وبلغ عـدد مشـايخـه بـالسّمـاع أزيَـد من ألفين ، وبالإجازة أكثر من ألف ، رتّب كلّ ذلك وترجمهم في مسوّدات متقنة .

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ رأساً في صِدْقِه ، بارعـاً في خِـدْمـه ، أميـنـاً صـاحبَ سُنّـة واتبأع ، ولزوم فرائض ومجانبة الابتداع ، متواضعاً مع أصحابـه ومَن عـداهم ، حريصـاً على نفع الطلبة وتحصيل هُداهم ، حسن البِشْر دائمـه ، صحيح الودّ حـافـظ السرّ كاتمـه ، ليس فيـه شرّ ، ولا لـه على خيـانـةٍ مَقر ، فصيح القراءه عـدم اللحن والـدمـج ، ظـاهر الوضاءه ، لا يتكَثَّر[٢] بمـا يعرفُ من العلوم ، ولا يتنقَصّ بفضـائل غيره ، بل يُوفيـه فوق حقه المعلوم .

وكان عالماً بالأسماء والألفـاظ ، وتراجم الرواة والحفـاظ ، وخطّـه كالوشي اليماني ، أو رونق الهنـداوني ، لم يخلّف بعـده في الطلب وعَملـه مِثْلَـهُ ، ولا جـاء من وافق شكلُـه شكله .

ولم يزل على حـالـه إلى أن حجّ سنـة تسع وثـلاثين وسبـع مئـة ، فتـوفي بخُليص[٣] مُحْرِمـاً بكرة الأحـد رابع ذي الحجـة عن أربـع وسبعين سنـة ونصف ، وتـأسّف النـاس عليه .

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ لدمشق بـه في الحـديث جَمال ، بلغ ثبتـه أربعـاً وعشرين مجلداً ، وأثبت[٤] فيه من كان يسمع معه ، وله (تاريخ) بدأ فيه من عام مولـده الـذي توفي فيه الإمام أبو شامة ، فجعله صلة (لتـاريخ) أبي شـامـة في ثمـاني مجلـدات ، ولـه مجـاميع وتعـاليق كثيرة ، وعَمَلٌ كَثيرٌ في الروايـة ، قلّ من وصل إليـه ، وخرّج أربعين

(١) في الأصل : « والأعيان » ، وأثبتنا ما في (ط) و (ق) ، وما يتفق مع الوافي .

(٢) في الأصل : « ولا يكثر » ، وأثبتنا ما في (ط) (ق) والوافي .

(٣) حصن بين مكّة والمدينة ، (معجم البلدان) .

(٤) عبارة الدرر : « أثبت » .

بلديّة ، وحجّ سنة ثمان وثمانين وأخذ عن مشيخة الحَرَمين . وحج غير مرة ، وكان باذلاً لكتبه لا يمنعها من سأله شيئاً منها ، سَمْحاً في كلّ أموره مؤثراً متصدقاً ، وله إجازات عالية عامَ مولده من ابن عبد الدائم وإسماعيل بن عزوّن والنجيب وابن علاق ، وحدّث في أيام شيخه ابن البخاري .

وولي دار الحديث مقرئاً فيها ، وقراءة الظاهرية سنة ثلاث عشرة وسبع مئة ، وحضر المدارس ، وتفقّه بالشيخ تاج الدين عبد الرحمن الفزاري ، وصحبه ، وأكثر عنه ، وسافر معه ، وجوّد القراءة على رضي الدين بن دَبّوقا[1] ، وتفرّد ببعض مرويّاته . ثم تولّى مشيخة دار الحديث النورية ، ومشيخة النفيسية ، ووقف كتبه وعقاراً جيداً على الصدقات .

وقرأت أنا عليه بالرَّواحيّة قصيدة لابن إسرائيل[2] يرويها عن المصنف سماعاً ، وهي في مديح سيدنا رسول الله ﷺ أولها :

غَنِّها باسمِ مَن إليه سُرَاها

وقرأت أيضاً عليه قصيدتين ميمية ، أولها :

هي المنازلُ فانزل يُمْنَةَ العَلَم

ودالية أولها :

قلبٌ يقوم به الغرام ويقعُد

في مديح سيدنا رسول الله (ﷺ) ، نظم الضياء أبي الحسن علي بن محمد بن يوسف الخزرجي[3] رواهما لي سماعاً عن المُصَنف بالإسكندريّة .

(١) جعفر بن القاسم بن جعفر المقرئ ، توفي (٦٩١ هـ) ، العبر : ٣٧٢/٥ .
(٢) محمّد بن سوار بن إسرائيل الشيباني (٦٧٧ هـ) ، العبر : ٣١٢/٥ .
(٣) (ت٦٨٦ هـ) ، والوافي : ١٥٧/٢٢ .

وسمعت عليه وعلى الحافظ جمال الدين المزي (جزء الأربعين العوالي ، من المصافحات والموافقات والأبدال) ، تخريج ابن جعوان[(١)] للقاضي دانيال[(٢)] . وقرأت عليه غير ذلك ، وقرأ هو عليّ قطعة من شعري .

وكان دائم البِشر لي جميلَ الودّ ، وكان من عقله الوافر وفضله السافر أنه يصحب المتعاديين ، وكل منهما يعتقد صحة ودّه ، ويبث سِره إليه .

وكان العلاّمة تقي الدين بن تيمية يودّه ويصحبه ، والشيخ العلاّمة كال الدين بن الزملكاني يصحبه ويودّه ويُثني عليه .

وقال القاضي شهاب الدين بن فضل الله يرثيه :

تُراهم بالذي ألقاه قد علمُوا ... شطَّ الْمَزارُ، وبانَ البانُ والْعَلَمُ
لهفي عليهم وقد شدّوا ركائبهم ... عن الديار ولا يُثْني بهم ندم
قد [كان] يُدنيهم طيفٌ ألَمَّ بنا ... فالآن لا الطيف يدنيهم ولا الحلم[(٣)]
الله أكبر كم أجرى فراقُهم ... دَمْعاً ، وعاد بمن لا عاد وهو دم
أمّوا الحجازَ فما سارت مطيتُهم ... حتى استقلّت دموعاً قُدِّمَتْ لَهُمُ
وأَحْرَموا لِطوافِ البيت لا حُرِمُوا ... مِن لذّة العيش طولَ الدّهْر لا حُرموا[(٤)]
زارُوا النّبيَّ وساروا نحو موقفهم ... حتَّى إذا فارقوا مطلوبَهُم جَثَموا
يا سائرين إلى أرض الحجاز لَقَدْ ... خلّفتم في حشاي النارَ تَضْطرم
هل مُنْشِدٌ فيكم أو ناشدٌ طلباً ... أضَلْتُهُ وادْلَهَمتْ بعده الظلم

(١) محمّد بن محمّد بن عباس (ت٦٨٢هـ) ، الوافي : ٢٠٣/١ .

(٢) في الأصل و (ط) و (ق) : « ابن دانيال » ، وفي الوافي : « ضياء الدين دانيال » ، وهو دانيال بن منكلي الشافعي (ت ٦٩٦ هـ) ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٣) في الأصل : « يثنيهم طيف » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) . والزيادة منها .

(٤) (ط) (ق) : « ما حرموا » .

قد كان في قاسمٍ مِنْ غيرِه عِوَضٌ … فاليوم لا قاسمٌ فينا ولا قَسَمُ
من لو أتى مكةً مالَتْ أباطحُها … به سروراً، وجادت أُفْقَها الدِّيَمُ
أقسمتُ مُنْذ زمانٍ ما رأى أحدٌ … لقاسمٍ شبهاً في الأرض لو قسَموا
هذا الذي يشدَ المختارُ هجرته … «والبيت يعرفه والحلَ والحَرَمُ»[1]
ما كان ينكره ركنٌ الحطيم له … لو أُخِّر العمرُ حتَّى جاء يستلم
له إليه وفاداتٌ تُقَرُّ بها … جُبالُ مكةَ والبطحاءُ والأكَمُ
محدّثُ الشَّام صِدْقاً بل مؤرّخه … جرى بهذا وذا فيما مَضَى القلم
ياطالبَ العِلْمِ في الفنّين مُجْتَهِداً … في ذا وهذا ينادى الْمُفْرَدُ العلم
يُرْوَى حديث العوالي عن براعته … وما له طاعنٌ فيها ومُتَّهم
قد كان يدأب في نفع الأنام ولا … يردُّهُ ضجرٌ منه ولا سأم
وحقّق النقد حتى بان بهرجُهُ … وصحّح النَّقل حتى ما به سقم
وعرّف الناس كيف الطَّرقُ أجمعها … إلى النبي فما حاروا ولا وهموا
وعرّف الناس في التاريخ ما جهلوا … وبَعْضُ ما جَهِلوا أضعافُ ما علموا
يُريك تاريخهُ مَهْما أردت به … كأنَّ تاريخه الآفاقَ والأُممَ
ما فاته فيه ذو ذِكْرٍ أخلّ به … ولو يروم لعادت عَادُ أو إرام[2]
إذا نشرتَ له جزءاً لتقرأه … تظلّ تنشر أقواماً وهم رمم
ياأيّها الموت مهلاً في تفرّقنا … شَتَّت شَمْلَ المعالي وهو منتظم
تجِدُّ فينا وتَسْعى في تطلُّبنا … اصبرْ سنأتيك لا تسعى بنا قدم
قد ظَفِرْت بفردٍ لا مثيل له … وإن أردْتَ له مِثْلاً فأينُ هم
ياذاهباً ما لنا إلاّ تذكُّره … آهاً عليك وآهٌ كُلها ألم
جادَتْ عليك من الغفران بارقةٌ … غرّاءُ يضْحكُ فيها البارِدُ الشبم

---

(١) ضمّن عجز بيت من قصيدة الفرزدق المشهورة في مدح زين العادبي بن علي .

(٢) (ط) : « مافاته » .

تَرْوي ثراكَ وتُسْقَى من جـوانبـــه ... إلى جـوانب حُـزوى البـانُ والسلَمُ
وحَـلّ أرضَ خُليصٍ كلٌّ ريـح صَبَـا ... بنشرهـــــــا تُبعثُ الأردان واللمم
وخيّمت دون عُسفـــانٍ لهـــا سُحبٌ ... تَسْقَى بــأنـوائهـــا السكانُ والخيم
لَهفي عليـــك لتحرير بلغتَ بـــه ... مــــا ليس تبلغـــه أو بعض الهمم
ما الحافظ السلفيّ الطُّهر إن ذكرت ... أسـلافـك العُـزّ والآثـــار والكرم
قَطعتَ عُمْرك في فَرْضٍ وفي سُنَنٍ ... هـــذي الغنيمـــة والأعمـــار تَغْتَنم

١٣٥٣ ـ أبو القاسم بن الأجل*

الصاحب جلال الدين .

أوّل ما علمته من حاله أنه كان من جملة كتاب حلب ، فلما كان في أيام الأمير علاء الدين أيدغمش أمير آخور نـائب دمشق في سنـة ثلاث وعشرين وسبع مئـة ، حَضر على البريد من مصر على يده مرسوم شريف بأن يكون مستوفياً بـدمشق ، فـما مكنـه وردَّهُ ردّاً قبيحاً . ولمّا مات أيدغمش ـ رحمه الله ـ عـاد بعـد ذلـك وبـاشر الاستيفـاء بـدمشق مدة .

ولم يزل على حـالـه إلى أن توجَّـهَ إلى مصر بحسـاب دمشق ، وذلـك في سنـة ثمـان وأربعين وسبع مئة ، أو أوائل سنة تسع وأربعين .

وراح على أنـه يُصلح حـال معـاملـةِ دمشق ، فعـاد منهـا وقـد تـولى نظر النظّـار بدمشق عوضاً عن الصاحب شمس الدين بن التاج إسحـاق ، فما هـان ذلـك على الأمير سيف الدين أرغون شاه .

---

* ذيول العبر : ٣٦٩ .

واستمر به وهو منكّر الوجه عليه ، فضاق عِطْنه لذلك ، ولم يُقم إلاّ قليلاً ، وطلب الإعفاء من المباشرة . فكتب أرغون شاه بذلك ، وطلب عَوْدَ الصاحب شمس الدين بن التاج إسحاق ، فأُعيد .

واستمر الصاحب جلال الدين على نظر الحَرَمَيْن القدس الشريف وحرم الخليل عليه السلام ، عوضاً عن الصاحب شمس الدين ، وأقام على ذلك مدة ثم توجّه إلى مصر وأقام مدّة . وحضر صحبة ركاب [الملك][1] الصَالح صالح إلى دمشق في واقعة بيبغاروس ، وعاد صحبة الركاب إلى مصر ، وحنا عليه الأمير عز الدين طقطاي الدوادار ، وبقي يذكّر به الأمير سيف الدين شيخو ، وتوجه صحبة شيخو إلى الصعيد ، ورأى تلك الأحوال وما بذله شيخو [مِن السيف][2] في أهل الصعيد ، وعاد ، ثم إنه ولي[3] استيفاء الصحبة بالقاهرة، وحضر هو والأمير سيف الدين جرجي إلى دمشق ، بسبب ديوان المهمّات ، وتذكرة على يده في حال معاملة دمشق .

ثم إنه عاد إلى مصر وأقام إلى أن انفصل من الاستيفاء ، وأقام بمصر بطّالاً إلى أن استخدم قبل موته بأشهر قلائل في نظر الخزانة البرّانية فيما أظن إلى أن توفي رحمه الله تعالى في طاعون مصر سنة أربع وستين وسبع مئة .

١٣٥٤ ـ أبو القاسم بن عثمان*

الأمير صفي الدين البصروي الحنفي ، أخو الأمير نجم الدين محمد البصروي ، ابن أخي قاضي القضاة صدر الدين الحنفي ، وسيأتي ذكر أخيه في مكانه من المحمّدين إن شاء الله تعالى .

---

(١) زيادة من (ط) ، (ق) .

(٢) زيادة من (ط) ، و (ق) .

(٣) (ط) و (ق) : « تولّى » .

* الدرر : ٢٦٠/٣ ، والذيل التام : ١٦٨ .

كان فقيهاً فاضلاً في مذهبه ، ناهلاً ما صفا من الفضائل في مَشْرَبه ، ودرّس ببصرى زمانا ، وكان على ما يعانيه من ذلك مُعانا .

وله إقطاعٌ في الحلقة يأكله ، ويتخذ من العلم ما يشاكله ، يلبس القباء والعمّة المدوّره ، ويُبْرُز بذلك في صورة مركبة بين الأمراء والعلماء مصوّره ، ثم إنه أُعطي الطبلخاناه ، وانسلخ من ذلك الزيّ الذي عاناه .

ولم يزل على حاله إلى أن كُدّر بالموت[٢] صفاؤه ، وحَان بالوفاءِ وفاؤه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في أواخر سنة تسع وخمسين وسبع مئة أو أوائل سنة ستين وسبع مئة ، وكان من أبناء الستين تقريباً .

كان لأخيه الأمير نجم الدين على السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون خِدمٌ يرعاها له لمّا كان بالكرك ، ولمّا مات نجم الدين رعى حق أخيه ، وأعطاه إمرة عشرة ـ فيما أظن ـ مضافاً لما بيده من تدريس المدرسة ببصرى ، فيلبس قباء وعمامة مدوّرة ويتوجه كلّ قليل إلى باب السلطان بالخيول المثمنة الجيدة العربية .

ولمّا كان بعد موت الأمير تنكز ـ رحمه الله تعالى ـ ألزمه السلطان بلبس الكلوتة ، ثم أُعْطِيَ طبلخاناه ، وكانت جيّدة .

ولما ورد الأمير سيف الدين أرغون شاه إلى دمشق نائباً أخذه الأفرم منه وجهزّه إلى حلب على إمرةٍ غيرها ، فلّما قتل أرغون شاه عاد الأمير صفي الدين إلى دمشق على حاله .

وتولى نابلس فعمل الولاية على أتمّ ما يكون من الأمانة والمهابة والحُرْمَة ، وأقام بها قليلاً وسأل الإقالة منها ، فأجيب إلى ذلك .

---

(١) (ط) : «كَدَّرَ الموت » ، وفي (ق) : « كَدَّرَ الحِمامُ » .

وتولّى نظر الحرمين القدس والخليل عليه السلام ، وعمله على أتمّ ما يكون وذلك في آخر عمره ، وفيه توفي ـ رحمه الله تعالى .

وكان له نظمٌ متوسّط ـ رحمه الله تعالى ـ، وقد تقدم ذكر أختِهِ فخرية أم يوسف في حرف الفاء مكانه .

١٣٥٥ ـ القاسم بن مظفر بن محمود*

ابن تاج الأُمناء أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن عساكر .

الشيخ الجليل الطبيب الْمُعَمِّر مُسند الشام بهاء الدين أبو محمد الدّمشْقي .

له حضور في سنة مولده على مشهور النيرباني ، وحضر في الثانية[(١)] على كريمة القرشيّة ، وحضر في الثالثة على سيف الدولة بن غسان[(٢)] ، والفخر الإربلي ، ومكرّم بن أبي الصّقر[(٣)] ، وعم جده أبي نصر عبد الرحيم بن محمد[(٤)] ، وحضر سنة اثنتين وثلاثين وست مئة على ابن المقيّر ، وسمع في سنة أربع وثلاثين من ابن اللّتي والقاضي شمس الدين بن سنّي الدولة والعز النسّابَة وطائفة ، وأجاز له خاصّاً وعاماً ، مثل أبي الوفاء بن مندة ، وابن رُوزبه والقطيعي [وخَلْق][(٥)] .

وكان يعالج المرضى مُروءة ، وله من مِلكه ومغَلّه ووقفه شيء وافرٌ . وخدم في ديوان الخزانة مُدّة ، ثم ترك ذلك وكبر وارتعش خطّه .

خرّج له المفيد ناصر الدين بن الصيرفي[(٦)] (معجماً) حافلاً في سبع مجلدات ،

---

* الوافي : ١٦٨/٢٤ ، والبداية والنهاية : ١٠٨/١٤ ، والدرر : ٢٣٩/٣ ، والشذرات : ٦١/٦ .

(١) في الأصل و (ط) : « الثالثة » ، وأثبتنا ما في الوافي ، وهو الصواب .

(٢) محمّد بن غسان بن غافل (ت ٦٣٢) ، السير : ٣٨١/٢٢ ، والشذرات : ١٥٥/٥ .

(٣) مكرم بن محمد بن حمزة بن أبي الصقر (ت ٦٣٥ هـ) ، العبر : ١٤٦/٥ .

(٤) (ت ٦٣١) ، العبر : ١٢٦/٥ .

(٥) زيادة من (ق) و (ط) والوافي .

(٦) محمّد بن طغريل ، ستأتي ترجمته في موضعها .

وخرّج له شيخنا البرزالي ، والشيخ صلاح الدين العلائي ، وعُمّر دَهْراً ، ورَوى الكثير ، وكان كثير المحاسن صبوراً على الطلبة .

قال شيخنا الذهبي : على تخليط في نحلته والله أعلم بسرِه ، وله صدقة ووقف ، وقد جعل داره دار حديث .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ خامس عشري شعبان سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة تسع وعشرين وست مئة .

اللقب

☆ **قاضي القضاة حسام الدين الحنفي الرومي** : الحسن بن أحمد .

☆ **تقي الدين الحنبلي** : سليمان بن حمزة .

☆ **وقاضي القضاة جمال الدين الزرعي** : سليمان بن عمر .

☆ **قاضي بغداد الحنبلي** : سليمان بن عبد الرحمن .

☆ **وقاضي القضاة شرف الدين الحافظ** : عبد الله بن حسن .

☆ **زين الدين قاضي قضاة حلب الشافعي المعروف بابن قاضي الخليل** : عبد الله بن محمد .

☆ **وقاضي القضاة الحنبلي** : شرف الدين عبد الغني بن يحيى .

☆ **وقاضي القضاة بصفد** : شرف الدين محمد بن عثمان . ووالده : جلال الدين عثمان بن أبي بكر .

☆ **وقاضي القضاة بحلب نجم الدين خطيب جبرين** : فخر الدين عثمان بن علي .

☆ **وقاضي القضاة عماد الدين الطرطوسي الحنفي** : علي بن أحمد .

☆ وقاضي القضاة الشيخ علاء الدين القُونوي : علي بن إسماعيل .

☆ وقاضي القضاة نور الدين السخاويّ المالكي : علي بن عبد النصير .

☆ وقاضي القضاة علاء الدين بن التركماني الحنفي : علي بن عثمان .

☆ وقاضي القضاة صدر الدين الحنفي : علي بن القاسم .

☆ وقاضي القضاة زين الدين المالكي بن مخلوف : علي بن مخلوف .

☆ وقاضي القضاة علاء الدين بن المنجّا الحنبلي : علي بن منجا .

☆ وقاضي القضاة عز الدين الحنبلي : عمر بن عبد الله .

☆ وقاضي القضاة إمام الدين القزويني الشافعي : عمر بن عبد الرحمن .

☆ وقاضي القضاة نجم الدين بن العديم : عمر بن محمد .

☆ وقاضي القضاة زين الدين البلفيائي : عمر بن محمّد .

☆ وقاضي القضاة سعد الدين الحارثي الحنبلي : مسعود بن أحمد .

☆ وقاضي القضاة بدر الدين بن جماعة : محمد بن إبراهيم .

☆ وقاضي القضاة ناصر الدين بن العديم : محمد بن عمر .

☆ وقاضي القضاة ابن المجد : محمد بن عيسى .

☆ وقاضي قضاة حلب ابن بهرام : محمّد بن محمّد .

☆ وقاضي القضاة علم الدين الإخنائي : محمد بن أبي بكر وأخوه وقاضي القضاة المالكي : محمد بن أبي بكر .

☆ وقاضي القضاة شرف الدين المالكي : محمد بن أبي بكر .

☆ **وقاضي القضاة شمس الدين بن النقيب :** محمّد بن أبي بكر .

☆ **وقاضي القضاة جمال الدين ابن واصل :** محمد بن سالم .

☆ **وقاضي القضاة جمال الدين الزواوي :** محمد بن سليمان .

☆ **وقاضي القضاة عز الدين الحنبلي :** محمد بن سُليمان .

☆ **وقاضي القضاة جلال الدين :** محمد بن عبد الرحمن .

☆ **وقاضي قضاة حلب بدر الدين أبو اليسر :** محمد بن محمد بن الصايغ . وأخوه قاضي القضاة بحلب أيضاً نور الدين محمد بن محمد بن محمّد .

☆ **وقاضي القضاة جمال الدين :** يوسف بن إبراهيم بن جُملة .

☆ **قاضي نابلس فخر الدين :** عثمان بن أحمد .

☆ **قاضي فوّه شمس الدين :** علي بن محمد .

☆ **ابن قاضي شهبة كمال الدين :** عبد الوهاب .

☆ **قاضي شهبة نجم الدين :** عمر بن عبد الوهاب .

☆ **قاضي غزة :** عمر بن محمد .

☆ **القاضي أخوين :** محمد بن محمد .

☆ **قاضي ملطيّة :** محمد بن محمد بن علي .

☆ **قاضي تونس :** إبراهيم بن الحسن .

☆ **ابن قاضي الحصن :** إبراهيم بن علي .

☆ **قاضي الرحبة نجم الدين :** إسحاق بن إسماعيل .

١٣٥٦ ـ القاسم بن يوسف بن محمد بن علي*

الإمام المُحدِّث الرّحال علم الدين التَجيبي السّبتي .

قال شيخنا الذهبي : حجَّ وقدِمَ علينا ، وسَمِع من ابن القّواس ، والشرف بن عساكر وطائفة .

قال : وانتقيت له مئة حديث من مئة شيخ . ثم إنه سمع بمصر وبالثغر من الغرّافي ، وبالمغرب ، ونسخ وقرأ وحصّل أصولاً ، وله فضيلةٌ جيّدة ، تأخرّ وحدّث وروى عنه الوادي آشي .

قال : وسمعته يقول : أحاديث بقيّة[1] ليست نقيه ، فكن منها على تقيّه .

وُلد في حدود السبعين وست مئة .

قال : وأظنه بقي إلى نحو الثلاثين وسبع مئة .

اللقب والنسب

☆ **ابن القاهر** : علي بن عبد الملك .

☆ **القبابي** : نجم الدين عبد الرحمن بن الحسن .

☆ **القبّاري** : الشيخ أحمد .

١٣٥٧ ـ قَبْجَق**

الأمير الكبير سيف الدين نائب دمشق وحماة وحلب .

* الوافي : ١٧٣/٢٤ ، والدرر : ٢٤٠/٣ .

(١) بقية بن الوليد الكلاعي ضعّفه المحدّثون (ت١٩٧) ، السير : ٤٥٥/٨ .

** الوافي : ١٧٨/٢٤ ، وتحفة ذوي الألباب : ١٩٥/٢ ، والعبر : ٣٨٦/٥ ، والدرر : ٢٤١/٣ ، وإعلام الورى : ١٠ .

وكان من فرسان الإسلام ، وأبطاله[١] الشجعان الأعلام ، لا يُرام ولا يُرامى ، ولا يُسام في تدبير ولا يُسامى ، بَرّز في جَوْدَة الرمي بالنُشّاب ، واللعب بالرمح على ظهور الْمُطَمَّهة العِراب .

وأمّا عَقْلُه ودهاؤه وحزمه وانتخاؤه ، فانفرد بافتراع ذُرْوَته ، وإحكام عُرْوَتِه ، يَظُنّ بالشيء قبل وقوعه ماآل إليه ، ويتخيّل المقادير فتنثال عليه ، وكان فصيحاً في اللغة الْمُغْلِيّه ، مُجيداً في كتابتها كما تُجيده كُتّابُ العربيّه .

وكان لا يكاد الصَيد يخرج من بين يديه سليما ، ولا يعبأ هو به أكان ظبياً أو ظليما ، لكنه اضطر في الدخول إلى بلاد التتار ، والتجاهر بالخروج منها دون الاستتار . ولكنه شَعَبَ ما صَدَع ، ودَمَل ما جذع . فكان في عداد التتار وهو مع الإسلام ، وفي ظاهر الأمر بينهم ، وهو في الباطن[٢] تحت الأعلام . وداراهم إلى أن عادوا ، وبَدهَهم بدهائه إلى أن بادوا[٣] .

ولم يزل بعد ذلك يتقلب في النيابات ، ويشفي غلّة سيوفه من التتار في المصافّات إلى أن جاءه المصرع القاسر ، واختطفه[٤] عقبان المنية الكواسر .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بحلب وهو نائبها في أواخر جمادى الأولى سنة عشر وسبع مئة ، ونقل إلى حماة ودفن في تربتة المشهورة بها .

لما كان في بيت المنصور قلاوون كان مؤاخياً للأمير حسام الدين لاجين لا يكاد أحدهما يصبر عن الآخر إلى أن انعكس ذلك ، على ماسيأتي ذكره .

وما زال الأمير سيف الدين قبجق مقدّماً في البيت المنصوريّ ، رأساً من رؤوس

(١) في الأصل : « وأبطال » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .
(٢) في الأصل : « الظاهر » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .
(٣) في الأصل : « عادوا » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .
(٤) في (ط) ، (ق) : « واختطفته » .

مماليكه ، وتأمّرَ وأستاذه[١] ما يثق بـه ولا يركن[٢] إليـه ، ولا يزال ينتظر منـه بـادرة ، فلا يُخرجه معه إلى حروب الشام ، ولا تجاريده خوفاً منه لئلا يهرب .

قـال لي القـاضي شهـاب الـدين أحمـد بن فضل الله : حكى بلبـان الطُشلاقي مملوك الصـالح علي ، قـال : ركب المنصور يومـاً إلى قبّـة النصر في جمـاعـةٍ من خوُشْـدَا شيّتـه الأمراء الصالحيّة ، ونزلوا هناك في صواوين خفـاف ، فـأكلوا وانشرحوا ، وقـام كلٌّ أمير إلى صيوانه ، فأتى المنصورُ بعدة خراف رُمسَـان بَـدَارِيّـة ، فقلّبهـا ثم إنـه تخيّر لـه منهـا خروفاً من أصحّها أعضاءً ، وفرق البقيـة ، ثم بعث إلى كل أمير بخروف منهـا . وقـال : ليقم كلّ واحد يذبح خروفه بيده ويشويه بيده مثلما نعمل في بلادنـا ، وأنـا في الأول . ثم قام فذبح خروفه الذي اختاره وسلخه بيده ، وأمَر بنـارٍ فـأُوقـدت ، ثم شَواهُ بيـده ، ولما انتهى طلب الأمراءَ ليأكلوا معه ، ثم أخذ منه[٣] الكتف اليمين ، فأكل لحمه ، ولمّا فرغ لحمه جرّده إلى أن أنقـاه[٤] ، ثم إنـه تركـه قليلاً إلى أن جف ، ثم قـام وجعل يلّوحـه على النار برفق ، ثم نظر إليه وأطال فيه التأمّل ، ثم تَفَل عليـه وسبّـه ، فـألقـاه من يـده ، وكان يجيد معرفة النظر في الكتف فلم يجسر أحد من الأمراء[٥] على سؤاله عمّا رأى فيه ، فدسّوا عليه أميراً سمّاه الطشلاقي ، قال القاضي شهاب الدين : أظنه بَيْسَري ، فمازحَـه ، وقال له : ياخوند أيّ شيء رأيت في الكتف . فقال : والله حاشاك[٦] ، [قـال][٧] عن هذا الصبيّ قبجق ، وهذا الصبيّ عبـد الله [عن][٨] مملوك آخر [كان][٩] عنـده[١٠] من

(١) في الأصل : « وتأمّر أستاذه » ، وأثبتنا ما في (ط) و (ق) ، وعبارة الوافي : « وأُمّرَ وأستاذه » .

(٢) في الوافي : « ولا يسكن » .

(٣) (ط) و (ق) والوافي : « هو منه » .

(٤) في الوافي : « نقاه » .

(٥) في الأصل : « من أحد الأمراء » ، وأثبتنا ما في (ط) و (ق) والوافي .

(٦) في الأصل و (ط) : « فقال حاشاك » وفي (ق) : « فقال والله قال حاشاك » . وأثبتنا ما في الوافي .

(٧) زيادة من الوافي .

(٨) زيادة من الوافي .

(٩) زيادة من الوافي .

(١٠) في الأصل : « هذه » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ط) و (ق) ، والوافي .

الْمُكْتَسَبِين أيضاً لا تخرجهم معك إلى الشام ، فهؤلاء متى صاروا[١] في الشام هربوا وعملوا فتنة . فأما عبد الله فتقدّمَ موته ، وأما قبجق ، فلما صار نائب الشام هرب وأتى بالتتار .

وقال : قال والدي : إن الشجاعي ، قال مرّة ، وقد جاء كتاب من قبجق : هذا قنّينة دُهن وردٍ مخبوء لكلّ يوم مشؤوم .

ولم يزل مقدّماً في بيت الملك المنصور وهو مؤخر إلى أن مات المنصور ، وهو مؤخر[٢] .

ولَمّا ملك ولده الأشرف أجلَّهُ ونوّه بقَدْره ، وكان من أقرب المقربين إليه ، وربما استشاره في بعض الأمر .

ولَمّا قتل الأشرف ، ومَلَك كتبغا لم يبق لحاشيته دأب إلاّ لاجين وقبجق ، وتقصّد قبجق قصَّ جناح لاجين حتى اتفقا وطردا كتبغا ، وملك لاجين ، وخيّر قبجق بين نيابة الشام ونيابة مصر ، فاختار الشام ، فجاء إليه وهو يظن أنه مالكها ، ووصل إلى دمشق يوم السبت سادس عشر شهر ربيع الأول سنة [ستّ][٣] وتسعين وست مئة .

وظهر من تعظيم لاجين له أن كتب إليه « بالجناب العالي » ، وكان يكتب إليه : « المملوك » ، فاستعفى ، فقيل له : أنت تعرف مكانتك ونحنُ نعرف مكانتك .

ثم إنّ لاجين ولّى جاغان ، المقدّم ذِكْرُه ، أحَدَ مماليكه شدَّ الدواوين بالشام ، وكان جاغان مُدِلاًّ على أستاذه ، فعمل الوظيفة على قاعدةٍ ضاق منها قبجق وانحصر .

---

(١) في الأصل : « صار » ، وأثبتنا ما في (ط) و (ق) ، والوافي .

(٢) العبارة مضطربة ، وفي الوافي : « ولم يزل مع تقدّمه في البيت المنصوري مؤخراً عند السلطان حتى مات » .

(٣) زيادة من (ط) و(ق) والوافي .

وكانت مراسيم قبجق تَردُ عليه ، فمنها ما يردّه ، ومنها ما يُوقّفه على المشاهدة ، فنشأت بينهما منافسة ، وبقي جاغان يكتب في حقِّه بما يغيّر بينه وبين السلطان من المودة التي [أنفقوا][(١)] فيها الأعمار ، حتى اشتد تخيّل لاجين منه ، وبعث إلى آقوش الأفرم ، وهو ابن خالة لاجين ، يقول له : تجعل بالك من قبجق ، وتعرفنا بأخباره ، فطمع في النيابة ، وكتب بما يزكّي أخبار جاغان وأقواله .

واشتد نفار قبجق [وهَمّ بالأفرام ، فجاء الأفرمَ البريدُ بطَلَبه إلى مصر ، ورسم لجاغان بسلوك الأدب مع قبجق][(٢)] ولا يردّ له أمراً ، ولا ينقل قدماً عن قدم إلاّ بأمره ، فأظهر قبجق الرضا ، وأسرّ ما أسرّ .

ثم [إنّ][(٣)] الأخبار تواترت بقصد التتار أطراف الشام ، فجرِّدت[(٤)] العساكر المصرية والشامية ، ورُسم لقبجق بالخروج ، وأن يكون مقدّماً عليهم ، فخرج إلى حمص وعرض عرضاً ما رأى قبله مثله ﴿ وخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾[(٥)] وعليه قباء مزركش بالذهب مرّصع بالجواهر[(٦)] ، وكذلك سربُه يبهر العيون ، وعليه كلوته كذلك ، وفي وسطه كاشّ ملبسّ بالذهب مرصّع بالجواهر ، وكذلك سرجه وكنفوشه ولجامه .

ونزل بحمص وخيّم عليها ، فقال منكوتمر للاجين : ما قصرّت سَلطَنْتَ قبجق وبعثت معه الجيوش والأمراء ، وقعدت أنت وحدك برقبتك ، وندّمه .

---

(١) زيادة من (ق) والوافي .

(٢) زيادة من (ق) و (ط) والوافي .

(٣) زيادة من (ط) و (ق) .

(٤) في الأصل : « فجرت » ، وأثبتنا ما في (ط) و (ق) .

(٥) القصص : ٧٩/٢٨ .

(٦) زاد في الأصل ما نصّه : « وكذلك سرجه وكنفوشه بالذهب مرصع بالجواهر » ، وقد خلت منه (ط) و (ق) ، وكذلك الوافي ، ثم إنّ هذا الكلام سيتكرر في معناه بعد قليل .

وكان هـذا دأب منكـوتمر يُـوحش بين لاجين وبين الأمراء ، ويتقصّـد إبـادتهم ، فشرع لاجين في العمـل على إمسـاك من قـدر عليهم منهم ، واغتيـال من لا يقـدر على إمساكه ، ونَدَب لهذا صَلغاي بن حمدان ، وكان خؤوناً نمّاماً غربال أسرار .

ولما جاء قبجق وحدّثه وكان والدي حاضراً[١] ، قال : فقـال لـه : السلطـان يُسَلِّمُ عليك ، ويقول لك : قد حَصَل القصد بإلقاءِ السمعة والمهابة ، وما بقي للتتـار حركـة ، وأنا قد بعثني أردّ العساكر المصرية من حلب والأمير يرجع إلى دمشق .

فقال له قبجق : لمّا قال لك السلطان هذا ، كان منكوتمر حـاضراً عنـده ؟ قـال : وإلاَّ فأين يغيب ذاك . قال والدي : تفهمّت[٢] بها خيانة ابن حمدان .

ثم إن ابن حمدان قطع الكلام ، وقال : ياخوند أنا جيعان[٣] وقد اشتهيت كركيـاً يُشْوَى لي . فقال : هاهنا كركي مشوي هاتوه ، فأتوا به وأنا قاعد ، فلمـا أُتي بـه ، قـال ابن حمدان : لا يقطع لي أحد ، أنا أقطع لنفسي ، ثم إنه أخرج سيخاً كان معـه ، وجعل يقطع برأسه ، ويأكل ، ثم قطع بسُفل ذلك السّيخ وقدّمه لقبجق ، وقـال لـه : أنـا قـد قطعتُ لك وأنت إن اشتهيت تأكل ، وإن اشتهيت لا تأكل ، ففهم قبجق أنه قـد سَمَّ لـه ما قطعه له ، وغضب وأربدَّ وجهه واسودّ وظهر عليـه مـا لا يخفى من الأذى ، ثم قـال : أنا ما آكل شيئاً .

قال والدي : فقمت من عنده ، وشرع قبجق فيا همّ فيه ، وهمّ بما هم به .

ثم سافر ابن حمـدان إلى جهـة حلب وكان من الأمراء الـذين بهـا مـا كان ، وركب بكتمر السلاح دار وألبكي نائب صفد ، عائدَين إلى حمص[٤] حتى أتيا قبجق وشكيا إليه ما كان أُريد بها بحلب ، فشكا هو إليهما ما أُريد به بحمص ، وأجمعوا على الرأي .

(١) في الأصل : « وحدثه قال : وكان حاضراً » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) والوافي .
(٢) في الوافي و (ق) : « ففهمت » .
(٣) كذا في الأصل .
(٤) في الأصل : « صفد » ، وأثبتنا ما في (ق) و (ط) والوافي .

وأراد قبجق تحليف الأمراء له ، وطلب من شهاب الدين بن غانم ليتولى له ذلك ، فعمل نسخة بالتحليف ، فلما حضر ليحلّف . قال له أمراء الشام : أين كاتب السر ، فقالوا : هو بعث هذا .

فقال الطواشي ، وكان رأس الميمنة وكبير الأمراء والملك الأوحد بن الزاهر ما نحلفُ إلا إن حلّفنا كاتب السرّ ، فإنه أخبر بالعَادة .

قال والدي : فَطَلَبتُ ، وأُعطيتُ نسخة التحليف ، فوجدتُها مجردّة لقبجق .

فقلت : ما جرَت بهذا عادة ، ثم أخذت القلم وأضفت فيها اسم السلطان ولزوم طاعته ، وجماعته ، فحلفوا على هذا .

وتنكر لي قبجق ، قال : فلما رأى قبجق أن الأمر ما يتم له ، لاختلاف الأمراء عليه ، أعمل الرأي في الهرب ، قال : حكى لي الغرسي[١] الحاجب ، قال : جئت إلى قبجق في الليلة التي أراد الركوب فيها للهرب ، وأخذت في لومه وعذله ، وقلتُ له : يا خوند بعد الحج إلى بيت الله الحرام وقطع هذا العمر في الإسلام ، وأمير علي تَرُوح[٢] إلى بلاد العَدوّ ؟ فقال : يا حاج ، أنا كنت أعتقد أن لك عقلاً ، الرّوح ما يعدلها شيء ، وأما الإسلام فأنا مسلم أينما كنت ، ولو كنت في قُبرسٍ . وأما الحجّ فكلّ سنة يحجّ من الشرق قدر من يحجُ من عندكم مراتٍ ، وأمّا أمير علي ، فأيّ امرأة بصقت فيها جاء منها أمير علي وأمير إبراهيم وأمير خليل .

ثم قال : هاتوا ما نأكل ، فجاؤوا بزبدية خشب فيها لحم يَخْني ، فأخذ منه قطعة وحطّها على قباء كنجي زيتي عليه ، وشرع يقطع منها ويأكل ، ويغني بالتتري ، يريني بذلك أنه قد دخل في زي التتار ، وعيشهم .

---

(١) في الوافي : « الفرسي » .
(٢) في الأصل : « روح » ، وأثبتنا ما في (ق) و (ط) والوافي .

ثم هرب وأمسك نائب حمص معه . فقال : يا خوند أيش هو ذنبي . فقال : مالك ذنب ، وإنّما أخذتك معي حتى تُفرّق هؤلاء الخُيَّال ، يعني[١] جند حمص ثم إنه أطلقه بعد ذلك .

وبعد هربه بيومين ثلاثة ـ قلتُ أنا : الصحيح بعد أسبوع وأكثر ـ جاءت الأخبار بقتل السلطان لاجين وذبح مملوكه منكوتمر ، فجُهّز إليه البَريدي الذي وصل بهذا الخبر ، وهو علاء الدين الديبسي ، فلحقه وأخبره ، فما صدقه ، وهمّ بقتله ، ثم تركه ورَدّه ، واستمر قبجق حتى وصل إلى أردو القان غازان ، فقبل وفادته ، ولم يجد لديه طائل إكرام .

قال : وحكى لي شرف الدين راشد كاتب بكتمر السلاح دار ، قال : إن غازان رتبّ له راتباً لا يليق بمثله ، ثم إن غازان حشد للصيد وجمع حلقةً ما رُئي مثلها ، وضمّت مالا يحصى من الوحش .

وقال لأمرائه[٢] : حتى نبصر هؤلاء إن كانوا أقجيّة أولا ، فظن[٣] أنه يفضَحُهُم .

ثم قالوا لقبجق : ياقبجق نحن قد شبعنا[٤] ، وإنما عملناه ضيافة لكم ، فنزل قبجق ، وضرب له جُوكا ، ثم قال : بسعادة القان نتصيّد ، فعبرت بهم حمرٌ وحشيّة ، فأمر غازان بالرمى عليها .

فقال قبجق : أيش يشتهي القان يأكل لحمه من هذه الحمير . فقال له : هذا وهذا ، وأشار إلى اثنين منها أو ثلاثة أو أكثر ، فساق قبجق وصهرٌ له عليها ، واتفقا على الرمي على مكان منها .

---

(١) في الوافي : « عن » .

(٢) في الأصل : « لامرأته » ، وأثبتنا ما في (ق) و (ط) والوافي .

(٣) في الوافي : « وكان يظنّ » .

(٤) عبارة الوافي : « نحن شباعي صيد » .

ثم حاذياها ورميا عليها ، فلم يخطئا المكان حتى تلاقى نشابها وتقاصف . وهكذا في كل رماياهم ، ثم إنهما حملاها حتى رمياها بين يدي غازان . فلما رأى رميهما المتوارد على مكان واحد في كل رمية زاد توقيرهم في صدره ، وقال إلي قبجق بك ، ثم ألبسه قبعاً[1] كان على رأسه ، وألبس صهره بكلاً[2] كان عليه ، ثم أصغى إلى كلامهم ، فحدثوه في أمر[3] الشام ، واتفق أن الملك المظفر صاحب ماردين كان قد تحدث في هذه الإغارة التي شملت بلاده ، فخرج بهم غازان حتى أتى بلاد حمص ، وكان الملك قد آل إلى الملك الناصر ، وقد خرج إلى الملتقى .

قال : فحكى لي والدي قال : قال لي قبجق بعد عَوْدِه لّما تلاقينا : نحن وأنتم تَتَعْتَع جيشنا ، فهمّ غازان بالرجوع ، وطلبني ليضرب عنقي قبل أن نرجع لكون خروجه كان برأيي ، ففطنت لذلك فلمّا صرت بين يديه قال : أيش هذا ؟ فضربت له جُوكا ، ثم قلت له : أنا أخبر بأصحابنا ، وهم لهم فَرْد حملة ، فالقان يصبر ، ويُبْصر كيف ما يبقى قدّامه منهم أحد ، وكان الأمر كما قلت ، وخلصت من يده ، فلما انكسر ثُمّ[4] أراد أن يسوق عليكم ، فعلمت أنه متى فعل ذلك لم يبق منكم أحد ، فقلت له : القان يَصْبر فإن هؤلاء أصحابنا أخباث ، وربما يكون لهم كمين ، ، وقد انهزموا مكيدة حتى نسوق خلفهم فيردّوا علينا ، ويطلع الكمين وراءنا ، فوقف حتى أبعدتم عنا ، فلولا أنا ماقتل منكم أحد ، ولولا أنا ما بقي منكم أحد .

ولّما جاء غازان ونزل بتل راهط ، جعل الحكم لقبجق بدمشق ، وكان فيه مغلوباً مع التتار لا يسمعون منه ، وعلى هذا ، فكان يداري ويدافع عن المسلمين بجهده ويباطن أرجواش في عدم تسليم القلعة .

(١) في الوافي : « تبعا » .

(٢) في الوافي : « تكلاً » .

(٣) في الوافي : « في أخذ » .

(٤) في الوافي : « انكسر ثمّ » .

ولّما عزم غازان على العود ، جعل إليه نيابة الشام ، ولبكتمر السلاح دار نيابة حلب ، ولألبكي نيابة السواحل كلّها .

قال : ووقفت على نُسخ تقاليد كتبت لهم على مصطلح ملوكنا ، كتبت بخط جمال الدين بن المكرّم ، وكتب لقبجق فيها « الجناب العالي » ، وجعل زكريا بن الجلال وزيراً بالشام وحلب والسواحل عامة[1] يتحدث في الأموال ، وترك بولاي من عسكر التتار ، ليكون ردءاً لهؤلاء النوّاب إلى أن يستخدموا لهم جنداً .

ثم لما بَنت ببولاي الدار ، شرع يراسل المصريين ، وجهّز الصاحب عز الدين بن القلانسي والشريف زين الدين رسلاً منه إليهم ، واستعان بكتب كتبها محمد بن عيسى ، إلى الأمراء بسببه .

فأما سلاّر فلان له جانبه . وأما الجاشكير فخشُن عليها ، ثم غلبَ عليه رأي سلاّر والأمراء الكبار . وقالوا : لو لم يكن إلا لأجل محمّد بن عيسى ، فإنه بالغ في أمره ، وقام معه هذا القيام الذي ما بقي معه يمكن أن يتخلى عنه ، وإن لم تؤووه أنتم آووه هم .

وأخذوا وجهاً عند غازان ، وقالوا : عملنا هذا لأجلك ، فأجمعوا على صُلحه ، ثم جعلوا مقامه بالشوبك لخاصّة مماليكه على رزق جيد[2] عُيّن لهم .

ودام على هذا حتى كانت الواقعة الثانية نوبةً شقحَب ، فحضر وشهد يومها بمماليكه ، وأبلى[3] بلاءً حسناً لم يُبلِ أحدٌ بلاءه .

وسبق إلى الماء ليلكه ، فوجد عليها فوجاً من التتار ، فما زال يقاتلهم حتى

---

(١) في الوافي : « ولاية عامّة » .

(٢) في (ق) والوافي : « جند » .

(٣) في الأصل : « وبلى » ، وأثبتنا ما في (ط) و (ق) .

زَخْزَحهم ، وملكه . فبات المسلمون يرتوون بالماء ، وبات التتار يصلون بنار العطش ، وكان ذلك من أكبر أسباب النُصَرة فرعي له هذا العمل .

ولما خلت حماة بعث إليها قبجق نائباً ، وكان مثل مالكها .

حكى الصاحب أمين الدين ، قال : طلبت يوماً إلى دار النيابة وسلاّر جالسٌ وبيبرس إلى جانبه ، فدخلت مسرعاً لكثرة الاستعجال ، وليس معي منديل للحساب .

فقال لي سلاّر : أين كارتك ، يعني مزرّة الحساب ، فقلت : هي مع العبد ، فأمر بها ، فأُحضرت .

فقال : اكشف أي شيء مضمون التذكرة التي كُتبت على حماة ، قال : فكشفتها ، وكانت قد كتبت تذكرة على حماة ، وكتب فيها إلى قبجق فالجناب العالي[1] يتقدم بكذا ، والجناب العالي يفعل كذا .

فقال لي : يا سبحان الله نسيت ما عمله قبجق أمس ها تريد[2] تغيظه ، حتى يعمل النوبة أنحس من النوبة الأولى ، هو طلع رقّاصاً عندكم ، حتى تقولوا له : اعمل كذا ، افعل كذا ما يقنعكم ، أنه قنع بحماة ويسكت عنكم ، ثم أخرج كتاباً جاء منه ، وهو يقول فيه بين أسطره : لا إله إلا الله ، يا خوند يا خوشداش صرت مشدّ جهةٍ عند الكتّاب والدواوين أو والي بلد ، إنْ كان هذا برسومك ، فحاشاك منه ، والموت أهون من هذا ، وإنّ كان برسوم الدواوين ، فتريد تعرف أن الدنيا سائبة وأنت تعرف أيش يترتب على هذا .

قال : فقمت والله ما أبصر الطريق ، فلمّا كنت في الدهليز لحقني نقيبٌ فردّني ،

---

(١) في الوافي : « العالي السيفي » .

(٢) عبارة الوافي : « ما عمله قبجق ، أيش هذا ، تريد » .

فلما رآني ، قال : لا تعودوا تذكرون حماة ، واحسبوا أنها ما هي[1] في الدنيا ، قال : فوالله ، ما عُدنا مددنا فيها قلم .

ثم لم يزل فيها قبجق حتى جاء السلطان الملك الناصر من الكرك إلى دمشق آخر مرّة تسلطن فيها ، وجاءه قبجق من حماة وأسندمر من طرابلس معاً ، وكانا قد اتَّعدا لمثل ذلك .

وخرج السلطان للقائهما بظاهر الميدان الصغير بدمشق ، وترّجل لهما وعانقهما . ولمّا ركب أمسك [أسندمر له][2] الركاب وعضده قبجق ، ثم توجها معه إلى مصر ، ولما استقر له الملك بمصر بعث قبجق ، وفي ظنه أنه نائب الشام . وأتى دمشق ونزل بالقصر الأبلق وهو ينتظر التقليد ، فجاءه التقليد بحلب ، فتوجه إلى حلب ، وأقام بها نائباً إلى أن مات في التاريخ المذكور ، وكان ما يحبّ إلاّ دمشق ، وما يتمنى سواها ، ففرّقت الأيام بينها وبينه ، وعكست مراده ، وهذه عادتها القادرة ، وشيمتها الغادرة .

١٣٥٨ ـ قُبلاي الأمير سيف الدين الناصري*

ولي نيابة الكرك في الأيام الصّالحيّة إسماعيل لّما أخذت من أخيه الناصر أحمد ، فأقام بها مدة ، ثم طُلب إلى مصر ، وأقام إلى أن ولي الحجبة الصّغرى مع الأمير سيف الدين أمير حاجب أيتمش الناصري ، ثم إنه ولي الحجبة الكبرى ، ولم يزل على ذلك إلى أن خُلع السلطان الملك الناصر حسن ، وتولى الْمُلك الْمَلك الصالح صالح ، فولاّه نيابة السلطنة[3] بالديار المصرية عوضاً عن الأمير سيف الدين بيَبُغاتتر ، وذلك في شهر رجب الفرد سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة .

---

(١) في الأصل و (ط) : « أنّها هي » ، وأثبتنا ما في (ق) والوافي .

(٢) زيادة من (ق) و (ط) والوافي .

* الوافي: ١٨٥/٢٤ ، والدرر : ٢٤٣/٣ ، والنجوم الزاهرة : ٣٢١/١٠ ، والذيل التام : ١٤٨ .

(٣) عبارة الوافي : « فولاّه كفالة الملك » .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في أوائل سنة ست وخمسين وسبع مئة .

الألقاب والأنساب

☆ **القبتُوري** : خلف بن عبد العزيز .

☆ **قتّال السبع** : اسمه آقوش .

١٣٥٩ ـ قجا الأمير سيف الدين*

مشد الخاص بزُرع وإربد وطَفَس ، ومشدّ مراكز البريد بالقبليّة والشمالية ، أحد أمراء الطبلخانات بدمشق .

كان خبيراً نحريرا ، ذكياً بصيرا ، يعرف ما يُبَاشِرُهُ ، ويعرف الرجل قبلها يعاشره ، إلاّ أنه كان مُتشدّداً في أموره ، متجدّداً في يقظته يخاف من نسبته إلى قصوره .

وكان لا يمكّن رفيقه من الحديث ، ولا يدعه يستريب ولا يستريث ، وكان المباشرون معه في بوتَقَةِ حَصر ، وأبواعهم المديدة تشكو من القَصْر . لا ينخدع[1] ولا ينصدع ، ولا يرتد عن الشدة ولا يرتدع . فكان الكتّاب وغيرهم يبيتون معه بليلة السليم[2] ، ويصبح كلّ منهم وهو غير سليم :

ولم تزل قلّةُ الإنصاف قاطعةً   بين الرجال ولو كانوا ذوي رحمِ[3]

---

* الدرر : ٢٤٣/٣ ، والذيل التام : ١٤٨ ، وذيول العبر : ٣٠٧ .

(١) في الأصل : « ولا ينخدع » بزيادة الواو ، وأثبتنا ما في (ق) و (ط) ، (خ) .

(٢) السليم هو الذي لدغته الأفعى .

(٣) (خ) : « وإن كانوا » .

ولم يـزل في جبروتـه يتشـدّد ، وفي قسـوتـه يتمرّغ ويتمرّد ، إلى أن قُصمت بـالمنـون عُرى غُروره وبات وليُّهُ في حزنه ، وعدوُّه في سروره .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في ليلة الأحد رابع شوال سنـة ست وخمسين وسبع مئـة ، وقد تعدى[(١)] الخمسين .

ومن الغريب أنه في بلاد الساحل بغزة قد توجّه للقَسْم وأُرجف بأنـه مـات . وكان ذلك في شعبان ، وأظنّه بلغه الخبر ، فنجّز أشغـالـه ، وحضر إلى دمشق ، وأرى النـاس نفسه ومابه قَلَبه . ثم إنه توجّه لقبض مغَلّ زُرَع ، فـأرجف بموتـه ، فحضَرَ في أخريـات رمضان وهو متوعكٌ ، [وركب][(٢)] وجاء لدار السعادة في ليالي العيد ، وهو يتجلّـد ، ويري أنه ممّن يُخلد[(٣)] :

وإذا المنّيــة أنشبت أظفــارهــا ... ألفيت كلَّ تميـــــة لا تنفـــعُ[(٤)]

فأقام على حاله بعد ذلك ، وتوفي سامحه الله ..[(٥)] .

وأولُ أمره كان من جُملة البريـديّة ، وكان فيـه حـذقٌ ومعرفـة وخبرة ، فجهَّـزه الأمير سيف الـدين تنكـز ـ رحمـه الله تعـالى ـ بمشـافهـة فيهـا قـوّةٌ وغلظـة ، إلى الأمير علاء الدين ألطنبغا نائب حلب ، فبلّغه المشافهـة بعبـارة فجّـة مؤلـة ، فبقيت في قلب ألطنبغا .

---

(١) (ق) و (خ) : « وكان قد تعدّى » .

(٢) زيادة من (ق) و (خ) .

(٣) في الأصـل : « وهـو يرى » ، وأثبتنـا مـا في (ط) (ق) ، وعبـارة (خ) : « ويُري أعـداءه أنّـه ممن يُخلّد » .

(٤) لأبي ذؤيب الهذلي .

(٥) (ق) ، (ط) ، (خ) : « توفي رحمه الله وسامحه » .

ولما جاء نائب الشام أَرَاد أذاه ، فقطع خبزه[١] وتهدَّده ، وكان قجا رجلاً ، فسعى[٢] في إصلاح أمره ، وسكنت القضية .

ولم يزل على حاله في جملة البريدية ، إلى أن جاءت واقعة بيبغاروس ، فاحتاج الأمير سيف الدين أرغون الكاملي إلى المطالعة بأمره ، فكتب مطالعة ، واستنجد بالمصريين في سُرعة إنجاده ، وندب سيف الدين قجا في التوجه بالمطالعة ، فتوجّه بها ، وكان ذلك مهمّاً كبيراً ، فجاء قجا وقد أُعطي إمرة عشرة ، ثم إنه أخذ تقدمة البريديّة[٣] وأخذ في الترامي إلى الأمير سيف الدين صرغتمش ، والانتماء إليه .

فلما كان السلطان الملك الصالح صالح بدمشق أُعطي طبلخاناه ، وتحدث في أمر شدّ زُرع وطفس وإربد ، ثم إنّه توجه في أواخر سنة خمس وخمسين وسبع مئة [إلى مصر وأثبت][٤] مَحَاضر بوقفيّة زُرع وطفس وإربد ، وأنه هو مشدّها ، وأبطل من كان فيها مباشراً ، واستخدم غيرهم .

وزادت عظمته ووجاهته ، وتسلّطه إلى أن مات ـ رحمه الله تعالى ـ في وسط عِزّه .

وكتبت له توقيعاً بتقدمة البريديّة عوضاً عن ناصر الدين محمد بن القرايلي ، لمّا توفي إلى رحمة الله تعالى ، في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة ، ارتجالاً من رأس القلم وهو : « أمّا بعد حَمْد الله على نعمه التي جرَّدت من أولياء هذه الدولة القاهرة سيفا ، ومنعت بجدّه جَنَفاً من الأيام[٥] التي زادت خطباً وحيفا ، وجمعت بعضائه من المصالح ما كانت الأطماع لا تؤمل أن تراه طيفا ، وصلاته على سيّدنا محمّد ،

(١) في الأصل : « خبره » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) ، (خ) .
(٢) (ق) ، (خ) : « يَسْعَى » .
(٣) في الأصل : « البرية » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) .
(٤) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) .
(٥) (خ) : « الأنام » .

وآله وصحبه الذين نصروا حِزْبَه ، وتظاهروا[١] على قمع عداه ، فحازوا من المعالي أرْفع رُتبه ، وتضافروا على اتباع هداه ، فلم يكن بين الكواكب وبينهم نسبه[٢] ، صلاةً يملأ البَرَّ بريدُها ، ويكاثر موجَ البحر عديدُها ، ما تقعقع من البريد لجام ، وزعزع من المهمّات ريح تثير السحب السِّجام ، وسلامه إلى يوم الدين .

فإنّ أوْلَى من غُدق به أمر البريد المنصور ، وأضيفت إليه أمْرُ التقدمة على فرسانه الذين يسابقون البُروق اللامعة في الديجور ، مَن قَدْمت خدمته في الدولة[٣] القاهرة ، وساق في مهمّاته الشريفة ، فشخصت لسيره ، وسُراه عيونُ النجوم الزاهره ، وقطع المسافة في وقت تُقصر عنه فيها الطيور الطائره ، كم تألّق برق دُجُنّة فسَبقه في شق جيب الظلام ، وأتى في مهم فبلغ الغاية قبل وصول خبره على أجنحة الحمام .

يكاد من السرعة يأتي ،وما جفّ ختم كتابه ، ولا ارتسم ظلـه على الأرض ، ولا اعْتقل الخيال بركابه ، وتحمّل من أسرار الملوك مشافهاتٍ لم يُبدها من القلم لسان ، وأدّى فيها الأمانة التي لم تحملها الجبال وحملها الإنسان .

وكان المجلس السامي الأميري السيفي قُجا الصالحي ، هو هو الذي تضمنته هذه الإشارة ، ومن رّبا ذِكره نفحُ عبير هذه العباره . وعلى شخصه دلّت هذه الأدلّة ، وعليه وقع اختيار هذه الإماره . فلذلك رُسم بالأمر العالي المولوي السلطاني الملكي الصالحي أن يرتّب مقدَّماً على جماعة البريّدية الشاميين عوضاً عمن كان بها على عادة ابن الفرّاء ، لما كان[٤] أمير عشرة ، لأنه نصْل تجرّع العدو منه الغُصّة لّما تجرد ، وأصْلٌ تَفَرّع[٥]

---

(١) (خ) : « وظاهروا » .

(٢) (ق) ، (خ) : « بين الكواكب وبين سيوفهم نسبة » .

(٣) (ق) ، (ط) ، (خ) : « مَنْ قَدُمت هجرته في خدمة الدولة » .

(٤) (خ) : « لّما كان بها » .

(٥) في الأصل و (ط) : « تفرّد » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) ، وهو الصحيح ، لما سيأتي .

بالمحاسن وبالمزايا تفرد ، قد عرف الأيام وخبرها ، ودرب الأمور ودبرّها ، وقطع [مفاوز][1] المباشرات وعبرها .

فليباشر ذلك مباشرة من مارس هذه الوظيفة طول عُمره ولم يركن إلى زيد الزمان ولا عَمْرِه ، وليرتب الجماعة نوباً يتداولون الخدمة ، ويختر لكلّ شغلٍ بريديّاً يكون في ذلك المُهمّ عالي الهمة ، ويعامل باللطف كبيرهم ، وصغيرهم ، ويبذُل البشر إذا رأى جليلهم ولا يعرف الناس حقيرهم .حتى يعترف الجميع[2] بفضله الجليل الجلي ، ويقولوا إن القرايلي ما يلي ، وتعود أيامهم بيضاً بعدما سَجَا الدجا ، ويقول أحدهم : ذهب ناصرنا ، فجاء قُجَا ، يَعمر أرجاء الرَّجا ، والوصايا كثيرة وتقوى الله تعالى عمدةٌ إن[3] ازدجر ، وعمل للآخرة وادّكر ، وخاف من سفرٍ ينتهي به إما إلى جنة عدنٍ ، وإما إلى سقر .

فلا يصحب غيرها خليلا ، ولا يلمح من سواها وجهاً جميلا ، والله يعلي درجته ، ويحرس مهجته ، والخطّ الكريم أعلاه ، حجه في العمل بمقتضاه ، إن شاء الله تعالى .

١٣٦٠ ـ قجليس*

الأمير سيف الدين الناصري السلاح دار .

كان خيّراً ، لطيفا ، حسن العشرة ظريفا ، يحب العلماء ويؤثرهم ، ويتعصّب لهم وينصرهم ، ويخلّص بجاهه لهم المناصب ، ويدفع عنهم كل عذاب واصب .

إلاّ أن أستاذه الملك الناصر يقذف به في كل هُوه ، ويعتمد عليه في كلّ واقعة مرجوه ، فما أمسك في الشام أمير إلاّ على يده ، ولا كُسف قمر منير إلا بتتبع رصده ،

(١) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) .
(٢) (خ) : « الناس » .
(٣) (خ) : « لمن » ، وهي أشبه .
* الدرر : ٢٤٣/٣ ، والنجوم الزاهرة : ٢٨٧/٩ .

فكان إذا سمع الناس بخروجه من مصر تزلزلت أقدامهم ، تحققوا أنه متى وصل تحتّم إعدامهم .

وكان من كبار الخواصّ عند أستاذه المقربين ، وأمراء الألوف الذين أصبحوا على وَفق مُراده مجرّبين .

ولم يزل على حاله إلى أن سُقي بكأس سُقي به سواه وضمّه قَبْرُه وحواه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى في نصف صفر ليلة الثلاثاء ، سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بالقرافة .

وكان عارفاً بعلم المواقيت يضع الأسطرلابات والأرباع والرخامات المليحة ، ويتقنها ، ويعرف عدة صنائع ، وعنده آلاتها المليحة الفائقة الظريفة .

واقتنى من المجلدات النفيسة شيئاً كثيراً إلى الغاية . وكان الفضلاء يترددون إليه خصوصاً أرباب المعقول ، كان يتردد إليه الشيخ شمس الدين بن الأكفاني ، وله عنده مملوك بإقطاعٍ جعله أستاذ داره . ويتردد إليه شرف الدين بن مختار الحنفي(١) وغيرهما من الفقهاء وغيرهم .

وكان جميل المودة ، حسن الصُحبة لطيفاً ظريفاً ، حسن العشرة ، ولكنه له سُمعة في الشام سيئة لِما ذكرتُه من أن السلطان يندبه في المهمّات وثوقاً بعقله .

وكانت طبلخانته في القاهرة مالأحد مثلها ، لأنه اعتنى بصُناعها وانتقاهم ، وأحضرَ بعضهم من البلاد .

وكان قد تزوج ابنة الأمير سيف الدين آلملك ، كان يقال : إنه في القاهرة ليس لها

---

(١) محمد بن مختار الحنفي ، ستأتي ترجمته في موضعها .

نظير ، وكان يُحبّها محبّة مُفرطة[١] ، وينفق عليها نفقة عظيمة إلى الغاية ، ولا تنقطع[٢] الأغاني من داره ليلاً ولا نهاراً من الجواري المطربات الفائقات . فكانت إذا دخلت إلى الطهارة وخرجت[٣] تَلَقَّيْنَها وزفيّنها ، وكذلك إذا أرادت النوم مع زوجها يعملن لها زفة .

وأخذت يوماً منه إذناً لتنزل إلى المنظرة التي له على البحر مدة ثمانية أيام ، فأعطاها لكل يوم مبلغ ألفي درهم ، وأباعت هي من قماشها شيئاً بعشرة آلاف درهم ، وطلعت إلى القلعة قبل الميعاد بيومين ، وقالت : فرغت النفقة .

ولما مات ـ رحمه الله تعالى ـ ما انتفع بها أحد بعده ، لأنه[٤] حصل لها مرض سوداوي ، وتوفيت ـ رحمها الله تعالى ـ .

اللقب والنسب

☆ **القَحْفَازي** : الشيخ نجم الدين ، علي بن داود .

☆ **القدسي** : علاء الدين الشافعي علي بن أيوب . وشرف الدين محمد بن موسى .

☆ **ابن قُدس** : محمد بن أحمد .

١٣٦١ ـ قُدُودَار الأمير سيف الدين*

متولّي القاهرة ، ولاّه السلطان الملك الناصر محمد القاهرة ، بعد الأمير علم الدين سَنْجَر الخازن في شهر رمضان سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، فوليها وأحسن إلى الناس أوّل ولايته ، ولم يزل فيها إلى أن توجّه إلى الحجاز فحج وجاء .

(١) في (ق) ، (ط) : « مفرطة إلى الغاية » ،
(٢) في الأصل : « ولا تقطع » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .
(٣) في (ط) ، (ق) : « وخرجت منها » .
(٤) (ق) ، (ط) : « لأنها » .
* الوافي : ٢٠٦/٢٤ ، والدرر : ٢٤٤/٣ ، وفيه : « قُدَيدار » .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ سادس عشر صفر سنة ثلاثين وسبع مئة .

١٣٦٢ ـ قرابغا ، الأمير سيف الدين*

قرابغا دوادار الأمير سيف الدين أرغون شاه .

لَمْ نَرَ ولم نسمع بدوادارٍ كانت له منزلة هذا عند أستاذه ، على أنه كان قد قاسى منه شدائد في أوّل أمره ثم سخّره ـ الله تعالى ـ له أخيراً .

كان لا يخالفه فيما يراه ، ولا يخفي عنه ما ألّم به في باطنه أو اعتراه . وكانت آراؤه عليه مباركه ، وليس له فيها مع أحد مشاركه ، قد تحقق نُصْحُه ومحبته ، وتيقن خبرته بحاله ودربته ، فقوله عنده ، قَوْلُ « حَذَامِ » ، وأمرُه[1] على كل حالٍ لزام ، وثوّر نعمه طائله ، وسعادة هائله ، في مدة يسيرة جداً ، ووقتٍ كأنه زمن الوَرْدْ إذا ردّ وتردّى . هذا مع أنه كان لا يعرف باللسان العربي كلمة واحدة ، ولا درى[2] ما اللفظة الفائتة من الفائدة .

ولكن اختُطِفَ من وسط هذه السعاده ، واقتطف من روض هذه السياده ، وخلَت منه الديار ، وشطّ منه المزار .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ يوم الاثنين حادي عشري شوال سنة تسع وأربعين وسبع مئة . ودفن في تربة [زوجه] كسُبَاي[3] عند دار الأمير شمس الدين حمزة التركماني بالقبيبات .

---

* الوافي : ٢٠٧/٢٤ ، والبداية والنهاية : ٢٢٨/١٤ ، والدرر : ٢٤٤/٣ .

(١) في الأصل : « وقوله » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (خ) ، (ق) . وقوله : « حذام » إشارة إلى البيت المشهور :

إذا قالت حذام فصدقوها ... فإن القول ما قالت حذام

(٢) في (ط) ، (خ) ، (ق) : « ولا يدري » .

(٣) الزيادة من (ط) ، (خ) ، (ق) . وفي الوافي : « كشباي » .

أخبرني القاضي ناصر الدين كاتب السر بالشام ، قال : لم أدخل على هذا أرغون شاه قط فرأيته جالساً قدامه ، بل إلى جانبه ، ولا رأيته يتحدث هو وأستاذه ، وعنده[١] مملوك آخر ، انتهى .

وكان يرجع إلى قوله ومهما أشار به فهو الذي يكون والعملُ عليه ، ولم يكن مشترى ماله بل السلطان الملك الناصر وهبَهُ له على عادة إنعاماته ، وزَوّجه بجاريته كُشْباي ، وهي أعزّ جواريه ، وأحظاهنّ عنده .

وكان بعد ذلك لا يصبر أستاذها عنها ، ولمّا خرج معه إلى صفد ، أُعطي إمرة عشرة ، ولمّا توجّه إلى مصر وأُعطي نيابة حلب أُعطي قرابغا إمرة طبلخاناه .

ولمّا حضر إلى دمشق أعطاه أستاذه من عنده زيادة على إقطاع الطبلخاناه قرية بيت جنّ[٢] ، وهي تعمل مئة ألف درهم[٣] ، وأعطاه في كل سنة مئتي ألف درهم ، غير الذي ينعم به على الدوام والاستمرار من الخيل والذهب والقماش .

مرضت زوجه كسباي المذكورة في أيام الطاعون وبصقت دماً وماتت في اليوم الثالث ، ودفنت في تربة أنشأها لها في جمعة ، فدفنت في يوم الخميس سادس عشر شوال سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

ثم إنه مات ابنها ودايتُه[٤] بعدها بيومين . ثم إنه هو بصق دماً ، ومات يوم الاثنين [في] التاريخ ، فلحقها بعد خمسة أيام وحُمل من دار حمزة إلى باب النصير ، وخرج أستاذه وصلّى عليه مع الأمراء والقضاة ، وللناس ولم يتبعه[٥] أستاذه ـ رحمهما الله تعالى ـ .

(١) (ق) ، (خ) : « وعندهما » .
(٢) من قرى ريف دمشق .
(٣) عبارة الوافي : « تغلّ مئة ألف وخمسين ألفاً » .
(٤) في الوافي : « وكاتبه » .
(٥) في الأصل و (ط) : « يبلغه » ، وأثبتنا ما ت (خ) ، (ق) .

وكان لي ربيب يُدعى مراد ، يحمل دواتي فَوُصِفَ له ، فدخل إلى قاعة الإنشاء ، وأخذه[١] بيده وراح وسلّمه إلى طواشي أرغون شاه . وقال : هذا مملوك ملك الأمراء ، فكتبت إلى القاضي ناصر الدين صاحب ديوان الإنشاء في هذا :

يا سيّداً صُرّتُ ظلَّ جَنابه لي جُنَّة إن جاد دَهْري أَوْبَغا
أتُرى الزمان معاندي ومحاربي حتى رماني في الورى بقَرابُغا

١٣٦٤ ـ قرابُغا ، الأمير سيف الدين*

ابن أخت الأمير سيف الدين أيتمش نائب الشام .

حضر معه إلى دمشق ، وكان في مصر مِن جملة السلاح دارية للسلطان الملك الناصر حسن ، وكان خاله ، قد قال له في مصر : يا قرابغا ، إن كنت تجيء معي على أنك ابن أختي تشفع وتتكلم فيما لا يعنيك ، فلا تجيء ، وإن كنت جئت كأنك أجنبي لا يكون لك في شيءٍ كلام ، فتعال . فحضر معه ، وأقام قليلاً ، ورَتَّب له في كل [يوم][٢] مبلغ خمسين درهماً ، إلى أن انحلت طبلخاناه ، فأخذها وكان لا يجسُر أن يتحدث مع خاله في شيءٍ ، وإنما كان الناس يخدمونه لأجل [الصورة][٣] الظاهرة .

وكان أسمر طوالاً غليظاً ، إلاّ أنه أرق من نسيم ، وألطف من كأس تسنيم ، حسن الأخلاق ، يتصف بما راق ، وما لاق ، ويسجع على عوده كأنه الورقاء بين الأوراق ، نادم جماعة من أهل دمشق وأجمعوا على لطفه ، وجنوا ثمار الإحسان من عطفه ، ولما توجه خاله إلى نيابة طرابلس توجه معه ، ولم يحل عن تلك الحال ، ولا ذاك الصنع الذي صنعه .

(١) في الأصل و (ط) : « وأخذ » ، وأثبتنا ما في (خ) ، (ق) .

* الوافي : ٢٠٨/٢٤ .

(٢) كذا العبارة في الأصل و (ط) ، ولعل الصواب : « في كل شهر مبلغ ... » ، أو نحو ذلك .

(٣) زيادة من (ق) ، (ط) .

ولّما توفي خاله ـ رحمه الله تعالى ـ توجه إلى مصر فأقام بها ، إلى أن اضمحّل وتلاشى ، وأصبح على نار المنيّة فراشا .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في ...[(١)]

١٣٦٥ ـ قَرَاجا بن دُلْغادر*

بدال مهملة ، ولام ساكنة ، وغين معجمة وبعدها ألف ودال مهملة وراء : الأمير زين الدين النائب بالأبُلُستَين .

كان من أمراء التركمان ، وارتمى إلى الأمير سيف الدين تنكز وانتمى إليه ، فأقامه وأحبّهُ وعظمّه ، وكان ميْلُه إليه أحد الأمور التي نقمها السلطان[(٢)] على تنكز لأنّه كان يراجعه في أمره كثيراً ، ويقول له : اعزلْه عن الأبلستين ، فيراجعه في أمره ، لأن ابن دُلغادر كان الواقع بينه وبين الأمير أرتنا حاكم البلاد الروميّة .

ولّما هرب الأمير سيف الدين طشتمر ، حمَّص أخضر نائب حلب المحروسة توجّه إليه ، واستجار به فآواه ، وأقام عنده إلى أن انتصر الناصر أحمد على قوصون ، وطلب طشتمر ، فحضر من البلاد الرومية وابن دلغادر معه ، وتوجّه معه إلى مصر ، وما صدّق [بالخروج من القاهرة ، ورأى نفسه قد عدّى حلب وقويت نفسه عليه من ذلك الوقت][(٣)] ووقع بينه وبين الأمير سيف الدين يلبغا اليحيوي نائب حلب ، وتواقعا وانتصر ابن دُلغادر عليه .

ولّما جاء الأمير سيف الدين أرغون شاه إلى حلب نائباً دخل معه ، وكان يكاتبه

---

(١) كذا في الأصل و (ط) والوافي ، وفي هذا الأخير أنه كان حيّاً سنة (٧٥٦هـ) .

* الوافي : ٢٠٩/٢٤ ، والدرر : ٢٤٥/٣ ، والنجوم الزاهرة : ٢٩٤/١٠ .

(٢) في الوافي : « السلطان الناصر » .

(٣) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) والوافي .

دائماً ويهاديه ولّما قدم دمشق استمر الودّ بينهما ، وأخذ لابنه الأمير صارم[١] الدين طبلخاناه بدمشق ، وكانت بيده ، وهو عند والده .

[ولّما][٢] وصل الأمير سيف الدين بيبغاروس إلى حلب وأراد الخروج على السلطان الملك الصالح صالح ، راسله واتفق معه ، وحضر معه[٣] في تركمانه إلى دمشق ، وتسيّب تركمانه يفسدون في الأرض ، ويعبثون فنهبوا الأموال ، وافْتَضّوا الفروج ، وسَبَوا الحريم ، وسفكوا الدماء ، واعتمدوا مالا يعتمده الكفار[٤] في الإسلام .

ثم إنه لّما تحقق خروج السلطان الملك الصّالح ، ووصوله إلى لُدّ[٥] خامَرَ على بيبغاروس ، وتوجّه على البقاع إلى بلاده ، وساق قدامه ما وجده للناس من خيول . فأخذ لأهل صفد جُشاراً فيه [أكثر من][٦] خمس مئة فرس .

ولّما هرب بيبغاروس وأحمد وبكلمش وغيرهم ، توجهوا إليه إلى الأبلستين فتقرب بإمساكهم ، وجهّز أولاً أحمد وبكلمش إلى حلب ، ثم أمسك بيبغاروس من الأبلستين وجهّزه إلى حلب ، فجرى ما جرى ، على ما هو مذكور في تراجمهم ، ثم إن الأمير[٧] سيف الدين شيخو ، والأمير سيف الدين طاز قاما في أمره قياماً عظيماً ، وجهّزا الأمير عز الدين طقطاي الدوادار إلى الأمير سيف الدين أرغون الكاملي نائب حلب وصمّما عليه . وقالا : لابدّ من الخروج إليه بالعساكر ، وخراب أبلستين ، فتوجّه بما معه من العساكر الحلبيّة وغيرهم من عساكر الثغور ، ووصلوا إلى الأبلستين ، وقاست العساكر شدائد عظيمة ، وأهوالاً فنيت فيها خيولهم وجمالهم ، ومشوا على أرجلهم في عدة

(١) في الأصل و (ط) : « حسام » ، وأثبتنا ما في (خ) (ق) والوافي .
(٢) زيادة من (ق) .
(٣) (خ) : « وحضر إليه » .
(٤) في الوافي : « إلاّ الكفار » .
(٥) في الوافي : « إلى الرملة » .
(٦) زيادة من (خ) .
(٧) في الوافي : « الأميرين » .

أماكن ، ووجدوا أهوالاً صعبة ، وهرب منهم خلق فخرّب [الأبلستين وحرقها وخرّب][١] قراها ، وتبعه بالعساكر إلى قريب قيصريّة ، وأحاطت به العساكر من هنا ، وعساكر ابن أرتنا من هناك ، فأمسكه قطلوشاه من أمراء المغول بالروم ، وجهّزه إلى [ابن][٢] أرتنا .

وكتب نائب حلب إلى ابن أرتنا يطلبه ، فدافعه من وقت إلى وقت إلى أن بعثه في الآخر مقيّداً .

ودخل[٣] إلى حلب يوم السبت ثاني عشري شعبان سنة أربع وخمسين وسبع مئة . فثقّل النائبُ قيوده وأغلاله واعتقله بقلعة حلب ، وجهّز سيفه إلى السلطان صحبة مملوكه علاء الدين طيبغا المقدّم[٤] .

ولمّا كان يوم الاثنين خامس [عشر][٥] شهر رمضان ، وصل إلى دمشق وجهّز إلى مصر صحبة عسكرٍ يوصله إلى غزة . ووصل إلى مصر فأقام في الاعتقال مدة ، ثم إنه وُسِّط وعُلّق على باب زويلة قطعتين ثلاثة أيام ، وذلك في ذي القعدة سنة أربع وخمسين وسبع مئة . فسبحان مبيد الجبارين[٦] .

وكُنتُ قد قلت لمّا أمسك ابن دلغادر أحمد وبكلمش وبيبغاروس وحضّرهم[٧] إلى حلب ، وذلك موالياً :

قد جيت في الغدر زايد يا بن دلغادر   وما تَركْت لفعلك في الورى عاذر

(١) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) والوافي .
(٢) زيادة من (ق) ، (خ) ، والوافي .
(٣) في الأصل : « أُدخِلَ » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) والوافي .
(٤) (خ) : « المقدّم ذكره » .
(٥) زيادة من (ق) ، (خ) والوافي .
(٦) هنا تنتهي الترجمة في الوافي .
(٧) (خ) : « وجهّزهم » .

وخنت مَنْ آمنك وانقاد لـك صـاغِرْ سـوّدت وجهـك في الأول وفي الآخر

ولّـا كان بيبغـاروس على دمشق وتوجهنـا نحن مع النـائب بـالشـام[١] الأمير سيف الدين أرغون الكاملي إلى لُـدّ وأقْمنـا بهـا زائـداً عن أربعين يومـا ، وفي كلّ يوم نسمعُ من الأخبار مـا ينكّـد عيشنـا من جهـة أهل دمشق وأهلنـا وأولادنـا ، جـاءني من القـاضي شرف الـدين حسين بن ريـان كتـابٌ قبل خروجي من دمشـق ، فلمّـا عُـدت من لـدّ كتبت جوابـه ، وجـاء منـه : « وحـاول المملـوك الجـواب فجـاءت هـذه العـوائـق التي مـا احتُسِبت والحوادث التي لم تكن كيوم القيـامـة ، فـإن لكل نفس مـا كسبت وعليهـا مـا اكتسبت[٢] ، يـا مولانـا : هـذه مصـائب عمّت وطمّت وصرّحت بـالشرّ ومـا عمّت ، وقيـدت إليهـا الأهوال وزُمّت ودعت الجَفَلى إلى مـآدبهـا وأصمَّ المسـامـع نعي نـوادبُهـا ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم قول من ضاقت به حيلته ، واتسعت عليه بـالهموم ليلته :

وكان مـــا كانَ مِمّـــا كنت أذكره فظُنّ شرّاً ولا تســـــأل عن الخبر[٣]

ونسأل الله تعالى حُسْنَ الخـاتمـه ، وفجر هـذه الليلـة العـاتمـه ، فقـد بلغت القلوب الحناجر ، وحُزّت الغلاصم بالخناجر[٤] ، وكُسِرت براني الصّبر ، وحسد من امتطى ظهر الأرض من استكن في جوانح القبر ، وهذه رزيّة شموسُ التثبت بهـا كاسفـه ، وليس لهـا من دون الله كاشفه ، اللهمّ اكشف هذه البليّـة عن البريّـه ، ولَقّ النفوس الظـالمـة وَوَقّ البريّه ، وأجرنا على عادة أجرنا وعجّل فكّ أسرنا بأسرنا ، إنك بالإجابـة جـدير ، وعلى كشف هذه[٥] اللأواء قدير » .

(١) (ق) ، (خ) : « نائب الشام » .

(٢) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ لا يكلّفُ اللهُ نفساً إلاّ وسعها لها ما كَسَبَتْ وعليها ما اكتسبتْ ﴾ [البقرة : ٢٨٦/٢] .

(٣) (ق) ، (خ) : « لست أذكره » .

(٤) (خ) : « وجُرّت ... بالحناجر » .

(٥) (ق) ، (ط) : « هذا » .

فكتب هو الجواب إليّ عن ذلك نظماً ونثراً مطوّلاً ، وكتبت أنا جوابه نظماً ونثراً مطوّلاً ، وهما في الجزء الرابع والثلاثين من التذكرة التي لي .

١٣٦٦ ـ قرا أرسلان*

الأمير الكبير بهاء الدين المنصوري ، أحد الأمراء المقدّمين الكبار بدمشق ، كان مليح الصورة ، تامَّ الخَلْق ، سميناً ، شجاعاً .

لمّا هرب الأمير سيف الدين قبجق إلى بلاد التتار أمر هو ونَهَى ، وحجّ بالناس .

توفي رحمه الله تعالى سنة ثمان وتسعين وست مئة ، ودفن بمقابر باب توما ، في يوم الأربعاء مستهل جمادى الأولى من السنة المذكورة .

١٣٦٧ ـ قرا سنقر**

الأمير الكبير شمس الدين أبو محمّد الجوكندار المنصوري ، من كبار الأمراء وأجل مماليك البيت المنصوري ، اشتراه الملك المنصور في زمان الإمرة قبل أن تطير سُمعَته ويظهر[1] اسمُه .

وكان من رجالات العالم ودُهاتهم ، وممّن إذا قَصَده عداه وقف كالشجى في لهاتهم ، كثير العَزْم ، كبير الحَزم ، لا يثق بمن يداهنه أو يداهيه ، ولا يصبر لمن يظاهره أو يضاهيه ، قد حلب الدهر أشطره ، وعلم المخزية من الأمور والمأثرة :

يروّعه السرار بكلّ شيء مخافة أن يكون به السِّرارُ[2]

* الوافي : ٢١١/٢٤ .

** الوافي : ٢١٢/٢٤ .

(١) في الوافي و (ق) : « ويُذكر » .

(٢) لبشار بن برد .

عاداه جماعة من الأكابر وربطوا عليه المخالص وللمضائق والمعابر ، ولم يظفرهم الله تعالى منه بمقصود .

ولم يزل زرعه قائماً غير مَحْصود ، ودفن من أعاديه جُمله ، وفرّق بمكائده من حِزْبهم شَمْلَه ، بطرقٍ خفيّة المسارب ، دقيقة المسالك بعيدة المرامي والمضارب .

ترك المال والوطن والولد ، ونزع من عنقه مأنة[1] الصبر والجلد ، وألقى حِمل الاحتمال عن الكَبَد ، ولم يَرْضَ أن يكون ثالث الأذليّن العَير والوَتِد[2] ، وأخذ في النجا بسنّة النبي عليه السلام فنجا برأس طمرّة ولجام[3] ، ودخل بلاد التتار ، وخلّى من تطلّبه كما يقال على برد الديار ، فأخذ البريد بسببه في قعقعة لجمهِ والبر يضيق عن الجيش وحجمه ، والقُصّاد تروح وتغدو ، وتعود ناكصةً على أعقابها ، والفداويّة تفدُ عليه ولكن يدوس على رقابها :

إلى كم تردّ الرسل عمّا أتوا له ... كأنهمُ فيما سمعت ملام
لهم عنك بالبيض الخفاف تفرّقٌ ... وحَوْلك بالكتب اللطاف زحام

وكادت خزائن مصر فيه يسكنها الغراب الأبقع ، وبلد مصياف تعود وهي خرابٌ بلقع ، هذا والسلطان لايني عزمه ، ولا يُثْنَى حَزْمُه ، بل البريد في أثر البريد ، والقاصد في عقد القاصد فيما يريد ، وغلب سعادة مثل الملك الناصر في احترازه وتوقيه

(١) مأن مأنه : لم يكترث له .

(٢) يشير إلى قول المتلمس :

ولا يقيم على ضيم يراد به ... إلا الأذلان عير الحيّ والوتد

ديوانه : ٢٠٨ .

(٣) يشير إلى قول حسان في الحارث بن هشام :

ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ... ونجا برأس طمرّة ولجام

وسلفت الإشارة إليه .

وردّ سهامه بترفعة عنها وترقيه ، إلى أن مات حتف أنْفِه من غير نجاح ، أمر ، وكاد يقول : بيدي لا بيد عَمْرو[١] :

وإن أسلم فـــــــا أبقى ولكن سَلِمْتُ من الحِمام إلى الحِمام[٢]

وتوفي رحمه الله تعالى في مراغة في شوال سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

كان الأمير شمس الدين قراسنقر لما اشتراه المنصور وهو أمير جعله أوشاقيّاً ، ثم إنه ترقى وعُرف عنده من صغره بحُسن التأني[٣] في الأمور والتحيّل لبلوغ الغَرض . وهو من أقران طرنطاي[٤] وكتبغا والشجاعي وتلك الطبقة ، وكان أسعد منهم ، لأنه عاصرهم وقاسمهم سعادة أيامهم ، وعمّر بعدها العُمْر الطويل متنقلاً في النيابات الكبار ، فأناسٌ كثيرون يعتقدون أنه من قارا[٥] النبك ، وليس بصحيح ، بل هو جهاركس استنابه الملك المنصور في حلب ، وتتبعه طرنطاي ونصب له الحبائل ، وسلّط الحلبيين عليه فشكوا منه ، وأخذ يُحَسِّنُ للمنصور عَزْله ، ولم يَزل يعبث به إلى أن أمره بالكشف عليه ، فأتى حلب بنفسه وكشَفَ عليه ، ولم يظفر منه بمُراد .

ثمّ إنّ الوزير ابن السلعوس أغرى به الأشرف وفطن له قراسنقر ، فلم يزل يتلافى أمْرَ نفسه ويرفع حاله بنفائس الأموال وكرائم الذخائر إلى أن سكن غيظ الأشرف عنه واستمر به .

ثمّ إن ابن السلعوس لم ينم عَنْه حتى عزله من حلب وولّى الطباخيّ عوضه ، ونقل[٦] قراسنقر إلى أمراء مصر وتقرب إلى الأشرف وخواصه بكلّ نفيس ، إلى أن ندم

---

(١) مقولة للزباء لما قتلت نفسها ، صارت مثلاً .

(٢) للمتنبي في ديوانه : ٢٧٩/٤ ، (البرقوقي) .

(٣) في الوافي : « التأتي » .

(٤) في الوافي : « طرنطاي ولاجين » .

(٥) قارارة بلدة إلى الشمال من النبك بنحو عشرين كيلاً على الطريق إلى حمص .

(٦) الكلام الآتي أسنده المصنّف في الوافي إلى القاضي معين الدين بن العجمي .

الأشرف على عزله ، فقال له : حلب الآن انفصل أمرها ، ولكن سلْ حاجتك ، فقبل الأرض وقال : نظرةٌ من وجه السلطان أحبّ إليّ من حلب وما فيها ، ولكن أسأل أن أكون أمير جاندار ، لأنني أرى وَجْهَ مولانا السلطان[١] ، وإذا جاء ذاك الرجل أقول له يتصدّق مولانا ويقعد ، فإنّ السلطان في هذا الوقت مشغول ، يعني بذاك الرجل الوزير ابن السلعوس ، فضحك السلطان ومزح معه في هذا ، وقال له : هذا بسّ ، قال : يا خوند يكفيني ، وهذا ما هو قليل . واستمرّ أمير جاندار ، وحجبَ ابن السلعوس مرّات من الدخول إلى السلطان ، وابن السلعوس يتلظّى عليه ، وقراسنقر يعمل مع الأمراء الأشرفية عليه إلى أن فعلوا تلك الفعْلة .

قال القاضي شهاب الدين بن فضل الله : حكى لي أينبك مملوك بيسري قال : خرجنا مع الأشرف إلى جهة تروجة ، فقدم للسلطان لبن ورقاق ، وهو سائر ، فنزل يأكل ، وكان أستاذي بيسري ولاجين قراسنقر قد نزلوا جملة على جانب الطريق ، فبعث الأشرف إليهم بقصعة من ذلك اللبن وقد سمّها ، فقال بيسري : فؤادي يمغسني ، ما أقدر آكل لبناً على الريق ، فقال :لاجين : أنا صائم ، فقال قراسنقر : دسَّ الله هذا اللَّبن في كذا وكذا ممّن بعثه ، نحن نأكله[٢] ؟ ثم أخذ منه ، وأطعم كلباً كان هناك ، فمات لوقته [فقال : أبصروا أيش كان ، يريد يزقّمنا][٣].

ثم قاموا على كلمَةٍ واحدةٍ واتفاق واحد في نِجازِ ما كانوا بَنَوْا عليه ، إلى أن كان ما كان ، ولم يُباشر قرا سُنْقُر قتله ، ولما قتِل نزل إليه ونَزَع[٤] خاتَمَهُ من يده وأخذ حِياصته بيَدِه ، وفعل به ما تقتضِيه [شماته][٥] الْمُتَشَفِّي ، ثم إنه اختفى هوَ ولاجين في

(١) زاد في الوافي : « ولا طلبت هذه الوظيفة إلاّ حتى أكون أهين ذلك الرجل » .

(٢) زيادة في (ق) ، (ط) ، والوافي : « نحن ما نأكله » .

(٣) زيادة من (ق) ، (ط) ، والوافي .

(٤) في الأصل : « نزع » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، والوافي .

(٥) زيادة من (ط) ، (ق) ، والوافي .

بيت كتبغا ، وكان ينادي عليهما ويتطلَّبُهَا وهما عنده . ولما تسلطن كتبغا أخْرَجهما[(١)] وأمَّرهما ، وعَظَّم شأنَهما .

ثم إن قرا سُنْقُر نابَ للاجين لَمّا تَسَلطَنَ نيابَةً عامة ، وأورَدَ الأمور وأصدَرَها برأيه ، فعَزَّ[(٢)] على منكوتمر ، ولم يزل به حتى أمسكه واعتقله في نصف ذيْ القعدة سنة ست وتسعين وست مئة ، ومعه جماعَة من الأمراء . وعمل منكوتمر النيابَة عوض قراسُنقر ، وتحدث القاضي شرف الدين بن فضل الله معه في أمره ، فقال له : ياشرفَ الدين ، أنا أمسكه[(٣)] ، ووَالله ما أُؤذيه ، فقال له : يا خوند ، أروح إلَيه وأعرِّفه [هذا ، فقال : روح إليه][(٤)] ، فلَمّا عرف قَراسنقر ذلك بَكى وقال : والله ما كنتُ أموتُ وأعيش إلا عليه ، فعاد إلى لاجين وعرَّفه ذلك ، فقال : ياشرفَ الدين هات المصحَف ، فحلف عليه أنه ما يؤذيه ، ولا يُمكِّنُ أحداً من أذِيَّته ، فعاد إلَيه وعرّفه ذلكَ ، فقالَ : ياشرفَ الدِّين ، الآن طاب[(٥)] الْحَبسُ .

ولَمَّا قُتِل لاجين ، وجلسَ السُّلطان الملك الناصر في المرة الثانية أطلقه وأعطاه الصُّبَيْبَة ، فبقيَ فيها مُديدة ، ونقل إلى نيابة حَماة بعد العادل .

ولما مات الطّباخي في حلب نقل قراسُنقر إلى نيابة حلب ، وأعطيت حماة لقبجق .

ولم يزل قراسنقر في حَماة نائباً إلى أن حضر السُّلطان الملك الناصِر محَمَّد من الكرك إلى دمشق في شهر رمضان سنة تسع وسبع مئة ، فحضر إليه ، وركبَ السُّلطان وتلقَّاه

---

(١) في الأصل و (ط) : « أخّرهما » ، وأثبتنا ما في (ق) والوافي .

(٢) في (ط) والوافي : « فعز ذلك ... » .

(٣) في الأصل : « ماأمسكه » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) ، وعليه سياق كلامه في الوافي .

(٤) زيادة من (ق) ، (ط) ، والوافي .

(٥) في الأصل : « طال » ، وأثبتنا ما في (ط) و (ق) والوافي .

وترجَّل له وعانقه وقبَّل صَدرَهُ ، والتقيا بالميدان الكبير ، وبه استتم أمرُهُ واستَبَبَّ له الملك [١] .

وكان ابنه ناصِر الدين محمد هو الذي استمال أباه قراسُنقُر ، فشعَر بذلك المظفَّر ، فيقال : إنه سمَّه . وأخذ قراسُنقُر في تدبير الملك والسُّلطان [٢] تبعٌ فيما يَراه ، ووعده بكفالة المَمالك والنيابَة العامَّة بمصر . ولما وصل إلى مصرَ وجلسَ على تخت الملك قال له : الشام بعيد عني وما يضبطه غيرك ، فأخرجَهُ لنيابة دمشق وقال له : هذا الجاشنكير خارج إلى صهيُون ، فأمْسِكْه واحضُرْ به لنتفق على المَصلحة ، فاجتهد على إمساكِه ، ولما وصل به إلى الصَّالحية أتاه أسندمر كَرْجي ، فأخذه منه وأعاده إلى الشام ، ووصَل إلى دمشق ودخلها يوم الاثنين خامس عُشْري القعدة سنة تسع وسَبع مئة ، ونزلَ بالقصر الأبلق وقد نفض يده من طاعة السُّلطان ، غير أنَّه حَمَلَ [٣] الأمر على ظاهِره ولم يفسد [٤] السُّلطان بكَشْفِ باطنه ، وأقام بدمشق [على] [٥] أوْفاز [٦] ، فما حَلَّ بها أحْمالاً ، ولا خزن غلة ، ولا تقيَّد فيها بشيء ، وأخذ أمره فيها بالْحَزم ، فجَعَل له مماليك بطفس ، ومماليك بالصنمين ، وعيناً ببيسَان ، وإذا وصَل من مصر [أحد] [٧] بَطَّقوا إليه من بيسَان ، وإذا وصل الواصل إلى طفس تلقاه نواب قراسُنقر ومماليكه ، وقدَّموا لهُ ما يأكل وما يشرَب ، وإذا أتى إلى الصنمين فعلوا به كذلك ، ويشغلونه بالأكل والشرب والتكبيس إلى أن يبلغ الخبر قراسُنقُر وخَيْلُه وهجنه كلُّها محصَّلة لما يريد يفعله ، وإذا ركبَ مِن الصنمين ركبَ معَه من مماليك قراسُنقُر من

(١) في الأصل : « الأمر الملك » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

(٢) في (ط) ، (ق) : « والسلطان له تبع » .

(٣) في الأصل : « حَصَلَ » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، والوافي .

(٤) في الأصل : « يفد » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

(٥) زيادة من (ق) ، (ط) ، والوافي .

(٦) جمع « وَفْز » ، وهي العجلة .

(٧) زيادة من (ق) والوافي .

يوصله إلى قراسُنقُر بجميع[١] من معه من مماليك وأتباع وسَوَّاقين حتى لا ينفرد أحد ، ويكون معه ملطّفات أو كتب أو مشافهات ، فيتوجه بها ، ثم إن قراسُنقُر ينزِّلُ الذي حضر من مصر هو وكلّ مَن معه عنده ، ولا يدعه يجد محيصاً . فلما أتاه الأمير سيف الدين أرغون الدوادار وأنزله عنده ولم يمكنه من الخروج خطوة[٢] واحدة ، وأنزلَ مماليكه عند مماليكه ، وكان عنده كأنه تحت الترسيم ، وفتح أجْربتهم ، وفتق نمازنيات سروجهم ، فوَجد فيها الملطّفات بإمسَاكه ، فأعادَها إلى مكانها ، وطاوله إلى [أن][٣] نَجَز حاله ، وهو لا يُظهِر[٤] شيئاً مِمَّا فهم منه ، وغالطه بالبَسط والانشراح .

قال الصاحب عز الدين بن القلانسي : أتيت إلى قراسنقر ، وهو يَأنس[٥] بي ، وقلت له : ما هذا الذي أسمَعُه ؟ فقال : اصبر حتى أفرّجك[٦] ، ثم قال لأرغون : بأي شيء غويتم أنتم ؟ فإن نحن كنا في بيت الْمَنصُور غاوين بالعلاج والصراع ، وحدّثه في مثل هذا ، فقال أرغون : ونحنُ هكذا ، فقال : أيش[٧] تعمل ؟ قال : أصارع ، فأحضر قراسُنقُر مصارعين تصارعوا قدّامَه ، ولم يزل به حتى قام أرغون وصارعَ قدّامَه ، فبقي قراسُنقُر يتطلّع إليَّ ويقول : يامولانا ، أبصر من جاء يمسكني . انتهى .

وفهم بَيبرس العلائي الْحَال من غير أن يقال له ، فركبَ على سَبيل الاحتياط على أنه يُمسِكه ، فبعَث يقول له : إن كان جاءك مرسوم خلِّني ، وإلاَّ أنا أركب وأقاتل ، إما أنتصر ، أو أُقتل ، أو أهرب ويكون عذري قائماً عند أستاذي ، وأبعث أقول له : أنت الذي هرَّبتني ، فتخيَّل بيبرس العلائي وراح إلى بيته .

(١) في الأصل و (ط) : « يجمع » ، وأثبتنا ما في الوافي ، وفي (ق) : « بجمع » وهي أشبه .
(٢) في الأصل : « خطرة » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .
(٣) في (ط) ، (ق) ، والوافي : « لا يظهر له ... » .
(٤) زيادة من (ق) ، (ط) ، والوافي .
(٥) في (ط) ، (ق) ، والوافي : « وكان يأنس » .
(٦) في الوافي : « أمزّجك » !
(٧) في (ق) ، (ط) ، والوافي : « أنت أيش » .

وكانت[١] نيابة حَلَب قد خلت ، وقد بعث السُّلطان مع أرغون تقليداً وفيه اسم النائب خالياً ، وقال له : تصرَّف في هذه النيابَة ، وعيِّنها لمن تختَاره ، فهيَ لك إن اشتهيت تأخذها[٢] ، وإن أردتها لغيرك فهي له . وكان في تلك المدة كلها يبعث قراسُنقر إلى السُّلطان ويقول : يا خوند ، أنا قد ثقل جناحي ، في حلَب بكثرة علائقي بها وعلائق مَماليكي ، ولو تصدَّق السُّلطان بها عليَّ رحت إلَيها .

فلما كان من بيبرس العلائي ما كان قال لأرغون : أنا قد استخرتُ الله - تعالى - ، وأنا رائح إلى حلب ، ثم قام وركبَ ملبّساً تحتَ الثياب من وقته ، وركبَ مماليكه معه ، وخرج في يوم الأحد ثالث المحرَّم سَنَة إحدى عشرة وسَبع مئة إلى حلب ، وأرغون معه إلى جانبه ما يفارقه ، والْمَماليك حَولَها لا يمكّنون الأمراء من الدخول إلَيه ولا التَّسليم عليه ، وخرج - كما يقال - على حميَّة إلى حلب في يوم الأحد ثالث المحرَّم سنة إحدى عشرة وسَبع مئة ، وأقام بحلَب وهوَ على خوف شديد . ثم إنه طلبَ دستوراً للْحَج .

فلَمَّا كان بزيزاء[٣] أتته رسل السُّلطان تأمره بأن يأتي الكرك ليأخذ منها ما أعَدّه السلطان له هناك من الإقامات ، فزادَ تخيُّله ، وكثر تردُّد الرُّسل علَيه في هذا ، فعظم توهُّمُه ، وركب لوقته وقال : أنا ما بقيت أحج ، ورمَى هو وجماعته ما لا يحصَى من الزادِ ، وأخذ مشرِّقاً يقطَعُ عرض السمَاوة حتى أتى مهنّا بن عِيسَى ونزل علَيه واستَجار به . وأتى حلبَ فوقف بظاهرها حتى أخرجَت مَماليكه ما كان لهم في حلَب ، مِمَّا أمكنهم حَملُه بعدما مانَعه الأمير شهاب الدين قَرَطاي من ذلك ، فإنه ركبَ في الجيش ، ولكنَّه لم يقدر على مدافعَة مهنا .

ولم يزل يكاتب الأفرم والزردكاش ، ومهنَّا يستعطف لهم خاطِر السُّلطان على أن

(١) في الأصل : « وكان » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

(٢) في (ق) ، (ط) ، والوافي : « تأخذها خذها » .

(٣) من قرى البلقاء يطأها الحاج ويقام لهم بها سوق . (معجم البلدان) .

يُعطي الأفرم الرحبة ، والزردكاش بهسَنى ، وقراسُنقر البيرة ، والسُّلطان يقول : بل الصُّبيبَة ، وعجلون ، والصَّلت . فهمُّوا بالْمُقام مع العَرب ، وعملوا على هذا ، وتهيؤوا لإزاحة العذر فيه ، فلما طَالَت المدة ضاقت أعطانهم وأعطان مماليكهم [أكثر][1] ؛ لأنه ما يلائم العرب صحبَةُ الأتراك وقَشَفُ البادِيَة وخُشونة عيشها ، وشَرعوا في الهَرب ، فخاف قراسُنقر من الوحدة ، فقال لمهنّا في هذا ، فقال : أنا كنت أُريد الحديث معك في هذا ، ولكن خَشيتُ أن تظنَّ بي أنني استثقلتُ بكم ، لا والله ، ولكن أنتم ما تضمكم إلا الحاضِرة والمدن ، وهذا قد تخبَّث لكم ، وأنتم قد تخبثتم له ، وما بقي[2] إلا مَلك الشرق ـ يعني خربندا ـ وهو كما أسمَعُ ملكٌ كريمٌ محسنٌ إلى مَن يجيئه ويقصده ، فدَعوني أكتب إلَيه بسَبَبكم . فوافقوه على هذا ، فكتب لهم ، فعاد جواب خربندا بأن يُجَهِّزَهم إليه ويَعدهم بالإحسان ، فتوجَّهوا إليه ، فوجَدوا منه ما أنساهم مصيبَتَهم ، وسَلاَّهم عن بلادهم ، وكان وصولهم إلى ماردين في أواخِر شهر رَبيع الأوَّل سنة اثنتي عشرة وسَبع مئة ، فتلقاهم صاحبها ، وحملَ إلَيهم بأمر خربندا ستين ألفَ دِرهم وفي كل يوم مئة مكوك شعيراً وخمسين رأساً من الغنم ، وأقاموا عنده في بستان مدة تسعة أيام ، وتوجَّهوا إلى خربندا .

قال القاضي شهاب الدين بن فضل الله : حكى لي شيخنا شمسُ الدين مَحمود الأصفهاني قال : لما جاؤوا أمَرَ[3] السلطان خربندا للوزير أن يبصِرَ كم كان لكل واحد منهم من مَبلغ الإقطاع ليُعطِيهم نظيره ، فأعطاهم على هذا الحكم ، فأعطى قراسُنقر مَراغة ، وأعطى الأفرم هَمذان ، وأعطى الزردكاش نهاوَنْد ، وتفقدهم بالإنعامات حتى غمرهم .

وقال : لقد كنت حاضراً يوم وصولهم ، واختَبَرَهم في الحديث ، وقالَ عن قراسُنقر : هذا أرجحهم عقلاً ؛ لأنه قالَ لكل واحد منهم : أيش تريد ، فقال شيئاً ،

(١) زيادة من (ق) ، (ط) ، والوافي .

(٢) في الوافي : « وما بقي لك » .

(٣) في الأصل : « أمراء » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) ، والوافي .

فقالَ قراسُنقر : ما أريد إلا امرأة كبيرة القدر أتزوجَها ، فقـال : هـذا كلام من يُعَرِّفنـا أنه ما جاء إلاّ مستوطناً عندنـا ، وأنـه مـا بقي لـه عودة إلى بلاده ، فعَظُمَ عنـده بهـذا ، وأجلسَهُ فوق الأفرم ، وسَنَّى له العَطايا أكْثَرَ[١] منه ، وزوّجـه ابنـة قطلوشـاه ، وسمّـاه آقسُنقُر ؛ لأنَّ المغل يكرهون السَّوَاد ، ويتشاءمون به .

قـال القـاضي شهـابُ الـدين : وكان خربنـدا وابنه بوسَعيـد يُحضِران قراسُنقر في الألطـاع[٢] والأرغو معهما دون الأفرم ، وهمـا مِن مَواضـع الْمَشُـورَة والحكم . وامتـد عمر قراسُنقر بعد الأفرم ، ووقع الفداويَّـة عليـه مرَّات ولم يقـدِّر الله ـ تعـالى ـ أنهم يَنـالون مِنه شيئاً ، وما قدروا عليه إلاّ مرّة وهو ببـابِ الكِربَـاس[٣] منزل القـان ، فإنهم وثبُوا عليه وهو بين أمراءِ المغل ، فَخُدِش في ساقِه خدشاً ، وتكاثر مَماليكه والمغلُ عَلى الوَاقِع ، فقطَّعُوه ، ولم يتأثّر قراسُنْقُر لذلك . انتهى .

قلت : يقـالُ : إن الـذي هَلَـكَ بسَبَبِـه مِنَ الفـداويَّـة ثمـانـون رجـلاً . حَكَى لي مجد الدين السَّلاَّمي[٤] الخواجا قال : كنـا يَوم عيـدٍ بـالأردو ، وجُوبَـان ووَلـده دِمَشْق خَواجا إلى جانبه ، وقراسُنْقر جـالسٌ إلى جـانبـه وهوَ قـاعـدٌ فوق أطراف قمـاش دِمَشْق خَوَاجَا ، فوقع الفداويُّ عَليه ، فرأى دمَشق خواجَا السكين في الهواء وهي نازلَة ، فقـامَ هـاربـاً ، فبسَبب قِيـامـه لَمّـا قـام مسرعـاً تعلّق بقماشـه تحت قُراسُنقر ، فـدَفعَ قراسُنْقُر ليخلُصَ ، فخرج قراسُنقر من مَوضِعه ، وراحت الضربَة في الهواء ضائعَة ، ووقع مَماليك قراسُنقر على الفـداوي فقطعوه قطعـاً ، والتفت إليَّ قراسُنقر وقـالَ : هـذا كلُّـهُ مِنـكَ ، وما كان هـذا الفـداويُّ إلا عنـدك مخبوءاً ؛ وأخـذ في هـذا وأمثـالـه ، ونهض إلى القـان بوسَعيد وشكا إلَيهِ ، ودَخلتُ أنا وجُوبان خلفَه ، فقال للسُّلطان بُوسَعيد : يـا خونـد ،

---

(١) في الأصل و (ط) : « وأكثر » ، وأثبتنا ما في (ق) والوافي .

(٢) في (ق) والوافي : « الألطاغ » .

(٣) في الوافي : « الكرباش » .

(٤) إسماعيل بن محمّد ، سلفت ترجمته في موضعها .

إلى متى هذا ؟ بالله اقتلني حتى أستريح ، والله زاد الأمر وطال ، وأنا فقد الْتَجَأْت إليكم ، ورميت نفسي عليكم [واستجرت بكم][١] ، والعصفور يَستَنِدُ إلى غصن شوك يقيه الْحَرَّ والبَرد . فانزعج بوسَعيد لهذا الكلام ، وقالَ لي بغيظ : إلى متى هذا وأنت عندنا والفداويَّة تخبؤُهم عندكَ لهذا ؟ فقلت : وحَياة رأس القان ما كانَ عندي ، وإنما حضر أمس مع فلان ، لكن هذا أخوك السُّلطان الملك الناصِر قد قال غير مرة : إن هذا مملوكي ومملوك أخي ومملوك أبي ، وقد قتَل أخي ، وما أرجع عن ثأر أخي ولو أنفقتُ خزائن مصر على قتل هذا [وهذا][٢] دخل إليكم قبل الصُّلح بيننا ، وهو مستثنًى من الصُّلح ، فعند ذلك قالَ جُوبَان : هذا حقه ، نحن ما ندخل بينه وبينَ مملوكه قاتل أخيه ؛ وخرجَ فانفصلَتِ القَضيَّةُ .

وحَكى لِي عَلاء الدِّين بن العُدَيل القاصد قال : توجَّهنا مرَّة ومَعنا أربعَة من الفِداوِيَّة لِقراسُنقُر ، فلما قاربنا مَراغة وبقي بيننا وبينها يوم أو يَومان ونحنُ في قفل تُجَّارٍ والفداويَّة مستورون أحدهم جَمَّال والآخر عَكَّام[٣] والآخر مشاعليّ والآخر رفيق ، فما نشعر إلاَّ والألجيَّة قد وَردوا علينا ، فتقدَّموا إلى أولئك الأربعَة وأمسَكوهم واحِداً واحِداً من غير أن يتعرَّضوا إلى أحَد غيرهم من القفل ، وتوجهوا بهم إلى قراسُنقر فقتلهُمْ ، وكذلك فعَل بغيرهم .

قلت : والظاهِر أنه كانت له عُيون تطالعه بالأخبار ، وتعَرِّفُه المتجددات من دمشق ومن مصر ، فإنه كان في هذه البلاد نائباً ، وقد جهز جماعة من الفداويَّة ، ويَعرِف قواعد هذه البلاد ومَا هِي عليه ، وما كانَ يغفلُ[٤] عن أمر الفداويَّة ، وإنه ما كان يؤتى عليه إلا منهم .

---

(١) زيادة من (ق) ، (ط) ، والوافي .

(٢) زيادة من (ط) ، (ق) ، والوافي .

(٣) العكّام : مهنة يعرفها أهل الشام لمن يقود الجمل أو يرافقه في السفر .

(٤) في (ط) ، (ق) ، والوافي : « ممن يغفل » .

قال القاضي شهابُ الدين : ومـات في عزه وجـاهـه معظماً بين المغل كأنـه مـا رُبِّيَ إلاّ فيهم ، ويقالُ : إنه ملك ثماني مئة مَمْلوك ، وعندي أنه لم يبلُغ هـذه العـدّة ، وإنما كان عنده مماليك كثيرةٌ[١] ، وحَصَّل أموالاً جمَّة ، وكان يُعطي لمماليكه الأموال الكثيرة ، وجماعتـه من الخيول المُسَوَّمـة والسُّروج الـزَّرْخـونـا[٢] والحـوائص الـذهب والكَـلاوت والطرز الزركش والأطلس والسمـور والقماقم وغير ذلـك من كل شيءٍ فـاخِرٍ . وتـأمَّر في حياتِه بنوه الأمير ناصِر الدين محمد تقدمة ألف ، والأمير علاء الـدين على إمرة أربعين ، وفَرَج بعشرة . وتـأمَّرَ لـه عـدة مَماليـك مثـل بيخـان ومغلطـاي وبلبَـان جركس[٣] بطبلخاناه ، وبهادر وعبدون بعشرات .

قال شهاب الدين بن الصنيعَة النقيب : لما جاءت العَساكر الحلبية مع قراسُنقر إلى دمشق سنة تسع وسَبع مئة كان ثلث الجيش يحمل رَنْك قراسُنقر ؛ لأنهم أولاده وأتبـاعـه ومَماليكهم وأتباعهم . وكان في حلب ، والأُمراء الحكّـام في مصر مثل سَلاَّر والْجَـاشنكير وغيرهما يخافونه ويُدارونه ولا يخالفون أمرَهُ ، وكان مَع[٤] العَظَمة الكبيرة يداري بمَـالـه ويصـانـع حـواشي السُّلطـان حتى الكتّـابَ والغلمـان ، فيقـالُ لـه في ذلـك ، فيقـول : ما يعرف الإنسان كيف تدورُ الدَّوائر ، وواحد من هؤلاءِ يجيءُ لـه وَقتٌ يلقح[٥] كلمـةً تعمر ألفَ بيتٍ وتخربُ ألف بيت .

وكان يَرى أخذ الأموال ولا يرى إهراق الدماء ، فحقنَ اللهُ دمَه وأذهَبَ مالَهُ .

قال القـاضي شهـابُ الـدين : حكى[٦] الشيخ أبو العبَّـاس أحمـدَ بن عمر الأنصـاري

(١) في (ق) ، (ط) ، والوافي : « كثيرة جداً » .
(٢) ضربٌ من الدروع ، وهي لفظة فارسية .
(٣) في الوافي : « جهاركس » .
(٤) في (ق) ، (ط) ، والوافي : « مع هذه العظمة .. » .
(٥) في الوافي : « تلفح منه » !
(٦) في (ق) ، (ط) ، والوافي : « حكى لي .. » .

الصوفِي قال : كان ابن عبُّود إذا عمل الْمَولد الشريف النَّبويَّ حضر إلَيه الأمراء وسائر الْمَماليك والناس ، فعَمل الْمَولد مرة في سَنة مِن السِّنين ، فَحَضَره قراسُنقر ، وكان في المولد رجلٌ شريفٌ صَالح مغربيٌّ يُعْرف بالمراكشيِّ ، فلما مُدَّت الأسمطة قام قراسُنقر وخلع[١] سيفه وشمَّر ومدَّ السِّماط المختصَّ بالفقراء وقدَّم بيده الطعام ، وشَرَع يقطع المشوي لهم ، ولا يدع أحداً يتولّى خِدمتهم [سواه][٢] ، فقال المراكشي : من هذا ؟ فقالوا لَهُ : هذا الأمير شمسُ الدين قراسنقر ، أمير كبير صِفَتُه[٣] نعتهُ ، ومكانته في الدولة كبيرة ، فقال : لا إله إلا الله ! يعيش [سعيداً][٤] وينزل به في آخر عمره كائنة ، ويخلص منها ويخلُصُ بسَبَبه غيره ، ويسلم وما يموت إلا على فراشه .

وكان لا يأخذ من أحد شيئاً إلا ويقضي شغله ويفيده قدر ما أخذ منه مرَّات مضاعفة ، وأين مثله أو من يقارب فعلَهُ ؟!

حُكِيَ أنَّ شخصاً من أبناءِ الأمراءِ الكبار بحلب كان يحبُّ صبيّاً اشتهر به وعُرف بحبِّه ، فاتفق أن ذلك الصَّبيَّ غابَ ، فاتَّهمَهُ أهله بدمه وشَكَوْهُ إلى الوالي ، فأحضره وقرَّرَهُ بالضَّرب والتَّعليق ، فلم يصبر وقالَ : قتلته ، فأُلْزِمَ به وأودع الحبس على دمه ، وكان بريئاً ، فتحيَّل في إرسال شيء . خدم به قراسُنقُر ، فأمَرَ أن يُنظَر ولا يعجل عليه ، فما مضت مدة حتى جاء كتاب نائب ألبيرة يخبر بأنه قد أنكرَ على صبي من أبناء النعمَة مع جماعة من الفقراء قصَدوا الدُّخول إلى ماردين ، وأنه ردَّه إلى حلَب ليحقق أمرَه ، فلما جاء إذا بهِ ذلك الصَّبيُّ بعينهِ ، وظهرت براءَة المتَّهَم وخُلِّي سبيله ، وغفل عنه قراسُنقر مدة لا يذكره إلى أن مات أمير بحلب وخلَّف نعمَة طائلة ولا وارثَ له ، فلما أتاه وكيلَ بيت المالِ والديوان يَستأذنونه في الْحَوطة عَليه ، فقالَ : هذا مالٌ

(١) في الوافي : « وقلع » !
(٢) زيادة من (ق) ، (ط) ، والوافي .
(٣) في الأصل : « طبقته » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) ، والوافي .
(٤) زيادة من (ط) ، (ق) ، والوافي .

كثير ، أُريد واحداً من جهتي يكون معَكم ، وطلبَ ذلك الرجل وأمَرَهُ أن يكون معهم ، فحصَّل مِن تلك التركة محصولاً جيداً ، وعَمل به ذهباً أضعاف ما أعطي قراسُنقر أولاً ، وأتى بالذهب إلى قراسُنقُر وقالَ : ياخوند ، هذا الذي تحصَّل ، فقال : بارك الله لكَ فيه ، نحنُ أخذنا نصيْبَنا منكَ أولاً سَلفاً ؛ ولم يأخذ[1] [منه] شيئاً ، رحمه الله وسامحه .

وكان ورد إلى بغداد في أول شهر رَمَضان سنة خمس عشرة وسَبع مئة ، ومَعَه زوجته الخاتون بنت أبغا ، وأقام ببغداد ثلاثة أشهر ونصفاً ، ثم عاد إلى خدمَة خَربندا ، وكان عزمُه الإغارة على أطراف الشَّام ، فلم يؤذن له ، ووثبَ عَليه فداويٌّ في ذيْ القعدة فلم يَصِل إليهِ وقُتل الفداوي .

١٣٦٨ ـ قَرَا طُرنُطَاي*

الأمير حُسَام الدين . كان أميراً بحلَب ، ونُقل إلى دمشق على إقطاع الأمير سَيف الدين مَلكتمر المعروف بالدم الأسود[2] ، فوصَل إلى دمشق مريضاً ، ومات ـ رحمه الله ، تعالى ـ بعد أيام قلائل في مستهل شهر رمضان سنة أربع عشرة وسَبع مئة ، ووصّى إلى الأمير سيف الدين بلاط .

١٣٦٩ ـ قراقوش**

الأمير بهاء الدين .

كان يقال : إنه ظاهِريٌّ ، أتى إلى صفَد أميراً على طَبلخاناه ، وكان عنده مَماليك[3]

(١) مابينهما زيادة من (ط) ، (ق) .

* لم نقف على ترجمته .

(٢) توفي سنة (٧١٤ هـ) . النجوم الزاهرة : ٢٢٨/٩ .

** لم نقف على ترجمته .

(٣) (ط) : « مماليك ملاح » .

وخُدَّام طواشيَّة[١] وأولاد ناس أتباعٌ له ملاح . وأقام في صفد مدة مـديـدة . وقيل : إن القاضي فخر الدين ناظر الجيش كان يكرهه ويَحُطُّ عليه ؛ لأنـه كان في وقت قـد عَمل شَدَّ الدواوين بالقاهرة ، وكان فيه معرفة ، وعنده مجلدات ، ويستنسخ الكتب الأدبيَّة وغيرها .

وحكي لي أنه كان بالوجه البحريِّ مباشراً شيئاً من أمور الـدولـة ، فلمـا وزَر[٢] ابن السَّلعوس كتبَ إليه كتاباً ، فأغلظ قراقوش في الجواب ، ثم إن الوزير أحضره بعد ذلك وضربَه بالمقارع .

[اللقب][٣]

☆ **القَرامزي :** عبد الرحمن بن أبي مُحَمَّد .

☆ **القرافي :** صفيُّ الدين محمود بن مُحَمَّد .

١٣٧٠ ـ قَرَطاي*

الأمير شهابُ الدين الأشرفي الجوكندار الحاجب ، نائب طرابُلس .

كان معـدوداً في الأبطـال ، ومسروداً في عـداد أبي مُحَمَّـد البَطّـال[٤] ، قـد مـارَس الحروبَ ، وعرف الأماكِنَ والدروبَ ، وتمرَّن في الحصارات ، وتدرَّنَ جسمـه بعـد التَّنعم في الإغارات .

---

(١) في (ق) : « طواشية ملاح » .

(٢) (ط) : « ورد » .

(٣) زيادة يقتضيها منهج الكتاب .

* الوافي : ٢٢٦/٢٤ ، والدرر : ٢٤٨/٣ ، وذيول العبر : ١٨١ .

(٤) عبد الله البطال ، قائد شجاع من أمراء الحرب الشاميين في زمن بني أمية . الأعلام : ٧٤/٤ .

وكان كثير الاحتشام ، عزيز المكارم التي تُنتَجعُ بروقها وتُشام ، معروفاً في الشام ومصر بالكفاءَة ، مشهوراً بالحلم والأناءَة :

تشُفُّ على جسم الـزُّلال صفـاتُـهُ وتلطُفُ عن رَوْح النَّسيم شمائلُـه

أقام بطرابلس في المرة الأولى نائباً إلى أن عُزِل ، وقُطع أمره فيها وخُزِل ، وحَضَر إلى دمشق وكان فيها أميراً كبيرا ، نازلاً في حِماها محلاًّ أثيرا ، يعظِّمه تِنكِز ويرعَى جانبه ، ويجمِّل به مواكبَه ، إلى أن أعاده إلى طرابُلسَ ثانياً نائباً كما كان ، ووطَّد له عند السُّلطان القواعد والأركان .

ولم يزل إلى أن توفِّي ـ رحمه الله ، تعالَى ـ في سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

وكان ـ فيما أظنُّ ـ بحلب حاجباً في واقعة قراسُنقر لَمّا توجه إلى الحجاز وعاد من بركة زَيْزَاء إلى حَلب وأحاط ، فوقف الأمير شهابُ الدين قرطاي في وجهه ومنعَهُ من الدخول إليها ، فقال : أنا ما جئت إلا لأجل مَملوكي جركس ، فقالَ : خذه ، وما عَسى أن تفعَله أنت وهو ؟!

وكان قد عزل عن طرابلُس في المرة الأُولى في جمادى الآخرة سنة ست وعشرين وسبع مئة ، وحَضَر إلى طَرابلس عوضهُ الأمير سَيف الدين طينال[٤] الْمُقَدَّم ذكره . وأقام الأمير شهابُ الدين بدمشق على إقطاع الأمير بدر الدين بَكتوت القَرَماني ، ولم يزل بها مقيماً إلى أن أُعيد إلى نيابة طرابلُس في العشر الأواخر من سَنة ثلاث وثلاثين وسَبع مئة عوضاً عن الأمير سيف الدين طينال ، وجَهَّز طينال إلى غَزّة نائباً ، ونقل السَّنجري من غزة إلى نيابَة حمص .

(٤) انظر ذيول العبر : ١٤٣ .

١٣٧١ ـ قُردُم*

الأمير الكبير سَيفُ الدين أمير آخور

كان في أيام الصَّالح صَالح ، وهو في مَحَلٍّ كبير ، فعُمل عليه وأخرج إلى دمشق على إقطاع الأمير سَيف الدين منكلي بغا السِّلاح دار الصَّالحي ، فوصل إلى دمشقَ في سادس عشري شهر ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين ، وطُلبَ تلك الشحنة إلى مصر ، فأقام الأمير سَيف الدين قُردُم إلى أن أمسَكه الأمير سَيفُ الدين أرغون الكاملي بين العشاءَين ليلة الأربعاء سابع عشر شهر رَجَب سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة ، واعتقله بقلعَة دمشق ، وبقي في الاعتقال إلى أن حضر السُّلطان الملك الصَّالح إلى دمشق ، في واقعة بيبغاروس ، ولما توجَّه إلى مصر أُخِذَ[1] معه صحبَةَ مَن أُمسك في تلك الواقِعة إلى مصر ، ثم إنه أفرج عنه وحضر إلى دمشق نائباً في عاشر شهر ربيع الآخر سنة أربع وخمسين وسبع مئة ، ورُتِّبَ له على الديوان في كل يومٍ خمسُون درهماً ، فلَمّا مات الأمير سَيفُ الدين ألجيبغا العَادِلي أُنعم عليه بإقطاعه وتقدمته على الألف .

واستمرَّ على حالِه بدمشق في جملة مقدمِي الألوف إلى أن مرض ، وتوفِّي ـ رحمَه الله ، تعالى ـ في يوم الأحد تاسع عشر رمضان سَنة سِتّ وخمسين وسَبع مئة[2] .

اللقَبُ والنَّسَبُ

☆ ابن قُرْصَةْ : أحمدَ بن محمَّد . عز الدين أحمد بن موسى .

☆ ابن قِرطاس : عبد الرحمن بن محمود .

☆ القَرَماني : الأمير بدر الدين بكتوت .

---

* الوافي : ٢٢٤/٢٤ ، والدرر : ٢٤٨/٣ ، والذيل التام : ١٤٩ ، وفيه : « قردمر » ، والنجوم : ٣٢٢/١٠ .

(١) في الوافي : « أخذه » .

(٢) لم تذكر سنة وفاته في الوافي .

☆ **القَرمي** : قاضي طرابُلس الحسن بن رمضان .

١٣٧٢ ـ قرمشي بن أقْطُوان*

الأمير سَيفُ الدين ابن الأمير علاءَ الدين الحاجب بمصر والشام .

كان رجلاً داهيَه ، وذا هِمَّة لم تكن بغير المَعالي لاهيَـه ، خـاطرَ في أمرٍ لوانعكسَ عليهِ لم يكن لحمزةَ التركماني[١] غيره ثانيـا ، ولم يصبح الهِلالُ الوخيّ[٢] لعنـان الموت عنـه ثـانيَـا ، ولكنـه حصَّنَـهُ الأجَل ، واستعمـل القَـدرُ فيـه التـأنّي لا العَجَـل[٣] ، على أنـه ما انشقَّ له زهر السَّلامَـةِ عن الكِمام ، ولا سُقِيَ روضُ نجاتِـه بجبِّ الغَمام ، حتى وقع في أُحبولة القَدَرِ وكان كَمَنْ سَلِم من الحِمام إلى الحَمَام .

ومن تَعْلَـق بـِـهِ حمَـــةُ الأفـــاعي يَعِش ، إن فـاتَــه أجَـلٌ ، قَليْـلا

وكان في صِبَاه قـد تَنَسَّـكْ ، وبحبـالِ الآخرة تَمَسَّـكْ ، وامتَنَع من دخول الحَمَّـام ، وأعرضَ عن لَذَّات هذه الدنيا ورفَضَ ما فيها مِنَ الْحُطام ، وأخذ في مُطالعَةِ الأحـاديث النَّبويَّه ، والاقتفـاء بِسيرة السَّلَف المرضِيَّـه ، وتتلمَـذَ[٤] للشيخ العلاَّمَـة تقي الـدِّين بن تيمِيَّه ، وكانت كتُبُه ترد عَليه بالنَّهي عَن التَّمسُّك[٥] بالأمور الدنيويَّـه ، هـذا وأبوه أمير كبير حاجب بصفد ، والدنيا مقبلة علَيه بالعطـاءِ والمِنَح والصَّفَـد ، وهو عنهـا بِمَعزِل ، وإذا ضرِبت لـه سُرادق الـدولـة لا يُعرِّج إليهـا ولا ينزل . ثم إنـه انسلَخ مِن ذاك ، وآثر

---

* الدُّرر : ٢٤٨/٣ ، والسلوك : ٤٩٧/٢/٢ ، وفيه : « قرمجي » .

(١) قتله تنكز لكلام سوء بلغه عنه ، وقد سلفت ترجمته .

(٢) الوخيّ : القاصد .

(٣) في الأصل : « الأجل » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (خ) .

(٤) في الأصل : « وتلمّذ » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) .

(٥) في الأصل : « ترد عليـه بـالحثّ على النهي بـالتمسـك » ، وأثبتنـا مـا في (ط) ، (خ) . وفي (ق) : « ترد عليه بالحث على التمسك بالأمور » .

الفكاك ، ونسِيَ أن سَلامَة العُقبَى كانت له خَيْرا ، وتلك[١] الطريقة الأولى كانت أحْمَدَ سَيْرا .

وتنقلت به الأحوالُ فتقدَّم في دمشق فكان بها من جملة الْحُجّاب ، وأولي التقدم عند تنكز والاقتِراب ، ثم توجه إلى مصر فكان فيها حاجبا ، ونالَ مِن الْحُظوَة عند السُّلطان ما كان له واجبا ، ثم إنه حضر إلى صَفَد وولِيَ بها نِيابَة القلعه ، ومنها كانت القَلْعه ، وطُلِبَ إلى دِمشق واعتُقِل ، وحلَّ به من نوائب الزَّمان ما لا عُرِفَ ولا عُقِل .

وكان موته ـ رحمه الله ، تعالى ـ في شهر شعبان سَنة سَبع وأربعين وسَبع مئة ، ودفن بمقابر الصوفيَّة ظاهِر باب النَّصر بدمشق .

كان قد [نشأ][٢] بصفَد على خيرٍ وديانة وتعبُّد ، ولَم نعلَم له صَبْوَة ، وكان يحبُّ الفقراءَ والصُّلحاءَ ، ويميلُ إلى الشيخ تقي الدين بن تيميَّة وأصحابه ، واختصَّ بالأمير سَيف الدين أرقطاي نائب صَفَد ، وكان يَسْمُر عنده ويُلازمُه ليلاً ونهاراً .

ولَمَّا كان في سَنة ست وثلاثين اختصَّ بالأمير سيف الدين تِنكز ، وأقام عنده ليلاً ونهاراً بدمشق ، وأقبل [عليه][٣] إقبالاً كثيراً ، وصار من أحظى الناس عنده ، ثم إنه أعطاهُ عشرة أرماح بدمشق ، وعلت مكانته عنده ، وتردَّدَ في البريد مراتٍ عديدة . ثمَّ إنَّه توجَّه معَ الأمير سَيف الدِّين تنكِز ـ رحمه الله ، تعالى ـ لَمّا توجَّه إلى مصر ، وهي آخر مَرَّة توجَّه فيها إلى مصر ، فغيَّر إقطاعه هناك بالإمرة ثلاث مرات ، وولاه الحجوبيَّة بدمشق .

ولَمَّا أُمْسِك هو[٤] طلبَ سَيف الدين قرمشي إلى مِصر ، فتوجه إليه ، وأقام بِها

---

(١) (خ) : « وأنّ تلك » .

(٢) زيادة من (ط) ، (خ) ، (ق) .

(٣) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .

(٤) عبارة الوافي : « ولَمّا أمسك الأمير سيف الدين تنكِز » .

حاجباً في باب السُّلطان ، وكان الناسُ يَرونَ أنه كان له باطِنٌ في واقعة تنكِز ، وشنَّع النَّاسُ بأنه نَمَّ على تنكِز ورَماه بما غيَّر خاطِر السُّلطان عَليه ، والله أعلم ، فنفرت قلوب مَماليك السُّلطان منه ، وأبغضَه الأمراءُ .

ثم إنه في [أوَّل][1] دولة الصالح إسماعيل طَلَب الخروج إلى دِمَشق ، فحضَر إليها أميراً ، ثم رُسِمَ له بالتَّوجُّه إلى صفد أميراً ، ثم إنه بقيَ بها حاجباً . ثم إنه رُسِمَ له بنيابة قلعَة صفد ، فباشرَها على أحسَنِ ما يكون ، وبالغ في عمارتها ، ورمَّ ما تشعَّث منها ، فاجتهد في ذلك . ثم إن الأمير سَيف الدين آلملك نائب صفَد لَمّا أُمسِكَ في أيام الكامل شعبان شَنَّعَ الناسُ أن الأمير قُرمُشي هو الذي نمَّ عليه ، وكتبَ إلى مصرَ في السِّرِّ يقولُ : إنه قد عزم على أنه يهرُبُ ، فجددت هذه المرة علَيه ما كان كامِناً في نفوسِ الأُمَراء .

ولَمّا برز الأمير سَيفُ الدين يَلبُغا[2] من دمشق إلى الجسورة ، واجتمعَ عَليه العَساكِر طلبَه ليَحضر إليه ، فوعده بذلك ولم يحضر ، واتفق أن وردت كتب الكامل[3] االى قرمشي في الباطِن ، فجهزَها هو مِن جهته إلى أُمراء الشام وغيرهم ، وأمسَك قصَّاده بالكتب ، فحرَّك ذلك [عليه][4] ساكناً عظيماً .

ولَمَّا استقرَّ الملك للمظفر[5] حاجِّي جهَّز يَلبُغا حاجي إلى قرمشي ، وأحضره علَى البَريد ، وأودعه معتقَلاً في قلعَة دمشق هو وأولاده وجَماعة من أهله ، فأقام بها قريباً من شهر أو أكثر ، ثم أُفرِج عن أولاده وجَماعته ، وخنق وأخرج في اللَّيل في صندوق ، ودُفن في مقابر الصُّوفيَّة ؛ رحمه الله تعالى وعفا عنه .

(١) زيادة من (ق) ، (خ) ، والوافي .
(٢) (خ) : « يلبغا اليحيوي » .
(٣) (خ) : « الكاملي » ، وفي الوافي : « الملك الكامل » .
(٤) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .
(٥) (خ) : « المظفّر » .

ولما كنت بالدِّيار المصريَّة سَنة خَمس وأربعين وسَبْع مئة كتبت له مَرْسُوماً بنِيَابَة قلعة صَفد ارتجالاً من رأس القلم ، وهو :

« الْحَمْدُ لله الذي نَصر هذا الدِّين بسَيْفه الماضي الشَّبا ، وأيَّده بخير ولي تَقْصُرُ عن بأسه سمرُ القَنا وبيض الظُّبَى ، وحصَّنَ معاقله بكُفْءٍ تأرَّجَ عنه الثَّناءُ وطابَ النَّبَا[(١)] ، وحَمى سَرْحَهُ بفارس إذا أظلم العَجاجُ أطلَعَ في دُجاهُ من سِنانِه اللامِعِ[(٢)] كَوْكَبا .

نحمَده على نِعَمه التي لا يداني جُودَها غمام ، ولا يُقارِبُ حُسْنَ مَواقعَها[(٣)] تبسُّم زهر من ثغرِ كام ، ولا يُجارِي سُرَاها برق تسرَّع جَواده في ميدان ظلام[(٤)] ، ولا يُحَاكِي تواخيَها[(٥)] [في نواحيها] ازدِوَاج لآلئ تألَّفت حبَّاته في النظام .

ونشهَد أن لا إله إلا اللهُ وَحده لا شريكَ له ، شهادةً رقَمَ الإيمانُ بُرُوْدَها ، وخَتَم[(٦)] البُرهان وُجودَها ، وحَسَم الإدمان عَنودَها[(٧)] ، ونظَم الإيقانُ[(٨)] عُقُودَها .

ونشهَد أنَّ سَيِّدَنا محمداً عبدُهُ ورسوله الذي تثنَّى الخطّار[(٩)] من بَأسهِ طَرَبا ، وضحكَ البَتَّارُ [في يمينه][(١٠)] الشريفة عَجَبا ، وولَّى الأدبار عدوُّ الدين ممعناً[(١١)]

---

(١) في الوافي : « البنا » .

(٢) في الأصل : « أطلع من سناه اللامع » ، وفي (ط) : « أطلع من سنانه اللامع » ، وأثبتنا ما في (خ) ، والوافي .

(٣) في الأصل : « موقعها » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .

(٤) في الأصل : « غمام » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .

(٥) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) .

(٦) الأصل : « ختم » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .

(٧) سحابة عنود : كثيرة المطر ، والعَنَد : الميل .

(٨) في الوافي : « الإيمان » .

(٩) في الأصل : « الحظ » ، وفي (ق) ، (ط) : « الخط » ، وفي (خ) : « الخطّي » ، وأثبتنا ما في الوافي . والخطّار : ما اهتزّ من الرّماح .

(١٠) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .

(١١) (خ) : « ممعناً منه » .

هَرَبـا ، وبـاد الكفـار من حزبـه لِما ذاقوا وَيْلاً وحَرَبـا[١] . صلَّى الله عَليـه وعَلى آلـهِ الذين سادوا الأنام ، وجادوا بِمَا فاقَ الغمام ، وعادوا بفضلهم على أولي الفاقة والإعْدام ، وحـادوا عَن طرق الضَّلالِ والظَّلام ، صـلاةً دائمَـة السَّنـا ، قـائمَـةً بنيـل المراد والْمُنى ، ما ابتسَم في الروض ثغر أقـاح ، وفتق غمـدَ[٢] الظَّلام شَفرةُ صَبـاح . وسَلَّم تسليمـاً كثيراً إلى يوم الدين .

وبعـد فـإن ثغر صَفـدَ المحروسَـة من الْحُصون الْمَشيـده ، والمعـاقل الفريـده ، قـد طـاوَلَتِ النُّجوم شرفـاتـه ، وعَلت على الغيـوم[٣] غرفـاتُـه ، وتلهَّبَتْ ذبـالـة الشمس في سراجِه ، ونفض الأصيل زعفرانه على بَياضِ أبراجِه . كم لاثت الغمائم على هامته عمـائم ، وكم لَبست أنامل بروجهِ من الأهلَّـة خواتم . والنيـابَـة فيـه منصبٌ شريف ، وفضلٌ على الكواكب ينيف .

وكان الْمَجلِسُ السَّـامي الأمير سَيْفُ الـدين قُرمشي مِمَّن جَمَّـل الـدول ، وفـاز بالقُرْب من الملوك الأُوَل ، ونصَحَ والدنـا الشهيـد فـأدَّى من حقِّـه واجبـا ، واجتَهَـدَ في رضاهُ فكان له عَيناً وحاجبا ، وآثر عَودَه إلى وطنه فنوَّلْنـاهُ مَرامَـه ، وأجَبْنـا[٤] قَصْـده الـذي أحْكَم نظـامَـه ، رَغبَـةً في العُزلـة والانجماع عن النـاس ، وطَلَبـاً للانفراد والخَلوَة وما في ذلك من باس ، فلذلـك رُسِمَ بـالأمر الشريف العـالي ، والمولوي ، السُّلطـانِيّ ، الملكيّ ، الصَّالِحيّ العمادِي ـ أعلاه الله ، تعالى ، وشرَّفه ـ أن يستقرَّ[٥] في النيابَـة بقلعَـة صَفد المنصورة على أجمل العَوائد [وأكمل القواعد][٦] ، فليَجهـد في مُراعـاة أحوالِهـا ، وتفقُّد مبـاشريهـا ورجـالهـا ، ورمِّ مـا تشعَّث من بنـائهـا ، وإصلاح مـا تحتـاج إليـه في

(١) في الأصل : « من بأسه لما يلاقوا حرباً » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (خ) ، والوافي .

(٢) في الوافي : « غمّة » .

(٣) في الأصل : « النجوم » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .

(٤) في الوافي : « واجْتنبنا » .

(٥) في الأصل : « يسهر » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .

(٦) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .

رَبْعها[١] وفنائها ، فإن لها منه أيام والده المرحوم إيثارا ، وله في عمارتها آثارا ، فليُجْرِها على ماعهدت ، وليُزكِّها فيما له شهدَت ، ويَبذل الجهدَ في تشييدها ، ودوام تحصينها بالرجال وتخليدها ، وتثمير حواصِلَها بالسلاحِ والعُدَد والغِلال ، وعَرض رجالها النفّاعة[٢] فما الْحُصُونُ إلا بالرجال ، ومثلُهُ لا يُذَكَّر بوصيَّة ، ولا يُنبَّه على مصلحَة دانية أو قصيَّة[٣] ، ولكن التقوى هي العمده ، والكنز الذي لا يفنى في الرَّخاء ولا فِي الشِّدَّه ، وهي به ألْيَق ، وبشَدِّ عُراهُ أوثق ؛ والخطّ الشريف ـ أعلاه الله تعالى أعلاه ـ حجّتُهُ في ثبوت العَمَل بما اقتضاه ، إن شاء الله ، تعالى .

١٣٧٣ ـ قشتَمُر*

الأمير سَيفُ الدين قشتمر زَفَر ـ بفتح الزاي والفاء وبعدَها[٤] راءٌ ـ .

أولُ ما علمتُهُ من أمره أنه حضَرَ في سنة ستين وسَبع مئة من الديار المصريَّة إلى [نيابة][٥] الرَّحْبَة ، فأقام بها إلى أن حَضَر إلى دمشق ، وتوجَّه بدَله الأمير سيفُ الدين قطلو بن صاروجا . وأقام قشتمر زفر بدمشق إلى أن خرج الأمير بَيْدمُر ، فجهزه الأمير سَيفُ الدين تمان تمر[٦] نائب طَرابُلس ، فأحضره[٧] إلى دمشق ، فنقم علَيه ذلك .

ولما حضر السُّلطان الملك المنصور محمد بن حاجيّ[٨] إلى دمشق أمر بإمساك سَيف الدين قشتمر زفر فأمسك ، واعتقِل بقلعَة دمشق .

(١) في الأصل : « من ريعها » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (خ) ، والوافي .

(٢) النفاع : كثير النفع .

(٣) في الوافي : « على مصلحة أو قضية » .

* الوافي : ٢٤٥/٢٤ ، والدُّرر : ٢٤٩/٣ .

(٤) في الأصل : « وبعد » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) .

(٥) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .

(٦) كذا في الأصول ، وفي الوافي : « ثمان عشرة » ! وفي ذيول العبر : ٣٣٩ ، ٣٤٠ : « تومان تمر » .

(٧) في الأصل : « فأُحضر » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) .

(٨) (ت ٧٦٤) ، وفي (خ) : « الملك المظفر حاجي » ، وهذا بعيد لأنه توفي سنة (٧٤٨ هـ) .

وتوفِّي في محبسِهِ في يومِ الجمعة سادس عشر شوال سنة اثنتين وستين وسَبْع مئة ، رحمه الله ، تعالى .

الأنسابُ والألقابُ

☆ **ابن قُرَيشَة :** الشيخ تقي الدين محَمَّد بن بَرَكات . أخوه محي الدين عبد القادر . أخوهما الشيخ إبراهيم .

☆ **ابن قريش :** علي بن إسماعيل .

☆ **ابن قُرناص :** علاء الدين علي بن إبراهيم ، وهبة الله محمود[1] .

☆ **القَرَنْدَليّ الكاتب :** محَمَّه بن بَكتوت .

☆ **ابن القزّاز :** محَمَّد بن أحَمَد .

☆ **ابن القسطلاني :** محمد بن محمد بن أحَمد . وجَمال الدين محَمَّد بن محمد بن الْحَسَن .

☆ **ابن قطرال :** محمد بن علي بن محَمَّد .

☆ **قطب الدين السُّنْباطي :** محمد بن [عبد][2] الصَّمد .

١٣٧٤ ـ قُطُز*

الأمير سَيفُ الدين أمير آخور .

لَمّا أُخْرِجَ[3] الأمير حسام الدين لاجين أمير آخور الكبير إلى دمشق من الديار

---

(١) (ط) : « ابن محمود » .

(٢) زيادة من (ط) ، (ق) .

* الوافي : ٢٥٣/٢٤ ، والنجوم : ٢٤١/١٠ ، والدُّرر : ٢٥٠/٣ ، والذيل التام : ١٠٧ .

(٣) في الوافي : « خرج » .

المصرِيَّة ـ على ما سَيأتي ـ جُعل هـذا الأمير سَيف الـدين مكانـه ، وذلـك في شهر رجب سنـة ثمـان وأربعين وسَبع مئـة ، فبقي في الوظيفـة إلى أن خُلِـعَ المظفر حـاجّي في شهر رمضان من السَّنة المذكورة ، وتولَّى الملك النـاصر حَسَن ، فـأخرج الأمير سَيف الـدين قطز إلى نيابة صفد عند مَوت الأمير سيف الدين أولاجا نائبها ، فأقام بصفد نـائبـاً إلى ثاني شهر ربيع الأول سَنة تسع وأربعين وسَبع مئـة . فوصَلَ الأمير شهـابُ الـدين أحمـد السَّاقي إلى صفد نائباً ، ورسم للأمير سَيف الـدين قطز بـالحضور إلى دمشق ليكون بهـا مقيماً من جملة أمرائها ما عاش ، إلى أن جاءه منشوره .

بل توفِّي ـ رحمه الله ، تعالى ـ سَنة تسع وأربعين وسَبع مئة في طاعون دمشق .

١٣٧٥ ـ قطلقتَمُر قُلِي*

الأمير سَيفُ الدين النّاصِري ، أحد الأمراء بدمشق أصحاب الطبلخاناه .

كتَبَ في حقِّه أرغون شاه إلى بـاب السُّلطـان وشكاه ، وسـأل نقلتـه إلى[1] حلَب ، فأجيبَ إلى ذلك . وكان قد جُرِّد من دمشق صحبَة العَسكر إلى سيس سنة خمسين وسَبع مئـة ، فكتبَ أرغون شـاه إلى نـائب حلب أنـه إذا عـاد العَسكر الـدمشقِي يتقـدم إليـه بالإقامَة في حلب حسبَما رُسِم به ، فأقام بها تقدير خمسَة أشهر أو أقل .

وتوفِّي إلى رحمة الله ـ تعالى ـ في جمادى الآخرة سنة خمسين وسبع مئة .

١٣٧٦ ـ قطلقتَمُر**

الأمير سيف الدين . كان يُعرفُ بصهر الجالق .

وكان أحد الأمراء بدمشق ، ثم إنه ولِيَ نيابة غزة .

---

*: الوافي : ٢٥١/٢٤ ، والدُّرر : ٢٥٠/٣ .

(١) ليست في الوافي .

**: الدُّرر : ٢٥٠/٣ .

وأُمسك في جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وسَبع مئة ، وجاء عوَضه الأمير علم الدين الْجَاولي .

١٣٧٧ ـ قطلُو بغا*

الأمير الكبير الداهية الشُّجاع المقدام سَيفُ الدين السَّاقي الناصري المعروفُ بالفخري .

رجل لا يهابُ الموت ، ولا يعبأ بالفوت ، أسَدٌ يصول بمخلب من صارمه ، ويربض في غابٍ من ذوابله التي ينصّلها من عزائِمِه[(١)] ، دبَّر الْحُروب ، وثبت في موقفٍ تهربُ منه الخطوب ، كحل عيون النجوم بَمراود الرماحِ ، وضَوَّأ الدُّجى الحالك بصَباح الصِّفاح ، ونوَّرَ العَجاج فكان كالإثمد والنجوم فيه مثل العيون الرُّمد ، ومزَّقه بالبيض المرهفات لَمّا نسجَت مُلاءَته المطَهَّمَة الْجُرُد :

يَنمُّ على فَتكاتِــه زَهَرُ القَنــا كذاكَ حديثُ الزَّهْرِ يَحْلُو إذا نَمَّا
ويَحْلـو مَـعَ الْخَطِّي مِن كَلَفٍ بـِهِ ويَحْسِبُـه قَـدّاً فيُـوسِعُـه ضَمّـاً

وكان الناس يظنون به أنَّه فارس صَيْد ، لا فارس حرب وكَيْد ، وأنه حامل رايَة كاس[(٢)] ، لا حامل راية القَنا الدعَّاس ، إلى أن قام في ناصِر[(٣)] أحمَد الناصِر ، وشَهِدت له بالفروسيَّة والثَّبات الأواصِر ، وظهر عن تدبيرٍ ساعدته عليه المقادير ، وثبت في وقتِ اللقاءِ ثباتَ الأنجاد المغاوير ، وثبتَ للقاء جيش الشام بمجموعِه ، ورزَقه الله النَّصر من أول طُلوعِه ، وكان هو [في][(٤)] دون الألفي فارس ، وخَصمُه في أكثر من عشرين ألفاً ،

* الوافي : ٢٤/٢٥٥ ، وتحفة ذوي الألباب : ٢/٢٥١ ، والنجوم : ١٠/١٠٣ ، والدُّرر : ٣/٢٥٠ ، وإعلام الورى : ١٦ .

(١) (ق) ، (خ) : « بعزائمه » .

(٢) في الأصل : « راس » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) .

(٣) (خ) : « في دولة » .

(٤) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) .

إلاّ أنهم في عداد الأطلال الدَّوارس ، وكان يوماً عظيماً في النصر ، ومشهداً تفوت عجائبه العدَّ والْحَصْر ، وسار ألطنبغا في بيداء سَمْلَق[١] ، وسار الفخري ونزلَ القصر الأبلق .

ولكن قُلبَت هذه السعادة إلى تعاسَه ، فَصلت عن جَسَده راسَه ، وقطعَت من الحياة أمراسَه ، وقُتل صَبْرا ، وأُلقِيَ على الأرض شِلواً لا يُوْدَع قبرا ، فسُبحان مَن بيده تصاريف الأمور ، وبأمره ينقلبُ الْحُبور إلى الثُّبور .

وكانت قتلته بظاهر الكركِ في [أوّل][٢] المحرَّم سنة ثلاث وأربعين وسَبع مئة .

كان من أكبر مَماليك السُّلطان الملك الناصر محَمَّد بن قلاون من رفعة[٣] الأمير سيف الدين أرغون الدوادار ، ولم يكن لأحَد من الخاصكيَّة ولا من غيرهم إدلاله على السُّلطان ، ولا فيهم من يكلِّمُه [بكلامه][٤] ويرد[٥] علَيه الأجوبة الحادَّة الْمُرَّة وهو يحتمله .

وقد تقدم شيء [من ذكره][٦] في ترجمة أخيه الأمير سَيف الدين طشتمر حمص أخضر .

لم يزل عند السُّلطان أثيراً عالِيَ المكانة إلى أن أمسَكه في نوبَة إخراج أرغون النائب إلى حلَب في سنة سَبع وعشرين وسَبع مئة .

وكان الفخري ممَّن يكرهُ الأميرَ سَيف الدين تنكِز ويَحُطُّ علَيه ، وهوَ الذي ساعد الأمير حُسَين بن جندر عليه ، يقال : إنه توجَّه مرَّة إلى بابه ، وأقام ـ فيما قيل ـ من

(١) السَّمْلَق : القاع الصَّفصف .
(٢) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .
(٣) في الأصل : « وفعة » ، وأثبتنا مافي (ق) ، (ط) ، (خ) . وفي الوافي : « رفعه » .
(٤) الزيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) . والوافي .
(٥) (خ) : « ولا من يردّ » .
(٦) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .

بكرة إلى الظهر حتى أذن له في الدُّخول ، ولما أخرجَه السُّلطان معَه إلى الشام في شهر ربيع الآخر سنة سَبع وعشرين وسَبع مئة شدَّ الشِّلو في وسَطه ، وكان يَرْكب في خدمته ويترجَّل قبلَ نزوله ويَمشي في ركابه بالخفِّ من غير سَرمُوزة ، ويحصِّل الصَّيْد بين يديه ، ويطعم طُيورهُ ، ولم يزل يَدخل إلى قلبه بالخدمَة إلى أن أحبَّه ومالَ إليه . قال تنكِز مرَّة : والله أشتهي[1] أن أركبَ مَرّة ، وما أخرج ألتقي الفخري واقِفاً ينتظِرني .

قيل : إنه كانَ [له][2] واحد واقفاً دائماً بدار السَّعادة متى قُدِّمت فرس تنكِز للركوب توجَّه إلَيه وأعلمه ، ويكون هُوَ قاعداً متأهباً للمركوب ، فيركَبُ ويقف ينتظِره ، فأحبَّهُ محبَّة شديدة حتى لم يبق عنده بدمشق أعزّ منه .

وقال تنكِز عن الفخري : والله لو خدم أستاذه عُشْرَ[3] هذه الخدمة ما كان أحد منّا نال مرتبته .

كان يوماً في ضِيافة الأمير صلاح الدين بن الأوحَد[4] ، وقد شربوا القَمِز ، فدخل عليهم الأمير سَيف الدين أوران الحاجب وهو عند تنكِز بمحَلّ كَبير ، فأخذ الفخريَّ الهَياب[5] وقام وقال : عندك يا أمير ، فلم يقبلهُ ، فألحَّ عليه ، فلَم يوافقه ، فقالَ تنكِز : عندي يا أمير ، أنا أحقُّ بك ، والله يا أمراء ما عند أستاذنا أكبر منه ولا أعز ، ولو وطَّأ نفسه قليلاً ما كان عند أستاذنا[6] فينا أحد يصل إلى ركابه ، وأخذ في الثناء عليه والشكر منه ، ومنها ، وكان[7] الواقع ، وانتحَسَ أُوران بها إلى أن مات ، وكان إذا

(١) في الأصل : « ما أشتهي » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .
(٢) زيادة من (ط) ، (ق) ، (خ) ، والوافي .
(٣) (خ) : « ربع » .
(٤) هو يوسف بن شاذي بن داود ، ستأتي ترجمته في موضعها .
(٥) أي : الخوف . وفي (ق) ، (خ) ، والوافي : « المناب » .
(٦) قوله : « عند أستاذنا » ، ليس في (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .
(٧) في (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي : « كان » بلا واو .

شفع عنده ما يردُّه . ولم يزل إلى ترضَّى له السُّلطان . وكان بعد ذلك يُحضر إليه الخيل والجوارح وغيرها من السلطان .

ولم يزل في دمشق على هذا الحال إلى أن كتبَ السُّلطان إلى الفخري في الباطن[١] في إمساك تنكِز ، وقالَ له : يا ولدي ، ما خبأتك إلا لهذا اليَوم ، أبصر كيف تكون ، و [هذا][٢] من راح معه راح بلا دنيا ولا آخرة ، فاجتمع هو والأمراء بدمشق ، وخرجوا إلى الأمير سيف الدين طشتمر ، وأمسكوا تنكِز ، على ما تقدم في ترجمته ، فنظر إليه تنكِز والتركاش في وسطه ، فقال له : يا فخري ، لا إله إلا الله ، وأنت الآخر بالتركاش ؟! فقال : ما شدَّ إلاّ في يومه . ثم إنه أقام [بعده][٣] بدمشق إلى أن حضر الأمير سَيفُ الدين بشتاك وأخذ حواصل تنكِز وخزائنه ، وتوجَّه بها .

ثم توجَّه الفخري إلى مِصر بطلبه ، وعظَّمَهُ السُّلطان زائداً ، ولم يزل في أعز مكانة إلى أن توفي السُّلطان الملك الناصِر ، فأظهرَ المَيْل إلى قوصون ، وكان معه على بشتاك ، وحضَرَ إلى الشام ، وحلَّف العَساكر الشاميَّة للمنصور أبي بكر ، وذلك أيام الأمير علاء الدين ألطنبغا ، ونزل في القصر ، وخرج الناس لملتقاه ، ودعَوا له ، وخصصوه بالدعاء دون ألطنبغا ، وقدَّم له الأمراء[٤] بدمشق ، وعاد إلى القاهرة .

ولَمّا جرى للمنصور ما جرى وخلعوه وملَّكوا الأشرف علاء الدين كجك[٥] وجعلوا الأمير سيف الدين قوصون ، مالَ الفخريّ إلى قوصون ميلاً عظيماً [وقام بنصره][٦] ، وطلبَ قوصون مَنْ يتوجَّه إلى الكرك ليحاصِرَ أحمد ، فلم يجسُر أحَد غير

(١) قوله : « في الباطن » ليس في (خ) .
(٢) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .
(٣) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) .
(٤) في الأصل : « الأمير » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .
(٥) عبارة الوافي : « علاء الدين كجك أخاه » .
(٦) زيادة من (ق) ، (خ) ، والوافي .

الفخري ، فخرج هو والأمير سَيف الدين قماري في ألفي فارس إلى الكرك ، وحصَر أحمَد[١] ، ووسَّط جماعة مِن أهل الكرك ، وبالغ وربَّما أفحش في خطاب الناصر أحمَد ، فَحَقَدَها عليه ، ثم لَمّا بلغ الفخري أن ألطنبغا نائب دمشق توجَّه إلى حلب لإمساك طشتمر نائبَها ، وخَلت دمشق من العَسكر ، حضر الفخري إلى دمشق وترك الكرك ، وخرج أهل دمشق إليه وتلقَّوْه ودعَوْا له ، فدخلَها ونزلَ على خان لاجين ، واقترض من مال الأيتام مبلغ أربع مئة ألف درهم ونَفَق[٢] فيمن معه من العَسكر ، ولحق الأمير بهاء الدين أصلم ـ وهو على قارا ـ بعَسكر صفد ليلحَق الأمير علاء الدين ألطنبغا إلى حلَب ، فبَعَث إليه الفخري وردَّه ، وطلبَ الأمراء الذين تخلَّفوا في بَرِّ دمشق ، فحضروا إلَيه ، وأقام بخان لاجين ، وكتبَ إلى الأمير سَيف الدين طقزتمر نائب حماة ، فحضر إليه وتلاحقَ الناسُ به ، ولَمّا حضر طقزتمر إليه قويَ جَأشه وجَأش من مَعه .

وكان لَمّا دخل إلى دمشق أحضر الناسَ وحلَّفهم للناصِر أحمَد ، ودعا الناسَ إلى بيعته ، ومال الخلق إليه ، واستخدمَ الجند البَطّالة ورتَّبَ أناساً في وظائف ، ووعده الناس كثيراً ، وحَضر إليه الأمير شمسُ الدين آقسُنقر السلاّري لما كان في غزّة نائباً وأمسَك الطُّرقات وربطها من صرخد إلى بيروت على من يحضر من مصر إلى حلَب أو يحضر[٣] من حلَب إلى مصر ، وأمسَك البريديَّة وأخذ ما معهم ، وعمَّى الأخبار على قوصون وعلى ألطنبُغا ، وظهر بعزم كبير وحزم كثير ، وساعده القَدر وخدمته السُّعود زائداً ، حتى لقد كنت أعجبُ منه .

وصارَ أمرُه كلَّما جاء قويَ ، وأمْرُ ألطنبغا كلّما جاء انحلَّ وضعف ، وتردَّدت الرُّسُل بينه وبين ألطنبغا ، وطالَ الأمر بينَهما ، ولم يزالا كذلك إلى أن وَصَل ألطنبغا من

(١) عبارة الوافي : « وحَصَرَ النّاصر أحمد » .
(٢) (خ) : « وأنفق » .
(٣) في (ق) ، (ط) ، (خ) : « أو من يحضر » .

حَلَب ونزلَ القطيّفة ، وأقام بها ثلاثة أيام ، وجبنَ عن لقاء الفخري ومعه عسكر دمشق وعسكر حلب[١] وعسكر طرابلس في عـدّة تسعَـة عشر ألف فـارس أو أكثر ، وضعفت نفوسُ الذين مع الفخري ؛ لأنهم دون الثلاثـة آلاف بمن معهم مِن رجّالـة[٢] الجبَليَّـة من أهل البقاع وبَعلبك ، وتردَّدت القضاة بينَهما ، ومَـال الفخري إلى الصُّلح وقـال : أرجع عنـك بشرط أن تـوفي عني مـالَ الأيتـام ؛ لأنني أنفقت عَلى مَن معي من العَسكر ، ولا تقطع مَنْ رتَّبته في وظيفةٍ[٣] . فتوقَّف ألطنبغا ، وطـال التَّردُّد بينهما ، والعسكران في المصافِّ ، وهَلك مَن مَع ألطُنبُغا مِنَ الْجُوع ؛ لأن عسكر الفخري حالَ بينهم[٨] وبينَ دمشـق ، وسَيَّبَ الميـاه على الْمَرج ، فحـالَ بينـه وبين حريمـهِ ، وبين العسكر وبين دمشق ، ولو نزل ألطنبغا ولم يقف بالقطيفة داسَ الفخري ومَن معَـه دَوْسـاً ، ولو وافق الفخري على مـا أراد ودخل إلى دمشق دخلَهـا ومَلكهـا وبقي على حـالـه نـائبـاً ، وكان الفخريّ يَكـونُ ضيفـاً عنـده تحت أوامره ونـواهيـه ، ولكن إذا أراد الله أمراً بَلَغـه ، فلم يَكن ذلك النهار إلاَّ بمقدار الثالثـة منَ النَّهـار حتى مَـالَ العَسْكر الشـامي بمجموعِـه إلى الفخري ، وحركوا طبلخاناتِهم وتحيَّزوا إلى الفخري ، وتركوا ألطنبغا وحـده على مـا مرَّ في ترجمتـه ، فهربَ فيمَن هرب معـه من الأمراء ، ودخل الفخري بعسـاكره إلى دمشق ، ومَلكها ونزلَ القصرَ الأبلَق ، وأخذ في تحليف العَساكر للسُّلطـان الملـك النـاصِر أحمـدَ ، وجَهَّزَ[١] إليه ليَحضُر إلى دمشق ، فقال : جَهِّز لي الأمراء الكبارَ الذين عندكَ . فتوجَّـه إلَيـه الأمير سَيفُ الـدِّين طقـزتمر ، والأمير بهـاء الـدِّين أصْلَم ، والأمير سَيف الـدِّين قُماري ، وعلم الـدِّين سليـمان بن مهنّـا ، فتوجَّهوا إلى الكرك ، وعـادوا ولم يحضُر مَعَهم ، ووعـده بـأنـه إذا حضَر طشتمر نـائب حَلَب حَضَرْت ، فـأخـذ الفخري في العَمـل[٤] على

(١) في الأصل و (ط) : « الشام » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) ، والوافي .

(٢) (ق) ، (ط) ، (خ) : « رجال » .

(٣) في الأصل و (ط) : « قطيفة » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي .

(٤) في الوافي : « بينه » .

(٥) (ط) : « وجهّزه » .

(٦) في الأصل و (ط) : « فأخذ الفخري للعمل » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) ، والوافي .

حُضور طشتمر من بلاد الرُّوم ، ولَم يـزل في الليـل والنهـار يعمَل على ذلـك إلى أن حَضَر ، ووصل إلى دمشق ، فخرج وتلقّاه ، وأنزله بالنَّجيبيَّة على الميـدان ، وحَمل إلَيـه مالاً عَظيماً .

ووَرَدت كتبُ الملك النـاصِر أحمـدَ إلى الأُمراء الكبـار[١] بـالشـام تتضمَّنُ أن الأمير سيف الدِّين قُطلُوبغا الفخري هو كافل الشام يولِّي النيابات الكبار لمن يختـار ، فوجَّـه الأميرَ علاء الدِّين طيبُغا حاجي إلى حلَب نائباً ، ووجَّه الأميرَ حسام الـدِّين طرنطـاي البشمقدار إلى حمص نائباً ، ووَجَّه الأمير سيف الدِّين طينال إلى طَرابُلس نائباً ، وشرع في عَمل آلات السَّلطَنة وشعار الملك[٢] ، ويسـأل مِن النـاصِر أحمـدَ الحضور وهو يسوِّف بـه وبـالأمير سيفَ الـدِّين طَشتمر إلى أن عـزم الفخري وطَشتَمُر على التَّـوجُّـه إلَيـه بالعَسـاكر ، فلَمَّـا خَرجوا مِن دمشق وسَمِع بهم توجَّـه هو وَحـده إلى القـاهِرة ، فتوجَّهـا بـالعَسـاكر إلى القـاهِرَة ، فلَمّـا قـارَبـا القـاهِرة بعَث إلى الفخري وإلى طَشتَمُر مَن يَتلقـاهُما ، وأكرمَ نُزلهما ، واستتبَّ الأمرُ للنـاصِر أحمـد ، وحَلَفَ المصرِيـون والشـاميُّون له ، وكان يوم الْبَيْعَة الفخريُّ واقفاً مشدود الوسَـط ، وبيَـده عصاً محتفلاً بـذلـك الأمر احتفالاً كبيراً .

وخرج الأمير سَيفُ الـدِّين آقسُنقر النـاصِري إلى غـزّة نـائبـاً ، وخرج الأمير ركن الدِّين بَيْبرس الأحمَدي إلى صَفد نائباً ، وخرج الأمير سَيفُ الـدين الملك إلى حَماة نائباً ، وخرج الأمير علاء الدين أيدغمش أمير آخور إلى حلب نائباً ، وخرج[٣] الفَخريُّ بعـد الْجَميع إلى دمشق نـائبـاً ، فلما كان قريبـاً من العريش لحقـه الأمير علاء الـدِّين ألطنبغا المادراني في ألفيّ فـارس لإمسـاكِـه والقبض عليـه ، فـأحسَّ بـذلـك[٤] ، ففرَّق

---

(١) (خ) والوافي : « الأكابر » .

(٢) في الأصل : « وشعار السلطنة الملك » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) (ط) ، (خ) والوافي .

(٣) ما بين « خرج » و « خرج » ، سقط من (خ) .

(٤) في (ق) والوافي : « بالقضية » .

ما معه من الأموال وهربَ في نفر قليل من مَماليكه ، ولحق بالأمير علاء الدِّين أيـدغمش وهو على عين جالوت ، واستَجار به . فأكرمَ نُزُلَـهُ أوّلَ قـدومِـهِ ، ثُمَّ بَـدا لـه فيا بعـد ، فأمسَكَهُ وقيَّده وجهَّزَه مع ولده أمير علي إلى القاهرة ، فلَمّـا بَلغ النـاصِر أحمـدَ إمسَـاكُـه خرج إلى الكرك ، وأخذ معه طَشتَمُر ـ وكان قد أمسَكه أوّلاً عَلى مـا تَقـدَّم في ترجمتـه ـ وسَيَّر إلى[١] أمير علي مَن تَسَلَّم الفَخريَّ منه ، وسَارَ به إلى الكرك ، ودَخل الناصِر أحمـدَ الكرك ، واعتقل الفخريَّ وطشتمر بالكرك مدة يَسيرة ، فيقال : إنَّهما في ليلة كَسَرا بابَ حَبْسِهما وخَرَجا ، ولو كان معهما سيف أو سلاح ملكا قلعـة الكرك تلـك الليلـة ، وكان الناصر أحمد في تلك الليلة قـد بـات خـارج القلعـة ، ولـما أصبح أحضرهـا وقتَلَهُما صبراً قدّامَه .

يحكى أن طشتمر خـارَ من القتـل وضعف وانحنى ، وأمـا الفخري فلم يهب المـوت ، وقال للموكّلين بها : والكم قدِّموني[٢] قبل أخي هذا ، فإن هذا مـالـه ذنبٌ ، لعلـه يحصُلُ له بَعْدِي شفاعة . وكان قتلهما في التاريخ المذكور .

وكان الفخري شجاعاً مقـدامـاً أريبـاً داهيـةً حليـاً جوَاداً أميَّـاً لا يُحسن[٣] يكتُبُ شيئاً[٤] ، وإنما يكتبُ على التواقيع وعلى الكتب دواداره طغاي .

قـال لي القـاضي شهـابُ الـدين أحمـد بن فضـل الله : مـا رأيت أكرم منـه ، لا يستكثر[٥] على أحد شيئاً يطلبُه[٦] . انتهى .

قلتُ : ولما جاء ونزل فِي القصرِ الأبلق بعد هروب ألطُنبُغا كتب كتباً على لسـانـه

---

(١) في الأصل و (ط) : « وسلّم على » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) والوافي .

(٢) في (ق) ، (خ) والوافي : « بالله قدموني » . وقوله من بعد : « أخي » . ليس في (خ) .

(٣) (خ) : « لا يحسن أن » .

(٤) (ط) ، (خ) والوافي : « يكتب اسمه » .

(٥) في الأصل : « لا يستكبر » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) والوافي .

(٦) (خ) : « يطلبه منه » .

إلى الأمراءِ المصريين ، ورمى بينهم ، فاختلفوا على قوصون وأمسكوه ، هذا وهم في قصر دمشق فعَل هذه الفعلة ، فكنت أعجَبُ من دهائه مع غُتميَّتِه وأميَّتَه ومَا دبَّره وما اعتمده حتى خبط الشام ومصر . على أنه لما أدبرت سعادته كان حتفه فيما دبَّرَه :

إنَّ المقـــــــادير إذا أُبْرِمَتْ ألْحَقَتِ الحــازِمَ بــالعــاجِـزِ

ولقد أقولُ إذا فكَّرتُ فيه :

أضــاعُـوهُ وأيَّ فَتًى أضــاعُـوا لِيَـوْمٍ كريهَــةٍ وسَــدادِ ثَغْرِ (١)

وقلتُ أنا فيه لَمّا قُتِل ـ رحمه الله ، تعالى ـ :

سَمَتْ همَّــةُ الفَخريِّ حتَّى تَرَفَّعَتْ عَلى هـامَـةِ الْجَـوْزاءِ والنَّسْرُ بـالنَّصْرِ
وكانَ بـهِ لِلْمُلْكِ فَخْرٌ فَخـانَـهُ الـز زمـانُ فـأضْحى ملـكُ مِصْرَ بلا فَخْرِ

ولَمّا كان بعد واقعته جَلَسْنا يوماً بحماة في خِدْمَة القاضي شهاب الدِّين بن فَضْل الله ، فأخذ في نظم شيء مِن المجون مع شخص ينبسط معَه ، ونظَم هوَ وغيره أشياء ما بين هَجوٍ وما بين مجون ، وألزمني ، فاستعفيت ، فقال : لا بد ، وأقسَمَ عليَّ ، فقلتُ :

هَـل لَـكَ في أيرٍ غَـدا رأسُـهُ تَعجبُ منـــهُ قُبَّـــةُ النَّسرِ
لَـو أنَّــهُ في جَيشِ ألطُنْبُغـا خَرِي لــهُ قُطلُـوبُغـا الفَخريّ

فأعجَباه وزهزَهَ لها كثيراً ، وقال : ما بَقي بعد هذا شيءٌ ، وترك ما كان فيه .

١٣٧٨ ـ قُطلُوبُغا*

الأمير سَيف الدِّين النّاصِري الْمَعْروفُ بالمغربيِّ .

(١) أصل البيت : « أضاعوني .. » . والبيت للعرجي في ديوانه : ٣٤ ـ ٣٥ ، (ط . بغداد ـ ١٩٥٦) . وانظر الشعر والشعراء : ٥٧٨/٢ .

* الدُّرر : ٢٥٢/٣ ، والنُّجوم الزاهرة : ٢٦٩/٩ .

كان [قد جاء] في بُشْرى بعافية السُّلطان إلى دمشق لما كان قد مَرِض السُّلطان وعُوفِيَ ، وحصل لَهُ شيء كثير من تنكز ومن أمَراء الشّام .

وكان أمير مئة مقدَّم ألف ، وكان قد حضر مَع رَسول القان بوسَعيد من القاهِرة ، فوصَّلهُ إلى الفرات(١) ، وعادَ إلى القاهِرَة ، فمات عندَ وُصوله إليها في ثامِن شهر رمضان سَنة سَبع وعشرين وسَبع مئة .

وكان فيه دِينٌ وخيرٌ . حَجَّ في وقت بالركب المصرِيِّ ، رحمَه اللهُ ، تعالى .

١٣٧٩ ـ قُطلوبَك*

الأمير سَيف الدِّين المنصوري المعروف بقُطلوبَك الكَبير .

كان أميراً إذا قيل : أمير ، لا بل مَلكاً على تحقيق قدرِه الكبير ، لم يَر النـاسُ مثـل رَخْتِه ، ولا مثل جُلوسِهِ في سعادة تختِه ، أموالٌ تَفوق الأمواج ، وخُيول حصونها أعظم من الأبراج ، ومَماليكٌ كأنهم الكواكب ، وحَفَدة تتجمَّل بهم المواكب ، وآلات ، تفتخر بها البُدور في الهالات ، حتّى كان النّاسُ يعجَبونَ مِن بذخه ، وعُنفُوانِ سَعده الزائد وشرخه .

وكان ذا خِبرة ودهاء ، ومعرفة بالأصنافِ واعتناءٍ في الاقتناء ، وتوجَّهَ إلى السُّلطان الملك الناصِر وأحضَرَهُ مِن الكرك ، والتزم له بأنّه لا همَّ يَنالـه ولا دَرَك ، وهو الذي أتى به ، وأخذ في توكيد ملكه وأسبابه ، ويقالُ : إنَّه هو الَّذِي قامَ له بشِعار الملك مِن عنده ، وكلَّما احتاج إلَيه في ذلك الْمُهِمِّ عَجَّله في نقده ، حتى إنَّ الْحَوائص الفضَّة والذَّهَب أحْضَرَها في أطباق الغسيل ، وزاد في هذه الأشياء وأمثالها(٢) حتى عجبَ منه

---

(١) عبارة الدُّرر : « سفر رسولاً إلى بوسعيد ملك التَّتار ، فوصل إلى الفرات » .

* الوافي : ٢٦٠/٢٤ ، والدُّرر : ٢٥٢/٣ .

(٢) في الأصل : « أمثالها » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

الفرات والنِّيل ، فعظَّمه السُّلطان ، ووعده بأن يكونَ في دمشق نائبـا ، وأن يكون هُوَ حاضر الملك إذا كان هوَ غائبا . ثم إنه [من][1] مصْرَ أخرجَه إلى صَفد نـائبَهـا ، وألزَمـه أن يكفيَها مَهامَّها ويكفِ نوائبَها ، ثم إنَّه أمسَكه فيها بعد قليل ، وأذاقـه فيهـا الْخَطبَ الجليل . وقبض عليه في رابع عُشْرَي جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وسَبع مئة بصفد ، وحُمل منها إلى الكرك .

وفي شهر رجب سنة إحدى عشرة حمل بكتمر الْجُوكنـدار إلى الكرك ، واعتقل مع كراي وقطلقتمر صهر الجالق وأسندمر نائب طرابلس وبتخاص .

كان الأمير قَطلـوبـك[2] الكبير ـ رحمـه الله ، تعـالى ـ مؤاخيـاً لسَلاَّر ، ووليَ الحجـوبيَّـة في مصر ؛ لأنـه كان قـد ولِيَ الشَّـدّ بـدمشـق عـوضاً عن جـاغـان لما قتـل حسَام الدِّين لاجين مُـدّة يسيرة إلى أن وصل السلطـان منَ الكرك إلى مصر ، فـأعرض عن الشَّدِّ ، وتوجَّه إلى مصرَ في يوم الأحَد سادس عُشْريّ جمادى الأولى سَنة ثمـان وتسعين وستّ مئة ، فولاَّه السُّلطان الحجوبيَّة عوضاً عن الأمير سيف الدِّين كرت[3] لَمّـا قُتِل ، فعملَها عملاً صَغرت النيـابـة معـه فيهـا ، وقلَّ قَـدْرُهـا ؛ لجمع الأمراء عليـه والأويراتيّـة والوافدين ، ومَدِّ السماط لهم وإفـاضَـةِ الخلع عليهم ، فـأهَمَّ البُرجيَّـة أمره خوفـاً من قوة شوكة سَلاَّر ، فأُخرج إلى الشام ووليَ نيابَة طرابلس ، فكرِهَهـا ، واستَعـان بـالأفرم في الإقالة منها ، فأقيل . ثم كانت بينه وبين أسندمر الكُرْجي نائِبها بعـده مُصـاهرة ، كان معين الدِّين بن حُشيش هو السّاعي فيها .

واستقرَّ قطلوبـك الكبير في دمشق من مُقَـدَّمي الألوف ، ولم يَمشِ إلاّ مَشْيَ عظماء الملوك من فرط البَـذخ والتَّجمُّل وعظم الخـدم والحشم والأتبـاع [و][4] وفور الحـاشيَـة

(١) زيادة من (ط) ، (ق) .

(٢) (ط) : « سيف الدِّين قطلوبك » .

(٣) في الأصل : « شرف الدِّين » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ط) ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٤) زيادة من (ط) .

وكثرة الغاشيَة مِمَّا لا يقوم مَغَلُّ إقطاعه بثلث الكلفة له ، وكلَّمَا طالَ الزَّمان ومرَّ عَليه ازداد في ذلك أمره ، وكان لا يدري من أين مَدَده ، ولا كيف تُنْفِق يَدُه ، وظهر من الأفرم كراهيَة له ؛ لأنه بان له تكبره عَلَيْه ، فوقع بينهما ، ودخل الحاج بهادر وبَكتمر الحاجب وغيرهما من الأمراء [بينهما][1] ، فاصطلَحا ، وأوجَبُوا على قطلوبك الشكران[2] ، فعَمل ذلكَ في المرج .

قال القاضي شهابُ الدِّين بن فضل الله : أنفق فيه ما يقارِبُ الثلاثين ألفَ دينار ما بينَ طَعام وشَراب وخلع[3] وتقادُم للأفرم وحاشيته ، وكانت الضِيافة ثلاثة أيام لم ينقطِعْ مَدَدها . قال : وكنت مِمَّن حضرها ونظرَها ، وهيَ تزيد عَلى الوصفِ .

قال : والتزَم مرّة بدرك الرحْبَة سَنة حملاً عن الأمراء ، وجرَّ نحو مئة جنيب من الْخَيل غير الهجن مجلَّلات بالحرير ملبسات حُلِيَّ الذهَب والفِضَّة ، جميعُها باسمه ورنكِه ، وأقام بالرحبَة عشرة أشهر غير مَسافات طرقه ، وكان يقيم بأكثر الجند المضافين إلَيه ، فأمَّا جُنْدُه [فلا يتكلَّف أحدٌ منهم شيئاً في مدَّة بيكاره][4] قال : فحكى لي صاحِبنا الشريف ناصر الدِّين مُحَمَّد الحسَيني ـ رحمه الله ، تعالى ، وكان من مضافيه[5] ـ من هذا ما تَعجَبُ منه ، وقال لي : كان راتب شرابخانته في شهر رمضان في كل يوم وزن خمسَة وعشرين رطلاً بالدمشقي من السكر ، وبنى بالرحبة جامعاً وقصراً وميدان كُرة ومنازل للجند .

قال : ولما أتى السلطان من الكرك إلى دمشق كان [لا][6] ينفق في مدَّة مُقامه

(١) زيادة من (ط) ، (ق) .
(٢) في الوافي : « الشكرانة » .
(٣) في الأصل : « في خلع » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .
(٤) زيادة من الوافي .
(٥) في الوافي : « مصافيه » ، ولعلها أشبه .
(٦) زيادة من (ق) ، (ط) ، والوافي .

بدمشق تلك الأيام إلاّ من خزائنـه ، وسَفرِه[١] ، إلى أن دخل إلى مصر ، وهو من دمشق على وَظيفة الأستاذ داريَّة ، ثم أخرجه إلى صفد نائباً ، فأقام بها إلى أن أمسكه .

وكان قطلوبك بُغَا يعاني زِيَّ المغل في لبس الكنبك والطرز بين كتفيه ، وركوب الأكاديش غالباً ، وكان أسمرَ شديـد السُّمرة بطيناً حسن الصُّورة ، يكتبُ خطّـاً جيِّـداً قويّـاً ، ولـه إلمـامٌ ببعض عربيَّـة وفقـهٍ وحَـديث ، وعنـده تنـدير ووَلـع[٢] على سبيـل اللعب ، وله شِعر منه ما عمله في مجلس الأفرم في ساقٍ يَسقيهم القمزِ ، فقال :

أمير الحسنِ سَـــاقِينـــا يُحَيِّينـــا فَيُحْيينـــا
فَيـــالله مَـــا أحلَى إشـــاراتِ الْمُحبِّينـــا

فأمر الأفرم الشيخ صدر الـدِّين بن الوَكيل ـ رحمـه الله ، تعـالى ـ بـأن يزيـد عليهـا ، فَذَيَّلها بأبيات ، ثمَّ إنَّه أمرَ بها فَلُحِّنت ، وغُنِّيَ بها عامَّة يومه .

قلت : إلا أنه كان يَأخذ أموالَ الناس ، وما يعطيهم شيئاً ، وإذا اشترى من أحـد شيئاً ما يعوِّضُه بثمنه ، فأخذ مرَّةً من تاجرٍ شيئاً ، وحـال مـا بينـه وبين ثمنـه ، ولم يجـد التـاجر مَن يخلص حقَّـه ، فشكا حـالـه إلى الشيـخ تقيّ الـدِّين بن تيميَّـة ـ رحمـه الله ، تعالى ـ فتوجَّه معه إلَيه ، فلمـا دخل إليـه قـامَ لـه وأجلسَـه ، وقـال : شيخ ، إذا رأيت الأمير ببـــابِ الفقير فنعم الأمير ونعم الفقير ، وإذا رأيت الفقير ببـــابِ الأمير فبئسَ الأمير وبئس الفقير . فقال له الشيخ تقيّ الدِّين : اسمع قطلوبَك ، لا تعمل دركوانـات العجم ، موسى كان خيراً مني ، وفرعون كان أنحسَ منك[٣] ، وكان موسى يَأتي إلى بـابـه كل يوم ويأمره بالإيمان ، أعطِ[٤] هذا التاجر مالَه . فقال : نعم ، ووزن له الذي له .

(١) مراده : في مدَّة مقامه وسفره . وعبارة الوافي أوضح مِمّا هنا .

(٢) في الوافي : « ودلع » .

(٣) في الأصل : « معك » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

(٤) في الأصل و (ط) : « أعطي » .

وعمل عيد النحر في صفد ، فنحر من الضَّحايا بقراً وغنماً ما يزيد على الوصف ، وبعث بذلك إلى الزوايا والفقراء ، وجافت[١] بذلك صفد ، وأنتنت بأسقاط الأبقار والأغنام ، ولم يجد ذلك من يَأكله .

١٣٨٠ ـ قطلُوبك بن قراسُنقر*

الأمير سَيفُ الدِّين ابن الأمير شمس الدِّين الجاشنكير ، أحد أمراء الطبلخانات بدمشق .

كان ظريفاً في عِباراته ، لطيفاً في إشاراته ، عليه خَفَر أولاد الناس ، وفيه مباينةُ غَيْرِهِ من غرائب الأجناس ، يتأنّق في مآكله الشهيّه ، ويتخرق في ملابسه البهيّه ، يترامَى على ودِّ أصحابه ، ويخالط كل أحد بِمَا هُوَ أولَى به ، وله ندماء وعُشراء ، وأصحابٌ وخُلَطاء .

ولم يزل على حاله إلى أن ذابت شحمتا عينيه ، ووجد ما قَدَّمَ من الأعمال بين يديه .

وتوفِّي ـ رحمه الله ، تعالى ـ في سابع شهر ربيع الأوّل سنة تسع وعشرين وسَبع مئة .

كان قد باشَر الحجوبيَّة بدمشق عوضاً عن الأمير شهاب الدِّين قرطاي في سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، وَعُزِلَ منها في ...[٢] وبقي على إمرته ، ونَدَبَه الأمير سيف الدِّين تنكِز إلى عمارة القناة التي ساقَها من عين عَرُّوب إلى القدس ، ولَمّا فرغ من ذلك طلبه السُّلطان الملك النّاصر مُحَمّد ، وطلبَ الصُّناع الذين كانوا معه في العَمَل ، فتوجهوا في البريد ، وَلما وصَلوا قالَ لهم السُّلطان : أريد أن أسوقَ خليجاً من

(١) أي كثرت فيها الجيف .

* الدُّرر : ٣/٢٥٤ .

(٢) كذا بياض في الأصل و (ط) و (ق) .

النيل إلى سوق الخيل تحت القلعَة ، وأرميه على القاهرة . فتوجه الأمير قطلوبك[١] بالصُّناع إلى حُلوَان ، ووزنوا مجرى الماء وعادوا ، وقالوا للسُّلطان : هذا يصير بسَعادتك . قال : كم يريد ؟ قالوا : ثمانين ألف دينار ، قال[٢] : ما هو كثير ؟ قالَ : وكم يريد من المدّة ؟ قالوا : عشر سنين ، فقالَ : هذا كثير . وبطل ذلك العَزم ، وأعادهم إلى دمشق .

ولَمَّا جاء الأمير شرفُ الدِّين حسَين بن جندربك إلى دمشق ليتوَجَّه منها إلى القاهرة لَمّا طلبَه السُّلطان في سنة سَبع وعشرين وسَبع مئة اجتمعا وتحادثا ، وانشرحا لما بينهما من الروميَّة التي تجمعهُما ، وذكرا قديم صحبتهما ، وأحضَر أمير حُسَين وصيَّة كنت كتبتها له بصَفد ، وقرأتها عليهما . ومما وصَّى به فيها يقول : فإن مات بدمشق فيدفن في تربتهم بجبَل قاسيون المعروفة بهم ، وإن ماتَ بالقاهرة يدفن في بيت الخطابة بجامعه الذي أنشأه ظاهر القاهرة بحكر جوهر النُّوبي ، وإن مات في الغزاة يترك في مكانه في الفلاة ليبعثه الله ـ تعالى ـ من حواصل النُّسُور وبطون السِّباع . فقال قطلوبك بن الجاشنكير : والله يا أمير شرف الدِّين لقد اخترت ميتة عجيبَة ، والله أنا ما أشتهي أن أموت إلاّ على فراشي ، ونطوعي ومخادِّي المزركشة في باشخاناتي ، ويخرج نعشي وعلَيه الرَّيحان والياسمين ، وجواريَّ من خلفي يبكينَ عليَّ ويندبنني . فعجبتُ من تفاوت قصديهِما ، رحمها الله ، تعالى .

١٣٨١ ـ قطلُوبك*

الأمير سَيف الدِّين الشيخي ، أحد أمراء الطبلخانات بدمشق .

توفِّي ـ رحمه الله ، تعالى ـ بدمشق في خامس شهر ربيع الآخر سَنة اثنتي عشرة وسبع مئة .

(١) (ط) : « سيف الدِّين قطلوبك » .
(٢) في الأصل : « وقال » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .
* الدُّرر : ٢٥٤/٣ .

١٣٨٢ ـ قطلُوتمرُ*

الأمير سَيف الدّين الخليلي الناصِري .

كان من جملة الأُمراء بدمشق ، وولاَّهُ الأمير سيف الدّين طقزتمر نائب دمشق الحجبَة . وكان حاجِباً صغيراً ، وعمَّر الدار التي في العُقيبَة قبالة سوق الخيل والمئذنة والمسجد ، وله الدارُ التي في القصَّاعين ، وبقِيَ على ذلك إلى أن حضرَ الأمير حسام الدّين طُرنطاي البشمقدار من القاهرة متوجِّهاً إلى حمص نائباً في أول دولة الكامل شعبان ، ولَمّا وصل القَسْطَل حضر البَريد مِن مصر بردّه وأن يتوجَّه الخليلي مكانه إلى حمص[1] نائباً ، فتوَجَّه الأمير سيف الدّين قطلوتمر ، وأقام بحمص قريباً من شهر .

وتوفِّي ـ رحمه الله ، تعالى ـ في أواخر جمادى الآخرة سَنة ستّ وأربعين وسَبع مئة .

١٣٨٣ ـ قُطلِيْجا**

الأمير سيف الدّين الْحَمويُّ الناصِري الجَمدار .

كان حسَنَ الصورة بهيّا ، لطيف الحركاتِ شهيّا ، أبيض تعلوه حمرة قانِيَه ، نقيَ الثغر كأنه أُقحوانة في الروض زاهِيَه ، معتدل القوام ، مبتسماً على الدَّوام ، إلاّ أنَّه في حَماة أساءَ السيره ، ولَم يجعَل التَّقوى ظهيره ، ونقل منها إلى حلب فما تمتع بها ، ولا لحق أمْرُه يتمسَّك بسببها ، إلى أن ذَوَت زهرته اليانِعَه ، وقامت به الناعيَة الرائعه .

---

* الوافي : ٢٦١/٢٤ ، والدُّرر : ٢٥٤/٣ ، وأشار إليه صاحب البداية : ٢١٣/١٤ بلفظ : « تقطم الخليلي » ، وورد اسمه في الذيل التام : ٨٢ ، بلفظ : « طقتمر الخليلي » .

(١) صريح كلام الدُّررلأنه ولي نيابة صفد وبها توفي .

** الوافي : ٢٦٢/٢٤ ، والدُّرر : ٢٥٥/٣ ، والذَّيل التّام : ١١٣ .

وتوفِّي بحلَب ـ رحمه الله ، تعالَى ـ في آخر نهار الخميس خامس جمادى الآخرة سنة خمسين وسَبع مئة .

لما توفِّي الملك الناصِر أستاذه عهدي به وهو أمير عشرة بالدِّيار المصريَّة ، ثم إنَّه تأمَّر طبلخاناه ، وحضر إلى دمشق ، وأقام بها أميراً مدّة في أيام الكامل شعبان ، ولما تولَّى(١) المظفر حاجي ونقل أسندَمُر العُمري من [نيابة](٢) حَماة إلى نيابة طرابلس طلبَ قُطليجا(٣) المذكور إلى مصر ، ورسم له بنيابة حَماة ، فحضر إليها ، وأقام بها . وهو الذي أمسَك الأمير يلبغا(٤) اليحيوي لَمّا خرجَ على المظفَّر ، على ما سَيأتي في ترجمتِه .

ولم يزل قُطلَيجا في حماة نائباً إلى أن قتل أرغون شاه نائب دمشق ، ورسم للأمير سيف الدين أرقطاي بنيابة دمشق ، وأن يكون قطليجا بدله في نيابة حلَب ، فتوجَّه إليها ، ودخلَها في العشر الأوسَط من جمادى الأولى سنة خمسين وسَبع مئة ، فأقام بها أيّاماً قلائل .

وتوفِّي ـ رحمه الله ، تعالى ـ في التاريخ المذكور .

١٣٨٤ ـ قطليجا*

الأمير علاء الدِّين بن الأمير سيف الدِّين بلبان الجوكندار ، وأحد(٥) أمراء الطبلخانات بدمشق .

كان أبيض أزهر اللون ، حسَن الشَّكل تامَّ الكون ، ظريف الحركات ، لطيف

(١) (ط) ، (خ) والوافي : « ولي » .

(٢) زيادة من (ط) ، (خ) ، (ق) .

(٣) (ط) ، (خ) : « سيف الدِّين قطليجا » .

(٤) (ط) ، (خ) : « سيف الدِّين يلبغا » .

* الدُّرر : ٢٥٥/٣ .

(٥) في (ط) ، (ق) : « أحد » بلا واو .

السَّكنات ، على وجههِ مسحَةُ جَمال ، وفيه من البدر حُسْنُهُ ليلةَ الكمال . لم يُرَ أزرق العَين أحسَن منه مقلَه ، ولا أفتك مِن جفونِه في كل حَمْله .

وكان الأفرم يعضُّ على حُبِّه بالنَّواجذ ، وله في حسنه إدراكاتٌ وما عليه فيها مآخِذ ، وكان هو ليسَ في دمشق من يلعَبُ مثله بالكُرَه ، وله في الْمَيدان صولة بها ومَقدِرَه ، إلى خصائص أُخر من فروسيَّته ، ومحاسن تذهل العقولَ إذا فكرت في انفِراده وجمعِيَّته .

ولَم يزل على حاله إلى أن أصبح شخصه مع قربه أبعد من أمسِه ، وتخيَّل النّاس أن النجمَ دفن في رمسه .

وتوفِّي ـ رحمه الله ، تعالَى ـ يَوم الْجُمعَة تاسع عشر جمادى الأولى سنة عشرين وسبع مئة ، وكان في عشر الأربعين .

لَمّا جاء السُّلطان الملك النّاصر من الكرك إلى دمشق جعله في عداد السِّلاح داريَّة ، وكان ـ على ما قيل ـ يسُوقُ الفَرَس ، ويأخذ نصف السَّفرجلة من غصنها ، ويَدع النصفَ مكانه وهو في أقوى مشوار الفرس ، وهو أمر معجزٌ لغيره .

وأمَّا اللعب بالكرة فكان فيه غايَة ، يقال : إن برديَّته كانَتْ زنة مئتي درهم وخمسين درهماً ، ولقد جاء إلى صفد مرات والْجُوكندار الكبير في صفد نائب ، وكان يلعَبُ هو والأمير ناصر الدِّين مُحَمَّد بن الْجُوكندار ، وكنّا نتفرَّج عليهما ، ويقول الناس : هذا طُبْجي مصر [وهذا طبجي دمشق][٦] . وكان الأمير ناصر الدِّين أرشق على ظهر الفرس وأسرع حركة ، والأمير علاء الدِّين قطليجا إذا تناولَ الكرةَ بصَوْلجانه ما يحتاج معه إلاّ ضربة واحدة وقد بلَّغها الْمَدى .

ورأيته ـ رحمه الله ، تعالى ـ كثيراً ما يتقيَّأ ، ثم بعد ذلك يتغرغر بالخلِّ والماورد ،

(٦) زيادة من (ط) ، (ق) .

هـذا دائمـاً ، وكان يَحْسُو من دهن اللوز المربَّى شيئـاً كثيراً قِنِّينـة قِنِّينـة ، وكان لـلأمير سَيف الدِّين قطلوبك الكبير إليه ميل ، ولَمّا جاء إلى صفد نائباً أحضره من دمشق إلى صفد أميراً ، ولَمَّا أُمسك قطلوبَك عاد قطليجا إلى دمشق على مكانه .

اللَّقَبُ والنَّسَبُ

☆ **القَفصِي** : محمَّد بن سُليمان .

☆ **ابن قطينة** : شهاب الدِّين التاجر أحمد بن محمَّد ، وزين الدِّين عمر بن أحمد .

☆ **قُطُنْبَة** : شرف الدِّين حسن بن محمد .

☆ **ابن قُلَيْلة** : عُمَر بن عوض .

١٣٨٥ ـ قلاوُز*

الأمير سيف الدِّين الجَمدار الناصِري .

كان من جملة أمراء الطَّبلخانات بدمشق ، ثمَّ إنَّه أعطي إمرة مئة وتقدمَة ألف .

ولاَّه الأمير سَيفُ الدِّين طقزتُمر نيابة حمص ، فأقام بها مـدّة . ثمَّ إنَّـه عُزِلَ منهـا ، وكانت ولايتـه لحمص بعـد الأمير سيف الـدِّين بكتمر العـلائي ، ولَمّـا عُـزِلَ من حمص [حضر إلى دمشق و](١) أقام بها ، وتقدَّم عندَ الأمير سَيف الدِّين يلبُغـا . ولمـا برَّز إلى الْجُسُورة في أيام الكامل عاضـده ووازره ، ولَمّـا انتصر رعى ذلـكَ لـه ، وصـار حظيّـاً عنـده يلازمُـه وينـادمُـه . ولَمّـا كانت المرة الثـانيـة برز معـه إلى الْجُسـورة في الأيَّـام المظفريَّة ، ولَما هربَ يلبغا لم يتوجَّـه معَـه أحَـدٌ من الأمراء غيره وغير محمـد بن جُمق ،

---

* الوافي : ٢٤/٢٦٦ ، والدُّرر : ٣/٢٥٨ ، وذيول العبر : ٢٦٢ ، وفيها : « قلاوون » .

(١) زيادة من (خ) ، والوافي .

على[١] أنه كان قد أودع خزائنه في داريّا ، وأراد أن ينهزم ، فما أمكنه . ولم يزل معه في البريَّة إلى أن دخلا إلى حَماة ، والأمير سَيفُ قَلاوز ضعيفٌ ، وقد عُمِل قدّامَه مخدَّة على الفرس[٢] ، وأقام بها مدّة جمعَة ، وورم وازرقّ ؛ لأنها كانت أياماً شديدة الحرّ ، وكان هو في نفسِهِ سَميناً بديناً .

فمات ـ رحمه الله ، تعالَى ـ في العَشر الأواخِر من جمادى الأولى سَنة ثَمان وأربعين وسَبع مئة قبل أن يخرج يلبغا من حماة ، رحمها الله ، تعالى .

١٣٨٦ ـ قماري*

الأمير سيف الدّين الناصِري أمير شكار .

كان من الأمراء الخاصكيَّة الكبار في أيام الملك النـاصِر مُحَمَّـد . كان عنـد أستـاذه مَكينا ، ثابت الأساس ركينا ، زوَّجَه إحدى بناته ، وجعل غصنـه في روض ملكـه من أحسَنِ نباتِه ، ثم قدَّمَه على الألف ، وجعَله أمير مئـة يكون إمـامـاً والنّـاس من خلف ، وكان عَقْلُه وافرا ، ووجهه كأنه البَدر سافِرا .

ولم يزل في مراقي سُعـوده ، ومَعـارج صعـوده ، إلى أن قمر المـوت قُمارِي ، ونـاحت علَيه الحمائم والقماري .

وتوفِّي ـ رحمه الله ، تعالى ـ في سنَة ثلاث وأربعين وسَبع مئة بالقاهرة[٣] .

جَـــاء إلى دمشــق في مهمٍّ لأستـــاذه إلى تنكِـز في سنـــة خمس وثـلاثين ـ أو ستّ وثلاثين ـ وسَبع مئـة ، وحضر إلى الجـامع الأموي بـدمشق ، وتفرَّج فيـه وفي

---

(١) في الوافي : « ملي » !

(٢) في الأصل : « الفرش » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (خ) ، والوافي .

* الوافي : ٢٧٤/٢٤ ، والدُّرر : ٢٥٦/٣ ، والنُّجوم الزاهرة : ١٠١/١٠ .

(٣) وفي الدُّرر أنَّ وفاته في أواخر سنة (٧٤٥) أو أوائل سنة (٧٤٦) .

الفوَّارة بجيرون[١] ، وفي غيرها ، وكان مجيئه في الظاهر بطيور جوارح على العادة ، وفي الباطِن بسَبب إمساك الأمير جَمال الدِّين آقوش نائب الكرك .

حَكى لي القاضي شهابُ الدِّين بن فضل الله قال : لَمّا عاد من الشام أرسَل إليَّ وإلى الدوادار وإلى أمير جاندار ، وقال : ما أدخل إلى مَولانا السُّلطان إلاّ بكم ، فقلنا له : ياخوند ، أنت ما أنت غريب ، أنت من كبار الخاصكيَّة ، وزوج ابنة مولانا السُّلطان ، فقال : أنا الآن في حكم الغرباء الأجانب ، فلما قيل ذلك للسُّلطان أعجبَه هذا التّأني ، وقال : جيِّداً عَمل[٢] .

ولَمَّا تولَّى الملكُ الصَّالح إسماعيل أخذ قاري هذا وجعَله أمير آخور ، فأقام قليلاً ، وجاء الخبر إلى دمشق بوفاته في أوائل جمادى الأولى من السنة المذكورة .

١٣٨٧ - قَمَاري*

الأمير سيف الدِّين الناصري أخو الأمير سيف الدِّين بكتمر السَّاقي الناصري .

كان شكله مليحا ، ووجهه يلوح به الْجَمال صريحا ، عمل أستاذ داريَّة الملك الصَّالح إسماعيل ، وكان يشارك في الكثير والقليل ، أحد من يُشارُ[٣] إلَيه ، وتقوم أركان الدولة به وعليه . ورأى في أيام الصَّالح دهراً صالِحا ، وعيشاً لو شراه بالنفس كان رابِحا ، إلى أن أخرجَهُ الكامل إلى طرابلُس نائبا ، وأتاها فكان أمَلُه في الْحَياة خائبا ، وقوض الخيام للرحلة الكُبْرى ، وجعل العيون على فقده عَبْرَى . وأُمسك بطرابلس في أواخر ذي الحجَّة سنة ستّ وأربعين وسَبع مئة .

كان الأمير سَيفُ الدِّين قماري في أيام أخيه أميراً صغيراً لا يُدرَى به ولا يُحَسُّ ،

(١) عبارة الوافي : « وتفرَّج نهاراً ورأى فوّارة جيرون » .

(٢) في الأصل : « عمل جيداً عمل » ، وأثبتنا ما في الوافي .

* الوافي : ٢٧٥/٢٤ ، والدُّرر : ٢٥٦/٣ ، والذَّيل التّام : ٨٨ ، والنُّجوم الزّاهرة : ١٧٧/١٠ .

(٣) في الأصل : « يسارّ » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (خ) ، (ق) .

ولَمّا ماتَ أخوه بكتمر السّاقي في طريق الحجاز أعطاه السُّلطان إمرة مئة وتقدمَة ألف ، ولم يزل إلى أن خرج مع الفخريّ إلى الكرك لحِصار أحمد ، وحضَر معه إلى دمشق ثم توجَّه إلى مصر وأقام بها أميراً كبيراً ، ولَمّا تولَّى الملك الصّالح كان أستاذ داره ، وكان أحد المشارين إليهم في تلك الدولة ، فلما ولِيَ الكامل شعبان أخرجه إلى طرابلُس نائباً ، فمرض في أول قدومه إليها مدّة أشفى معها على التلف ، ثم إنه انتعش منها واستقلَّ . ولم يزل بها إلى أن حضر الأمير سَيفُ الدِّين طقتمر الصَّلاحِيّ في البريد ، فأقام بدمشق أياماً قلائل ، وتوجَّه إلى طرابلُس في العشر الأواخر من ذي الحجّة ، وقبض عليه وأحضره مقيَّداً إلى دمشق ، ثم إنَّه جُهِّز منها على البريد إلى مصر مقيَّداً في ذي الحجّة سنة ستّ وأربعين ، وكان الناس قد أرجفوا بأنَّه قد عزم على أن يُقَفِّزَ باتفاق مع الأمير سيف الدِّين الملك نائب صَفد[1] .

١٣٨٨ ـ قُماري*

الأمير سَيف الدِّين ، كان أخا الأمير علاء الدِّين أمير علي الماردانيّ نائب السَّلطنة بدمشق .

ورد مع أخيهِ من الدِّيار المصرِيَّة في خامس ذي الحجَّة سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة ، وكان يعتمد على عصاً إذا مشى ؛ لأنه كان عرَج يسيرٌ ، وكان بطّالاً ، فرَسَم له بعد مدة بخمسين درهماً في كل يوم مرتباً على الأموال الديوانيَّة إلى أن ينحلَّ إقطاع إمْرَة ، فأخذ ذلك مدة ، ولَمّا توفِّي الأمير جُجكتُو[2] التركاني بدمشق أعطي إقطاعَه بالإمرة ، وأقام على ذلك إلى أن مرض مرضة طوَّلَ فيها ، وأصابَه فيها فالِج .

---

(١) وفي الدُّرر أنه نُقِل بعد ذلك إلى سجن الإسكندريّة ، فقتل في سنة (٧٤٧) .

* الدُّرر : ٢٥٦/٣ .

(٢) (ط) : « سيف الدِّين ججكتو » ، وسلفت ترجمته .

ثم إنَّه ابتلي بالصَّرع ، فكان يُصرَع في النهار عشر مرات وأكثر وأقل ، وبقي على ذلك قريباً من خمسين يوماً حتى تعجَّبَ الناس من ذلك ، ولم يُسمَع بمثل أمره ، وأُغمي عليه مرات ، وجزموا بموته ، ثم إنه يفيق بعد ذلك إلى أن توفِّي ـ رحمه الله ، تعالى ـ في بكرة الأحد ثالث شهر ربيع الأول سنة سَبع وخمسين وسَبع مئة ، ودفن بمقابر الصُّوفيَّة برّا باب النصر ، ومشى أخوه ملك الأمراء في الجنازة والأمراء والْحُجّابُ والقضاة وغيرهم . وكانت جنازة حافلة . وبعد دفنه مدَّ أخوه سماطاً على قبره أكل منه من كان حاضِراً من مَماليكه وغيرهم ، ولم يأكل هو شيئاً ، وبات على قبره ، وجاء الناس إليه على طبقاتهم ثاني يوم بكره .

وكتبت أنا فيه مرثيَّة قرأها ملك الأمراء أخوه ، وهيَ :

إنَّ حُزني على الأمير قماري ... علَّمَ الورقَ شَجْوَها القَماريْ
باحَ سِرِّي فيه بمَضمون وَجْدي ... لا أُواري بينَ الضُّلوعِ أُواري
سارَ فوقَ الأعناقِ للتُّربِ عِزّاً ... ودُموعُ الوَرَى عَليه جَواري
ونُجومُ الدُّجى لَبِسْنَ حِداداً ... وأرَتْنا تَهَتُّكَ الأستارِ
وعُيونُ الغَمامِ تَبكي بِجَفْنٍ ... وتَبُلُّ الثَّرى بِدَمعِ القطارِ
ولكُم لطَّمَ الرُّعودُ سَحاباً ... فَتَراهُ مُشَقَّقَ الأطْمَارِ
وجَبينُ الصَّباحِ شُقَّ فأضْحى ... شَفَقُ الصُّبْحِ زائدَ الإحْمِرارِ
ونَسيمُ الصَّبا يَهبُّ عَليلاً ... بفُتورٍ في ساعَةِ الأسْحارِ
لو أفادَ الفداء ميتاً سَمحنا ... بنفوسٍ جادَت بغيرِ اعْتِذارِ
وتَرامَت مِن دونِه للْمَنايا ... لا تَوانٍ يَعوقُها في تَوارِ
غيرَ أنَّ الْمَنونَ في الفَتْكِ لا تعـ ... ـبَا بِسُمرِ القَنا وبيضِ الشِّفارِ
كادَ لولا أخوه [حيّ] يَسيلُ الدَّ ... ـمْعَ في الْخَدِّ كالدَّمِ الْمَوَّارِ[1]

(١) الزيادة من (ط) ، (ق) .

جَرَحَ الـــدَّمـعَ ثمَّ آسي ببقيــا كافِل الملكِ ذي الـزِّنـادِ الـواري[1]
مَلِـكٌ قَــد حَمى دِمشـقَ بعَـزمٍ آمن في مَـدى الرَّدى من عِثـار
وبها العَدْلَ قد أقامَ و [حكَمَ] الشـ ـرع في رَبعهـا رفيـع الْمَنـار[2]
لا تحـلُّ الْخُطـوبُ منهـا بِرَبـعٍ فَهيَ مَحْروسَـة بعينِ الـدَّراري[3]
ونَـدى كَفِّـه إذا جـادَ يُلْقى لانْسِكابِ الغَمامِ فيهـا يُبـاري[4]
صَبَّرَ اللهُ قَلبَـهُ في مُصـاب زادَ مِنـهُ الأمـواتَ أكرَمَ جـارِ[5]
تَرَكَ المـالَ والبَنينَ وَوَلَّى عن دِيـارِ البِلَى لـدار القَرار
هُـوَ ضَيفٌ قَـد بـاتَ عِنـدَ كَريمٍ بـاذِلَ العَفـو سـاترٍ غَفَّـار
يـا سَمِيَّ الـوَلِيِّ لا ذُقْتَ يـومـاً بَعْـدَهـا حـادِثـاً مِنَ الأقـدار
وحَمى اللهُ مَنْـزِلاً أنتَ فيـه ووقـاهُ مِن دهرِنـا الغـدَّار
وفَـدَتْـكَ النُّفـوسُ مِن كُـلِّ سُوءٍ مـا أزاحَ الـدُّجَى بَيـاضُ النَّهـارِ

اللَّقَبُ والنَّسَبُ

☆ **ابن القَماج** : القاضي[6] جمال الدِّين أبو بكر بن إبراهيم .

☆ **ابن القَمَّاح** : القاضي شمسُ الدِّين مُحَمَّد بن أحمد .

☆ **القَمولي** : القاضي نجم الدِّين أحمد بن مُحَمَّد . ونجمُ الدِّين محمد بن إدريس .

☆ **القِمنِي** : مُحَمَّد بن الْحَسَن .

(١) في (ط) ، (ق) : « جرح الدّهر » .
(٢) الزيادة من (ط) ، (ق) .
(٣) في الأصل : « منه » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .
(٤) في الأصل : « فيه » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .
(٥) في (ط) ، (ق) : « زار منه » .
(٦) (ط) : « الفاضل » .

☆ **القميّ الشَّريف** : مُحَمَّد بن محمد بن أحمد .

☆ **القِنائي** : جماعة منهم : مُحيي الدِّين أحمد بن مُحَمَّد ، والشريف تقيُّ الدِّين محمد بن جعفر .

☆ **القوَّاس** : المسند أحمد بن عبد الرحمن .

☆ **القواس البعلبَكي** : صالح بن أحمد .

☆ **القوَّاس الوتّار** : علي بن إسماعيل .

☆ **ابن القوّاس** : ناصِر الدِّين عمر بن عبد المنعم . وناصر الدِّين محمد بن إسماعيل .

☆ **ابن قوام** : الشيخ نجم الدِّين أبو بَكرٍ .

☆ **ابن قوام** : الشَّيخ مُحَمَّد بن عمر .

☆ **والقوام الكرماني** : مسعود بن مُحَمَّد .

☆ **ابن القويع** : ركن الدِّين محمد بن محمد بن عبد الرحمن .

☆ **القُونوي** : الشيخ علاء الدِّين علي بن إسماعيل .

☆ **والقونوي** : الشيخ علاء الدِّين علي بن مَحمود .

١٣٨٩ ـ قوصون*

الأمير الكبير النائب سيف الدِّين السّاقي الناصِري .

كان أميراً وهو في عداد الملوك الكبار ، وهو المشار إليه في أواخر الدولة الناصرية

---

* الوافي : ٢٧٧/٢٤ ، والدُّرر : ٢٥٧/٣ ، والنُّجوم الزَّاهرة : ٢٤/١٠ وما بعدها ، و ٧٥ ، وذيول العبر : ٢٣٠ .

وما بِسواه اعتبار ، ليس فيه شر ، ولا عنده ظلم ولا ضرّ ، لطيف النفسِ ، قليل البأسِ ، ولما هيَّجوه هاجَ منه ذو لبدة ضَرا[١] ، وسَلُّوا منه حُساماً مالقي الضريبة إلاّ فرى .

نهض بخلع أبي بكر المنصور ، وأعاد ذاك الشمل وهو مبتوت[٢] ومبتور ، ونثر من الدولة عقداً نظيما ، وفرَّق بعزمه جمعاً عظيما ، وفرَّق أموالاً تكاثر البحار الزّخّاره ، والكواكب السَّيّاره ، إلاّ أن الزمان أخْنى عليه أخيرا ، وردَّ جبره كسيرا ، وطَرْفَ سعادته حسيرا ، ولو دام على ما كان عليه أيام أستاذه لما رُمِيَ بالداهِيَه ، ولا كانت شدَّته متناهِيَه :

تَوَقَّى البُدورُ النَّقصَ وَهيَ أهِلَّةٌ ... ويُدْرِكُها النُّقْصانُ وهيَ كَوامِلُ
فإنْ رُمْتَ أهْنَأ العَيشِ فابْغِ تَوَسُّطاً ... فَعِندَ التَّناهي يَقْصُرُ الْمُتطاوِلُ

ولَمَّا خانه أصفياؤه وتمادَوْا ، وتَعاونوا على خذلانه وتَغادَوا ، قُبِضَ عليه ونُهبت أموالُه ، وفُرِّق رجالُه ، وخَربت عمائره وأوقافه ، وانهالَت كثبُه[٣] وأحقافُه ، وأصبحَ لعدوِّه رحمَه ، وصار بينه وبين الفَرَج زحمَه ، واعتُقِل بثغرِ الإسكندريَّة إلى أن خُنِق ، واشتفى منه كل قلب[٤] حَنِق .

وكانت واقعته التي عدم فيها في شوال سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة .

كان أولاً من أكبر خواص الملك الناصر ، لم يكن بعد بكتمر السَّاقي أكبر منه ، وزوَّجه السُّلطان ابنته ـ وهي ثانية ابنة زوّجها من مَماليكه ـ ودخل بها في سنة سَبع وعشرين وسَبع مئة ، وكان عرساً حَفِلاً احتفل به السُّلطان ، وحمل الأمراء التقادم

(١) ضرا ضروّاً : إذا بدا منه الدَّم .
(٢) (خ) : « مستور » ، تحريف .
(٣) في الأصل و (خ) : « كتبه » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .
(٤) في (ط) ، (خ) ، (ق) : « ذي قلب » .

إليه ، وكانت جملتها خمسين ألف دينار ، وكنتُ بالقاهرة في تلك المدة ، وصَنَع في ليلة عُرسه[١] الأمير سيف الدِّين قجليس برج بارود ونفط يقال : إنه غَرِم عليه مقدار[٢] ثمانين ألف درهم .

وكان من قوصون قد حضر أوّلاً إلى الدِّيار المصريَّة مع الْجَماعة الذين حضروا صحبَة ابنة القان أزْبَك زوج السُّلطان[٣] ، وهو ابن ناس ولم يكن مملوكاً ، ولكنه طلع يوماً مع تُجّار المماليك ليَرى السُّلطان قريباً ، فوقعت عين السُّلطان عليه ، فقال : لأي شيء [ما][٤] تبيعوني هنا ؟ فقالوا : هذا ما هو مملوك ، فقال : لا بُدّ أن أشتريه ، فوزن فيه مبلغ ثمانية آلاف درهم وجُهزت إلى أخيه صَوصُون إلى البلاد ، ثم إنَّه أنشأه وقدَّمَه وأمَّره ورشَّحَه لكلِّ شيء ، وأعطاه آمريَّة مئة وتقدمَة ألف ، وصار في طبقة بكتمر السّاقي ، وكان يَتَنَفَّس عليه ويفتخر ، ويقول : أنا السُّلطان اشتراني بماله ، وكنت من خواصِّه وأمَّرني وقدَّمني وزوَّجني ابنته ، ما أنا مثل غيري[٥] تَنَقَّلْتُ من التُّجار إلى الاصطَبلات إلى الطّباق .

وكان السُّلطان يتنوَّع في الإنعام عليه . قيل : إن السُّلطان دفع إلَيْه [مفتاح][٦] الزردخاناه التى لبكتمر السَّاقي وقيمتها ستّ مئة ألف دينار .

وعمَّر جامعاً حسَناً على بركة الفيل ، وعمر الخانقاه المليحة العظيمة بالقرافة .

ولَمَّا ماتَ السُّلطان الملك الناصِر قام هو في صف المنصور أبي بكر ، وقام في صف الناصِر أحمد الأمير سيف الدِّين بشتاك ، واختلفا ، وفي الآخر كان الأمر على ما أراده

---

(١) في (ط) ، (خ) ، (ق) : « عرسه بالقلعة ... » .
(٢) (ط) ، (خ) : « مبلغ » .
(٣) في (ط) ، (خ) ، (ق) : « السلطان الملك الناصر » .
(٤) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .
(٥) زاد في الأصل : « ما أنا من التجار » ، ولا معنى لها ، وأثبتنا ما في (ط) ، (خ) ، والوافي .
(٦) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .

قوصون حسبَما تقدَّم ذكره في ترجمة بشتاك ، وجلسَ الملك المنصور أبو بكر على التَّخت ، واستقرَّت قواعده . ثم إنَّ خلطاءَه حسَّنوا له القبض على قوصون وعلى غيره من الأمراء ، فبلغ ذلك قوصُون ، فعَمِل[١] علَيه وخَلعَه من الملك وجهَّزَه إلى قوص ، وأجلسَ أخاه الأشرف كُجك على كرسي الملك ، وحلَّف الناسَ له ، وصارَ هو نائباً ، وجهَّز الفخري إلى الكرك يحاصر أحمد ، فَجَرى ما جَرى في ترجمة الفخري .

وكان طشتمر نائب حلَب قد تنفس أوّلاً على قوصون ، فاستعان عليه بألطنبغا نائب دمشق ، ولَمّا خرج من دمشق خامر الفخري على قوصون ، وحَضَر إلى دمشق ، وملكَها ، وجرى ما تقدم ، وأغرى الفخري الناس بقوصون ، وصار يقولُ : هذا الغريب يخلع ابن أستاذنا ويقتله ؟! هذا ما نصبر عليه . وظهر الشناع على قوصون لَمّا قتل أبو بكر في قوص ، وكان قد قتل جماعة من الحرافيش ، وقطع أيدي جماعة وسَمَّرهم ، وسمَّر جماعة من الخدّام ، وسمَّر وليَّ الدولة الكاتب الذي تقدَّم ذكره ، وغيره ، فنفرت القلوبُ منه ، وأخذ الفخري يكاتب أمراء مصر عليه ، فتنكر أيدغمش أمير آخور عليه ، وعامل الخاصكيَّة عليه ، فاجتمعوا عنده ، وأقاموا ليلتهم عنده صورةً في الظاهِر معه ، وهم في الباطن علَيه عيون ، ونادى أيدغمش في الناس بنهب إصطبل قوصُون ، فثار العَوام والْحَرافيش ، وخربوا الإصطبل والخانقاه ونهبوهما ، ونهبوا بيوت جَماعته وألزامه وحاشيته ، وهو يَرى ذلك من الشُّبّاك ويقول : يا مسلمين ، ما تحفظون[٢] هذا المال ، إمَّا أن يكون لي أو للسُّلطان ، فيقول أيدغمش : هذا شكران للناس ، والذي عندك فوق من الْجَواهِر[٣] يكفي السُّلطان ، وكُلَّما هَمَّ قوصون بالركوب في مَماليكه الذين لبسُوا السِّلاح كسَر الخاصكيَّة علَيه وقالوا له : يا خوند ، نحن غداً نركب ، ونرمي هؤلاءِ بالنِّشاب وقد تفرَّقوا . ولم يزالوا به إلى أن أمسَكوه وقيَّدوه

(١) في الأصل و (ط) : « فخلع » ، وأثبتنا ما في (خ) ، (ق) ، والوافي .
(٢) في الوافي : « ما تحفظوني » .
(٣) في الوافي : « من الجوهر » .

وجَهَّزوه مع ألطنبغا نائب دمشق وغيرهما ، واعتقلوهم في ثغرِ الإسكندريَّة ـ على ما تقدم في ترجَمَة ألطُنبغا ـ.

ولم يزل بها معتقلاً إلى أن حَضَر الناصر أحمد من الكرك ، وجَلسَ على كرسي الملك بقلعة الْجَبل ، ثم إنه اتفق آراء الدولة على أن جهزوا الأمير شهاب الدين أحمدَ بن صبح إلى الإسكندريَّة ، فدخل إلى السجن ، وخنق ألطنبغا وقوصون وغيرهما في شوال أو في أواخر[1] ذي القعدة من السَّنة المذكورة .

ولَمّا مات ـ رحمه الله ، تعالى ـ خلَّف عدَّة بنين وبنات .

وكان خَيِّراً كريماً يعطي [العشرة][2] آلاف درهم والألف إرْدَبّ قمحاً .

وكان إذا انفرد عن السُّلطان وهو في الصَّيد وتوجَّه هو لنفسه يروح معه ثلث العسكر ، وكان الناسُ يهرعون إلى بابه ، ويركبُ قدّامَه في القاهرة مئة نقيب أو دُونَ ذلك .

وكان أخوه صوصون أميراً ، وابن أخته[3] الأمير سيف الدِّين بلجك أميراً .

وكان قد وقع بينه أخيراً وبين تنكِز ، ولما أمسك تنكِز وحمل إلى باب السُّلطان ما عامله قوصون إلاّ بالْجَميل ، وخلصه من القتل وأشار بحبسه . وعمل النيابة جيداً ، وأنعم على الأمراء والخاصكيَّة ، وفرَّق فيهم وفي عسكر مصر ـ على ما قيل ـ ست مئة ألف دينار ، ولم يتم أمره مستقيماً في النيابة شهرين حتّى خرج عليه طشتمر من حلب والفخري من الكرك ، وكثرت البثوق[4] عليه ، وأعياهُ سَدُّها ، ونهبَ الناس والحرافيش

(١) ليست في (خ) والوافي .

(٢) زيادة من (ط) ، (خ) ، والوافي .

(٣) (خ) : « أخيه » .

(٤) في الأصل : « السوق » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (خ) ، (ق) . والبثوق : الثغرات والكسور التي تنفتح في أيِّ سد .

شيئاً كثيراً إلى الغاية ، حتى إنَّ الدينار أُبيع بعشرة دراهم كل مثقال وبأقلّ لكثرة ما نهبَ .

وعلى الْجُملة فكان أمرُه في أول حاله وفي وسَطه وفي آخرِه من أعاجيب الزمان وغرائب المقدورات .

وقلت أنا في واقعته مع أيدغمش :

قوصونَ قد كانَت لهُ رُتبَةٌ ... تَسْمُو عَلى بَدرِ السَّما الزّاهِرِ
فَحَطَّه في القَيدِ أيدغمشٌ ... من شاهِقٍ عالٍ على الطّائرِ
ولم يَجِدْ مِن ذُلِّه حاجِباً ... فأينَ عَينُ الملكِ النّاصِرِ
صارَ عَجيباً أمرُهُ كُلُّه ... في أوّل الأمرِ وفي الآخِرِ

الألقابُ والأنسابُ

☆ **القَلانسيُّ** جماعة ، منهم : مفيد بغداد جَمال الدِّين أحمدَ بن عليٍّ . ومنهم : جمالُ الدِّين وكيل بيت المال أحمدَ بن مُحَمَّد . ومؤيَّد الدِّين أسعَد ابن الصّاحب عزِّ الدِّين حَمزَة . وجلال الدِّين إبراهيم بن مُحَمَّد . وأمين الدِّين بن الجلال حَسَن بن علي . وعلاء الدِّين وكيل بيت المال علي بن مُحَمَّد . والصّاحبُ عزّ الدِّين حمزة بن أسعد . عزّ الدِّين المحتسبُ مُحَمَّد بن أحمد . وشرف الدِّين مُحَمَّد بن علي . وشرف الدِّين محمد بن محمد . ومحيي الدِّين محمود بن مُحَمَّد . ونجم الدِّين مُحَمَّد بن أسعَد . وأمين الدِّين كاتم السِّرِّ مُحَمَّد بن أحمد .

١٣٩٠ - قيران*

الأمير شرف[1] الدِّين المنصوري .

---

* الدُّرر : ٢٥٩/٣ .

(١) في الأصل : « الأمير الأشرف شرف » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

كان في القاهرة أمير عشرة ، يسكن بالْحُسَيْنِيَّة ، وينوبُ في الأستاذداريَّة ، وصحبَ[1] ابن معضاد ، ويحفظ شيئاً من كلامه .

ثم إنه نقل إلى شدِّ الدِّيوان بدمشق ، وأقام بها مدة . ثم إنه نكبَ مدةً ، ثم نقلَ إلى حلَب ، ثم إنه قُطع خبره .

وقدم دمشق وكانت نيَّته أن يتوَجَّهَ إلى مِصر ، فتوفِّي ـ رحمه الله ، تعالى ـ بداره في درب تليد بدِمشق[2] في شهر ربيع الآخر سنة تسع وسبع مئة .

☆ **القيراطي** : شرف الدِّين عبد الله بن محمد .

الألقابُ والأنسابُ

☆ **بنو القيسَراني** جَماعَة : عماد الدِّين القيسَراني إسماعيل بن مُحَمَّد . ووَلَدهُ القاضي شِهاب الدِّين يحيَى . وشمسُ الدِّين إبراهيم بن عبد الرَّحيم . والصَّاحبُ فتح الدِّين عبد الله بن مُحَمَّد . وعزّ الدِّين عبد العزيز بن مُحَمَّد بن عبد الله . وشرفُ الدِّين محمد بن عبد الله .

١٣٩١ ـ قيصر*

الْحَلاويّ بالقاهِريَّة . كان مشهوراً بِجَودة الحلوَى يُضرَبُ به المثلُ في ذلك ، مع المواظبة على الخير والصلواتِ في أوقاتها .

توفِّي ـ رحمه الله ، تعالى ـ في تاسِع شهر ربيع الأوّل سنة ستّ وعشرين وسَبع مئة .

☆ **ابن قيِّم الجوزيَّة** : شمسُ الدِّين محمد بن أبي بَكر . وولده عبد الله بن مُحَمَّد .

☆ **ابن القيم** : علي بن عيسى .

(١) (ط) : « ويصحب » .

(٢) أشار إليه في الدارس : ٢/٢٥٤ .

* لم نقف على ترجمة له .

حرفُ الكافِ

[الألقاب والأنساب][1]

☆ **الكامل** : شعبان بن مُحَمَّد .

☆ **والملك الكامل** : مُحَمَّد بن عبد الملك .

☆ **الكازروني** : علي بن مُحَمَّد .

☆ **الكاساني** : مُحَمَّد بن إبراهيم .

١٣٩٢ ـ كاوَزْكا*

الأمير سَيف الدِّين المنصوري .

كان مِن أكابر أمراء دمشق ، ومِنْ أكبَرِ مَماليك السُّلطان الملك الْمَنصُور .

ورثه السُّلطان الملك الناصر مُحَمَّد بالولاء لَمّا توفِّي في ذي القعدة سَنَة ستّ وسَبع مئة ، ودفنَ بسفحِ قاسِيُونَ .

ومِمَّا يُحكَى عَنه أنه كان [إذا] استعمل الشرابَ وطابَ وثمل وانتشى أمر مَماليكه أن يخرجوا إلى مهتار[2] الطبلخاناه ويَأمروه بدقها ، واشتهر ذلك عنه واستفاض ، وإلى الآن بعض الناس يقولُ إذا سَمِعَ طبلخاناه في غير وقتها : سكِر كاوزكا .

---

(١) زيادة يقتضيها منهج الكتاب .

* الدُّرر : ٣/٢٦١ .

(٢) لفظ فارسي ، وهو لقب يطلق على كبير كل طائفة من غلمان البيوت .

١٣٩٢ م - كُبَيْس بن منصور بن جمَّاز*

الشريف أمير المدينة الْحُسَيْني .

تولّى إمْرَةَ المدينة لَمَّا قتل والده مَنْصور في رابع عشر شهر رمضان سَنَة خمس وعشرين وسَبع مئة .

[ولم يزل بها إلى أن قُتِل أيضاً في شهر رَجَب سنة ثمان وعشرين وسبع مئة][(١)] .

☆ ابن الكِتَّاني : الشيخ زين الدِّين عُمَر بن [أبي][(٢)] الحرم .

١٣٩٣ - كُتْبغا**

الملك العادل زين الدِّين المنصوري المغلي .

كان فيه دينٌ وتعَبُّدٌ ، وخير ومزايا له بها تفرُّد . عَديمُ الشَّرِّ لا يناوي مَن ناوَاهُ ، ولا يقاوي من قاواه ، مُنْقاداً لأحداث دَهْره ، مرتاداً لما يريده من خيرِه وشرِّه ، ولذلك سَلِمَت له العاقبَه ، وأفادته الإنابَة إلى الله والْمُراقبه . ولكن جاء الغلاءُ المفرط في أيامِه ، ونقَصَ النيلُ زائداً عَمَّا عُهِد في قديم أعوامِه ، فتشاءم الناسُ بطلعته ، ولم يُنَفِّق القَدَر له رديء سِلعته ، وكان إذا رأى ذلك زادَ بُكاؤُه ، وعَظُمَ ابتكاؤه ، وقال : هذا بحظي وخطيئتي ، وهذا جاء في قسمي وقدِّر في عَطِيَّتي :

وغايتي أنْ أَلُومَ حَظِّي وحَظِّيَ الحائط القَصيرُ

---

* الدُّرر : ٢٦٢/٣ .

(١) زيادة من (ط) ، (ق) .

(٢) زيادة من (ط) ، (ق) .

** الوافي : ٣١٨/٢٤ ، وتحفة ذوي الألباب : ١٩٣/٢ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٣١ ، وفوات الوفيات : ٢١٨/٣ ، والبداية والنِّهاية : ٢٧/١٤ ، والدُّرر : ٢٦٢/٣ ، والشَّذرات : ٥/٦ .

ثم إن أخصَّاءَهُ خانوه ، وشانوه بعدَما زانوه ، ولما فَطِنَ لما بَطنَ ، وعَلِم أن الشَّرَّ قد خيَّم عنـدَهُ بعـدما قَطنَ[(١)] ، فعـل كما فَعـل الحـارث بن هِشـام ، ونَجـا برأس طِمِرَّةٍ ولجام[(٢)] ، وتحصَّنَ بقلعَة دمشق فما أفادَه ، ثم إنـه رجع بعـد ذاك إلى الهوادَه ، ونزلَ عَلى حكمِ اليَدِ الغالِبَه ، ورَضِيَ بعد الْمُوجبة بالسَّالبَه ، فأمسَى في حالة بعين الرَّحمَة مَرموقَه ، وأصبح بعد أن كان مَلكاً وهو في عداد السُّوقَه ، عبرة لِمَن تذكَّر ، وتبصرة لمن تفكَّر .

واضطر إلى قلعَة صَرخَدَ بَعدَ مُلك مصرَ والشّام ، وقعدَ على مَقالي النار بعـدَ ذلـك المقام ، ثمَّ بعدَ لأيٍ لوى الزَّمان إلَيـه عنـانـه ، ورفع قليلاً مَكانـه ، وتوجَّـه إلى حِمَـاه ، وأرشفه ثغرُ الزمان لماه ، فأقام بها إلى أن زار الموت حِمَاه ، وأصابه بسَهمِهِ لَمّا رَماه .

وتُوفِّي ـ رحمـه الله ، تعـالى ـ في يومِ النَّحرِ نهـار الجمُعَـة سنـة اثنتين وسَبـع مئـة ، ونقل تابوته إلى دمشق ، ودفن بتربته بسَفح قاسيُون .

وكان ـ رحمـه الله ، تعـالى ـ أسمر قصيراً دقيق الصوت ، لحيَتـه صغيرة في حنكـه ، أُسِرَ حَدَثاً من عَسْكر هُولاكُو نوبة حِمص الأولى في آخر سَنة ثمان وخمسين وستّ مئة .

وأمَّره أُستـاذه الملـك الْمَنصـور ، وكان من أُمراءِ الألـوف ، ثم إنـه عَظم في دولـة الأشرف ، التفَّ الخاصكيَّـة عليـه ، وحَمَل بهم على بَيْـدَرا وقتلوه . ولمـا حَضر السُّلطـان الملك الناصِر من الكرك عقيبَ ذلك جعَله نائبَه ، واستمرَّ الحـال سَنـة ، ثم تحوّلَ النـاصر إلى الكرك ، وتسَلطن كتبغـا ولقبَ العـادل ، ونهضَ بـأمره لاجين وقراسُنقر وطـائفـة كان قد اصطَنعهم في نوبَة الأشرف ، وتمكن .

وكان جلوسُه على الكرسِي في يوم الأربعـاء حـادي عشر المحرم سنـة أربـع وتسعين وستّ مئة .

---

(١) (ق) ، (ط) : « خيَّم عنده وقطن » .

(٢) كـذا الأصل ، وقـد سبـق أن استخـدم هـذا التعبير من قبـل ، وهـو الحـارث بن همـام راوي مقـامـات الحريري .

وقـدم إلى دمشـق يـوم السَّبت منتصَف ذي القعـدة سنـة خمس وتسعين ، وصلى بجامعها الأُمَوي غير مرة .

وسافر في الجيش إلى حمص ، ثم رُدَّ وعـاد إلى مصر ، فلما كان بـأرض بيسان وثبَ عليـه حسَام الـدِّين لاجين وشَـدَّ على مملوكَيْـه بتخـاص وبكتـوت الأزرق ، فقتلَهما في الحال ، وكانا عَضُدَي كُتبغا ، واختَبَطَ الجيش ، وفرَّ كتبغـا عَلى فرس النَّوبَـة . يقـال : إن لاجين لحقه وضربه بطومـار[1] رمـاه بـه ، وقـال : انجُ بنفسـك ، وتبعَـه أربعـة مِن مَماليكه لا غير ، وذلك في صفر سَنة ستّ وتسعين وستّ مئة .

وكانت دولته سنتين وبعض شهر .

وساقَ كتبغا إلى دمشق ، فتَلقاه مملوكه نائبهـا في الأمراءِ وقـدم القلعَـة ، ففتح لـه نائبَها أرجواش الباب ، ودقَّت له البشائر ، ولم يجتمع له أمر ، واجتمع كجكن والأمراء ، وحلفوا لصاحب مصر ، وصَرَّحوا لكتبغا بالحـال ، فقـال : أنـا مـا منِّي خلاف ، وخرج من قصر السَّلطَنة إلى قاعة صغيرة ، وبذل الطـاعـة للاجين ، وقـال : هوَ خُوشـداشي ، فرسَم له أن يقيم بقلعَة صَرخَد ، وأتاه بعض نسائه وغلمانه . وانطوَى ذِكْرُه إلى بعد نوبَـة غازان ، فـأعطـاه السُّلطـان الملـك النـاصِر حَماة ، فـأقـام بهـا إلى أن مـاتَ في التـاريخ المذكور .

وكان السلطان الملك الناصِر يَكرَهه وما يذكره بصالِحَةٍ ، ويقول : مـا أنسى وقـد أخرجني إلى الكرك ، وفكَّ حَلقـة من أذني فيهـا لؤلؤة ، وأخـذهـا وحطَّهـا في جيبـه ، وقلَّ أن كان يرى له توقيعاً فيمضيهِ ، وفيه يقولُ علاء الدِّين الوَداعِي لَمّا خَلَعَ على أهل دمشق ـ ومن خطه نقلتُ ـ :

أيُّهـا العـادل سُلطـان الـوَرى ... عنـدَمـا جـادَ بتشريف الْجَميع[2]
مِثـلَ قَطرٍ صـابَ قُطراً مـاحِـلاً ... فَكَسـا أعطـافِـهِ زَهْرُ الرَّبيـع

(١) في الأصل : « بطور » ، وأثبتنا مافي (ط) ، (ق) .
(٢) في الوافي : « إنما العادل » .

١٣٩٤ ـ كُتبغا*

الأمير زين الدِّين أمير حاجب الشام . أظنه تولَّى نيابة شَيزرَ في وقت .

كان الأمير سَيفُ الدِّين تنكِز يعَظِّمُه ، ويجلسُه قُدّامَه ويُكرِمُه ، ويرمل هو علَى يَده ، ويتوشَّحُ بِمَا غَلا مِن قلائدِه .

وكان في نفسِه رئيسا ، وقدرُ المالِ عنده خَسيسا ، وكان يحضر السَّماعاتِ ، ويرقص في الجماعاتِ ، ويعمَل في كلِّ سنة مولداً للنَّبي ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ ، ويجمع فيه الخاص والعام ، ويقف ويخدم بنفسه الفقراء ، ويبالغ في ذلكَ ويعرض عن الأمراء . إلاّ أنه كانت فيه استحالَه ، وإعراض عمَّا يثق به في الحالَه .

ولم يزل على حالِه إلى أن انتهت مُدَّته ، وفرغت عُدَّته .

وتوفِّي ـ رحمه الله ، تعالى ـ في آخِر نهار الْجُمُعَة ثامِن عشري شوَّال سنة إحدَى وعشرين وسَبع مئة ، ودفن بتربته في القُبيبات .

وكان تنكِز يعظِّمُه ويحترمه ، ويحبُّ حديثِه ويصغي إليه ، ويقبل شفاعاتِه ، ويزوره في بيته .

وأظنه في وقت مشى بالفقيريِّ ، ولبسَ زيَّ الفقراء ، وكان إذا دخل إليه[١] إنسان في بيته في أمر قال : السَّمع والطاعة ، مَنْ أحقُّ منك بهذا الذي تطلبُه ؟! قف غداً لمولانا ملك الأمراء ، وأنا أساعدكَ ، وتبصر ما أقولُ ، فإذا وقف ذلك المسكين قال : يامولانا ، أيّ [حائك][٢] قام ، وأي بيطار قام ، قال يريد يَبقى[٣] جنديّاً . فإذا سَمع

* الوافي : ٣٢٠/٢٤ ، والتالي : ١٨٨ ، والدُّرر : ٢٦٤/٣ .

(١) (ط) : « عليه » .

(٢) زيادة من (ط) ، (ق) ، والوافي .

(٣) في الوافي : « يريد يصير » .

ذلك الأمير سَيف الدِّين تنكِز قال : نَحِّـهِ ، فتتنـاول المسكين العصيُّ من كل جـانب ، ولكن هذا في بعض الأحايين . ولكنه[١] كثيراً ما يشكر النـاس عنـد تنكِز ، ويثني على من يعرِفه ومَن لا يعرفه حتى تحقق منه ذلك . ورتَّبوا يوماً قصة بعلم تنكِز باسم إنسـان يطلُبُ إقطاعـاً ، وقرئت يوم الخـدمَـةِ[٢] وهو حـاضرٌ ، فقـال : نعم يـا خونـد ، أعرِفـه وأعرِف أباه ، وهوَ مسكين بَطّال ، وفي هذه الجمعَة حضر مِن حَلَب ، فقـال تنكز : أبصر جيِّداً ، فقال : سُبحان اللهِ ، وجهَّز نقيبـاً إلى ذلـك الشخص ، وأحضره ، وكان الأمر كما قال ، فتعجَّبَ تنكز مِن ذلك ، وأعطَى ذلك إقطاعاً ، وكانت هذه من الغَرائب .

وحجَّ ـ رحمَهُ الله ، تعالى ـ غير مرّة ، وفرَّق في الحرمين مالاً وافراً .

وكان قد ولِيَ شدَّ الدواوين بدمشق والأستاذ داريَّة عوضاً عن الأمير سَيف الـدِّين أقجبا في ثالث عُشْرَي شوَّال سَنَة تسع وسَبع مئة . ووليَ الحجوبيَّة بالشام عوَضـاً في شهر رمضان سَنة إحدى عشرة وسَبع مئة .

١٣٩٥ ـ كُجُك بن مُحَمَّد بن قلاون*

السُّلطان الملك الأشرف عَلاء الدِّين ابن الملك الناصر ابن الملك المنصور .

لَمّا خلَع قوصون الملـك المنصور أبـا بَكْر ولَّى هـذا كجـك الْمُلـكَ ، وأجلسَـه على التَّخت ، وحلَفَ له ، وحلَّف له العَساكر بمصر والشـام ، وكان عمره يومئـذ خمسَ سنين تقـديراً ، وذلـك في أواخر صفر سَنَـة اثنتين وأربعين وسَبْـع مئـة . واستقـلَّ الأمير سَيْفُ الدِّين قوصون بكفالة الْممالك ، وصارَ نائبـه ، وإذا حضرت العَلامَـة أعطي قلماً

---

(١) في (ط) ، (ق) : « ولكنه كان » .

(٢) (ط) ، (ق) : « ثاني يوم في الخدمة » .

* الوافي : ٣٣٠/٢٤ ، والدُّرر : ٢٦٥/٣ ، والذَّيل التـام : ٨١ ، وبـدائع الزهور : ٤٩٠/١/١ ، والشَّـذرات : ١٥٠/٦ .

في يده ، وجاء فقيهه المغربيُّ الذي يقرئ أولاد السُّلطـان ، ويكتُبُ العَلامَـة ، والقلم في يَد السُّلطان علاء الدِّين كجك .

ثمَّ إن الفخري خرج لمحاصرة الكرك ، وكان ما كان ، وجرى ما جرى ـ على ماتقدم في ترجمـة ألطنبغـا والفخري ـ ولَمّـا تـوجّـه النـاصر أحمـد من الكرك إلى مصر في شهر رمضان جلسَ على كرسيِّ الملك ، وخلع الأشرف كجـك ، وانفصل من الملـك . ثم تولّى أخوه الصَّالح إسماعيل بعد خلع الناصر ، ولَمّا توفِّي الصَّالح تولَّى الكامل شعبان .

وجـاء الخبر إلى الشـام بوفـاة كجـك ـ رحمـه الله ، تعـالى ـ في سنـة ستّ وأربعين وسبع مئة .

١٣٩٦ ـ كُجْكن*

الأمير سَيف الدِّين المنصوريّ .

كان مِن أكابر مُقَـدَّمي الأُلـوف بـدمشـق ، قـديم الهجرة في الإمره ، كثير المعرفـة بالصَّيد والخبره ، كثير الخدم ، غزير الحَشَم ، عمِّر دهراً صالحا ، وقطع عيشـاً نـاجحـا ، وهـو وافر الحرمَـه ، ظـاهِر النِّعمَـه ، معظّم عنـد النُّـوَّاب ، مفخَّمٌ على مرِّ السِّنين والأحقاب .

ولم يزل على حاله أن ابتلعَه فم القبر ، وتعذر فيه على ذويه الصبر .

وتوفِّي ـ رحمَه الله ، تعالى ـ سَنة تسع وثلاثين وسَبع مئة .

وسَمَّى أولادَهُ الثلاثة الذكور كلاًّ منهم محمداً ، وأظنُّه كان قد نزل عن إقطاعـهِ قبل وفاته بقليل ، وكان السلطان الملـك النـاصر ينتظر موتـه ، ويسـألُ عنـه كل من يصل من دمشق .

* الوافي : ٣٣٠/٢٤ ، والدُّرر : ٢٦٥/٣ ، وذيول العبر : ٢٠٧ ، والنُّجوم الزَّاهرة : ٢٨٤/٩ ، وفيه وفاته سنة (٧٣٠ هـ) .

أخبرني الأمير شرفُ الدِّين حُسَين بن جندر بك قال : لَمّا حضرتُ قدّام السُّلطان عند حضوري من دمشق قال لي أشياء سَأل مني عنها ، ومنها[١] قال لي : أيش حسّ كَجْكُن ، فقلتُ : طيِّب .

وكان قد أُمسِكَ في دولة الناصِر مُحَمَّد في يوم الجمعَة حادي عشري شهر رجب سنة ثمان وتسعين وستّ مئة .

١٣٩٧ - كَراي*

الأمير الكبير سَيفُ الدِّين الْمَنصوري نائب صَفد ودمشق .

كان شديد المهابه ، بطيء الرجوع إذا غضبَ والإنابَه ، أطْيَش من حَبابَه[٢] ، وأطيرَ من ذُبابَه ، إذا غضبَ لا يقوم شيءٌ لغضبِه ، ولا تهجم[٣] الأسُود على سَلَبِه ، ولا تقدم[٤] الملوك على غَلَبه ؛

يقومُ مَقامَ الجيشِ تقطيبُ وجهِهِ ويَستغرِقُ الألفاظَ مِن لَفْظِه حرفُ

إلاّ أنه كان شديد الديانه ، مَديد الصيانه ، عفيف الفَرْج مع القدرَه ، عزوفَ النفسِ لا يتناوَل من مالِ غيره ذَرّه ، لا يقبل لأحَدٍ هدِيَّه ، ولا يدعُ ما فيه شبهَة يدخل نَديَّه .

وكان مُغرًى بالنكاحِ لا يكاد يفارقه ، ولا يشغله شغل عنه ولا يسارقه ، ومع ذلك فكفّه أندى من الغَمام ، وأجوَدُ من النَّسيم بالطِّيب إذا مرَّ بالزهر وشقَّ عنه الكمام ،

---

(١) عبارة الوافي : « سألني عن أشياء ومنها » .

* الوافي : ٣٣١/٢٤ ، وتحفة ذوي الألباب : ٢٢٣/٢ ، والنجوم : ٢٤٥/٩ ، والدُّرر : ٢٦٦/٣ ، وإعلام الورى : ١١ .

(٢) الحبابة : دويبة سوداء مائية .

(٣) في الأصل : « ولا تجهم » سهو ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

(٤) في الأصل : « ولا تقوم » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

يحبُّ الطَّربَ الدائم ، وسَماع النَّغَم المُلائم . وكان منهوماً في المآكل والمشارب ، ملهوفاً في تفرقة طَعامه لكل مستخفٍ وسارب ، وما رزق في نيابة دمشق سَعادة ، ولا وافقتهُ المقادير على ما أرادَه ، وأبغضَهُ أهلُها ، ونَفَرَ منه حَزْنها وسَهلُها ، فأمسك فيها بعد قليل ، وخرج منها بعدما رشفَ كأس الذُّلِّ ورَسَف في القيد الثَّقيل ، وذلك في يوم الخميس ثاني عُشري جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

أنشدني لنفسه الشيخ علاء الدِّين بن غانم :

أنا راضٍ بحالَتي لا مَزيد ... وبأنْ لا أزالَ عندَ الْحَميدِ
إنَّ في أمر كافِل الملكِ بالشّا ... مِ عِظاتٍ للحازِمِ الْمُستَفيدِ
جاهُ بالتَّقليدِ أرغونَ بالأمـ ... ـسِ وولَّى وعادَ بالتَّقييدِ

كان أوّلاً نائباً في صفد بعد الأمير فارس الدِّين ألبكي ، وأقام بها إلى أن توجَّه في واقعة غازان ، وحصلت الكَسرة ، فحضر هو إلى صَفد ، وقصَد القلعَة لإيداع حريمه بها ، وانجفل[1] الناس ، فلم يفتَح له الباب ، وسبَّه جماعة من مستخدمي القلعة ، وآلموه بالكلام ، فقال : أنا ما أدخل ، ولكن افتحوا للحريم ، فلم يسمَعوا له ، وبقيت هذه النكاية في خاطرِه .

ولمّا توجّه إلى مصر ، طلب العود إلى نيابة صفد ، فعاد إليها ، وقَتَل أولئك الّذين جاهروه بالأذى ومنعوا حريمه بالمقارع ، ونفاهم منها . ثمّ إنه توجّه إلى مصر ، وحضر بَدَلَه الأمير سيف الدّين بتخاص ، وأقام بمصر مدّة ، ثمّ إنّه رمى إقطاعه [وأقام][2] بالقدس مُدّةً يأكل من ريع أملاكه وهو بطّال . ولم يزل إلى أن حَضَر السلطان من الكرك إلى دمشق ، فحضر إليه وقال له : أيّ من ملك غزّة ملك مصر ، فقال له السلطان : أنتَ لها . وجهّزه إلى غزّة ، فملكها ، وأقام بها ، وكان الأمر كما قال .

(١) (ق) ، (ط) : « وقد انجفل » .
(٢) زيادة من (ط) ، (خ) ، (ق) .

وقلتُ أنا في ذلك :

كرائي الّذي أهدى الكرى لجفوننا وجَمَّعَ شَمْلَ للملك بعد تنائي
أشار على السّلطان بحفظ غزّةً فلم أرَ في عمري كَرَأيِ كرائي

ودخل معه إلى القاهرة ثمّ إنّ السلطان جهّزه في عسكر مصر[١] إلى حمص ، فأقام بها قليلاً ، وَساق في ليلة العيد بالعساكر من حمص إلى حلب ، ولم ينفجر الصّبح إلاّ وقد أحاط بالعساكر على دار النّيابة بحلب ، وأمسك أسَندَمر ، وحضر إلى دمشق نائباً في يوم الخميس حادي عشر المحرّم سنة إحدَى عشرة وسبع مئة . ووصل تقليده إلى دمشق على يد الأمير سيف الدين أرغون الدّوادار في خامس عُشريّ المحرّم من السّنة المذكورة .

وحلف بالطّلاق من زوجاته أنّه ما يطّلع على أحد سرق النّصاب الشّرعي إلاّ ويقطع يده ، فضاق النّاس منه ، وبعث أحضر المباشرين والكُتّاب من حمص إلى غزّة لعمل الحساب في الزّناجير ، وضيّق على النّاس ، وشدّد واتّكل في العلامة على الشيخ نجم الدين الصّفدي لأنّه كان يعرفه من صفد ، وجعل دَرَكَها عليه ، فكانت العلامة تحمل إليه ، ويعتبرها شيئاً فشيئاً ، فما رآه سائغاً وضعه في فوطة العلامة ، ودخل به وما ارتاب فيه عزله عنها .

ولمّا كان في جمادى[٢] الأولى من السّنة المذكورة ، قرّر على دمشق ألف وخمس مئة فارس ، يقومون بها ، لكل فارس خمس مئة درهم ، وطلب الأكابر بالتّرسيم إلى دار الوالي ، وتجمّعوا لتقرير ذلك ، وندب من يحضر ، ويقف على الأملاك والأوقاف ، وغلّظ على النّاس ، وحلّفوهم على مقدار الأجر ، فضاق النّاس ، وتوجّه الأعيان إلى الخطيب جلال الدّين ، فقام في ذلك ، واجتمع بالحكام وقرّر دفع[٣] القضيّة معهم

(١) في (ق) ، (ط) ، والوافي : « مصري » .
(٢) في (ط) ، (ق) : « أول جمادى » .
(٣) في (ط) : « رفع » .

ليكون الكلام في يوم الاثنين مع الأمير سيف الدين كراي . وخرج النـاس بكرة النّهـار ، ومعهم المصحف الكريم والأثر النبويّ والصّنـاجـق الّتي على المنبر ، فلمّـا كان النائب واقفاً في سوق الخيل ، ورأى[1] ذلك السّواد الأعظم من بعد والأطفـال وغيرهم ، فقال : ماهذا ؟! ، فقالوا له : أرباب الأوقاف والأملاك وأربـاب الرّواتب على الجامع جـاؤوا بسبب هـذا المقرّر عليهم ، فقـال : ردّوهم ، وقـل لهم : الشّغـل انقضى ، فجـاء الأمير سيف الـدين قطلوبـك بن الجـاشنكير الحـاجب ، وهو يعرف خُلـقَ النـائب ، فقال[2] [لهم] : بسم الله ، ارجعوا ، فقد انقضى شغلكم ، فقالوا له : المصحف مـا يُرَدّ ، فقال : ارجعوا وإلاّ ماهو جيّد لكم ، فأبَوْا ، فشال العصا بيـده ، يشير إلى أنّـه يضرب بها ، وكان المصحف الكريم ـ فيما أظنّ ـ على رأس الخطيب ، فهرول به ، فوقع المصحف الكريم إلى الأرض ، فلمّا رآه النّـاس قـد وقع تنـاولوه بـالحجـارة ، فردّه[3] الحـاجب إلى النائب والحجارة في قفاه ، ووقع بعضهـا قـدام كراي ، فـاشتّـد غضبـه وردّ إلى القصر ، وأخرق بقاضي القضاة ابن صَصْرى ، وقال : كل هذا عملك ، فأنكر ذلك ، وحلَف لـه ، فسبّه ، وأخرق به وبالخطيب ، فقال له الشيخ نجم الدّين التّونسي : اسكت ، كفرت . فرماه إلى الأرض ، وضربه ضرباً مؤلماً كثيراً ، ورسّم عليهم ، ثمّ أطلقهم بضُمّان وكفلاء .

ولم يكن بعـد ذلـك إلاّ دون العشرة أيـّام حتّى حضر الأمير سيف الـدين أرغـون الدّوادار من مصر يوم الأربعاء ، وأحضر لـه تشريفـاً عظيمـاً ، فلبسـه ثـاني يوم بكرة ، وعمل الموكب ، وحضر دار العدل ، ومدّ السماط ، فأخرج أرغون كتـابـاً عظيمـاً مطلقـاً إلى الأمراء بدمشق بإمساك كراي ، فـأُمسـك في التّـاريخ المـذكور ، وقُيِّـد في الحـال ، وجهّز إلى الكرك صحبة الأمير سيف الـدين اغُرلو العـادلي والأمير ركن الـدين بيبرس المجنون ، وكان قد أمسك الصّاحب عزّ الدين بن القلانسي ، ورسّم عليه .

---

(١) في الأصل : « وذلك » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

(٢) زيادة من (ق) ، (ط) .

(٣) في (ق) : « فردّه للحاجب » .

ولمّا كان في مستهل جمادى الأولى حكم القاضي نجم الدين الدمشقي نائب ابن صَصْرى ببطلان البيع الّذي اشتراه ابن القلانسي من تركة السّلطان الملك المنصور في الرّمثا والسّبوخة والفضاليّة لكونه بدون قيمة المثل ، وبعزل الوكيل الّذي صدَر منه البيع قبل عقد البيع ، ولوجود ما يوفّى منه الدّين غير العقار ، ونفّذ الحكام ذلك . ثمّ إنّ القاضي[(١)] تقي الدّين الحنبلي[(٢)] نقض ذلك في تاسع شعبان من السّنة المذكورة ، وادّعى قبل هذا على الصّاحب عزّ الدين واعتقل ، فلمّا كان في يوم إمساك كراي خرج الصّاحب عزّ الدّين بن القلانسي من الاعتقال من دار السّعادة ، وفرح النّاس بخلاصه ، وبإمساك كراي .

ثمّ إنّ السّلطان بعث إلى كراي وهو معتقل في الكرك من يخدمه ، وجهّز إليه جارية من حظاياه ، وأقام كذلك إلى أن مات ـ رحمه الله تعالى ـ وكان له أربع زوجات وثلاثون سَرّيّة ، وكان إذا سافر إلى الصّيد استصحب نساءه معه ، لأنّه لا يقدر على الصّبر عن النّكاح ، وتزوّج بابنة الأمير سيف الدّين قبجق وهو بدمشق .

قال لي الشيخ : نجم الدين الصّفدي ـ رحمه الله تعالى ـ : لمّا دخل على بستان ابنة قبجق غرِم عليها حتى صارت عنده أربع مئة ألف درهم ، وبعث إلى الأمير سيف الدّين بهادر آص يقول : يا مسلمين يكون هذا ، يكون هذا خوشداشي أنا وإياه مماليك بيت واحدٍ وهو في مدينة أنا فيها ، وهو نائب سلطان ، ويدخل على زوجته ، وما أقدّم له شيئاً ، والله ما أعرف قبول هذه البقج إلاّ منك ، قال : فدخلت عليه ، وقلت له : ياخوند أنا رجل غريب في هذه المدينة ، وهذا الأمير سيف الدين بهادر آص أكبر مَن فيها وما بعدك أكبر منه ، وقد قال : كذا وكذا ، فقال : أين هذا الّذي[(٣)] أحضره ؟ فأحضرته ، فقلّبه جميعه قطعة قطعة ، ثمّ قال : قل له : أنت تعلم أخلاقه ومحبّته لنسائه

(١) (ط) ، (ق) : « قاضي القضاة » ، وهو الصحيح .
(٢) سليمان بن حمزة ، سلفت ترجمته .
(٣) (ط) : « فقال : هات الذي » ، وفي (ق) : « فقال : هات هذا الذي » .

وجواريه ، وهو قد حلف بالطّلاق منهنّ وبعتقهنّ أنّه ما يقبل في هذه النيابة لأحد من خلق الله تعالى شيئاً قلّ ولا جلَّ ، فأنت رأيت يا خوشداش طلاق زوجاته وعتق جواريه فالأمر أمرك . قال : فأعدتُ ما قاله عليه ، فقبل العُذر في ذلك .

وكان يحبّ الطّرب ، فأحضر ابن غُرّة العوّاد ، وآخر يلعب بالكمنجا ، وآخر دُفيّاً ، ورتّب لهم معاليم على ديوانه ، وقال لهم : أقسم بالله ما يتكلّم أحد منكم في فضول ، أو يحضر قصّة ، أو غير ذلك إلاّ كانت يده قبالة ذلك أو لسانُه ، وقد أكفيتكم ، وهذا الطّعام أنتم فيه وفي الفاكهة وفي الحلوى وفي المشروب ليلاً ونهاراً ، فكلوا واشربوا وغنّوا ، ليس إلاّ .

وكانت له قصعة تسَعُ ثمانية أرؤس غنماً يحملها أربعة عتّالين يملؤها يوماً حلوى سكريّة ، ويوماً طعام أرز مفلفلاً ، ولا يزال ليله ونهاره في مشروب وأطعمة وفاكهة وحلوى ، واعتذر للسّلطان عن إمساكه ، فقال : ماله عندي ذنبٌ إلاّ أنه خوشداش بكتمر الجوكندار ، ولّما أمسكت هذا ؛ خفتُ من ذاك لئلّا يتغيّر فإنّ نفسه قويّة .

وراح في وقت إلى إقطاعه بالصّعيد ، واستغلّ من قرية ست مئة ألف درهم ، فخطر له أن يدخل إلى بلاد السّودان ، ويفتحها ، وقال لي ـ وأنا في الكرك ـ : أنا أقيم لك ست مئة جندي .

١٣٩٨ ـ كُرت*

الأمير سيف الدين المنصوري نائب طرابلس .

كان من الفرسان المذكورة والأبطال المشهورة . له دِيْنٌ متين ، وسلطان في التقوى[(١)] مبين ، وفيه برٌّ ومعروف ، وجوده على الفقراء والصّالحين معروف .

---

* الوافي : ٢٤/٣٣٣ ، ووقع في بعض أصوله : « كرد » .

(١) (ط) : « وسلطان في الفتوى » .

حمل على التّتار في الوقعه ، وبيّن الفروسيّة ذلك اليوم لّما ضاقت الرّقعه ، وأبلى بلاءً حسناً وقَتل منهم جماعه ، وخاض فيهم ، فملأ الموت بالمصاع[(١)] صاعَه ، وذلك في سنة تسع وتسعين وست مئة .

كان هذا الأمير سيف الدين من مماليك الأمير ضياء الدين بن الخطير ، وجعله السّلطان الملك المنصور حسام الدّين لاجين حاجباً في أيامه ، ثمّ إنّه تولّى نيابة طرابلس ، وأبلى في واقعة غازان ، وقتل من التّتار جماعة ، ثمّ إنّه خاض فيهم فاستشهد ، رحمه الله تعالى .

وكان فيه اعتناء بأهل الخير وأهل الحرمين ، وله بالقدس رباط وعليه وقوف ، وكان كثير الصّدقة ، متين الدّيانة .

١٣٩٩ ـ كُرت*

الأمير سيف الدين النّاصري ، أخو الأمير سيف الدين طَغاي الكبير المقدّم ذكره .

حضر إلى صفد بتبع[(٢)] واحد ، وأقام بها مدّة ، ثمّ إنّه نقل في أواخر أيّام الأمير سيف الدّين تنكز إلى دمشق ، وبقي كذلك إلى أيّام الفخري ، فجهّزه إلى البلاد الرّوميّة لإحضار سيف الدّين[(٣)] طشتمر ، وأنعم عليه . ثمّ إنّ النّاصر أحمد أمَّرَهُ[(٤)] طبلخاناه ، وأقام بدمشق مديدة ، ثمّ إنّه جهّزه إلى جَعْبَر نائباً ، فأقام بها قليلاً .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

---

(١) المصاعة : المقاتلة والمجالدة بالسيوف ، يريد : إنّ الموت أهلكه .

* الوافي : ٣٣٤/٢٤ ، والدرر : ٢٢٦/٣ .

(٢) في الأصل و (ط) : « بقبع » ، وأثبتنا ما في (خ) ، (ق) والوافي .

(٣) (ق) ، (ط) ، (خ) : « الأمير سيف الدين » .

(٤) في الأصل و (ط) : « أجهزه » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) والوافي .

١٤٠٠ ـ كُرْجي*

الأمير سيف الدّين .

كان جريئاً شجاعاً كثير التّهوّر ، شديد الإقدام ظالم النّفس ، هو الّذي قتل السّلطان حسام الدّين لاجين ـ على ما سيأتي ـ .

ثمّ إنّه قُتِل لما[1] قُتِل طغجي ، وطيف برأسه في القاهرة سنة ثمان وتسعين وست ومئة ، قتله كردي من الحسينيّة برّا القاهرة بين الكيمان .

اللّقب والنّسب

☆ ابن الكَرْكَرِي : الأمير سيف الدين بهادر .

١٤٠١ ـ كُرْماس**

الأمير سيف الدّين ، أحد أمراء الطّبلخانات بدمشق .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في ثامن عُشْريّ المحرّم سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة .

اللقب والنسب[2]

☆ كريم الدّين الكبير : عبد الكريم بن هبة الله .

☆ وكريم الدّين الصّغير : أكرم .

---

* الوافي : ٣٣٤/٢٤ ، والنجوم الزاهرة : ١٨٣/٨ .

(١) في (ق) ، (ط) : « يوم » .

** لم نقف على ترجمة له .

(٢) زيادة يقتضيها منهج الكتاب .

١٤٠٢ ـ كُسْتاي*

بضمّ الكاف وسكون السّين المهملة وبعدها تاء ثالثة الحروف[1] وألف ممدودة وياء ، الأمير سيف الدّين النّاصري .

كان من أحسن الأشكال وأتمّها ، وأجمعها للمحاسن وأعمّها ، يميل إلى الأفاضل ، وذيله بالإحسان إليهم فاضل ، وله دين ، وفيه خير وإحسان وبرّ ، يسقط على حَبِّه الطّير ، وكان خطّه كحظّه زائدَ الحسن والقوّه ، فائق الرّونق ، كأنّه في العلامة عروساً على البصائر مجلوّه .

تولّى نيابة طرابلس ، فأحسن فيها الولايه ، وأظهر الاحتفال بعدله والعنايه .

ولم يزل بها على حاله إلى أن كَسَت كُستاي أكفانُه ، وجرى عليه من الدّمع غُدرانه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في جمادى الآخرة سنة ست عشرة وسبع مئة .

كان في رفعة طغاي الكبير ، وهو ثانيهِ في المنزلة ، ثمّ إنّ السّلطان الملك النّاصر أخرجه إلى نيابة طرابلس في جمادى الأولى سنة خمس عشرة وسبع مئة عوضاً عن تمر السّاقي .

١٤٠٣ ـ كُشْتُغْدي**

الأمير الكبير المعمَّر علاء الدَّين أبو أحمد الخطائي .

---

* الوافي : ٣٣٩/٢٤ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٣٢ والنجوم الزاهرة : ٢٣٧/٩ ، والدرر : ٢٦٨/٣ ، وذيول العبر :٨٧ ، وفيه « كشته » .

(١) في الأصل : « آخر الحروف » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

** الدرر : ٢٦٨/٣ .

كان شيخاً معمّراً ، جاوز التّسعين . وسمع من النجيب الحرّاني ومن بعض أصحاب البوصيري والخشوعي .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ ثاني[1] عشر جمادى الآخرة سنة سبع عشرة وسبع مئة .

اللّقب والنّسب

☆ **الكفري :** الشّيخ شهاب الدّين الحسين بن سليمان .

☆ **ابن كُسَيْرات :** تاج الدّين علي بن إسماعيل .

☆ **ابن الكلاّس :** علاء الدّين علي بن محمّد .

١٤٠٤ ـ كَماليّه*

بفتح الكاف وبعدها ميم وألفٌ ولام وياء مشدّدة وهاء .

أَخْبَرني من لفظه العلاّمة أثير الدّين ، قال : كانت المذكورة أديبة شاعرة ، ذكرها لي ناصر الدّين شافع وقال : إنّها كاتبت شعراء عصرها من أهل مصر . قال : وأخبرني فتح الدّين البكري ، وأنشدني قال : كتبت كماليّه إليّ :

سَمِعْتُ مِنْ شِعْرِك سحراً غـدا ... يخـامر الألبـاب إذ يَنْفَثُ
أصبـح كالخَمْرة في فِعْلهـا ... فهـو بـألبـاب الـورى يعبثُ

الكمالي : الأمير شمس الدين سنقر الحاجب .

---

(١) في الدرر : « ثالث » .

* الوافي : ٣٦٦/٢٤ .

١٤٠٥ ـ كُنْجشْكب*

بالكاف المضومة والنّون السّاكنة والجيم والشّين المعجمة السّاكنة وبعدها كاف أخرى وباء ثانية الحروف ، ابنة [أبغا][١] .

كانت من الخواتين الكبار ، وكان الأمير سيف الدين [تنكز][٢] يبالغ في تعظيمها ، ويكرم قصّادها ومَن يحضر مِن عندها أو يأتي بكتابٍ منها ، وكانت تُعْلِمه بأخبار القوم ومتجدّداتهم ، وما يدور بينهم ، وكانت تجهّز إليه في كل سنة من عندها كامليّة طلسمو[٣] إمّا لون فاختي أو لون بنفسجي ، أو غير ذلك من الألوان بطراز زركش ، عمل الموصل ، ودائر باولي من أفخر ما يكون ، وأصنعه[٤] بأزرار مرجان ملبّسة ذهباً على فَرْو قاقم له داير سنجاب في عرض أصبع أزرق طري غض كشن من خيار ما يكون . وكان تنكز تعجبه هذه الكامليّات ، ويُديم لبسها ، لما فيها من الطرافة وحسن الصّياغة ، وكان هو يهدي إليها أضعاف ذلك .

وعهدي بها في حياة تنكز في سنة أربعين وسبع مئة .

الألقاب والأنساب

☆ **الكنجي** : نائب مصياف ، اسمه : آقوش .

☆ **والكنجي** : محمّد بن محمّد بن أبي بكر . ومحمّد بن أبي بكر بن عبد الرّحمن .

ومحمّد بن أبي بكر بن عبد الرّحمن .

---

* الوافي : ٣٧٢/٢٤ .

(١) زيادة من تمام نسبها في الوافي .

(٢) زيادة من (خ) والوافي .

(٣) كذا في الأصل ، واختلف في رسمها في النسخ الأخرى ، ففي (ق) ، (ط) : « طسلمو » ، وفي (خ) : « طشلمو » ، وفي الوافي : « طملوء » .

(٤) في الوافي : « واضعة » .

١٤٠٦ ـ كُندُغدِي *

الأمير سيف الدّين العُمري .

أعرفه وهو والي باب القلعة بالديار المصريّة ، أقام على ذلك مدّة .

وكان حسنَ الصّوت والوجه ، نقي الشّيب ، أحمر الوجنة .

ثمّ إنّ السّلطان الملك النّاصر محمّد بعثه إلى إلبيرة[1] نائباً ، فتوجّه إليها في سنة ثمانٍ وثلاثين وسبع مئة ـ فيما أظنّ ـ ، وأقام بها إلى أن حضرت مطالعة الأمير سيف الدّين يلبغا اليحيوي نائب [حلب][2] تتضمّن الشّكوى منه ، ويذكر أنّه وقعت فيه قصص كثيرة ومحاضر ، فرسم السّلطان الملك الصّالح إسماعيل بإحضاره إلى حلب ، ومحاقفته على ذلك في مِحَفّة ، وكان مريضاً ، فوصل إليها ، وأقام ساعة واحدة .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة خمس وأربعين وسبع مئة .

١٤٠٧ ـ كُهُرداس **

الأمير سيف الدّين الرّزّاق[3] أحد الأمراء بدمشق .

كان ذكياً فطناً حذقاً ، له اعتناء بالمجلدات النفيسة والخطوط المنسوبة وغير ذلك من الأصناف الغريبة ، وأنفق على ذلك أموالاً جمّة ، عمِل له قَدمةً بالبندق غرم عليها ثلاثة آلاف درهم ، وهي مليحة ، رأيتها وهي ناقصة الغالقة .

---

* الوافي : ٣٧٣/٢٤ ، والدرر : ٢٦٩/٣ ، والنجوم الزاهرة : ١١٥/١٠ ، ووقع في الأصل و (ط) : « كيد غدي » .

(١) إلبيرة : من نواحي حلب .

(٢) زيادة من (ق) والوافي .

** الدرر : ٢٦٩/٣ .

(٣) في (خ) : « الرّراق » .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ بداره ، وهي دار القَيْمري خلف المدرسة القيمرية بدمشق في سلخ شعبان سنة أربع عشرة وسبع مئة .

١٤٠٨ ـ كُوْجَبَا*

الأمير سعد[1] الدين النّاصري .

كان نائباً بثغر الإسكندريّة .

روى للشيخ[2] شمس الدّين الذّهبي أحاديث عن النجيب عبد اللّطيف ، وكان خَتَنَ ابن الظّاهري[3] .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ بمصر سنة سبع وتسعين وست مئة ، وهو من أبناء السّبعين .

١٤٠٩ ـ كوكاي**

الأمير سيف الدّين أحد الأمراء المشايخ بالقاهرة .

تزوّج ابنتَه ستيته ـ المقدّم ذِكْرُها ـ في حرف السّين ـ الأميرُ سيف الدّين تنكز ـ رحمها الله تعالى .

ولم يزل أميراً كبيراً مقدّم ألف من الأيام الناصريّة إلى أن توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في جمادى الأولى سنة تسعٍ وأربعين وسبع مئة .

---

* الوافي : ٣٧٥/٢٤ .

(١) في الوافي : « سيف الدين » .

(٢) في الوافي : « الشيخ » .

(٣) عبارة الوافي : « وكان ختن ابن الظاهري على ابنته » .

** الوافي : ٣٧٦/٢٤ ، والدرر : ٢٧٠/٣ ، والنجوم الزاهرة : ٢٤١/١٠ .

وخلّف من الأموال على ما قيل ألف ألف ومئتي ألف درهم[(١)] وسبعة وعشرين ألف دينار عيناً غير الخيل والبرك والعدّة والبيوتات والقماش وغير الأملاك الكثيرة .

١٤١٠ ـ كوكنجار*

الأمير سيف الدّين المحمّدي ، أحد الأمراء الطبلخاناه بدمشق .

كان يسكن إلى جوار الأمير صارم الدّين صاروجا ، قريباً من الشّاميّة البرانيّة .

توجّه إلى الحج سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في يوم الجمعة منتصف القعدة سنة ثلاثين وسبع مئة .

اللقب والنسب[(٢)]

☆ **الكولمي** : عز الدين عبد العزيز بن منصور .

☆ **ابن الكويك** : سراج الدّين عبد اللّطيف بن أحمد . وشمس الدّين محمّد بن محمود .

١٤١١ ـ كَيْتمر**

الأمير سيف الدين ، بفتح الكاف وسكون الياء آخر الحروف وبعدها تاء ثالثة الحروف وميم بعدها راء .

كان من خوشداشيّة الحاج أرقطاي والأمير حسام الدّين البشمقدار[(٣)] ، أظنّه أُمِّرَ

(١) ليست في (خ) والوافي . وفي النجوم : « خلف أكثر من أربع مئة ألف دينار عيناً » .

* الدرر : ٢٧٠/٣ ، وفيه : « كوكي » .

(٢) زيادة يقتضيها منهج المؤلف .

** الوافي : ٣٧٨/٢٤ ، والدرر : ٢٧٠/٣ ، وفيه : « كيتم » .

(٣) في الوافي : « طرنطاي البشمقدار » .

طبلخاناه في أيام نيابة[١] الأمير سيف الدّين أرقطاي بمصر ، والظّاهر أنـه كان أميراً قبل ذلك ، عيّنه الأمير سيف الدّين أرغون شاه أمير الحج .

فمات بالطّاعون في شعبان سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

ومات أيضاً جماعـة من أولاده ومماليكـه . وكان لـه ولـدان هما[٢] في سماء الحسن فرقدان ، ومات وَصِيَّةُ الأمير سيف الدّين حـاجّي ، الجميع في جمعـة واحـدة ، وتـأسّف النّاس على ولديه .

☆ **الكيزاني** : سديد الدّين عبد الرّحمن بن عبد الرّحيم .

---

(١) ليست في الوافي .

(٢) (ط) ، (خ) : « كأنهما في » .

حرف اللام

١٤١٢ - لاجين*

السّلطان الملك المنصور حسام الدّين المنصور[١] ، مملوك السّلطان الملك المنصور قلاوون .

كان من خيار الملوك في الإسلام ، وأفضلِ مَنْ خَفَقت على رأسه البنود والأعلام ، شُجاعاً مَعْدُوداً في الفُرْسَان ، بَطلاً في وقت تمرح جياده في الأرسان ، جواداً يخجل الغمام إذا هتن أو همى ، كريماً أنسى جوده كرمَ حاتم الّذي سَمَا ، له ذبٌّ عن الإسلام وبَيْضَته ، وحِمايةٌ في جلوسه ونهضته ، أحقّ النّاس بقول أبي الطّيب :

فأنتَ حسام المُلْك والله ضاربٌ ... وأنت لواء الدّين والله عَاقدُ[٢]

وكان صحيحَ الوداد لمن يصحبه ، مليحَ الاعتقاد فين[٣] يألف به ويعجبه . تعجبه الفضائل ويعظّم أهلها ، ويذكر أُنسَها ويغضّ[٤] فضلها ، ويجمع عليها شملها ، ويَتَطَفَّل على طِفلها ، ويوقّر كَهْلَها . شديد الغَيْرة على حريمه ، لا يدع الأُسْد تقارب كناس ريمه .

سَنَّ لّما ملك أشياءَ حسنه ، وأزاح من جَفْن المُلك بها وَسَنه . أحبّه أهل دمشق لّما

---

* الوافي : ٣٨٥/٢٤ ، وتحفة ذوي الألباب : ١٨١/٢ ، وتالي وفيات : الأعيان ١٣٢ ، وانظر أخبار سلطنته ومقتله في البداية والنهاية : ٣٤٨/١٣ ، ٣/١٤ ، وإعلام الورى : ٨ ، والنجوم الزاهرة : ١٨٢/٨ .

(١) في الوافي : « المنصوري » .

(٢) ديوانه ٢٧٧/١ .

(٣) في الأصل : « فيا » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

(٤) في الأصل : « أيها » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) . وفي (ط) أيضاً : « ويغض » .

كان عندهم نائبا ، واستصحبوا ذلك لمّا كان عنهم غـائبـا ، ولكنْ خـانَ الزّمـانُ مُلْكَـه ، وأوْقَف في وسط بَحْره فلْكَه ، وجال الْحُسَام في الْحُسَام ، وفصّل أوصالَـه الجِسـام ، ومـا راعى سميَّه ، ولا حفظ وليَّه وسمَّيه .

وكانت قتلته ـ رحمه الله تعالى ـ ليلـة الجمعـة ، وقـد صـام نهـار الخميس عـاشر شهر ربيع الآخر سنة ثمانٍ وتسعين وستّ مئة .

أمّرهُ الملك المنصور أستاذُه عنـدمـا مَلَـك ، وبَعَثـه نـائبـاً على قلعـة دمشق ، فلمّـا تَسَلْطن سنقر الأشقر ، ودخـل القلعـة قَبض عليـه ، ولمـا انكسر سنقر الأشقر أخرجـه الأمير علم الدّين سنجر الحلبي .

ثمّ إنّه رُتّب في نيابة السّلطنة بمرسوم السّلطان ، ودَخَل في خدمته إلى دار السّعـادة في أوائل شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين وستّ مئة ، وعمل النّيـابـة إحـدى[١] عشرة سنة ، وأحبّ أهل دمشق وأحبّوه ، وأحسن إليهم .

ثمّ إنّ الأشرف عَزله من نيـابـة دمشق بـالشجّـاعي لمّـا أمسكـه على عكا ، وأفرج[٢] عنه ، وحضر معه إلى قلعـة الرّوم ، ولمّـا كانوا بعـدهـا بـدمشق هرب يوم العيـد مستهلّ شوال سنـة إحـدى وتسعين ، وركب الأشرف والعسكر في طلبـه ، وكان قـد توجّـه إلى بعض عرب صرخد ، ليتوجّه به إلى الحجاز ، فأمسكه وجاء به للأشرف فقيّـده ، وجهّزه إلى مصر هو وسنقر الأشقر ، ثمّ إنّه أفرج عنه ، وأُعطي إمرَة مئة بالقاهرة .

وفي شوّال سنـة اثنتين وتسعين قَطَع الأشرف خبز الأفرم الكبير ، وأعطـاه لـلاجين المذكور ، وكان عظيماً ، وخُنق بين يدي الأشرف ثمّ خُلّيَ عنه ، فإذا فيه[٣] روحٌ ، فَرَقَّ له السّلطان ، وأطلقه ، وردّه إلى رُتْبَته .

(١) في الأصل : « إحدى عشر » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) ، وهو الصحيح .
(٢) في الأصل : « وأخرج » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .
(٣) في الأصل : « هو » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) ، والتحفة .

وقيل : إنّ السّلطان الملك المنصور قال لولـده الأشرف : هـذا طرنطـاي ، لا تؤذه ولا تتعرّض له[١] أبداً ، فـإنّـه مـا يؤذيـك ، وهـذا لاجين ، لا تُمْسِكْـه ، وإن أمسكتـه لا تبقِه ، فإنّه يَحْقِـدُ عليـك ، ويَعْمَل على قتلـك . فخـالف والِـدَه في الجهتين ، فـأوّل ما تسلطن أمسك طرنطاي ، وقَتَله وأمسـك لاجين وأطلقـه فقتلـه . وقيل إنّـه إنّما قـام على الأشرف لأنّه تعرّض لزوجته بنت طقصو[٢] فعزّ ذلك عليه .

ولمّا قَتل الأشرفَ[٣] هو وَبَيْدَرا ، كان بيـدار الّـذي تقـدّم إلى الأشرف وضربـه وهو على الأرض يحصّل طيراً صادَه ، وكانت ضربـة غير طـائلـة ، فجـاء بعـده لاجين ، وهو سائق فَرَسَهَ ، فرأى ضربة بَيْدَرَا ، فقال : يا مأبون[٤] ، هذه ضربة من يطلب الملك ، ثمّ إنّه ضربه ضربة حلّ منها كتفه ، فقضى عليه .

ولمّا قتله[٥] اختفى حسام الـدّين لاجين ، وقيل : إنّـه هرب وقرا سنقر ، وعَـدَّيَـا النّيل ، وجاءا إلى جامع ابن طولون ، واختبأا في المئذنة ، وبقيا فيهـا أكثر من يومين ، ونـذر لاجين إن سَلِم أنّـه يعمّر الجـامع المـذكور ، ووفّى بنـذره . وتنقّلَ بعـد ذلـك في البيوت ، وقاسى أهوالاً وشدائد من الجوع والعطش والخوف .

ثمّ إنّ كتبغا أجاره وأجار قرا سنقر ، وأحسن إليه ، ودخل به إلى السّلطـان الملك النّاصر وقرّر معه أن يخلع عليـه ويحسن إليـه ، ففعل بـه ذلـك ، وأعطـاه خبزاً كان مع الأمير بدر الدّين بكتوت العلائي بالدّيـار المصريّـة وذلـك في شهر رمضـان سنـة ثلاث وتسعين وستّ مئة .

---

(١) (ق) ، (ط) : « إليه » .

(٢) في الأصل و (ط) : « لزوجته طقصور » ، وأثبتنا ما في (ق) والوافي .

(٣) سنة (٦٩٣) ، انظر خبر مقتله في البداية والنهاية : ٣٢٤/١٣ .

(٤) المأبون : مَنْ لحقه العيب .

(٥) (ق) ، (ط) : « قتلاه » .

ولّما ملك كتبغا جعله نـائبـه في مصر ، فوثب عليـه ـ كما تقـدّم في ترجمـة كتبغـا ـ وقتل مملوكيه[١] الأزرق وبتخاص ، وتغافل عنه لِمَا عَلَيْه من الأيـادي ، وهرب كتبغـا ـ كما تقدّم ـ وسـاق لاجين الخزائن والعسـاكر بين يـديـه من الغَور ، ومـا دخل غزّة إلاّ وهو سلطان ، وهو لم يختلف عليه اثنان .

وتملّك في أوّل صفر سنـة ستّ وتسعين وستّ مئـة ، وخُطِبَ لـه بغزّة وبلـد الخليل عليه السّلام والقدس .

ولّما دخل القاهرة جلس على سرير الملـك ، وبعث قبجق نـائبـاً إلى دمشق : لأنـه خوشداشه ، وجعل قراسنقر نائبـه بمصر إلى أن تمكّن ثمّ قبض عليـه ، وأقـام في النّيـابـة مملوكه الأمير سيف الدّين منكوتمر ، فحسَّن لـه القبض على الأمراء ، فـأمسـك البَيْسرِيّ وقراسنقر وأيبـك الحموي ، وسقى جمـاعـة السّمّ ، ولـذلـك هرب قبجـق وألبكي وبكتمر السّلاّح دار وَبزلار إلى التّتار ـ كما تقدّم في تراجمهم ـ ولم يخرج إلى الشّام مدّة ملكه .

ولّما كان يوم الخميس في التّاريخ المذكور ركب موكبه وهو صائم ، عمل عليه جماعة من الأشرفيّة ، ودخلوا عليه بعد العشاء الآخرة ، وهو مكِبٌّ على الشّطرنج[٢] ومـا عنـده إلاّ القـاضي حسـام الـدّين الحنفي وَعبـد الله الأمير وَبُرَيـد[٣] البَـدوي وإمـامـه محبّ الدّين بن العسّال ، فأوّل مَنْ ضَرَبَـهُ بـالسّيف كرجي ـ مقـدّم البرجيـة ـ وتوجّـه طغجي وكرجي إلى دار منكـوتمر ، ودقّـا عليـه البـاب ، وقـالا : السّلطـان يطلبـك ، فنكرهمـا ، وقـال : قـد قتلتمـاه ؟، فقـال كرجي : نعم يـا مـأبون ، وجئنـا لنقتلـك ، فاستجار بطغجي ، فأجاره ، وحلَفَ له ، فخرج إليهما ، فـذهبـا بـه الْجُبَّ ، وأنزلاه ، فاغتنم كرجي الغفلـة ، وحضر إلى الجّب ، وأخرجـه من الجبّ ، وذبحـه ، وقـال : نحن ماقتلنا أستاذه إلاّ من أجلـه فمـا في بقـائـه فـائـدة ، ونهبوا داره في الحـال ، واتّفقوا على

(١) في الأصل و (ط) ، (ق) : « مملوكه » ، وفي الوافي والتحفة : « غلاميه » .
(٢) في الوافي و (ق) : « على اللعب بالشطرنج » .
(٣) في البدائع م ٣٩٨/١/١ : « يزيد » .

إعادة الملك النّاصر ثانياً إلى الملك ، واتفقوا على أن يكون طغجي نائباً ، وحَلَفوا له على ذلك ، وأرسلوا سلاّر ـ وهو إذ ذاك أميرٌ صغير ـ إلى الكرك ، لإحضار النّاصر محّمد ، وعمل طغجي النّيابة أربعة أيّام .

ولّما حضر أمير سلاح من غزوة الشّام ؛ وطلعوا للقياه[١] جرى ما جرى ـ على ما تقدّم في ترجمة طغجي وأمير سلاح ـ وقتل طغجي وكرجي ، وكان يعلّم على الكتب إذ ذاك ثمانية أمراء : سلاّر وَالجاشنكير وبَكتمر أمير جاندار وآقوش الأفرم وَالحسام أستاذ الدّار وَكُرت[٢] وَأيبك الخزندار وَالأمير عبد الله .

وقتل لاجين وهو في عشر الخمسين :

قَدَرٌ عَدَت فيه الحوادثُ طورَها وتجاوزت أقدارَها الأيّامُ

لأنّه كان سلطاناً جيداً ، عادلاً خبيراً ، دَرِباً كريماً ، جواداً شجاعاً ، كان يسلُّ سيفه ، ويهزّه في يده ، ويقول : أشتهي أرى أبغا وهذا في يدي .

ولّما ملك أخرج الخلفاء من الاعتقال ، وأبطل تجهيز الثلج من بيروت وطرابلس[٣] ، وقال : لا حاجة لي به ، فإنّي كنتُ في دمشق ، وأدري ما يجري على الرّعايا في وسق الثّلج في المراكب ، وما يجدونه من التّعب والمغارم والكلف .

وكان ذكياً يقظاً ؛ أخبرني القاضي شهاب الدّين بن فضل الله ، قال : حكى لي والدي أنّه وصل إليه في بعض الأيام بريدٌ من مصر على يده كتابٌ من طرنطاي ، وممّا فيه بخطّه أنّ الخروف نطح كبشه قَلَبه[٤] ، فقال لي : ما هذا يا محيي الدّين ؟! قلت : ما أعلم ، فقال : هذا الكلام معناه أنّ بيدَرا قد وثب على عمّه الشّجاعي ، وكذا كان ،

(١) (ق) ، (ط) : « لتلقّيه » .
(٢) في الوافي : « كزد » .
(٣) في الوافي : « من الشام إلى مصر » .
(٤) في الوافي : « اقلبه » .

فإنّ الشّجاعي كان زوج أم بيدرا ، فعمل عليه عند المنصور ، وأمسكه ، وعزله ، وصادره . وهذا في غاية الفهم من مثل هذه الإشارة .

وحكى لي الأمير شرف الدّين أمير حسين بن جندر بَك ، قال : قال لي السّلطان حسام الدّين لاجين يوماً : يا حُسين ، رأيتُ البارحة أخاك مظفر الدّين في النّوم وهو يقول لي : ﴿ وسيعلم الّذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون ﴾[1] ، فما كان بعد[2] ثلاث ليالٍ حتّى قتل رحمه الله تعالى .

وحكى[3] عنه الشّيخ علاء الدّين بن غانم ـ رحمه الله تعالى ـ مكارم كثيرة ولطفاً زائداً وإحساناً جمّاً ومودّة يرعاها لمن يعرفه .

وكذلك حكى لي عنه شيخنا فتح الدّين بن سيّد الدّين لمّا دخل إليه لم يدعه يبوس الأرض ، وقال : أهل العلم يُنَزَّهون عن هذا وأجلسه عنده ـ أظنّه قال لي : على المقعد ـ ، ورتّبه موقّعاً[4] في ديوان الإنشاء ، فباشر ذلك أياماً ، ثمَّ استعفى فأعفاه ، وجعل المعلوم له راتباً ، فأقام يتناوله الشّيخ إلى أن مات سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

وكان شيخنا العلامة شهاب الدّين محمود يوماً بين يديه ، وهو بدمشق [يكتب][5] ، فوقَع شيءٌ من الحبر على ثيابه ، فأعلمه لاجين بذلك ، قال لي : فنظمتُ في الحال بين يديه :

ثيابُ مملوكِكَ ياسيّدي ... قَدْ بيّضت حالِي بتسويدها

---

(١) الشعراء : ٢٦/٢٢٧ .

(٢) في (ق) ، (ط) والوافي : « بعد ذلك ... » .

(٣) في (ق) ، (ط) والوافي : « وحكى لي ... » .

(٤) في الأصل : « موضعاً » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) والوافي .

(٥) زيادة من (ط) ، (ق) والوافي .

مـــا وَقـع الجبْرُ عليهـــا بلَى وَقَّــعَ منْــكَ بتجــديــدهــا

قـال : فـأمرَ لي بتفصيلتين ومبلغ خمس مئـة درهم ، فقلتُ : يـا خونـد مماليكـك الجماعة رفاقي يبقى ذلك في قلوبهم ، فأمر لكلّ منهم بمثل ذلك ، ثمّ صار ذلك راتبـاً لنـا في كلّ سنة عليه .

ونَدب الأمير علم[1] الدين الدّواداراي ، وهو سلطـان ، فعمّر جـامع ابن طولون ، واشترى لـه وقـوفـاً كثيرة ، وجـدّد فيـه وظـائف كثيرة من التّفسير والحـديث والفقـه والقراءات والطّبّ وعمّر بدمشق الخان المنسوب إليه تحت ثنيّة العُقاب .

وكان أشقر ، في لحيته طولٌ يسيرٌ ، وخفّه . وَجْهُه رقيق مُعَرّقٌ وعليه هيبـه ، وهو تام القامة ، في قدّه رشاقة وهَيَفٌ . وكان وهو سلطان يجهّز البريديّـة ، ويحمّلهم السّلام إلى الموقّعين الّذين كان يعرفهم .

وأنشدني شيخنا أبو الثّناء محمود إجازة قصيدة مَدحَهُ بها وهي :

أطـاعـك الـدّهرُ فَـأْمُرْ فهو مُمْتَثِـلُ واحكُمْ فأنْتَ الّذي تُزهى بـه الـدّولُ
واشرُفْ فلو مُلكَت شمسُ النّهـار عُلاً مَلَكْتَهـا لم يَـزِدْ في سَعْـدهـا الحَمَـلُ
وانْهَضْ بعَزْمِـكَ فهو الجيش يَقْـدمُـه من بأسـك المنـذران الرّعب والوجل[2]
وسِرْ بـه وَحْــدَه لا بـالجيـوش وإنْ لم يَحْوِهـا الأَرْحَبـان السّهل والجبـل
تلقى الفتـوحَ وقـد جـاءتـك وافـدةً يحثّهـا الْمُـزْعجـان الشّـوقُ والأمـل
قد أرهفَ الْمَلِـكُ المنصور منـك على جَيْش الأعادي حُسامـاً حـدُّه الأجل
تهـوى أسنتُـــه بيضَ النّحــور فمِنْ آثـارهـا الحمر في أجيـادهـا قبَـلُ[3]
تُـدْمِي سطـاه وتنـدَى كفـه كرمـاً كالغيث يَهْمي وفيـه البرقُ يشتعـل

(١) في الأصل : « علاء » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) . وعلم الدين هذا هو سنجر .

(٢) في الأصل : « المنذرات » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) والوافي .

(٣) في الأصل : « الجمر » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) والوافي .

سَلْ يوم حمصَ جيوشَ الْمُغْل عنه وقد ... ضاق الفضاءُ بهم واستدّت السُبُلُ[(١)]
والهام تسجد والأجسام راكعةٌ ... والموتُ يُقْبِل والأرواحُ تنتقل[(٢)]
والبيض تُغْمَد في الأبطال عاريةً ... وتَنْثني وعَلَيْها منْهُمُ حُلَلُ
والخيلُ تَخْفَى وتخفى في العَجاج فإنْ ... بَدَت غَدَتْ وهي بالهامات تَنْتعلُ
يخبرْك جمعُهمُ والفَضل ما شهدت ... به العِدا أنّه ليث الشَّرى البطل
وأنّه خاض في هيجائها وَجَلاَ ... غمارَها واصطلاها وهي تشتعل
وصدّهم وهُمُ كالبحر إذ صُدِموا ... ببأسِه وحَمَى الإسلامَ إذ حَمَلوا
فمزّقتهم سُطاه ذا يَسيرُ وذا ... عانٍ أسيرٌ وذا في التُرْبِ مُنْجَدِلُ
كأنّ أسْهُمَهُ والموتُ يبعثها ... بين المنايا وأرواحِ العِدى رُسُلُ
كأنّ هارِبَهم والخوفُ يطلبه ... يبدو لديه مِثالٌ منه أوْ مَثَلُ
فإن تنبّهَ يوماً راعَهُ وإذا ... أغْفَى جَلَتْهُ عليه في الكَرَى الْمُقَلُ
وعادَ والنصر معقود برايته ... والْمُغْلُ ما بين أيدي خَيْله خَوَلُ[(٣)]
قد جَمّعَ اللهُ فيه كلَّ مفترق ... في غيره فهو دُون النّاس مُكْتَمِلُ
فعن نَدى يده حدِّث ولا حرجٌ ... اليمُّ ثَمّ وعَمّ العارضُ الهَطِلُ
أستغفر الله أين الغيثُ مُنْفَصلاً ... من برّه وهو طول الدّهر متّصل
عطاء من ليس يثني قطّ راحتَه ... عن النّدى سأمٌ يوماً ولا ملل[(٤)]
مَنْ حاتِم ؟ عَدِّ عنه ، واطّرح فبه ... فيالْجُود لا بسواه يضرب المثل[(٥)]
أين الّذي برّه الآلاف يتبعها ... كرائمَ الخيل مِمّن جُوده الإبل[(٦)]

(١) في الأصل و (ط) : « واشتدت » ، وأثبتنا ما في (ق) والوافي .
(٢) في الوافي : « ترتحل » .
(٣) في الأصل : « معقوداً » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) والوافي .
(٤) في (ط) ، (ق) ، والوافي : « فيض راحته » .
(٥) في الأصل : « فيه » ، وأثبتنا مافي (ط) ، (ق) والوافي .
(٦) في الأصل : « إن الذي بره الآلات » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) والوافي . وفي الوافي : « ممن بره ... » .

لو مُثّل الْجُود سَرْحاً قال حاتمهم «لا ناقة لي في هذا ولا جَمَلُ»(١)
أحاط بالنّاس سورٌ من كفالته ظلّ لهم وعلى أعدائهم ظلَلُ(٢)
أضحَوا به في مهاد الأرض يكلؤهم من رأفةٍ بهم يقظانُ إن غفلوا
يحنوا عليهم ويعفو عن مسيئهم حِلْماً ويصفح عنهم إنْ هُمُ جَهلوا(٣)
وأعدل النّاس أيّاماً بلا شطط في الحكم منه ولا حيفٌ ولا ميل(٤)
أطاع خالقه فيما تقلّده فما عن الدّين بالدّنيا له شُغُل
إنْ رام صيداً فما الكِنْديّ مفتخراً بالخيل في الصّيد إلاّ مُطْرِقٌ خجلُ(٥)
بكلّ طِرْفٍ يفوت الطّرفَ رؤيته لا يأخذ الصّيد إلاّ وهو منفتلُ(٦)
في فتية من كماة التّرك ليس لهم إلاّ التّعلّم من إقدامه أَمَلُ(٧)
إن يقتلوا الصّيد في أيدي الجوارح بل جوارحُ اللّحظ إن يرموا بها قتلوا(٨)
عزّاً وصوناً لمن دان الأنام له حتّى السّهام إلى أغراضه ذُلَلُ
أو حاولَ اللّعِبَ المعهود بالكرة الـ ـتي بها تستعين البيضُ والأَسَلُ

(١) في الوافي : « مسرحا » . والسرح : البهائم التي يملكها الإنسان ، وهي ترعى .
وعجز البيت للراعي ضمنه شعره ، وصدره :
وما هجرتكِ حتى قلْتِ معلنةً
وأصله مثل للحارث بن عُباد حين قتلَ جساسُ بن مرّة كليباً ، وهاجت الحرب بين الفريقين ، وكان الحارث اعتزلها .
انظر : مجمع الأمثال للميداني : ٢٢٠/٢ .
(٢) في الوافي : « أعدائه » .
(٣) زيادة من (ق) والوافي .
(٤) في الوافي : « فلا شطط » .
(٥) في الأصل و (ط) : « مشتغل بالخيل » ، وأثبتنا ما في الوافي . والكندي هو امرؤ القيس . يشير أبيات الطرد في معلقته .
(٦) في الوافي : « الطرف منظره » . وفي (ق) ، (ط) : « منتقل » . والطِرف : الخيل الكريمة .
(٧) في الوافي : « حماة الترك » .
(٨) في الوافي : « إن يقتلوا » .

حيث السّوابق تجري في أعنّتها طوعاً وتعطف أحياناً فتمتثل
كأنّه وهو والبرديّ في يده على الجواد وكلٌّ نحْوَها عَجِلُ[(١)]
شمسٌ على البرق حاز البدر يرفعه عَن الهلال فيعلو ثمّ يستفلُ
لا زال بالملك المنصور منتصراً ما قال بالدّوح غصن البانة الثّمل

ولّما تولّى السّلطنة جاء غيثٌ عظيم ، بعدما كان تأخّر ، فقال علاء الدّين الوَدَاعي ، ومن خطّه نقلت ـ :

يا أيّها العالَم بُشْرَاكُمُ بدَوْلَةِ المنصورِ رَبّ الفَخار
فالله بارك فيها لكم فأمطرَ اللّيلُ وأضحى النّهار[(٢)]

ولّما أبطل المنكرات في أيّامه : قال ابن دانيال :

احذر نديمي أن تذوق الْمُسْكِرَا أو أنْ تحاولَ قطّ أمْراً منكرا
لا تشربِ الصّهباء صرفاً قرقفا وتزور من تهواه إلاّ في الكرى[(٣)]
أنا ناصحٌ لك إنْ قَبلت نصيحتي اشربْ متى مارمت سُكراً سُكّرا
والرّأي عندي تَرْكُ عقلك سالماً مِنْ أن تراه بالْمُدام تَغيّرا
ذي دولة المنصور لاجين الّذي قهر الملوك فكان سلطان الورى
إيّاك تأكلُ أخضراً في عصره يا ذا الفقير يكون جنبك أحمرا[(٤)]
والمزر يا مسعود دعه جانباً واشرب من اللّبن المخيض مكرّرا[(٥)]
وبنى حرامٍ احفظوا أيديكم فالوقْتُ سيفٌ والمراقِبُ قد دَرَى
توبوا وصلّوا داعيين لملكه فبه تنالون النّعِم الأكبرا

(١) في الوافي : « وهي » .
(٢) هنا تنتهي ترجمته في الوافي .
(٣) القرقف : الخمر يرعد عنها صاحبها .
(٤) (ط) : « في مصره » . وفي (ط) و (ق) : « يصير جنبك » .
(٥) المزر : ضربٌ من الأشربة المسكرة .

ولمّا كان بدمشق نائباً ـ رحمه الله تعالى ـ؛ أُمسك نصراني في أوائل شهر رمضان سنة سبع وثمانين وستّ مئة عند امرأة مسلمة[1] جميلة يشرب الخمر ، فأمر بإحراقه ففدى النّصراني نفسه بمال جزيل ، فلم يقبله ، وأمر بنار عظيمة ، فأضرمت ، وأُلقي النّصراني فيها[2] ، فقال العلاّمة شهاب الدّين محمود يمدحه ، أنشدنيه لنفسه إجازة :

يــا من بــه وبرأيــه ورُوائــه ... بلـغ المرادَ الــدّينُ من أعــدائــه
أنت الّــذي لم يخشَ لَــوْمَــةَ لائمٍ ... في الله فـابشر فُزْتَ عنـد لقـائـه
مـا يـومـك للـماضي لـديـك بضـائـع ... واللهُ والأمـلاك من شهــدائــه
يــا كافـل الإسـلام قبلــك لم يقم ... هــذا المقـامَ سـواك من كفـلائـه
بـالسّيف قـام ولا اختـلافَ بـأنّـه ... أنت الحســام وذاك من أسمائــه
أقسمتُ لـو آلى امرؤٌ لــك أنّـه ... أحـــدُ الفتــوح لبرّ في آلائــه
أرسلتهـــا في العــدل أحسنَ سيرةٍ ... بـك يَقْتـدي من كان في أُلَفـائـه
وغضبتَ لـلإسـلام غضبـة ثـائرٍ ... لله غير مشــارَكٍ في رائــه
وحميت سرح الــدّين من متخلّسٍ ... رَجسٍ يُسِرّ الْغَـدْرَ في استخفـائـه
أخفى سُرَاهُ إلى الحريم ومــا دَرَى ... أنّ الإلــه وأنت من رقبــائـه
جمع الخيـانةَ والخَنـا في الأرض والإ ... شراكِ بـالرّحمن فَـوْقَ سَمائِــه
فـأمرت أَمْراً جــازمـاً بحريقـه ... ورأيتَ أنّ القتـل دُون جَـزائـه
أحرقْتَ من أَدْنت عــداوةُ كُفره ... يَـدَهُ من الإسـلام في استعـلائـه
طهّرت مِنْ دَمِـهِ الثّرى وقَـذفتـه ... في النّــار إذ هي مُنْتَهى نُظَرائِــه
ورفعت قَـدْرَ السّيف عنـه وإنّـه ... لَيجـلّ عن تنجيسـه بـدمَـائـه
أرعبتَ أهـل الشّرك منــك وكلّهم ... يلقى خيـالـك واقفـاً بـإزائـه
وسلبتَهم طِيب الرّقـاد فَمَنْ غفـا ... ألفى دَبيب النّـارِ في أعضـائـه

(١) في الأصل : « مسلم » ، وأثبتنا مافي (ط) ، (ق) .
(٢) انظر : البداية والنهاية : ٣١٢/١٣ .

أَوْلَوْ تخيّل في المنام بجُرْمِه خشيَ الحريق ومات في إغفائه(١)
راموا شفيعاً عنده في ذنبهم كي يُسخط الرّحمن في إرضائه
غابوا وهل في الأرض من يثنيه عن تنفيذ حكم الله في إمضائه(٢)
ماضٍ حكيم ثابتٌ مُتمسّكٌ بالشروع في أحكامه وقضائه
وكما البُزاة أمِنّ سطوةَ بأسِه فكذا البغاةُ يَئِسْنَ مِنْ إبقائه
كالسّيف يبدو في توقُّدِ حَدّهِ في النّاظرين إليه رونق مائه
يا راعي الإسلام صُنت السّرب أن تدنو كلاب الشرك من ضعفائه
عاملت ربّك بالّذي أسلفته في دينه فابشر بحُسْنِ وفائه
ما غِرْت إلاّ للإله وخَلْقِه من فَتْكِ شَرّ عبيده بإمائه
نزّهْتَ شِرْعَةَ دينه فابشر بها هي خيرُ ما أَوْلاك من آلائه
ولك الهناء إذ النبيّ محمّد وافيته بالحوض تحت لوائه
فاستشهدِ الشّهر الشريف فإنّه يُثني بما أبديت في أثنائه
أَحْيَيْتَهُ بالعَدْل فارقد إن تشا فلقَدْ بَلَغْتَ القَصْدَ مِن إحْيائه
عَظّمت حُرْمَتَه وأهلكْتَ الّذي لم يَرْعَ حقّ الله في آنائه
فاسْلَمْ لهذا الدّين تحرس سِرْبَه ويُغَضّ جفن الشّرك منك بدائه(٣)
واشكر إلهك بالّذي أُلهمتَه فيما فعلتَ فذاك من نَعْمائه

١٤١٣ - لاجين*

الأمير حسام الدّين الأستاذ الدّار الرّومي .

كان من كبار الأمراء مقدّمي الألوف بالدّيار المصريّة . وكان مقدّم الميسرة في يوم

(١) في الأصل و (ط) : « في الأنام » ، وما أثبتناه من (ق) .
(٢) (ق) ، (ط) : « أو إمضائه » .
(٣) في الأصل : « ويعض » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .
* الدرر : ٢٧٠/٣ ، والنجوم الزاهرة : ٢٠٦/٨ .

شَقْحَب ، ثبت هو ومَن معه مِن أصحابه وكان معه ثمانية أمراء مقدّمون أبْلَوْا جميعهم بلاءً حسناً ، وثَبَتوا لحملات التّتار ، فاستشهدوا جميعهم في الواقعة المذكورة ـ رحمهم الله تعالى ـ وذلك في شهر رمضان سنة اثنتين وسبع مئة .

وقَبْرُه هو وحده هناك على جبلٍ عليه قبّة يراها المسافرون على يمين المارّ من دمشق إلى الصّنمين[1] .

وكانت قتلته في عصر السّبت ثاني شهر رمضان ـ رحمه الله تعالى .

ونَقَلْتُ من خطّ الشّيخ شهاب الدّين أحمد بن يوسف الصّفدي الطّبيب بالبيمارستان المنصوري بالقاهرة من مرثية كتب بها إلى الأمير ركن الدّين عمر بن الأمير حسام الدّين لاجين الرّومي أولها :

كأس الحِمام على الأنام يدورُ — والعُمْرُ ماضٍ والزّمانُ يَسير
أنفاسُنا كَرَواحِلٍ لنفوسنا — لمراحلٍ فيها الأنام تصيرُ
يا مَنْ يسير على اليسير وحَوْلَهُ — عِبَرٌ وخلقٌ في القبور عبور
انظر إلى الدّنيا وما فعلت بمَنْ — ترنو إليه بطرفها وتسيرُ
كم خوّلت فتحوّلت ولَئِنْ حَلَت — قد أنْحلَت وأصابها التّغيير

منها :

يا مرجُ صُفَّرَ أصفَرت بك أرْبُعٌ — وجَرَت دموعٌ نَظْمُها مَنْثُورُ[2]
جاء التّتار تدفّقاً تترى له — فترى ....[3] والجبال تسير
ورَدُوا بمائة ألفِ مغلاً بعدها — عشرون ألفاً بأسها محذور

(١) الصنمين : من أعمال حوران ، جنوب دمشق بنحو خمسين كيلاً .
(٢) مرج صفر : في دمشق . (معجم البلدان) .
(٣) كذا بياض في الأصل و (ط) و (ق) .

لله مَنْ فـادى الأنـامَ بنفسـه … لم يُرهبـاه منكرٌ ونكير
في محضرٍ شَرْعُ الأسنـة شـاهـدٌ … إنّ الثّنـاء لغيره مَحْظـورُ
فـالسّيف يكتب والمثقّف نـاقـطٌ … والسَّهمُ يُشكل والطّـلا المسطـور(١)
حِضْنَ السّيـوفُ بـه وهنّ ذكـور … وقَـدَحنَ نـاراً والأكفّ بحـور
هـذا حسامُ الـدّين والـدّنيـا فما … يُلقى لـه بين الأنـام نَظير
كم خـاض أهـوالَ المعـارك عـاركاً … والحربُ تَقْـدَح والشّرار يطير
والخيـل تعثر بـالنّـواصي والقنـا … والأرض راجفـةٌ تكادُ تمـور(٢)
فرمـاحُـهُ مثـل الرّجـوم نصـالها … شهبٌ يراهـا في النّحـور تَغـور
تبكي عليـه محـافـلٌ وجحـافـلٌ … ومنـاصـل وذوابـل وقصـور

وهي أربعة وستون بيتاً وهذا القدر منها كافٍ .

١٤١٤ ـ لاجين*

الأمير حسام الدّين الحموي .

كان أوّلاً بحماة أستاذ دار الملك المؤيّد صاحب حماة . ولّما ولي الأمر الملك الأفضل وقع بينهما ، فَنَزح عن حماة ، وتوجّه إلى مصر ، وعاد إلى دمشق أميراً .

وكان الأمير سيف الدّين تنكز يُكْرمه ، ولم يزل بدمشق إلى أن أمسك تنكز ، وحضر بشتاك إلى دمشق ، فولاّه المهمنداريّة بدمشق . فأقام يُوَيْمات ثمّ ولي مدينة دمشق ـ فيما أظنّ ـ، فأقام قليلاً وطلب الإقالة .

ولم يزل بدمشق على حاله إلى أن توفي بدمشق في مستهلّ صفر سنة ستّ وأربعين وسبع مئة .

(١) المثقف : الرمح .
(٢) في الأصل : « تعبر » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .
* الدرر : ٢٧٠/٣ .

١٤١٥ ـ لاجين*

الأمير حسام الدين المنصوري المعروف بالصُّغَيّر .

كان أحد الأمراء الطّبلخاناة بدمشق ، وولي البرّ في وَقْتٍ في المحرّم سنة ثمان وتسعين وستّ مئة .

ثمّ إنّه قُيّد واعتقل بقلعة دمشق بعد قتل حسام الدّين لاجين السّلطان في شهر ربيع الآخر سنة ثمانٍ وتسعين ، وأفرج عنه في جُمادى الآخرة .

وعُزِل وجهّز إلى ولاية الولاة بالقبليّة عِوَضاً عن الحاج بهادر في شوّال سنة إحدى عشرة ، وتوجّه أمير الحج في سنة اثنتي عشرة وسبع مئة ، وولي غزّة بعد الجاولي .

ثمّ إنّه توجّه لنيابة إلبيرة ، وأقام بها إلى أن توّفي ـ رحمه الله تعالى ـ في ذي القعدة سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

وفي سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، وصل[١] تابوته إلى دمشق في خامس صفر من السّنة المذكورة وكان قد نقل أولاً إلى حلب ودفن بها ثمّ إنّ أستاذ داره نقله إلى دمشق ، وكان قد أسند وصيّته إلى الأمير سيف الدّين تنكز ، ولأجل ذلك لمّا اتفق ما اتفق لابنته أمر بخنقها ، وكانت واقعة عجيبة .

١٤١٦ ـ لاجين**

الشيخ الصّالح حسام الدّين الأزهري .

كان شيخاً كبيراً تجاوز المئة بثلاث سنين ، وَجاور بالجامع الأزهر في القاهرة مدّة سبعين سنة .

---

* البداية والنهاية : ١٤٧/١٤ ، والدرر : ٢٧٠/٣ ، والنجوم الزاهرة : ٢٨٠/٩ .

(١) في الأصل و (ط) : « ووصل » .

** الدرر : ٢٧١/٣ .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ ثالث عشر شهر رمضان سنة أربع عشرة وسبع مئة ، وكانت جنازته[١] حافلةً ، وصُلِّي عليه غائباً بالجامع الأموي بدمشق .

١٤١٧ ـ لاجين*

الأمير حسام الدّين المنصوري المعروف بالزّيرباج .

كان قد حبسه السّلطان الملك النّاصر محمّد ، فأقام في الحبس مدّة سبع عشرة سنة ، ثمَّ إنّه أفرج عنه وعن الأمير فرج بن قراسنقر[٢] وعن الأمير علم الدّين[٣] وخلع عليهم في ليلة عرفة سنة ثمانٍ وعشرين وسبع مئة[٤] .

١٤١٨ ـ لاجين**

الأمير حسام الدين الإبراهيمي أمير جاندار .

توفّي ـ رحمه الله تعالى ـ في سابع عُشْرَي ذي الحجّة سنة تسع وعشرين وسبع مئة ، ودفن بالرّوضة تحت قلعة الجبل ظاهر القاهرة .

كان أمير خمسين ، وفيه دين ومروءة .

١٤١٩ ـ لاجين***

الأمير حسام الدّين الغُتمي نائب الرّحبة .

---

(١) (ط) ، (ق) : « جنازة » .

* الدرر : ٢٧١/٣ .

(٢) سلفت ترجمته في موضعها .

(٣) سنجر ، وسلفت ترجمته .

(٤) وتوفي سنة (٧٣١ هـ) ، كما في الدرر .

** الدرر : ٢٧١/٣ .

*** الدرر : ٢٧١/٣ .

كان من مماليك الغُتمي نائب الرّحبة[١] ، ولم يكن هو في نفسه غُتمياً . وانتشا بالرّحبة ، وعمل بها ولاية البَرّ مُدّة . ثمّ إنّه أقام بدمشق وخدم القاضي محيي الدّين بن فضل الله ، فخلّص له ولاية البقاع ، فأظهر نهضة كافية وكفاية[٢] تامّة ، فنقله إلى ولاية نابلس ، فأبان فيها عن سداد وشهامة ، فأحبّه الأمير تنكز ، فقال له : ياخوند إن ولّيتني نيابة الرّحبة ، وفّرت العسكر الدّمشقي من التّجريد إليها ، فكتب له إلى السّلطان ، فأجابه إلى ذلك ، وأعطاه إمرة طبلخاناة ، فتوجّه إليها ، ووفّى بما التزمه من عدم تجريد العسكر إلى الرّحبة . وفرح بذلك تنكز ، وأحبّه .

وحضر العربان والناس ورافعوه ، ولم يلتفت إليهم ، وأمسك غرماءه ورماهم في الحبس ، وتوجّه العربان الكبار من آل مهنّا وغيرهم ، وشكوا منه إلى السلطان شكوى كبيرة[٣] ، فطلبه السلطان إلى مصر ، فتوجّه إليها في سنة تسعٍ وعشرين وسبع مئة ، وكتب تنكز على يده ، فلم يسمع فيه كلاماً ، وخلع عليه ، وجهّزه إليها مكرّماً ، وتوجّهت أنا إليها موقّعاً في آخر هذه السّنة المذكورة ، وكتبتُ إليه من قُباقب[٤] على جناح الحمام بطاقة بوصولي ، وفيها :

هذي بطاقةُ خادمٍ قد جاء يلهج بالمدح
حمّلتها قلبي الذي قد طار نحوك بالفرح

ولما قدمت إليها انجمع منّي[٥] وانزوى عني مدة تزيد على شهرين ، ثم إنه أقبل عليّ إقبالاً عظيماً ، وأفضى إليّ بأسراره ، وأحسن إليّ غاية الإحسان ، وقال : يامولانا ، خوّفوني منك ، وقالوا : هذا واحد قد سيّروه من مصر عيناً عليك ، وزال ذلك .

(١) هي رحبة مالك بن طوق م وسلفت الإشارة إليها .
(٢) في الأصل : « وكاية » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .
(٣) في (ق) ، (ط) : « كثيرة » .
(٤) موضع قرب الفرات . (معجم البلدان) .
(٥) في الأصل : « عني » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

ولما انفصلت من الرحبة وعدت إلى دمشق زوّدني وأعطاني مبلغ ألف درهم وقماشاً وحجراً عربية ثمينة واستمر لي عليه راتب في دمشق من الشعير لخيلي ومن التّبن في كل سنة . وتوجهت إلى مصر ، وهو يخدمني ويحسن إليّ بأنواع ، ويطلب الناس مني الشفاعات إليه ، فلا يردّها ، إلا أنّه كان جباراً سفّاكاً للدماء يعاقب عقاب المغل ، ويتنوع في ذلك بأنواع العذاب .

ولم يزل على حاله في الرحبة إلى أن توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في شوال سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

١٤٢٠ ـ لاجين*

الأمير حسام .

كان قد تزوّج بأمّ المظفّر حاجّي ، وجعله أمير آخور على حاله وقَدِم في أيّام المظفر إلى دمشق أمير مئة مقدّم ألف ، ووصل معه الأمير سيف الدين بتخاص في تاسع شهر رجب سنة ثمانٍ وأربعين .

وكان أمير آخور في أيّام الكامل أيضاً ـ فيما أظنّ ـ، ووصل طلبه بَعْدَه ، ومعه الأمير ناصر الدّين محمّد على إقطاعه في ربيع الآخر سنة تسعٍ وأربعين وسبع مئة . وطُلب الأمير حسام الدّين لاجين وولده إلى مصر ، وأظنّه أُخرِج بعد ذلك ، ثمّ إلى مصر .

ولم يزل بها مقيماً على طبلخاناه إلى أن توفّي في شهر رجب الفرد سنة أربع وستّين وسبع مئة بالقاهرة في طاعون مصر[1] .

---

* الوافي : ٢٤/٣٨٩ ، والدرر : ٣/٢٧٢ ، والنجوم الزاهرة : ١٠/٢٤٩ .

(١) وفي الدرر أنه توفي سنة (٧٥١ هـ) . وكذلك في النجوم الزاهرة .

اللقب والنسب[١]

☆ **اللحياني** : صاحب تونس : زكريا بن أحمد .

☆ **ابن اللّمطي** : محبّ الدّين عمر بن عيسى .

☆ **ابن اللّبّان** : محمّد بن أحمد .

١٤٢١ ـ لولو*

الأمير بدر الدّين الحلبي المعروف بغُلام فَنْدَش ، بالفاء المفتوحة والنّون السّاكنة والدّال المهملة المفتوحة والشّين المعجمة .

كان المسكين جبّاراً خوّاناً أثيماً خوّاراً خدّاعاً غدّاراً مكّاراً غرّاراً ، حقوداً حسودا ، عنيداً[٢] مريدا ، قصيّاً من الخير بعيدا . مبيراً مبيدا ، لو عاصر الحجّاج لم يدعه يفرح بإمرة الكوفه ، ولا اشتهر دونه من قبح سجاياه الموصوفه ، ولم يكن قدّامه إلاّ جلوازا ، أو مارّاً في طريقه مجتازا ، أو مشّاءً بنميم همّازا[٣] :

مَساوٍ لو قُسِمْنَ على الغواني ... لَما أُمهرنَ إلاّ بالطّلاق

دخل إلى السّلطان ورافع كُتّاب حَلَب ، وجَلَبَ[٤] إليهم الوَيل والشّوم فيا جَلَب ، وسلّمهم السّلطان إليه ، وعوّل في استصفاء أموالهم عليه ، فمزّق جلودهم بالسّياط ، وأهلك البريء والمتّهم عملاً بالاحتياط ، فباع بعضُ النّاسِ موجوده ، وبعضهم باع

(١) زيادة يقتضيها منهج المؤلف .

* الوافي : ٤١٠/٢٤ ، والدرر : ٢٧٢/٣ .

(٢) في (ط) ، (خ) « عتيدا » .

(٣) اقتبس من قوله تعالى : ﴿ همّاز مشّاء بنميم ﴾ القلم : ١١/٦٨ .

(٤) في الأصل : « وحلب » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (خ) ، (ق) . وكذا الكلمة في آخر الجملة .

مولوده . وكانت نَوْبة دون نوبة هولاكو [و][1] شرّاً منهـا ، وواقعـة تحـدّث النّـاس في سائر الأقطار عنها .

ثمّ إنّه نُكب فيها ، وطُلب إلى مصر وأخذ منحوسا ، وظنّ النّاس أنه[2] يكون فيها مرموسا ، فنجا وليته لا نجا ، ووجد بين الأسنّة مخرجا .

ثمّ إنّ السّلطان نـدبـه لشَـدّ الجهـات ، فسـدّ الجهـات على من تنفّس ، ووصل شرّه حتّى إلى الجواري الكُنّس ، وأساء إلى من اصطنعه من تلك الورطه ، وأخرجه من مصر بعد أيّ ضغطه ، فولاّه السلطان بمصر شدّ الـدّواوين بـالقـاهره ، وتولّى ذلـك والنّـاس أحياء ﴿ فإذا هم بـالسـاهره ﴾[3] ونوّع العـذاب على المصـادَرين ، وابتَـدَع من العقـاب مالا مَرَّ بذِهْن الواردين ولا الصّـادرين ، ثمّ إنّـه نُكب [بـالقـاهرة][4] نكبـة عظيمـه ، وانفرطت منها حبّات سعادته النّظيمه .

إلى النّـــار يـــا ولـــد الـزّانيـــة ... وهــــذا الهُـويُّ إلى الهـــاويــــة
وقَعْتَ فيـــا بَرْدَهـــا في القلـــو ... ب ، فيـــاليتهـــا كانت القـــاضيـــة

ثمّ إنّه جُهّز إلى حلب ، وقدّر الله أنّه منها انقلب ، فذاق فيها وبـال أمره ، وأفـاق من سكرة[5] خمره ، وَقَـاءَ مـا كان أكل واتّخم ، وشكا وهو تحت العقوبـة شكوى الجريح إلى العقبان والرّخم ، ومنها قضى ، وأسفر الوجود بموته من الظّلَم وأضا .

وكان هلاكه في سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة .

أوّل ماعرفت من أمره أنّني رأيته بحلب سنة أربع وعشرين وسبع مئة وهو ضـامن

(١) زيادة من (ط) ، (خ) ، (ق) .
(٢) في الأصل : « أن » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .
(٣) النازعات : ١٤/٧٩ .
(٤) زيادة من (ط) ، (خ) ، (ق) .
(٥) في (ط) ، (خ) ، (ق) : « وأفاق فيها من سكره .. » .

المدينة ، وكان ضامنها[1] من قبل ذلك بمدّة ، وطلع مرّات إلى مصر ورافع النّاس ، والقاضي فخر الدّين ناظر الجيش يصدّه ويردّه ويكذّبه قدّام السّلطان ، ولم يبلغ مرامه مدّة[2] حياته ، فلما مات طلع إلى مصر سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ودخل إلى السّلطان[3] ورمى بين يديه ديناراً ودرهماً وفلساً ، وقال : يا خوند الدّينار في حلب للمباشرين ، والدّرهم للنائب ، والفلس لك ، فتأذّى السّلطان من ذلك واستشاط غضباً وطلب الجميع من حلب على البريد ، وسلّمهم إليه وكان يقعد في قاعة الوزارة ويستحضرهم ويقتلهم بالمقارع ، وكان النّاس قد طال عهدهم بالمقارع لأنّ القاضي كريم الدّين - رحمه الله تعالى - كان قد أبطلها ، واستمّر إبطالها بعده إلى أن جاء هذا لولو فأعادها وبالغ في أذى أهل حلب ، فأنكر أهل مصر ذلك ، وساءت سُمعَتُه ذلك اليوم ورثى النّاس لمباشري حلب ، ووقف النّاس له ليرجموه إذا نزل ذاك النّهار من القلعة ، فأحسّ بذلك ، ودخل إلى السّلطان وعرّفه ذلك ، فزاد غضب السّلطان ، ولم ينزل لولو من القلعة ، وربّما جعل[4] معه أو شاقيّة يحفظونه من النّاس .

ولم يزل يعاقبهم بمصر حتّى استصفى أموالهم وأخذهم معه ، وتوجّه بهم إلى حلب ، وقد أمّره السلطان وجعله مشدّ الدّواوين بحلب .

ولّما وصل إليها صادر وعاقب وتنوّع في ذلك حتّى أباع النّاس أولادهم ، وزاد في الخيانة ، فبلغ الخبر إلى السّلطان ، فسيّر السّلطان للكشف عليه الأمير سيف الدّين الأكزّ فصانعه وداراه وقدّم له ، فأخذه معه وطلع إلى مصر بما معه من التّقادم العظيمة فقبلها [السلطان][5] منه ، وجعله بين يدي الأكز مشدّ الجهات بمصرف القاهرة ، فزاد

---

(١) ليست في (خ) .

(٢) (خ) : « أيام » .

(٣) عبارة الوافي : « السلطان الناصر محمّد » .

(٤) في (ق) ، (ط) ، (خ) والوافي : « أنه جعل ... » .

(٥) زيادة من (ط) ، (خ) ، (ق) .

تسلّطه على النّاس ، وكرهه الأكزّ ، فأخذ العصا يوماً ، وضربه إلى أن خرّب عمامته ، وخرج إلى برّا وهو كذلك ، فتوجّه إلى القاضي شرف الدّين النّشو ناظر الخاص ، ودخل عليه واتفق معه ، وعَمِلا على الأكزّ ، وأخرجاه إلى الشام ، وولاّه السّلطان شَدّ الدّواوين بالقاهرة ، فعمل ذلك بجبروت عظيم ، وزاد طغيانه وعتوّه .

ثمّ إنّ السّلطان غضب عليه ، فأمسك لولو ، وطلب الأمير علم الدّين سنجر الحمصي من الشّام وولاّه شدّ الدّواوين بالقاهرة ، وسلّم لولو إليه ، فضربه بعض ضرب ، وأقام مُدّة في الاعتقال ثمّ إنّه خرج إلى حلب مشدّاً ـ والله أعلم ـ، فأقام بها إلى أن حضر الأمير سيف الدين طشتمر حِمّص أخضر نائب حلب ، ومعه الأمير سيف الدّين بهادر الكركري[١] مشدّ الدّواوين ، فغضب على لولو ، وسلّمه إلى ابن الكركري فقتله بالمقارع إلى أن مات ـ رحمه الله تعالى ـ سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة .

حكى لي الشّيخ شمس الدّين بن الأكفاني قال : أعرف هذا لولو وهو عند فندش ـ أو قال : قبل وصوله إلى فندش ـ وهو يبيع أسقاط الغنم والأقصاب والتّعاشير وغير ذلك في لِقّينٍ[٢] بحماة على الطّريق ، وربّما حمل ذلك على رأسه ودار به يبيعه .

أنشدني لنفسه إجازة القاضي زين الدّين عمر بن الوردي ـ رحمه الله تعالى ـ:

أشكو إلى الرّحمن لؤلؤ فندش ... أضحى يصادر سادة وصدورا[٣]
نثر الجنوب بل القلوب بسَوْطه ... فتى أشاهد لؤلؤاً منثورا[٤]

---

(١) (خ) : « الكركي » ، تحريف ، وسلفت ترجمته .
(٢) اللّقْنُ : الوعاء .
(٣) (ط) ، (خ) : « لؤلؤاً الذي » .
(٤) في الأصل : « بوسطه » ، وأثبتنا مافي (ط) ، (خ) ، (ق) .

حرف الميم

النّسب والألقاب

☆ **ابن الماسح :** نجم الدّين أحمد بن إبراهيم .

١٤٢٢ ـ مالك بن عبد الرحمن*

ابن علي بن عبد الرّحمن ، أبو الحكم بن المرحّل الأديب الشّاعر المغربي .

أخذ عن الشّلوبّين[١] ، وابن الدّباج[٢] ، وعِدّه .

وروى عنه أبو القاسم بن عمران ، ومحمّد بن أحمد القيسي ، وغيرهما .

واستوطن سَبْتَة .

له الشّعر الرّائق ، والنّظم الفائق ، لطّف ألفاظه ورقّقها ، وزَخْرَف أبياته ونمّقها . وكان من أفاضل شعراء المُغرب[٣] وأدبائهم الّذين يأخذون [من كلامهم بـ][٤] المُرْقِص والمُطْرِب .

ولم يزل على حاله إلى أن رحل ابن المرّحل إلى الآخره ، وأقام تحت الأرض إلى أن تُنْشَرَ العِظام النّاخره .

---

* بغية الوعاة : ٢٧١/٢ .

(١) عمر بن محمّد الإشبيلي (ت ٦٤٥ هـ) ، البغية : ٢٢٤/٢ .

(٢) علي بن جابر بن علي (ت ٦٤٦ هـ) ، البغية : ١٥٣/٢ .

(٣) في الأصل : « الغرب » ، وأثبتنا ما في (ط) ، وهو أنسب للسجعة .

(٤) زيادة من (ط) ، (ق) .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة تسعٍ وتسعين وستّ مئة بسبتة . وقيل : سنة سبع مئة بفاس ـ والله أعلم ـ.

ومولده بمالقة سنة أربع وستّ مئة ، فمات عن خمسٍ وتسعين سنة .

وكان قد نظم (التيسير) في قصيدة تزيد على ألفي بيت ورويُّها يلازم ، وما أحسن قوله :

يا أيّها الشّيخ الّذي عُمْرُه ... قد زاد عَشْراً بعد سَبْعينا
سَكِرْتَ من أكؤسِ خمرِ الصّبا ... فَحَدَّكَ الدّهرُ ثمانينا
وليته زادك من بعدها ... لأجل تخليطك عشرينا

ووقع بينه وبين ابن أبي الرّبيع[1] في مسألة « كان ماذا » ؟ فنظم مالك بن المرحّل :

عَاب قومٌ « كان ماذا » ... ليت شعري لِمَ هذا
وإذا عابوه جَهْلاً ... دون علم كان ماذا

وجَهَّله ابن أبي الرّبيع ، وصنّف في المنع من المسألة مصنّفاً .

وأنشدني العلاّمة شيخنا أثير الدّين أبو حيّان ، قال : أنشدنا مالك بن المرحّل لنفسه :

مَذْهَبي تقبيلُ خَدٍّ مُذْهَبِ ... سيّدي ماذا ترى في مَذْهبي
لا تخالف مالكاً في رأيه ... فَبِهِ يأخذُ أهلُ المغرب

ومن شِعر ابن المرحّل :

(١) عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله القرشي (ت ٦٨٨ هـ) ، البغية : ١٢٥/٢ .

يـــــا راحلين وَلِي في قُرْبهم أَمَــلُ … لو أغنت الحـالتـان القول والعمـل[1]
سِرتم فكان اشتيـــاقي بَعْــدكم مثـلاً … من دون السّـــائران الشّعر والمثــل
قـــد ذُقْتُ وصلكم دَهْراً فـــلا وأبي … مـا طـاب لي الأسمران الخمر والعسـل
وقــد هَرِمْتُ أسىً في حُبِّكم وجـوىً … وشبّ منّي اثنتــان الحِرص والأمـل
غَــــدَرْتمُ أو ملكتم يــــا ذوي ثقتي … وبِئْستِ الخَلّتــان الغَــدْر والْمَلَــل
عَطْفاً عَلَيْنـا ولا تَبْغـوا بنـا بَـدَلا … فما استوى التّابعـان العطف والبـدل
قـالـوا : كبرت ولم تبرح كـذا غَـزِلاً … أودى بك الفاضحـان الشّيب والغزل
لم أنسَ يـومَ تـدانـوا للرّحيـل ضُحىً … وقُرّب المركبـــان الطِّرف والجمــل[2]
وأشرقت بهـــواديهم هـــوادجهم … ولاحت الــزّينتــان الحَلي والْحُلَــل
كم عفّروا بين أيـدي العيس من بطل … أذابَـه الْمُضنيـان الغنـج والكَحَـل
دارت عليهم كـؤوس الحبّ مترعـة … وإنّما المسكران الرّاح والمقـــــــل
وآخرون اشْتَفَــــــوا منهم بضمهم … يـا حبّـذا الشّـافيـان الضّمّ والقُبَـل[3]

وقال قبل[4] وفاته وأمر أن يُكتب ذلك على قبره :

زُر غريبـــــــاً بمغرب … نـــازحـــاً مـــالـــه ولي
تركـــوه مـــوســـداً … بين تُربٍ وجنـــــــدل
ولتقـــل عنـــد قبره … بلســـان التـــذلـــل
رحم الله عبـــــده … مـــالـــك بن المرحّــل

---

(١) (ط) : « لو أخنت » .
(٢) في الأصل : « يوماً » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .
(٣) في (ط) : « بضيّمهم » .
(٤) في الأصل : « وقبل » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

[اللقب والنسب][١]

☆ **ابن مالك** : شمس الدين محمد بن محمد . وجمال الدين بن محمد بن محمد .

☆ **المارستاني** : محي الدين محمد بن علي .

☆ **المأمون** : ناظر الكرك زكي الدين عبد الله بن عبد الكافي .

١٤٢٣ ـ مبارك بن نُصير*

الفقيه الشافعي المعيد بالمشهد الجيوسي[٢] .

كان من أهل قوص ومن الصالحين المتواضعين يخدم الطلبة بنفسه ، ويعالج المرضى ، ويطبخ لهم ، ويقوم بالوظائف من الإعادة والإمامة والآذان ، من غاب قام عنه بوظيفته .

ولم يزل على حاله إلى أن توجه إلى الحج فغرق في سنة إحدى وسبع مئة .

١٤٢٤ ـ مبارك**

الأمير زين الدين المنصوري .

كان أمير خمسين فارساً بدمشق . ثمّ إنه نقل إلى طرابلس ، فعمي هناك ، وقطع خبزه . ثم إنه قدح عينيه فأبصر ، ولم يعد إليه خبزه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في شعبان سنة سبع عشرة وسبع مئة .

---

(١) زيادة يقتضيها منهج الكتاب .

* الطالع السعيد : ٤٧٤ ، والدرر : ٢٧٥/٣ ، وفيهما : « مبارك بن نصر » .

(٢) في الطالع : « الجيوشي » .

** الدرر : ٢٧٥/٣ .

اللّقب والنّسب

☆ **المجير الخيّاط** : أحمد بن حسن .

☆ **ابن المحسني** : شهاب الدّين أحمد بن بيليك .

☆ **ابن المحدّث الكاتب** : الشّيخ بدرالدين حسن بن علي .

☆ **ابن المحبّ** : الشّيخ محبّ الدّين عبد الله بن أحمد .

☆ **المحّار** : سراج الدّين عمر بن مسعود .

١٤٢٥ ـ محفوظ*

ابن رشيد الدّين العراقي الشّاعر .

قدم إلى دمشق بعد السّبع مئة ، وكان شاعراً مطيقا ، متكلّماً[١] منطيقا ، يغوص على المعاني البعيده ، ويُبْرِزُها في الألفاظ السّديده ، له مقاطيع راقت ، وأبيات ساقت النّفوسَ إلى الطّرب وشاقت ، فكان شعرُ محفوظٍ محفوظا ، وشعر من سواه ملفوظا . إلاّ أنّه كان الهجو عليه غالبا ، ولسانه للأعراض ثالبا ، ومَدْحُه للأموال سالبا .

عاد إلى البلاد وانقطع خَبره ، وكأنَّ الموتَ جَبَرَه لمّا زاد دَبَره .

وكان لمّا دخل الشام ووصل حماة اتّصل بابن قرناص [وطلب إيصاله إلى الملك المظفّر صاحب حماة ، وكان ابن قرناص][٢] كاتب سرّه ، فأطال الشّرح عليه ، فلمّا

---

* الدرر : ٣/٢٧٧ .

(١) في (ق) ، (ط) ، (خ) : « ومتكلما » . في الأصل : « متكلّما » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) .

(٢) زيادة من (ط) ، (خ) ، وابن قرناص هو علي بن إبراهيم ، سلفت ترجمته في موضعها .

يئس منه الرّشيد عدل إلى كشتغدي[١] الأستاذ دار وأنشده :

ولقـد ركبْتُ هجينَ عَـزْمٍ سـاقَـه — منّي الرّجـاءُ إلى الأغرّ الأَبْلَـج
مَلِـكٌ تُـوَعِّرُه جُنـودٌ حَـوْلَـهُ — كالرّوض بـاتَ مُسَيَّجـاً بـالعَـوْسَج

فأنشدها كشتغدي للمظفّر ، فاستحضره[٢] وابن قرناص حاضر ، فاستنشده البيتين فأنشدهما ، وقال في الثّاني :

ملـك تـزان بـه جنـودٌ حـولـه — كالرّوض بـات مُسَيّجـاً ببنفسج[٣]

فقال له المظفّر : ماهكذا قلت ، فقال : كان ذاك قبل أن أحضر لـديـك ، فـأمّا الآن ؛ فهو كما قلت ، فأسنى عطاءه .

ثمّ إنّ الرّشيد وصل إلى حصن الأكراد ، وعمل قصيـدة في نـائبهـا وأعطـاهـا كاتبـه ابن الذّهبي ، ليوصلها إليه ، فعاد إليه بعد مدّة وزعم أنّها ضاعت من حِزْره فقال :

لا الـذّهبيُّ اشترى المـديـح ولا — أَعْـذَبَـهُ مَنْهَـلاً وعَـذَّبَـهُ
أهـديتُ سرّاً مَـدْحي إليـه فمـا — ذَهّبَـه بـل عليّ أذهبـه

ومن شعره أيضاً :

ركّب الله في فتـاء بني فعـ — ـلان معنى النّيران والجنّـات[٤]
أَوْجُـهُ القـوم بـالمكاره تُحْفَى — وفروج النّسـاء بـالشّهـوات[٥]

---

(١) سلفت ترجمته في موضعها .
(٢) (خ) : « ماستُحْضِر » .
(٣) في الدرر : « يزين » .
(٤) الفتاء : الشباب .
(٥) في الدرر : « في المكارم حفت » .

ومنه :

فرّقت بيننــــا الحـــوادث لكنْ لِيَ نفسٌ إليكم أُدْنيهـــــــــا
فكأنّي في الــودّ فـــارةُ مِسْـــكٍ أفْرغـوهـا ونفحـة الطّيب فيهـا(١)

وقال وقد رأى مشجّر الفسيفساء في الجامع الأموي بدمشق :

ألم ترَ أشجـــاراً بجـــامـع جلّــق حكت للورى لو أنّ صانعها بـاق(٢)
نَضَـارتهـا أن لا تُـدَانى فُروعُهـا بشمسٍ ولا سَقْيٍ مغـارسهـا سـاقي

ومنه :

هيّـج البَرق لـوعـــة المشتـــاق بـــوميض لقلبــــه الخفّـــاق
هـــذه مـزنـــة إليّ حَـــدَتْهـــا نسمــةُ الصّبح من نـواحي العراق(٣)
يـا قســاة القلـوب رقّـوا فــإنّي لا غرامي فـــانٍ ولا أنـــا بـــاق
[هـل لبـؤسٍ لاقيتُـــه من فراق ونعيمٍ فـــارقتـــه من تـلاق](٤)

قلتُ : هذا البيت الثّاني من هذه القطعـة ذكرت بـه مـا اتّفق لي نظمـه بـالـدّيـار المصريّة ، وقد توجّهت إليها في سنة خمس وأربعين وسبع مئة ، وتركت أولادي بـدمشق وهو :

قلت إذ رَقَّ لي النّسيم وقلبي يتلظّى بــالشّـوق في أرض مصرا
هــذه نفحـــة هَـــدَتْهــا لبرئي وحَـدَتهـا أنفـاس سَطْرَى ومَقْرَى(٥)

(١) في الدرر : « وفائح » .
(٢) في (خ) ، (ق) : « حلت للورى » .
(٣) في (خ) : « حدتها إلينا » .
(٤) زيادة من (خ) ، (ق) .
(٥) قريتان من نواحي دمشق . (معجم البلدان) .

١٤٢٦ ـ محمّد بن إبراهيم*

ابن علي فتح الدّين القوصي ، ابن الفهّاد .

كان فقيهاً حسناً مشكور السّيرة ، اشتغل بفقه الشّافعي على أبيه وغيره ، وتولّى الحكم بسمهود ، ثمّ إنّه استوطن القاهرة ، وجلس بحانوت الشّهود ، يعقد الأنكحة ، وعُرف بذلك ، ومضى على جميل .

توفّي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

١٤٢٧ ـ محمّد بن إبراهيم بن محمد**

ابن [أبي] نصر الشيخ الإمام العلاّمة حجّة العرب بهاء الدّين أبو عبد الله بن النّحّاس النّحويّ شيخ العربيّة بالدّيار المصريّة .

سمع من ابن اللّتي ، والموفّق بن يعيش النّحوي ، وابن رواحة(١) ، وابن خليل ، ووالده . قرأ القرآن على أبي عبد الله الفاسي(٢) . وأخذ العربيّة عن الشّيخ جمال الدّين محّمد بن عمرون(٣) . ودخل مصر لمّا خَرِبت حلب ، وقرأ القرآن على الكمال الضّرير ، وأخذ عن بقايا شيوخها ، ثمّ جلس للإفادة .

كان حسن الأخلاق ، منبسطاً على الإطلاق ، مُتّسِعَ النّفس في حالتيّ الغِنى والإملاق ، ذكيَّ الفِطره ، زكيّ المخالطة والعشره ، مطّرِح التّكلف مع أصحابه ، عديم

---

* الوافي : ٦/٢ ، والطالع السعيد : ٤٨٠ ، والدرر : ٢٩١/٣ .

** الوافي : ١٠/٢ ، وترجمته فيه منقولة من بعض أصول الأعيان كما ذكر المحقق ثمّة ، وتالي وفيات الأعيان : ١٤٣ ، وفوات الوفيات : ٢٩٤/٣ ، وغاية النهاية : ٤٦/٢ ، والبغية : ١٣/١ ، والشذرات : ٤٤٢/٥ ، وما بين حاصرتين زيادة من مصادر ترجمته .

(١) (ط) والوافي : « وأبي القاسم بن رواحة » .

(٢) في الأصل : « القاضي » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ط) ، والوافي والفوات .

(٣) محّمد بن محّمد بن أبي علي (ت ٦٤٩ هـ) ، بغية الوعاة : ٢٣١/١ .

التخلّف عن أشكاله وأضرابه ، ومع ذلك فلم يُرزق أحد سعادته[١] في صدور الصّدور ، ولا فرح أحد بسيادته الّتي أرْبَت على تمّام البدور .

وكان معروفاً بحلّ المشكلات ، موصوفاً بإيضاح المعضلات ، كثير[٢] التلاوة والأذكار ، كثير الصّلاة في نوافل الأسحار ، موثوقاً بديانته ، مقطوعاً بأمانته .

وأمّا علمُه بالعربيّة فإليه الرّحلة من الأقطار ، ومن فوائده تُدرك الأماني ، وتُنال الأوطار ، قد أتقن النّحو وتصريفَه ، وعَلِمَ حدّ ذلك ورَسْمَه وتَعْريفه ، ما أظنّ ابن يعيش مات إلاّ من حَسَدِه ، ولا ابن عصفور لأجله طار ذكره إلاّ في بَلَدِه ، ولا الْمُرسي[٣] رست له معه قواعد ، ولا لأبي البقاء العكبري[٤] معه ذكرٌ خالد ، بذهنٍ نَحَّى النّحّاسَ القديم[٥] عن مكانه ، وجعل ابن برّي بريّاً من فصاحة لسانه ، وتحقيق ما اهتدى ابن جنّي إلى إظهار خباياه ، ولا نُسبت إلى السّخاويّ[٦] هِبَاته ولا عطاياه .

تخرّج به الأفاضل ، وتخرّج منه كلّ مناظرٍ ومناضل ، وانتفع النّاس به وبتعليمه ، وصاروا فضلاء من توقيفه[٧] وتفهيمه ، وكتب خطّاً أزرى بالوشي إذا حُبِكَ ، والذّهَبِ إذا سُبِك .

ولم يزل على حاله إلى أن بلغ من الحياة أمدها ، وأهدى الزّمان إلى عينيه[٨] بفقده رَمَدَها .

(١) في الوافي : « وجاهته » .

(٢) في الأصل : « كبير » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) ، والوافي .

(٣) لعلّه يشير إلى ابن سيدة صاحب المحكم والمخصص ، وهو من مُرْسِية .

(٤) في الأصل « العسكري » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) والوافي .

(٥) (ط) : « القدير » ، والنحاس القديم هو أبو جعفر أحمد بن إسماعيل (ت ٣٣٨) ، بغية الوعاة : ٣٦٢/١ .

(٦) علم الدين علي بن محمّد بن عبد الصمد (ت ٦٤٣) ، بغية الوعاة : ١٩٢/٢ .

(٧) (ط) : « توقيعه » .

(٨) في (ق) والوافي : « عينه » .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ يوم الثّلاثاء سابع جمادى الآخرة سنة ثمانٍ وتسعين وستّ مئة بالقاهرة .

ومولده بحلب في سلخ جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين وستّ مئة[١] .

وكان من العلماء الأذكياء الشّعراء ، له خبرة بالمنطق ، وخطّ من إقليدس ، وكان على ما قيل يحفظ ثلث (صحاح) الجوهري وثلث (سيبويه) ، وكان مطّرحاً صغير العمامة ، يمشي في اللّيل بين القصرين بقميص وطاقيّة فقط ، وربّما ضجر من الاشتغال[٢] فأخذ الطّلبة ، ومشى بهم بين القصرين وألقى لهم الدروس .

وكان متين الدّيانة ، وله أُبّهة وجَلالة في صدور النّاس ، وكان بعضُ القضاة إذا انفرد بشهادة حكّمه فيها وثوقاً بديانته ، واقتنى كتباً نفيسة .

أخبرني الشّيخ نجم الدّين الصّفدي ، وكان ممّن قرأ عليه ، قال : قال الشّيخ بهاء الدّين : ما يزال عندي كتب بألف دينار ، وأحضُرُ سوقَ الكتب دائماً ولا بُدّ أن يتجدّد لي عِلْمٌ باسم كتاب ما سمعت به انتهى .

ولم يتزوج قط ، وكانت له أورادٌ من العبادة . وكان يَسْعَى في حوائج النّاس ويَقْضِيها .

وأخبرني القاضي الرّئيس عماد الدّين بن القيسراني أنّه لم يكن يأكل العنب ، قال لأنّه كان يحبّه ، فآثر أن يكون نصيبه في الجنّة .

وأخبرني الحافظ بن سيّد النّاس ، قال : زكّى بعضَ الفقهاء[٣] تزكية عند بعض القضاة ما زكّاها أحد قطّ ، لأنّه أمسك بيد الّذي زكّاه ، وقال للقاضي : يا مولاي[٤]

(١) في الأصل و (ط) : « وست مئة بالقاهرة » ، سهو .
(٢) في (ق) والوافي : « الإشغال » .
(٣) في الأصل : « القضاة » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) والوافي .
(٤) (ق) ، (ط) : « يا مولانا » .

النّاس ما يقولون : ما يُؤْمَّن على الذّهب والفضّة إلاّ حِمَار ، قال : نعم ، وهذا حمار ، وانصرف فحكم القاضي بعدالة ذلك الفقيه .

وأخبرني أيضاً أنّ الأمير علم الدّين الشّجاعي لمّا فرغت المدرسة المنصوريّة بين القصرين في أيّام السّلطان الملك المنصور قلاوون طلبه الأمير المذكور ، فتوجّه إليه وعمامته صغيرة بكَرّاتة ، على مصطلح أهل حلب ، فلمّا جلس عنده ، ولم يكن رآه ، أخذ الأمير يتحدّث بالتّركي مع بعض مماليكه ، فقال : يا أمير ، المملوك يعرف بالتّركي ، فأعجب الأمير هذه الحركة منه ، وقال له : السّلطان قد فوّض إليك تدريس التّفسير بالقبّة المنصوريّة ، ونهار غدٍ يحضر السّلطان والأمراء والقضاة والنّاس ، فغداً تحضر وتكبّر عمامتك هذه قليلاً ، فانصرف ، ولمّا كان من الغد رآه الأمير علم الدّين من بعيد ، وهو جائز إلى المدرسة بتلك العمامة ، فجهّز إليه يقول له : ما قلت لك تكبّر عمامتك قليلاً ؟، فقال : يا مولانا ، تعملوني مسخرة ، وأراد أن يرجع ، فقال الأمير علم الدّين : دَعُوه يدخل ، فلمّا جلس مع النّاس ؛ نظر الملك المنصور إلى الّذين هناك ، فقال : هذا ما هو الشّيخ بهاء الدّين بن النّحّاس ؟، قالوا : نعم ، فقال : هذا أعرفه ، لمّا كنت ساكن[1] في المدينة والنّاس يقرؤون عليه ، وشكر الشّجاعي على إحضاره ، قال الشّيخ فتح الدّين : فلم يُعَرِّف السّلطان غيره ، ولا أَثْنَى إلاّ عليه .

وأخبرني عنه غير واحد أنّه لم يزل عنده في بيته من أصحابه ومن الطّلبة مَن يأكل على مائدته لا يَدَّخر شيئاً ، ولا يخبّئه عنهم ، وهُنَا أناس يلعبون الشّطرنج ، وهنا أناس يطالعون ، وكلّ واحد في شأنه لا ينكر على أحد شيئاً . ولم تزل أخلاقه مرتاضةً حتّى يكون وقت الاشتغال يتنكّر[2] ، وكان لا يتكلّم في حلّ النّحو للطّلبة إلا بلُغَة العوام لا يراعي الإعراب .

(١) كذا في الأصول .

(٢) في الأصل و (ط) : « يتبلّد » ، وأثبتنا ما في (ق) والوافي .

وأخبرني الإمام أثير الدّين ، وعليه قرأ بالدّيار المصريّة ، قال : كان الشّيخ بهاء الدّين والشّيخ محيي الدّين محمّد بن عبد العزيز المازوني للقيم[١] بالإسكندريّة شَيْخَيّ الدّيار المصريّة ، ولم ألقَ أحداً أكثر سماعاً منه لكتب الأدب ، وانفرد بسماع (صحاح) الجوهري .

وكان كثير العبادة والمروءة والتّرحّم على مَن يعرفه مِن أصحابه ، لا يكاد يأكل وحده[٢] ، ينهى عن الخوض في العقائد ، وله ترداد[٣] إلى من ينتمي إلى أهل الخير . ولي التّدريس[٤] بجامع ابن طولون وبالقبّة المنصورية ، وله تصدير في الجامع الأقمر ، وتصادير بمصر ، ولم يصنّف شيئاً إلاّ ما وجدناه من إملائه على الأمير سنان الدّين الرّوميّ شرحاً لكتاب (المقرّب) لابن عصفور ، وذلك من أول الكتاب إلى باب الوقف[٥] أو نحوه .

قال : وكنتُ وإيّاه نمشي بين القَصْرَين ، فعبَر علينا صبيٌّ يُدعى بجمال وكان مصارعاً ، فقال الشّيخ بهاء الدّين : لينظم كلّ منّا في هذا المصارع ، ونظم الشّيخ بهاء الدّين :

مُصارِعٌ تصرع الآسادَ شَمْرَتُهُ ... تيهاً فكلُّ مليحٍ دُونَهُ هَمَجُ[٦]
لّما غدا راجحاً في الُحسن قُلْتُ لهم ... عَنْ حُسنه حَدّثُوا عَنْهُ ولا حرج

قال أثير الدّين : ونظمت أنا :

---

(١) في الأصل : « القيّم » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) والوافي ، والفوات .

(٢) في (ط) ، (ق) والوافي : « يأكل شيئاً وحده » .

(٣) في الفوات : « تودّد » .

(٤) في الوافي : « التفسير » ، وعبارة البغية : « ولي تدريس التفسير » .

(٥) في الأصل : « الواقف » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) والوافي .

(٦) التشمير : الجدّ ، وفي الوافي والفوات : « سمرته » .

سبـاني جمـالٌ من مليـحٍ مُصـارِعٍ — عليــه دليـلٌ للمـلاحَــةِ واضِـحُ
لئِن عَـزَّ منـه المِثْـلُ فـالكلُّ دونَـهُ — وإنْ خفّ منـه الْخَصْرُ فـالرِّدْفُ راجِـحُ

قال : وسمع الشّيخ شهاب الدّين العزازيّ نظمَنا[١] ، فنظم فيه ، وأنشدنيه :

هــل حَكَمٌ يُنصِفُني في هــوى — مُصــارعٍ يَصْرَعُ أُسْــدَ الشَّرى[٢]
مُــذْ فَرّ عنّي الصّبرُ في حبّــه — حكى عليـه مَـدْمَعي مـا جرى[٣]
أبــاح قتلي في الهـوى عــامــداً — وقـال: كم لي عـاشقٍ في الـورى[٤]
رميتُــــــه في أَسْرِ حُبّي ومِنْ — أجفــان عينيــه أخــذتُ الكرى

قلتُ : أمّا قول الشّيخ بهاء الدّين ـ رحمه الله تعالى ـ فإنّه منحطّ وما أتى فيه من مصطلح القوم إلاّ بلفظة « الرّاجح » لا غير . وأمّا قول شيخنا أثير الدّين فإنّه غايّة لأنّه أتى فيه بلفظ « المثل » و « الدّون » و « الرّاجح » . وأمّا قول الشّيخ شهاب الدّين العزازي فَبينَ بين ، لم ينحطّ ولم يرتفع ، لأنّه أتى فيه بلفظة « حكى عليه » و « الإباحة » و « الرّمي » و « أخذ الكرى » في أربعة أبيات وفيها عيبٌ وهو التّضمين وهو تعلّق الثّالث بالرّابع ، وقوله « الكرى » أخطأ فيه ، لأن الكرى بمعنى النّوم بفتح الكاف ، والكِرى بمعنى الأجرة بكسر الكاف فتنافيا وقد أشبعت القول في هذا في كتابي (فضّ الختام عن التّورية والاستخدام) .

وأنشدني شيخنا العلاّمة أثير الدّين قال : أنشدني الشّيخ بهاء الدّين لنفسه يخاطب الشّيخ رضي الدّين الشّاطبيّ ، وقد كلَّفَه أن يشتري له قَطْراً :

أيُّهـا الأوحـدُ الرّضيُّ الّـذي طـا — ل عـلاءً وطـابَ في النّـاس نَشْرا
أنتَ بحرٌ، لا غروَ إن نحن وافيـ — ـنـاك راجين مِنْ نـداك القطرا

---

(١) في الوافي : « نظمينا » .
(٢) في الفوات : « من هوى » .
(٣) في (ق) ، (ط) ، والوافي ، والفوات : « فرّ مني » .
(٤) (ط) : « الورى » ، و (ط) والوافي : « وقال لي كم ... » ، وفي الفوات : « وقال كم من .... » .

وأنشدني قال : أنشدني لنفسه يرثي الشّيخ أحمد المصري النّحوي :

عَزَاؤُكَ زينَ الدّين في الفاضل الّذي بكَتْـهُ بنو الآداب مثنى ومَـوْحَـدا
فَهُمْ فَقَـدوا منـه الخليـلَ بن أحمـدٍ وأنت ففـارقت الخليـلَ وأحمـدا

وأنشدني قال : أنشدني لنفسه ممّا يُكتب على منديل :

ضَـاع منّي خصرُ الحبيب نحـولاً فلهـذا أُضْحي عَلَيْـه أدُورُ
لَطُفَتْ خِرْقَتي ودقّت فجلّت عن نظيرٍ لّما حكتها الخصـورُ(١)
أكتم السِّرَّ عن رقيبٍ لهـذا بي يُخفي دمـوعـه المهجـورُ

وأنشدني قال : أنشدني لنفسه :

إنّي تركتُ لـذا الـورى دنيـاهُمُ وظَلَلتُ أنتظر المماتَ وأرقب
وقَطَعْتُ في الدّنيـا العلائق ليس لي ولـدٌ يموت ولا عقـارٌ يخرب(٢)

وأنشدني شيخنا نجم الدّين الصّفدي من لفظه قال : أنشدنا الشّيخ بهاء الدّين لنفسه :

قلتُ لّمـا شرّطـوه وجرَى دَمَـهُ القـاني على الخـدّ اليَقَـقْ(٣)
ليسَ بِـدعـاً مـا أَتَـوا في فِعلـه ستروا البـدر بحمّر الشّفـق(٤)

قلتُ : ذكرتُ أنا هنا ما نظمته في هذا :

قلتُ إذ شرّطـوا الحبيب وقـد ضـا ق عليّ الغرامُ في كلّ مَسْلَـكْ
قـد ملكتَ الفـؤادَ من غير شرطٍ قـال: لكنّني مـع الشّرط أَمْلَـكْ

---

(١) في الفوات : « كما حكتها » .
(٢) في الفوات : « علائق » .
(٣) اليقق : الناصع البياض .
(٤) رواية العجز في الوافي والفوات :

هو بدرٌ ستروه بالشفق

وقلتُ أنا فيه أيضاً :

تشرّط مَن أُحبّ فـذُبْتُ خوفاً | وقال وقد رأى جزعي عليه
عقيق دمٍ جرى فأصاب خدّي | وشِبْه الشيء مُنْجَذِبٌ إليه

وأخبرني شيخنا الذهبي قال : قرأتُ على الشّيخ بهاء الدّين ـ رحمه الله ـ جزأين[1] .

قلت : وغالب روايات الشّيخ أثير الدّين كتب الأدب عنه ـ أعني الشّيخ بهاء الدّين رحمه الله تعالى ـ.

١٤٢٨ ـ محمّد بن إبراهيم بن علي*

ابن أحمد بن فضل الشّيخ الموفّق ابن الشّيخ القدوة تقي الدّين .

كان يصوم يوماً ويفطر يوماً .وكان كثير التّلاوة ، قليل الاجتاع بالنّاس ، لا يُعْرَف له صاحب ولا عشير ، وسمع كثيراً من الحديث على المشايخ الّذين أدركهم بالصّالحيّة .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ في خامس شهر المحرّم سنة سبع مئة ، ودُفِنَ عند والده .

١٤٢٩ ـ محمّد بن إبراهيم بن يحيى**

ابن علي الأنصاري المرويّ الأصل ، المصري المولد[2] ، جمال الدّين الكتبي المعروف بالوطواط .

---

(١) في الوافي : « جزء شيء » .

* لم نقف على ترجمة له .

** الوافي : ١٦/٢ ، والدرر : ٢٩٨/٣ .

(٢) في الأصل : « الأصل » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) والوافي .

كان من كبار الأدباء ، وأعيان الألبّـاء ، ألّف وجمع ، وصنّف فـأبْرَقَ ولِمَع . وكان نثرُه جيـدا ، وطبعـه عن النّظم متحيّـدا ، لم يقـدر ينظم البيت الـواحـد ، ولـو لَحَـده اللاّحد ، وينثر جيّداً ما شاء ، ويُتقن في هذا الفن الإنشاء .

وكانت له معرفة بالكتب وقيمتها[١] ، ودُربـةٌ بوجودهـا وعَـدَمِهـا ، ولـه فَهْمٌ وذوق ومعرفة ، وفضلُ يدٍ له في مجاميعه[٢] على ما يريد أن يورده أو يصرفـه ، تـدّل تواليفـه على ذلك ، وتشهد له بحسن السّلوك في تلك المسالك ، وكان يرتزق بـالوِراقـه ، ويجمع في أثنائها ما راقه .

ولم يزل على ذلك إلى أن بلغت حياتُه غايتها ، وتناولت وفاتُه رايتها .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ......[٣] وسبع مئة .

ومولده بمصر سنة اثنتين وثلاثين وستّ مئة .

أخبرني شيخنا العلاّمة أثير الدّين ، قال : كان له معرفة بـالكتب وقيمتهـا[٤] ، ولـه نَثْرٌ حَسَن ، ومجاميعُ أدبيّـة . وكان بينـه وبين ابن الخوَيّيّ[٥] قـاضي القضـاة مودّة ، لمّـا كان بالمحلّة ، فلمّـا تولّى قضـاء الـدّيـار المصريّـة ، توهّم جمـال الـدّين أنّـه يحسن إليـه ، ويبرّه ، وسأله فلم يجبه إلى شيء من مقصوده ، فاستفتى عليه فضلاء الـدّيـار المصريّـة ، فكتبوا له على فتياه بأجوبة مُخْتَلِفَة ، وصيّر ذلك كتاباً ، وقد راحت به نسخـة إلى بلاد

(١) في (ق) ، (ط) : « وقيمها » .

(٢) (ط) : « مجامعه » .

(٣) كـذا بيـاض في الأصـل و (ق) و (ط) والـوافي . وفي الـدرر : « في العشر الأخير من رمضـان سنـة ٧١٨ » .

(٤) في (ق) ، (ط) : « وقيمها » .

(٥) في الأصل :« الخوّي » ، وأثبتنـا مـا في (ط) والوافي ، وهو محمّـد بن أحمـد بن الخليل (ت ٦٩٣ هـ) العبر : ٣٧٩/٥ .

المغرب . وكان قد سألني على [أن][1] أجيب على ذلك ، فامتنعت لأنّ الإجابة اقتضت ذمّ الْمُسْتَفْتَى عليه ، وكذلك أجاب جميع من كتب عليها . انتهى .

قلت : أمّا هذه الفتيا فقد رأيتها ، ونقلتها بخطّي ، وهي في الجزء الثّاني عشر من (التّذكرة) الّتي لي ، وقد سمّاها (فتوى الفُتُوَّة ومرآة الْمُرُوَّة) . وكتب له الشّيخ بهاء الدّين بن النّحّاس وناصر الدّين حسن بن النّقيب[2] ، ومحيي الدّين بن عبد[3] الظّاهر كتب له جوابين أحدهما له والآخر عليه ، وشرف الدّين بن فضل الله[4] والسّراج الورّاق ، وناصر الدّين شافع ، وشرف الدّين القدسي ، وشرف الدّين بن قاضي إخميم[5] ، ومكين الدّين الجزري كتب له جوابين ، والنّصير الحمّامي وكمال الدّين بن القليوبي ، وعلم الدّين بن بنت العراقي ، وشمس الدّين الخطيب الجزري ، وعلم الدّين القِمَّني ، وبدر الدّين الحلبي الموقّع ، وعماد الدّين بن العفيف الكاتب[6] ، وشمس الدّين بن مهّنا ، بدر الدّين المنبجي[7] ، وأمين الدّين بن الفارغ ، وشمس الدّين بن دانيال ، والفقيه شعيب ، وناصر الدّين بن الإسكاف ، ونور الدّين المكّي ، وآخر لم يذكر اسمه لأنّه عاهده على ذلك .

ومن تصانيف جمال الدّين المذكور كتاب (مناهج الفكر ، ومناهج العبر)[8] أربع

---

(١) زيادة من (ق) ، (ط) والوافي .

(٢) الحسن بن شاور بن طرخان (ت ٦٨٧ هـ) ، والوافي : ٤٤/١٢ .

(٣) عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان ، سلفت الإشارة إليه .

(٤) عبد الوهاب بن فضل الله . سلفت الإشارة إليه .

(٥) لعلّه شرف الدّين الإخميمي ، محمّد بن محمّد بن الحسن (ت ٦٨٤) ، العبر : ٣٥٠/٥ . وفي (ط) والوافي :« شهاب الدّين بن قاضي ... » .

(٦) محمّد بن محمّد بن الحسن (ت ٧٣٦ هـ) ، الوافي : ٢٣٨/١ .

(٧) نصر بن سليمان ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٨) (ق) ، (ط) : « مباهج الفكرة » ، وكلتا التسميتين وردت في الكشف انظر : ١٥٧٩/٢ ، ١٨٤٦ ، وموضوع الكتاب : الكيمياء والطبيعة والحيوانات والنبات . انظر : الأعلام : ٢٩٧/٥ .

مجلّدات ، تعب عليه ، وجوّده ، وما قصّر فيه ، وكتاب (الدُّرر والغُرر وَالدِّرَر والعِرَر)[١] .

وملكت بخطّه تاريخ (الكامل) لابن الأثير ، قد ناقش المصنّف في حواشيه ، وغلّطه ، وواخَذَهُ .

وفي جمال الدّين هذا يقول شمس الدّين بن دانيال وقد حصل للوطواط رمد :

ولم أقطع الوطواط بُخْلاً بكحله ... ولا أنا من يُعْيِيه يوماً تَرَدُّدُ
ولكنّه ينبو عن الشّمس طرْفُه ... وكيف به لي قُدْرَةٌ وهو أَرْقَدُ

وأنشدني إجازة له ناصر الدّين بن شافع :

كم على درهم يلوح حراماً ... يا لئيمَ الطّباع سِراً تواطي
دائماً في الظّلام تمشي مع النّا ... س ، وهذي عوائد الوطواط

وأنشدني له أيضاً :

قالوا : ترى الوطواط في شدّة ... من تعبِ الكدّ وفي وَيْلِ
فقلتُ : هذا دَأْبُه دائماً ... يسعى من اللّيل إلى اللّيل

وكان المسكين[٢] جمال الدّين لا يزال الواقع بينه وبين القاضي محيي الدّين بن عبد الظاهر[٣] ، فكتب تقليداً على سبيل المداعبة لشخص يعرف بابن غراب يعرّض

---

(١) اسم الكتاب كما نصّ عليه المؤلف بخطّه : « غرر الخصائص الواضحة وعِرَر النقائض الفاضحة » . والكتاب مطبوع بهذا الاسم .
انظر : الأعلام : ٢٩٧/٥ ، وأشار إليه في الكشف ٧٤٨/١ بلفظ الدرر والغرر ، وذكر أنه في شعراء الأندلس .

(٢) في (ق) ، (ط) : « وكان هذا المسكين » .

(٣) عبارة الوافي : « لا يزال القاضي محيي الدّين بن عبد الظاهر يكرهه ويغض منه » .

فيه بالوطواط[(١)] ، وهو : ﴿ إنّه من سليمان وإنّه بسم الله الرّحمن الرّحيم ﴾[(٢)] إلى كلّ ذي جناح ، وكلّ اجتراء من الطّير واجتراح ، وإلى كلّ ذي صِيَال منهم ، وكلّ ذي صياح ، وإلى كلّ ذي عَفَاف منهم ، وكلّ ذي جِماح .

أمّا بعد :

فإنّه لّما عُلّمنا من الله كلامَ الطّير وفُهمّناه من منطقه ، وأُلزمناه من عهده وموثقه ، فقال : ﴿ وكلّ إنسان ألزمناه طائره في عنقه ﴾[(٣)] ترى أنّ مَن برز لعجزٍ من أولي المخالب وذوي المناسر ، صار على ذي مُسالمه ، وإن غدا بعضُها لبعض طعماً ، ولا يتجاوز أحدٌ منها مقامَه المحمود في الْمُكَارمه ، وإن اتفقت الأجناس واختلفت الأسماء للوضيع والأسمى ، وأن يشكر للوُرْقِ حُسْنَ سجعِها وعفافَ طبعها ، مساعدتَها للخليّ بغنائها في دَوْحِها ، وللحزين بترجيع نَدْبها ونوحها ، ولأنها متجمّلة بتَخْضيب الكفّ وتطويقِ الأعناقِ ، ومتحمّلة[(٤)] من القدود إلى الغصون رسائل[(٥)] العشاق بالأشواق ، حتّى وُسِمَت بأنّها على تعانق القُضب رُقَبا ، وسَمَتْ حتّى أصبحت على منابر الأشجار خُطَبا . ويؤثر أن يحمل لذوات الاصطياد من الجوارح تحصيل ما تقتات به النّفوس ، وتمتار منه الجوارح لأنّها شرفت بنفوسها حتى[(٦)] علت على أيدي الملوك ، وقيل لابنها : لله أبوك ، وأن يصف بحسن اعتذاره في جيئته وذهابه ، وأن يثْني على حسن خطبته وجميل خطابه ، إلى غير ذلك من قطا لو تُرِك لهدأ ونام[(٧)] ، وإلى بلابله الملوك من

---

(١) عبارة الوافي : « والتقليد السليماني الذي أنشأه بالولاية لابن غراب على أجناس الطير » .

(٢) النمل ٣٠/٢٧ .

(٣) الإسراء : ١٣/١٧ .

(٤) في الأصل : « متجمله » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

(٥) في الأصل : « إلى رسائل » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

(٦) في الأصل : « على » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

(٧) يشير إلى قول حذام :

ألا يا قومنا ارتحلوا وسيروا فلو تُرِكَ القطا ليلاً لناما

انظر : مجمع الأمثال للميداني ١٧٤/٢ ، وشرح أبيات مغني اللبيب للبغدادي : ٣٣٠/٤ .

الحمام ، وإلى غرانيق تهرب الثّعابينَ من أصواتها ، وإلى سباطر[١] ترتج الأرض بأكلها لحيّاتها ، وإلى لغالغ[٢] تنطق ، وكأنّما ألبست ملابس أهل الجنان من السّندس والاستبرق ، وإلى ما ينجلي من طواويس كأنّما استعار منها قوسُ قزح أثواباً دَبَّجتها الشّمس بشعاعها ، وأَهَّلَتها الأهلّةُ لإيداع إبداعها ، وإلى ديكة مباركه ، يُؤْذِن آذانها بمرور ملك من الملائكه ، وإلى نَسْرٍ عظيم التأمير ، وإلى نعامٍ كاد يطير .

وإنّا فكّرنا في بعض ذوات الأجنحة خبيث حقير السّمات ، أسود الوجه والقفا والصّفات ، لا يألف إلاّ قبورَ الأموات ، ولا يسعى إلاّ في الظُّلَم والظّلمات ، ذو أذن ناتئة[٣] وما هذه الصّفة من صفات الطّيور ، وإنّه يولد والطّير لا يُعْرَف منها إلاّ أنّها تحضن بيضها في أعشاشها والوكور ، وإنّه لا يقع في الشّباك ولا في الفخوخ ، وإنّه يَمني كما يمني الرّجل وليس من الأنس ، وإن كان شيطاناً فإنّه شيطانٌ ممسوخ ، ولا يُسمع منه هديل ولا هدير ، ولا يصير مَسْرورٌ حيث يصير ، يغدو على الرّوضات متلصّصا ، ويغدو للثمار مُنَقّصا ، مشؤوم الطّلعه ، مذموم النجعه ، مرجوم البقعه سيّئ الجوار قبيح الآثار ، مُؤْذِنٌ بخراب الدّيار ، أسودُ من قار ، وأفسد من فار ، لا يَحْسَن به الانبساط ، ولا يُمكن معه الاحتياط ، أخسّ مخلوقات الله تعالى ، وهو المسمّى بالوطواط . كم ضَريَ وكم ضرّ ، وكم ساء وما سَرّ ، وما أَبْرأ قَطّ ولا أَبّر ، ولا هو حيوان من بحر يُنتفع به ولا مِن بَرّ .

وهذا كتابنا إلى كلّ ذي بَسْط وقَبْض ، وإلى كلّ ذي انتِهاسٍ وانتهاش وعض ، وكلّ ربّ مَقْبرةُ مُظلمه ، وكلّ ذي مُوْحِشَة مُعْتِمَه ، وكلّ مَنْ إليه تَوَغُّل الأعماق الْمُقْتِمه ، يتضمّن إهلاك هذاالحيوان الخبيث وتطهير الأمكنة من رجسه ، وسدّ المنافس

(١) في الأصل و(ق) و(ط) : « شباطر » ، ولم نقف عليها ، والسباطر : جمع سبطر ، وهو طائر طويل العنق .

(٢) جمع لغلغ ، وهو طائر ، غير القلق .

(٣) في الأصل : « نائية » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

على الكريهين من نَفَسه وَنفْسه ، وأن لا تُرعى له حُرْمَه ، ولا يُرْقَبُ فيه إلٌّ ولا ذِمَّه[١] ، بحكم أنّه ليس من الطّير ولا من الوحش ، ولا ذو قوّة ولا بَطْش ، ولا فيما يُنْتَفع به صائل ولا صائد ولا آكل ، ولا هو مُعِينٌ ذي فَرَجٍ ولا ثاكل ، وإنّ ضرره للأحياء والأموات فاش . ولأنّه إذا دُعِيَ بأحبّ الأسماء إليه قيل له : خَفّاش ، لا يكرع في نهر النّهار ، ولا يحوم مع ذوات الجناح في مَطَار ، وأكْرَهُ شيء إليه الأنواءُ والأنوار ، ولا يوصف بأنّه الشّهم ، ولا [هو][٢] ذو ريش يُنْتَفع به بإراشةِ السّهم ، لا تُحدّ له الصّفائح ، ولا يُعدّ في جملة الذّبائح ، ولا ريح له في الشّواء ، ولا ريح له في الشّرائح .

ورسمنا[٣] أن يفوّضَ أَمْرُه وحِسْبَةَ الطّير للإمام شرف الدّين بن غراب ، فليتق الله في كلّ ذات طوقٍ وغير طوق ، وليراقبه مراقبةَ أبيه إذا قنع من إيمانه بما اقتنع[٤] به ﷺ من السّوداء بأنْ قال لها : أين الله ؟، فقالت : في السّماء . وأبوه ، فلا يزال يقول : الله فوق ، وليحتسب[٥] على هذا الخبيث المشوَّه ، وهذا الخسيس المنوّه ، فقد فَوَّضْنَا[٦] ذلك إليه إذ هو كأبيه مُنَطّق مفوّه ، وليترك في أمره النّعيق والنّعيب ، وليعلن بلغته إعلاناً فصيحاً يستوي فيه البعيد والقريب ، ويتجاوز فيه في ذلك كلّ[٧] سمّي بهذا الاسم المشؤوم ، إذْ لكلّ امرئ[٨] مِنْ نَعْتِه نَصيب ، وليُقرأ هذا المرسوم على رؤوس الأشهاد وعند الآبار المعطّلة والبراني والخراب واليباب ، ويزيل[٩] من التّرب المظلمة والقباب عند كلّ باب ، والخاتم الشّريف السّليماني أعلاه حجّة بمقتضاه إن شاء الله تعالى .

(١) اقتبس من قوله تعالى : ﴿ لا يَرْقَبون في مؤمن إلاً ولا ذمّة ﴾ ، التوبة : ٨/٩ . ووقع في الأصل : « إلاً » وأثبتنا ما في (ط) .

(٢) زيادة من (ق) ، (ط) .

(٣) في (ط) : « فرسمنا » .

(٤) (ط) : « أقنع » .

(٥) في (ق) : « وليجتنب » .

(٦) في الأصل : « فرضنا » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

(٧) في (ق) ، (ط) : « ويتجاوز في ذلك إلى كلّ » .

(٨) في الأصل و (ق) و (ط) : « أمر » ، ولا يستقيم .

(٩) كذا .

١٤٣٠ ـ محمد بن إبراهيم بن سعد الله*

ابن جماعة بن علي بن جماعة بن حازم بن صخر ، الإمام العالم[(١)] قاضي القضاة بدر الدين أبو عبد الله الكناني الحموي الشافعي قاضي قضاة الديار المصرية .

سمع سنة خمسين من شيخ الشيوخ الأنصاري بحماة وبمصر من الرّضي بن البرهان والرشيد العطار وإسماعيل بن عزون [وعدّة][(٢)] . وبدمشق من ابن أبي اليسر ، وابن عبد ، وطائفة . وأجاز له عمر بن البراذعي ، والرشيد بن مسلمة وطائفة . وحدّث (بالشاطبية) عن ابن عبد الوارث صاحب الشاطبي[(٣)] . وله إجازة في سنة ست وأربعين أجازه فيها الرشيد بن مسلمة ، ومكي بن علاّن ، وإسماعيل العراقي ، واليلداني ، والصفي عمر بن عبد الوهاب البراذعي ، وخطيب مردا ، وغيرهم .

وسمع من والده ، وأحمد بن القاضي زين الدين الدمشقي[(٤)] ، وابن علاّق ، وعثمان بن رشيق ، والحافظ العطّار ، والنجيب عبد اللطيف الحرّاني ، والرّضي بن البرهان الواسطي ، وشمس الدين إسحاق بن بلكويه[(٥)] الصوفي المعروف بالمشرّف ، والشيخ شمس الدين بن أبي عمر[(٦)] ، والقاضي شمس الدين بن عطا الحنفي[(٧)] ، وكمال الدين عبد العزيز بن عبد ، وشيخ الشيوخ شرف الدين ، والشيخ ناصح الدين

---

* الوافي : ١٨/٢ ، ونكت الهميان : ٢٣٥ ، وفوات الوفيات : ٢٩٧/٣ ، والبداية والنهاية : ١٦٣/١٤ ، والدرر : ٢٨٠/٣ ، والشذرات : ١٠٥/٦ ، والنجوم الزاهرة : ٢٩٨/٩ .

(١) (ط) : « العالم الفاضل » .

(٢) زيادة من (ط) والوافي .

(٣) في الأصل و (ق) و (ط) : « عبد الوهاب » سهو ، وأثبتنا ما في الوافي ، والفوات ، وهو عبد الله بن محمد بن عبد الوارث (ت ٦٦٤) ، غاية النهاية : ٤٥٢/١ .

(٤) أحمد بن علي بن يوسف بن عبد الله (ت ٦٧٠) ، العبر : ٢٩٢/٥.

(٥) (ت ٦٧٩) ، الإعلام للذهبي : ٢٧٩ .

(٦) عبد الرحمن بن محمد بن أحمد المقدسي (ت ٦٨٢ هـ) ، العبر : ٣٣٨/٥ .

(٧) عبد الله بن محمد (ت ٦٧٣) ، العبر : ٣٠١/٥ .

القسطلاني ، وأخيه قطب الدين[١] ، والشيخ محب الدين بن دقيق العيد ، والشيخ جمال الدين بن مالك ، والشيخ جمال الدين الصيرفي[٢] ، وجماعة غيرهم .

وطلب الحديث بنفسه ، وقرأ على الشيوخ [وحدّث][٣] بـ (صحيح) البخاري بطريق البوصيري .

وحدّث بالشّام ومصر والحجاز ، وخرّج له المحدّثون عوالي ومشيخات بمصر وبدمشق ، وخرّج هو لنفسه أربعين حديثاً [من][٤] الأحاديث التّساعيّات العوالي ، وسمعت عليه مع جماعة بمنزلِه بمصر المجاور للجامع النّاصري ، وأجاز لي في سنة ثمانٍ وعشرين وسبع مئة . وحدّث بالكثير ، وتفرّد في وقته .

كان إمام زمانه ، وصَدْرَ أوانه ، وانتهت إليه رياسة الدّين والدّنيا ، رقى بسيادته في مراتب العُليا ، وجُمع له من المناصب مالم يجمع في وقته لسواه ، وترك كلّ عدوّ له وحاسد ينطوي على نيران جَوَاه ، اشتغل بالعلم من صغره ، واستّمر على ذلك في مدّة كبره . وصحب قاضي القضاة تقي الدّين بن رزين ، وانتفع به وقرأ عليه كثيراً من كتبه ، ولازم طريق الخير وصُحْبَة الصّالحين ، واتّحد بالفقراء العاملين العالمين ، واشتهر بهذه الطّريق ، وعرف بهذا الخير الّذي هو نعم الرّفيق في كلّ فريق ، فترشّح بذلك للوظائف الكبار ، والمناصب الّتي ما على حسنها غُبار ، ومع هذا كلّه[٥] لازم طريقة واحدة ، وباشرَ القضاء والحكم وقد جعل اللهُ فَضْلَه شاهِدَه ورُزق السّعادة العظمى في كلّ ما تولاّه ، وزانه من محاسنه ما تحلاّه ، واتّصف بصفات ، وما يقول النّاس في البدر إذا محا سواد الدّجى وجلاّه :

---

(١) محمد بن أحمد بن علي المصري (ت ٦٨٦) الإعلام للذهبي : ٢٨٦ .

(٢) يحيى بن أبي منصور (ت ٦٧٨ هـ) ، العبر : ٣٢١/٥ .

(٣) زيادة من (ق) ، (ط) .

(٤) زيادة من (ق) ، (ط) .

(٥) (ق) ، (ط) : « وهو مع ذلك كلّه » .

وجـــلال لـــو كان للقمر البَـــــدْ ر لمـا جـاز فيـه حكم المُحَـاق[1]

ثمّ إنّه ضَعُفَ بصره واستعفى من المباشره ، وترك الخلطة بـالنّـاس والمعـاشره ، وانقطع في منزله قريبـاً من ستّ سنين يزوره النّـاس للبركـه ، ويقصـدونـه للتّملي بمحـاسنـه ، والأخذ من فوائده المشتركه .

ولم يزل على حاله إلى أن كُسِفَ بَـدْرُه ، وأُزلف قبره ، وتوفّي ـ رحمـه الله تعـالى ـ ليلة الإثنين بعد العشاء الآخرة الحادي والعشرين من جمـادى الأولى سنـة ثلاث وثلاثين وسبع مئة .

ومولـده ليلـة السّبت عنـد مُضيّ الثُّلث الأوّل من ليلـة رابع شهر ربيع الأوّل سنـة تسع وثلاثين وستّ مئة .

وصُلِّيَ عليه بجامع دمشق صلاة الغائب يوم الجمعة بعد الصّلاة عاشر جمادى الآخرة من السّنة المذكورة .

وكان قد درّس أوّلاً بدمشق في المدرسة القيمريّة مُضـافـاً إلى الخطـابـة في أوّل دولـة لاجين . ثمَّ إنَّه نقل إلى قضاء القدس مع الخطابة به في شوّال سنة سبع وثمانين وستّ مئة عوضاً عن فخر الدِّين الزُّرَعيّ . ثمَّ إنَّه طُلب لقضاء الدّيـار المصريَّـةِ ، فتوجَّـه إليهـا في شهر رمضان سنة تسعين[2] بدل ابن بنت الأعَزّ ، وجُمِعَ له بين قضاء البَلَدَيْن ، فـأحسن السِّيرة هناك ، وأقام مُدَّة ، وتجمَّعت له هناك مناصبُ جليلة .

أقام بالقاهرة على حاله ، إلى أن قُتِل الأشرف ، وأُمسك الصّـاحب بن السَّلعوس ، فَصُرِف القاضي بدر الدِّين بن جماعة وأُعيد قاضي القضاة تقيَّ الدِّين بن بنت الأعَزّ إلى ما كان عليه .

---

(١) (ط) : « حاز » .
(٢) (ط) : « وستّ مئة » .

واستقرَّ ابن جماعة هناك في تدريسٍ وكفاية ؛ إلى أن توفِّي قاضي القضاة شهاب الدِّين محمَّد بن الخويي ، فنقل إلى قضاء الشّام ، ووصل إلى دمشق رابع عشر ذي الحجّة من السَّنة قاضي قضاة الشّام ، وجُمع له مع القضاء الخطابة ـ وليها بعد الشَّيخ شرف الدِّين المقدسي[1] في شوّال سنة أربع وتسعين وستّ مئة ـ ومشيخة الشُّيوخ ، وأقام على ذلك مدَّة ، ولم يتَّفق هذا لغيره ، وازداد على ذلك التَّداريس الكبار ونظر الأوقاف وغير ذلك .

ولم يزل على ذلك إلى أن طلب ثانياً لقضاء الدِّيار المصريّة في شعبان سنة اثنتين وسبع مئة عوضاً عن ابن دقيق العيد ، فأقام على ذلك إلى أن حضر السّلطان من الكرك في سنة تسع وسبع مئة ، فعزله ، وولّى مكانه قاضي القضاة جمال الدِّين الزُّرعي في شهر ربيع الأوّل سنة عشر وسبع مئة مستهلِّ الشَّهر . وعزل أيضاً شمس الدِّين السُّروجي قاضي القضاة الحنفي ، وطلب ابن الحريري ، فولّاه مكانه ، وتولَّى قاضي القضاة بدر الدِّين بن جماعة في هذه العطلة تدريس المدرسة النّاصريّة في شهر ربيع الأوّل سنة إحدى عشرة وسبع مئة . ثمَّ إنَّه أُعيد إلى منصبه قضاء القضاة بالدِّيار المصريّة عوضاً عن القاضي جمال الدِّين الزُّرعي في الحادي والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وسبع مئة واستقرَّ له مع الحكم مشيخة الحديث بالكاملية وجامع ابن طولون ، وتدريس الصّالحيّة والنّاصريّة .

ولم يزل على حاله إلى أن استعفى من القضاء في جمادى الآخرة ـ فيما أظنُّ ـ سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، فاستمرَّت بيده الزّاوية المنسوبة إلى الشّافعي ـ رضي الله عنه ـ بجامع مصر ، وقرَّر له السُّلطان الملك النّاصر راتباً في الشَّهر مبلغ ألف درهم وعشرة أرادب قمحاً ، وكان قد ترك تناول المعلوم قبل انفصاله عن القضاء بمدّة .

وحجَّ ستَّ مرّات ، أوّلها سنة ستّ وخمسين وستّ مئة ، وجاوز التِّسعين سنة ،

---

(١) أحمد بن أحمد بن نعمة (ت ٦٩٤ هـ) ، البداية والنهاية : ٣٤١/١٣ .

وكان قد رزق القبول عند الخاصّة والعامّة ، وصنّف في التّفسير والحديث والفقه والأُصول والنّحو وعلم الميقات وغير ذلك ، وقُرئت عليه مصنّفاته . وكان يخطب غالباً من إنشائه ، ويؤدّي الخطابة بفصاحة ، ويقرأ في النّهار طيّباً . واجتمع له من الوجاهة والمناصب والعمر المديد في العزّ والعمل والتّقدُّم ما لا اجتمع لغيره ، وانقطع نظراؤه ، وانقرضوا ، وسادَ هو عليهم في حياتهم .

ومن نظمه ـ رحمه الله تعالى ـ ما أنشدنيه له إجازة :

يا لَهْفَ نفسي لو تَدومُ خَطابَتي ... بالجامعِ الأقصى وجامعِ جُلَّق
ما كانَ أهْنأ عَيشُنا وألَذَّهُ ... فيها وذاكَ طِرازُ عُمري لو بَقي
الدِّينُ فيهِ سالِمٌ من هَفْوَةٍ ... والرِّزْقُ فوقَ كِفايةِ الْمُسْتَرزِق
والنّاسُ كلُّهم صَديقٌ صاحِبٌ ... داعٍ وطالِبُ دَعوةٍ بتَرَقُّق

وأنشدني له أيضاً إجازة :

لَمّا تَمَكَّنَ من فُؤادي حُبُّهُ ... عاتَبْتُ قَلبيَ في هَواهُ ولُمْتُهُ
فَرَثى لهُ طَرْفي، وقالَ: أنا الذي ... قد كنتُ في شَرَكِ الهَوى أوقَعْتُهُ
عايَنتُ حُسْناً باهِراً فاقْتادَني ... سِرّاً إليهِ عِندَما أبْصَرتُهُ

وأنشدني لنفسه إجازة :

أحِنُّ إلى زِيارَةِ حَيِّ لَيْلَى ... وعَهْدي مِن زِيارَتِها قَريبُ
وكنتُ أظنُّ قُرْبَ العَهدِ يُطْفي ... لَهيبَ الشَّوقِ فازْدادَ اللَّهيبُ

قلت : ما أحسن قول القائل :

وكُلَّما زِدْتَني دُنُوّاً ... زِدْتُ إلى وَجْهِكَ اشْتِياقاً

وأنشدني لنفسه إجازة :

وإذا ما قَصَدْتُ طَيبَةَ شَوْقاً ... صارَ سَهْلاً لَدَيَّ كلُّ عَسيرِ
وإذا ما ثَنَيْتُ عَزْميَ عنها ... فَعَسيرٌ عَليَّ كلّ يَسيرِ

قلتُ : ما أحسن القائل :

يا ليلَ ما جِئتُكُم زائراً ... إلاّ وَجَدْتُ الأرضَ تُطْوى لي
ولا انْثَنى عَزمي عَن بابِكُم ... إلاّ تَعَثَّرتُ بأذْيالي

١٤٣١ ـ مُحَمَّد بن إبراهيم بن محمد*

ابن طرخان ، الصَّدر الشَّيخ بدر الدِّين بن الحكيم ، **العالم** رئيس الأطبّاء عزّ الدِّين أبي إسحاق الأنصاري السُّويدي ـ من سويداء حوران ـ من أولاد سعد بن معاذ .

سمع من جماعة فَوْقَ المئة منهم الرَّشيدي مسلمة ، وابن علاّن ، وإبراهيم بن خليل ، والعراقي ، وعبد الله بن الخشوعي ، والصَّدر البكري ، ومحَمّد بن عبد الهادي ، وأخوه عبد الحميد ، واليلداني ، والكفرطابي ، ومحَمّد بن سعد المقدسي ، وخطيب مردا . وأجاز له من بغداد بعض أصحاب ابن شاتيل ، وبعض أصحاب شُهدَة .

وكان مستوفي الأوقاف ، وخدم بديوان الجامع مدَّة ، وسمع منه الطَّلبة .

وتوفِّي[1] ـ رحمه الله تعالى ـ ثامن عشر شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

ومولده تقريباً سنة خمسٍ وثلاثين وستّ مئة .

---

* البداية والنهاية : ٦٣/١٤ ، والدُّرر : ٢٩٤/٣ .

(١) بالشبلية ، كما في البداية والنهاية .

١٤٣٢ ـ مُحَمّد بن إبراهيم*

ابن معضاد ...[(١)].

توفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ .....[(٢)] سنة سبع وثلاثين وسبع مئة بمصر .

ولَمّا توفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ قام أخوه عُمَر .

قال لي شيخنا العلاّمة قاضي القضاة تقيّ الدِّين[(٣)] ـ رحمه الله ـ : هؤلاء أهل بيت[(٤)] لا يتكلَّم فيهم أحد حتّى يموت واحدٌ قبله[(٥)] .

١٤٣٣ ـ مُحَمّد بن إبراهيم بن غنايم**

الصّالحي الحنفي المحدّث العدل ، شمس الدِّين بن المهندس الشّروطي .

سمع من ابن أبي عمر[(٦)] ، وابن شيبان[(٧)] ، والفخر[(٨)] ، وطبقتهم . وكتب العالي والنّازل ، ورحل إلى مصر بابنه ، ونسخ الكثير ، وحصَّل الأصول ، وخرَّج ، وأفاد مع التَّصوُّن والتَّواضع وطيب الخلق وصحّة النقل[(٩)] . وخلَّف أولاداً ومُلكاً .

---

* الوافي : ٢٠/٢ ، والدُّرر : ٢٩٧/٣ ، والنجوم الزاهرة : ٣١٣/٩ .

(١) بياض في الأصل و (ط) ، وفي الوافي : « ابن معضاد الشيخ ... من بيت » ، وعبارته مضطربة ، وعبارة الدُّرر : « ابن معضاد بن شداد بن ماجد بن مالك الشيخ ناصر الدِّين الجعبري » ، وزاد في الدُّرر أنه ولد بقلعة جعبر سنة ٦٥٠ هـ .

(٢) كذا بياض في الأصل و (ط) و (ق) ، وفي الدُّرر أنه توفي : في الرابع والعشرين المحرم سنة ...

(٣) السبكي ، كما في الوافي والدُّرر .

(٤) عبارة الوافي : « هم أهل بيت ، وفي الدُّرر : هم أهل بيت علمٍ » .

(٥) عبارة الوافي والدُّرر : « حتى يموت قبله واحد منهم » .

** الوافي ٢١/٢ ، والدُّرر : ٢٩١/٣ ، والشذرات : ١٠٥/٦ ، وذيول العبر : ١٧٩ .

(٦) عبد الرحمن بن محمد بن أحمد المقدسي (ت ٦٨٢) ، سلفت الإشارة إليه .

(٧) في الأصل و (ط) : « ابن أبي شيبان » ، وأثبتنا ما في الوافي ومصادر ترجمته ، وأحمد بن شيبان بن تغلب (ت ٦٨٥ هـ) سلفت الإشارة إليه .

(٨) ابن البخاري ، علي بن أحمد بن عبد الواحد السعدي (ت ٦٩٠) ، سلفت الإشارة إليه .

(٩) في الأصل : « العقل » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، والوافي .

وكان رأسه يضطرب دائماً لا يفترّ ، وصّى بوقفيَّة أجزائه ، وكتب شيخنا الذَّهبي عنه ، وأجاز لي .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في الثّالث والعشرين من شوّال سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة ستٍّ وخمسين وستّ مئة تقريباً .

١٤٣٤ ـ محَمّد بن إبراهيم بن محمد*

ابن أحمد الفقيه المفيد الرَّحّال أمين الدِّين الوانيّ الدِّمشقيّ الحنفيّ ، رئيس المؤذِّنين بدمشق وابن رئيسهم برهان الدِّين . وقد تقدَّم ذكر والده شرف الدِّين .

كتب أمين الدِّين ، وتعب ، وحصَّل الأصول ، وحدَّث بمصر ودمشق ومكّة عن أبي الفضل بن عساكر ، والتقيّ بن مؤمن ، وجماعة .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ بعد والده بشهر ، ودفن إلى جانبه ...[1] سنة خمس وثلاثين وسبع مئة ، عاش إحدى وخمسين سنة .

قال شيخنا الذَّهبيّ : كان مِنْ خير الطَّلبة ، وأجودِهم نقلاً .

١٤٣٥ ـ محَمّد بن إبراهيم بن عبد الله**

الشَّيخ الجليل الفاضل القُدْوَة أبو عبد الله بن الشَّيخ السَّيِّد القدوة ابن الشَّيخ السَّيِّد القدوة الأرموي .

روى (جزء ابن عرفة) عن ابن عبد الدَّائم .

---

* البداية والنهاية : ١٧١/١٤ ، والدُّرر : ٢٩٣/٣ .

(١) كذا بياض في الأصل و (ق) و (ط) . وفي الدُّرر : « شهر ربيع الأول » .

** الدُّرر : ٢٨٧/٣ ، والبداية والنهاية : ٦٤/١٤ ، وفيه : « الأموي » .

كان من كبار الأدباء ، وجلّة العلماء ، وسادةِ العارفين ، وأئمّة المصنِّفين ، ديانتُه متينه ، وصيانته مبينه ، له فضائل ، وفيه تَوَدُّد ولطف شمائل ، يُكْرِم من يزوره ، ويُقْبَلُ عنده لكَرَم طِباعه حقّه وزوره . له وجاهة عند الأمراء والأكابر ، وأرباب الطَّيالس والمحابر ، وكلمته نافذة فيما يراه ، وقوله يُسمع فيما يأمر به ويراه . وشعره أرقّ من دموع العشّاق وعتاب الأحباب إذا وصلوا[1] بعد الصّدّ والفراق ، ونسيم الرِّياض إذا هبَّ في وقت الاغتباط بالاعتباق :

تسمَعُ مِن شِعرِهِ بُيوتاً ألذَّ مِن غَفلةِ الرَّقيب
كأنَّها إذا صَفَتْ ورَقَّتْ شكْوى مُحِبٍّ إلى حَبيبِ[2]

لم أرَ مثلَ نظمه العذب ، وقريضه الذي هو في سلاسة الماء وصقال العَضْب[3] ، يهزأ بسجع الحمام ، ويهزُّ عِطْفي بالطَّرب ؛ حتّى كأنّي ثملتُ من المدام . وقد أوردتُ منه[4] جملة في الجزء الثّامن والثّلاثين من (التّذكرة) لي .

ولم يزل الشَّيخ على حاله إلى أن رمي الأرموي بسهم الحِمام ، وبكى عليه يوم مات حتّى جفون الغَمام .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في عاشر شهر رمضان سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، بزاويته بسفح قاسيون ، وصُلِّي عليه بالجامع المظفَّري ، ودفن عند والده ، وحضر جنازته خلق كثير من الأمراء والقضاة والفقهاء والصُّدور وعامّة النّاس . وغُلّق سوق الصّالحيَّة بأسره ، وكان يوماً مطيراً كثير الوحل والطِّين .

وكان فيه خيرٌ وتودُّد ومواظبة على المشيخة ، وإكرام من يزوره .

---

(١) (ق) ، (ط) : « واصلوا » .
(٢) (ق) ، (ط) : « كأنها » .
(٣) العضب : السيف .
(٤) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

ومولده في شهر رجب سنة خمسٍ وأربعين وستّ مئة .

جمع جزءاً في السَّماع وجزءاً في أخبار جدّه .

ومن كلامه في السَّماع قال : افتقار السَّماع إلى الوجد افتقار الصّلاة إلى النِّيَّة ، فكما لا تصحُّ الصَّلاة إلاّ بالنِّيَّة والقصد ؛ كذلك لا يُباح السَّماع إلاّ بالوجد ، فمن كانت حركته في السَّماع طبيعيّه ؛ كانت نشوته به حيوانيَّه ، ألا ترى أنَّ كثيراً من الحيوانات ينشأُ له حالٌ غير[1] المعتاد عند سماع المُطْرِبات ، وقوّةُ حركة لسماع النَّغمات ، فمن كان هذا السَّماع الحيواني في ذلك أقصى أربه ؛ كان مقصوراً فيه على لهوه ولعبه ، وهو سماع الطَّبيعة لا سماعُ الأرواح ، فجديرٌ أن يُجتنب ، فإنه يستعمل الطَّبيعة فيه غير مباح[2] ، والسَّماع الذي اختلفت فيه الأقوال ، إنَّما هو سماع أهل المقامات والأحوال ، فمنهم من أباحَهُ على حكمِ الاختصاص ، ومنهم من جعله زلَّة الخواص ، ومنهم من توقَّف ، ولم يجد إلى إقامة الدَّليل على كِلا أمريه نشاطا ، ورأى الاستغفار منه إذا قدِّر له الحضور فيه احتياطا ، فهو متردِّدٌ في أمريه ، فتركه لمثل ذلك أولى ، ولم يدر على من حضره من السَّلف ، ولكن لم يرَ نفسه لحضوره أهلاً ، فهذه جملةٌ إقناعيّة ممّا قيل فيه ، ونبذةٌ لعلَّ من تأمَّلها تكفيه :

إذا حرَّكَ الوَجدَ السَّماعُ إليكُم ... يباحُ ، وإلاّ فالسَّماعُ حَرامُ
ومَن هَزَّهُ طيبُ السَّماعِ حديثَكُم ... ومالَ مِنَ الأشواقِ ليسَ يُلامُ
ولا عَجبٌ إن شتَّتَ الْحُبّ جَمْعَه ... فليسَ لأحوالِ الْمُحبِّ نظامُ
غُذِّيَ بِلبانِ الْحُبِّ قِدْماً ومالَه ... سواهُ إذا آنَ الفِطامُ فِطامُ
يسيرُ معَ الأشواقِ أنَّى توجَّهت ... وليسَ لهُ في الكائناتِ مقامُ
ولا غَرْوَ إن ضلَّت مذاهبُ عَقْلِه ... فإنَّ مقرَّ العزِّ ليسَ يُسامُ
حِمىً لا سبيلَ أن يُباحَ مصونه ... وكلُّ الوَرى طافوا عليهِ وحاموا
وقاموا وقد جدّوا لأوّلِ منزلٍ ... فقاموا حَيارى فيهِ حيثُ أقاموا

(١) في الأصل : « في » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

(٢) كذا في الأصل و (ط) و (ق) ، ولعلّ المراد : « في غير مباح » .

ومن شعره أيضاً :

وافى الرَّبيعُ فعادَ الرَّوضُ مُبتَسِماً ... وطالَما انتحَبَتْ فيهِ سَحائبُه
والغُصنُ مِن فَوْقِه الشّحرورُ تحسبُه ... يتلو الزَّبورَ بأعلى الدَّير راهِبُه
وشاطئُ النَّهرِ قد دبَّت عوارِضُه ... وافْتَرَّ مَبسِمُهُ واخْضَرَّ شارِبُه
فصفَّقَ الدَّوْحُ لَمّا أنْ رأى عَجَباً ... من أجلِ ذلكَ قَدْ شابَت ذوائِبُه

ومنه :

لم أنْسَ ليلةَ باتَ البَدرُ يَخدمُنا ... إلى الصَّباحِ ولم يَشْعُر بنا الرُّقَبا
والنَّهرُ يجري لُجيناً والدُّجى سَيَجٌ ... فمُذ بَدا الصُّبحُ ياقوتاً جَرى ذَهَبا

ومنه :

وافى النَّسيمُ أمامَ القَطْرِ فانْثَنَتِ الـ ... أغصانُ تَرقُصُ مِن تيهٍ ومِن مَرَحِ
وأعْيُن الرَّوضِ تَجْري وهو مُبْتَسِمٌ ... وقَد تَفيضُ دُموعُ العَيْنِ بالفَرَحِ

ومنه :

أصبحتُ أسجَعَ مِن وَرقاءَ فاقِدَةٍ ... تَنوحُ في الدَّوْحِ طولَ اللَّيلِ لم تَنَمِ
بعدَ الأحِبَّةِ لا تَهْوى المنامَ بلى ... إنْ سامَحوها وزارَ الطَّيفُ في الْحُلُمِ

ومنه :

رأيتُ الصَّبا لَمّا اسْتَعَنْتُ بلطفِها ... على حملِ ما لاقيتُه تتعلَّلُ
وقُمتُ بحفظِ العهدِ للنَّجمِ في الدُّجى ... فما بالُهُ في صُحْبَتي يَتَنَقَّلُ
وقلبُ الدُّجى ما زالَ للسِّرِّ كاتِماً ... وها هو عمّا خِلتُه يَتَحَوَّلُ

ومنه :

سَكِرت كما تهبّ صَباً صَباحاً ... فرقّ لأنّه برٌّ كَريمُ
فلا تَعْجَب لهُ إن مالَ عِطْفاً ... فإنّ الغُصْنَ يَعْطِفُهُ النَّسيمُ

ومنه :

لَطُفَتْ شمائِلُــه فعُــدْنَ شَمائِـلاً ... من أجلِهـــا عَرْفُ النَّسيمِ مُعَطَّرُ
لـــو لَم يَنُمَّ عَبيرُهُ بعُبـــورِه ... كانَ الرَّقيبُ لِلُطْفِــــه لا يشعُرُ

ومنه :

أصـافِـحُ الأغصـانَ أبْغي الْحَيـا ... مُسْتَسْقِيـاً أكْـؤسَ جريـالِهـا[1]
وكَيفَ لا يُـدْرِكُني جُـودُهـا ... وقَـدْ تَعَلَّقْتُ بـأذْيـالِهـا

ومنه :

يـا مُعْرِضـاً عَنّي وفي إعراضِـه ... لُطْفٌ يَفي بفَضـائـلِ القُرْب
مِن دونِ سَفكِ دَمي بِحُبِّكَ عـامِداً ... مَعْنًى يَقيـكَ بـواعِثَ العُتْب[2]

ومنه :

كأنَّما النَّهرُ في ظِـلِّ الغُصـونِ وقَـدْ ... ألْقَى السَّحـابُ عَليـه حُمْرَةَ الشَّفَـقِ
خَـدٌّ تكنّفـه فَرطُ الْحَيـاءِ وقَـدْ ... مَـدَّ العِـذار عَليـهِ خُضرةَ الـوَرَقِ

ومنه :

ورُبـوعٌ يَكادُ طيبُ شَـذاهـا ... يَفْضَحُ المِسْـكَ في نُحور العَـذارى
أشْرَقَتْ شَمسُ نـورِهـا فرأينـا ... نَحـوهـا في الـدُّجى نَـؤُمُّ نَهـارا
وأتى القـابِسـونَ نَحـو سَنـاهـا ... فرَأَوْا جُـلَّ نـارِهـا جُلَّنـارا

ومنه :

أنـا مُسْتَجيرٌ بـالـدُّجى ... من سَـلِّ سَيفِ صَبـاحِـه
فعَسـاهُ يَكْـلأُ ذا هـوًى ... كَرَمـاً بظِـلِّ جَنـاحِـه

---

(١) الجريال : الخمر ، أو لونها .
(٢) في الأصل : « يحبك » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

ومنه :

كأنَّ سَماءَنــــا والبَـــــدْرُ فيهــــا وأنْجُمِهـــا مُحَـــدِّقَـــةَ إليـــه
حَـــديقـــةُ نَرْجِسٍ مِن حُـــورِ عين تَـدَفَّـقَ مــاؤهـا فَطَفـا عليـه[١]

ومنه :

تبسَّم ثَغرُ الرَّوْضِ بعــدَ قُطـوبِـه سُروراً بــإقبـــالِ الرَّبيـعِ إليـــه
ألَم تَرَ أنَّ الغُصْنَ إذ رَقَّت الصَّبـــا يُصَفِّـقُ مَسْروراً لهـــا بيَـــدَيْـه
وأنَّ ثِيـــابَ الـــوَرْدِ وهِيَ شَقيقـــة يُشقِّقهـــــا حتَّى تَمرّ عَليـــه

ومنه :

خِلْتُ أنَّ الغُصـــونَ تَرْقُصُ لَمّـــا أن أتـــاهـــا النَّسيمُ بـــالأمطـــارِ
فَلهـــذا أَلْقَتْ لــــهُ مـــا عَلَيْهـــا فَهِيَ مِن شِــــدَّةِ السُّرورِ عَــواري
لَبِسَت في الثِّيـــابِ ثـــوبَ وقـــارٍ ورَأت في الْمَشيبِ خَلْـعَ عِــذاري

١٤٣٦ ـ مُحَمَّد بن إبراهيم بن أبي بكر*

شمس الدِّين المؤرِّخ الجزري[٢] .

لهج بـالتّـاريـخ ، وجمعه[٣] ، وسمع من إبراهيم بن أحمـد[٤] بن كامـل ، والفخر

(١) (ق) ، (ط) : « حول » .

* الوافي : ٢٢/٢ ، والبداية والنهاية : ١٨٦/١٤ ، والدُّرر : ٣٠١/٣ ، والشذرات : ١٢٤/٦ .

(٢) في الأصل : « الخزرجي » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، والوافي ، ومصادر ترجمته . ولكنه وقع في البداية والنهاية : « الجوزي » ، وهو تحريف .

(٣) واسم كتابه الذي جمعه في التاريخ : (حوادث الزمان وأنباؤه ووفيات الأعيان وأبناؤه) ، الكشف : ٦٩٣/١ ، وفي الأعلام : ٢٩٨/٥ : أنه مخطوط في مجلدين .

(٤) (ط) ، (ق) ، والوافي ، كابعض أصول الدُّرر : (حمد » .

علي[١] ، وابن الواسطي[٢] ، والأبرقوهيّ ، وابن الشّقاري[٣] ، وغيرهم من الشُّعراء .

وكان حَسَنَ المذاكرة ، سليم الباطن صادقاً ، وفي تاريخه عجائب وغرائب عاميّة[٤] . أجاز لي بخطِّه ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ثلاثين وسبع مئة .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ ...[٥] سنة تسع وثلاثين وسبع مئة بدمشق ، ودفن في مقابر الباب الصَّغير .

وروى عنه الشَّيخ علم الدِّين البرزالي هذه الأبيات :

إلَهي قَدْ أعْطَيْتَنِي ما أُحِبُّهُ ... وأطْلُبُه مِنْ أمْرِ دُنْيَايَ والدِّينِ
وأغْنَيْتَني بالقُنْعِ عَن كُلِّ مَطْمعٍ ... وألْبَسْتَني عِزّاً يَجِلُّ عَنِ الهُونِ
وقَطَّعت عَن كُلِّ الأنامِ مَطامِعي ... فَنعْماكَ تَكْفيني إلى يومِ تَكْفيني
ومَنْ دَقَّ باباً غيرَ بابِكَ طامِعاً ... غَدا راجِعاً عَنهُ بصَفْقَةِ مَغْبونِ

قلت : وأنا أستكثر هذه الأبيات عليه ، وإن لم تكن في الذّروة .

١٤٣٧ ـ مُحَمَّد بن إبراهيم بن إبراهيم*

ابن داود بن حازم ، الشَّيخ الإمام الصَّدر الكامل قاضي القضاة الأذرعي شمس الدِّين الحنفي .

كان فاضلاً من أعيان مذهبه ، يعرف الفقه والأصول والنَّحو ، ودرَّس بالمدرسة الشَّلبيَّة ، وولِّي القضاء بدمشق سنة كاملة ، وروى عن ابن عبد الدّائم .

(١) ابن البخاري ، وسلفت الإشارة إليه .
(٢) هو التقي الواسطي ، إبراهيم بن علي بن أحمد ، سلفت الإشارة إليه .
(٣) يوسف بن أبي نصر بن أبي فرج (ت ٦٩٩ هـ) ، العبر : ٤٠٧/٥ .
(٤) في الوافي : « وعاميّة » .
(٥) كذا بياض في الأصل و (ق) و (ط) ، وفي الدرر أنه توفي بواسط سنة ...
* البداية والنهاية : ٦٨/١٤ ، والدُّرر : ٢٧٨/٣ ، والدّارس : ٤٢٩/١ .

قال شيخنا البرزالي : قرأت عليه بدمشق وبتبوك . توجَّه إلى القاهرة متمرِّضاً ، ونزل بخانقاه سعيد السُّعداء ، فأقام خمسة أيام .

وتوفِّي - رحمه الله تعالى - في خامس شهر رجب سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة أربع وأربعين وستّ مئة .

وكان قد ولي القضاء بدمشق في ثاني عشر ذي القعدة سنة خمس وسبع مئة عوضاً عن القاضي شمس الدِّين بن الحريري[1] ، ولَمّا وصل توقيعه في شهر ربيع الآخر سنة ستّ وسبع مئة غلط البريدي ، وتوجَّه بالتَّوقيع إلى ابن الحريري ، ولَمّا قُرِئ عُلِم أنَّه قد غلط ، فعاد به [إلى][2] الأذرعي .

١٤٣٨ - مُحَمَّد بن إبراهيم*

العدل الرَّئيس الفاضل صلاح الدِّين أبو عبد الله الطَّيب المعروف بابن البرهان . كان أبوه جرائحياً ، وفي أبيه يقول القائل ، وقد ظَرَّفَ :

كلُّ مَن عالَجَ الجِراحَة قَدَمٌ وأقيمُ الدَّليلَ بالبرهانِ

ولَمّا نشأ صلاح الدِّين المذكور لأبيه أقرأه أبوه القرآن ، فحفظ منه نحو النِّصف ، وقرأ طرفاً من العربيّة على الشَّيخ بهاء الدِّين بن النَّحاس ، وقرأ الطِّبّ على العماد النّابلسي ، ثمَّ على الشَّيخ علاء الدِّين بن النَّفيس .

وكان قد أجيز أولاً بالكحل ، ثمَّ بالتَّصرُّف في الطِّبِّ ، وكان فاضلاً في فروع الطِّبِّ ، مشاركاً في الحكمة ، مائلاً إلى علم النُّجوم والكلام على طبائع الكواكب وأسرارها ، وقرأ في آخر عمره على الشَّيخ شمس الدِّين الأصفهاني كثيراً من الحكمة ،

(١) البداية والنهاية : ٣٨/١٤ ، وعنه في الدّارس : ٤٣٠/١ .

(٢) زيادة يقتضيها السياق ، وهي ثابتة في (ق) ، والبداية والنهاية والدُّرر .

* الوافي : ٢٣/٢ ، والدُّرر : ٢٨٨/٣ .

وسمع بقراءة فخر الدِّين عبد الوهّاب[١] كاتب الدّرج كتاب (الشِّفاء) لابن سينا على الشَّيخ شمس الدِّين ، وهو يشرحه لصلاح الدِّين ميعاداً فميعاداً إلى أن أكمله .

قال القاضي شهاب الدِّين بن فضل الله : وسألت الشَّيخ شمس الدِّين عنه ، فقال : اشتغاله أكثرُ من ذهنه ، وكان علمه بالطِّبِّ أكثر من معالجته .

وقال لي شيخنا شمس الدِّين : إنَّه طلعت في أصبعه سِلْعَة[٢] ، فاستطبَّ لها صلاح الدِّين ، فبُهت ، ثمَّ وَصَفَ أشياء لم تَفِده ، فقال له فخر الدِّين عبد الوهّاب : لو عملت كذا وكذا كان أنفع له ، فعمله ، فنفعه ، وبَرِئَ به .

وكان صلاح الدِّين المذكور ذا مالٍ ومُتَّجَر[٣] ، وأكثره في إخميم ، وكان من أعيان أطبّاء السُّلطان الَّذين يدخلون عليه ، ويعرف له السُّلطان مكانته وفضله ، وكان خَصِيصاً بالنّائب الأمير سيف الدِّين أرغون . ثمَّ إنَّه اختصَّ بعده بالأمير سيف الدِّين طقزتمر ، ويطلع معه في كلِّ سنة إلى الصَّعيد ، فيكون في خدمته ، ويستعين بجاهه على استخراج أمواله وإنفاق[٤] متاجره .

وصحب قاضي القضاة تاج الدِّين القزويني ، وكان يَسْفُر عنده لقُضاة الصَّعيد ، يقدِّم[٥] كتبهم ، ويتنجَّز أجوبتهم . وكان لا يزال ضيِّق الذَّرع مِن تقدُّم القاضي جمال الدِّين بن المغربيّ رئيس الأطبّاء عليه ، وسأل من السُّلطان الإعفاء من الطِّبِّ ، وأن يكون من تجّار الخاصّ ، فقال السُّلطان : نحن نعرف أنَّه إنَّما قال هذا لكون ابن المغربيّ هو الرَّئيس ، وكونِه هو أكبر وأفضل ، فلا يأخذ في خاطره من هذا ، فهو عندنا عزيز كريم ، ولكن إبراهيم صاحبنا ، ونعرف أنَّه ما يستحقُّ التَّقدُّم عليه .

---

(١) في الوافي : « عبد الوهّاب بن الحكيم » .

(٢) السلعة : غدّة أو زيادة في الجسم .

(٣) في (ق) ، (ط) ، (خ) : « ومتجر بالصعيد » ، وفي الوافي : « في الصعيد » .

(٤) في (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي : « ونفاق » .

(٥) في الوافي : « يقدم إليه » .

فطاب قلب صلاح الدِّين بهذا الكلام ، وخطب بعد ذلك أخت ابن المغربيّ ، وتزوَّج بها ، واتَّحدا بعد مباينة البواطن .

وكان صلاح الدِّين يثبت علم الكيمياء ، ويقول إنَّه صحب ابن أمير كان اسمه ابن سنقر الرُّومي ، وقال : عملها بحضوري غير مرّة .

وكان مغرًى بالرُّوحانيّات ، واعتقاد ما يقال من مخاطبات الكواكب ، حدَّثني بهذا جميعه القاضي شهاب الدِّين بن فضل الله ، وكان كثير التَّردُّد إليه والاجتماع به ، وقد اجتمعت به أنا غير مرّة ، وسمعتُ كلامه ، وكان يستحضر كلِّيّات (القانون) ، وكان يلثغ بالرّاء لثغة مصريّة ، وعلى[1] ذهنه شيء من الحماسة والمقامات وشعر أبي الطَّيب .

وكان في ذهنه جمود ، وكان يجتمع هو والشَّيخ ركن الدِّين بن القويع - رحمه الله تعالى - في دكّان الشُّهود الَّتي على باب الصّالحيَّة ، فيذكر صلاح الدِّين شيئاً من كلام الرَّئيس ابن سينا ، إمّا من (الإشارات) أو من غيرها ، ويشرح ذلك شرحاً غير مطابق ، فما يصبر له الشَّيخ ركن الدِّين ، ويقول : سبحان الله ! من يكون ذهنه هكذا يشتغل فلسفة ، هذا الكلام معناه كيت وكيت ، فهو في وادٍ وأنت في واد ، وهذا الَّذي يُفهم من كلام الشَّيخ هو المطابق للقواعد عند القوم . فيعود صلاح الدِّين في خجل كبير من[2] الجلوس . وأظنُّه فارق الزَّوجة أخت ابن المغربيّ قبل وفاته .

ولَمّا مرض النّائب أرغون بحلب أوّل مرَّة طلبه من السُّلطان ، فجهَّزه إليه [فحضر][3] وعالجه ، ثمَّ توجَّه إلى القاهرة ، ثمَّ إنّه مرض الثّانية ، فطلبه ، فوصل إلى إربد ، وبلَغَتْه وفاته ، فعاد من إربد إلى القاهرة .

وتوفِّي صلاح الدِّين - رحمه الله تعالى - في سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة .

---

(١) (خ) : « وكان على » .

(٢) في (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي : « بين » .

(٣) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) .

وكنت أراه دائماً يحمل (شرح الإشارات) للنّصير الطُّوسيّ ويتوجَّه به إلى الشَّيخ شمس الدِّين الأصفهاني ليقرأه عليه .

١٣٣٩ ـ مُحَمَّد بن إبراهيم بن يحيى*

الشَّيخ الإمام الفقيه العالم شمس الدِّين الصَّنهاجي المالكي ، إمام محراب المالكيَّة بالجامع الأموي .

كان فقيهاً فاضلاً من أهل العلم والصَّلاح وملازمة الاشتغال[١] .

توفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في رابع عشر ذي الحجّة سنة اثنتين وسبع مئة ، ودفن برّا الباب الصّغير .

وتولّى الإمامة بعده الشَّيخ أبو الوليد بن الحاج الإشبيلي[٢] .

١٤٤٠ ـ مُحَمَّد بن إبراهيم بن ساعد**

الشَّيخ الإمام الفريد المحقِّق النّحرير الفاضل الحكيم شمس الدِّين أبو عبد الله الأنصاري ، السِّنجاريّ الأصل والمولد ، المصري الدّار والوفاة ، المعروف بابن الأكفاني .

كان فاضلاً قد برع في علوم الحكمه ، وجمع شتات العلوم من غيرها بماله من الهمّه ، لو رآه الرَّئيس لكانت إليه إشاراته ، وبه صحَّ شفاؤه ، وتمَّت نجاته ، ولم يكن قانونه يُطْرِب ، ولا حكمته المشرقيّة[٣] مما يأتي بالفوائد فيُغرب . ولو عاصره النَّصير الطُّوسيّ

---

* الدُّرر : ٢٩٩/٣ .

(١) (ط) : « الأشغال » .

(٢) محمد بن أحمد بن قاضي الجماعة ، ستأتي ترجمته بعد قليل . وانظر : الدارس ٥/٢ .

** الوافي : ٢٥/٢ ، والدُّرر : ٢٧٩/٣ ، والبدر الطالع : ٧٩/٢ .

(٣) في الأصل : « المشرفية » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي ، والمراد كتاب : الحكمة المشرقية لابن سينا . وكذلك الأسماء السابقة فيها تورية بكتب ابن سينا .

لَمَا بَنى الرَّصَد[١] ، وكفَّ من طول باعه في التَّصنيف واقتصد[٢] ، ولم يعدُّ النّاس متوسّطاته[٣] في المبادي ، وعلم أنَّه ما ظفر بهيبة[٤] من الهيئة إلى يوم التَّنادي . ولو عاينه بطليوس لما وضع اسطرلابا ، ولم يدر مجسّ المجسطي ، ولم يجد له فيه طِلابا . ولو ناظره الخونجيّ[٥] لما أجلسه على خوانه ، وعلم أنَّ منطقه في (كشف الأسرار)[٦] هذرٌ عند بيانه . هذا إلى توسُّع في علم[٧] الأدب على كثرة فنونها ، واتِّساع بحرها لملاعب نونها ، وفهم نكته ودقائقه ، ومعرفة مجازاته وحقائقه . واستحضار كثير من وقائع العرب وأيّامها وتواريخ الأعيان وأحكامها .

اجتمعتُ به فكنتُ أرى العجائب ، وأسير في فضاء غرائبه على متون الصَّبا والجنائب ، أخذت عنه فوائد في الرِّياضي ، وملأتُ بقطر علومه حياضي ، ولم أرَ مثل عبارته ، ولا لطف إشارته ، فكنت أحقَّ بقول أبي الطَّيِّب[٨] :

مَن مُبلغُ الأعرابِ أنِّي بعدَها ... شاهدْتُ رَسْطاليسَ والإسْكَندرا
ولَقيتُ كلَّ العالمينَ كأنَّما ... رَدَّ الإلهُ نُفوسَهُمْ والأعْصُرا

ولم يزل الشَّيخ على حاله إلى أن اندرج ابن الأكفاني في الأكفان ، وتحقَّقَ معنى قوله[٩] : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ ﴾[١٠] .

(١) في الأصل : « للرصد » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .
(٢) (ق) ، (ط) ، (خ) : « واقتصر واقتصد » .
(٣) المتوسطات : كتب تتوسط في الترتيب التعليمي بين كتاب الأصول لإقليدس وبين كتاب المجسطي لبطليوس ، الكشف : ١٥٨٥/٢ .
(٤) (ق) ، (خ) : « بهبة » .
(٥) محمّد بن نامور (ت ٦٤٦) من علماء الحكمة والمنطق . الشذرات : ٢٣٦/٥ .
(٦) اسم كتابه كشف الأسرار عن غوامض الأفكار في الحكمة ، الكشف : ١٤٨٦/٢ .
(٧) في (ق) ، (ط) : « علوم » .
(٨) ديوانه : ١٧٠/٢ ، ورواية الشطر الأول من البيت الثاني فيه : « ولقيت كل الفاضلين ... » .
(٩) في (ق) ، (ط) ، (خ) ، « قوله تعالى » .
(١٠) سورة الرّحمن : ٢٦/٥٥ .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة تسع وأربعين وسبع مئة بالقاهرة ، في طاعون مصر ، تعجيزاً من الله تعالى لما يعرفه ، وينفقه من حواصل[١] علومه ويصرفه .

كان هذا الشَّيخ شمس الدِّين ، قد برع في علوم الحكمة ، وتفرَّد بإتقان الرِّياضي ، فإنَّه كان إماماً في الهندسة والحساب والهيئة ، وله في ذلك تصانيف وأوضاع مفيدة ، قرأتُ عليه قطعة جيِّدة من كتاب إقليدس ، وكان يحلُّ لي ما أقرأه عليه بلا كلفة ، كأنَّه مُمَثَّلٌ بين عينيه ، فإذا ابتدأت في الشَّكل شرع هو يَسْرُدُ باقي الكلام سرداً ، وأخذ الميل ، ووَضَع الشكل ، وحروفَه في الرّمل على التَّخت ، وعبَّر عنه بعبارة جزلة فصيحة بيِّنة واضحة ، كأنَّه ما يعرف شيئاً غير ذلك[٢] . وقرأت عليه مقدَّمة في وضع الأوفاق ، فشرحها لي[٣] أحسن شرح ، وقرأتُ عليه أوّل (الإشارات) ، فكان[٤] يحلُّ شرح نصير الدِّين الطُّوسي بأجلِّ عبارة ، وأجْلَى إشارة ، وما سألته عن شيءٍ في وقت من الأوقات عمّا يتعلّق بعلوم الحكمة من المنطق والطَّبيعي والرِّياضي والإلهي [إلاّ][٥] وأجاب بأحسن جواب ، كأنَّه كان في بارحته يطالع في تلك المسألة طول اللَّيل .

وقرأت عليه (رسالة الاستبصار فيا يدرك بالأبصار) ، وهو كتابٌ صغير في علم المناظر ، تصنيف الشَّيخ شهاب الدِّين القرافي الأصوليّ المالكي[٦] ، فحلَّ كلامه ، وواخذه في أشياء .

وأمّا الطِّبُّ فإنَّه كان فيه إمام عصره ، وغالب طبِّه بخواصّ ومفردات يأتي بها إلى المريض ، وما يعرفها أحد ، لأنَّه يغيِّر كيفيَّتها وصورتها ، حتّى لا تُعلم ، وله إصابات غريبة في علاجه .

---

(١) (ق) ، (ط) ، (خ) : « حاصل » .

(٢) (ق) ، (خ) ، والوافي : « غير ذلك الشكل » .

(٣) (خ) : « في » .

(٤) في الأصل : « فكل » ، وأثبتنا مافي (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .

(٥) زيادة من (ق) ، (ط) ، والوافي .

(٦) أحمد بن إدريس القرافي (ت ٦٨٢) ، الوافي : ٢٣٣/٦ ، والكشف : ٧٧/١ .

وأمّا الأدب ـ وكان[١] فيه فريداً ، يفهم نُكَتَه ، ويذوق غوامضه ، ويستحضر من الأخبار والوقائع والوفيات للنّاس قاطبةً جملة كبيرة ـ فحفظ[٢] من الشِّعر شيئاً كثيراً إلى الغاية للعرب والمولّدين والمحدِّثين والمتأخِّرين والعصريِّين . وله في الأدب تصانيف ، وكان يَعْرِف العروض والبديع جيداً ، ولم أرَ[٣] مثل ذهنه يتوقد ذكاءً بسرعة [ما][٤] لها رويّة ، وما رأيت فيمن رأيت أصحّ ذهناً منه ، ولا أذكى .

وأمّا عبارته الفصيحة الموجزة الخالية من الفضول فما رأيت مثلها . قال لي شيخنا الحافظ فتح[٥] : ما رأيت من يعبِّر عمّا في ضميره بعبارة موجزة مثله . انتهى .

ولم أرَ أمتع منه ، ولا أفكه من محاضرته ، ولا أكثر اطِّلاعاً منه على أحوال النّاس وتراجمهم ووقائعهم ، ممَّن تقدَّم ، وممَّن عاصره .

وأمّا أحوال الشَّرق ومتجدّدات التَّتار في بلادهم في أوقاتها فكأنَّما كانت القصَّاد تجيء إليه ، والملطَّفات تتلى عليه ، بحيث إنَّني كنت أسمع منه ما لم أطَّلع عليه في ديوان الإنشاء عند كاتب السِّر .

وأمّا الرُّقَى والعزائم فيحفظ منها جُملاً كثيرة ، يسردها سرداً . وله اليد الطُّولى في الرُّوحانيّات والطَّلاسم وإخراج الخبايا ، وما يدخل في هذا الباب ، وله اليد الطُّولى والباع المديد في معرفة الأصناف من[٦] الجواهر والقماش والآلات وأنواع العقاقير والحيوانات ، وما يحتاج إليه البيمارستان المنصوري لا يُشْترى شيء ، ولا يدخل البيمارستان إلاّ بعد عرضه عليه ، فإنْ أجازه اشتراه النّاظر ، وإن لم يُجِزه ؛ لم يُشْتَرَ

---

(١) في (ط) ، (خ) : « فكان » .
(٢) في (ق) ، (ط) ، (خ) : « يحفظ » .
(٣) (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي : « وما رأيت » .
(٤) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .
(٥) (خ) : « فتح الدين » ، وهو ابن سيِّد الناس ، سلفت الإشارة إليه .
(٦) (خ) : « ومن » .

البتّة ، وهذا اطّلاعٌ كثير ومعرفة تامّة ، فإنَّ البيمارستان يريد كلّ ما في الوجود ، ممّا يدخل في الطّبّ والكحل والجراح والتّرايق ، وغير ذلك .

وأمّا معرفة الرّقيق من المماليك والجواري فإليه المآل في ذلك ، ورأيت المولعين بالصّنعة يحضرون إليه ويذكرون ما وقع لهم من الخلل في أثناء ذلك العمل ، فيرشدهم إلى الصّواب ، ويدلّهم على إصلاح ذلك الفساد ، ولم أرَ شيئاً يعوزه من كمال أدواته ، إلاّ أنَّ عربيَّته كانت ضعيفة ، وخطّه أضعف من مَرْضى مارستانه ، ومع ذلك فله كلامٌ حسن ، ومعرفة جيِّدة بأصول الخطِّ المنسوب ، والكلام على ذلك وأنشدني من لفظه لنفسه :

ولقَد عَجِبْتُ لعاكِسٍ للكيميا ... في طبِّه قَد جاءَ بالشّنعاء[1]
يلقي على العَينِ النّحّاس يحيلها ... في لَمحَةٍ كالفِضَّةِ البيضاء

وقرأتُ عليه من تصانيفه (إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد)[2] عوداً على بدءٍ ، ومنْ هذا المصنَّف يُعرف قَدْرُه ، وكتبتُ عليه :

لقَد وضَعَ الشَّيخُ تَصنيفَهُ ... ولكن على زَهراتِ النُّجومِ
جَلا كُلَّ فَضلٍ بِمرآتِه ... ففيها تُطالِعُ كُلّ العُلومِ

وقرأتُ عليه (اللُّباب في الحساب)[3] ، وكتاب (نخب الذَّخائر في معرفة الجواهر)[4] ، وكتاب (غُنْيَة اللَّبيب عند غيبة الطَّبيب)[5] ، وقد جوَّده . وممّا لم أقرأه

(١) (خ) : « في ظنّه » .

(٢) « ذكر فيه أنواع العلوم وأصنافها ، وهو مأخذ مفتاح السعادة ... وجملة ما فيه ستون علماً » ، كشف الظنون : ٥٧/١ ، والكتاب مطبوع . الأعلام : ٢٩٩/٥ .

(٣) (خ) : « في علم الحساب » ، وانظر : الكشف ١٥٤٢/٢ .

(٤) في الكشف : ١٩٣٥/٢ : « في أحوال الجواهر » ، وهو مطبوع ، كما في الأعلام .

(٥) الكشف : ١٢١١/٢ ، وهو مخطوط كما في الأعلام .

عليه من تصانيفه ، بل أجازه لي كتاب (كشف الرَّين في أمراض العين)[١] ، وتألَّمْتُ لفقده لَمّا بلغتني وفاته ـ رحمه الله تعالى ـ .

وكان له تجمُّل زائد في بيته وفي ملبوسه ومركوبه من الخيول المنسوبة والبزّة الفاخرة ، ثمَّ إنَّه اقتصر على الخيل ، وآلى على نفسه أن لا يطبَّ أحداً إلاّ إن جاءه إلى بيته أو في الطَّريق أو البيمارستان[٢] ، وامتنع من التَّوجُّه إلى بيت أحد .

وكان مُرْصَداً لتركيب التِّرياق في كلِّ سنة بالبيمارستان المنصوري ، وله في كلِّ سنة[٣] مبلغ ستّ مئة درهم ، ولَمّا باشر الأمير جمال الدِّين نائب الكرك نظر البيمارستان أعجبه كثيراً ، وأضعف معلومه ـ لأنَّه كان ستِّين درهماً ـ فجعله مئة وعشرين درهماً ، وكان يعطيه الذَّهب من عنده خارجاً عن الجامكيّة المقرَّرة له ، وكان من أطبّاء البيمارستان ، ومن نصيبه فيه مداواة المرورين ، ولَمّا بلغتني وفاته ـ رحمه الله تعالى ـ؛ قلت أنا فيه :

مِنَ الطّاعونِ قلبي في انْقِلابِ ... فإنَّ لِكُلِّ مَنْ تَلْقاهُ فاني
ولَمّا ماتَ شمسُ الدِّين نادى ... كَفاني فَقْدُ الاكفاني كَفاني

وكنت قد كتبتُ أنا إليه من الرَّحبة :

أَمَوْلايَ شمس الدِّينِ قد كُنْتَ أوّلاً ... تَحُلُّ مَحَلَّ النُّورِ في العَينِ بالأمسِ
فلا بِدعَ أن يَسودَ يومي ولَيلَتي ... وقَد حُجِبَتْ عَيْنايَ عَن طَلَعةِ الشَّمسِ

فكتب هو الجواب إليّ عن ذلك :

طَبيبُكَ في مِصرَ مريضٌ مِنَ الْجَوى ... وقَد قُصَّ مِنهُ بالبعادِ جَناحُه
فَيا مَن لِذي سَقَمٍ تَمَكَّن داؤهُ ... وأفسدَهُ مُذْ غابَ عَنهُ صلاحُه

(١) الكشف : ٢/١٤٩٠ ، وهو مخطوط كما في الأعلام .
(٢) في (ق) ، (ط) ، (خ) : « أو في البيمارستان » .
(٣) في (ط) ، (خ) : « كل تركيبة » .

وكتبتُ أنا إليه أيضاً من الرّحبة :

سَلامٌ فَضّ مِن مِسكٍ خِتاماً ... وفتّقَ زَهْرُهُ مِنهُ كِماما
ووصفُ محبّةٍ وحفاظُ عهدٍ ... وشوقٌ سَلَّ في كَبدي حُساما
وكَم لي في النَّسيمِ إليكَ شَكْوى ... أضمِّنُها اشتياقي والغَراما
وكم فيها تَحيّاتٌ لِطافٌ ... حَكَت أنفاسُها ريحَ الْخُزاما
تَجانَسَ فعلُ أجفاني وقَلبي ... فتلكَ هَمَتْ، وهذا فيك هاما
فنارُ القلب ليسَ لها خمودٌ ... ودَمعُ العين قد فاقَ الغَماما
وأمّا الحالُ لستُ أطيلُ فيها ... شُروحاً مَلَّ سامِعُها الكَلاما
بُليتُ بِعَكْسِ آمالي وظَنّي ... وحظٌّ عِندَه تَنسى الظَّلاما[1]
وعيشٌ ضاقَ فاتَّسَعتْ هُمومي ... وكانَ فِراقُ مولانا تَماما

يقبّل الأرض ، وينهي بعد سلام اتّسم برقّه ، وارتسم برقّه[2] ، وشوقٍ منع طرفَهُ القريحَ لذّةَ الهُجوع ، ووحشةٍ علّمت جفنه كيف تجري[3] الدُّموع ، وأسفٍ خيّم بين المنحنى من الضُّلوع ، ووجدٍ يشبُّ له جمر الفؤاد ، كلّما أضاء له البرق اللّموع ، وورود المثال العالي فقبّل كلَّ حرف منه ألفا ، وصاغ لجيده ورأسه وأذنه عقداً وتاجاً وشنفا ، ياله من أفق فضل كلّما غاب بدرٌ أطْلَعَ شمسا ، وبحر أدبٍ إن أعطى سائله لؤلؤاً رطبا قذف بعده دُرّاً نفيساً ، وغادة فضح الغزالةَ نورها ، وتحية فضح قلائد العقيان منثورها .

غريبةٌ تُؤنِسُ الآداب وَحشَتها ... فَما تَمرُّ على سَمعٍ فَتَرْتَحِلُ

---

(١) في الأصل و (ط) : « بكيت » ، وأثبتنا ما . (ق) ، (خ) .
(٢) رق الأولى من الرقّة ، والثانية ما يكتب عليه .
(٣) (خ) : « تُذْرى » .

١٤٤١ ـ مُحَمَّد بن إبراهيم بن يوسف*

ابن حامد الشَّيخ الإمام تاج الدِّين المراكشي الشّافعي .

كان فقيهاً ، نبيهاً نبيلاً ، نحويّاً فاضلا ، أصوليّاً مناظراً مناضلا ، عنده غرائب ونكت ، وفوائد لو سمعها الرّازي[١] ما وسعه إلاّ أن سكت . جيّد الذِّهن والفهم ، سريعاً إلى إدراك المعاني يكاد يسبق السَّهم ، قويُّ النَّفسِ ، لا يخضع لأحد ، ولا يكون له دون السُّموّ والرِّفعة مُلتحد ، ضيِّق العِطن ، لا يصبر على أذى ، ولا يغضي جفونه من السُّلطان على قذى . أساء الأدب مرّات على قاضي القضاة جلال الدِّين القزويني ، واحتمله ، ونشر له رداء الحلم واشتمله ، ولَمّا زاد عليه رصَّع التّاج بالدَّرّه ، وكَسَر دالها ، فكانت في أيّامه بلا نقطة غُرّه . ثمَّ إنَّه زاد في[٢] تسلُّط لسانه عليه ، فشكاه إلى السُّلطان ، فبقّاه مصحَّفا ، وأُخرج إلى الشّام ، فنشر فيه من فضائله بُرداً مُفَوَّفا .

ولم يزل بدمشق إلى أن ارتدى بالتّرْب ، وأصبح بعيداً عن العيان ، وهو في غاية القُرْب .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ فجأة بعد العصر من يوم الأحد ثالث عشر جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة .

ومولده بالقاهرة بعد السَّبع مئة .

تفقّه بالدِّيار المصريَّة على الشَّيخ علاء الدِّين القونوي ـ رحمه الله تعالى ـ ، ولازم الشَّيخ ركن الدِّين بن القوبع كثيراً ، وأخذ عنه فوائد وإيرادات ومآخذ ، وما يُعَظِّم أحداً مثله . وأعاد في القاهرة بقبَّة الشّافعي ، وتولّى بدمشق تدريس المسروريّة ،

---

* وفيات ابن رافع : ٣٠٣/١ ، والدُّرر : ٣٠٠/٣ ، والشَّذرات : ١٧٢/٦ ، والدّارس : ٣٤٩/١ .

(١) في الأصل : « الراوي » ، وأثبتنا ما في (ط) ، » ق) ، (خ) .

(٢) ليست في (خ) .

وأقام على ذلك مدّة ، ثمَّ إنَّه قبل موته بسنة نزل عنها ، وقال : شرط المدرِّس أن يعرف الخلاف ، وما أعرف أحقَّ بهذا الشَّرط من قاضي القضاة تقيِّ القضاة تقيِّ الدِّين السّبكي ، وانقطع بدار الحديث بالأشرفيّة معتكفاً على طلب العلم ، ولم أرَ أحرص منه على ذلك ليلاً ونهاراً ، يدع[1] طعامه وشرابه لأجل القراءة والاشتغال . وكان ضريراً[2] ، ليس له إلا[3] بعض نظر من عين واحدة ، وكان لا يفتر عن الطَّلب إلاّ إذا لم يجد من يقرأ له ما يريد .

١٤٤٢ ـ مُحَمَّد بن إبراهيم بن عبد الله*

الإمام العالم الثِّقة الصّالح عزّ الدِّين أبو عبد الله ابن الإمام عزّ الدِّين ابن شيخ الإسلام أبي عمر المقدسيّ الصّالحيّ الحنبليّ .

حدَّث بـ (صحيح) مسلم عن ابن عبد الدّائم . ودرَّس بأماكن . وخَطَب بالجامع المظفّري .

وكان [على][4] سمت السَّلف ، مواظباً على الجماعات ، وتشييع الجنائز ، وتلقين الموتى . طلق الوجه ، حسن البشر .

خرَّج له ابن المحبّ (مشيخة) في أربعة أجزاء ، حدَّث بها غير مرَّة .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في شهر رمضانِ سنة ثمان وأربعين وسبع مئة عن خمسٍ وثمانين سنة .

---

(١) في الأصل : « ويدع » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) .
(٢) (خ) : « ضرير النظر » .
(٣) (ق) ، (ط) ، (خ) : « غير » .
* الدُّرر : ٢٨٧/٣ ، والشَّذرات : ١٥٧/٦ .
(٤) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) .

١٤٤٣ ـ مُحَمَّد بن إبراهيم*

الشَّيخ شمس الدِّين الكرديّ ، إمام مشهد عليّ بالجامع الأموي .

حدَّث عن ابن الواسطي وغيره ، وكان يحفظ (التَّنبيه) ، ويفتي . وكان إماماً في صناعة الحساب .

توفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة تسعٍ وخمسين وسبع مئة .

وكان [عسراً](١) في مباشرة الوظائف الَّتي يليها .

١٤٤٤ ـ مُحَمَّد بن أحمد**

ابن عثمان بن سياوش ، الشّيخ الإمام المقرئ الفقيه الصّالح ، بقيّة السَّلف ، شمس الدِّين أبو عبد الله الخلاطي الدِّمشقيّ الشّافعيّ الصُّوفيّ ، إمام الكلاّسة وابن إمامها .

كان ديِّناً خيِّراً وقوراً ، حسن الشَّكل ، طيِّب الصَّوت إلى الغاية ، جيِّد المشاركة في القراءات ، والفقه مليح الكتابة .

خطب بالجامع الأمويّ بدمشق بعد الشَّيخ شرف الدِّين .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ فجأة بعد(٢) سنة من ولايته في بكرة يوم الأربعاء ثامن شوّال سنة ستّ وسبع مئة ، وحضر الأفرم والأعيان جنازته .

عاش اثنتين وستِّين سنة . وولي الخطابة بعده جلال الدِّين القزويني . وكان النّاس يُقَبِّلون يده ، ويتباركون به ، وما تصل أيديهم إليه من الزِّحام .

* الدُّرر : ٢٧٩/٣ ، والدّارس : ٣٠٦/٢ ، وفيها : « مُحَمَّد بن إبراهيم بن داود بن نصر الكردي » .

(١) زيادة من (ق) .

** الوافي : ١١٩/٢ ، وترجم له مرة أخرى : ١٦٩/٢ ، والإعلام للذّهبي : ٢٩٦ ، والدُّرر : ٣٣٥/٣ .

(٢) (ق) ، (ط) : « بعد مدَّة » .

وهو مِمَّن كان كاملاً في الإمامة والخطابة لورعه ودينه وصلفه وتواضعه وفضيلته وطيب نغمته وحسن أدائه[١] ومعرفة الأنغام وفقهه ، وكل ما كان فيه غاية .

١٤٤٥ ـ مُحَمَّد بن أحمد*

الشَّيخ سعد الدِّين الكاساني[٢] ، شيخ خانقاه الطّاحون بدمشق[٣] .

كان فاضلاً في فنِّه على رأي الصُّوفيّة ، بصيراً بأقوالهم . قرأ هو والشَّيخ شمس الدِّين الأيكي على الشَّيخ صدر الدِّين القونوي .

وهو قرأ على الشَّيخ محي الدِّين بن عربي ، وقد شرح قصيدة ابن الفارض التّائيَّة في مجلَّدين .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في سابع عشر ذي الحجّة سنة تسع وتسعين وستّ مئة .

١٤٤٦ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن عبد العزيز**

ابنَ عبد الله بن علي بن عبد الباقي ، العدل الخطيب معين الدِّين أبو المعالي بن الصَّوّاف الإسكندري المالكي الشّروطي .

سمع (أربعين) السِّلَفي من جدِّه . قال شيخنا الذَّهبي : قرأتها عليه ، وهو أخو شيخنا شرف الدِّين يحي . وكان شيخاً صالحاً جليلاً حسن البزّة ، ينوب في خطابة الثَّغر ، ويَعْقد[٤] الوثائق .

---

(١) في الأصل : « آدابه » ، وأثبتنا ما في (ط) .

* الوافي : ١٤٠/٢ ، والعبر : ٣٩٨/٥ ، وفيه : « سعيد الكاساني » .

(٢) نسبة إلى كاسان ، مدينة كبيرة في أوّل بلاد تركستان وراء نهر سيحون . (معجم البلدان) .

(٣) الدّارس : ١٢٩/٢ .

** الوافي : ١٤١/٢ .

(٤) في الأصل : « ويعتقد » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، والوافي .

توفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة ستّ وتسعين وستّ مئة .

ومولده في سنة اثنتين وعشرين وستّ مئة .

١٤٤٧ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن نوح*

ابن أحمد بن زيد بن مُحَمَّد بن عصفور ، الأديب الفاضل أبو عبد الله الإشبيلي ابن أخت الإمام ابن عصفور [صاحب](١) (المقرّب) .

كان شيخاً مطبوعاً حلو المجالسة ، دمث الأخلاق ، متفنِّناً في الآداب واللُّغة ، وله نصيبٌ من علوم القرآن والأثر والبلاغة والحساب ، وله اليد الطُّولى في الشِّعر .

وكانت فيه ديانة وعفاف ، أخذ عن علماء المغرب(٢) ، قال شيخنا الذَّهبي : جالسته مرّات .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة تسع وتسعين وستّ مئة .

ومولده ، بإشبيليّة سنة إحدى وثلاثين وستّ مئة .

١٤٤٨ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن صلاح**

شمس الدِّين السّرواني(٣) الصُّوفي ، شيخ الخانقاه الشِّهابيّة بدمشق(٤) .

كان عارفاً بالنُّجوم والأرصاد والأحكام ، ويُقْرئ الفلسفة ، وله مشاركات جيِّدة في المعقولات .

توفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة تسع وتسعين وستّ مئة .

---

* الوافي : ١٤٢/٢ .

(١) زيادة من (ق) ، والوافي .

(٢) في الأصل و (ق) و (ط) : « العرب » ، وأثبتنا ما في الوافي .

** الوافي : ١٤٢/٢ .

(٣) في (ط) والوافي : « الشّرواني » .

(٤) داخل باب الفرج ، بناها علاء الدِّين الشّهابي أيدكين بن عبد الله سنة (٦٧٧ هـ) . الدّارس : ١٢٦/٢ .

١٤٤٩ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن محمد*

ابن أبي بكر بن مُحَمَّـد ، الشَّيخ المقرئ العـابـد المسنـد أبو عبـد الله الحرّاني القـزّاز أبوه ، الحنبلي ابن أخت المحدِّث سراج الدِّين بن شحانة[(١)] .

سمع (صحيح) البخـاري من ابن روزبـة أو بعضـه ، وسمع من إبراهيم بن الخيِّر ، والمؤتمن بن قميرة ، وأبي الوقت الرّكبدار ، ومُحَمَّد بن أبي البـدر بن المنّي[(٢)] ، وعلي بن بكروس[(٣)] ، ومُحَمَّد بن إسماعيل بن الطَّبّال ، وتفرَّد بأشياء .

وسمـع بمصر من ابن الجمّيزي ، وسمـع (الصَّحيـح) من صـالـح المـدلجي[(٤)] صـاحب المأموني[(٥)] . وسمع من الضِّياء بن النَّعّال ، والشَّرف المرسي ، وابن بَنين[(٦)] ، ومُحَمَّد بن إبراهيم[(٧)] المخزومي ، وبحلب من ابن خليل .

وكان زاهداً تالياً لكتاب الله تعالى ، صاحب نوادر ودعابة .

قال شيخنا الذَّهبي : حدَّثني أنَّه تلا بمكَّة أزيد من ألف ختمة ، وأنَّـه اتَّكأ في ميزاب الرَّحمة ، فتلا فيه ختمة ، فلعله قرأ سورة الإخلاص ثلاثاً . حدَّث بدمشق والحجاز .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة خمسٍ وسبع مئة .

ومولده سنة ثماني عشرة بحرّان ـ فيما زعم ـ .

---

* الوافي : ١٤٣/٢ ، والدُّرر : ٣٥٤/٣ .

(١) عبد الرحمن بن عمر بن بركات (ت ٦٤٣) ، السير : ٢١٤/٢٣ .

(٢) مُحَمَّد بن مقبل بن فتيان (ت ٦٤٩ هـ) ، السير : ٢٥٢/٢٣ .

(٣) علي بن إبراهيم بن علي التميمي الدينوري (ت ٦٤٥ هـ) ، الشذرات : ٢٣٢/٥ .

(٤) صالح بن شجاع بن مُحَمَّد المدلجي (ت ٦٥١ هـ) ، السير : ٢٩٠/٢٣ .

(٥) سعيد بن الحسين بن سعيد العباسي (ت ٥٧٦) ، العبر : ٢٢٩/٤ .

(٦) عبد الغني بن سليمان بن بنين المصري . (ت ٦٦١ هـ) . العبر : ٢٦٥/٥ .

(٧) (ق) ، (ط) ، والوافي : « مُحَمَّد بن عبد الله بن إبراهيم » .

١٤٥٠ ـ مُحَمَّد بن أحمد*

ابن قاضي الجماعة ، أبو الوليد بن أبي عمر [مُحَمَّد][١] بن عبد الله بن القاضي أبي جعفر بن الحاجّ التَّجيبي الأندلسي القرطبيّ الإشبيليّ المالكي نزيل دمشق ، إمام محراب المالكيّة بالجامع الأموي .

كان وقورا ، ونصيبه من الدّيانة قد جعله موفورا ، لم يزل عن النّاس في انقباض ، وبمعارفه في رياض ، مُنَوَّر الشَّيبه ، موفّر الهيبه . كتب بخطّه المليح الصَّحيح المغربيّ عدَّة كتب ، وأتى بها وهي أضوأ من الشُّهب . وذُكِرَ لنيابة القَضاء فما وافق ، بل واقف في الإباء وحاقق .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح أبو الوليد ، وهو تحت الصَّعيد .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في يوم الجمعة وقت الآذان ثامن عشر رجب سنة ثماني عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان وثلاثين وستّ مئة .

ومات أبوه وجدّه كلاهما في عام إحدى وأربعين وستّ مئة ، وورث مالاً جزيلاً ، فتحقّق بمصادرة السُّلطان ابن الأحمر له ، أخذ منه[٢] في وقت عشرين ألف دينار[٣] ، وعُدمت له كتبٌ جليلة .

ونشأ يتيماً في حجر أمِّه ، وتحوَّلوا إلى شُرَيْش ثمَّ إلى غرناطة . ثمَّ إنَّه شبَّ ، وقدم تونس ، وسكنها خمس سنين . ثمَّ إنَّه رحل بولديه إمامَيّ المالكيّة إلى دمشق ، وسكنوها ، وسمعوا من الفخر بن البخاري ، وكانت له جنازة حافلة مشهودة .

---

* الوافي : ١٤٤/٢ ، والبداية والنهاية : ٩١/١٤ ، والدُّرر : ٣٥٠/٣ ، وذيول العبر : ٩٧ .

(١) زيادة من (ق) والوافي والبداية .

(٢) (ط) والوافي : « له » .

(٣) عبارة ابن كثير : « وصادر ابن الأحمر جدَّه القاضي بعشرين ألف دينار » .

قال شيخنا الذَّهبي : سمعتُ عليه [حديثاً][1] واحداً ، وملكت أنا بخطِّه الظَّريف (الأذكار) للشَّيخ محيي الدِّين ، و (رياض الصّالحين) له ، وكتاب (المفصَّل) للزَّمخشري . ورأيت بخطِّه (شرح مسلم) و (شرح الموطّأ) في عدّة مجلَّدات ، وكتاب (جامع الأصول) في عشرة وغير ذلك ، وكتب بخطِّه نحو المئة مجلّد .

وكان منجمعاً عن النّاس ، وله عدّة كاملة من السِّلاح والخيل ، يعدّها للغزاة من ماله .

وكان له ورد من اللَّيل ، ورؤيت له المنامات الصّالحة .

١٤٥١ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن أبي نصر*

القدوة الزّاهد شمس الدِّين بن الدّباهي[2] البغدادي الحنبليّ .

كان من أكابر التُّجّار كأبيه ، ثمَّ إنَّه تزهّد ، وقوّى نفسه على الوجود ، فتفهَّد ، ولبس العباءه ، ورفض الملاءه ، واللَّذة برفيع المُلاءه . وجاور بمكَّة مدّه ، وتصوَّف ، ولقِيَ من المشايخ عدّه ، وكان ذا صدقٍ وإنابه ، وخضوع وكآبه ، وله مواعظ نفع بها ، وجرَّ الخير بسببها .

وكان بالحقِّ قوّالا ، وعلى أُولي اللَّعب صوّالا ، وصفاته حميده ، وحركاته سديده .

ولم يزل على حاله إلى أن حلَّت أمّ الدَّواهي بابن الدّباهي .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

وكان قد قَدِمَ دمشق وصحب الشَّيخ تقيَّ الدِّين بن تيميَّة .

---

(١) زيادة من (ط) والوافي .

* الوافي : ١٤٣/٢ ، والدُّرر : ٣٧٥/٣ ، والشَّذرات : ٢٧/٦ ، وذيول العبر : ٦٠ .

(٢) نسبة إلى (دباها) قرية من نواحي بغداد . (معجم البلدان) .

١٤٥٢ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن إبراهيم*

القاضي عزّ الدِّين الأُمْيوطي .

تفقَّه على ضياء الدِّين عبد[1] الرَّحيم ، والنَّصير بن الطَّبّاخ . وأخذ أيضاً مذهب مالك عن ابن الأبياري قاضي الثَّغر ، وبحث عليه (مختصر ابن الحاجب) ، وقرأ بالسَّبع على النّور الكُفتي ، والمكين الأسمر ، وجماعة .

وتصدَّر للإقراء ، وتخرَّج به جماعة من الفقهاء ، وكان فيه ورع .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في ليلة الخميس سادس شعبان سنة خمس وعشرين وسبع مئة ، وقد أكمل خمسة وسبعين عاماً .

وكان حاكماً بالكرك ثلاثين سنة ، وكان يروي كتاب (التَّنبيه) بالسَّند عن القَسطَلاني[2] عن شيخ ابن سكينة ، عن ابن عبد السّلام ، عن المؤلِّف . ويروي (مختصر ابن الحاجب في أصول الفقه) عن شيخ له عن المصنّف ، كذا نقلتُه من خطِّ شيخنا علم الدِّين البرزالي . وقال : اجتمعتُ به في سنة ثلاث وسبع مئة بالكرك ، وأراني (التَّنبيه) و (المختصر) وعليهما طبقة السَّماع .

١٤٥٣ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن محمود**

ابن أسد بن سلامة بن سلمان بن فتيان الشَّيباني القاضي الصَّدر الرَّئيس بدر الدِّين بن العطّار ، تقدَّم ذكر والده القاضي كمال الدِّين في الأحمدين مكانه .

حضر على الشَّيخ تقيّ الدِّين بن أبي اليُسر في السَّنة الثَّالثة ، وروى عنه . وسمع

---

* الوافي : ١٤٤/٢ ، والدُّرر : ٣٠٨/٣ ، وذيول العبر : ١٤١ .

(١) في الوافي والدُّرر : « ابن عبد الرَّحيم » .

(٢) علي بن أحمد بن علي (ت ٦٦٥) ، الشذرات : ٣٢٠/٦ .

** الوافي : ١٤٤/٢ ، والدُّرر : ٣٦٧/٣ .

من ابن الصَّيرفي ، والقاضي ابن عطاء ، وابن علاّن ، وابن الصّابوني ، والمقداد ، والشَّيخ شمس الدِّين بن أبي عمر ، وابن البخاري ، وغيرهم .

قال شيخنا : علم الدِّين البرزالي ، ورافقني في سماع (مسند أحمد) و (صحيح البخاري وغير ذلك ، كتب المنسوب ، وأتى به آنقَ من تخاريج العذار في خدّ المحبوب ، ونظم القريض ، وباهى به زهر الرّوض الأريض ، وباشر نظر الجيش في أيّام الأفرم ، فحظي عنده ، وصار عَضُدَه في ذلك الوقت وزنْدَه ، وسمر عنده ونادمه ، وصدَّ عنه الأذى وصادمه ، واختصَّ به كثيرا ، وأحلَّه من العزِّ محلاًّ أثيرا ، وما أحمد عُقبى ذلك لَمّا عاد النّاصر من الكرك ، ووقع من الرَّدى في حبائل موبقةِ الشّرك ، فغودر ، وقد صودر ، ثمَّ انتاشه الله من تلك الورطة ، وأجاب الخلاصُ شَرْطَه .

ولم يزل بعد ذلك علىَ حاله إلى أن لحق أباه ، وسلب الموتُ قلبه ، وسباه .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في ليلة السَّبت رابع عُشْرَي ذي القعدة سنة خمس وعشرين وسبع مئة ، ودُفِنَ بتربة والده بسفح قاسيون .

ومولده في ليلة الجمعة سادس جمادى الأولى سنة سبعين وستّ مئة .

وكان في أيّام الأفرم زائد الحظوة لديه ، نادَمه ، وعاشره ، وطلع يوماً إلى بستانه ، فوجد الفعول يعملون في طين السّطوح ، فأخذ الأفرم الحبل بيده ، ومتح[(١)] به أسطال طين ، ولَمّا جاء الأمير سيف الدِّين تنكز في الرّسليّة إلى الأفرم من عند أستاذه النّاصر إلى الكرك قام إليه ، وفتَّش حتّى تكّة لباسه ، لئلاّ يكون فيها كتب إلى الأمراء بدمشق . ولَمّا توجَّه مع النّاس صحبه السّلطان إلى أن عوّقه في مصر ، وصادره ، وأخذ منه مالاً ، وعاد بعد النّاس بمدّة إلى دمشق ، وكان قد ولِيَ نظر الأشراف وكتابة الإنشاء بدمشق وغير ذلك . وكان حسن المباشرة ، شديد التَّصرُّف ، وشكَرَهُ النّاس عند مَوْته[(٢)] ، وتألَّموا له ، وتأسَّفوا عليه .

---

(١) في الأصل و (ق) و (ط) : « مدح » ، ولا تستقيم ، والمتح : انتزاع الماء وغيره بالحبل .

(٢) في الأصل : « عند التصرف صوته » ، سهو .

١٤٥٤ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن شبل*

الفقيه الإمام المفتي شمس الدّين أبو عبد الله الحريريّ المعروف بالبغدادي المالكيّ .

أَسَرَه التّتار ، وعمره اثنتا عشرة سنة ، ونشأ ببغداد وغيرها ، وتفقّه لمالك ـ رضي الله عنه ـ ، وكان كثير الاشتغال والمطالعة ، وأقام بدمشق مدّة(١) ، وعُرِض عليه نيابة الحكم ، فامتنع ، وقال : الشّهادة أسلم ، وكان رجلاً مباركاً .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ ثاني عُشْرَي شعبان سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة سبع وأربعين وستّ مئة .

١٤٥٥ ـ مُحَمَّد بن أحمد**

الشّيخ الصّدر الرّئيس الفاضل المسند تاج الدّين أبو المكارم ابن الشّيخ الجليل المسند الزّاهد بقيّة المشايخ كمال الدّين بن زين الدّين مُحَمَّد بن عبد القاهر بن هبة الله بن النّصيبيّ الحلبيّ .

حضر(٢) على ابن قُمَيرة ، وسمع من يوسف بن خليل جملة من الأجزاء والكتب ، وسمع من أبي طالب عبد الرّحمن بن العجمي وجماعة .

ووَلِيَ وكالة بيت المال بحلب مع تدريس العصرونيّة . ووَلِيَ نظر الأوقاف وكتابة الدّرج .

وجَرَتْ له نكبة(٣) في أيّام طرنطاي في الأيّام المنصوريّة ، وقُيِّد ، وسُجِنَ بالقاهرة مدّة . وكان من رؤساء حلب المعروفين .

---

* الدُّرر : ٣١٩/٣ .

(١) في (ق) زيادة : « واشتهر بالإفتاء ، وجلس تحت الساعات مع الشهود » .

** الدُّرر : ٣٥٥/٣ ، وذيول العبر : ٨٥ .

(٢) (ق) والدُّرر : « أُحضِرَ » .

(٣) في الأصل : « نكته » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

وتوفِّي في ذي القعدة سنة خمس عشرة وسبع مئة .

ومولده في شهر رمضان سنة إحدى وأربعين وستّ مئة .

١٤٥٦ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن عيسى*

ابن رضوان القليوبيّ[1] المُحْتِد ، القاضي الفاضل الأديب فتح الدِّين .

اشتغل بالفقه على مذهب الشَّافعيّ على أبيه وعلى[2] غيره ، وتأدَّب . له الشِّعر الجيِّد ، والنَّظم الَّذي به السَّمع متقيِّد ، يُلْهِي النَّدامى عن الأوتار ، ويُغْنيهم عن معاطاة كؤوس العقار .

وكانت فِطْرَتُه ذكيَّه ، ونفسه فيها بقايا[3] من لوذعيّه ، واسع الكرم والجود ، لا يُبْقي على موجود ، كثير التَّبذير ، غَزيرَ التَّنديب والتَّنْدير ، واسع الخيال ، زائدَ التَّوهُّم والاحتيال ، إلاّ أنَّه تعب بخياله ، وحصل له أنكادٌ مَنَعَتْهُ من طيف خياله .

ولم يزل بذلك في نكد ، وما يهبّ نسيم سُعوده ، حتّى يراه وقد ركد .

ولم يزل على حاله إلى أن انقلب القليوبي في حفرته ، وأورث[4] أصحابه دوامَ حسرته .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في ليلة ثالث عشر جمادى الأولى سنة خمسٍ وعشرين وسبع مئة .

ومولده في العشر الأوسط من شهر رمضان سنة اثنتين وستِّين وستّ مئة .

---

* الوافي : ١٤٥/٢ ، والدُّرر : ٣٤٦/٣ .

(١) في الوافي : « العسقلاني » .

(٢) ليست في (ق) .

(٣) (ق) : « بقيّة » .

(٤) في الأصل : « ووارث » ، وأثبتنا ما في (ق) .

حضر هذا فتح الدِّين إلى صفد قاضيَ القضاة ، بعدما عُزل عنها القاضي شرف الدِّين مُحَمَّد النَّهاوندي ، وأقام بها قليلاً ، وعاد إلى الدِّيار المصريَّة . وكان كثير التَّخيُّل والتَّوهُّم ، فتوَهَّم شيئاً في قاضي القضاة بدر الدِّين بن جماعة ، فحصلت الوحشة بينهما ، فأعرض عنه بعد الإقبال عليه ، وجَفاهُ ، وأبعده ، وألجأته الضَّرورة والحاجة إلى قيام الصُّورة ، حتّى ناب القاضي عزّ الدِّين عبد العزيز بن أحمد الأشمومي بمدينة المحلَّة . ثمَّ إنَّه حصلت بينهما نفرةٌ من خياله ، فعاد إلى القاهرة ، وأقام بها مدَّة لطيفة ، وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في التّاريخ المذكور .

وله نوادر طريفة ، منها : قال كمال الدِّين الأُدْفُوّي ـ رحمه الله تعالى ـ : حكى لي فتح الدِّين قال : كنت أجلس دائماً فوق الصَّدر سليمان المالكي[(١)] ، فجاء مَرَّةً لمجلس قاضي القضاة ابن مخلوف المالكي[(٢)] ، فجلس فوقي ، فقلتُ لقاضي القضاة : قال ابن شاس[(٣)] : إنَّ مالكاً ـ رضي الله عنه ـ كره طول اللِّحية جدّاً ، ـ قوله « جدّاً » وصفٌ للكراهة أوللِّحية ـ وكان الصدر طويل اللحية ، فقام من المجلس . وقلت له مرة : مِنْ أي بلدٍ أنت ؟ فقال : من شَبرا مريق ، فقلتُ له : بَلْدَةٌ مليحة هي ! فقال : ما فيها أكثر من الشَّعير ، فقلتُ له : لأجل ذلك[(٤)] أخذت في وجهك مخلاة .

وطلبوه مرَّة ليُرْسِلوه إلى العراق ، فجلس معي ، يشكو إليَّ ، فقلتُ : يا صدر الدِّين ! ما أوقعك في هذه الحرية إلاّ هذه الذَّقن[(٥)] ، فتوجَّه الصَّدر رسولاً ، ثمَّ حضر ، فقال له فتح الدِّين : أيّ شيء غنمتَ في هذه السَّفرة ؟ قال[(٦)] : كبرت لحيتي ، قال : هذه الغنيمة الباردة .

---

(١) سليمان بن إبراهيم بن سليمان ، سلفت ترجمته .

(٢) مُحَمَّد بن علي بن مخلوف ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) عبد الله بن مُحَمَّد بن نجم بن شأس الجذامي السعدي شيخ المالكية في عصره (ت ٦١٦ هـ) ، الشذرات : ٥/٦٩ .

(٤) (ق) : « هذا » .

(٥) في الأصل : « الدمن » ، وأثبتنا ما في (ق) .

(٦) (ق) : « فقال له » .

وجمع فتح الدِّين من هـذه الأشيـاء كَرّاسـة ، وسمّـاهـا (نُتَف الفَضيلـة في اللِّحيـة الطَّويلة) .

قلتُ : لوقال : « نُتَف الفضيلة في نَتْف اللِّحية الطَّويلـة » ؛ لكان ذلـك حَسَنـاً ، وقد ذكرت هنا مااتَّفق للشَّيخ تـاج الـدِّين الكنـدي[(١)] والحـافـظ ابن دِحْيَـة[(٢)] ، وكان الشَّيخ تاج الدِّين جالساً إلى جـانب الوزيرـ أظنّـه ابن شكر[(٣)] ـ، فجـاء ابنَ دِحْيَـة ، فجلس من الجانب الآخر ، فـأورد ابن دِحْيَـة حـديث الشّفـاعـة ، فلَمّـا وصل إلى قول إبراهيم عليـه السّـلام : « إنَّما كنت خليـلاً من وراءَ وراءَ »[(٤)] ، وفتـح ابن دِحْيَـة الهمزتين ؛ فقال الكندي : وراءُ وراءُ بضمِّ الهمزتين ، فعزَّ ذلـك على ابن دِحيـة ، وقـال للوزير : مَنْ ذا الشَّيخ ؟! فقال : هذا الشَّيخ تاج الدِّين الكنـدي ، فتسمَّح ابن دِحيـة في حقِّـه بكلمـات ، فلم يسمـع من الكنـدي إلاّ قـولـه : هـو من كلب قبيـح . وصنَّف ابن دِحية في ذلك مصنَّفاً ، وسمّـاه (الصّـارم الهنـدي في الرَّدِّ على الكنـدي)[(٥)] ، وبلغ ذلك تاج الدِّين الكندي ، فعمل مصنَّفاً ، وسمّاه (نَتْف اللِّحية من ابن دِحية)[(٦)] .

قلتُ : قال الشَّيخ شهاب الدِّين أبو شامة[(٧)] : رأيت في (أمـالي) أحمـد بن يحي ثعلب جوازَ الأمرين . انتهى .

قلتُ : قال الأخفش : يُقال : لقيتُه من وراءُ ، فترفعـه على الغـايـة ، إذا كان غير مضاف تجعله اسماً وهو غير متمكن . كقولك : من قبلُ ومن بعدُ ، وأنشد :

---

(١) زيد بن الحسن بن زيد (ت ٦١٣ هـ) ، السير : ٣٤/٢٢ .

(٢) عمر بن حسن بن علي الكلبي (ت ٦٣٣ هـ) ، السير : ٣٨٩/٢٢ .

(٣) عبد الله بن الحسين (ت ٦٢٢ هـ) ، الشّذرات : ١٠٠/٥ .

(٤) انظر : النهاية في غريب الحديث : ٣٣٠/٤ .

(٥) الكشف : ١٠٧٠/٢ .

(٦) الكشف : ١٩٢٥/٢ .

(٧) عبد الرَّحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي (ت ٦٦٥ هـ) ، العبر : ٢٨٠/٥ .

إذا أنـــا لم أؤمَن عليـــكَ ولم يكُن لقـــــــاؤكَ إلاّ مِن وراءُ وراءُ[١]

هكذا أثْبَته بالرَّفع .

رجع مـا انقطع من بقيَّة ترجمة القـاضي فتح الـدِّين القليـوبيّ : وقـال لـه يـومـاً فخر الدِّين الأحدب المعروف بابن القابلة : كان والدي يدعو الله تعالى أن يرزقه ولـداً نجيباً ، فقال فتح الدِّين : لا جرم أنَّك جئتَ بُختيّاً[٢] ، قـال فتح[٣] الـدِّين : كان بيني وبين الجلال الهوريني صحبة ورفقة ، فولي قضاء منيَة بني خصيب ، فأهـدى إليَّ بسراً ، فوجدت نواه كثيراً ، فكتبتُ إليه :

أرسَلتَ لي بُسْراً حقيقتُـــــهُ نَـــوىً عـــارٍ فليسَ لِجسْمِـــه جلبـــاب
ولئن تَبـاعَـدتِ الْجُســومُ فـودّنـا بـاقٍ ، ونحنُ على النَّـوى أحبـاب[٤]

قلتُ : سبقه إلى هذا التَّضمين سراج الدِّين الورّاق ـ رحمه الله تعـالى ـ ، ونقلتـه من خطِّه ، قال : أهدى إليَّ الرَّشيدُ الماورديُّ قدورَ تمرٍ كُرْبُس ، فكتبتُ إليه من أبيات :

يـا مَنْ غَـدا لي واضِعـاً بقـدوره قَـدْراً لَــهُ فـوقَ السَّماءِ قِبـابُ
جـاءت بـأنواعِ النّـوى ، فمجلبَبٌ أدْمـاً ، وعـارٍ مـالَـهُ جلبـابُ
وعلى النَّقيرِ لتمرِهــــــا أثرٌ عَفى فهـدَى إليـهِ الحـائرينَ ذُبـابُ
أرجيـع مـا لاكَ الحجـاز بعثتـه والرِّزق سـدّ فمـا لـديـه بـابُ[٥]
أم خلت زجّـاجـاً أخـاكَ ومصرُ مِنْ شـؤمِ النَّـوى قَفْرُ الرِّحـاب يبـابُ
وإذا تَبـاعَـدَتِ الْجُسـومُ فـودّنـا بـاقٍ ، ونحنُ على النَّـوى أحبـابُ

(١) من أبيات لُعتّي بن مالك العقيلي ، أنشدهـا صـاحب اللسـان (وري) ، ونقل كلام الأخفش المذكور عن الجوهري .
(٢) البخت : ضربٌ من الإبل الخراسانيّة .
(٣) في الأصل و (ط) : « جلال » ، وأثبتنا ما في (ق) .
(٤) في الوافي : « وإذا تباعدت » .
(٥) عجز البيت فيه خلل في وزنه .

وأنشدني شيخنا العلاّمة أبو حيّان ، قال : أنشدني فتح الدِّين المذكور لنفسه :

تظـــافرَ المـــوتُ والغـــلاءُ هـــذا لعَمْري هـــو البـــلاءُ
والنّـــاسُ في غَفْلَـــةٍ وجَهْـــلٍ لـــوفَطِنَ النّـــاسُ مـــا أســـاؤوا

وأنشدني أيضاً ، قال : أنشدني لنفسه :

إنّي لأؤثر أن أرا كَ ، ولستُ أوثِرُ أن تَراني[1]
علمـــاً بـــأنّي في السّما ع أجـــلّ منّي في العيـــانِ

قلتُ : من قول الأوّل :

أنـــا المعيـــدي ، فـــاسـ ـمَـــــعْ بي ، ولا تَراني

والأصلُ في هذا المثل المشهور : « تسمع بالمعيديّ خيرٌ من أن تراه »[2] .

وأنشدني الشَّيخ أثير الدِّين ، قال : أنشدني لنفسه :

علّقتـــه مُحـــدِّثـــاً شرَّدَ مِن عَيني الـــوَسَنْ
حـــديثُـــه ووجهُـــه كِـــلاهمـــا عِنـــدي حَسَن

قلتُ : ذكرتُ هنا ما قلته أنا في محدّث :

محـــــدِّثٌ ذو قَـــوَامٍ قَـــوامُـــهُ في العَـــوالي
وطَرْفُـــــه ليسَ يُغرَى إلاّ بجرحِ الرِّجــــالِ

وقلتُ فيه أيضاً :

قـــالَ حبيبي لا تحـــدِّث بـــأو صـــافي مَن لا عِنـــدَه معرِفَـــهْ
فـــإنَّـــهُ ليِّنَ قـــدّي وإنْ حـــدَّثتـــهُ عَن نـــاظري ضعَّفَـــهْ

---

(١) (ق) : « ولست تؤثر » .

(٢) انظر : مجمع الأمثال : ١٢٩/١ .

وأنشدني الشَّيخ أثير الدِّين ، قال : أنشدني في فتح الدِّين لنفسه :

يـا أيُّهـا المولى الوزيرُ الَّـذي إفضـالُـهُ أوجبَ تَفضيلَـهُ
أحسَنتَ إجمـالاً ولم تَرضَ بـالـ إجمـال إذ أرسلتَ تفصيلـه

[**قلتُ** : وذكرتُ أنا هنا قولي :

وقَفَ القَضيبُ لِقـدِّهِ لَمّـا مَشى وجَرَت دُمـوعُ العينِ في تَحصيلـه
رَشـأٌ كَسـاهُ الحسنُ منـهُ حُلّـةً جـاءَت بِجُمْلَتِهـا على تَفصيلـه][1]

قلتُ : ولفتح الدِّين المذكور موشَّحة مليحة أوّلها :

قـد حـدَّثت ألسن التَّجـارِبْ بكُـلِّ مـا فيـه معتَبَرْ
وأنتَ يـا حـاضِراً كغـائِبْ فَلَستَ تصغي إلى الْخَبَرْ
تعـايشَ النّـاسُ منـذُ كانـوا بـالمكْرِ والحِقْـد والْحَسَـدْ[2]
وخَلَّفـوا ذِكرَهُم وبـانـوا لم يُصْلِحـوا منـهُ مـا فَسَـدْ
إلاّ القليـلُ الَّـذينَ دانـوا بـالحـقِّ في الْمَسْلَـكِ الأسَـدْ
والكلُّ للتّربِ في سَبـاسِب قَـد أُودِعـوا ضيـقَ الْحُفَرْ[3]
قـد عـومِلـوا بـالَّـذي يُنـاسِب من كلِّ خيرٍ وكلِّ شَرْ

وقـد ذكرتها كاملـة في الجـزء السّـابع والثّـلاثين من (التّـذكرة) الَّتي لي ، وهي موشَّحة[4] جيِّدة صنعة .

---

(١) زيادة من (ق) ، (ط) .
(٢) في الأصل و (ط) : « والحقد » ، وأثبتنا ما في (ق) .
(٣) (ق) : « أضيق » .
(٤) في (ق) ، (ط) : « موشحة مليحة جيدة » .

١٤٥٧ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن عبد الرَّحمن*

ابن علي ، الشَّيخ الصَّالح المقرئ أبو عبد الله البجّدي ـ بالباء الموحَّدة والجيم المشدَّدة والدّال المهملة ـ الصّالحي الحنبليّ .

سمع من المرسي ، وخطيب مَرْدا ، وإبراهيم بن خليل . وأجاز له[١] الكثير ، منهم عبد اللَّطيف بن القبّيطي ، وعلي بن أبي الفَخار ، وكريمة القُرشيّة . وطال عمره ، وروى الكثير ، وسمّعوا منه قديماً في صباه ابن عبد الدّائم (ثلاثيّات) البخاري عن ابن الزُّبيدي ، ثمَّ إنَّهم تردَّدوا فيه[٢] .

قال شيخنا الذَّهبي ـ رحمه الله ـ : سألته سنة ثلاث وسبع مئة بكَفَرْ بَطْنا[٣] عن جليّة الأمر ، فذكر ما يقتضي أنَّ مولده سنة ستّ وثلاثين وستّ مئة ، وأنَّه من أقران عبد الله بن الشَّيخ[٤] . وقال : كان لي أخٌ اسمه اسمي ، ذاك من أقران القاضي تقيّ الدِّين سُليمان ، ذاك [مات][٥] صبيّاً .

وكان البجّدي ذا نصيب من صلاة وتألّه وتواضع وقناعة .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ ...[٦] سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

وبجّد : قرية قريبة من الزَّبداني .

---

* الوافي : ١٤٦/٢ ، والدُّرر : ٣٢٤/٣ ، والشّذرات : ٥٧/٦ ، وفيه : « النجدي » . وذيول العبر : ١٢٤ .

(١) في الأصل : « لي » سهو ، وأثبتنا ما في (ط) والوافي .

(٢) في ذيول العبر أن صاحب الترجمة قال : « لم ألحق ابن الزبيدي » .

(٣) كفر بطنا : من ضواحي دمشق الشرقية .

(٤) هو عبد الله بن الشيخ شمس الدِّين عبد الرحمن بن أبي بكر عمر المقدسي (ت ٧٠٨) ، الدُّرر : ٢٦٩/٢ .

(٥) زيادة من (ق) والوافي .

(٦) كذا بياض في الأصل و (ق) ، وفي الدُّرر وذيول العبر أنه توفي في صفر .

١٤٥٨ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن عبد الخالق**

ابن علي بن سالم بن مكّي شيخ القُرّاء ومسندهم تقيّ الدِّين أبو عبد الله المصري الشّافعي ، المشهور بالصّائغ .

تلا بعدّة كُتب على الكمال [الضرير والكمال] [(١)] بن فارس ، والتقي الناشري[(٢)] ، وسمع من الرَّشيد العطّار وجماعة . وأعاد بالطَّيبرسيّة وغيرها .

وكان شاهداً عاقداً خيِّراً صالحاً متواضعاً صاحب فنون ، صحب [(٣)] الرَّضي الشّاطبيّ مدَّة ، وتضلَّع من اللُّغة ، وسمع (مسلم) عن [(٤)] ابن البرهان . وكان يدري القراءات وعللها ، وتفاصيل إعرابها وجملها ، يبحث ، ويناظر فيها ، ويعرف غوامض تواجيهها وخوافيها .

صنَّف خُطَباً لِلْجُمَعِ ، وأظهر فيه أنَّه تعب وجَمَعَ ، وقرأ عليه الأئمَّة ، وفضلاء الأمّة ، وقُصِدَ من أطراف الأرض ، وقام بنفل[(٥)] الإتقان والفَرْض .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح الصّائغ في الأحياء ضائعا ، وأمسى نشر الثناء عليه ضائعا[(٦)] .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في ليلة الأحد ثامن عشر صفر سنة خمسٍ وعشرين وسبع مئة .

** الوافي : ١٤٦/٢ ، والدُّرر : ٣٢٠/٣ ، وغاية النهاية : ٦٥/٢ ، وذيول العبر : ١٣٩ ، والنجوم الزاهرة : ٢٦٦/٩ .

(١) زيادة من (ق) . وفي ذيول العبر : « تلا بالسبع على الكمالين الضرير وابن فارس » .

(٢) في الأصل و (ط) و (ق) : « الياسري » ، وأثبتنا ما في الوافي ، وهو : عبد الرحمن بن مرهف بن يحيى بن ناشرة ، تقي الدِّين ، (ت ٦٦١ هـ) ، غاية النهاية : ٣٧٩/١ .

(٣) في الأصل : « سمع » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، والوافي .

(٤) (ق) ، (ط) ، والوافي : « من » .

(٥) (ط) : « بنقل » .

(٦) ضاع المسك : تحرك فانتشرت رائحته .

ومولده سنة ستّ وثلاثين وستّ مئة بمصر .

وتلا عليه أئمة مثل إبراهيم الحِكْري[١] ، وإسماعيل العجمي[٢] ، وابن غدير[٣] ، وبرهان الدِّين الرَّشيدي[٤] ، وجمال الدِّين بن عوسجة ، وتاج الدِّين بن مكتوم ، وعليّ الحلبيّ الضَّرير ، وعوض السَّعدي ، ومُحَمَّد بن الزّمردي ، وأبي العبّاس العكبريّ النَّحويّ ، والقاضي بهاء الدِّين بن عقيل[٥] ، والشَّمس العَزب ، وخلقٌ سواهم .

وكتب الختمة في سبعة وعشرين يوماً ، وصنَّف خطباً جُمَعيّة ، وابتدأ كلَّ خطبة بعلاّمةٍ قاضٍ .

وتقدَّم للصَّلاة عليه قاضي القضاة بدر الدِّين بن جماعة بعد الظُّهر بجامع مصر ، وحضره خلقٌ كثير ، وحُمِلَ على الأيدي ، ودُفِنَ بالقرافة ، وكان آخرَ مَنْ بقِيَ مِنْ مشايخ الإقراء .

١٤٥٩ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن أبي الهيجاء*

الشَّيخ المسند الرّحلة الصّدوق شمس الدِّين أبو عبد الله الصّالحي بن الزّراد الحريري .

سمع بعد الخمسين من البَلْخي ، ومُحَمَّد بن عبد الهادي وأخيه ، والعماد[٦] بن النَّحّاس ، والبيلداني ، والصّدر البكري ، وخطيب مَرْدا ، وابن خليل[٧] ، والفقيه اليونيني ، وعدَّة .

---

(١) إبراهيم بن عبد الله ، أبو إسحاق الحكري (ت ٧٤٩) ، غاية النهاية : ١٧/١ .

(٢) إسماعيل بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد (ت ٧٣٧ هـ) ، وفيات ابن رافع : ٢٨/١ .

(٣) مُحَمَّد بن أحمد بن أحمد بن غدير (ت ٧٣٩) ، غاية النهاية : ٥١/٢ .

(٤) إبراهيم بن لاجين بن عبد الله الرَّشيدي ، سلفت ترجمته .

(٥) عبد الله بن عبد الرَّحمن (ت ٧٦٩) . البغية : ٤٧/٢ .

* الوافي : ١٤٧/٢ ، والدُّرر : ٣٧٦/٣ ، والشَّذرات : ٧٢/٦ ، وذيول العبر : ١٤٨ .

(٦) في الأصل و (ق) و (ط) : « العماد » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٧) (ق) ، (ط) : « وإبراهيم بن خليل » .

وسمع من الكتب [١] الكبار ، وتفرَّد ، وروى الكثير . وخرَّج له شيخنا الذَّهبي مشيخة .

وكان ديِّناً متواضعاً ، يتّجر ، ويرتفق ، ثمّ ضعف حاله ، وافتقر ، وساء ذهنه قبل موته ، وتبلغم . وكان له نظمٌ .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ ثالث عشر شوال سنة ستّ وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ستّ وأربعين وستّ مئة .

١٤٦٠ ـ مُحَمَّد بن أحمد*

الشيخ أبو عبد الله بن الشَّيخ المحدِّث كمال الدِّين بن عبد الرَّحيم بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرَّحمن بن إسماعيل بن منصور المقدسي الحنبلي ، المعروف بالضِّياء السّالك طريق الفقر .

كان شيخاً يخالط الفقراء طول عمره ، وحضر غزوات الظّاهر مع [المشايخ ، وسمع من] [٢] المِزّي حضوراً ، ومن خطيب مَرْدا ، والبكري ، وابن سعد ، ومُحَمَّد بن عبد الدّائم ، وجماعة . وله إجازة بعضِ أصحاب السّلفي ، وشُهدة .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في سادس شهر ربيع الأوّل سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة أربع وأربعين وستّ مئة .

---

(١) في (ق) ، (ط) : « وسمع الكتب ... » .

* الدُّرر : ٣/٣٢٥ .

(٢) زيادة من (ق) ، (ط) .

١٤٦١ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن هبة الله*

ابن قُدس تاج الدِّين الأرمنتي .

كان مقرّئاً فاضلاً ، وكان يؤمُّ بالمدرسة الظّاهريّة بالقاهرة .

توفّي ـ رحمه الله تعالى ـ بالقاهرة في حدود السَّبع مئة .

ومن شعره :

قَـــد قلتُ إذْ لَـجَّ في مُعـــاتَبَتي ... وظنَّ أنَّ المـــــلالَ من قِبَلي[(١)]
خــــــدُّك ذا الأشعريّ حَنَّفَني ... وكانَ من أحمــــدَ المــذاهبِ لي
حُسنُــكَ مــا زالَ شــافِعيٌّ أبَـداً ... يــا مــالِكيّ كيفَ صِرت مُعْتَـزِلي

قلتُ : سبقه إلى هذا الأوّل ، فقال :

وعُطِّلَتْ مِنْ وَجْهِــــــه ... تلــكُ الْخُــدودُ الصَّقلَــهْ
يــا أشْعَريّ خَــدِّهِ ... إنِّي مِنَ الْمُعْتَــزِلَـــهْ

والآخر أيضاً فقال :

وابن عَجــوزٍ قــــالَ لي مَرّةً ... يــا هــــاجِرِي ظُلْماً ولم أهجُر
مُعتزِليّ صِرتَ ، فقلتُ اتَّئِـــد ... واعتب على مَبعركَ الأشعري

ولكن قول الشَّيخ تـاج الـدِّين الأرمنتي أجمعُ ، وألطفُ ، وأحسنُ[(٢)] من هـذا كلِّه قولُ القائل ـ وقد نُسِبَ إلى الشَّيخ صدر الدِّين بن الوكيل :

هَـويتُ شيعي ومِنْ حَظِّي أنـا سُنّي ... لولا الذَّهب شـافعي كان انتفى منِّي
ظَهْروُسُرَيْجي وكنتُ أحسِنُ به ظَنّي ... صارَ مـالِكي أشعري قلتُ اعتزِل عنّي

---

* الوافي : ١٤٧/٢ .

(١) في الأصل : « معاينتي » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) ، والوافي .

(٢) (ق) : « ألطف وأحسن ، وأحسنُ ... » .

ومن شعر تاج الدِّين الأرمنتي :

احفَظْ لِسانَكَ لا أقولُ فإن أقُلْ فَنَصيحَةٌ تَخْفَى على الْجُلاَّسِ
وأُعيذُ نَفسي مِن هِجائكَ فالَّذي يُهْجى يَكونُ مُعَظَّماً في النّاسِ

١٤٦٢ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن فتوح*

المحدِّث العالم أبو الفضل الْمَصْغوني ـ بالميم المفتوحة والصّاد المهملة السّاكنة والغين المعجمة وبعدها واو ونون ـ الإسكندراني .

قَدِم دمشق ، وطلب الحديث سنة ثلاث عشرة وسبع مئة ، وقرأ الحديث ، وسمع من القاضي تقيّ الدِّين ، وطائفة ، وقرأ (الصَّحيح) على بنت المنجّا .

قال شيخنا الذَّهبي : وعلَّقت[١] عنه شيئاً . وكان ديِّناً عاقلاً فاضلاً ، وحدَّث عن التّاج الغرّافي .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في ذي الحجّة سنة أربعين وسبع مئة .

ومولده قبل الثَّمانين وستّ مئة .

١٤٦٣ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن منعة**

بالنّون بعد الميم والعين المهملة ـ ابن مُطَرِّف بن طريف ، شمس الدِّين أبو يوسف القَنَوي الصّالحي ، الشَّيخ الصّالح المعمِّر .

سمع من عبد الحق[٢] بن خلف (جزء ابن عرفة) حضوراً ، وسمع من ابن قمّيرة

---

* الوافي : ١٤٨/٢ ، والدُّرر : ٣٤٨/٣ .

(١) عبارة الوافي : « ذاكرته وعلّقت » .

** الوافي : ١٤٩/٢ ، والدُّرر : ٣٦٩/٣ ، والشَّذرات : ٧٧/٦ ، وذيول العبر : ١٥١ .

(٢) في الأصل و (ط) : « عبد الخالق » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) ، والوافي ، وذيول العبر .

ـ إن شاء الله ـ والمرسي ، واليلداني ، وأجاز لـه ابن يعيش النَّحوي والحـافـظ الضِّيـاء ، وإبراهيم بن الخشوعي . وحدَّث بالكثير .

قال شيخنا الذَّهبي : كان خيِّراً أميناً .

توفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في سابع المحرَّم سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، وله اثنتان وتسعون سنة .

وكان يعرف مضيّـه للسّماع من ابن قميرة بـدرب السّوسي ، وإنَّما لم يجـزم لأنَّ لـه أخوين باسمه .

قـال شيخنـا البرزالي : كان الأخوة الثّلاثـة يسمعـون ، ولكن يترجَّـح هـذا لأنَّـه الأكبر .

١٤٦٤ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن محمد*

ابن أحمد بن محمود ، الصَّدر الرَّئيس القاضي عزّ الدِّين بن القلانسي العقيلي ، نـاظر الخزانة بقلعة دمشق ، ومحتسب البلد .

سمع من ابن البخاري (مشيخته) . وحدَّث ، وسمع منه بعضُ الطَّلبة .

وكانت له ديانه ، وفيه مُسكة وصيانه ، وعنده للخير محبَّة وإيثار ، وعنه في حسن المباشرات أحاديث مرويّة وآثار .

وكان كافياً فيما يتولاّه من الوظائف ، وله على العوامّ سائق[1] من مهابته وظائف ، شكرت سيرتُه ، وطَهِّرت لَمّا ظهرت بالأمانة سريرته ، لم يعهد النّاس منه إلاّ عفـافـا ، ولم يباشر الحسبة إلاّ ودخل النّاس منها جَنّاتٍ ألْفافا .

* الوافي : ١٤٩/٢ ، والدُّرر : ٣٦٤/٣ . وفي البـدايـة والنهـايـة : ١٧٦/١٤ ، وذيول العبر : ١٩١ ترجمـة لـه باسم : « أحمد بن محمد ... » .

(١) في الأصل : « سابق » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

وما زال إلى أن لبّى داعيه ، وسمع النّاس ناعيه .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ بكرة الاثنين تاسع شهر ربيع الآخر سنة ستّ وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وسبعين وستّ مئة .

وكان شكلاً ضخماً ، عليه مهابة ووقار ، يتحدَّث وهو مطرق ، ولم يضرب أحداً من السّوقيّة إلاّ دون العشرة ضرباً خفيفاً ، وله في قلوبهم المهابة العظمى . باشر الحسبة مدَّة سنين ، ووصل من مصر إلى دمشق في أوائل صفر مباشراً نظر الخزانة عوضاً عن نجم الدّين البصروي بحكم ولايته[1] الوزارة .

ولَمّا شهد جماعة من رؤساء دمشق بأنَّ الصّاحب شمس الدّين غبريال ، إنَّما عَمَر أملاكه من بيت المال ، لأنَّه كان فقيراً طُلِب عزّ الدّين المذكور ليشهد بذلك ، فقال . كيف أشهد وهو في كل شهرٍ يُصرف له جامكيّة من بيت المال بمبلغ عشرة آلاف درهم ؟ وله هذه المدَّة الطَّويلة يتناول ذلك ، ومن كان كذلك لا[2] يكون فقيراً ، ولم يشهد . فقالوا له : تُعزل من وظائفك ، فلم يوافق . وعزل من الحسبة ، وبقي بيده نظر الخزانة . وأعجب ذلك الأمير سيف الدّين تنكز ، وأثنى عليه ، ولَمّا بلغ السُّلطان أعجبه دينه ، ولم يحلّ أملاك الصّاحب شمس الدّين .

١٤٦٥ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن محمد*

القاضي الرَّئيس الأصيل ، بقيَّة الرّؤساء ، عماد الدّين بن الصّاحب تاج الدّين بن الشِّيرازي ، ناظر الجامع الأموي ، ومحتسب دمشق .

---

(١) في الأصل : « ولاته » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

(٢) (ق) ، (ط) ، والوافي : « ما » .

* الدُّرر : ٣٦٥/٣ ، وذيول العبر : ٢٧٤ ، والبداية والنهاية : ٢٢٨/١٤ .

كان من الرّؤساء بالشّام ، ومن أولي الحشمة الّذين [لهم فيها][١] الوجوه الوسام[٢] والأيادي الجِسام ، عريق في الرّئاسه ، غريق في السِّيادة والمباشرة والسِّياسه ، يخدم النّاس ، ويتقرَّب إلى القلوب بسائر أنواع المكارم والأجناس . بزّته فاخره ، ووجاهته من شكله ظاهره . بقيّة أولئك الرّؤساء الأوّل ، والأكابر الّذين تجمَّلت بهم الأيام والدُّول ، باشر الجامع مرّات ، وأثّرَ فيه من العمارة ما يجلب للنفس المسرّات . وباشر الحسبة مرّات عدّه ، فما رأى النّاس إلاّ كلَّ خير أعَدَّهُ واستجدَّه[٣] .

ولم يزل على حاله متنقِّلاً فيما يتولاّه ، ويباشر أمْره[٤] ، فيملؤه ما جلاّه وحلاّه ، إلى أن دارت عليه طاحون الطّاعون ، وراح مع أولئك القوم الَّذين هم إلى السّاعة ساعون .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في شعبان سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون دمشق .

وكان قد [تولّى][٥] نظر الجامع الأموي بعد تقيّ الدِّين بن مراجل[٦] في سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة يوم الخميس ثامن شهر ربيع الأوّل . وفي هذا اليوم دخلتُ أنا في[٧] ديوان الإنشاء بدمشق . وأقام فيه مدّة سنين . ثمَّ إنَّه نُقل إلى نظر الحسبة ، وأقام بها مدّة . ثمَّ إنَّه جاء المرسوم في أيّام الصّالح بعزله ، فأقام في المدرسة الطّرخانيّة جوار داره تقدير شهرين ، ووزن بعض شيء ، ثمَّ أعيد إلى الحسبة .

وكتبتُ أنا له عدّة تواقيع منها ما هو بنظر الحسبة ، ومنها ما هو بنظر الجامع

---

(١) زيادة من (ق) ، (خ) .

(٢) في الأصل : « الحسام » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) ، (ط) .

(٣) (ق) : « أو استجده » .

(٤) في الأصل : « مرّة » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) .

(٥) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) .

(٦) علي بن عبد الرحيم ، سلفت ترجمته .

(٧) (ط) ، (خ) : « إلى » .

الأموي ، فمن ذلك توقيع كتبتُ له بالحسبة مضافاً إلى نظر الجامع الأموي في جمادى الأولى سنة ستّ وأربعين وسبع مئة ارتجالاً من رأس القلم ، وهو :

الحمدُ للهِ الذي جعل وليَّ هذه الدَّولة القاهرة عمادا ، وملَّكه من الرِّئاسة الَّتي امتاز بها من[1] غيره قيادا ، وثنى الجوزاء تحت يده لَمّا سادَ وسِادا ، وبلَّغ همَّته[2] العليّة من المفاخر السّامية مراماً ومُرادا .

نحمده على نعمه الَّتي حَسُنت[3] مواقعها عند من ألفها مَعاجاً ومَعادا ، ومننِه الَّتي فاقت جواهرها ازدواجاً[4] وازديادا ، وعوارفه الَّتي تجد النُّفوس لعرْفها ارتياحاً وارتيادا ، وأياديه الَّتي تتخيَّر الاقتراح[5] محاسنها انتقاءً وانتقادا .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تزغم معاطس من أنكرها عنادا ، وتُخجل من تلفَّظ بها تقيّة وأضمر الباطل اعتقادا ، وتدحض حجج من أصرَّ على البهتان ، وتمالا[6] ضلالاً وتمادى ، وتنير وجوه قائلها بياضاً يوم تَدْلَهِمُّ وجوه جاحديها سوادا .

ونشهد أنَّ سيِّدنا مُحَمَّداً عبده ورسوله الَّذي ارتقى سَبْعاً شِدادا ، وأبلَى في أعداء الدِّين القيِّم للهِ جهادا ، وجَلَّى غياهب العجاج والأسنّة تحكي النُّجوم اتِّقادا ، وحمى سرح الحقِّ فما ضرَّه منَ عاد إلى الباطل وكادَ وعادى .

صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه الَّذين تسابقوا في حلبة الهُدَى جيادا ، واتَّحدوا في سبيل الله محبَّة ووِدادا ، وتقلَّدوا لِنَصْرِ دينه بيضاً صِفاحا ، واعتقلوا سُمُراً صِعادا ،

(١) (ق) ، (خ) : « عن » .
(٢) (خ) ، (ق) : « هِمَمه » .
(٣) (خ) : « أحسنت » .
(٤) في الأصل : « أزواجاً » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) .
(٥) (ق) : « الأفراح » .
(٦) مخففة من « تمالأ » .

ونُظِمَت جواهرُ معاليهم على جيد الزَّمان تؤاماً وفُرادى صلاةً لا يملُّ طرفُ السُّهى من مراقبتها سهادا ، ولا يعرف الأبد لأمَدِها ولا مددها نفادا ، ما نزعت يدُ الصَّباح عن منكب الظَّلماء حدادا ، ونَفَثتْ نسمات الصَّبا عن عيون الأزهار رُقادا ، وسلِّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدِّين .

وبعد :

فإنَّ نظر الحسبة الشَّريفة بالشَّام المحروس منصبٌ جليل القدر ، ومحلّ سامي الأفق ، لا يطلع في أوْجِهِ إلاّ مَن تمَّ تمام البدر ، ومكانٌ لا يستكنُّ في ذُراه إلاّ مَنْ رَفَض عُشّ الغشّ ، ولم يَخُضْ في غدير الغَدْر ، من وَلِيَ أمرَه غُدِقَتْ به الأمور ، وعَلِقت به مصالح الجمهور ، وساسَ الرَّعيّة سياسةً مَحَبَّتُها في القلوب ومحلّتها في الصُّدور ، لأنّه ينظر فيما[1] دقَّ وجلَّ ، وكثُر وقلّ ، وانحصر بمقدار ، وضُبط بمثقال ورَطْلٍ وقِنطار ، وكل ما ابتلعته فمُ كيل وامتدَّ له باعُ ذراع ، أو تحدَّث فيه لسان ميزان ممّا يُجلَب من تحف البلاد ونفائس البقاع ، وكل ما يُعمل من أنواع المعايش ، وكل ما أمره محرر أو سَهْم تقديره[2] طائش ، وله الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر ، والحديث فيما شأنه أن يُشْكى أو يشكر ، فهو الآمر في كلِّ ذلك أجمع ، وشآبيب تأديبه تهمع ، وبروق تهديده تلمع .

وكان الجناب الكريم العالي المولوي القضائي العمادي مُحَمَّد بن الشِّيرازي ممن قَتَل هذا المنصب خُبْرا ، وقلَّبَتْهُ معرفته بطناً وظهرا ، باشره مدَّة أمدّها الله بالمحاسن الباهره ، وجعل رياضها بالعدل زاهره ، وأتى بيوت الرِّئاسة من أبوابها ، وجنى ثمر السَّعادة من حدائق الإقبال متشابها ، وجاذبته السِّيادة أهداب هُدّابها ، ومَدَّت له المعالي من المجرَّة طويلَ أطنابها ، ودَرِبَ هذه الوظيفة فعرفها جيِّداً ، كما أنَّ أهل مكَّة أخبرُ

(١) (خ) : « ما » .

(٢) في الأصل : « تقدير » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) ، (خ) .

بشعابها[١] ، وتشوّقت عَوْدَه إليها تشوّق الرَّوض إذا ذوى إلى صَوْب الغمام ، وتشوَّفت إلى رُجوعه تشوُّفَ المشتاق إلى نوح الحمام .

فلذلك رُسِم بالأمر العالي المولوي السُّلطاني الملكي الكاملي السَّيْفيّ ـ أعلاه الله تعالى ـ أن يفوّض إليه نظر الحسبة الشّريفة بالشّام المحروس ، لأنَّه أفضل من سكته[٢] التّجارب ذهبا ، وأولى من درَّبته المعارف ، فأظهرته حُساماً ماضي الشَّبا .

فليباشر ما فُوّض إليه مباشرةً أَلِفَها النّاس من سياسته ، وعَرَفها الأنامُ من حميد رئاسته ، وعهدها الرَّعيّة لَمّا أنامهم الأمن في مَهْدِ حِراسته ، وشهدها البريّة من جميل أصله ونفاسته ، لأنَّ آثار اعتماده في الجامع المعمور للعيون مشاهَدَه ، وحسنات صنيعه في صحائف الأيّام واللّيالي خالِده ، ومحاسنَ ما زخرفه في جدرانه على كلِّ عامود حالَّة وعلى كلِّ قاعدةٍ قاعده . هذا إلى ما أنماه من أجوره ، وأسماه من إدرار ما عليه من الرّواتب ، حتّى شارك بها الواقف في أجوره ، وأتعب من يأتي بعده حتَّى يسدَّ مسدَّه ، أو يلبث مدَّة ما يمدُّ قلمه من الدّواة مَدّه .

ووصايا هذه الحسبة الشّريفة كثيرة إلى الغايه ، عزيزة لا يقف القلم في سردها عند نهايه ، شهيرة عند معارفه الّتي أصبح فيها آيه ، ولكن القلم يُطرق عند مثله لائذاً بالصّمت ، ويجفُّ ريق المداد في لَهَوات الدّواة هيبةً لما يراه فيه من عظمة الوقار وحسن السَّمت . فاجرِ فيها على عادتك الحسنى ، وأوْلِ النّاسَ فيها أمناً ومنّا ، واستعمل البأس[٣] في موضعه الّذي يليق به وضعا ، والرِّفق ولكنْ عزَّ مكانه ، فإنَّ الغدر والخيانة يكونان في أكثر النّاس طبعا ، وأمُرْ نُوّابَك ـ أعزَّك الله ـ أن يحذوا في العفّة[٤] والأمانة حذوك ، وأن يتلوا في حسن السياسة[٥] تِلوَك ، وأن يصبروا على مُرِّ طريقك في

(١) مَثَلٌ معروفٌ .

(٢) في (ق) ، (ط) ، (خ) : « سبكته » .

(٣) (خ) : « الناس » .

(٤) في الأصل و (ط) : « والعزّ » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .

(٥) في الأصل : « التلاوة » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) .

المباشرة ، إن أرادوا أن تُسوِّغهم حُلوَك ، ولا شيء يزيِّن الإنسان مثل تقوى الله فإنَّها واسطة العقود في الصِّفات المحموده ، وزينة الوجود في السِّمات المشهوده ، تَصْدُق يوم القيامة ، إذا كذبت الظُّنون ، وتنفع ﴿ يَومَ لا يَنْفَعُ مالٌ ولا بَنونَ ﴾[1] ، وأنت بحمدِ الله لا ينوب فيها أحدٌ منابك ، ولا يزُرّ عليها سواك ثيابَك ، وإنَّما الخطاب لك ظاهراً ، وأردنا بباطنه نوّابك ، فلتكن خُطْوتَهم كلّ خُطْوَه[2] ، وجلوتهم [في] كلِّ جَلْوَه[3] ، والله يتولّى إعانتك على ما ولاّك ويزيدك مّما أولاك ، والخطّ الكريم أعلاه ، حجَّة بمقتضاه ، إن شاء الله تعالى .

١٤٦٦ ـ مُحَمَّد بن أحمد*

الإمام الفاضل الرَّئيس الأصيل الشَّيخ عزّ الدِّين ابن الشَّيخ شمس الدِّين بن المنجّا التنوخي الحنبلي ، ناظر الجامع الأمويّ ، ومحتسب دمشق أخيراً .

كان حسن الشَّكل والعمّه ، مليح الوجه ، يحكي البَدْرَ وتمّه ، فيه مكارم وإحسان ، ومحاسن قلَّما تجتمع[4] في إنسان ، غزير المروّه ، كثير الفتوّه . حنبليّ كثير الاختلاط بالشّافعيّه ، ظاهر الذَّكاء فيما يباشره والألمعيّه ، أثَّر في الجامع آثاراً حسنه ، وجدَّد فيه التَّرخيم[5] والزَّخرفة ، ما أسهر له العيون الوسِنه .

وكان جمّاعة للكتب النَّظيفه ، والمجلَّدات الطَّريفه[6] ، خلَّف منها أشياء نفائس ،

---

(١) سورة الشُّعراء : ٨٨/٢٦ .

(٢) في الأصل و (ط) : « حظوتهم ... حظوة » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) ، والأقرب : « في كلِّ خطوة » ، بدليل ما سيأتي .

(٣) في الأصل : « كل جلوهم » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) ، (خ) . والزيادة منها .

* الوافي : ١٥٣/٢ ، وذيول العبر : ٢٥٠ ، والدُّرر : ٣٥٧/٣ ، وفيه : « مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد بن عثمان بن أسعد بن المنجّا التنوخي » .

(٤) في الأصل و (ط) : « تجمع » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .

(٥) في (ق) ، (ط) ، (خ) : « من الترخيم » .

(٦) (ق) ، (ط) ، (خ) : « الظريفة » .

وكتباً عدّة كالنُّجوم الزّاهرة أو الكواعب[١] العرائس ، وبَهضَهُ ما تحمّل من الدُّيون ، وكانت جملةً لو صوّرت خارت لها القوى ، وحارت العيون[٢] ، ولكن لنيَّته الجميله ، قام ولده بحملتها الثَّقيله .

ولم يزل على حاله في الحسبة إلى أن جاء[٣] ما لا احتسب ، وقَدِمَ على ما قدّم واكتسب .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في العشرين من جمادى الأولى سنة ستّ وأربعين وسبع مئة .

ومولده ...[٤] .

وحدَّث عن زينب بنت مكي ، وكان قد ولي نظر الجامع الأموي عوضاً عن عماد الدِّين بن الشِّيرازيّ في يوم عرفة سنة أربعٍ وثلاثين وسبع مئة ، وانتقل ابن الشِّيرازيّ إلى الحسبة .

١٤٦٧ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن محمد*

الإسكندرانيّ الصُّوفي ، شمس الدِّين المعروف بابن الفُوِّيه ـ بضمِّ الفاء وتشديد الواو والياء آخر الحروف ـ .

كان ظريفاً لطيفاً شاعراً ، حسن المحاضره ، جميلَ المذاكره ، اجتمعت به غير مرَّة بالقاهره ، وأنشدني من شعره كثيراً .

---

(١) في الأصل : « الكواكب » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) ، (ط) .

(٢) (خ) : « خارت منها ... وحارت لها العيون » .

(٣) (ق) ، (ط) ، (خ) : « جاءه » .

(٤) كذا بياض في الأصول ، وفي الدُّرر : أنه ولد أوَّل سنة (٦٨٨ هـ) .

* الوافي : ١٥٣/٢ ، الدُّرر : ٣٦٥/٣ .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة تسعٍ وأربعين وسبع مئة في طاعون مصر ، وكان قد نسك آخر عمره ، واقتصر .

وممّا أنشدني له قوله :

لي أمٌّ مِنْ أصْلَحِ النّاسِ تَدْعُو ... لي رَبَّ السَّماء سِرّاً وجَهْرا
جَعَلَ اللهُ كُلَّ يابسَةٍ يانو ... رَعينيَّ بينَ كفَّيكَ خضرا
فاستُجيبَ الدُّعاءُ فيَّ وما رُدَّ ... تْ يَداها مِنَ المواهِب صِفْرا
فَلِذا لا أفيقُ ظهراً وعَصْراً ... سَكْرَةً لا ولا عشاءً وفَجْرا

وأنشدني له أيضاً :

أعْجامُنا قَدْ أصْبَحَتْ قلوبُهُم ... وَجْداً بِحُبِّ الخانقاه خافِقَهْ
لا تَعْجَبوا فَكُلُّ كَلبٍ نابِحٍ ... ولا يُحِبُّ الكلبُ إلا خانِقَهْ (١)

وأنشدني له أيضاً :

وقالوا الشَّيخَ مَجدَ الدِّين ... شيخُ الْجَهالةِ والبَلادَهْ
فقلتُ وأوْحَدُ في الـ ... ـلياطِ وفي القيادَهْ
[وزيدوا إن أرَدْتُم ... وشيخُ النَّحسِ زادَهْ](٢)

وأنشدني من لفظه لنفسه أيضاً في نجم الدِّين وكيل الفخر ، وكان أعور :

يا رَبَّنا لي صاحِبٌ ... بالذَّنبِ مَدْحُوٌّ شَقِي
غَطَّيت [منه] عَورةً ... ياخَيْرَ ربٍّ مشفقي (٣)
وسترتُ منهُ ما مضى ... يا ربِّ فاسْتُر ما بَقي

---

(١) في الأصل : « نائح » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) ، والوافي .

(٢) زيادة من (ط) ، (ق) ، والوافي .

(٣) في (ق) : « ياخير برّ » . والزيادة من (ق) والوافي .

ذكرت بهذا التّهكّم في الدّعاء ما نقلته من خطّ السّراج الورّاق :

طـالَتْ مسـافـةُ بيني بينَ الصَّفيّ وبيني
فـلا أمـوتُ إلى أن أرى الصَّفِيَّ بِعَيني

قلت : هذه تورية ، خدمت معه من ثلاثة وجوه :

أحدها : وهو الظّاهر في بادئ الرّأي ، من أنه يراه[1] بعينه .

والثّاني : أن يراه ضعيفاً ، « فعيلاً » بمعنى « مفعول » .

الثّالث : أن يراه بفرد عين أي أعور ، وهكذا يكون النّظم الّذي يُسمع .

وكتب الشّيخ جمال الدّين بن نباتة إلى ابن الفوّيّه :

واحربـا مِن سَـوالفِ الْخَشْفِ والنّـواعِسِ الـوُطْفِ
كَم لـكَ يـا خَشْفُ من فَتىً وامِـقْ
لِنونِ صُدْغَيْـك يعبـد الخـالِـقْ
يـالكمـا من رشـا ومن عـاشِـقْ
مِن ذا ومِن نُـونِ صُـدغِ ذا قُـلْ في عـابِـدٍ عَلى حَرْفِ
سكنتَ عِنـدي بيتـاً هـو القَلبُ
وغِبْتَ عن نـاظِري فـلا عتبُ
يفـديـكَ[2] يـا بـدرُ هـائم صَبٌّ
بمنزِلِ القَلبِ منـهُ تَستكْفي لا بِمنزِلِ الطَّرفِ
جـادَت جُفـوني[3] بـالأدمـعِ الْحُمرِ

(١) في (ق) ، (ط) ، والوافي : « أنه طلب أن يراه ... » .
(٢) في الأصل : « يكفيك » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، والوافي .
(٣) في الأصل و (ط) : « دموعي » ، وأثبتنا ما في (ق) ، والوافي .

جُـوْدَ ابنِ فَضْـلِ الإلــه بــالتَّبر
للهِ منـــــهُ جَــوادٌ ذا الـــــدَّهر
يُمْسِـكُ جُـود الْحَيـا عَنِ الـوَكْفِ وهُـو جـائـدُ[١] الكَفِّ
انظُر لآثـــارِ مَجْـــدِهِ العـــالي
وصُنْعِـــه بـــالعِـــدا وبـــالمـــال
صَنْعَـة[٢] نحـوَ بـديعـة الحـــال
فـــالمـــالُ نَحْـوَ العُفـــاة للصَّرفِ والعُـــداةِ لِلْحَـــذْفِ
ختـــامُ ذكرِ العُـلا بـــه مِسْـــك
وأنَّ لفظي لفَضلِـــــه سِلْـــــكُ
وَصْفي وَجَـــدْواهُ ليسَ يَنفَـــكُّ
فليسَ يُخْلي يـــــــديَّ[٣] من عُرفِ أو[٤] عُـــلاه من وصفِ
وأغيَـــــد زارَهُ مُخـــــالفُـــــه
وعـــادَ بعـــدَ الْجَفـــا يُســـاعفُـــه
وقـــالَ لَمّـــا مَشى يُكاتِفُـــه
أصبـحَ بعـــــدَ الجفـــــاءِ والْخُلْفِ كالطِّرازِ على كَتِفي

فكتب شمس الدِّين بن الفوّيه الجواب :

زَهرٌ أم الـزَّهر يـــــانـع القَطْفِ من كمائمِ السَّجْفِ
ريـاضُ حُسْنٍ قـد راضهـا الـدَّلُّ
من وَرْدِ خَـدٍّ فيــه الْحَيَــا طَـلٌّ
وآسِ صُـدْغٍ فيــهِ الحيــا ظِـلٌّ

(١) في الأصل و (ط) : « جامد » ، وأثبتنا ما في (ق) ، والوافي .
(٢) في الأصل : « صيغة » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، والوافي .
(٣) في الوافي : « تُخلى يداي » .
(٤) في الأصل : « آه » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) ، والوافي .

كَفَفتُ عن هَصرِ كَفّي[1] إذْ[2] رعيتُ بالطَّرفِ
مَنْ لي ببَدْرٍ حُشاشتي أفقه
يزيدهُ حسنَ وجهِهِ طَلْقُه
لو جالَ في سَمْعِ عاذِلي نُطْقُه
لقالَ فيهِ بالصَّوتِ والْحَرْفِ عاذِلي بلا خُلْفِ
قلتُ وصُدْغٌ في الخدِّ قد عَقْرَبْ
ونَمْلُ ذاكَ العذارِ فيه دَبْ
وحُسْنُه في طِرازِهِ الْمُذْهَبْ
يا واو صُدغٍ مِنْ لِيّنِ العِطف هل أتيتَ للعَطفِ
قالَ وأبدى ابتسامَةً دُرّا
أُعطيتُ نَظْمَ الجمالِ والنَّثرا
ونُطقَه فاتَّخذتُهم ثَغرا
وصُنتُهم في مواضِعِ الرَّشفِ لا مواضعِ الشَّنْفِ
أشرف يا بني نُباتة الأدبْ
وقد نشا في القريضِ والخطبْ
فَهُمْ ولو لم يضمهم نَسَبُ
بينهم نِسْبَةٌ منَ الظَّرفِ والبيانِ واللُّطفِ
وغادةٌ دونَ حُسنِها الوصفُ
يُثْقِلها عندَ خَطوِها الرِّدفُ
قالت وأمواجُ رِدْفِها تَطْفو
هذا الثَّقيلُ رِدْفي يَعتمِدُ خُلْفي أمشي يَنقطِعُ خلفي

قلت: ما أبدع هذه الخرجة الداخلة والألفاظ الجادة، وهي هازلة، رحمه الله تعالى.

(١) في الأصل: «كفة»، وأثبتنا ما في (ق)، (ط)، والوافي.

(٢) في الأصل: «إذا»، وأثبتنا ما في (ق)، (ط)، والوافي.

١٤٦٨ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن إبراهيم*

ابن حَيْدرة بن علي القاضي الإمام الفاضل شمس الدِّين أبو عبد الله المعروف بابن القمّاح المصري الشّافعيّ .

سمع من أبي إسحاق إبراهيم بن عمر بن مُضَر[(١)] (صحيح) مسلم إلاّ قليلاً ، ومن النَّجيب عبد اللَّطيف والعزّ عبد العزيز ابني[(٢)] عبد المنعم بن علي بن الصَّيقل الحرّاني ، وعبد الرَّحيم بن يوسف بن خطيب المزّة ، وقاضي القضاة تقيّ الدِّين مُحَمَّد بن الحسين بن رزين الشَّافعي[(٣)] في آخرين .

وحدَّث ، وتفقَّه ، وبرع ، وأجاد[(٤)] ، وأفتى ، وأفاد ، وجاد بالعلم ، فأجاد ، وناب في الحكم بالقاهره ، وشُكرت سيرتُه الزّاهره ، وكانت فتاويه مُسَدَّدَه ، ولياليه وأيامه بالعدل مُجَدَّده ، وهو آية في الحفظ الَّذي لا يحكيه فيه نظير ، ولا يضبطه فيه حوزة ولا حَظير .

ولم يزل إلى أن بان وباد ، وسكن الأرض إلى يوم المعاد .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة إحدى وأربعين وسبع مئة . [ومولده سنة ستّ وخمسين وستّ مئة .

وقد أجاز لي بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة][(٥)] .

---

* الوافي : ١٥٠/٢ ، والدُّرر : ٣٠٣/٣ ، والشّذرات : ١٣١/٦ ، وذيول العبر : ٢٢١ .

(١) (ت ٦٦٤ هـ) ، العبر : ٢٧٦/٥ ، ويعرف بالرضي بن البرهان .

(٢) في الأصل : « ابن » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) ، (خ) ، والوافي ، وتوفِّي عبد العزيز سنة (٦٨٦ هـ) ، النجوم : ٣٧٣/٧ ، وتوفِّي عبد اللطيف سنة (٦٧٢) ، العبر : ٢٩٨/٥ .

(٣) (ت ٦٨٠ هـ) ، العبر : ٣٣١/٥ .

(٤) في (ق) ، (خ) ، (ط) : « وأعاد » .

(٥) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .

وكان متى سُئِلَ عن آية ، ذكر ماقبلها ، وكذلك يفعل في (التّنبيه) ، وهذه غاية لم يصل إليها أحدٌ إلاّ مَنْ مَنَّ اللهُ عليه بها ، ولعلَّ الإنسان ما يقدر يفعل هذا في الفاتحة . ويحكى أنَّ الحجّاج بن يوسف ما كان يمتحن القرّاء إلاّ بذلك ما يسأل أحداً منهم إلاّ يقول له : إيش قبل الآية الفلانيّة ، فيُبْهَتُ ذلك المسكين .

وكان ينوب في الحكم على باب الجامع الصّالحي بظاهر القاهرة ، ودرَّس بالمدرسة المجاورة لقبر الإمام الشّافعي بالقرافة - رضي الله عنه -، وناب عن قاضي القضاة بدر الدّين بن جماعة في تدريس الكامليّة مدَّة غيبته في الحجاز ، وجمع مجاميع مُفيدة ، وكان على ذهنه تواريخ ووفيّات وحكايات وفوائد[1] ، واختصر كتباً في الفقه ، ولكن كان يتسامح في الأحكام حتّى إنَّ قاضي القضاة بدر الدّين بن جماعة كان يمنعه من إثبات كتب الأوقاف .

ولَمّا تولّى ولده قاضي القضاة عزّ الدّين بن جماعة لم يولِّه القضاء ، فانقطع للاشتغال ، وقراءة القرآن .

١٤٦٩ - مُحَمَّد بن أحمد بن عبد الرَّحمن*

ابن مُحَمَّد تاج الدّين بن الشّيخ جلال الدّين ، الدّشناوي محتداً ، القوصيّ مولداً وداراً ووفاةً .

قرأ[2] القراءات على الشّيخ نجم الدّين عبد السّلام بن حِفاظ[3] ، وسمع على المنذري[4] ، والرَّشيد العطّار ، وتقيّ الدّين بن دقيق العيد ، وشرف الدّين الدّمياطي ، وغيرهم .

(١) (ق) ، (خ) : « ونوادر » .

* الوافي : ١٥٠/٢ ، والطالع السعيد : ٤٨٨ ، والدُّرر : ٣٥٣/٣ .

(٢) في الأصل : « وقرأ » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

(٣) عبد السلام بن عبد الرحمن (ت ٦٨٥ هـ) ، الطالع السعيد : ٣٢٠ .

(٤) عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ، (ت ٦٥٦ هـ) . العبر : ٢٣٢/٥ .

وحدَّث بقوص ومصر والقاهرة والإسكندريَّة . وسمع منه شيخنا أبو الفتح[١] ، والشَّيخ عبد الكريم بن عبد النّور[٢] ، وفخر الدِّين النّويري ، وسراج الدِّين بن الكُوَيْك[٣] ، وغيرهم .

وأخذ الفقه عن الشَّيخ مجد الدِّين بن دقيق العيد ، وعن والده جلال الدِّين ، والشَّيخ بهاء الدِّين هبة الله القفطي .

ودرَّس بالفاضليّة بالقاهرة نيابة عن الشَّيخ مجد الدِّين بن دقيق العيد ، ودرَّس بالعزيّة بظاهر قوص ، والمدرسة النَّجميّة والمدرسة السِّراجيّة . وأفتى ، وحدَّث ، واستبق الخيرات وما تلبَّث .

وكان قويَّ الجنان ، فصيح اللِّسان ، طيِّب الأخلاق ، كريمَ الْمُعاشره ، جميل الأوصاف فيما تولاّهُ أو باشره ، مقرئاً محدِّثاً أديبا ، شاعراً لبيباً أريبا .

لم يزل على حاله إلى أن فارق العيش واستوى عنده الحلم والطَّيش .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ بقوص سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ستّ وأربعين وستّ مئة .

قال كمال الدِّين الأدفوي : أنشد[٤] شيخنا تاج الدِّين ، قال : أنشدنا الشَّيخ شمس الدِّين التّونسي :

اصبرْ على حادثَةٍ أقبَلَتْ ... فَهيَ سَواءٌ والَّتي ولَّت
وأرْهِفِ العَزْمَ فليسَ الظُّبي ... تَفْري وتَبْري كالَّتي كلَّت[٥]

(١) محمد بن سيِّد النّاس .
(٢) توفِّي سنة (٧٣٥ هـ) . ذيول العبر : ١٨٦ .
(٣) عبد اللطيف بن الكويك . (حاشية الطالع السعيد) .
(٤) في (ق) ، (ط) ، والوافي : « أنشدنا » . وفي الطالع السعيد : « وأنشدني » .
(٥) في الطالع : « تبري وتفري » .

قال : فنظمت هذه الأبيات ، وأنشدتها للشّيخ تقيّ الدّين بن دقيق العيد فاستحسنها ، وهي :

لَيْتَ يَداً صَدَّتْ حَبيباً أتى … لِلوَصْلِ يَشْفي غُلَّتي غُلَّت
قَضَّيتُ قِدْماً مَعَهُ عيشَةً … يا لَيتَ فيها مُدَّتي مُدَّت
لو لم أرَضْ نَفسي بصَبرٍ غَدا … ساعَةَ صَدٍّ جُنَّتي جُنَّت[1]

قلت : كذا رأيت البيتين الأولين قد ساقهما الفاضل كمال الدّين جعفر الأدفوي ، ولو أنّ فيها حكماً ، لقلت : « اصبر إذا ما حالة حلّت » ، فإنّها أنسبُ من قوله : « حادثة أقبلَتْ » ، وأمّا بيتا الشّيخ تاج الدّين الدّشناوي الأوّلان فإنّهما في الحسن غاية ، ولكن البيت الثّالث في تركيبه قلق ، وليس بأخٍ لما تقدّمه ، ولو كان لي فيه حكم ؛ لقلتُ :

أقْبِحْ بِصَدٍ جاء لو لم يكُن … صَبري لِنَفسي جُنَّتي جُنَّت

على أنّ الأوّل أيضاً فيه قلق ، وأمّا الأوسط فإنّه في الذّروة .

وقد كنت نظمت قديماً ، لَمّا وقفت على البيتين الأوّلين ، وهما مشهوران أبياتاً من جملتها :

هَذي الّتي نِلتُ بها ذِلّتي … وحُلّتي في الصَّبرِ قد حُلَّت
وأدمُعي في وَجْنَتي أُطلِقَتْ … وفي فؤادي غُلّتي غُلَّت
خَلائقي وَفْقَ غرامي بها … فاسْتَخْبِروها ما الّتي مَلَّت

وقلت[2] في جارية لي توفّيت :

دَفَنْتُها كالبَدْرِ تحتَ الثّرى … ومِن شَقائي مُدَّتي مُدَّت

---

(١) الطالع السعيد : ٤٩٤ .

(٢) في الأصل : « وقال » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

كانت إذا ما سَيف أجفانِها الـ مُرْهَفُ يَدعو لبَّتي لبَّت
ما سَجَعَتْ في الأيكِ وَرْقُ الحمى لكنَّها في عِزَّتي عَزَّت

قال كمال الدِّين الأدفوي : وأنشدني لنفسه :

الشِّين في الشَّيخ من شَربٍ غدا كَدراً فلم تَعَفْهُ نُفوسُ الغانياتِ سُدىً
والياء من يأسٍ أن تَصبو إليهِ وقد بدَت لها لُحمة من شيبه وسَدَى
والخاء من خوفِ أن تُقْضي لهُ فترى ما ابيضَّ من شعرِهِ في جيدِها مَسَدا[1]

قال كمال الدِّين : ومِمّا نظمته أنا في ذلك :

الشِّين في الشَّيخ من شَيْنٍ أَلَمَّ بهِ والياءُ يأسٌ مِن اللَّذاتِ والهِمِمِ
والخاءُ مِن خامَرَ العقلَ الصَّحيح أذًى يُقصي قواهُ ويُدنيهِ من العَدَمِ[2]

قلت : شعر كمال الدِّين أخصر وأحسن وأفصح وأمتن . وقد نظمت أنا في هذا المعنى في أقصر وأخصر فقلت :

الشِّين في الشَّيخ شَيْنٌ والياءُ يأسٌ تبيَّنْ
والخاءُ خسرانُ عُمرٍ والحَين مِنْ ذا تعيَّنْ

ومن شعر تاج الدِّين الدّشناوي :

ولولا رَجائي أنَّ شَملي بعدَما تَشَتَّتَ بالبَيْنِ الْمُشتِّ سيُجْمَعُ
لَمّا بَقِيَتْ منّي بَقايا حُشاشَةٍ تُحالُ على طَيفِ الخيالِ فتقنعُ[3]

(١) الطالع السعيد : ٤٩٥ .
(٢) (ق) : « خامر الجِسْم » . وفي الطالع السعيد : « .. الجسم .. يفصي .. » . وأفصى : بالفاء والصاد المهملة : خرج وانقضى .
(٣) الطالع السعيد : ٤٩٥ .

قلت : لولا الزِّيادة الَّتي ألحقها في آخر البيت الثّاني ؛ لكان معنى بيتيه في بيتٍ واحد من قول الأوّل :

ولولا رجاءُ القلبِ أن تعطفَ النّوى   لمـا حملتـهُ بينهنَّ الأضـالـعُ

ومن شعر تاج الدِّين ـ وقد جوَّده ـ :

عَجَزْت عن قصّة الطِّيب وعن   قصّة أخذِ الشّرابِ إن وَصَفَهْ
والحالُ أبدَتْ لِمَنْ يميِّزها   تعجُّباً ساءَ مَصدراً وَصِفَه[1]

قلت : جمع في هذا البيت الثّاني الحال والتَّمييز والتَّعجُّب والمصدر والصِّفة بتركيب سهل عذب .

١٤٧٠ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن تمام*

ابن كيسان أبو عبد الله الصّالحي الخيّاط ، الشَّيخ البركة ، أخو الشَّيخ تقيّ الدِّين بن تمّام[2] ـ وقد تقدَّم ذكره ـ .

سمع من عمر بن عَوّة التّاجر[3] ، وتمّام السّروري ومن ابن عبد الدايم ، وعبد الوهاب بن مُحَمَّد ، ومن والده عن القزويني .

كان رجلاً صالحا ، منجمعاً عمَّن يراه طالحا[4] ، له أُبَّهة في الصُّدور ، وعلى وجهه لمحة[5] من جمال البدور ، هشّاً بَشّاً بَسّاما ، ليِّن الكلمة بالمعروف ، قَوّالاً قوّاما . صَحِبَ

(١) الطالع السعيد : ٤٩٥ .

* الوافي : ١٥٢/٢ ، وفوات الوفيات : ٣١٤/٣ ، والدُّرر : ٣١١/٣ ، والشَّذرات : ١٣١/٦ ، وذيول العبر : ٢٢٠ ، وسلفت ترجمة أخيه عبد الله بن تمام بن حسان ، كذا ، بدل (كيسان) .

(٢) في (ق) ، (ط) ، والوافي : « عبد الله بن تمام » .

(٣) هو عمر بن أبي نصر الجزري السفار . (ت ٦٥٦ هـ) . العرب : ٢٣٤/٥ .

(٤) في الأصل : « طامحاً » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

(٥) (ق) : « مسحة » .

الأخيار ، وأسمعَ الأحـاديث والأخبـار . يرتزق من الخيـاطـة ، ومِمَّـا يُفْتَح عليـه ممَّن يأتي رباطَه . يُوْثِرُ من جمع مـا يملـك ويُؤْثَرَ ، ويَصْبر ولا يمُنْ بـذاك ولا يَسْتكثر[١] . وكان قد تفقَّه قليلاً ، واعتزل طويلاً .

ولم يزل على حاله إلى أن التحق بالرَّحمن ، وأُدْرِجَ في الأكفان .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ سنـة إحـدى وأربعين وسبع مئـة ، وشيَّعـه خلق كثير ، وموته في ثالث عشر شهر ربيع الأول من السَّنة المذكورة .

ومولده سنة إحدى وخمسين وست مئة .

خرَّج له شيخنا الذهبي (مشيخةً) في جزء ضخم .

وسَمِعَ منـه خَلْـق كثير ، وطـال عُمرُه ، وحَـدَّث أكثرَ من أربعين سنـة ، وصَحِبَ الأخيار ، ورافقَ الإمام شمس الدِّين بن مُسَلَّم[٢] ، والشيخ علي بن نفيس[٣] .

وكان الأمير سَيف الدِّين يُكْرِمه ويزوره ، ويذهب هو إليه ، ويشفع عنده .

ومُتِّع بحواسِّه ، وأبطأ شيبُه ، وروى عن الْمُؤْتمن بن قُميرة .

وأجاز لي بخطه في سنة تسع وعشرين وسبع مئة بدمشق .

١٤٧١ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن عبد الهادي*

ابن عبد الحميـد بن عبـد الهـادي بن يوسُف بن مُحَمَّـد بن قـدامـة ، الشيخ الإمـام الفاضل المفنن الذّكي النِّحرير شمس الدِّين الحنبلي .

(١) اقتبس من قوله تعالى : ﴿ ولا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ ﴾ ، [المدثّر : ٦/٧٤] .

(٢) المسلم بن مُحَمَّد بن المسلم (ت ٦٨٠) ، العبر : ٣٣٢/٥ .

(٣) علي بن مسعـود بن نفيس ، سلفت ترجمتـه في مـوضعهـا ، ووقـع في الأصـل و (ق) و (ط) : « يعيش » ، سهو .

* الوافي : ١٦١/٢ ، ووفيات ابن رافع : ١٩٠/١ ، والبداية والنهاية : ٢١٠/١٤ .

سمع القاضي تقي الدِّين سُلَيمان بن حمزة ، وأبا بكر بن عبد الدايم ، وعيسى المطعّم[١] ، وأحمدَ الحجّار . وأكثرَ عن محمد بن الزرّاد وسَعد الدِّين بن سَعد[٢] ، وعدّة . وتفقَّه بالقاضي شمس الدِّين بن مُسَلَّم ، وتردَّد كثيراً إلى الشيخ تقيّ الدِّين بن تيميَّة . وأخذ العربيَّة عن أبي العبّاس الأندرشي[٣] ، وعلّق على (التّسهيل) ، مجلَّدين تأذّى بذلك منه[٤] أبو العبّاس الأندرشي ، وأخذ بعض القراءات تفقهاً عن ابن بَصْخَان .

وحفظ كتباً منها (أرجوزة) الْخُوَيِّي في علم الحديث و (الشّاطبيّة) و (الرائية) و (المقنع) و (مختصر ابن الحاجب) . وعَلَّق على أحاديثه وعمل تراجم[٥] الْحُفّاظ ، وعمل (كتاب الأحكام) ولم يكمل . قيل لي بأنَّه[٦] مجلَّدات . وله غيرُ ذلك .

كان ذهنه صافيا . وفِكْرُهُ بالْمُعضلات وافيا ، جيِّد المباحث ، أطْرَب في نقله من المثاني والمثالث . صحيح الانتقاد ، مليح الأخذ والإيراد ، قد أتقن العربيّه ، وغاص في لُجَّتها على فوائدها ونكتها الأدبيّة ، وتَبَحَّر في معرفة أسماء الرجال ، وضيَّقَ على المِزّيّ فيها المجال .

نزل أخيراً عمّا بيَده من المدارس ، وعدَّها من الأطلال الدّوارس ليكون مُفَرَّغاً للإشغال[٧] ، ويترك ما هو دون ويأخذ ما هو غال ، ولو عُمِّر لكان عجباً في علومه ، ونقّطه البدر طَرَباً منه بنجومه ، ولكن اجتُثَّ يانِعا ، ولم يَجد له من الحِمام مانعا .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في العشر الأوّل من جمادى الأولى سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

---

(١) في الأصل : « المعظّم » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) .

(٢) يحي بن مُحَمَّد بن سعد ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) في الأصل و (ط) : « الأندلسي » ، وأثبتنا ما في (ق) ، والوافي ، وهو أحمد بن سعد . سلفت ترجمته .

(٤) في الأصل : « أنه » ، وأثبتنا مافي (ق) ، (ط) ، والوافي .

(٥) في الأصل : « على تراجم » ، وأثبتنا مافي (ق) ، (ط) ، والوافي .

(٦) (ق) ، (ط) ، (خ) : « إنَّه » .

(٧) (ق) ، (خ) : « للاشتغال » .

ومولده سنة خمس وسبع مئة .

كان من أفراد الزمان ، رأيته يواقِفُ شَيخنا جمال الدِّين المزّي ، ويردُّ عليه في أسماء الرجال ، واجتمعت به غيرَ مرَّة ، وكنت أسأله أسئلة أدبيَّة وأسئلة عربيّة ، فأجده فيها سيلاً يتحدَّر ، ولو[1] عاشَ كان عجَباً .

١٤٧٢ ـ محمد بن أحمد بن بدر بن تبّع*

الشيخ المقرئ صلاح الدِّين أبو الحسن البَعلبَكي القصير .

روى عن ابن عبد الدائم . قال شيخنا البرزالي : وذكر لنا أنَّه حدَّث ببغداد لَمّا سافر إليها لاستنقاذ وَلَدِه .

وكان رجلاً جيِّداً فيه خَيْرٌ ودِين ومعروف ، وعنده مروءة ، مواظبٌ على قراءة القرآن .

توفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ بالمدرسَة الرواحيّة سابع عشر جمادى الأولى سنة عشر وسبع مئة .

ومولده سنة اثنتين وأربعين وست مئة . وشيَّعَه جَماعَة .

١٤٧٣ ـ محمد بن أحمد بن سُليمان الدّلاصي**

الشيخ المعمَّر صدر الدِّين .

حدَّث عن ابن خطيب المزّة ، وتجاوز الثمانين .

وتوفِّي ـ رحمَه الله تعالى ـ بالقاهرة سنة ستٍ وخمسين وسبع مئة .

---

(١) (ق) ، (ط) ، (خ) : « لو » .

* الدُّرر : ٣/٣١١ .

** الدُّرر : ٣/٣١٨ ، وذيول العبر : ٣٠٨ .

١٤٧٤ ـ محمد بن أحمد بن يعقوب*

كمال الدِّين أبو عبد الله[١] الدِّمشقي الكاتب .

باشر كتابة الإنشاء ، وتنقَّل بها في حنايا بلاد وأحْشاء ، وكان يكتب سَريعا ، ويجعل الطِّرس بقلمه روضاً مريعا ، إلا أنه لا يُنشئ شيئا ، ولكنه يجعَل له في التقييد ظِلاًّ[٢] وفيئا .

وكان في خُلُقِه حِدَّه ، وفي ممارسته شدَّه . لا يزال طالباً ما لا يمكنه ، جالِباً لنفسه من الشَّرِّ والنَّكد ما يوهي جَلَدَهُ ويوهنه ، يتخيَّل حتى من حبيبه ، ويتحيَّل على من يكون من أنصاره ليجعَله بمنزلة رقيبه ، فمضى عمره في أنكاد ، وقضى وفي القلوب منه أحقاد .

ولم يزل على حاله إلى أن نقص كمالُه ، وذهبَ في طلَب الْمُحال رُوْحُه وماله .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في أوائل شهر ربيع الأول سنة اثنتين وستين وسبعُ مئة .

ومولده في نيف وسَبعُ مئة .

طلبَ الحديث في وقت ، ودار على الشيوخ ، وكتب الطباق ، وسمع من الحجّار ، والعفيف الآمدي .

وكان قد توجه لتوقيع الرّحْبَة ، ووكالة بيت المال عوضاً عنّي في سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، وأقام بها مدّة ثم حضر إلى دمشق .

---

* الوافي : ١٤٨/٢ ، والدُّرر : ٣٧١/٣ ، والنجوم الزاهرة : ١١/١١ ، وذيول العبر : ٣٤٦ .

(١) زاد في الوافي : « الهاشمي الجعفري » .

(٢) في الأصل و (ط) : « طلاّ » ، وأثبتنا ما في (ق) .

وتوجَّه لتوقيع جَعْبَر ، وأقام بها مُديدة ، وحضر إلى دمشق ، وباشَرَ ديوان[١] الأمير سيف الدِّين تنكز ـ رحمه الله تعالى ـ. ثم توجَّه إلى مصر ، وباشَرَ في ديوان الأسرى بدمشق ، وبيَده فقاهات في المدارس .

ولَمّا كان في أواخر أيام الأمير سيفُ الدِّين يلبغا نائب دمشق نزل له ابن البيَّاعة[٢] عمّا باسمه على كتابة الإنشاء بدمشق ، فدخل ديوان الإنشاء[٣] ، ثم إنَّه توجَّه إلى الحجاز في سنة ثمان وخمسين وسبع مئة ، وعاد مع الركب المصريّ . فاتفق أنَّه مات في تلك الأيام شرف الدِّين موقع غزة ، فاستخدمَه القاضي علاء الدِّين بن فضل الله في توقيع غزّة ، فحضر إليها ، وباشرها مدة بنفسٍ قويّة حتى على النُّوّاب . فنفرت القلوب منه ، وكثرت الشكاوى عليه بباب السُّلطان ، فرُسِم بعزله ، ومع عناية القاضي علاء الدِّين معَه خرَج منها ، وقد كاد يعطَب . وكان قد نزل عن بعض جهاته لقاضي غزة من[٤] مباشرة الأسرى ، وقام باسم أولاده على كتابة الإنشاء بدمشق ، وأخذ من القاضي الخطابة بجامع الجاولي ، والتدريس .

حَكى لي[٥] القاضي شرف الدِّين قاضي غزّة أنه صعد المنبر ، فقال : الحمد لله . وسكت ساعة ، ثم قال : الحمد لله ، وسَكت ساعَة[٦] ، فعَل ذلك مراراً ! حتى إنَّه قال لي النائب : قُم أنت اخطب ، فخطبت عنه ذلك النهار ، ولَمّا حضر إلى دمشق رسم السُّلطان الملك الناصر حسن بإبطال من استجد بديوان الإنشاء بعد الشهيد ، فبَطَل هو لأنَّه كان قد قايض قاضي غزّة بماله على كتابة الإنشاء من الأيام الشهيدية ، وأبقى له على ذلك ما استُجِدَّ ، فجرت بينه وبين[٧] القاضي مخاصمات ومحاورات ومحاكمات كادت

---

(١) في (ق) ، (خ) : « في ديوان » .

(٢) مُحَمَّد بن سليمان ، ستأتي ترجمته .

(٣) هنا تنتهي ترجمته في الوافي .

(٤) (ق) : « عن » .

(٥) (ق) ، (خ) : « لنا » .

(٦) ليست في (ق) ، (خ) .

(٧) (ق) ، (خ) : « منه ومن » .

تفضي إلى ملاكمات ، ولم يثبت له شيء ، فتوجَّه إلى مصر ، فمرضَ مرضَةً طويلة بالبيمارستان المنصوريّ ، ثم إنَّه خرج في محارة مع العرب ، فلَمَّا كان بين سِرياقوس والقاهرة ، أو بعد سِرياقوس ، توفِّيَ - رحمه الله تعالى - فحمله العَرب إلى بُلْبيس ، ودُفن بها عفا الله عنه وسامَحَه .

وكان أولاً يعرف بالزَّيْنَبي ، ثم إنَّه أخيراً كتب عن نفسه الجعفري . وكان إذا خاصَم أحداً يقول : أنا ابن بنت رسول الله ﷺ ، فقلت له : يا مولانا السيِّد كنّ ، أعرف ما تقول إن كنت جعفريّاً فهذه نسبَة إلى جعفر الطَّيار أخي علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وجعفر ما تزوَّج ببنت رسول الله ﷺ ، والذي تزوَّج بها أخوه علي بن أبي طالب ، فإن أردت النسبة إلى بنت رسول الله ﷺ فقل أنا علويّ ، لأنَّك تكون من أولاد الحسن أو الحسين رضي الله عنهم . فأخجله هذا ، ولم يرجع عن هذه الدعوى ، سامَحه الله وعَفا عنه .

وكان مُبغَّضاً إلى كل[1] من يرافقه من فقهاء المدارس ، وكُتّاب الجامع الأُمويّ وكُتّاب الإنشاء حتى أنشدني فيه بعض الناس :

يـاحِبّ لي فيـك واشٍ ... بَيْني وَبينَك يُوقِعْ
ومَالَهُ مِن مُحبٍّ ... مثل الشّريف المُوَقّعْ

وأنشدني من لفظه لنفسه القاضي شمس الدِّين محمد بن شرف الدِّين عيسى بن قاضي شهبة في ذلك :

ولرُبَّ خِلٍّ قالَ لي يُهنيك قد ... عَطَف الحبيبُ وزارَ بعد تَجنُّبِ
وكَسَتْكَ أيدي الدَّهرِ ثَوبَ شَبيبَةٍ ... ماعِشْتَ عنك جَديدُهُ لم يَذْهَبِ
وأنا لَكَ الدَّهْرُ الخؤونُ قيادَهُ ... وأمِنتَ من صرفِ الرَّدى المتغلّبِ
وصَفَتْ لكَ الدُّنيا ووُسِّعَ رِزْقُها ... فتملَّ بالمحبوب واشرَبْ واطرَبِ
فأجَبتُ قد أفْرَحْتَ لكن لم تَقُل ... وكذاكَ قد ماتَ الكمالُ الزَّيْنَبي

---

(١) ليست في (ق) ، (خ) .

وأنشدني من لفظه لنفسه غير ذلك في هذا المعنى ، والجميع مُثْبَتٌ في الجزء الثالث والثلاثين من (التذكرة) التي لي .

١٤٧٥ ـ محمد بن أحمد بن علي بن عبد الكافي*

الشيخ تقي الدِّين أبو حاتم ابن الشيخ الإمام العلاّمة بهاء الدِّين أبي حامد ابن شيخ الإسلام قاضي القضاة تقي الدِّين السبكي الشافعي .

تقدَّم ذِكْرُ جَدِّه وذِكرُ عمِّه في مكانيهما من حرف العين والحاء .

شابٌّ شبَّ على الهدى ، ودبَّ إلى النَّدى ، وحثَّ[1] في طلب العلم ، ودبَّ في حمى[2] الكَرَم والحِلم ، فخطب ودرَّس ، وسرى إلى المعالي وما عَرَّس ، ما وصل هلاله إلى الإبدار ، ولا انفصل زلاله عن الإكدار حتَّى قُصِفَ غُصنُه المائل ، وخُسِفَ بدره الكامل ، وفُجع به أبوه وعمّه ، ودفع إلى كل منهما فيه هَمُّه وغَمُّه ، فعطلت غصون المنابر من وَرْقائه ، وخملت فنون المدارس من إلقائه .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في ...[3] من شهر رجب الفرد سنة أربع وستين وسبع مئة .

ومولده في غالب الظنّ في شهر رجب الفرد سنة خمس وأربعين وسبع مئة .

كان هذا تقي الدِّين أبو حاتم قد نشأ أحسنَ نشأة ، ورَبِي خَير مَرْبى ، اجتهدَ جدُّه قاضي القضاة تقي الدِّين رحمه الله تعالى لَمّا كان عنده بدمشق ، وحفَّظه القرآن ، و(التنبيه) ، و (العُمدة) في الأحكام . وحفظ هو بالديار المصريّة كتاب (جمع

---

* البداية والنهاية : ٣٠١/١٤ ، والذَّيل التّام : ١٩٧ .

(١) في (ق) ، (ط) : « وخب » .

(٢) (ق) : « وذبّ عن حمي » ، وهي أشبه .

(٣) كذا بياض في الأصول ، وعبارة ابن كثير : « في أواخر شهر رجب » .

الجوامع) لعَمِّه قاضي القضاة تاج الدِّين . وولاه السُّلطان مدارس والده وخطابة جامع ابن طولون ، فقام بجميع ذلك أتمَّ قيام ، وسَدَّ وظائفه كلَّها على أحسن نظام ، ولبسَ تشريفاً في دمشق وألقى به الدرس في العادليّة في حياة جدِّه سنة ستٍّ وخمسين وسبع مئة ، وعمره يومئذ دون الاثنتي عشرة سنة .

وعلى الجملة ، فكان من نجباء الأبناء ، ولكن جاءه أجَلَهُ مبكِّراً .

ولَمّا مات توجَّه والدُه إلى الحجاز ولحق بالركب الرّجبي ، ولم يلق بعده قراراً ، وضاقت رحاب القاهرة به[(١)] ، وهو معذورٌ في هذا الولد إذا ضاقت به الأرض فضلاً عن البَلد .

وكتبتُ إلى عمِّه قاضي القضاة تاج الدِّين أعزِّيه بقصيدة هي :

الْمَوتُ حَتْمٌ يا أبا حاتِمِ ... وغَيْرُ مُسْتَثْنىً بَنو آدَمِ
وليسَ تَنجو من ورودِ الرَّدى ... لا نَفْسُ مَخْدومٍ ولا خادِمِ
وكلّ عُمْرٍ فلَهُ عُرْوَةٌ ... ولا بُدَّ أن تُفْضِي إلى فاصِمِ[(٢)]
والْمَوْتُ يَقْظانُ لِهذا الوَرى ... وكلُّنا في غَفْلَةِ النّائمِ
كالذّودِ في الرَّعي بهِ غفلةٌ ... عَن مُلتقى جزّارِهِ الغاشِمِ[(٣)]
وكلُّنا يَسْعَى إلى غايَةٍ ... لا بُدَّ من إدراكِها اللازِمِ
ونَشرَبُ الكأسَ التي ذقتَها ... من كَفِّ ساقٍ لِلْمُنى حاسِمِ[(٤)]
وقَد تَساوى النّاسُ في شُرْبِها ... تَأْتي على الْمُحْسِنِ والْجارِمِ[(٥)]
لَهْفي على نَجْمِكَ لَمّا هَوَى ... وليلِ شَعْرٍ للصَّبا فاحِمِ

(١) (ق) : « به بعده » .
(٢) في الأصل : « قاصم » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .
(٣) في الأصل : « كالدود » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، وفيهما أيضاً : « المرعى » .
(٤) فيلاأصل : « وتشرب » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .
(٥) في الأصل : « والجازم » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

[لَهفي على علمِــكَ ذاكَ الــذي قــد كُنتَ فيــهِ نَــدرَة العــالمِ] (١)
ودرســكَ الفِقْـه الــذي قــالَ فيــهِ النّـاس مـا دارَ على الــدّارمي
كأنَّ مِن جــدّكِ فيـــه غَـــدا جَـــدُّكَ يُمليــــهِ على الرّاقمِ
كــذلـــكَ التَّفسيرُ قــالــوا أبــو حيّــانَ حيٌّ أو أبــو حــاتمِ (٢)
كَم مِنبرٍ تَحتــكَ يَهتَــزُّ مِن بَـلاغَـةٍ مـا حـازَهـا الغـانمي
تُملي عليــه خُطَبــاً سَجْعُهــا كالـدُّرِّ يُـزهى في يَـدِ النّـاظمِ
فَصــاحــة يعجَبُ مِن لَفظِهــا الــجــاحِــظُ والرّاغبُ والحــاتمي
وأنتَ في أعــلاهُ قمريّــة وذاكَ مثــل الغُصنِ النّــاعمِ
فمــا لَنـــا اليَـومَ ولا للعُـلا ولا دروسَ العِلمِ مِن راحمِ
وكلّنـــا بعـــدَكَ في ضَيْعَــةٍ كالــذَّودِ إذْ أمسى بــلا ســائمِ
لَهفي على الشَّيـخِ أبيــكَ الــذي تَركْتَــهُ بَعْــدَكَ كالهــائمِ
قَـــد كانَ عن بَلْـواهُ في غَفْلَــةٍ بَـل كانَ في إغفــاءَةِ الحَــالمِ
فــاعتــاقَــهُ صَرفُ الرّدَى دونَ مــا أمّلــهُ في ظنّــهِ الــزّاعمِ (٣)
قَـد كُنتَ منـهُ مثـلَ مـا قـالَ عَبــدُ اللهِ في أمرِ ابْنِــهِ ســالمِ
جلــــدَةٌ بينَ العَينِ لكنَّــــهُ راحَ بــأنفٍ في الــوَرَى راغمِ (٤)
هَـجَّ إلى مَكَّـــة مِن حُــزْنِــهِ يَعَضُّ كَفَّ النّــادمِ السّــادمِ
وأمَّ بيتَ اللهِ مُسْتَصْرِخــــاً في الضُّرِّ بــالصَّفـوَةِ مِن هــاشمِ
رُحْتَ إلى اللهِ خَفيفَ المَطــــا غَيْرَ مُسيءٍ لا ولا آثمِ

---

(١) زيادة من (ق) ، (ط) .

(٢) في الأصل : « قالوه أأبو » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

(٣) اعتاقه أي : منعه .

(٤) يشير إلى قول عبد الله بن عمر في ابنه سالم :

يــديرونني عن ســالمٍ وأريفــه وجلــدةُ بينَ العينِ والأنفِ ســالم

انظر : اللسان (سلم) .

تُصافِحُ الوِلْدانَ والْحُورَ في جَنّاتِ عَدْنٍ برِضىً دائِمِ
فأيْنَ تِلْكَ الحركاتُ التي أنحى عليها الْمَوتُ بالجازِمِ(١)
لَهْفي على نَفسي فقَد كُنتَ لي رُكْناً مَحتّهُ صَدمَةُ الهادِمِ
أراكَ في الأنصارِ لي عُدَّةً ولم أخَلْ أنَّ الرَّدى فاطِمي
وكنتُ مِن شَوقٍ كَطَيرٍ قَدِ انْقَضَّ إلى مَنْهَلِهِ حائِمِ
وكانَ ذاكَ البعدُ من قبلِ ذا دخانَ هذا الضَّرمِ الْجَاحِمِ
كَمْ قلتُ لَمَّا أن سَمِعتُ الَّذي يَسُرُّني مِن خَبَرِ القادِمِ
تُرى أرى النّاشي وقَد خصَّني بنَظمِهِ الزّاهِيْ على النّاجِمِ
وهَل أرى ذاكَ الْمُحَيّا الذي بارِقُهُ راقَ لدى الشّائِمِ
والآنَ لا الصَّبرُ غَدا نافِعي وليسَ من بَحرِ البُكا عاصِمي
تعَزَّ يا مَولايَ عَن ذاهِبٍ مَضى بِهِ سَيلُ رَدًى عارِمِ
وأنتَ من بيتٍ دَرارِيِّهِ أمْثالُ الذَّراري في الدُّجى العاتِمِ
قَد زَيَّنوا الدَّهرَ الذي ضَمَّهُم فراحَ ذا ثَغْرٍ بهم باسِمِ
واصْبِرْ لِخَطبٍ قد عَرا واحْتَسِبْ تَظْفَرْ بأجْرِ الصّائِمِ القائِمِ
واللهُ يَسقي تُرْبَ مَن قَد مَضى صَوْبَ الْحَيا مِن جودِهِ السّاجِمِ(٢)

١٤٧٦ ـ محمد بن أحمد بن بَصْخان*

بفتح الباء الْمُوَحَّدة وسكون الصّاد الْمُهْمَلة ، وبعدها خاء مُعجمة وألف ونون ، ابن عين الدولة ، شيخ القُرّاء بدمشق ، الشيخ الإمام بدر الدِّين أبو عبد الله بن السَّرّاج الدِّمشقي ، المقرئ النَّحوي .

(١) في الأصل : « فإنَّ » ، وأثبتنا مافي (ق) ، (ط) .
(٢) هنا ينتهي الجزء الثامن من نسخة (ط) ، والجزء الثامن أيضاً من (ق) .
* الوافي : ١٥٩/٢ ، ونكت الهميان : ٢٣٩ ، ووفيات ابن رافع : ١٧٨/١ ، والدُّرر : ٣٠٩/٣ ، وغاية النهاية : ٥٧/٢ ، وبغية الوعاة : ٢٠/١ .

سمع الكثير بعد الثمانين من أبي إسحاق اللمتوني ، والعزّ بن الفرّاء ، والإمام عزّ الدّين الفاروثي ، وطائفة . وعُني بالقراءات سنة تسعين وبعدها ، فقرأ لِلْحَرَمِيَّيْن[١] وأبي عَمْرو عَلى رضيِّ الدِّين بن دبّوقا ، ولابن عامر عَلى جمال الدِّين الفاضلي[٢] ، ولم يكمل عليه ختمة الجمع ، ثم كَمَّل على الدِّمياطي وبرهان الدِّين الإسكندري ، وتَلا لعاصم ختمة على الخطيب شرف الدِّين الفَزاري ، ولازَمَه مُدَّةً ، وقرأ عليه القصيدة لأبي شامة .

قال شيخنا شمس الدِّين الذَّهبي : وتَرَدَّدْنا[٣] جميعاً إلى الشيخ المجد[٤] نَبْحَثُ عليه في القصيد ، ثم إنَّه حجَّ غير مَرَّة ، وانجفل عام سبع مئة إلى مصر ، وجلسَ في حانوت تاجر[٥] ، وأقبل على العربية فأحْكَمَ كثيراً منها ، وقدم[٦] دمشق بعد ستة أعوام ، وتصدَّى لإقراء القراءات والنحو ، وقَصَدَه الطَّلَبة ، وظهرت فضائله ، وبَهرت معارفه ، وبَعُد صيته ، ثم إنه أقرأ لأبي عَمْرو بإدغام ﴿ الْحَمير لِتَرْكَبوها ﴾[٧] ، وبابه[٨] ورآه سائغاً في العربيّة ، والتزم إخراجه من القصيد ، وصمّم على ذلك ، مع اعترافه بأنَّه لم يَقُلْ به أحد ، وقال : أنا قَدْ أُذِنَ لي في الإقراء بما في القصيد ، وهذا يخرج منها .

---

(١) هما : نافع وابن كثير .

(٢) أشار إليه صاحب غاية النهاية : ٢٧٠/٢ .

(٣) في الأصل : « وردنا » ، وأثبتنا ما في (خ) ، والوافي .

(٤) هو المجد التونسي ، سلفت الإشارة إليه .

(٥) في (خ) والوافي : « تاجراً » .

(٦) في الأصل : « وقد » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي .

(٧) سورة النَّحل : ٨/١٦ . وانظر : الكشف عن وجوه القراءات لمكي : ١٥٧/١ ، والنشر في القراءات العشر : ١٢/٢ .

(٨) في الأصل : « وبانه » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي . ويريد بقوله : « بابه » أي : باب إدغام الراء باللام .

فقام عليه شيخنا المجد وابن الزملكاني وغيرهما ، فطلّبه قاضي القضاة ابن صَصْرى بحضورهم ، وراجعوه وباحثوه فلم ينتهِ ، فمنَعَهُ الحاكم من الإقراء بذلك ، وأمره بموافقة الجمهور ، وذلك في عشري شهر[(١)] ربيع الأول سنة أربع عشرة وسبع مئة ، فتألَّم وامتنع من الإقراء جُملة . ثم إنَّه استخار الله تعالى في الإقراء بالجامع ، وجلسَ للإفادة ، وازدحم عليه المقرئون وأخَذوا عنه ، وأقرأ العربيّة .

قال : وذهنه مُتَوسِّط لا بأس به ، ثم ولِيَ بلا طلب مشيخةَ التُّربَة الصّالحيّة بعد مجد الدِّين التونسي بحكم أنَّه أقرأُ مَنْ بدمشق في زمانه ، انتهى .

قلت : وكان بَهِيَّ الْمُحَيّا ، يَطْوي السُّكون طَيّا ، ظاهِرَ الوَقار ، بادِيَ التَّكبر على الناس والاحتقار ، نظيفَ اللِّباس ، طيِّبَ الرائحة في الانطلاق والاحتباس[(٢)] ، ظريفَ العِمامَه ، كأنَّه مِنْ بياض ثيابِهِ حَمامَه ، له قُعْددٌ في جُلوسه ، وتَسَدُّد[(٣)] في ناموسه ، وكذا إذا مشى لا يلتفتُ ولو زَحَمه اللَّيث والرَّشا . وإذا كان في حالة تصدُّرِه للقراءة يتلبَّسُ بالتَّوفُّر على التَّوقُّر والأناة ، لا يتنحَّم ولا يتلفَّت لا يعير بصره [وسمعه] غيرَ من يقرأ عليه[(٤)] إن عَطَس أو شمَّت ، مشغولاً بمن قَدْ أمَّه قُدّامَه ، مَجموع الحواس على القارئ الذي جعله [إمامه][(٥)] أمامَه :

ويَبْقى على مرِّ الحوادِثِ صَبْرُهُ ويَبْدو كما يَبْدو الفِرَنْدُ على الصَّقلِ

ولم يزل على حاله إلى أن مات به شاطبيُّ عصره ، وأُنزل إلى قعر لحدٍ من علوِّ مجده في قَصْرِه .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في خامس ذي الحجة سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة .

---

(١) في الوافي : « في العاشر من شهر » .

(٢) (خ) : « والاحتباء والاحتباس » .

(٣) (خ) : « تشدّد » .

(٤) في الأصل : « يعير بصره غير من يقرأ عليه » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٥) زيادة من (خ) .

ومولده سنة ثمان وستين وست مئة .

واشتُهِر[١] عنه أنَّه كان لا يأكل اللحم إلا مصلوقاً والحلاوة السُّكّرية لا غير . وقيل إنَّه لم يأكل المشمش في عمره ؛ ومن شعره في المشمش :

قَد كَسَرَ المشمشُ قَلبي ولَم ... أكسِر لَهُ لَمَّا أتى قَلْبا[٢]

لسِعْره الغالي وعُسْري معاً ... وأسْتَحي أن ألقُطَ الْحَبّا

وكان له ملك يرتفق بمصالحه ، ولم يتناوَلْ مِنَ الجهات دِرْهماً ولا طلب جهةً كال أهليته .

وكان يدخل الْحَمَّام وعلى رأسِه قبع لِبّاد غليظ إذا تغسَّل رفعَهُ وإذا أبطل قَلْبَ الماء أعاده ، فأفادَهُ ذلك ضُعفاً في بَصَره ، وكان طيِّب النغمَة .

دخَل يوماً هوَ والشيخ نجم الدِّين القحفازي في دَرْب العجَم وفيه ظروف زيت ، فعثر في أحدها ، فقال نجم الدِّين : تَعِسْنا في ظَرَف المكان . فقال له الشيخ بَدر الدِّين : لا بل تمشي بلا تمييز ، فقالَ : إنَّ ذا حال نحس .

وقد أجاز لي رحمه الله جَميعَ ما صَنَّفه ونظمه بخطِّه سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

وأنشدني شمسُ الدِّين مُحَمَّد الخياط الشاعر ، قال : أنشدني من لفظه لنفسه[٣] :

كُلَّما اختَرْتَ أن تَرى يوسُفَ الْحُسـ ... ـنِ فَخُذ في يَمينِكَ المِرآة

وانظُرَنْ في صَفائِها تُبصِرَنْهُ ... واعْذُرَنْ مَنْ لأجْلِ ذا الحسنِ باتا

لا يَذوقُ الرُّقادَ شَوقاً إليه ... قَلِقُ القَلْبِ لا يُطيقُ ثَباتا

(١) في الأصل : « وأشهر » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي .

(٢) (خ) والوافي : « منذ أتى » .

(٣) الأبيات في البغية .

قُلتُ : كان الشيخ بدر الدِّين رحمَهُ الله تعالى لَمّا سَمِع كلام الناس في كلام هذه المادة مثل قول القائل :

مـــا أخـــذَ المرآة في كفِّـــه ... يَنظرُ فيهــا للجمالِ الْمَصُــونْ
إلاّ رأى الشَّمسَ وبَــدْرَ الــدُّجى ... ووَجْهَــهُ في فلـــكٍ يَسبَحــونْ[1]

وقَولِ أبي الْحَسَن بن يونس بن عبد الأعلى[2] :

يَجري النَّسيمُ على غـلالــة خَــدِّهِ ... وأرقُّ منـــهُ مـــا يَمرُّ عَلَيـــهْ
نــاوَلْتُـــه المرآة ينظرُ وَجْهَـــهُ ... فعَكستُ فتنَـةَ نـاظريـه إليَـهْ

وقول الآخر :

وأهيَفُ ظـــلَّ بـــالمرآةِ مغرًى ... يُـواظِبُ رؤيَـةَ الـوَجْـه الْمَليـحِ
يَقـولُ طَلَبْتُ مَعْشـوقـاً مَليحـاً ... فَلَمَّـا لَم أجِــدْهُ عَشِقْتُ روحي

وقول الآخر :

أخَـــذَ المِراةَ بكفِّـــه كيما يَرى ... فيهـا مَحـاسِنَ وَجْهِـه فتَحَيَّرا
مـا كانَ يَـدْري مـا جَنَتْ عَيْني على ... قَلبي فَحينَ رَأى مَحـــاسِنَـــهُ دَرى

وقول الآخر :

عَجِبْتُ لِبَـدْرِ التَّمِّ أصبحَ عـاشِقـاً ... هـلالاً وأمْسَى مُغْرَمـاً فيـه قَلبُـهُ
ولـو أخَـذَ المِرآةَ يَنظرُ وَجْهَـــهُ ... لأبصرَ مـا يُسليـــهِ عَمَّن يُحِبّـــهُ

وقول ابن السَّاعاتي :

---

(١) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ لا الشَّمسُ يَنْبَغي لَها أن تُدرِكَ القَمَرَ ولا اللَّيلُ سابِقُ النَّهارِ وكُلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحونَ ﴾ ، [سورة يس : ٤٠/٣٦] .

(٢) هو أحمد بن يونس (ت ٣٠٢ هـ) ، وفيات الأعيان : ٢٥٣/٧ .

يَقولُ مـــاذا تَرى وفي يَـــدِهِ مِرآتُـــهُ وهـو نـــاظِرٌ فيهـــا
قُلتُ أرَى البـــدرَ في السَّماءِ وقـــد أفـــاضَ نـوراً على نـواحِيهـــا

وقلت أنا في هذه المادة :

لـوأخَـذتَ المرآةَ يــامَن سَبـاني لَتَرى طَلعَـــةً سَمَتْ كُـلَّ بَـــدْرِ
وتَحَقَّقْتَ أنَّ عُـــــذري بـــادٍ في غَرامي وفي تَهتُّـــــكِ سِتْري

وللناس في هذا كثير ، وهذا القدر كافٍ .

وأراد الشيخ بدر الدِّين أن ينظم مثل ذلك في رِقّته وطلاوة تراكيبه فأتى بما أتى وزاد عُلوّاً في الثقالة وعَتا .

وأنشدني شمس الدِّين الخيّاط أيضاً ، قال : أنشدني لنفسه في مليح دخل الْحَمَّام مَعَ عَمِّه ، فلَمَّا جَعَل السّدر على وجهه قلبَ الماء عليه عَبْدٌ أسوَد كان هناك :

وبِروحي ظَبيٌ على وَجهِـــهِ السّـــــر وقَـد أغْمَضَ الْجُفـون لـذلـكْ[1]
قـــائـلاً عنـــدَ ذاكَ حينَ أتـــاهُ يسكبُ الماءَ عَليـهِ أسوَد حـالِـكْ
مَن تَرى ذا الــــــذي يصبّ أعَمّي قُلْتُ بَل ذا الذي يصبّ كخالِـكْ[2]

قلتُ : قد حقّق الشيخ بدر الدِّين رحمه الله تعالى ما قيل عن شعر النُّحاة من الثّقالة ؛ على أنني ما أعتقد أن أحداً رضي لنفسه أن ينظمَ هكذا ، والذي أظنه أنَّه تعمَّد هذه التراكيب القلقة[3] وإلاّ فما في طباع أحد يعاني النظم هذا التَّعاظُل ، ولا هكذا[4] التَّعسُّف ولا هذه الركّة ، ولكني المعاني جيِّدة ، فهي عروسٌ تجلى في ثياب حِداد .

(١) في الأصل : « وبروحي ظلّي على السّدر وجهه » ، كذا ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي .
(٢) في الأصل : « قابل ذا » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي .
(٣) في الأصل : « القلعة » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٤) (خ) : « ولا هذا » .

١٤٧٧ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز*

الشيخ الإمام الحافظ[١] شمسُ الدِّين أبو عبد الله الذهبي ، شيخنا الإمام حافظ الشام[٢] .

كان في حفظه لا يُجارى ، وفي لفظه لا يُبارى ، أتقن الحديث ورجالَه ، ونظر علَله وأحوالَه ، عَرَف تراجم الناس ، وأزال الإبهام في تواريخهم والإلباس ، مع ذِهْنٍ يتوقَّد ذكاؤه ، ويصحُّ إلى الذهب نَسَبُهُ[٣] وانتماؤه .

جَمَع الكثير ، ونفع الجمّ الغفير ، وأكثرَ من التصنيف ، ووفَّر بالاختصار مُونَةَ التطويل في التأليف ، وكتب بخطِّه ما لا يُحْصى ، ولا يوقف له على حدٍّ يُسْتَقصر ولا يستقصى[٤] .

ومنذ انتشا لم يُضَع له زمان ، ولا ظفر الفراغ منه بأمان ، أخَذْنا من فوائده الجليلة وفرائدِه الجميله ، وأضحَت دمشق بعده من فنِّه دِمنةً والعيونُ كليله :

أطل على الأخبارِ مِنْ كُلِّ وِجهَةٍ وشارِفَها من كلِّ شَرْقٍ ومَغْربِ

وأضرَّ قبل موته بسنوات[٥] ، وحصل للناس بذلك في تلك الحال هَفَوات .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبحَ الذَّهبيّ وقد ذَهَبْ ، ونهبَ الأجَلُ من عُمرِه ما وَهَبْ .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في ثالث ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وسَبع مئة ، ودفن في مقابر باب النصر .

---

* الوافي : ١٦٣/٢ ، وفوات الوفيات : ٣١٥/٣ ، والبداية والنهاية : ٢٥٥/١٤ ، ووفيات ابن رافع : ٢٤٩/١ ، والدُّرر : ٣٣٦/٣ ، وغاية النهاية : ٧١/٢ .

(١) (خ) : « العلاَّمة الحافظ » .

(٢) (خ) : « وأحد حُفّاظ الشام » .

(٣) (خ) والوافي : « نسبته » .

(٤) (خ) : « يُستقصر لَمّا يُستقصى » .

(٥) عبارة الوافي : « بأربع سنين » .

ومولده سألته عنه فقالَ : في ربيع الآخر سنة ثلاث وسَبعين وستّ مئة .

وقلت أنا[١] أرثيه :

لَمّا قَضى شيخنا وعالِمُنا ... وماتَ فَنُّ التّاريخِ والنَّسَب
قُلْتُ عَجيبٌ وحقٌّ ذا عَجَب ... كيفَ تَخطَّى البِلى إلى الذَّهبِ[٢]

وقلت فيه أيضاً :

أشَمسَ الدِّينِ غِبْتَ وكلُّ شَمسٍ ... تَغيبُ وزالَ عَنّا ظِلُّ فَضْلِك
وكم ورّخت أنتَ وفاةَ شَخْصٍ ... وما ورَّخْتُ قَطُّ وفاةَ مِثْلِك

وارتحل وسَمع بدمشق وبَعلبك وحمص وحماة وطرابلس ونابلس والرَّملة وبُلْبيس والقاهرة والإسكندريّة والحجاز والقدس وغيرها .

سَمع بدمشق من عمر بن القواس وغيره ، وببعلبك من عبد الخالق بن علوان[٣] وغيره . وبالقاهرة من الحافظين ابن الظاهري والشيخ شرف الدِّين الدّمياطي ، ومن الشيخ تقي الدِّين بن دقيق العيد ، ومن أبي المعالي الأبرقوهي . وسمع بالإسكندريّة من الغَرافي وغيره .

وسمع بمكة من التوزري[٤] وغيره ، وسمع بنابلس مِنَ العماد بن بَدْران[٥] ، وباشَرَ تدريس الحديث بالتربة الصّالحيّة بدمشق عوضاً عن الشيخ كمال الدِّين بن الشُّرَيْشيّ .

---

(١) (خ) : « أنا فيه » .

(٢) في (خ) والوافي : « عجباً » .

(٣) (خ) : « ابن علوان القاضي » ، وعبد الخالق بن علوان هو تاج الدِّين البعلبكي (ت ٦٩٦) ، وقد سلفت ترجمته في موضعها .

(٤) في الأصل : « التورزي » ، وأثبتنا ما في (خ) ، وهو عثمان بن مُحَمَّد بن عثمان (ت ٧١٣ هـ) ، وقد سلفت ترجمته في موضعها .

(٥) عبد الحافظ بن بدران بن شبل المقدسي النابلسي (ت ٦٩٨ هـ) ، وقد سلفت ترجمته في موضعها .

أخبرني شيخنا العلاَّمَة تقي الدِّين قاضي القضاة قـالَ : عُـدْتُـه ليلـةَ مـات ، فقلتُ له : كيف تَجِدُك ؟ فقال : في السِّياق .

وكان قد أضرَّ قبل مَوته بـأربع سنين أو أكثر بمـاء[١] نزلَ في عَينَيْـهِ ، وكان يتـأذَّى ويَغْضب إذا قيل له : لو قَـدَحْتَ هـذا لرجع إليـك بصرك ، ويقول : ليس هـذا بمـاءٍ ، وأنا أعْرَفُ بنفسي ، لأنَّ بَصري لا زال ينقص قليلاً قليلاً إلى أن تكامل عُدْمُه .

اجتمعتُ بـه غيْرَ مرة ، وقرأت عليـه كثيراً من تصـانيفـه . ولم أجـد عنـده جُمـود المحدِّثين ولا كَوْدنة[٢] النَّقَلَة ، بل هو فقيهُ النظر ، له دُربَـة بـأقوال النـاس ، ومَـذاهب الأئمة والسَّلَف وأرباب المقالات .

وأعجبني ما يعانيه في تصانيفه من أنَّه لا يتعدَّى حديثاً يُورده حتى يُبَيِّن ما فيه من ضعفِ متنٍ أو ظـلامِ إسنـادٍ أو طعنٍ في روايـة[٣] وهــذا لم أرَ غيرَهُ يراعي [هــذه][٤] الفائدة فيما يورده .

ومِنْ تصانيفه (تاريخ الإسلام)[٥] ، وقد قرأت عليـه [منـه][٦] المغـازي والسيرة النَّبويّة إلى آخر أيام الْحَسَن ، وجميع الحوادث إلى آخر سنة سبع مئة . وكانت القراءة[٧] في أصْلِه بخطه ، و (تاريخ النبلاء) ، ونقل عنِّي فيه أشياء ، و (الـدول الإسلاميَّـة) و (طبقات القُرّاء) سمّاه : (مَعْرِفة القرّاء الكبار على الطبقات والأعصار) ، تنـاولتـه منه ، وأجازني روايته عنه ، وكتبت أنا عَليه :

---

(١) في الأصل و (خ) : « بما » ، وأثبتنا ما في الوافي ، ويرجحه ما سيأتي .
(٢) الكودن : الفرس الهجين .
(٣) في الوافي : « رواته » .
(٤) زيادة من (خ) والوافي .
(٥) هو سير أعلام النبلاء ، وقد طبع محققاً في مؤسسة الرسالة .
(٦) زيادة من (خ) والوافي .
(٧) في الأصل : « الهراة » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي .

عليكَ بهـذهِ الطَّبقـاتِ فـاصْعَـدْ إليهـا بـالثَّنـا إن كُنْتَ راقي[١]
تَجِـدهـا سَبْعَـةً من بعـدِ عَشر كَنَظْمِ الـدُّرِّ في حسنِ اتِّسـاقِ[٢]
تُجَلِّي عَنْـكَ ظُلمـةَ كلِّ جَهْـلٍ بـهِ أَضْحى مقـالُـكَ في وِثـاقِ
فنـورُ الشَّمسِ أحسَنُ مـا تراهُ إذا مـا لاحَ في السَّبْـعِ الطِّبـاقِ

و (طبقات الحفّاظ) مجلدان ، (ميزان الاعتدال في الرجال) في ثلاثة أسْفار ، كتابُ (الْمُشتَبه في الأسماء والأنساب) ، (نبأ الدَّجّال) مجلد ، (تَذْهيب التَّهذيب) ، (اختصار تهذيب الكمال) للحافظ شيخنا المزّي ، اختصار كتاب (الأطراف) أيضاً للمزّي ، (الكاشف) ، (اختصار التذهيب) ، (اختصار السُّنن الكبير) للبَيهَقي ، تنقيح أحاديث (التَّعليق) لابن الجوزي ، (الْمُستَحلى في اختصار المحلّى) ، (المقتَنى في الكُنى) ، (الْمُغْني في الضُّعفاء) ، (العِبَرَ في خبر مَن غَبر) ، مجلَّدان ، (اختصار المستدرك) للحاكم ، (اختصار ابن عساكر)[٣] في عشرة أسفار ، (اختصار تاريخ الخطيب) مجلَّدان ، وملكتُها بخطِّه ، (اختصار تاريخ نيسابور)[٤] مجلَّد ، (الكبائر) جزءان ، (تحريم الإدبار) جزءان ، (أخبار السُّدّ) ، (أحاديث مختصر ابن الحاجب) مَلكته بخطه ، (توقيف أهل التوفيق على مناقب الصِّدِّيق) ، (نِعَم السَّمَر في سيرة عُمَر) ، (التبيان في مناقب عثمان) ، (فتح المطالب في أخبار علي بن أبي طالب) ، قرأته عليه كاملاً ، (معجم أشياخه) ، وهم ألف وثلاث مئة شيخ ، ومَلكته بخطِّه ، (اختصار كتاب الجهاد) لبهاء الدِّين بن عساكر ، (ما بعد الموت) [مجلَّد][٥] ، (اختصار كتاب القَدَر) للبيهقي ثلاث مجلدات ، (هالة البدر في عَدَد[٦]

(١) كذا ، وله شاهد من قول الحطيئة :

لمـا بَـدا لي منكُم عيبُ أنفسِكُم ولم أجِـدْ لجراحي فيكُم آسي

(٢) في الأصل : « من عشر كنّا » ، كذا ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي .

(٣) (خ) والوافي : « تاريخ ابن عساكر » .

(٤) لِمُحَمَّد بن علي الكعبي ، انظر : كشف الظنون : ٣٠٨/١ .

(٥) زيادة من (خ) والوافي .

(٦) في الأصل : « عذر » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي .

أهل بدر) ، (اختصار تقويم البلدان) لصاحب حماة ، (نفض الْجُعْبَة في أخبار شُعْبَة)[١] ، (قَضّ نهارك في أخبار ابن المبارك)[٢] ، (أخبار أبي مسلم الْخُراساني) ، وله في تراجم الأعيان في كلٍّ[٣] واحد مصنّف قائم الذّات مثل الأئمة الأربعة ، ومن جرى مَجراهُم ، ولكنه أدخل الكل في (النبلاء) ، ومن تكلّم فيه ، وهو موثّق ، كَتَبْتُه من خطّه ، وقرأته عليه ، و (الثلاثين البلديّة) كتبتها من خطّه[٤] ، وقرأتها عليه .

وكتب بخطّه من الأجزاء شيئاً كثيراً ، وملكْتُ منها جملة .

أنشدني من لفظه لنفسه ، وجوّد ما شاء :

إذا قَرأ الحديثَ عَلي شَخصٌ وأخلى مَوضِعاً لِوَفاةِ مِثلي
فَما جازَى بإحسانٍ لأنّي «أُريدُ حياتَهُ ويُريدُ قَتلي»[٥]

فنظمت أنا وأنشدته :

خَليلُكَ ما لَهُ في ذا مُرادٌ فَدُمْ كالشَّمسِ في عُلْيا مَحلّ
وحَظّي أن تَعيشَ مَدى الليالي وأنّكَ لا تُمَلُّ وأنتَ تُملي

[٦] وأنشدني من لفظه لنفسه :

تَولّى شَبابي كأنْ لم يَكُن وأقبَلَ شَيبٌ عَلينا تَولّى
ومَنْ عايَن المنحنى والنَّقا فما بعدَ هذينِ إلاّ المُصلّى

(١) شعبة بن الحجّاج بن الورد ، أمير المؤمنين في الحديث (ت ١٦٠ هـ) ، سير أعلام النبلاء : ٢٠٢/٧ .

(٢) عبد الله بن المبارك الحنظلي (ت ١٨١ هـ) ، السير : ٣٣٦/٨ .

(٣) في الوافي : « لكلّ » .

(٤) في الأصل : « كتبتها من عليه من خطّه » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٥) عجز البيت تمثّل به غير واحد ، انظر : أمالي القالي : ١٤/١ ، واللسان ، والتاج (غدر) .

(٦) زاد في (خ) :
« فأعجبه قولي : (خليلك ماله في ذا مراد) كثيراً ، لأنه بقية البيت الذي ضمنه هو ، وهو :
أُريدُ حياتَهُ ويُريدُ قَتلي عَذيرَكَ من خَليلِكَ مِن مُراد »

قلتُ : الشيخ رحمه الله تعالى أخذ هذا من قول الأول :

ألا يـــا ســـاريـــاً في بَطنِ قَفْرٍ ... لِيَقْطَـعَ في الفَـلا وَعْراً وسَهْـلا
قَطَعتَ نَقـا الْمَشيبِ وبنتَ عنـهُ ... ومـا بعـدَ النَّقـا إلاّ المصلّى [(١)]

قلتُ : ولكن شيخنا العلامة رحمه الله تعالى زاد عليه (المنحنى) ، وهي زيادةٌ مليحةٌ ، زيادة من له ذوقٌ ، ولو كان لي في قوله حكمٌ لقلت : « ومن وَصَل المنحنى والنَّقا » » وهو أحسن ، وكذا في قول الأول لكان في حكم لقلتُ : « ليقطع في المدى » .

وكتب شيخنا الذّهبيّ رحمه الله تعالى إلى شيخنا العلاّمة قاضي القضاة تقي الدِّين السبكيّ ، ولعلَّه آخر شعرٍ نظمه :

تقيَّ الدِّين يـا قـاضي الْمَمَـالِـكْ ... ومَنْ نَحْنُ العبيـدُ وأنتَ مـالِـكْ
بَلغْتَ المجْـدَ في دِينٍ ودنيـا ... ونِلْتَ من العُلُـوِّ مَـدى كمالِـك
ففي الأحكامِ أقْضـانـا عليٌّ ... وفي الْخُـدّامِ مـع أنَسِ بن مـالِـكْ
وكابنِ مَعينٍ في حِفـظٍ ونَقـدٍ ... وفي الفَتـوى كسُفيـان ومـالِـكْ
وفَخرِ الـدِّين في جَـدَلٍ وبَحْثٍ ... وفي النَّحـوِ الْمُبرّدُ وابن مـالِـكْ
تَشَفَّـعَ بي أُنـاسٌ في فِراءٍ ... لِتَكسُـوَهم ولـو مِنْ رأسِ مـالِـكْ
لِتُعْطى في اليمينِ كتـابَ خيرٍ ... ولا تُعطى كتـابَـك في شمالِـكْ

ثم إنه استطرد إلى مديح ولدِه قاضي القضاة تاج الدِّين ، فقال بعد ذلك :

وللـذَّهبي إدلالُ الْمَـوالي ... على المـولى لِحِلْمِـكَ واحتمالِـكْ

وأنشدني من لفظه لنفسه :

لـو أنَّ سُفيـانَ على حفظِـهِ ... في بعضِ هَمِّي نَسي المـاضي
نَفسي وعرسي ثمَّ ضِرْسي سَعَـوْا ... في غربَتي والشَّيـخُ والقـاضي

---

(١) (خ) : « وبنت عليها » .

وأنشدني من لفظه لنفسه :

العِلْمُ: قالَ اللهُ قالَ رسولُهُ إن صحَّ والإجماع فاجهَد فيه
وحَذارِ من نصبِ الخلافِ جهالةً بَينَ الرَّسول وبين رأي فقيه

وأنشدني مِن لفظه لنفسه :

أفِقْ يا مُعَنّى بجَمعِ الْحُطامِ ودَرْسَ الكَلام ومَيْنٍ يُصاغُ[(١)]
ولازم تِلاوَةَ خَيْرِ الكَلامِ وجانِب أُناساً عن الحقِّ زاغُوا[(٢)]
ولا تُخْدَعَن عن صحيحِ الحديـ ـثِ فما في مُحِقٍّ لرأي مَساغُ[(٣)]
وما للتَّقيّ وللبَحْثِ في علومِ الأوائلِ يوماً فَراغُ
بلاغاً من اللهِ فاسْمَع وعِشْ قَنوعاً فما العَيشُ إلاّ بَلاغُ

ولَمّا توفّي شيخنا علم الدّين البرزالي ـ رحمه الله تعالى ـ تولّى الشيخ شمس الدّين ـ رحمه الله تعالى ـ تدريسَ المدرسَةِ النفيسيَّة وإمامتها عوضاً عنه ، فكتبتُ له توقيعاً بذلك ، وهو :

« رُسِم بالأمر العالي لازالت أوامرُه المطاعَة تطلع في أفق[(٤)] المدارس شمساً ، وتذيل بمن توليه عن المشكلات لَبْساً ، أن يُرتَّبَ المجلس السّامي الشيخي الشمسي في كذا وكذا ، علماً بأنّه علاّمة ، وحافظ متى أطلِقَ هذا الوصف كان عَلماً [عليه][(٥)] وعَلامَة ، ومُتَبحّرٌ أشبَه البحر اطّلاعَه والدُّرّ كلامَه ، ومترجمٌ رفع لِمَنْ ذكره في تاريخ الإسلام أعلامَه . فالبخاريّ طاب أرَجُ ثنائه عليه ، ومُسْلم أوّلُ مؤمنٍ بأنّ هذا الفنّ

(١) في الأصل : « ومنن » ، وأثبتنا ما في (خ) . والمين : الكذب .
(٢) (خ) : « راغوا » .
(٣) في الأصل : « ولا تحد عن » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٤) في الوافي : « آفاق » .
(٥) زيادة من (خ) والوافي .

انتهى إليه . وأبو داود يحمَد آثارَه في سلوك سَنن السُّنَن ، والترمذيّ يخال أنَّه فداه بنورِ ناظرِه من آفات دار الفتن ، والنَّسائي لو نسأ الله في أجله لرأى منه عَجَبا . وابن ماجَه لو عايَن ما جاء به ماجَ له طَرَبا .

فليُبَاشِر ما فُوِّض إليه مُباشَرَةً تليق بمحاسنه وتَدلُّ طالبي السواد[1] على مظانِّه وأماكنه ، ويُبيِّن لهم طُرُقَ الرواية . فالفقهُ حُلَّة وعِلْم الحديث عَلَمُها وطِرازُها ، والروايةُ حقيقة ، ومَعْرفة الرجال مجازها ، ويتكلم على الأسانيد ، ففي بعض الطرق ظلمٌ وظَلام ، ويورد ما عنده كامن الجرح والتعديل « إن بعض الكلام فيه كلام » ، ويوضح أحوال الرواة الذين سَلفوا فليسَ ذاك بعيب . وما لجرح بميت إيلام[2] ، ويَتم بما اطَّلَع عليه من تدليسهم فما أحسنَ روضةً هو فيها تمام ، ويَسرُد تراجم من مضى من القرون التي انقضت « فكأنها وكأنهم أحلام »[3] ، ويحرص على اتصال السَّنَد بالسَّماع ليكون له من الورَق والمداد « رصدان ضوء الصبح والإظلام » . ولا يدع لفظة يوهم إشكالها ، « فالشمس تمحو حندس الأوهام » .

حتى يقول الناس إن شعبةً منك شُعبَه ، وأبا زرعة[4] لم يُترَك عنده من الفضل حبّه ، وابن حزم ترك الحزم وما تنبَّه ، وابن عساكر توجَّس[5] منك رغبَه ، وابن الجوزي عدم لبّه وأكل الحسَدُ قَلْبَه . ولا تغفل عن إلزام الطلبَة بالتكرار على المتون الصحيحة دون السقيمة فما يستوي الطيِّب والخبيث[6] . وذكّرهم بقوله عليه الصلاة السلام :

(١) في الوافي : « الصواب » .

(٢) يشير إلى قول المتنبي :

من يَهن يَسْهُل الهَوانُ عليهِ ... ما لِجرْحٍ بمَيّتٍ إيلامُ

ديوانه ٩٤/٤ .

(٣) يشير إلى بيت أبي تمام :

ثمَّ انقضَتْ تِلْكَ السُّنونَ وأهلها ... فكأنَّها وكأنَّهم أحلامُ

(٤) عبد الرحمن بن عمرو ، من أئمة زمانه في الحديث ورجاله (ت ٢٨٢ هـ) ، السير : ٣١١/١٣ .

(٥) في الأصل : « توحش » ، وأثبتنا ما في (خ) ، والوافي .

(٦) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ قُل لا يَستَوي الْخَبيث والطَّيِّب ﴾ ، [سورة المائدة : ١٠٠/٥] .

« من حفظ على أمتي أربعين حديثاً »[١] ، وإن كان الحفظ بمعنى الجمع فالعمل بظاهر الحديث ، فأنت ذو الصّفات التي اشتهرت ، والفضائلِ التي بَهَرت ، والدُّربة التي اقتدرت على هذا الفنِّ ومَهَرت ، والفوائد التي ملأت الأمصار وظهرت ، والحجج التي غلبت الخصوم وقهرت .

لم تُضِع وقتاً من زمانك إمّا أن تُسْمِع أو تلقي أو تَنْتقي ، وإما أن تجتهدَ في [نُصْرَة][٢] مَذهب الشّافعي حتى كأنَّك البَيهقي ، وإمّا أن يُصنّف ما يودّ بقي بن مَخلَّد[٣] لو عاش له وبقي .

وأنت أدرى بشروط الواقف رحمه الله تعالى ، فارعها واتّبع أصلها وفَرْعَها ، وأهْدِ الدعاء له عقيبَ الميعاد[٤] ، وأشركه مع المسلمين في ذلك فآثار[٥] الرحمَة تلمَعُ على هذا السَّوَاد ، واذكر من تقدَّمك فيها بخير ففضلُه الباهر كان مشهورا ، واسأل له من الله الجنة لِيَسُرَّك يوم القيامة أن تراه علماً[٦] منشورا .

والوصايا كثيرة ، ومثلك لا ينبَّه ، ولا يُقاس بغيره ولا يشَبَّه ، وملاكُ الأمور تقوى الله تعالى ، وقد سَلكت منها المَحَجَّه ، ومَلَكْتَ بها الْحُجَّه ، فلا تعطِّل منها جيدك الحالي ، وارْوِ[٧] ما عندك فيها فسَندُكَ فيها عالي ، واللهُ يمدكَ بالإعانه ، ويوفِّقك للإنابة والإبانة،بمَنّه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

---

(١) وتمام الحديث : « مِنْ سنّتي أدخلْتُهُ يومَ القيامَةِ في شفاعتي » ، انظر : الجامع الصغير للسيوطي : ١٧٠/٢ .

(٢) زيادة من (خ) والوافي .

(٣) (ت ٢٧٦ هـ) ، السير : ٢٨٥/١٣ .

(٤) في الوافي : « كلّ ميعاد » .

(٥) في الوافي : « فأنوار » .

(٦) عبارة الوافي : « يوم القيامة إذا أصبح علماً » .

(٧) في الأصل : « وار » ، وأثبتنا مافي (خ) والوافي .

١٤٧٨ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان*

ابن إبراهيم بن عدلان بن محمود بن لاحق بن داود ، الشيخ الإمام العلاَّمة شمس الدِّين أبو عبد الله الكناني المصري الشّافعي ، المعروف بابن عدلان .

سَمِعَ من العزّ بن الصَّيْقَل الحرّاني ، ومِنَ النِّظام محمد بن الحسين بن الخليلي ، (مشيخة) عُمر بن طَبَرْزَد تخريج ابن الدُّبَيْثي بإجازتها منه ، ومن محمد بن إبراهيم بن ترجم[١] ، ومن الدّمْياطي أخيراً . وأجازَ له عبد الله بن الواحد بن علاّق ، وعبد الرَّحيم بن خطيب المزة ، وأبو بكر محمد بن أحمد بن القَسْطَلاني ، وغيرهم .

وتَفَقَّه على الشيخ وجيه الدِّين البهنسي . وقرأ في الأصول على الشيخ شمس الدِّين مُحَمَّد بن محمود الأصبهاني شارح (المحصول) . وقرأ (الْمُفَصَّل) على الشيخ بهاء الدِّين بن النحاس ، وكان قد قرأ القرآن على الصفي خليل بن أبي بكر المراغي[٢] .

وكان في الفقه بارعا ، وإلى استحضار الفروع [ونقلها] مُسارعا[٣] . لو عاصره المزني غرق[٤] قَطْرُه في بحره ، أو الماوردي لاستطابَ نفحَة ذكره ، أو الغزاليّ لسَدّى تحت طاقه ، أو القاضي أبو الطيِّب[٥] لقضى أن المرارة ساعة فراقه .

شرح (مختصر المزني) وما أظنه كَمَّلَه[٦] ، ولو أتَّمه طرَّز به المذهبَ وجمّله ، إلاَّ أنَّه مع عِظَم قَدْرِه ، وسموِّ بدرِه ، كان الملك الناصر[٧] يكرهه ، ويصدّه بالكلام المؤلم

* الوافي : ١٦٨/٢ ، والدُّرر : ٣٣٣/٣ ، والشَّذرات : ١٦٤/٦ ، وذيول العبر : ٢٧٠ .

(١) (ت ٦٩٢ هـ) ، الشّذرات : ٤٢٢/٥ .

(٢) (ت ٦٨٥ هـ) ، العبر : ٣٥٢/٥ .

(٣) في الأصل : « وإلى نقل استحضار الفروع مسارعاً » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٤) في الأصل : « عرف » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٥) طاهر بن عبد الله بن طاهر الطبري ، له شرح مختصر المزني (ت ٤٥٠ هـ) ، السير : ٦٦٨/١٧ .

(٦) انظر : كشف الظُّنون : ١٦٣٥/٢ .

(٧) (خ) : « الناصر محمد » .

ويَجْبَهُه[١] ، لأنَّه أفتى الجاشنكير في تلك المرّة بما أفتاه من خلعه ، وكان ذلك سبباً إلى صرم ثمره ، وشرط طلعه .

ولم يزل إلى أن تسجَّى ، وعُدَّ فيما لا يُرجَّى .

وتوفِّي - رحمه الله تعالى - بين العيدين في سنة تسع وأربعين في طاعون القاهرة .

ومولده سنة نيفٍ وستين وست مئة .

قال القاضي تاج الدِّين بن قاضي[٢] القُضاة تقي الدِّين السبكي : أفتى ابن عدلان في واقف وقف مدرسة على الفقهاء ومدرس ومعيد وجماعة عيَّنهم ، قال : ومن شروط المذكورين أن لا يشتغلوا بمدرسة أخرى غير[٣] هذه المدرسة ولا يكون لواحد منهم تعلق بمدرسة أخرى ولا مباشرة تجارة ولا بزازة يعرف بها غير تجارة [الكتب][٤] ، ولا ولاية بأنَّه يجوز للمقرّر في هذه المدرسة الجمع بينهما وبين إمامة مسجد قريب منها ، ووافقه شيخ الحنفيّة في زَمانه قاضي القضاة بالدِّيار المصريّة علاء الدِّين علي بن عثمان المارديني[٥] رحمه الله تعالى ، وهذا فيه نظر ؛ لنص الشافعي على أنَّ الإمامة ولايَة حيث يقول[٦] ولا أكره الإمامة إلا من جهة أنها ولايَة ، وأنا أكره سائر الولايات .

قال : ومن محاسن ابن عدلان أنَّه سُئِلَ أيهما أفضل أبو بكر أو عليّ في مكان لا يمكنه التصريح بمذهب أهل السُّنَّة ، فقال : عليّ أفضل القرابة وأبو بكر أفضل الصَّحابَة .

---

(١) في الأصل : « ويجابه » ، وأثبتنا مافي (خ) .
(٢) (خ) : « قال قاضي القضاة....بن شيخنا قاضي.... ».
(٣) في الأصل : « ولاغير » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٤) زيادة من (خ) .
(٥) (خ) : « المارديني الحنفي » .
(٦) في الأصل : « أقول » ، وأثبتنا مافي (خ) .

قلت أنا[١] : جَوابٌ حسن ، لكنه لا يرضي السَّائل من كل وجـه ، لأنَّ عليّـاً رضي الله عنـه من الصحـابـة[٢] ، وأحسن مـا مرَّ بي في ذلـك قول ابن الجوزي وقـد سُئِـلَ من أفضل الخلـق بعـد رسـول الله ﷺ وهـو على المنبر ومماليـك الخليفـة واقفـون فرقتين ، فقال : مَن كانت ابنتُه تحته . فقالت كل فرقة قال بتفضيل من ذهبنا إليـه ، وتركهم في الخصـام ، ونـزل عن المنبر حتى لا يستفسروه في الضمير إلى من يعـود ، وهـذا في غـايـة الحسن ، لأنَّها عبارة أوهَمَت كلّ فرقة نصرة مذهبها .

قلت : وتوجَّـه الشيخ شمس الـدِّين رسولاً إلى اليَمَن في أيـام سَلاّر والجـاشنكير ، وباشَرَ الوكالة لأمير موسى بن الصالح علي بن الملك المنصور[٣] ، وهذه أيضاً من أسبـاب الجاشنكير ، فنقم السُّلطان عليه هذا الأمر ، وبقي إلى آخر أيامه ، وهو عنـده ممقوت . قرأ له في وقت القاضي شهابَ الدِّين بن فضل الله قصّةً على السلطان ، فقال : قل لـه : الذين كانوا يعرفونـك مـاتوا ، ثم إنَّـه ـ رحمـه الله تعـالى ـ وَلِيَ قضـاء العسكر في أيـام الناصر أحمد لما حضر من الكرك إلى أن مات ودرَّس بعدّة مـدارس ، وأفتى ووَلِي نيـابـةَ القضاء للشيخ تقي الدِّين بن دقيق العيد .

١٤٧٩ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن عبد المؤمن الإسعردي*

الشيخ الإمام أبو عبد الله شمس الدِّين المعروف بابن اللبّان الدِّمشقي .

سمع بدمشق من أبي حفص عمر بن عبد المنعم بن القواس ، وانجفل إلى مصر ، وسمع بهـا من الـدّميـاطي ، ومن عبـد الرحمن بن عبـد القـوي بن عبـد الحكيم الخثعمي

---

(١) في الأصل : « قلت قلنا » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٢) في الأصل : « لأنَّ علياً رضي الله عنه كنا » ، وأثبتنا ما في (خ) ، وهي أوضح .

(٣) ستأتي ترجمته في موضعها .

* الـوافي : ١٦٨/٢ ، ووفيـات ابن رافع : ٢٧٨/١ ، والـدُّرر : ٣٣٠/٣ ، والشَّـذرات : ١٦٣/٦ ، وذيـول العبر : ٢٧١ .

بطُهُرْمُس[(١)] من الجيزيّة ، وحدَّث بالدِّيار المصريّة ، وسمع منه الطلبة ، وخرَّج له شهاب الدِّين أحمد بن أيبك الدّمَياطي جُزْءاً من حديثه ، وتَفَقَّه وبَرَع وأخذ في الإشغال وشرع ، ولم يترك ابن اللبان لغيره في الفقه زُبدة .

وروى الحديث ، وكان لحلاوة روايته كأنما أسند عن شهدة ، ودرَّس بزاوية الشافعي في جامع عمرو بن العاص ، وعقد مجالس الوعظ ، فاشتمل عليه العامُّ والخاصُّ ، واشتهر ولا شهرة ابن الجوزيّ في بغداد ، وطارت سُمعته كأنَّه ابن سمعون الأستاذ[(٢)] .

ولم يزل على حاله إلى أن نُقِلَ ابن اللبان إلى الجبّانه ، وراح بفَقْرِهِ إلى الغنيّ سبحانه .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون مصر .

ومولده في حدود سنة خمس وثمانين وست مئة .

وكان قد قام عليه في وقتٍ قاضي القضاة القزويني بالديار المصرية ، وربَّما أنه كفَّره في سنة ست ثلاثين وسبع مئة وقام في أمره القاضي شهاب الدِّين بن فضل الله وناصر الدِّين خزندار الأمير سيف الدِّين تنكز وغيرهما من أصحابه فسكت عنه وعمل في ذلك كمال الدِّين الأدفوي مقامةً .

١٤٨٠ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن علي*

الإمام المفتي شيخ القرّاء شمس الدِّين أبو عبد الله الرقي .

---

(١) انظر معجم البلدان .

(٢) مُحَمَّد بن أحمد بن إسماعيل (ت ٣٨٧ هـ) ، السير : ١٦/٥٠٥ .

* الوافي : ٢/١٧٠ ، ووفيات ابن رافع : ١/١٥٢ ، والدُّرر : ٣/٣٤١ ، وغاية النهاية : ٢/٧٥ .

سمع الحديث ورافق الطَّلَبة ، ودار على المشايخ ، وتميَّز في الفقه والقراءات وغير ذلك . وتلا بالسَّبع على الفاروثي وابن مُزْهِر[1] وغيرِهما .

وأقرأ ودرَّس وأفتى ، وروى الكثير عن [ابن][2] البخاري وطبقته .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في غرّة شهر ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة .

ومولده تقريباً سنة سبع وستين وست مئة .

١٤٨١ ـ مُحَمَّد بن أحمد*

الإمام المفتي الشيخ بدر الدِّين بن الحبّال الحنبلي ، فاضل الْحَنابلة في عصره .

سألت عنه شيخنا العلاَّمَة قاضي القضاة تقي الدِّين السبكي ، فقال لي : فقيه فاضل ، كان ينوب للقاضي تقيّ الدِّين الحنبلي .

توفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في سَلخ ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وسَبع مئة في طاعون مصر .

١٤٨٢ ـ محمد بن أحمد بن شويش**

الفقيه نجم الدِّين محتسب قلعَة الْجَبَل بالقاهرة الحنفيّ .

كان كثير التِّلاوة ، وفيه مروءة وخير .

توفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في ثامن شوال سنة ثلاثين وسبع مئة .

---

(١) مُحَمَّد بن عبد الخالق بن مزهر (ت ٦٩٠ هـ) ، غاية النهاية : ١٥٩/٢ .

(٢) زيادة من الوافي ومصادر ترجمته الأخرى .

* الوافي : ١٧٠/٢ ، والدُّرر : ٣٢٩/٣ ، وفيه : « مُحَمَّد بن أحمد بن عبد الله » .

** الدُّرر : ٣١٩/٣ .

١٤٨٣ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن عبد الرَّحيم*

الإمام شمسَ الدِّين أبو عبد الله المِزّي الموقّت بالجامع الأمويّ بدمشق .

كان قد حفظ (الشّاطبيّه) ، وينقل القراءات ، وعلى ذهنه عربيّه ، بَرَع في وضع الإسطرلابات والأرباع ، وتأنَّق فيها ودقَّقَ مِنْ حُسْن الرسوم والأوضاع ، لم يلحقه أحد في زمانه في ذلك ، ولم يسلك طريقَه فيه سالك ، وكان على ذهنه شيء مِنْ حِيَل بني موسى[1] ، ولديه صنائعُ لو يعيش بها لم يلقَ بُوسا ، قلَّ أن رأيتُ مِثْلَه في ذكائه أو وصل أحدٌ فيما يعانيه إلى مَدى اعتنائه .

ولم يزل على حاله إلى أن ذاق المِزّي طعم الموت خَلا ، وترك أقرانه على إثره وولّى .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ في أوائل سنة خمسين وسبع مئة ، وكان من أبناء السِّتين فما فَوقَها .

قرأ أوّلاً على الشيخ شمس الدِّين الأكفاني ، وكان يشكر ذهنه وإتقانه لما يعمله بيده ، ثم انتقل عائداً إلى الشام ، وسكنَ دمشق ، وكان أوّلاً يوقِّت بالرَّبوة ، ثم انتقل إلى الجامع ، وكان قد برع في وضع الاسطرلابات[2] والرّبع ، ولم أرَ أحسنَ من أوضاعه ، ولا أظرف ولا أتقن ولا أكثر تَحْريراً ، كان يباع اسطرلابه في حياته بمئتي درهم ، ورُبْعُه بخمسين درهماً وأكثر ، ولعلّه إذا تقادم زمانه غلا أكثر من ذلك . وبرع في دهن القسيّ ، ومن ملازمته للشمس[3] نزل في عينيه ماء ، ثم إنَّه قَدَحَه فأبصر بالواحدة ، وله

* الوافي : ١٧٠/٢ ، ونكت الهميان : ٢٤٤ ، والدُّرر : ٣٢٥/٣ .

(١) هم ثلاثة إخوة ، اشتهروا بعلم الحيل ، « الفيزياء » ، وكانوا يشرفون على بيت الحكمة ببغداد ، في العصر العباسي .

(٢) (خ) : « الإسطرلاب » .

(٣) في الأصل : « في الشمس » ، وأثبتنا ما في (خ) .

رسائل في الإسطرلاب ورسالة سمّاها (كشف الرِّيب في العمل بـالجيب)[١] ، ولـه نظم أيضاً .

١٤٨٤ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن يمن*

قاضي القضاة [شمس الدِّين][٢] الحنفي الحاكم بطرابلس .

هو أول من ولي قضاء الحنفية بطرابلس بعد السُّلطان الملك الناصر محمد . ولم يكن فيها في أيامه إلاّ حاكم واحد شافعي ، وصل إليها في غالب ظنّي إمّا في أوائل سنـة أربع وأربعين وسبع مئة ، أو في أواخر[٣] سنة ثلاث وأربعين .

ولم يزل على حاله إلى أن وُجِدَ في بيته مذبوحاً بطرابلس ، وقد أُخِذَ ما في بيته من المال ، وذلك في جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وسبع مئة رحمه الله تعالى .

١٤٨٥ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن عُمَر بن إلياس**

الصَّدر عز الدِّين ابن العدل شهاب الدِّين الرّهاوي .

شـاب[٤] بلغ من العمر خمسـة وثلاثين عـامـاً ، وكان كاتبـاً جيِّـداً ، بـاشر استيفـاء الأوقـاف وغير ذلـك ، وكانت لـه خصـوصيّـة بـالصّـاحب أمين الـدِّين ، فلَمّـا أُمسـك الصّاحب بمصر ، اعتُقل عز الدِّين بالمدرسة العَذْراوية[٥] .

وتوفِّي بها في تاسع عُشْري جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

---

(١) انظر : كشف الظنون : ١٤٩٠/٢ .

* الدُّرر : ٣٧٢/٣ .

(٢) زيادة من (خ) .

(٣) في الأصل : « أوائل » ، وأثبتنا مافي (خ) .

** الدُّرر : ٣٤٤/٣ .

(٤) في الأصل : « شاباً » .

(٥) بدمشق ، مدرسة للشافعيّة والحنفيّة بحارة الغرباء داخل بـاب النصر ، أنشـأتها السّت عـذراء بنت أخي صلاح الدِّين سنة (٥٨٠ هـ) ، الدّارس : ٢٨٣/١ .

١٤٨٦ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن مُفَضَّل*

ابن فضل الله المصري القاضي الرئيس علم الدِّين بن قطب الدِّين . تقدَّم ذكر والده في الأحمدين .

وكان هذا علم الدِّين أخيراً ناظر الجيوش الْمَنصُورة بدمشق ، وكان في نفسه رئيساً ، قضى عُمْرَه في نُعمَى عجيبة ، إلا أنها ما خَلَت من بُوسى ، يتأنَّق في المآكل والملابس . ويتخرَّق بالتَّجمُّل في المحافل والْمَجالِس ، بنفسٍ يَتَدَفَّق بَحْرُها ، ويَتَألَّق وَفْرُها ، يبالغ في إكرام من يعاشره ، ويهشُّ لوفادته عليه ويكاشره . قد اشتهر بالتوسع في الأطعمة والمشارب ، والتنقل في النُّزَه والمسارب ، قلَّ من رُئي[1] في دمشق [مَنْ][2] يدانيه في سِمَاطه ، أو تَنْخَرطُ لآلئُ حِشْمَته في أسْماطه .

مَنْ تَعاطَى تَشَبُّهاً بِكَ أعْيَا ... هُ ومَنْ دَلَّ في طريقِكَ ضَلاّ

وكانت مساعيه دقيقه ، ومجازاته في المناصب الكبار حقيقه ، وثبَ[3] من الثَّرى إلى الثُّريا ، وطَوى شُقَّةَ المشقَّة طَيّا ، وتنقَّل في الوظائف الكبار ، وتوقَّلَ[4] هضباتِ المجدِ من غير اعتناء ولا اعتبار ، كأنَّ له غُصنَ الرِّياسَة يُجْنَى ويُهْتَصَرْ ، أو كأنَّ له طريقاً إلى العلياء تُختصَر .

ولم يزل في سَعاداته ، وما ألفه في اللَّذات من عاداته ، إلى أن دُكَّ عَلَمُه ، وفُكَّ من التَّصرفات[5] قلَمُه .

---

* البداية والنهاية : ٢١٢/١٤ ، ووفيات ابن رافع : ٣٥٤/١ ، والدُّرر : ٣٦٨/٣ ، وذيول العبر : ٣٢٩ .

(١) في الأصل : « رأى » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٢) زيادة من (خ) .

(٣) في الأصل : « وثبت » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٤) توقَّل : صعَد .

(٥) (خ) : « التصريف » .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بكرة نهار الاثنين ثاني جمادى الأولى سنة ستين وسبع مئة . ودفن في تربة بني هلال [بالصّالحيّة][١] .

كان هذا القاضي عَلم الدِّين مِن بقايا رؤساء دمشق ، رأى الناس وصحبهم وعاشرهم وخالَطهم .

وكان جميلَ الصُّورة ، أنيق الشكل ، مديدَ القامَة ، حَسَن البِزَّة ، نظيفَ اللِّباس ، عاطِرَ الرائحة ، يتجمَّل في الملابس ، ويتأنَّق في المآكل ، ويتوسَّع في المطاعم والمشارب ، يَمدُّ في كلِّ يوم من الطَّعام ألوانا ، ويُنفِق على مخالطيه[٢] المال مجّانا .

أوّل ما علمتُه من أمره أنه كان في خدمة عمِّه القاضي محيي الدِّين كاتب قبجق ، وسيأتي ذكره في مكانه ، وكان يميل إليه ويركن إلى تربيته له دون والده قطب الدِّين ، وكان يتوجَّهُ معه إلى قِسْم النواحي ، وينوبه في ديوان الأمير سيف الدِّين تنكز . ولَمَّا توفِّي قطب[٣] الدِّين رُتِّبَ هو مكان والده في عَمالة خانقاه الشميساطي .

ثم إنَّه بعد ذلك بمدّة رتَّبَهُ الأمير سيف الدِّين تنكز في استيفاء ديوانه ، وأضاف إليه عَمالة الأشراف ، وفي ديوان الأمير سيف الدِّين أرغون الدوادار ، وكان مُداخلاً سؤوساً ، خبيراً بالمساعي عارفاً بالتوصُّل [دَرِباً بالتَّوسُّل][٤] ، فداخل حمزة التركماني ، وقد انفرد بالأمير سيف تنكز ، وقد احتوى عليه ، وكان يشكره للأمير سيف الدِّين تنكز ويرشحه عنده لكلِّ وظيفة ، ويستكتبه عنه في مكاتباتٍ خاصّة ما يرى أن كاتب السِّر يطَّلع عليها فيأتي[٥] فيها بالمراد فيعجبه ذلك . ولم يزل به إلى أن حَسَّنَ له أن

(١) زيادة من (خ) .
(٢) (خ) : « مخالطته » .
(٣) (خ) : « والده قطب ... » .
(٤) زيادة من (خ) .
(٥) في الأصل : « فسيأتي » ، وأثبتنا مافي (خ) .

يولِّيه كتابة سرِّ دمشق ، فكتب فيه إلى السلطان وشكَره وبالغ في أمره ، فأجابه الملك الناصر محمد إلى ذلك ، وجُهِّزَ توقيعهُ بكتابة السِّرّ بدمشق في سنة ستّ وثلاثين وسبع مئة ثاني شعبان المكرّم[(١)] ، وكان قد باشرها[(٢)] في هذا اليوم قبل [وصول][(٣)] توقيعه الشريف ، ووصل التوقيع والتشريف من مصر في حادي عشري الشهر المذكور . وتولاها عوضاً عن القاضي جمال الدِّين عبد الله بن الأثير[(٤)] ، فوليَها وعملَها على القالب الجائر . وخضع الناس له ، وتمكّن من قلب الأمير سيف تنكز ، وكان يعجبه شكله وكتابته وتأنِّيه . إلى أن لم يكن عنده في دمشق غيره ، وسلَّم قيادَهُ إليه ، وتوجَّه معه إلى مصر ، وشكره للسُّلطان ، وبالغ في وصفه ، فَعَظَّمَهُ السُّلطان وألبسه تشريفاً بطرحَة ولم يكن ذلك لغيره ، وحضر بريدٌ من الشام ، فدخل به القاضي شهاب الدِّين بن فضل الله ليقرأه ، فطلب السُّلطان علمَ الدِّين هذا[(٥)] ، وقرأه عليه ، فما حمل القاضي شهاب الدِّين ذلك ، وجرى له مع السُّلطان ما جرى ، وقدَّم الدواة الأمير سيف الدِّين تنكز لعلم الدِّين هذا بين يدي السلطان ، فزادت عظمته [عند][(٦)] الناس .

ولم يزل كذلك وهو في أوج سَعْده إلى أن تغيَّر عليه في سنة [ثمان][(٧)] وثلاثين وسبع مئة ، فقَبَض عليه وضربه بالعَصيّ ضرباً مبرحاً ، واحتاط على موجوده ، واعتقله مُدَّة ، ثم أفْرَجَ عنه وأمر أنَّه لا يخرج من داره ، ولا يجتمع بأحد ، فسكن عند حمّام السَّلاري ، وكان لَيْلَه ونهاره في تربة الكامليّة المجاورة للجامع الأموي ، وأقام على ذلك

---

(١) البداية والنهاية : ١٧٤/١٤ .

(٢) (خ) : « باشر » .

(٣) زيادة من (خ) .

(٤) عبد الله بن محمد بن إسماعيل (ت ٧٧٨ هـ) ، الشّذرات : ٢٥٧/٦ ، وانظر : الدّارس : ١٢٥/٢ .

(٥) في الأصل : « لهذا » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٦) زيادة من (خ) .

(٧) زيادة من (خ) . وانظر البداية والنهاية : ١٨٠/١٤ .

مدّة إلى أن أُمسك الأمير سيف الدِّين تنكز . فقال السُّلطان للأمير بشتاك[١] : إذا وصلت إلى دمشق ، اطلب العلم بن القطب الذي كان مستوفي تنكز ، فهو يدلّك على جميع ماله .

ولَمّا وصل بشتاك إلى دمشق ، ونزل بالقصر الأبلق ، طلب القاضي علم الدِّين واستعان به على تطلّب أموال تنكز ، وتَحَكَّم علم الدِّين في تركة تنكز ، وأخذ منها غالب ما وجده فيها من الأصناف التي أُخِذَتْ منه ، ودخل في الأمير بشتاك وخَدَمه ، ودخل معه إلى مصر ، فعيَّنه السُّلطان لاستيفاء الصّحبة بالدِّيار المصريّة ، وأراد السلطان أن يمكِّنه ويتسلَّط على الكُتَّاب ، فأدّاه عَقْلُه إلى مصاحبة جمال الكفاة ، ومَنْ كان في ذلك الزمان ، وداخلهم واتحدَّ بهم ، وصافُوه .

ويئس السُّلطان منه فتركه ولم يزل في استيفاء الصّحبة إلى أن توفي السلطان ، ودخل الفخريّ وطشتمر إلى القاهرة ، فسعى معهما في أن يكون ناظرَ النظّار بدمشق عوضاً عن الصّاحب علاء الدِّين بن الحرّاني ، فوصَل إلى دمشق وباشر بها الوزارة ، ولكنَّه تعب فيها تعباً كثيراً ، فاستوخم مرعاها ، وطلب النقلة من الأمير طقزتمر إلى نظر الجيوش بدمشق ، فكَتَبَ له ، فأجيبَ إلى ذلك ، وحضر توقيعه ، فباشر ذلك عوضاً عن القاضي فخر الدِّين بن العفيف[٢] ، فَحُمِدَ مَسراه عند صَباح هذه المباشرة ، ورأى فيها ما لا رآه غيره ، ودانت له الأيام ، وطال عمره فيها[٣] ، وطابَ عَرْفُه .

وكان كثير الهديّة للمصريّين والخدمة لهم[٤] ، وما جاءت دَوْلَة إلاّ وهو فيها عزيزٌ مُكَرَّم لا يبالي بمن ناواه ، ولا يَعْبأ بمن جاراه ، يَقْهَرُ خُصومَه ولا يدرون سِرَّه ولا مكتومَه ، وباشر هذه الوظائف الثلاث التي هي أكبر مناصب دمشق .

(١) (خ) : « سيف الدِّين بشتاك » .

(٢) محمد بن محمد بن الحسن (ت ٧٢٦ هـ) ، الوافي : ٢٣٨/١ .

(٣) في (خ) : « وطال عزه ... » .

(٤) (خ) : « كثير الخدمة للمصريين وللمهاداة لهم » .

ولم يزل على حاله إلى أن مَرض بعلّة الرّبو ، فأقام على ذلك قريباً من خمسين يوماً ، وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ في التاريخ المذكور ، وكان يعتريه وَجَعُ الْمَفاصِل في كلّ سنة فأنهكه ذلك ، وهَرم به وانحنت قامته وضعف .

وكُنتُ قد كَتَبْتُ له توقيعاً بعمالة ديوان الأشراف بدمشق في شهر رجب سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة وهو :

« رسم بالأمر العالي ، لا زال يُتَلَقّى برفع عَلَمه ، ويُكْسِبُ المناصب فخراً بمن يولّيه لكفاية هِمَمه أن يُرتّب المجلس السّامي القضائي[1] علم الدّين في كذا ، ثقةً بكفايته التي شهدت بها مخائله ، ودلّت عليها حركاته السعيدة وشمائله ، وتكفّلت حركاته[2] المباركة أن تُبَلّغه من العليا ما يُحاولُه ، إذ هو الكاتب الذي أضحت نظراؤه في الْمَعدوم مَعْدوده ، والبارعُ الذي مخزومة[3] فضله لا تبيت إلاّ وهي بالمحاسن مسدوده ، والماجد الذي خرّجَ سيادته عن سَلفه ، فكانت أبوابُ النقص فيها مردودة . أقلامه في كفّه أنابيب يضمّها منه خير عامل ، وأعنّة يُصَرّفها في السّيادة بأطراف الأنامل . فليباشر ما فُوّضَ إليه مباشَرَةً يَطْلُبُ بها من الله رضاه ، ويدّخر عمله فيها عنده ، فيا حبّذا ما يعتمده ويتوخّاه ، ويحمل لواء الشرف لهذا الدّيوان ، تولّى خدمته وتوالاه ، وينفق في الفضل[4] من سَعَة مجده فقد كفاه ما نالته منه كَفّاه ، ويثق بالسّعادة التي أظفرته حتى ببركة آل البيت ، ويشكر الله على هذه النّعْمة التي أدخلته في حساب حَسَبهم الذي هو شَرَفُ الحي والْمَيْت ، مجتهداً على رضا السّادة الأشراف بإيصال كل منهم ما يخصّه ، على اختلاف القسمَه ، محقّقاً معرفة بيوتهم الشريفة التي بقاؤها ما بين هذه الأمّة نِعْمَه ، وتقوى الله تعالى مَعقِل حَصين ، فلا يلتجئ إلى غيره ،

---

(١) (خ) : « القاضي » .

(٢) في (خ) : « مساعيه » .

(٣) في الأصل : « محرومة » ، وأثبتنا ما في (خ) ، والخزم : الثقب .

(٤) في الأصل : « الجد » ، وأثبتنا ما في (خ) .

وحَبْلٌ[١] متين فلا يَتمسّك بغير عُرْوَتِه التي هي سَبَبُ خَيره ، وليقابل هذه النِّعمة بشكرٍ يوصله إلى ما تَسْتَحقه أهليّته في ذمّتها ، وتبلغه الرتب[٢] العَليَّة التي لا تنالها النفوس إلا بشرف همَّتها ، والله يتولَّى عَوْنَه فيما ولاّه ، ويزيده فضلاً إلى فَضْلِه الذي أولاه ، والاعتماد فيما رُسِم به على الخطِّ الكريم أعلاه الله تعالى إن شاء الله تعالى .

وكتبت أنا إليه من القاهرة وهو بدمشق :

مِنْ جُودِ كَفِّيكَ تَخْجَلُ الدِّيَمُ ... ومِنْ مُحَيَّاكَ تَنْجَلي الظُّلَمُ
يا مَن سَما وارْتَقى وطالَ عُلاً ... حتّى غَدا وهُوَ في الوَرى عَلَمُ
ومَنْ صَفَت للوَرى مَكارِمُهُ ... وساعَدَتْها الأخلاقُ والشِّيَمُ
ومَنْ إذا خَطَّ طِرسَهُ خَجِلَتْ ... منهُ رِياضٌ بالزَّهرِ تَبْتَسِمُ
ومَنْ إذا فاهَ بالكَلامِ فَما ... تَراهُ إلاّ العُقودُ تَنتظِمُ
لَستُ أُطيلُ الكَلامَ في صِفَةٍ ... تَرْضى بِها في عُلُوِّكَ الكَلِمُ
مثلُكَ واللهِ ما رأيتُ ولا ... يَصْلُحُ إلاّ لمثلِكَ الكَرَمُ
عِندي مِنَ الشَّوقِ والتَّطلُّعِ ما ... يَعْجِزُ عَن بَعْضِ وَصْفِهِ القَلَمُ
أوحَشَني وَجْهُكَ الجميلُ فلَمْ ... يَلِذَّ مِن بعدِهِ لِيَ الْحُلُمُ
فالقلبُ مِن لوعَةٍ ومِن حُرَقٍ ... مُضطرِبٌ دائِماً ومُضْطرِمُ[٣]
والعَينُ أفنى البكا مَدامِعَها ... فَسالَ مِنها بَعْدَ الدُّموعِ دَمُ
واللهِ ما سارَ في الطَّريقِ معي ... بعدَكَ إلاّ البُكاءُ والنَّدَمُ
فَلَيْتَني لا أطَعتُ فيكَ نَوًى ... ولا سَعَت لي لفرقةٍ قَدَمُ[٤]

وكتبت إليه من مصر أهنئه بكتابة السِّر بدمشق :

---

(١) في الأصل : « وجبل » ، وأثبتنا مافي (خ) .
(٢) (خ) : « من الرتب » .
(٣) (خ) : « من روعة » .
(٤) في (خ) : « ولا سعت بي » .

قـد عَمَّنـا هـذا الهنـاءُ الَّـذي حَـديثُـهُ عِنـدَ العُـلا مُسْنَـدُ
وهُـو مِنَ الأقـلامِ والنَّفسِ قـد حقَّقَـهُ الأحمَرُ والأسـوَدُ[1]
يـا سَيِّـداً كَم لمسـاعيـهِ مِنْ فَضلٍ بـإبلاغِ العُـلا يَشهَـدُ
نُـوديتَ مَرفـوعـاً إلى رُتبَـةٍ إذْ أنتَ فيهـا عَلَمٌ مُفْرَدُ

١٤٨٧ ـ مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد*

القاضي الرئيس أمين الدِّين بن القلانسي التميمي ، كاتب السِّرّ الشريف بدمشق .

تقدم نسبه في ترجمة والده القاضي جمال الدين في الأحمدين .

باشَرَ وكالة بيت المال ، ثم انتقل إلى كتابة السِّرِّ في آخر الحال ، وما لبثَ في ذلك إلاّ دون الثلاث سنين أو ما يزيد ، وعُزل منها عزلاً غيرَ حَميد .

وله الأمْلاكُ التي تكاثر الأفْلاك وتفاخر الدُّرَّ المنظم في الأسلاك من البساتين المونقه ، والأراضي التي تمسي[2] النواظر إلى حدائقها مُحدِقَه ، والقاعات التي تبهت العُيونَ في زُخرفها ، وتجتلي محاسن ما رأتها صواحبُ المكر من يوسُفها ، وحوانيت لكلِّ آجُرَّةٍ منها أُجْرَه ، وفي كلِّ ذَرَّةٍ منها لولا الغلوّ لقلت دُرَّة ، ومن ذلك ما جرَّهُ الإرث إليه ، ومن ذلك ما أنشأه بما لديه ولكنه ﴿ ما أغْنَى عَنهُ مالُهُ ﴾[3] ولا كثرة مُلْكه ولا ما نظمه من الجوهر في سِلكه ، وخان الدهرُ أمينَ الدِّين في حياته ، وكشف الموتُ باطن الأرض لمواراته .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في يوم الأحد سابع عشر شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وسبع مئة .

---

(١) (خ) : « والنقش » .

* البداية والنهاية : ٢٩٢/١٤ ، ووفيات ابن رافع : ٣٧٥/١ ، والدُّرر : ٣٦٢/٣ ، والدّارس : ٢٣٢/١ ، ٢٦٦ ، وفي (خ) ومصادر ترجمته زيادة في نسبه « محمد » .

(٢) في الأصل : « والبساتين التي تمشي » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٣) سورة المسد : ٢/١١١ .

ومولده فيما أظنُّ في سنة إحدى وسبع مئة .

وله إجازةٌ من الحافظ شرف الدِّين الدمياطي وجماعة . وحدَّث عن ابن مكتوم ، وعن عيسى المطعِّم وغيرهم .

وكان قد [دخل][1] إلى الديوان في حياة والده ، واختصَّ بالقاضي شرف الدِّين بن الشهاب محمود لَمّا كان كاتب السِّرّ بدمشق[2] ، ولَمّا مات والده أُعطي من وظائفه نظرَ الظاهريّة[3] وتدريس العصرونيّة ، ووقَّع في الدّست في أواخر أيام تنكز . ولم يزل يَسُدّ الغيبة عن كتابة السِّرّ في غيبة من يغيب . وتولّى بيت المال مُدَّة . وأخذها منه القاضي علاء الدِّين الزُّرَعي ، فما لبث فيها شهرين فما دونها ، حتى أُعيدت إليه . ولَمّا أخذ الزُّرعي منه الوكالة عوضوه عن ذلك بقضاء العَسْكر ، ولَمّا أُعيد إلى الوكالة لم يزل فيها إلى أن رُسِم له بكتابة السِّرّ في دمشق عوضاً عن القاضي ناصر الدِّين ، وذلك في أوائل صفر سنة ستين وسبع مئة . وتوجَّه القاضي ناصر الدِّين إلى كتابة سرّ حلب عوضاً عنّي ، وحضَرْتُ أنا إلى دمشق عوضاً عن القاضي أمين الدِّين على وظيفته وكالة بيت المال ، وتوقيع الدّست .

ولم يزل في كتابة السِّرّ إلى أن حضر السلطان الملك المنصور وصلاح الدِّين محمد بن حاجّي في واقعة الأمير سيف الدِّين بيدمر ، فعُزِلَ منها بالقاضي ناصر الدِّين ، ورُسم عليه ، وأُخِذَ منه مبلغ مئة وخمسين ألف درهم وأكثر ، فوزنها ، وأباع ما بيده من الوظائف وغيرها ، وطَرَح الرِّياسَة ، وصار يمشي بلا كلفة في مَلبوس ولا غيره . ولم يَبْقَ على ذلك إلاّ دون السبعة أشهر حتى انقطع يومين .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في التاريخ المذكور . ولم تبقَ معه مدرسة ولا تصدير في الجامع الأُموي ، غير أنطار يسيرة نزل عنها لولده ، ودُفِن في تربتهم عند حمّام النَّحّاس .

(١) زيادة من (خ) .
(٢) ليست في (خ) .
(٣) في الأصل : « القاهرية » ، وأثبتنا ما في (خ) والدّارس : ٢٦٦/١ .

وبلغني أنه كان له أرْبَعة جُباةٍ لأملاكه . ومن الغريب أنه هو وأبوه وعمّاه وجدّهم كلّ منهم ما تعدى الاثنتين وستين سنة ، وكان دائماً يقول : أنا ما أعدّي أعمار أهلي ، فكان الأمر كما قال .

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ خاتمة رؤساء بيته .

وكان قد قرأ على شيخنا العلاّمة شهاب الدّين أبي الثناء محمود كتابه (حُسن التّوسّل) وكتابه (مِنَح المِدَح)[١] وغير ذلك .

١٤٨٨ ـ مُحَمَّد بن أحمد ...*

الشيخ الإمام ناصر الدّين الحنفي المعروف بالرُّبْوَة ، بضم الرّاء وسكون الباء الموحّدة وبعد الواو المفتوحة هاء .

كان من فضلاء الحنفيّة . وكان بيده تدريس المقدميّة داخل باب الفراديس بدمشق[٢] ، ونزل عنها لولده ، واشتغل هو بخطابة جامع الأمير سيف الدّين يلبغا[٣] ـ رحمه الله تعالى ـ بعد منازعات ومخاصمات .

ولم يزل على حاله إلى أن توفي ـ رحمه الله تعالى ـ يوم الثلاثاء العشرين من جمادى الأولى سنة أربع وستين وسبع مئة .

وتولّى مكانه في الخطابة قاضي القضاة جمال الدّين الكفري[٤] الحنفي .

وكان الشيخ ناصر الدّين المذكور يعرف بالقونوي .

---

(١) وهما مطبوعان .

* كذا بياض في الأصل ، وكذا وقع نسبه في البداية والنهاية : ٣٠٠/١٤ ، وفي وفيات ابن رافع : ٣٨٠/١ ، والدُّرر : ٣٢٧/٣ : « مُحَمَّد بن أحمد بن عبد العزيز » ، وفي الدّارس ، ٤٥٩/١ : « محمد بن أحمد بن عطية بن عبد العزيز » . وفي ذيول العبر : ٣٦٩ ، « الشهير بابن الرّبوة » .

(٢) وهي للقدّميّة الجوانيّة . الدّارس : ٤٥٦/١ .

(٣) على شطّ بردى تحت قلعة دمشق اليوم . انظر الدّارس : ٣٢٦/٢ .

(٤) في الأصل : « الكفوي » ، تحريف ، وهو يوسف بن أحمد بن الحسين (ت ٧٦٦ هـ) ، وفيات ابن رافع : ٤٠٣/١ ، والدُّرر : ٤٤٦/٤ ، والدّارس : ٤٨٠/١ .

١٤٨٩ ـ مُحَمَّد بن إدريس بن مُحَمَّد*

الشيخ الإمام الفاضل نجم الدِّين القَموليّ[١] ، بفتح القاف وضم الميم وسكون الواو وبعدها لام .

كان من الفقهاء النبلاء والأعيان الفضلاء ، يكاد يستحضر (الروضة) ، ويُترع من سَرْدها حوضَه ، وينقل من شرح مسلم[٢] كثيراً ، ويكرّ على شرحه مغيراً ، ويفعل كذلك في (وجيز) الواحدي في التفسير[٣] ، ويأتي على ما فيه من تقرير فوائده بأحسن تقريب وتقرير ، ويده في العربيّة والأصول طولى ، وإذا تكلم في الفرائض والجبر والمقابلة بَلَّغ المُطالِب مَراماً وسُولا .

ولم يزل على حاله إلى أن التقم القموليَّ قَبْرُه ، وطاب خَبَرُه ، وعُدِم خُبْرُه .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ بقوص في جمادى الأولى سنة سبع[٤] وسبع مئة .

قال الفاضل كمال الدِّين الأدفوي : كان لا يستغيب أصْلاً[٥] ، ولا يُسْتَغابُ بحضرته ، قائماً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وملازماً للعبادة والإشغال ، مُتَقلِّلاً[٦] من الدنيا ، قليلَ النظر . وأظنُّه لو عاش ملأ الأرض عِلماً .

حجَّ وزار وعاد ، فتوفي في قوص رحمه الله تعالى .

---

* الوافي : ١٨٤/٢ ، والطالع السعيد : ٥٠٠ ، والدُّرر : ٣٧٧/٣ ، والنُّجوم الزاهرة : ٢٧٩/٨ .

(١) نسبة إلى « قَمُولة » ، بليدة بأعلى الصعيد من غربيّ النِّيل . (معجم البلدان) .

(٢) شرح مسلم للنووي ، كما في الطالع السعيد .

(٣) والواحدي هو : علي بن أحمد (ت ٤٦٨ هـ) ، كشف الظنون : ٢٠٠٢/٢ .

(٤) في الطالع السعيد ، والنُّجوم : « تسع وسبع مئة » .

(٥) في الطالع : « أحداً » .

(٦) في الوافي والطالع : « والاشتغال » . وفي الأصل : « متقلاً » ، وأثبتنا ما في الطالع والوافي .

١٤٩٠ ـ مُحَمَّد بن أرغون بن أبغا*

ابن هُولاكو بن تولي بن جَنْكَز خان المغلي ، القان غياث الدِّين خدابندا ، معناه بالعربيّ عبد الله وإنما الناس غيَّروه فقالوا خربنْدا(١) ، صاحب العراق وأذربيجان وخراسان .

ملك بعد أخيه غازان ، وتقدم ذكره ، وكانت دولته ثلاث عشرة سنة .

كان شابّاً مليحا ، حَسَنَ الوجه صبيحا ، لكن شانَه العَور قليلا ، وما شان ذاك من حاز وجهاً جميلا .

وكان جَواداً لا يلحقه في حلبة الكرم جواد ، سمحاً تَمْحو أياديه البيض ما في الدَّياجي من السَّواد ، مُحبّاً للعماره ، مُعْرِضاً عما يتعلَّق بالمملكة والإماره ، قد استغرق في اللعب ، وأعرض عمّا يجدُه الجادّ التَّعِب ، لَعِبَ بعقله الروافض فرَفَّضوه ، وأجابهم إلى ذلك لَمّا دعوه إلى الضلالة وفاوَضوه .

فَيالَهُ مِن عَمَلٍ صالِحٍ   يَرْفَعُهُ اللهِ إلى أسْفَلِ

ولم يزل في عيشه الذي لا يردُّ فَيْضه ، إلى أن فارق الحياة بِهَيْضَه .

وتوفِّي في شهر رمضان سنة ست عشرة وسبع مئة ، ودُفن بسُلطانيّة . وسُلطانية بلدة أنشأها ورسم بعَمارتها ، وتوفِّي بقوص من أبناء الأربعين(٢) .

وكان قد حضر إلى الرحبَة ، وحاصَرها في شهر رمضان سنة اثنتي عشرة وسبع مئة(٣) ، وأخذها بالأمان ، وعفا عن أهلها ، ولم يَسفك فيها دماً وبات بها ،

---

* الوافي : ١٨٥/٢ ، والدُّرر : ٣٧٨/٣ ، والنجوم الزاهرة : ٢٣٨/٩ ، وذيول العبر : ٨٨ .

(١) انظر ما جاء في النجوم الزاهرة عن اسمه .

(٢) كذا العبارة في الأصل . وفي الوافي : « وهو في عشر الأربعين » . والسلطانية : في أرض قنغرلان بالقرب من قزوين . (النجوم الزاهرة) .

(٣) انظر ، البداية والنهاية : ٦٦/١٤ .

فما أصبحَ ليلة الأربعاء الخامس والعشرين من شهر رمضان المذكور ، وترك لأهل الرحبة أشياء كثيرة من أثقال مجانيق وغيرها . وكان معه يومئذ قراسنقر والأفرم وسليمان بن مهنّا ، وذكرت في ترجمة جوبان ما اعتمده في أهل الرحبة من الخير في هذه الوَقْعَة ، وكان أهل الرحبَة ، قد حلفوا لخربندا ، فلَمّا ارتحل عنها ، واستقرَّ الأمر ، التمس قاضيها ، ونائبها[1] وطائفة حلفت له من السُّلطان عزلهم فعزلهم لمكان اليمين من خربندا .

وكان مسلماً فما زال به الإماميَّة حتى رفَّضوه وغيَّر شِعار الخطبة ، وأسقط منها ذكر الخلفاء سوى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وصمَّم أهل باب الأزَج[2] عليه وخالفوه ، فما أعجبه ذلك ، وتنمَّر ، ورسم بإباحة دمائهم وأموالهم ، فعوجل بعد يومين بهيضة مُزْعجة ، داواه فيها الرشيد بسهل منظف فخارت قواه .

وكان قبل موته قد رجع عن التَّشيُّع ، وقال بقول أهل السُّنّة .

وفي رَحيله عن الرحبة يقول علاء الدِّين الوداعي ، ومن خطِّه نقلت :

مــا فَرَّ خربَنْـــدا عَنِ الرحبَـــةِ الـ ... ـعُظْمى إلى أوْطـــانِـــهِ شَـوْقـــا
بَــل خـــافَ مِن مــالِكِهــا أنَّـــهُ ... يُلْبِسُـــهُ مِن سَيْفِـــهِ طَـوْقـــا[3]

ولما تشيَّع السُّلطان خربندا قال جمال الدِّين إبراهيم بن الْحُسام المقدَّم ذكره يمدحه :

أُهــدي إلى مَلِـكِ الْمُلوكِ دُعــائي ... وأخُصُّـــه بمَـــدائحي وثَنـــائي
وإذا الــوَرى والــوا مُلــوكاً غَيرَهُ ... جَهْـلاً فَفيـــهِ عَقيـــدَتي ووَلائي
هــذا خَـدابنـــدا مُحَمَّـــدٌ الَّـــذي ... سَـــادَ الْمُلـوكَ بِـــدَوْلَـــةٍ غَرّاءِ

---

(١) الأمير بدر الدِّين موسى بن أبي بكر الأزكشي ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) محلّة كبيرة في شرقي بغداد . (معجم البلدان) .

(٣) يشير إلى مالك بن طوق ، باني الرحبة ، وسلفت الإشارة إلى ذلك .

ملك البَسيطَـة والَّـذي دانَتْ لَـهُ أكْنـافُهـا طَـوْعـاً بغَيرِ عَنـاء
أغْنَتْـكَ هَيبَتُـكَ التي أُعْطيتَهـا عَن صـارِمٍ أو صَعْـدَةٍ سَمراء
ولَقَـد لَبِسْتَ مِنَ الشَّجـاعَـةِ حُلَّـةً تُغْنيـكَ عَن جَيشٍ ورَفْـعِ لِـواء
مَـلأ البَسيطَـةَ رحبـةً ومَهـابَـةً فـالنّـاسُ بينَ مَخـافَـةٍ ورَجـاء[1]
مِن حَـولِـهِ عُصَبٌ كآسـادِ الشَّرى لا يَرهَبـونَ المـوتَ يَـوْمَ لِقـاء
وإذا رَكِبتَ سَرى أمـامَـكَ للعِـدَى رُعْبٌ يُقَلْقِـلُ أنْفُسَ الأعـداء
ولَقَـد نَشَرتَ العَـدْلَ حتّى إنَّـه قَـد عَمَّ في الأمـواتِ والأحيـاء
فَليهنِ دينـاً ، أنتَ تَنْصُرُ ملكَـهُ وطَبيبُـه الـدّاري بِحَسمِ الـدّاء
نَبَّهْتَـهُ بعـدَ الْخُمـولِ فـأصبَحْتَ تَعْلُـو بهِمَّتِـه على الْجَـوزاء
وبَسَطْتَ فيـهِ بـذِكرِ آلِ مُحَمَّـدٍ فَـوْقَ الْمَنـابِرِ ألْسُنَ الْخُطَبـاء
وغَـدَتْ دَراهِمُـك الشَّريفَـةُ نَقْشُهـا بـاسْمِ النَّبيِّ وسَيِّـدِ الْخُلَفـاء
ونَقَشْتَ أسماءَ الأئِمَّـةِ بعـدَهُ أحْسِنْ بـذاكَ النَّقْشِ والأسماء[2]
ولَقَـد حَفِظْتَ عَنِ النَّبيِّ وَصيَّـةً ورَفَعْتَ قُرْبـاهُ على الغُرَبـاء[3]
فـابْشِر بهـا يَـومَ الْمَعـادِ ذَخيرةً يُجْـزيكَهـا الرَّحمنُ خَيرَ جَـزاء
يـا بنَ الأكاسِرَةِ الملـوكِ تَقـدَّمـوا وورِثتَ مُلكَهُم وكلَّ عَـلاء

ولَمَّا رجع عن التَّرفُّض وتَسنَّن ، وكتبَ على الدَّراهِم والدَّنانير الشَّهادتين وأسماء الصَّحابة ، قال بعض الشعراء في ذلك :

رأيتُ لِخَربَنـدا اللَّعينِ دَراهِماً يُشـابِهُهـا في خِفَّـةِ الـوَزْنِ عَقْلُـهُ
عليهـا اسمُ خَيرِ الْمُرْسَلينَ وصَحْبُـهُ لَقَـد رابَني هـذا التَّسَنُّنُ كُلُّـه

(١) في الوافي : « رغبة ومهابة » .
(٢) في الأصل : « أسماء الصحابة » ، وأثبتنا ما في الوافي ، وهي المرادة .
(٣) في الوافي : « القرباء » .

١٤٩١ ـ مُحَمَّد بن أرغون*

ابن الأمير ناصر الدِّين محمد بن الأمير سيف الدِّين أرغون .

كان والده نائبَ الدِّيار المصريّة ، وكافل الممالك ، وتوجَّه مع والـده لَمَّا توجَّـه إلى حلب نائباً ، وكان السلطان الملك الناصر مُحَمَّد قد أمَّرَه بالدِّيار المصريَّة طبلخاناه وأمَّر معه جماعـة منهم الأمير سَيف الـدِّين أيتْمِش نـائب الشـام والأمير سيف الـدِّين بيـدمر البدري نائب حلب وغَيْرَهما ، وكان السُّلطان يحبُّه ويعظِّمه ويقرِّبُه .

وكان حسن الصُّوره ، بـديـع الجمال ، محـاسِنُـه للـواصف غيرُ محصـوره ، أخـلاقـه لطيفه ، وحركاته ظريفـه ، أظنُّ الشيخ أثير الـدِّين أقرأهُ العربيَّـه ، ودَرَّبـه في النكت الأدبيَّـه ، ولـه فيهـا أبيـات نظمهـا غـزلا ، وجـوَّدهـا عَمـلا ، وكان يشكره ويـوقِّره ، وللمكارم يوفِّره :

أفعـــالُ من تَلِـــدُ الكِرامُ كَريـمَـــةٌ وفِعـــالُ مَن تَلِـــدِ الأعـــاجِمُ أعجَمُ

كان يتأسّى بأخلاق والده ، ويتكسَّب من طـارفـه وتـالـده ، وزاد عليهـا فبلغت بالإجادة ، وأتى عليها والفرع فيه ما في الأصل وزيادة .

ولم يزل بحلب على حـالـه إلى أن كسفَ المـوتُ شمسَـه ، وأطبـق على درِّه المكنـون رَمْسَه .

وتـوفِّي ـ رحمـه الله تعـالى ـ يـوم الْجُمُعَـة ثـاني عشر شعبـان سنـة سبـع وعشرين وسبع مئة ، ودُفن يوم السبت في تربة سودي خارج باب المقام .

١٤٩٢ ـ مُحَمَّد بن إسحاق بن مُحَمَّد**

ابن نصر بن صقر ، شمس الدِّين الحلبي الحنبلي ناظر أوقاف حلب .

---

* الدُّرر : ٣٧٩/٣ .

** الوافي : ٢٠٠/٢ ، والدُّرر : ٣٨١/٣ .

كان قد باشر نظر الأوقاف وبيده جهات ، يلبسُ لبس الفقراء ، وهمّته همّة الأمراء . يمدحه الشعراء ويُجيزهم ، وينفلهم[١] عن غيرهم في العطاء ويَميزهم ، وفيه كرم وسَماحَه ، وعلى مُحيّاه قبول وصَباحَه ، وهو مقيم بالخانقاه ، والعز والجاه ، قد أقاما معه وما فارقاه . وحضر إلى دمشق صحبة قراسنقر فما لاق بها ولا لاقت به ، لمن بها من الكتبة ، وكان إذا ضاق عِطْنه بها قال : ما يحملني إلا تلك الخرية .

وعاد إلى حلب وأحْمَدَ فيها المنقلب ، وأقام بها إلى أن حلّقت على ابن صقر من الموت عُقابُه الكاسر ، ووقع بسياقه منها بين المخالب والمناسر .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ في شعبان سنة ست وعشرين وسبع مئة .

ومولده بحلب ثالث عُشْرَي جمادى الأولى سنة ثلاث وثلاثين وست مئة .

كان يذكر أنه سمع من قرابته الضياء[٢] ، ومن الحافظ يوسف بن خليل

قال شيخنا البرزالي : وما وجدنا شيئاً من ذلك ، وإنما روى عن النجيب عبد اللطيف ، سَمع منه بالقاهرة (مشيخة) بن كليب[٣] ، انتهى .

قلت : وقد رأيته بحلب غير مرَّة في سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة . وهو شيخٌ أبيض ، أحمر الوجه ، نقيَّ الشَّيب ، نظيف الثياب ، ورأيت الحلبيين يشكّون في شهاداته ، وإنما كان [فيه][٤] كرم وقيام بحقوق الواردين إلى حلب .

وممن امتدحه الشيخ جمال الدِّين محمد بن نباتة ، وأنشدني من لفظه لنفسه :

(١) في الأصل : « وينقلهم » ، ولعلَّ ما أثبتناه أشبه .

(٢) في الدُّرر : « الضياء صقر » .

(٣) في الأصل : « كلب » ، وأثبتنا ما في الدُّرر ، وهو ابن كليب الحرّاني ، عبد المنعم بن عبد الوهاب (ت ٥٩٦) ، السير : ٢١/٢٥٨ .

(٤) زيادة يقتضيها السياق .

.... والله لــــولا شَمْسُهــــــا الْمُجْتَبى[(١)]
لم يَلْـــقَ راجي حَلَبٍ زُبْـــــدَةً ولم يُصـــادِفْ لَبَنـــاً طَيِّبــــا[(٢)]

وأنشدني :

حَمىٰ اللهِ شَمسُ الْمَكْرُمــاتِ من الأذَى ولا نَظَرَتْ عَيْنــايَ يَــومَ مَغيبُــه[(٣)]
لقــد أبقَتِ الأيــامُ منــهُ لأهلِهــا بقيّـةَ صـافي الْمُـزْنِ غَيرَ مَشُـوبَـه[(٤)]
كأنَّ سَجــايــاهُ اللطيفَـــةَ قَهـوةٌ حَبـابُ حُمَيّـاهـا بَيـاضُ مَشيبـه[(٥)]

وبلغني أنه كان يأخذ القصيدة من شاعرها ، ويكتب في قفاها تاريخ إيصالها إليه ، ويذكر الجائزة ما هي ، ويدعها عنده . فإذا تقدم ذلك الشاعر في الزمان أو صارت له صورة في الدولة ، أحضر للناس تلك القصيدة ، وقال : هذه أتى بها إليَّ في الوقت الفلاني ، وأجزته عليها بكذا ، فعل ذلك بجماعة كبار ، وحكي أنه كان تاج الدِّين بن النصيبيّ له حُجْرة[(٦)] شقراء يركبها دائماً . فاتفق أن ركب غيرَها في بعض الأيام فرآه شمس الدِّين بن صقر فقال له : يا تاج الدِّين أين الشقراء ؛ فقال ابن النّصيبي : في استِي . فضحك هو ومَن سمعَه .

---

(١) صدره كما في الدُّرر :
يــا ســائلي عن حلبٍ لا تُطِـل
ولم نقف عليه في الديوان .
(٢) ديوان ابن نباتة : ٥٧ .
(٣) في الدُّرر : « عيناك » .
(٤) في الدُّرر : « فيه لأهلها » .
(٥) في الدُّرر : « يناجي مشيبه » .
(٦) هي أنثى الخيل ، وفي القاموس أنها بغير هاء .

١٤٩٣ ـ مُحَمَّد بن إسحاق بن لولو*

الأمير جلال الدِّين بن الملك المجاهد سَيف الدِّين بن السُّلطان بدر الدِّين الأتابكي ، صاحب الموصل .

سَمع من النجيب عبد اللطيف (جُزء ابن عرفة) ، والحديث المسلسل ، و (الثمانيات) و (المصافحات) المخرَّجة له ، وسمع (الجمعة) للنَّسائي .

توفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في شهر رجب سنة عشرين وسبع مئة .

١٤٩٤ ـ محمد بن أسعد بن عبد الكريم**

ابن سُلَيمان بن طحا القاياتي ، الشيخ الإمام كال الدِّين أبو بكر المنصوري .

سمع من النجيب عبد اللطيف وأخيه العز عبد العزيز ، وابن الحامض[(١)] ، وغيرهم .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ ثامن عشر جمادى الآخرة سنة ثلاثين وسبع مئة ، ودُفن بالقرافة .

وقد أجاز لي رحمه الله تعالى .

وكان معيداً بزاوية الشافعي وبالزاوية المجدية .

١٤٩٥ ـ محمد بن أسد***

الشيخ شمس الدِّين ، الكاتب المجوِّد ، المعروف بابن النجار .

---

* الدُّرر : ٣٨٢/٣ .

** الوافي : ٢٠٢/٢ ، والدُّرر : ٣٨٣/٣ .

(١) محفوظ بن عمر بن أبي بكر (ت ٦٩٣ هـ) ، الشذرات : ٤٢٧/٥ .

*** الدُّرر : ٣٨٢/٣ .

كتب عليه جماعة بمدرسة القليجية بدمشق وبداره ، وانقطع في آخر عمره مدة .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ تاسع عشر ربيع الآخر سنة ست وعشرين وسبع مئة .

١٤٩٦ ـ مُحَمَّد بن أسعد بن حمزة*

القاضي نجم الدِّين بن القاضي مؤيَّد الدِّين بن الصّاحب عز الدِّين بن القلانسي التَّميمي ، تقدم ذِكْرُ والده وجدِّه .

كان نجم الدِّين رحمه الله تعالى كثيرَ الأدب ، وافر الحشمة ، قد تمسَّك فيها بأقوى سَبب ، زائدَ التواضع في الرَّغَب والرَّهَب ، متيّماً عَشّاقا ، يشرب كأس الحبِّ دِهاقا[1] ، لا يزال يهيم من المحبّة في كلِّ واد ، ولا يصُدُّه عمن يألفه يَدُ عَوّاد .

وكان في ديوان الإنشاء أولا ، ثم جَعَل له إلى ديوان الجيش متحوَّلا ، وبيده أوقاف وأنظار ، وماله في سعادته أشباهٌ ولا أنظار . وكان يؤدِّي الأمانة فيما يباشِرُه من الوقوف ، ولم يكن له تربُّصٌ عن الخروج من الحق ولا وُقوف ، وكان يرجع إلى ديانه وتَمَسك بِعصَم الأمانه[2] . إلى أن انكدر نجمه ، وانضمَّ عليه لما نزل رَجْمُه .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ يوم الخميس خامس شوال سنة ثمان وخمسين وسبع مئة ، ودُفن بعد الظهر في تربة والدته ، ولم يُدفن عند أبيه وجده .

وكان لا يأكل إلاّ مِمّا يَدْخُله من وَقْف والدته دون أوقاف أبيه وجدِّه .

وكان في ديوان الإنشاء أوّلاً ، ولم يُسْمَعْ له نظم ولا نثر ، ويقول : أنا لا أدع الناس يضحكون عليَّ .

ولَمّا جاء الفخري ومَلَك دمشق خرج من ديوان الإنشاء وباشر صحابة ديوان

---

* الدُّرر : ٣/٣٨٣ .

(١) أي : ممتلئة . وفيه اقتباس من قوله تعالى : ﴿ وكَأْساً دِهاقاً ﴾ [سورة النَّبأ : ٧٨/٣٤] .

(٢) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ ولا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوافِرِ ﴾ ، [سورة الممتحنة : ٦٠/١٠] .

الجيش بدمشق ، وكانت بيده أنظار وأوقاف[١] وغيرها يؤدي فيها الأمانة ، ويتحرّى في مصروفها ، وكان قاضي القضاة تقي الدِّين السبكي رحمه الله تعالى يثني عليه في ذلك ، ويقول : ما رأيت في دمشق مثله .

وكان يدخله من ملكه ووقفه في [كل][٢] سنة ما يقارب الأربعين ألف درهم ، إلا أنَّه كان مُبَخّلاً ، وفي يده مُسْكَة . ويكتب كتابة ضعيفة مرجوفة .

وقف يوم الخميس لملك الأمراء ، وسأله الإعفاء من[٣] الجامكيّة إلا الكسوة لا غير ، فتعجَّب ملك الأمراء منه ، وخرج من عنده ، فمرض يوم السَّبت وما جاء الخميس الآخر إلا وهو تحتَ التراب .

١٤٩٧ ـ مُحَمَّد بن إسماعيل*

السُّلطان الملك الأفضل ناصر الدِّين ابن السُّلطان الملك العالم الفاضل عِماد الدِّين المؤيَّد بن الأفضل علي ابن الملك المظفر ابن الملك المنصور ابن صاحب حماة تقي الدِّين عمر بن شاهَنْشاه بن أيوب بن شاذي . ملك ابن ملك ، وذو نسب في البيت الأيوبيّ يضيء به الليل الحالك[٤] ، يعطي عطاء الملوك ، ويجود بما تخجل من نفاسته الشمسُ في الدّلوك[٥] ، ويغنم من الثناء عليه بالجواهر التي تنتظم في السلوك ، إلا أنه لم يكن محظوظاً في جوده ، ولو سَمَحَ بما في موجوده .

كان والده رحمه الله تعالى في ذلك أسعد ، وأرقى في درج الثناء وأصعد .

---

(١) (خ) : « وقوف » .

(٢) زيادة من (خ) .

(٣) في الأصل : « عن » ، وأثبتنا مافي (خ) .

* الوافي : ٢٢٤/٢ ، وتاريخ أبي الفداء : ١٣٦/٤ ، والدُّرر : ٣٨٨/٣ .

(٤) في (خ) : « الحلك » .

(٥) الدلوك : الغروب .

وكان الملك الأفضل سليمَ الباطن عديمَ الشَّرِّ للنازِح والقاطِن ، تنسَّكَ في وقت وجلسَ على لبّاد ، ورفض سماع الشعرَ حتى نقائض الفرزدق وجرير .

وما كان يخلو من ذوق ، وعنده فضيلة تَزين ربّ التاج والطوق ، كثير التأدب مع من يخاطبه ، غزير التَّعتُّب على من يقاطعه أو يُجانبه ، كبير التألُّب على من يَسْتَدعيه لجوده ولا يجاوبُه :

وَرِثَ السِّيادةَ كابراً عن كابرٍ كالرمْحِ أنبوباً على أنبوبِ[(١)]

ونُقِلَ أخيراً إلى دمشق من حماه ، وتَرَك مُلْكَهُ فيها وحِمَاه ، فأكمده على ذلك الْحَزَن ، وطوَّل الغَمُّ لهُ الرَّسَن ، وحَصَل له قولنج أُعقبَ بصَرْع ، وألحق بالأصل الفَرْع . وجفَّ من حياته الضَّرْع ، وضاق من أهله وخدَمِه الذَّرْع ، وأفضى الأفضل إلى ما قدّم من عمل[(٢)] ، وخاب مّمن كان يقصده ويرجوه الأمل ، ووُضِعَ في تابوت ونُقل إلى حماه ، ورشف العدوُّ من السرور لَمَاه ، فعاد من وطنه إلى غير سَكَن ، وناح عليه حتى ناعورة أم الْحَسَن .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ بدمشق ليلة الثلاثاء حادي عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة .

ومولده ...[(٣)] .

كان والده رحمه الله تعالى ، قد سمّاه في حياته بالمنصور ، فلَمّا تُوفّي والده في سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة رَسَم له السُّلطان الملك الناصر مُحَمَّد بمكان أبيه في حماة ، وسَمّاه بالأفضل باسم جدّه ، ورسم السلطان للأمير سيف الدّين تنكز ولسائر نواب الشام أنْ يُجروه على عادة والده في جميع أحواله من المكاتبة وقَبول الهديّة وسَماع الشفاعة وغير ذلك .

(١) أنبوب الرمح : كعبه .
(٢) في الأصل : « عمل العمل » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٣) كذا بياض في الأصل و (خ) .

وطلبه إلى مصر وأقبل عليه ، وكتب تقليده بحماة[(١)] على عادة والده ، وأفاض عليه التشاريف الفاخرة ، وكان يعطي الناس ويجود عليهم[(٢)] ، ويخدم الأكابر وهو مذموم .

وما زال في حَماة مُرَوَّعاً مُدَّة حياته تارة من جهة السلطان ، وتارة من جهة تنكز ، وتارة من جهة العربان ، يأخذون إقطاعاته ، وتارة من جهة أقاربه يَشْكُون عليه .

وكان وهو في حماة قد ولاّني نظر المدرسة التقويّة بدمشق نيابة عنه ، وزاد معلوم النظر . ولَمَّا حضر إلى دمشق توجَّهت إلى خدمته ، فتصدَّق وأحسن وأجمل ، وتردَّدْتُ إليه ، وسَمِعت كلامه غَيْرَ مرّة ، وما كان يخلو من استشهادٍ على ما يقوله بشعر مطبوع ، أو مثل مشهور .

ولم يزل على حاله في حماة إلى أن تولى الأشرف[(٣)] كجك ، فرسم له بحضوره إلى دمشق ، ووَلِيَ الأمير سيف الدِّين طقزتمر نيابة حماة ، وأن يكون الأفضل بدمشق أميرَ مئة رأس الميسَرة ، وأن يُطْلَق له من دخل حماة ألف ألف درهم ومئتا ألف في كل سنة ، فوصل إليها في أوائل شهر ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة ، فلم يركب بها سوى مركبين[(٤)] ، وحصل له قولنج أُعقب بصَرْع ، فتوفِّي في التاريخ المذكور .

ومن الغريب أن زوجته كانت قد مرضت وأشرفت على الموت ، فعمل لها تابوتاً ليضعها فيه إذا توفيت ، ويحملها إلى حماة ، فتوفي هو قبلها ، فوضعته والدته هو[(٥)] فيه بعينه ونقلته إلى حماة . ثم إن الزوجة المذكورة توفِّيت عشيّة ذلك النهار ، وتوجَّه ابناه

(١) في الأصل : « إلى حماة » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٢) في الأصل : « عليه » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٣) في الأصل : « الأشراف » ، سهو ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٤) في (خ) : « موكبين » .
(٥) ليست في (خ) .

إلى مصر صحبة جدتها ، فأكرم نزلها إكراماً لِقَوْمِها ، وأُعطي ابنه الأكبر سبعين فارساً ، فمات في مصر قبل خروجهم[١] . فسبحان مَنْ يُقَرِّب الآجال ، ويقطع الآمال .

وتَرَك الملك الأفضل ـ رحمه الله تعالى ـ عليه من الدين على مابلغني مِمّن له اطِّلاع على حاله فوق[٢] الألفي ألف درهم .

وكان الأمير سيف الدِّين تنكز قد حنا عليه آخراً حُنُوّاً كثيراً ، وأراد السُّلطان أن يَعْزِله عن حماة فتوجَّه تنكز إلى مصر ، وشفع فيه ، ولَمّا أُمسك تنكز تعبَ بعده ، ولَزِمَتْه مغارمُ كثيرة ، وكثرت الشكاوى عليه ، وقلَّ ناصره فتضعضعت أحواله ، واختلَّت أموره ، وكان الموت فجاءة آخر خموله ـ نعوذ بالله من الخمول ـ .

وقال شاعره وشاعر أبيه جمال الدِّين مُحَمَّد بن نباتة يرثيه وأنشدنيها من لفظه :

تَغرَّبَ عَنْ مَغْنَى حَماة مَليكُهـا ... وأوْدَى بهـا مِنْ بَعْـدِ ذاكَ مَماتُـهُ
وما مـاتَ حتّى مـاتَ بَعْضُ نِسائهِ ... بِهَمٍّ وكادَتْ أن تَمـوتَ حَماتُـهُ[٣]

وقال فيه أيضاً قصيدة منها[٤] :

بَكى الشّعرُ أيّـام المنى والمنـائـحِ ... ففي كلِّ بيتٍ للثَّنا صَوتُ نـائحِ
ولَمّا ادْلَهَمَّت صَفحةُ الأُفقِ بالأسى ... عَلِمْنا بأنَّ الشُّهبَ تحتَ الصَّفائـحِ
حَيَا الْمُزنِ أسعِدْني على فَقْـد سادَتي ... بدمعٍ كَجَـدْواهُم على الخلقِ سَافحِ[٥]

---

(١) (خ) : « خروجهم منها » .

(٢) (خ) : « جملةً فوق » .

(٣) في الديوان : ٨١ بيتان يشبهان هذين ، رثى فيهما الأفضل ، هما :

مَضى الأفضل المرجوّ للبأسِ والنّدى ... وصحّت على رغمِ العُداةِ وفاتـه
ومـا مـاتَ أو مـاتت بحزن نساؤه ... ومـاتت بأحزان البلاد حماتـه

(٤) ديوانه : ٩٩ .

(٥) في الديوان :

« ... ... على فقـدِ سـادةٍ ... بدمعٍ كجدواهم على الناسِ طافحِ »

أبَعْدَ بَني شادٍ وقَدْ سَكنوا الثَّرى   قَريضٌ لِشادٍ أو سُرورٍ لفارحِ
أبَعْدَ مُلوكِ العلمِ والباسِ والنَّدى   تَشبُّ العُلا نارَ القِرى والقرائحِ
لَئن أوحَشوا منهُم بُيوتَ مقامِهم   لَقد أوحَشوا مِنا بيوتَ المدائحِ[1]

منها :

تَلا فَقْدَ إسماعيلَ فقدُ مُحَمَّدٍ   فيا للأسَى مِن فادحٍ بعدَ فادحِ[2]
وزالا فما إنسانُ عَيني بِمُمْسِكٍ   بُكاهُ ولا إنسانُ عَيني بكادحِ[3]
كأنْ لم يَجُد بعدَ المؤيّدِ أفضلٌ   فَمَن جَذَع بَذَّ الجيادَ وقارحِ[4]
كأنَّ زِنادَ الفضلِ لم يورِ منهما   سَنا شِيَم مافيهِ قولٌ لقادحِ

منها :

وَوَاللهِ كانُوا في صِفاتِ مُحَمَّدٍ   إذا نَحنُ أثنَينا عليهِ بصَالحِ[5]
سَلامٌ على جنّاتِ أجْداثِهم ولا   سَلامٌ لنارِ الْحُزنِ بينَ الجوانحِ

وأنشدني من لفظه لنفسه الأديب علاء الدِّين علي بن مقاتل الْحَموي بحماة يرثي صاحبها الملك الأفضل ويعرِّض بمجيء طقزتمر لحماة نائباً بدله ، وهو مملوك أبيه :

صاحبُ حماة ماعُطي في الدّست إلهامات   بيدَق تَغرزن عَقدْ بَنْدُو على الهامات
دارت عليهِ رخاخ أفيال وهامامات   لعِب بنفسو على خيلٍ ركبها مَات[6]

وأنشدني أيضاً :

(١) في الديوان : « لقد أوحشت » .

(٢) في الأصل : « قادح بعد قادح » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي والديوان .

(٣) في الديوان : « بكاء ... ولا إنسان قولٍ .. » .

(٤) ليس في ديوانه .

(٥) في الديوان : « والله مانقضي حقوق مُحَمَّد » .

(٦) في الأصل و (خ) : « وهامات » ، وأثبتنا ما في الوافي .

يا أولادَ الأفضلِ كُسِرتوا كَسْر ما لو جَبْرِ   فقدتُم ابنَ المؤيَّدِ نجلَ ذاكَ الْحَبْرِ[1]
تَصَبَّروا وانْدُبوا مَن قد حَواهُ القَبْر   فآل أيوبَ هُم أهلُ البلاَ والصَّبْرِ

وأنشدني له أيضاً :

بالأمسِ يا أولادَ الأفضلِ صاحَ صايحُكُم   على الْمَلا بينَ غاديكُم ورايحكُمْ
واليَومَ صارَت مغانيكُم نوايحكم   وابْتَدّلت بمراثيكُم مَدايحكُمْ

وأنشدني له أيضاً :

مُحَمَّد المصطفى المختارِ مِن مَنْشاهْ   مَن شرَّف الكونَ في سابعِ سَما مَمْشاه[2]
أذاقَهُ الْمَوت مَنْ كُلُّ الوَرى تَخْشاه   مَنْ هُو مَلك مصرَ أومَن هو ابن شاهَنْشاه[3]

ولَمّا مات والده الملك المؤيَّد ـ رحمه الله تعالى ـ حضر منه كتاب إلى الأمير سيف الدِّين تنكز يعلمُه بذلك فكتبت أنا الجواب[4] إليه :

« جعَلَه الله خيرَ خَلَف ، وهَنّأ البيت الأيوبيّ بما ورثه من المجد[5] المؤثل والشرف ، وسقى صوب الرحمة أصلَه الذي فرَّع دَولتَه[6] الطاهرة وسَلف ، تقبيل من صدع الهناءُ جَبْرَ قلبه ، ومَسَحَ كفُّ السُّرور غمام دمعه الذي [كاد هيدبه][7] يذهب بهُدْبه ، ويُنْهي بعد الدعاء الذي أجيبَ بالقَبُول لإخلاصِه رَفْعَه ، والولاء الذي لم يضق بالعبوديةِ رَبْعُه ولا ذَرْعُه ، والثناء الذي أخجَلَ تغريد الحمام في الخمائل سَجعُه ، أنَّ مثاله الكريم ورَدَ على يد فلان يتضمَّن ما قدَّره الله تعالى من وفاة المقام الشريف

(١) في الوافي : « كُسِرْتُم كسر » .
(٢) في الأصل و (خ) : « منشاه » ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٣) هنا تنتهي ترجمته في الوافي .
(٤) في (خ) : « أنا عنه الجواب » .
(٥) (خ) : « وهنأ الأنام بما ورثه عن سعادة بيته التقوي من الجد ... » .
(٦) في (خ) : « دوحته » .
(٧) زيادة من (خ) .

العمادي والد مولانا قدَّسَ الله روحَهُ الكريمه ، وسقى تُرْبةً ضَمَّتهُ صَوب كلّ ديمه . فوقف للمملوك على الخبر الذي روّع العباد ، وغدا كلُّ قلب كأنَّما يُجَرّبه على شوك القتاد ، ونظر إلى النجوم كأنها خَرائد سافرات في حداد ، فأرسَل المملوك دَمْعَةَ الصَّبِّ على الحبيب الذاهب ، وأخذ من قِسمَة الأحزان بين الأنام نَصيبَه الواجب ، وكيف لا يعم الوجودَ هذا المُصابُ ، وتُبَيِّن الدُّموعُ بسحِّها شُحَّ[1] السَّحاب ، وقد كُوِّرت الشَّمسُ ، ولا تقول انقضَّ الشِّهابُ ، وغيضَ البَحْر ، ولا نقول انقشع[2] الرّباب ووهى عماد الملك ، ولا نقول انقَصَمت[3] الأطناب ، وفجع بمن أثقلت أياديه الأعناق قبل أن حُمِلَ على الرِّقاب :

رَدّت صنائعُه علَيه حَياتَه ... فكأنَّه من نشرِها منشورُ

وللوقت طالعَ المملوك العلوم الشريفة بذلك ، ووَرَد الجواب الشريف يتضمن شمول مولانا بالصَّدقات الشريفة ، وإقامته مقام والده قدَّس الله روحَه ، فهنّأ الله مولانا بهذه البشرى التي صدَّقت الرّجا ، والمسرّة التي رُقمت سُطورها على كافور النهار بعنبر الدُّجى[4] . وما أحقّ هذه البشرى أن تهتز لها أعطافُ المنابر ، وأن تنطق بحمدها ألسنة الأقلام من أفواه المحابر ، وأن تَعُدَّ نعَمَها أنامِلُ الرّايات إذا خَفَقَت ، وأن تتورّد صفحاتُ السيوف من دم الأعادي إذا امتشقت ، والله يجمّل الأيام بدولته الزاهره[5] ، ويجعل الأقدار على مُرادِه ومرامه متظافره ، بمنّه وكرمه - إن شاء الله تعالى - » .

فعاد جوابُه يتضمن أنه واصلٌ إلى دمشق ليتوجَّه منها إلى الدِّيار المصريّة ، فكتبتُ أنا الجوابُ إليه :

(١) (خ) : « سحَّ » .
(٢) (خ) : « تقشع » .
(٣) في الأصل : « انضمّت » ، وأثبتنا مافي (خ) .
(٤) في (خ) زيادة : « والهناء الذي خلَّق الأصيل أفق السماء بزعفرانه ، والفرح الذي قلَّد الليالي بدر أنجمه وجمانه » .
(٥) (خ) : « القاهرة » .

« أعَزَّ اللّهُ أنصار المقام الشريف العالي المولويّ السُّلطاني الملكي الأفضلي ، ولا زال مقامُه الشريفُ بالتحف ملتحفا ، ومجدُه المؤثّل بأزاهر الْمَحامد رَوْضه أنفا ، وركابُهُ العالي إذا سار أخذت الأرض زينتها ، ولبست زخرفاً[١] تقبيلاً يكسبُ به ثغر الثُّرَيّا شَرَفاً ، ويغدو على[٢] شفَة الهلال شِفا ، بعد أن كان من السُّقم على شَفا . ويُنهي بعد أدعية رُقِمت على سرادق الإجابة أحرفا ، وعبوديّة لم يجد الولاء عن إخلاصها مَصْرفا ، وأثنيةٍ تُنْشَرُ على الرّوض بُروداً وتُقرأ الْحَمائم من سَجعها صُحُفا . ورد[٣] المثال العالي يتضمَّن حركة الركاب الكريم إلى الأبواب الشريفة ، فكاد قلبَ المملوك لِتَلَقِّيه يطير فرحا ، ويميد عطف الزَّمان ومَنْ فيه مَرَحا ، ويكون يوم قدومه يومَ الزينة وأن يُحْشَر النّاس ضُحى . فالله تعالى يجعلها حركةً مقرونةً بالسُّعُود ، موصولةً بالْمَيامِن التي [بها][٤] جمال الأيام والأنام والوجود » .

وكتبت أنا إليه عن السلطان الملك الناصر مُحَمَّد كتاباً ببشارة النيل عَقيب وروده من الحجاز سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة :

« أعزَّ الله أنصار المقام الشريف ، وجعل رُسُلَ الهنا تتوارد على مَقامه تَتْرى ، وأبهجه بكلِّ نبأ[٥] من الْخَصب يتحرّق له البرق حَسَداً في قلب السحاب ويَتَحَرَّى ، وسَرَّه بكلِّ خَبَر يتفرَّق به مَحَلَّ الْمَحْل ويَتَفَرَّى ، ويعمّه بكل وارد يقص عليه حديثاً جَعَل البَرَّ بحراً وملأ البحر بِرّا . أصدرناها إلى مقامه الكريم تجد[٦] رعي عهوده ،

---

(١) فيه اقتباس من قوله تعالى : ﴿ حتّى إذا أخَذَتِ الأرضُ زُخْرُفَها وازَّيَّنَتْ ﴾ [سورة يونس : ١٠/٢٤] .

(٢) (خ) : « ورود » .

(٣) (خ) : « في » .

(٤) زيادة من (خ) .

(٥) في الأصل : « ثناء » ، وأثبتنا مافي (خ) .

(٦) في (خ) : « تجدد » .

وتَفضّ سلاماً يتردد إليه تردّد أمواج[١] البحر في انحداره وصعوده ، وتبثّ ثناء لا يزال بين خفق ألويته وبنوده ، وتُبْدي إلى العلم الكريم أنه وَرَد ركابنا الشريف إلى محل[٢] ملكه ، ومجرّة فلكه ، ومَجْرى فُلْكه ، فوجدنا النيل المبارك قد جعل الأرض لجّه ، وأرخى نقاب تيّاره على وجه كل مَحَجَّه ، وارتفع إلى أن جعل على هَضَبات السَّحاب مَقَرَّه ، وزاد إلى أن كاد يمازج نهر المجرّه ، وبعث سَرايا مقدّماته ، فتحصَّنت في كلّ فجٍّ وفَجْوَه ، وانعطف حول أزرار الأهرام كالعُرْوَه ، وشَرِب دمَ الْمَحل فهو من تحت حباب القلوع كالقهوه ، واتَّصَف بصفات الأولياء ، فبينا هو في أقصى الجنوب إذا هو في أقصى الشمال ، والأرض للرجل الصّالح خُطْوَه ، وأصبح في طلب تخليقه مُجدّا ، وأعدَّ لِلْجَدب من تياره سابِغَة وعَدّاء علَنْدَى[٣] ، ومَرَق كالسَّهم في خليجه من قسيٍّ قناطره ، وخنق الْمَحل بعَبَراته في مَحاجره ، وبشّرَ أن آلاف الأموال أضعاف ما فيه من الأمواج ، وخبّرت رقاعه[٤] أنَّه لم يبق فيها مُحتالٌ ولا محتاج ، فأكمل السّتة عشرة ذراعاً .

وكتبت إليه أجوبة كثيرة عن الأمير سَيفُ الدِّين تنكز ، منها ما هو جوابٌ على[٥] مشمش كافوري أهْداه في باكورةِ السَّنَةِ ، ومنها ما هو عن رُخام مُلَوّن أهداه وغير ذلك ، وهي في الجزء الثامن عشر من (التذكرة) التي لي .

١٤٩٨ ـ مُحَمَّد بن إسماعيل بن أسعد*

وقيل : ابن أحمد بن علي بن منصور بن مُحَمَّد بن الحسين الشَّيباني ، الأمير

---

(١) في الأصل : « انحدار » ، وأثبتنا مافي (خ) .

(٢) (خ) : « مستقرّ » .

(٣) يشير إلى بيت عمرو بن معديكرب :

أعددتُ لِلْحَدثان سابِغَةً وعَدّاءً عَلَندى

شعره : ٨٠ . والعلندى من كل شيء : الغليظ .

(٤) في الأصل : « رفاعه » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٥) (خ) : « عن » .

* الوافي : ٢٢٧/٢ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٥٥ ، والدُّرر : ٣٨٦/٣ ، والشذرات : ١١/٦ ، والنجوم الزاهرة : ٢١٧/٨ .

شمس الدِّين بن الصّاحب شرف الدِّين الآمدي ، المعروف بابن التِّيتي ، بتاء ثالثة الحروف مكسورة ، وبعدها ياء آخر الحروف ، وتاء ثانية وياء النسب .

كان وزيراً بماردين ، وحضر أخيراً في الرسليّة من الملك أحمد[١] صحبة الشيخ عبد الرَّحمن الكواشي ، ومات من أرسَلَهُ وحُبِسَ رُسُلُه ، ومات الشيخ عبد الرَّحمن ، على ماذكرته في ترجمته في (تاريخي الكبير)[٢] ، وطُلِبَ شمس الدِّين هذا إلى مصر ، وأُعطي إقطاعات الحلقة ، وترقَّى إلى أن صار نائب دار العدل في أيام السُّلطان حسام الدِّين لاجين .

وجَفَل به فَرَسٌ فَوَقَع ، فمات ـ رحمه الله تعالى ـ في ثامن جمادى الآخرة سنة أربع وسبع مئة بمصر .

روى عن الشيخ بهاء الدِّين بن بنت الْجُمّيزي ، وأبي الْحَسن بن المقيّر ، وجَماعة .

وكانت له مشاركة في نحو ولغة . وروى عنه شيخنا الحافظ أبو الفتح ، والشيخ قطب الدِّين عبد الكريم ، وغيرُهما .

ومن شعره :

إذا ما الدَّهرُ مالَ عليكَ يَوْماً ... وصالَ بِصَرْفِه وسَطا وجارا
فثِقْ باللهِ مُعتَمِداً عَليهِ ... يَكُن لكَ مِن صُروفِ الدَّهرِ جارا[٣]
وإن دارَت دوائرهُ ببَغيٍ ... عليكَ وعَنكَ بالإقْبالِ دارا
وشَطَّ بِكَ الْمَزارُ فلا مَزار ... وباعَدَ عنكَ أحباباً ودارا
فلا تَجْزَع ودارِ وكُنْ صَبوراً ... فَمَن يَرْجو نَجاةً منهُ دارَى

(١) سنة (٦٨٢ هـ) كما في التالي .
(٢) الوافي : ٢٦٠/١٨ .
(٣) في الأصل : « صرف الدهر » ، ولا يستقيم بها الوزن .

ولا تَرْكَن إلى الـدُّنيـا وبـادِرْ بفِعْـلِ الخيرِ واغتَنِمْ البِـدارا
فـإنَّ أخـا الْجَهـالـةِ مَن تَـولَّى ولم يَنظُر إلى الـدُّنيـا اعْتِبـارا

أنشدني من لفظه شيخنا الحافظ فتح الدِّين ؛ قال : قال الأمير شمسُ الدِّين ابن التِّيتيّ :

أنشدت الزّين خالد :

قلتُ للـزَّين : كَيفَ لا تُثْبِتُ البَعْـ ـثَ وتَنْفي إنكارَهُم لِلْحَشرِ
قـال : أثْبِت . قلتُ : ذقنـك في استي قالَ : اِنْفِ . فقلتُ : في وَسطِ حجري

قلتُ : أخذ هذا المأخذ من قول الأوّل :

جـاءَ سَـدٌّ يـدِ الـدينِ في وَجهـه أنْفٌ لَـهُ كادَ يُـواريـه
قلتُ لـهُ : مـاذا القضـا ؟ قـال لي : ذا مِنْخَري ، قلتُ : أنـا فيـه

١٤٩٩ ـ مُحَمَّد بن إسماعيل بن موسى*

الشريف تقي الدِّين الْحُسَيني الأشقر .

كان يتوكَّل للناس من الأمراء ، وغيرهم وتوكَّل لأمير حسين بن جندر بك ، وتوجَّه له إلى مصر ، وعاد إلى دمشق .

ثم إنَّه شَنَق روحه في بيته بحارة بلاطَة[1] ، وكتب ورقة وعلَّقها في عنقه ، يقول فيها : ما آذاني أحد من خلق الله تعالى ، وما فعلت هذا بنفسي إلا بسبب الديون التي عليَّ ، وخشيتُ أن أُضرب بمقارع الأمير علم الدِّين الطرقجي . وما كان قد استدان من جامع السَّلامي ، ومن غيره عشرة آلاف درهم وأكلها ، فراح ابن جامع[2] وشكاه إلى

* الدُّرر : ٣٩٢/٣ .

(١) أشار إليها صاحب الدارس غير مرّة ، انظر : ٢٨٤/١ ، ٣٦٨ ...

(٢) هو عمر بن جامع بن يوسف السّلامي (ت ٧٥٧) . وفيات ابن رافع : ٣٣٥/١ .

أوران الحاجب ، فرسم عليه وتهدده بالطرقجي ، ففعل بنفسه ذلك في سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة .

نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .

١٥٠٠ ـ مُحَمَّد بن إسماعيل بن أحمد بن سَعيد*

القاضي الرئيس الكاتب كمال الدين بن الأثير ، موقِّع الدّست بالدِّيار المصريّة .

كان فاضلاً في صناعته ، كاملاً في براعته ، فصيحاً في عِبارته ، مليحاً في إشارته وشارته . يكتبُ خَطّاً آنقَ من الحدائق ، وأرشقَ من الأغْيدِ الذي لُطِفَت منه الخلائق ، كَتَب المناشير الكِبار والتواقيع ، وأتى فيها بمقاصِد الكتّاب المطابيع ، فكان كما قال الغزّي :

تَصيخُ لـهُ الأسماعُ ما دامَ قـائـلاً وتَعْنو لـهُ الأبصارُ ما دامَ كاتِباً

ولم يزل على حاله في توقيع الدّست بمصر إلى أن أصبح مسجّى .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في ذي الحجّة النصف منه سنة إحدى وعشرين وسبع مئة ، ودُفِنَ بالقرافة ، وكانت جنازته حافلة بأرباب الدولة والعلماء والصّوفيّة ، وصلِّي عليه بالجامع الأموي بدمشق ، يوم الجمعة سادس عشر ذي الحجّة .

ورثاه شيخنا العلامَة شهاب الدِّين محمود ـ رحمه الله تعالى ـ بقصيدة طنّانة وهي ...(١) .

ومن إنشاء القاضي كمال الدين بن الأثير ـ رحمه الله تعالى ـ نسخةُ تَقليدٍ للأمير شمس الدِّين قراسُنقر المنصوري بنيابة دمشق عقيب قدوم الملك الناصر من الكرك وهوَ :

* الدُّرر : ٣٨٦/٣ .

(١) كذا بياض .

« الحمد لله الذي أنجز من الأُلْفة للإسلام ما وَعَد ، وأطفأ لهب الْخُلْفِ ، وقَدْ وَتَـد ، وأحسنَ عـاقبـةَ المسلمين فيما صَدَر من أمْرِهم ومـا وَرَد ، جـاعِلِ الْمُلْـكِ من هـذا البيت الشريف منتقـلاً في عَقِبـه ، آيـلاً إلى مَنْ أصبَـحَ ومغنـاه أهـلٌ بـه لَمَّـا حَـلَّ في رُتَبِـه ، وأضحى وهو مفروضُ الطاعةِ على الأولياء في تغيّر الـدَّهْرِ ومُنْقَلبـه . نحمَـده حَمْـدَ مَن يعلم أنَّـه يـؤتي الْمُلْـكَ مَنْ يشـاءُ مِنْ عِبـاده[1] ، وأنَّ الأقـدارَ جـارِيَـةٌ على مُرادِه ، غير مُعْتِرض على مشيئته مُعَرِّض نفسَه لعناده .

ونشهدُ أن لا إله إلا الله وَحْدَه لا شريك له شهادةَ من رضِيَ بقَسْمِـه[2] ، وفَوَّض الأمر إلى حُكْمِـه ، ووقَفَ في زُمْرَةِ قـوم يعلمـون أن الله ﴿ يَعْلَمُ مـا بَيْنَ أيْـدِيهِمْ ومـا خَلْفَهُمْ ولا يُحيطونَ بِشَيءٍ مِن عِلْمِهِ ﴾[3] .

ونَشْهَـدُ أن مُحَمَّـداً عبـده ورسولـه الـذي وطّـأ للإسـلام مِهـادَه ، وأزالَ عن جَفْن الإيمان غَمْضَ الشِّرك وسُهادَه ، واستنقذ من يد الضلالة رُبا الحقِّ ووهادَه .

صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه أصحاب الحلِّ والعَقْد وذوي[4] الاجتهـاد والجـدّ ، وأهل السَّعي المقترن بـالسَّعْـد ، صلاةً مستمرّة الإيراد ، متصلـةَ الأوراد ، مُوْفِيـةً بـالمراد مُؤْذِنةً للرائدِ بخصب الْمُراد ، وسَلِّم تسليماً .

وبعد :

فإنَّ الممالك أولى من قام بنصرها ، وقعد بـالمصلحـة في أمرهـا ، وأقيمت بـه دعوتهـا وعـزّت بعَـزْمِـه ذُرْوَتُهـا ، وفُـوِّضَ تـدبيرهـا إلى نَظَرِه ، وحَسُنَت فيهـا مـواقع أثره ، واستقامت هضَبة أُسّها على رايه ، واستقلّت بِمَهامِّهـا كفـالـة ولائـه ، من حمى سرحَهـا

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ يُؤتي مُلْكَهُ مَنْ يَشاءُ ﴾ [سورة البقرة : ٢٤٧/٢] .

(٢) أي : بعطائه .

(٣) سورة البقرة : ٢٥٥/٢ .

(٤) في الأصل : « وذي » .

وبنى صَرحَها ، وسدَّد أمورها ، وسَدَّ ثغرَها وثغورها ، وحَماها من الأيدي المتخطّفه ، وصانَها من الأغراض المتحيّفه ، واستقلَّ بأعبائها التي آدت ، ونَهض بحفظها ، وقد كانت العزائم همّت بأنْ تُفلَّ أو كادت ، ووقف المواقف التي تهول ، وثَبَت بحيث الأقدام تَزِلّ والأحلام[١] تزول ، واصطلى في مضائق الحروب جَمْرها ، وكان فيها بحمد الله في الرأي قَيْسَها ، وفي الإقدام عَمْرَها[٢] ، وهو الجنابُ العالي الأميري الشمسي قراسُنقر ، ذو الصفات الكامله ، والسيرة العادله ، والأنا الجميلة والهمم الجليله ، والمحاسن الجزيله ، والطريقة المتَّبعه ، والأفعال التي لا تخشى منها تَبِعَه ، والآراء الصّائبه ، والمساعي التي لم تَشُبْها في نصرة الإسلام شائبه .

طالما خاض الغمرات ، واصطلى الْجَمرات ، وأقدمَ إقدامَ اللّيث ، وحرس الْمَمالك مِن العَيْث[٣] ، وأقام الأدِلَّة على فَضْله ، وأجْلَبَ إلى الأعداء بخَيْله ورَجله . إليه تُشَدُّ الرِّحال في صَوْن الأُمور وصَلاح الجمهور ، واستطلاع خبايا المقاصد ، وأخْذ الأعداء بالْمَراصِد ، وإقامةِ شعائر الدين ، ونُصْرَة حِزْبِ الْمُوَحِّدين .

وقد اقتضى رأيُنا الشريفُ أن نفوِّض إليه نيابةَ السَّلطنة الشريفة بالشام المحروس من حدود العرائش إلى سلميّه ، وجعلنا كلمته في النفاذ باقيَه ، وعَزْمَتَه في رتبة الْمَضاء راقيه ، واقتضينا في المهمّات عقدة عزمه وحَلِّه ، وأمضينا في مصلحة المملكة تصرُّفه كلَّه ، واستندنا من تدبيره إلى ركن شديد ، وعَطَفْنا إلى مضافرته كلَّ جيد ، إذ كان الْمُلْكُ بمثله يُصان ، وبمحاسنه يُزان ، وبتدبيره يُستَدُّ ثَلْمُه ، وبتفويقه[٤] يستَدّ سَهمُه . وقد قَلَّدْناهُ منّا سَيفَ اعتناءٍ مُطْلَقِ الْحَدِّ ، ومضافرة غير متناهيَة إلى حدّ ، ومنَحْناهُ

(١) في الأصل : « والأحلال » .

(٢) يشير إلى قيس بن الأحنف ، الذي يضرب به المثل في الحلم ، وإلى عمرو بن معديكرب ، ويضرب به المثل في الشجاعة .

(٣) العيث : الإفساد .

(٤) فوّق السَّهم : جعل له فوقاً ، أي موضع الوتر من السهم .

اهتماماً يكفيه ما أهمّ ، ومُعاضدةً لرأيه الذي يُشْرق في ليل الخطب إذِ ادلَهَمَّ ، وقبولاً يبلِّغه مِن رفعة القَدْر ما يريد ، واتِّحاداً أقرب إلى الداعي من حبل الوريد .

فلذلك رُسِم بالأمر الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي الناصريّ ، لا زالت دَوْلته مبارَكةً على الإسلام وأيامُه عائدةً بصِلات الجميل التي لا تَحْصرها الأقلام ، أنْ تفوَّض إليه نيابة السَّلطنة الشريفة بالشام المحروس ، وأعمالها وعساكرها ومَمالكها وقلاعها وبلادها ورعاياها وذخائرها وأموالها ، وثغورها ورجالها ، وكبيرها وصغيرها ، ومأمورها وأميرها ، وكلّ ما يتعلَّق بها ويُنْسَب إليها ، على عادة من تقدمه في ذلك كلّه ، علماً منّا بأنّه أولى مَنْ فَرَعَ ذروتها ، وقرع مَرْوَتها ، وحُلَّتْ له حُباها ، وحُمِي به حِماها ، واتَّسَقت به عقودها ، وحُفظت به عُهودها .

فليمِض على رسْلِهِ فيما رتَّبْناه فيها وقرَّرنا ، ويتحقق حسن النِّيَّة فيما أعلنّا من أمره وأسرَرْنا ، ويَدْأب في بسط الْمَعْدَلة والسيرة الْمُجْمَلة ، والعمل بالعَدل فإنَّه الطريق المسلوك ، وليشمل الرعايا بنظرهِ فإنَّهم عند الملوك هذه وصيّتُنا له ، وأمّا عَداها مِن مصالح المسلمين ، واعتماد كل ما يقضي بنصرة المؤمنين ، وجُندٍ تُعْرَض ، وأرزاق تفرض ، وأموال تثَّر ، وبلاد تعمَّر ، وثغور تُسدُّ ، وعقود تُشدُّ ، وسَطوة تكفُّ الأيدي عن الجور ، ومهابة تزعزع كلّ جبّار متعدِّي الطور ، ونظرٍ في المصلحة الخاصّة والعامّه ، وقَصْد يدلُّ على الخبرة التامه ، وشرع يُتَّبع حكْمُه ، وأمر بالمعروف يُجَدَّدُ رَسْمُه ، وقلوب تُؤلَّفُ على الطاعَه ، وخدم يبذل فيها جُهْدُ الاستطاعَه ، فهو أدْرى بما يُعاد منها وما يُبْدا ، ولم يزل في طرق الخيرات ولله الحمد أهْدَى أن يُهدى . وهو غنيٌّ عن شَرْح فيها يطوّل ، والعُمدة في ذلك على الله تعالى ثم على تدبيره الْمُعَوَّل .

وسبيل كلّ من يقف على هذا التقليد الشريف من أمراء الدولة ونوّابها ووزرائها ومتحفِّظي حصونها ووُلاة أمورها كافَّة أن يأتمروا بأمره ، ويعرفوا له جلالة قَدْره ، وينتهوا إلى إشارته في سرِّ كل عمل وجَهْره .

والله يشدُّ به قواعد المَمالك ومَبانيها ، ويُؤهِّل بجميل تَدْبيره معاهدها ومغانيها ، بمنِّه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

١٥٠١ ـ مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم*

الشيخ المسند المعمّر أبو عبد الله ابن المحدِّث نجم الدِّين .

كان خاتمة أصحاب ابن عبد الدائم وابن أبي اليُسر وابن عبد وغيرهم . وكان قد بقي مسنِد الوقف .

توفِّي رحمه الله تعالى في سنة ست وخمسين وسبع[١] مئة عن تسعين سنة .

١٥٠٢ ـ مُحَمَّد بن إسماعيل بن عبد المؤمن**

ابن عيسى بن أبي بكر بن أيوب الشيخ المسند المعمر الصُّوفي ، المعروف بابن مُلوك .

حدَّث عن العزِّ الحرّاني وابن الأنماطي ، وابن خطيب المزّة ، وطائفة ، وتفرَّد .

وتوفِّي بالقاهرة[٢] في سنة ستّ وخمسين [وسبع مئة][٣] وقد تجاوز الثمانين .

١٥٠٣ ـ مُحَمَّد بن إسماعيل بن عمر***

ابن المسلم بن حسن بن نصر بن أبي الدم ، القاضي الرئيس المعمّر المسند عز الدِّين

---

* وفيات ابن رافع : ٣٣٣/١ ، والدُّرر : ٣٨٤/٣ ، والشَّذرات : ١٨١/٦ .

(١) في ثالث شهر رمضان . وولادته في رجب سنة (٦٦٧) ، أو (٦٦٩) .

** وفيات ابن رافع : ٣٣١/١ ، وفيه : « ناصر الدِّين مُحَمَّد بن إسماعيل بن أبي بكر بن أيوب » ، وفي الدُّرر : ٣٨٧/٣ ، وذيول العبر : ٣٠٨ : « محمّد بن إسماعيل بن عبد العزيز بن عيسى ... » .

(٢) في سابع عشر جمادى الأولى .

(٣) زيادة من (خ) .

*** البداية والنهاية : ٢٥٥/١٤ ، ووفيات ابن رافع : ٣٣٦/١ ، وذيول العبر : ٣١٢ .

ابن القاضي الرئيس ضياء الدِّين ابن القاضي عز الدِّين أبي حفص الدِّمشقي ، المعروف بابن الْحَمويّ .

حفظ في صغره (التنبيه) و (الفضول) لابن معط[١] . وسَمع الحديث الكثير من الشيوخ[٢] . وأجاز له جماعة من شيوخ مكة والمدينةَ ومصر وحلب وبعلبك وغيرها . وروى عن والده ، وتفرَّد في آخر عمره برواية (السنن الكبير)[٣] للبيهقي . ومن مرويّاته (الموطّأ) ، و (مسند) الإمام أحمد بن حنبل ، و (صحيح) البخاري ، و (صحيح) مسلم ، و (سنن أبي داود) ، و (جامع) الترمذي ، و (سُنن) النَّسائي وابن ماجه ، و (مسند عبدٍ) ، و (مسند الدَّارمي) ، و (مسند ابن الزبير) ، و (مسند الطَّيالسي) ، وكتاب (المغازي) للزهري[٤] ، و (عمل يوم وليلة) لأبي بكر أحمد بن السُّنيّ[٥] ، و (مكارم الأخلاق) للخرائطي[٦] ، و (خطب ابن نباتة) ، و (فوائد) الرّازي[٧] ، و (شرح السُّنّة) للبغوي ، و (مَعالم التَّنزيل) له ، و (الْحُجَّة على تارك الْمَحَجَّة) لأبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي[٨] ، و (الجعديّات)[٩] و (الغيلانيات) [والخلعيات][١٠] ، و (مشيخة) ابن البخاري مع ما ذيَّله الحافظ المزّي عليها .

(١) وتعرف بالفصول الخمسين في النحو ، ليحيى بن عبد المعطي النحوي (ت ٦٢٨) . انظر كشف الظنون : ١٢٦٩/٢ .

(٢) في (خ) « من علية الشيوخ » .

(٣) في (خ) : « كتاب السُّنن » .

(٤) مُحَمَّد بن مسلم (ت ١٢٤) ، كشف الظنون : ١٧٤٧/٢ ، وانظر السيرة : ٣٢٦/٥ .

(٥) (ت ٣٦٤) ، كشف الظنون : ١٧٣/٢ . والكتاب مطبوع .

(٦) أبو بكر محمّد بن جعفر السامري (ت ٣١٧) ، كشف الظنون : ١٨١١/٢ . والكتاب مطبوع .

(٧) تمّام بن محمّد بن عبد الله بن جعفر البجلي (ت ٤١٤) ، كشف الظنون : ١٢٩٦/٢ .

(٨) (ت ٤٩٠) ، السير : ١٣٦/١٩ .

(٩) لأبي الحسن علي بن الجعد بن عبيد الجوهري ، وهي اثنا عشر جزءاً ، كشف الظنون : ٥٨٦/١ .

(١٠) زيادة من (خ) .

وحدَّث ، وروى كثيراً .

وترك ما بيده من الأوقاف ، وأقبل على الرواية ، وألحقَ الصغار بالكبار .

ولم يَزَل على حالِه ومُلازمةِ الجامع الأموي إلى أن توفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في أواخر جمادى الآخرة سنة سبع وخمسين وسبع مئة .

ومَولده في شهر ربيع الأول سنة ثمانين وستّ مئة .

١٥٠٤ ـ مُحَمَّد بن إسماعيل ...*

الأمير ناصر الدِّين أخو الأمير صارم الدِّين حاجب صفد . تقدَّم ذكر أخيه مكانَه .

كان أحد أمراء العَشرات بدمشق ، وكان الأمير سيف الدِّين تنكز رحمه الله يثِق بعقله ودِينه ومعرفته ، فولاّه نظرَ الأوقاف بدمشق في جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة ، عوضاً عن بدر الدِّين بن معيد[1] ، وولاّه نظر الْحَرَمَيْن بالقدس ، فتوجَّه إليها ، وعُزل ، وعاد إليه . وكانت الولاية الأولى في المحرم سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

ولم يزل إلى أن توفِّي رحمه الله تعالى في شعبان سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة .

١٥٠٥ ـ مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن ناجح**

الشيخ الفقيه الإمام الزاهد الخطيب ناصر الدِّين أبو عبد الله الحموي ، المعروف بابن القوّاس وابن النقيري .

---

* كذا بياض في الأصل ، وترجمته في الدُّرر : ٣٩٢/٣ ، وعبارته : « مُحَمَّد بن إسماعيل الصفدي » .

(١) محمّد بن محمود ، ستأتي ترجمته .

** الدُّرر : ٣٨٥/٣ ، وفيه : « ابن ناصح » .

نشأ في خيرٍ واشتغال وتصوُّف بدمشق ، ثم إنَّه انتقل إلى حلب ، وتزوَّج بها ، ووَلِيَ خطابة جامع ألطنبغا نائب حلب ، والنظر عليه وعلى أوقافه ، وتقدَّم عنده وأحبَّه .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في ثامن عُشْري ذي القعدة سنة خمس وعشرين وسَبع مئة .

١٥٠٦ ـ مُحَمَّد بن أسندمر*

الأمير ناصر الدِّين بن الأمير سَيفُ الدِّين الجوكندار[(١)] .

كان والده من أمراء الطبلخاناه ، ثم إنَّه نُقل من مصر إلى صفد ، ومن صفد إلى دمشق ، ومات بها . ووَلَدَهُ[(٢)] هذا ناصر الدِّين كان أمير عشرة بدمشق .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في أوائل شهر ربيع الأول سنة خمس وخمسين وسبع مئة .

١٥٠٧ ـ مُحَمَّد بن آقوش**

الأمير ناصر الدِّين ابن الأمير جمال الدِّين المطروحي .

كان رجلاً جيِّداً ، وعنده دِراية .

قال شيخنا علم الدِّين : وسمع من شيخنا ابن النجّار[(٣)] ، وحدَّث .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ ليلة الاثنين رابع جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وسَبع مئة .

---

* الدُّرر : ٣٩٣/٣ .

(١) في الأصل : « الحموي » ، وأثبتنا ما في (خ) والدُّرر .

(٢) في الأصل و (خ) : « وولد » ، وأثبتنا ما يقتضيه السياق .

** الدُّرر : ٣٩٣/٣ .

(٣) محمد بن محمود بن حسن (ت ٦٤٣) ، السير : ١٣١/٢٣ .

١٥٠٨ ـ مُحَمَّد بن الآقوش*

الأمير ناصر الدِّين ، أحدُ أخوتِهِ ، وهم الأمير سيف الدِّين كجكن ، والأمير زين الدِّين أمير حاج ، وغرس الدِّين خليل ، أولاد الآقوش .

كان أبوهم أميراً بطرابلس ، ولهم وُصْلَةٌ بالأمير سيف الدِّين قرطاي نائب طرابلس ، كان وكانوا آخر الحال مقيمين في حلَب ، ولَمّا حضر يلبغا لنيابة دمشق حضر معه ناصر الدِّين مُحَمَّد هذا ، وحَصَّل له إمرة عشرة ، ثم انتقل إلى إمرة الطبلخاناه . ثم إنَّه تولَّى نيابة بعلبك فتوجه إليها ، وأقام بها قليلاً ، ثم إنَّه عاد إليها نائباً مرَّة ثانية ، ثم أُعطي نيابة حمص ، فتوجَّه إليها وأقام بها ، فلما أُمسك الأمير صرغتمش رسم السُّلطان الملك الناصر حسن بمصادرته ، ومصادرة إخوته وعزلهم من وظائفهم ، فأخذ منهم تقدير ثلاث مئة [ألف][1] درهم ، وأقاموا بدمشق بطّالين .

ثم رسم بتوجّهه إلى حلب وتوجه أخيه سَيف الدِّين كجكن إلى طرابلس ، وبتوجّه أخيه زين الدِّين أمير حاج إلى صفد ، وأقاموا كذلك إلى أن خُلِعَ الناصر حسن ، فرُسم بإحضارهم إلى دمشق . ولَمّا حضر السُّلطان الملك المنصور إلى دمشق في واقعة بيدَمُر أعطى الأمير ناصر الدِّين إمرة طبلخاناه .

وحَصَل له مرض توفِّي منه في بكرة الاثنين عُشريّ شَوّال سنة اثنتين وستين وسبع مئة .

١٥٠٩ ـ مُحَمَّد بن أيبك**

الأمير صلاح الدِّين المعروف بابن أيبك الطويل .

تَنَقَّل في المباشرات في أيام الأمير سيف الدِّين تنكز ، فباشر شَدَّ السَّاحل وولاية

---

* الدُّرر : ٣٩٣/٣ .

(١) زيادة من (خ) .

** الوافي : ٢٣٣/٢ ، والدُّرر : ٣٩٣/٣ .

الولاة بالصفقة القبليّة ، ثم تَنَقَّل في نيابة الرحبَة وجعبَر مرّات ، وكاد في واقعة الأمير سيف الدِّين تنكز ينعطب ، لأنَّه كان في جعبر نائباً ، وكان قد أودع عنده زردخاناه[1] ، وطلب إلى مصر عقيبَ الواقعة ، فأصلح أمره ، ونجّاه الله تعالى ، وعاد .

ولَمّا كان في آخر الأمر جُهِّز إلى صفد صحبة الأمراء الذين جُهِّزوا إلى مَحَلّ إقطاعاتهم ، فأقام بها قريباً من نصف سنة .

وتوفِّي في العشر الأواخر من شهر ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون صفد .

وهو أخو الأمير علاء الدِّين علي بن أيبك الطويل .

١٥١٠ ـ مُحَمَّد بن أيوب بن علي*

ابن حازم الدمشقي الشافعي ، المعروف بابن الطَّحان ، نقيب السّبع والشّاميَّة بدمشق .

تَفَقَّه وقرأ بروايات ، وأذَّن مُدَّة بتربة أم الصّالح .

وكان فاضلاً مناظراً حَسَن الخلق ، وفيه وسوسة في أمر المياه .

سَمِع مع زوج خالته النَّجم بن الشّاطبيّ[2] ، ومن عثمان خطيب القرّافة[3] جزءاً ، ومن الزّين خالد والكَرْماني ويوسف بن يعقوب الإربيلي ، وعجز وانقطع بالشّاميّة ، وسمع منه جماعة الطلبة .

قال شيخنا الذهبي : ورويت عنه (المعجم) .

(١) في الأصل : « زردخاه » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي .

* الوافي : ٢٣٩/٢ ، والدُّرر : ٢٩٤/٣ ، والشَّذرات : ١١٦/٦ .

(٢) يوسف بن أحمد ، ستأتي ترجمته .

(٣) عثمان بن علي بن عبد الواحد (ت ٦٥٦) ، السير : ٢٤٧/٢٣ ، وسلفت الإشارة إليه .

قلتُ أنا : وسمعت عليه بقراءة ابن طغريل الجزء الثاني من الأول من (فرائد)[(١)] القاضي أبي الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق[(٢)] الحافظ بالمدرسة الرّواحيّة .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة خمس وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة اثنتين وخمسين وست مئة في شهر ربيع الأول .

١٥١١ ـ مُحَمَّد بن أيوب*

الفقيه العالم شمس الدِّين أبو عبد الله الأشقر الزرعي .

سمع الكثير ، ودار على الأشياخ في أيام ابن البخاري ، ونظم الشعر وحدّث .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

ومولده قبل الستين وست مئة .

١٥١٢ ـ مُحَمَّد بن أيوب بن عبد القاهر**

الإمام بدر الدِّين التّاذفي شيخ القُرّاء بحماة ، الحنفي الحلبي .

تلا على الفاسي ، وسمع من ابن عَلاّق ، وابن العديم ، وجماعة . وقرأ بنفسه ، وتميَّز وصنَّف .

قال شيخنا الذهبي : أخذت عنه مباحث ، وسمعنا منه .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ بحماة في شهر رمضان سنة خمس وسبع مئة[(٣)] .

---

(١) في الوافي : « فوائد » ، ولعلَّ كتابه هذا هو ما اشتهر به معجم الصحابة .

(٢) (ت ٣٥١) ، السير : ٥٢٦/١٥ .

* الوافي : ٢٣٩/٢ ، والدُّرر : ٣٩٤/٣ .

** الوافي : ٢٣٩/٢ ، والدُّرر : ٣٩٤/٣ ، وغاية النهاية : ١٠٢/٢ .

(٣) وفي غاية النهاية أنَّه توفِّي (سنة ٦٩٥ هـ) .

ومولده سنة ثمان وعشرين وست مئة .

قال شيخنا البرزالي : روى لنا عن ابن علاّق (جُزء) القُدُوري[(١)] ، وأقرأ الناس زَماناً بدمشق ، وكان معيداً في المدارس الحنفيّة ، وكان عارفاً بالعربية والقراءات و (شرح قصيدة الصَّرصَري) الطويلة في مجلدين ، ونسخ كثيراً . وكان يكتب المصاحف على الرسم ، وأقام إمامَ الرَّبوة مُدَّةً بَعدَ الثمانين ، وكان يقرئ نائب السَّلطنة عز الدِّين الحمويّ ، ثم إنَّه سكن حماة .

١٥١٣ ـ مُحَمَّد بن بادي بن أبي بكر*

ابن عثمان بن بادي ، شمس الدِّين الطيبي[(٢)] نسبة إلى الطِّيب ، لأنَّه كان يصنع فتائل العنبر ، وكان يُهدي إليَّ منها كلَّ قليل .

وكان يتطور أطواراً ، مرّة[(٣)] يكون مُعَلِّم كُتّاب بدمشق ، وتارة يسافر إلى طرابلس ويقيم بها ، ثم ينتقل إلى حلب وغيرها .

وفي آخر أمْرِه ، أقام في بيروت واتَّخَذَها سَكَناً ، ثم إنَّه كان يقرأ فيها الحديث بالجامع ، ويحضر إلى دمشق في كلِّ سنة ، لِمَا كان يباشره في فرع الحرير ، ويعود إلى بيروت .

وكان يحلُّ التقويم ، وعلى ذهنه أشعارٌ وحكايات ، وما تُمَلّ محاضرته .

ولم يزل على حاله إلى أن بلغتني وفاته في ثغر بيروت في العشر الأوسط من شهر رمضان سنة ست وخمسين وسبع مئة .

---

(١) أحمد بن محمد بن أحمد البغدادي (ت ٤٢٨ هـ) ، السير : ٥٧٤/١٧ .

* الدُّرر : ٣٩٥/٣ .

(٢) (خ) : « المعروف بالطيبي » .

(٣) (خ) : « تارة » .

وسألته عن مولده فذكر لي : أنَّه في سنة ثمان وثمانين وست مئة في شهر رمضان بالقاهرة .

وأنشدني من لفظه لنفسه في العيون الزجاج التي يعانيها من ضعف بصره لرؤية الخط الدقيق ، ويضعها على أنفه :

لَهْفي على دولَـةِ التَّصابي ... وحُـقَّ لي أن يَـزيـدَ لَهفي
كانَت عُيوني من فوقِ خَدِّي ... فاليومَ أمْسَتْ مِن فوقِ أنفي (١)

وأنشدني من لفظه لنفسه :

قالوا : أتبكي والديار قريبة ... والكأس تُجلى والشباب تجمعا ؟
فأجبتهم نيرانُ قلبي صَعَّدت ... كاسي فيقطر من دموعي أدْمُعَا

١٥١٤ ـ محمّد بن بُتْخَاص*

الأمير ناصر الدين بن الأمير الكبير سيف الدين بتخاص المنصُوري العادلي .

كان قدم إلى الشام في خدمة الأمير سيف الدين سلاّر ، ثم رجع مَعهُ وشوَّش ووصَل إلى القاهرة مريضاً ، وأقام عشرة أيام وتوفي إلى رحمة الله تعالى في شوال سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومَولده في عاشوراء سنة سبع وسبعين وست مئة .

وكان شاباً حسناً فصيح العبارة ، كثير الحياء ، حسن الهيئة محبّاً للعُلوم ، واشتغل وحصّل وسمع الحديث .

(١) في الأصل : « كان » ، وأثبتنا ما في (خ) .

* لم نقف على ترجمته .

١٥١٥ ـ محمد بن بركات*

ابن أبي الفضل بن أبي عليّ الشيخ تقي الدين أبو عبد الله ابن الشيخ الصّالح البعلبكّي .

سمع من الفقيه محمّد اليونيني ، وحدَّث عنه . وسمِع بدمشق من ابن [أبي][1] اليُسْر ، والنجم بن النّشّي ، وشيخ الشيوخ ، وهو سبط الشيخ إبراهيم بن محمود البطائحي البعلبكي ، وكان شيخ الخانقاه الشبليّة بظاهر دمشق .

قال شيخنا علم الدين : قرأت عليه (جزء ابن عرفة) و (جزء ابن جَوْصا)[2] .

وتوفي رحمه الله تعالى بحصن الأكراد في ثالث عشري شهر رمضان سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

ومولدُه سنة خمس وأربعين ببعلبك .

وقد تقدم ذِكْرُ أخيه إبراهيم وذِكر أخيه الشيخ محيي الدين عبد القادر أيضاً .

١٥١٦ ـ محمد بن بكتاش**

الأمير ناصر الدين متولّي دمشق .

كنتُ أعرفه أولاً مُشِدَّ غزَّة والسّاحل في أواخر أيام الأمير سيف الدين تنكز ، وسُرِقت له عُمْلةٌ من بيته بدمشق ، ولم يقع لها على خبر إلى آخر وقت ، وقيل : إنها كانت بخمسين ألف درهم .

---

* الدرر : ٣/٣٩٨ ، وفيه : « محمد بن أبي البركات » .

(١) زيادة يقتضيها السياق ، وهي ثابتة في الدرر .

(٢) في الأصل : « حوصا » ، تصحيف ، وهو أحمد بن عمير بن يوسف بن موسى بن جَوْصا الكلابي الدمشقي (ت٣٢٠) ، السير : ١٥/١٥ ، وكشف الظنون : ١/٥٨٤ .

** الوافي : ٢/٢٥٥ ، والدرر : ٣/٣٩٥ ، وأشار إليه في البداية والنهاية : ١٤/١٦٤ .

ثم إنه بعد ذلك تولّى مدينـة دمشق ، فعمل الولايـة على أتمّ مـا يكون من الصّلف الزائد والعفّة والأمانة ، ثم إنّه وقع في أيامه حريقُ دمشق الذي أمسك بسببـه النصـارى وجرى لهم ما جرى[١] ، وورَد كتاب الملك الناصر محمّد إلى تنكز يقول فيـه : هـذا فِعْلُ أهل دمشق كراهةً في ابن بكتاش : فلما أُمسك تنكز رسم بعزله ، فبقي بطالاً مدة .

واحتيج إليه لأجل دُرْبته وَمَهابته في الولايـة ، فـأعيـد إليهـا بلا إقطـاع ، ثم عزل عنها وبقي مُدّةً بطالاً . ثم إنّه جُهِّز إلى حماة مشدّ الـدواوين بهـا ، فـأقـام هنـاك سنـة ونصفاً تقريباً ، ثم إنّـه طُلب هو ونـاظرهـا القـاضي شرف الـدين حسين بن ريّـان إلى مصر ، فتوجّهـا ، وعـاد القـاضي شرف الـدين وهو على حـالـه إلى حمـاة ، وحضر الأمير ناصر الدين بن بكتـاش نـائب المرقب وأُعطي طبلخـانـاه وخَرَجت عنـه[٢] ، وبقي في طرابلس أميراً ، فلمّا كان طـاعون طرابلس توفي ابنـه الأصغر وجمـاعـة مِنْ أهل بيتـه ، فنزح عن طرابلس ، فماتت ابنتـه في الطريق ، فجـاء إلى بعلبـك ليـدفنهـا ، ونزل على رأس العين ، فحضر إليـه نـائب بعلبـك بطعـام ، وأقسم عليـه أن يـأكل ، فـأكل بعض شيء .

وتوفي إلى رحمة الله تعالى عقيب ذلك في أواخر شهر ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وسبع مئة ودفن رحمه الله تعالى إلى جانب ابنته .

وكان قد وليَ شدّ خاص داريًا ودومة في أيام تنكز ، وكان يهّز رأسـه دائمـاً ، وكان مع هذه المعرفة والمهابة والدُّربة إذا أنشد الشعر لا يقيم وَزْنَه ، قال لي صلاح الدين محمّد الكبتي الدمشقي[٣] وكان صاحبه كثيراً : كان ينشد :

قد أقبل المنثور يا سيدي وأمير الناس كلهم ومخّ مَنْ يشناك مثل اسمهْ

(١) انظر : البداية والنهاية أحداث سنة (٧٤٠هـ) ، ١٨٦/١٤ .

(٢) (خ) : « وخرجت عنه الطبلخاناه » وكذا في الوافي .

(٣) هو ابن شاكر الكتبي المتوفى سنة (٧٦٤هـ) .

١٥١٧ ـ محمّد بن بكتاش*

الأمير ناصر الدين ابن الأمير بدر الدين أمير سلاح .

توفي في ثامن عشري جمادى الآخرة سنة أربع وعشرين وسبع مئة ودفن بتربة والده برّا بابَ النصر بالقاهرة .

١٥١٨ ـ محمّد بن بكتمر**

الأمير ناصر الدين بن الأمير الكبير سيفُ الدين الجوكندار ، كافل المملكة بالديار المصرية .

كان من رشاقته كأنه غُصْنُ بانْ ، ومن هيفه يكاد يعقده النسيم الوان[1] .

ولم يكن في مصر والشام من يلعبُ بالكرة مثله ، وكلّ طبجي في الإقليمين يعرف في ذلك فضله . ويقول ما عندي منه إلا فُضلَة ، كأنه على ظهر جواده عقربٌ أو برق يتسرع والكرة أمامه كوكب . رأيته بصفد وهو يلعب مرّات ، وللكرات قدامه غدوات وكرّات .

وكان قد رُبي هو والسلطان الملك الناصر محمّد ، وما يدعوه إلا بأخي ، ولا يُرى إلاّ وهو ينتخبُ له كل وقتٍ وينتَخي .

ولمّا كان في الكرك كانت كتبه لا تنقطع عنه البتة ، إمّا أن تجيء إلى ميعاد وإمّا أن تجيء بغتة . ولمّا توجهوا إلى مصر بقيت له المكانة العُليا ، وضاقت بسعادته الدنيا ، إلا أن المدة مَا طالت ، ومَا زارت حتى زالت ، وكان كأنه كوكبُ السَّحَر في قصر عمره ، أو الزهر الذي أينع فاجتُني لطيب نشره .

* الدرر : ٣٩٥/٣ ، والنجوم الزاهرة : ٢٦٢/٩ .

** الدرر : ٣٩٥/٣ .

(١) يريد : الوافي .

وتوفي رحمه الله تعالى في جُمادى الآخرة سنة عشر وسبع مئة ، ودفن بالقرافة ، وتجرّع أبوه غصّته . ومَا أمكنه أن يشرحَ قصّته .

كان الأمير علاء الدين بن الجوكندار[1] طبجي الشام يجيء إلى صفد كل قليل ويلعبُ هو وناصر الدين فيرى الناس منهما أمراً عجيباً .

١٥١٩ ـ محمد بن بكتوت*

ناصر الدين بن بدر الدين ، الكاتب المجوّد ، المعروف بالقَرَنْدَلي[2] ، لأنه لبس زيّهم في حلب .

كان قادراً على الكتابة . وله فيها رأيٌ ، لا تفارقه الإصابة . كتب الأقلام السبعة ، وكاد فيها يسمو على الثريا رِفعة . يدّعي أنه كتب على ابن الوحيد[3] ، وما قوله في ذلك بسديد ، وإنما كتب في بعلبك على خطيبها[4] ، وفاز من طريقة ابن الوحيد بلذّاتها وطيبها ، ونسخ من المصاحف الكريمة والمجلّدات كثيرا . وعلى الجملة فكان على الكتابة قديرا .

ولم يزل يكتب إلى أن مُحيَ اسمُه من الْمَحيا ، ونزل إلى قرار اللّحد بعد العَليا .

وتوفي رحمه الله تعالى بطرابلس سنة خمس وثلاثين وسبع مئة ، في يوم الاثنين خامس عشر شهر ربيع الأول .

حُكي له أنّه لبس زيّ القرندليّة بحلب ودخل بينهم وهو ينسخُ فقالوا : ماهذا ؟

---

(١) هو قطليجا بن بلبان الجوكندار ، وقد سلفت ترجمته في موضعها .

* الوافي : ٢٥٦/٢ ، والدرر : ٣٩٦/٣ ، والنجوم الزاهرة : ٣٠٧/٩ .

(٢) في النجوم : « القلندري » ، والقلندرية : طائفة من المتصوفة تعرف بالملامتية أيضاً .

(٣) هو محمد بن شريف بن يوسف الزرعي المعروف بابن وحيد ، توفي (٧١١ هـ) . النجوم الزاهرة : ٢٢٠/٩ .

(٤) بهاء الدين محمود بن محمّد بن عبد الرحيم ، ستأتي ترجمته في موضعها .

مَا هو طريقنا[١] . قال : فقلت لهم : أنتم تَعْملون هـذه القلائـد الصّوف ، فقـال لـه من بينهم واحد : أريد أن أنزل أنا وأنت في هذه البركة بـالبلاس ، فقـال : فنزلت معـه في يوم بارد في مثل حلب ، فبقينا نغطس إلى أن عجز هو وطلع ، فلما أعيـاهم قـالوا لـه : فينـا واحـد يكاثرك في أكل الحشيش ، فقلتُ : أحضروه قـال : فـأحضروه وجعلوا يلقموننا وأنا وهُو نأكل إلى أن نزل الدم من منخريه ، وأظنه قال : مَات ، فعنـد ذلـك أخرجوه من بينهم .

وكان الذي أغواه في الكتابة القاضي جمال الدين بن ريّـان[٢] ـ رحمـه الله تعـالى ـ فإنه رأى خطّ يده القابلة فلازمه ، وجعل ينسخ له المجلدات ، فنسخ لـه (الكشّـاف) وغيره ، ورتب له الدراهم والطعام ، وألزمه بالكتابة فـأجـاد ، وكتَّب أولاده وغيرهم في حلب .

وحكى لي جماعة عنه أنه كان يضع المحبَرة في يـده الشمال والمجلـد من الكشـاف على زَنْده ويكتب منه وهو يغنيّ مَا شـاء الله ولا يغلـط[٣] ، وكان قليل اللحن فيا يكتبـه ، وأمّا أنا فرأيته غير مرة يكتب ويُغَنّي ولا يغلط .

وكان قد أقام أولاً بحماة عند الملك المؤيد صاحبهـا ينسخ لـه ، فـأحبَّ امرأة تعرفُ ببنت النصَرانيّة ، فكان كل مايحصّله ينفقـه عليهـا ، ويشتغل بهـا عن الكتـابـة ، فشقّ أمره على الملـك المـؤيـد ، فنفـاهـا إلى شيزر ، فحكى لي أنـه كان يكتبُ في حمـاةَ إلى المغرب ، ويجري من حماة إلى شيزَر ، ويبيت[٤] عندها ، ويقوم من آذان الفجر ويجري إلى حماة ويكتب ، وأقام على ذلك سنة وكانت قد تَعَنَّتَت عليـه يومـاً وقـالت لـه : إن كنت تحبّني فاكوِ لي[٥] في رأسك صَليباً . ورأيتُ أنا كيَّ الصَليب في يـافوخـه ، وكتبت

(١) عبارة الوافي : « ما هو طريقنا أن تتكسّب » .

(٢) سليمان بن أبي الحسن بن ريّان ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٣) ذكره في النجوم الزاهرة .

(٤) في الأصل : « ويكتب » ، وأثبتنا ما في الوافي والدرر .

(٥) ليست في الوافي .

أنا عليه أربعة عشر سطراً قلم الرقاع[١] ، ثم إنه امتنع من توقيفي ، ولم أكتب بعده على غيره .

وكان كاتباً مطيقاً كتبَ من الربعات والختم بقلم الفضاح[٢] والمحقّق الكبير في قطع البغدادي كاملاً ومن الهياكل المدورة والمجلّدات شيئاً كثيراً .

١٥٢٠ ـ محمد بن أبي بكر بن محمد*

الشيخ الإمام ، العالم شمسُ الدين الأيكي ، بهمزة بعدها ياء آخر الحرُوف ساكنة وبعدها كاف ، كان قاضي القضاة جلال الدين القزويني يقول : هو بكسر الهمزة .

وكان فاضلاً في المقولات ، كاملاً في المنقولات ، وكان يكشف أسرار (الكشاف) وهو لما فيه من أمراض الاعتزال كالشّاف ، يدري دقائقه ، ويمري حقايقه ، ويقرئه الطلبة ويقريه ، ويفرّق بذهنه مافيه من الغمود في الغمُوض ويفريه .

وكان في علم التصوف إماما ، وفي فن التعريف لمن تقدم ختاما ، لو عاصر المعرّي لأملى في وصف الأيكي أيكهُ وغصونه ، أو سنان الراشدي[٣] لأنزلَهُ معاقله وحصونه .

ولم يزل على حاله في الإفاده ، والتفرّد في فُنونه بالإجاده ، إلى أن خرست تلك الفصاحه ، وكَرَّر الحمام في الأيك عليه النّياحه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ يوم الجمعة قبل العصر ثالث شهر رمضان سنة سبع وتسعين وستّ مئة ، بالمزة في دمشق .

---

(١) في الأصل : « أربعة مثالاً من الرقاع » ، ولا تستقيم ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٢) في مطبوعة الوافي : « الفصاح » ، وأشار المحقق إلى أنها في الأصل بالضاد .

* البداية والنهاية : ٣٥٣/١٣ ، والشذرات : ٤٣٨/٥ ، والدارس : ٣٢٠/١ .

(٣) سنان بن سلمان بن محمد ، قال في الوافي ، ٤٦٣/١٥ : « كبير الإسماعيلية وصاحب الدعوة النزاريّة ، كان عارفاً بالفلسفة وشيء من الكلام والشعر والأخبار » (ت ٥٨٨) .

وله شرح على أول (مختصر) ابن الحاجب ، تكلّم على منطقه . ودرَّس بالغزاليّة ، وولي مشيخة الشميساطية ، وولي مشيخة الصّلاحيّة بالقاهرة ، وتكلم فيه الصوفية ، وحضر قاضي القضاة تقي الدين وقال : ياشيخ شهد عليك جماعة من الصّوفية بكذا وكذا ، فقال : أنت تنكّل بي في هذا الجمع نكّل الله بك . فقال قيّموه ، فأقيم وهو يقرأ : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولون ﴾[1] ولما قال : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾[2] مَاقال : ادفع بحيلك وقُوّتك ، وتوجه إلى الشام وأقرأ الجماعة (الكشاف) .

وقيل إنه وُصِفَ للشيخ بدر الدين بن مالك ومعرفته (الكشاف) ، فحضر ليلةً درسه وسَمِعَه وهو يتكلم ، فلمّا فرغ قال له : ياشيخ بدر الدين مَاسَمعتك تتكلم . قال : كيف أتكلّم ومن وقت تكلّمت إلى أن سكت ، عَدَدت عليك ثلاثين لحنَة .

وفيه يقول شيخنا العَلّامة شهاب الدين مَحمود :

بنتِ فبات الطَّيْفُ لي مُؤنِساً	يُبيحُني جَنّة خَدَّيكِ
وطالَما أمّلتُها يقظة	فَصَدَّ عَنْها سَيْفُ جَفْنيك
ولم أخَلْ أنّ حَمام اللوى	في الأيك يُغني عن رَقيبَيك
نفّر نوماً كان مِثْلَ الصّبَا	يعطف لي إن مِلْتِ عطفيك
فلا رعى الله حَمامَ اللوى	ولَعْنَةُ الله على الأيْك

وكان سببُ نظمها أن الأيكي تكلّم في حقّ الإمام أحمد رضي الله عنه ، وثار الحنابلة عليه ، ولمّا بلغه قال : والله لقد تلطّف في الهجو ، وكان شيخُنا أبو الثناء بعد موته لا ينشدها إلا ويقول : ورحمة الله على الأيك .

وبعض الناس قال فيه : اسْمه أحمد بن أبي بكر .

---

(١) الحجر : ٩٧/١٥ .

(٢) الحجر : ٩٨/١٥ .

قلت : واشتهرت هذه الأبيات كثيراً ، وسلك هذه الطريقة جماعة ممّن عاصره .

فقال النصير الحمّامي :

مـــذ أحضرَتْني زوجتي حـــاكما أنكرتُ مَـــا قـــد كانَ من حقّي
فـــأخرَجت رقّ صَـــداق لهـــا ردّ كـــــــلام الكلّ في حَلْقي
وكان ذاك الرقّ أصـــل البـــلا فلعنــــــــــــــةُ الله على الرقّ

وقال النّور الإسعردي :

وربّ خـــلّ قلت إذ قـــدّم لي خَـــلاً وقُبّـــاراً عَلى سِمَـــاط
لا آكل القُبّـــار من بُغضي لـــه ولعنــــــــة الله على الخِـــلاط

١٥٢١ ـ محمد بن أبي بكر*

ابن عبد الرحمن بن عبد الله ، الشيخ الصالح أبو عبد الله الكنجي .

جَاور بالجامع الأموي مُدّة طويلة أكثر من ستين سنة ، وسمع كثيراً بعد الخمسين وستّ مئة على الزين خالد ، والخطيب عماد الدين بن الحرستاني وغيرهم .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في ربيع الآخر سنة سبع مئة ، وحضر جنازته القضاة والعلماء والصلحاء ، وكان قد بلغ التسعين سنة .

وسيأتي ذكره ولده محمد بن محمّد بن أبي بكر .

١٥٢٢ ـ محمد بن أبي بكر بن خليل**

ابن إبراهيم بن يحي بن فارس ، الإمام رضيّ الدين المعروف بابن خليل المكي الشافعي[(١)] .

---

* لم نقف على ترجمة له .

** الوافي : ٢٦٤/٢ ، والشذرات : ٤٣٧/٥ .

(١) شيخ الحرم ، كما في الوافي .

كان فقيهاً عالماً ، مُفَنّناً ، ذا فضائل ومعارف وعبادة وصلاح وحُسن أخلاق ، سمع منه شيخنا البرزالي وابن العطّار ، وأجاز لشيخنا الذهبي مروياته .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في الحادي والعشرين من ذي الحجة سنة ست وتسعين وست مئة بمكة .

وولد في أيام التشريق بمنى سنة ثلاث وثلاثين وست مئة .

وكان يعرف (التنبيه) جيّداً ، وحفظ (المفصّل) في النحو للزمخشري .

١٥٢٣ ـ محمد بن أبي بكر بن عبد السلام*

ابن إبراهيم الصّالحي المقرئ الحفّار ، يعرف بابن الطُّبيل .

كان شيخاً معمّراً ذا جلادةٍ وهمّة [وملازمة][1] للجماعة .

سمع (الصحيح) من ابن الزبيدي . وحدث عنه ابن الخباز في (مُعْجَمه) في حياة ابن عبد الدائم ، وسمع منه ابن البرزالي ، وأخذ شيخنا الذهبي عنه ثلاثيات البخاري ، وغير ذلك .

وتوفي في سنة إحدى وسبع مئة[2] ـ رحمه الله تعالى ـ .

١٥٢٤ ـ محمد بن أبي بكر بن إبراهيم**

ابن هبة الله بن طارق الأسديّ الحلبي الصفّار ، الشيخ الصالح المعّمر الْمُسْنِد أمين الدين ، نزيل دمشق ، المعروف بابن النحاس .

---

* الوافي : ٢٦٥/٢ ، والدرر : ٤٠٤/٣ .

(١) زيادة من الوافي والدرر .

(٢) من شهر ربيع الأوّل ، كما في الدرر .

** الوافي : ٢٦٥/٢ ، و ٣٩٩/٣ ، والشذرات : ٥٣/٦ .

سمع لمّا حجّ مع إخوته من صفيّة القرشيّة ، ومن شُعيب الزعفراني بمكة ، ومن يوسف السّاوي[(١)] وابن الْجُمَّزي بمصر ، ومن ابن خليل بحلب ، وأجاز له أبو إسحاق الكاشغري وطائفة . وأضَرّ ، وتفرّد ، وعجز وانحطَم ، وأبطل الحانوت .

وكان ساكناً خيّراً عاميّاً ، وله دُنْيَا ، وفيه برّ ، ومَا تزوج قطّ ولا احتلَم ، ثم إنه قُدح بعدمَا أضَرّ فأبصر .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة عشرين وسبع مئة .

ومولده سنة خمس وعشرين وستّ مئة .

١٥٢٥ ـ محمد بن أبي بكر بن أبي القاسم*

شيخ الإماميّة وعالِمهم شمسُ الدين الهمداني الدمشقي السكاكيني الشيعي .

قال شيخنا الذهبي ، رحمه الله تعالى : حفظ القرآن بالسبع ، وتفقّه وتأدّب ، وسمع في حداثته مَن الرشيد بن مَسْلمة ، والرشيد العراقي ، ومكي بن علاّن وجماعة ، وخرّج له ابن الفخرِ عنهم .

وربي يتيماً فأقعد في صناعة السكاكين عند شيخين رافضيّين ، فأفسداه ، وأخذ عن أبي صالح الحلبي[(٢)] ، وصَاحَب الشريف محيي الدين بن عدنان[(٣)] .

وله نظم وفضائل ، وردٌّ على التلمساني[(٤)] في الاتحاد . وأمَّ بقرية جسرين مدَّة ، ثم

---

(١) في الأصل : « الشاوي » ، تصحيف .

* الوافي : ٢٦٥/٢ ، والبداية والنهاية : ١٠٠/١٤ ، والدرر : ٤١٠/٣ ، والشذرات : ٥٥/٦ ، والبدر الطالع : ١٥١/٢ .

(٢) في البداية والنهاية : « الحلّي » .

(٣) محمد بن عدنان بن الحسن الحسيني (ت ٧٢٢هـ) ، والدرر : ٤٧/٤ .

(٤) العفيف التلمساني ، كما في الدرر ، وسلفت الإشارة إليه .

أخرج منها . وأمَّ بالسَّامريّة ، ثم إنه أخذه منصور بن جَمّاز الْحُسَيني[١] معه إلى المدينة ، لأنه صاحِبُها ، واحترمَه . وأقام بالحجاز سبعة أعوام ، ثم رجع .

وهو شيعيّ عاقل ، لم يُحْفظ عنه سبّ ، بل نظم في فضائل الصحابة .

وكان حلو المجالسة ، ذكياً عالماً فيه اعتزال ، ويَنْطوي[٢] على دين وإسلام ، وتعبّد ، على بدعته ، وترفّض به ناس من أهل القرى .

قال الشيخ تقي الدين بن تيميّة ، رحمه الله تعالى : هو ممّن يتشيع به السُنّي ، ويتسنّن به الرافضي . وكان يجتمع به كثيراً وقيل : إنّه رجع آخر عمره عن أشياء .

نسخ (صحيح) البخاري ، وكان ينكر الجبر ويناظر على القدر .

وتوفي في سادس عشري صفر سنة إحدى وعشرين وسبع مئة[٣] .

ومولده سنة خمس وثلاثين وست مئة .

قلت : لما كان يوم الاثنين حادي عشري ذي الحجّة سنة خمسين وسبع مئة ، أحضر صلاح الدين محمد بن شاكر الكبتي بدمشق إلى شيخنا قاضي القضاة تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى كتاباً في عشرين كُرّاساً قطع البلدي في ورق جيد ، وخطّ مليح سمّاه مصنفه (الطرائف في معرفة الطوائف) افتتحه بالحمد لله وشهادة أن لا إله إلا الله فقط . وقال بعد ذلك : « أمّا بعد فإنني رجل من أهل الذمّة ولي على الإسلام حُرْمَة ، فلا تُعَجّلوا بسفك دمي قبل سماع ما عندي ، ثم أخذ في نقض عُرا الدين عروة بعد عروة ، وأورد أحاديث وتكلم على متونها ، وتكلم في جرح الرجال[٤] وطعن عليهم ،

---

(١) ستأتي ترجمته في موضعها ، وفي البداية والنهاية : « حمّاد » ، تحريف .

(٢) في الأصل : « ومنطوي » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٣) في البدر الطالع أنه توفي سنة (٨٢١هـ) ، وهو سهو .

(٤) في الأصل : « الدجال » ، وأثبتنا ما في الوافي .

كلام محدّث عارف بما يقول ، وذكر أموراً دلّت على زندقته وتشيّعه ، وختم ذلك بأن قال : ولله القائل

فإن كنت أرضى مِلّةً غير ملتي فما أنا إلا مُسْلِمٌ أتشيع

وشهد صلاح الدين المذكور وآخر من أهل الحديث المعروفين بأنّ هذا خط شمس الدين السكاكيني ، فظهر من ذلك أنه تصنيفه ، لأنه قال في فهرست الكتاب المذكور : تصنيف عبد المحمود بن داود المصري[1] ، وقال الشيخ عماد الدين بن كثير : الأبيات التي كُتبت للشيخ تقي الدين ، أولها :

أيا معشر الإسلام ذِمّي دينكم ....

وقد ذكرتها أنا في ترجمة الشيخ علاء الدين علي بن إسماعيل القونوي كاملة لهذا السكاكيني[2] . فقطّع شيخنا قاضي القضاة هذا الكتاب الملعون وغسله وحرقه[3] ، قال - رحمه الله تعالى : أخذته معي إلى البستان لأنظر فيه ونويت تقطيعه وغَسْلَه ، ثم إنني انتبهت في الليل وقلت لنفسي : لعلك يا عليّ لا تصبح غداً ، فقمتُ في الليل وقطعته وغسلته ، قلت : والله أعلم لحقيقة حال هذا الرجل .

ولكن الذي ظهر لنا أنه كان مُتَزَنْدِقاً ، غير مسلم .

وقالوا : إن قاضي القضاة شمس الدين بن مُسَلّم رجع من جنازته .

ونقلت من خطّ شيخنا علم الدين البرزالي ، قال أنشدني لنفسه :

أجزت لهم ما يسألون بشرطه أثابهمُ ربّي ثواب أولي العلم

(١) زاد في الوافي : « ولم يُعرف هذا الرجل » ، ومثله في الدرر .

(٢) كذا عبارة المؤلف ههنا ، وفي الوافي : « وأوّلها ... وهي لهذا السكاكيني » ، وهي أصح مما ههنا ، إذ لم تتقدم نسبتها إلى السكاكيني عند المؤلف ، وعليه فعبارة : « لهذا السكاكيني » هي لابن كثير ، ولم نقف على هذا الكلام في البداية والنهاية .

(٣) في الوافي : « وخرقه » .

ووفقهم أن يعملوا بالذي رَوَوا فعال أولي الإخلاص والجِدّ والعزْم
وكاتبها العبد الفقير محمّدٌ هو ابن أبي بكر بن قاسمٍ العُجْم
ومولده في عام خمسٍ وبعدها ثلاثون والستّ المئون لدى النَّجم[١]

ونقلت منه أيضاً ما[٢] خاطب به صاحب المدينة منصور ورُمَيثة صاحب مكة :

ألا يا ذوي الألباب أصغوا لناطقٍ بحقٍّ وباغي الحق مَنْ ذا يُدافِعُه
إذا لم يكن نَسْل النبيّ محمد نتابعه في الدين مَنْ ذا نتابعه
فإن كان مسبوقاً وذو البعد سابقاً إلى المصطفى والدين مَنْ ذا يُمانعه[٣]
فكم من بعيدٍ للشريف مُعَلَّم طرائق آباءٍ له وهو سامِعُه
وهذا بديعٌ في الزمان وأهله وما زال هذا الدهر جَمٌّ بدائعه

ونقلت من خط الشيخ شهاب الدين بن غانم[٤] ، قال أنشدني الشيخ شمس الدين السكاكيني لنفسه :

هي النفس بَيْن العقلِ والطبع والهوى وما العقلُ إلاّ كالعُقَال يَصُونُها
فداعي الهوى يدعو إلى ما يشينها وداعي النُّهى يدعو إلى ما يزينها[٥]
فإن أُطلقت مِنْ غَيْر قيْد توثّبت على حظّها الأدنى وزاد جنونها[٦]
وإن نظرت بالعقل ينبوعَ نُوره أضاءت لها الظلمات طابَ معيْنُها
وحنّت إلى الذّكر الحكيم تَدَبُّراً رياض معانيه وذاك يعينها

---

(١) في الوافي : « المئين » .
(٢) في الوافي : « ممّا » .
(٣) في الوافي : « سابق » .
(٤) أحمد ، كما في الوافي ، وسلفت ترجمته .
(٥) في الأصل : « وراعي النهى » ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٦) في الأصل : « خطّها » ، وأثبتنا ما في الوافي .

وفـزْتَ بــه منــه إليــه محقّقــاً وعـادت إلى الأكوان تزكو فنونهـا[١]
فـأكرِمْ بهـا نَفْسـاً زكَتْ مُطْمئنـةً بمجبـوبهـا قرّت لـديـه عُيـونهـا
فيإذا الـذي ضَيَّعت نفسـك في الهوى تروم لهــا عِـزاً وأنت تُهينُهــا
أَجِبْ إذا دَعـاك الحقُّ طـوعـاً لأَمْرِهِ بطيبِ رضـا نَفْسٍ قـويّ يقينهـا
ولا تبخلَنْ بــالنفس إذ هي ملكُــه إليـه بهـا فـارجع فـأنت أمينُهـا[٢]

قال شيخنا علم الدين البرزالي : حدثني قـاضي القضـاة شمس الـدين محمـد بن مسلم الحنبلي ، قال : كنت بالجامع بعد الجمعة وقـد أُحضرت جنـازتـه ، فقمت وصلّيت عليـه ومشيت مع الجنازة إلى قريب المدرسة الركنيّة ، فـأُخبرت أنهـا جنـازتُـه ، فرجعت من هناك ، ولم أشهد دفنه ، وذلـك لأنـه كان رافضيـاً داعيـة إلى الرفض ، أقـام بعـدّة قرى فرفّضَ أهلها وأُخرج من الصالحيّة لهذا السبب .

١٥٢٦ ـ محمد بن أبي بكر بن عمر*

ابن محمـد ، قـاضي الممالـك القـانيّـة ، برهـان الـدين ، أبـو عبـد الله السمرقنـدي النُّوجاباذي[٣] الحنفي البخاري ، قاضي المغل .

كان صدراً معظما ، وعـالمـاً مُفَخَّما ، كثير الكيس[٤] واللطـافـه ، عزيز النفس التي تحف أخـلاقـه وأعطـافـه ، حسن المـذاكره ، جميـل المحاولـة والمحاوره ، يـلازم الملوك والوزراء ، ووجوه الدول والأمراء .

---

(١) في الوافي : « تحقّقاً » .
(٢) في الوافي : « ولا تبخلن وبالنفس » ، ولا تستقيم .
* الوافي : ٢٦٨/٢ ، والدرر : ٤٠٥/٣ .
(٣) نسبة إلى نُوجاباذ ، من قرى بخارى ، (معجم البلدان) .
(٤) في الأصل : « اللبس » ، تحريف ، عبارة الوافي : « فيه كيس ولطف » .

ولم يزل على حاله في وجاهته وعظم قدره ونباهته إلى أن سُلب روحه ، وعَمَّر بجسده ضريحه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ...[1] ـ سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وأربعين وستّ مئة .

قدم بغداد مراراً ، وروى بالإجازة عن سيف الدين الباخرزي[2] ، يقال إنه سمع منه . قال شيخنا الذهبي : ولم يصح .

ولمّا كمل من عمره ثمانين سنة عمل وليمة عظيمة ، واتفق موته بعدها بجمعة ، وكانت وفاته قريباً من تبريز .

وأخذ عنه السراج القزويني ومحمد بن يوسف الزرندي[3] وأجاز لأولاد شيخنا الذهبي .

١٥٢٧ ـ محمد بن أبي بكر بن عيسى*

ابن بَدْران بن رحمة ، الإمام قاضي القضاة ، علم الدين الأخنائي ، بهمزة وخاء معجمة ونون وألف ممدودة ، السعدي المصري الشافعي ، قاضي قضاة الشام .

حدّث عن أبي بكر الأنماطي ، والأبرقوهي ، وابن دقيق العيد ، وتفقّه ، وشارك ، وكان مِنْ عُدول الخزانة بالديار المصرية . ثم إنه نُدِبَ لقضاء الإسكندرية .

ولّما توفّي شيخ الشيوخ علاء الدين القونوي بدمشق رسم له السلطان بقضاء

---

(١) بياض في الأصل ، وفي الدرر أنّ وفاته في رمضان .

(٢) سعيد بن المطهّر (ت٦٥٩) ، الوافي : ٢٦٢/١٥ ، والسير : ٣٦٣/٢٣ .

(٣) (ت٧٤٧ أو ٧٤٨) ، الدرر : ٢٩٥/٤ .

* الوافي : ٢٦٩/٢ ، والبداية والنهاية : ١٦٠/١٤ ، والدرر : ٤٠٧/٣ ، والشذرات : ١٠٣/٦ .

الشــام ، وحضر صحبــة الأمير سيف الــدين تنكـز من القــاهرة ، وكانت ولايتــه في الإصطبل السلطاني يوم السبت بعد العصر رابع المحرم سنة ثلاثين وسبع مئة ، ووصل إلى دمشق يوم الجمعة رابع عُشري المحرم .

كان عالماً ، ديِّنا ، ساكناً صيّنا ، وافر الجلاله ، سافر [١] البساله ، متوسّطاً في العلم ، متبسّطاً في الحلم ، محمود السيرة ، مجهود السريرة ، سلفي الطريقه ، سلفي الحقيقه [٢] ، يحبّ الروايه ، ويعتني بها أتمّ عنايه .

ولم يزل على حاله إلى أن أخنى على الأخناي دَهْرُه ، وضمّه بعد علوّ منْصبِه قَبْرُه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في ثالث عشر ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

ومولده عاشر شهر رجب سنة أربع وستين وست مئة .

وتولّى بعده قاضي القضاة جمال الدين يوسف بن جملة . وكان القاضي علم الدين قد لازم الدمياطي مُدّة .

ومن أمداح الشيخ جمال الدين محمد ابن نباته فيه ، قوله :

قــاضي القضــاة بيُمْنى كَفِّــهِ القلمُ ... ياساريَ القصد هـذا البـانُ والعَلَمُ [٣]
هـذا اليراعُ الـذي تجني الفخـارَ بـه ... يـدُ الإمــام الــذي معروُفُــه أمَمُ
مُعيي الأمــاثـل في علم وفيض يــد ... فـالسُّحب بـاكيـةٌ والبحرُ مُلْتَطم [٤]
وافى الشــآم ومــا خِلنــا الغمام إذاً ... بــالشــام ينشــأ من مصر وينسجم

(١) أي : ظاهرها .
(٢) السلف : العمل الصالح .
(٣) ديوان ابن نباته : ٤٣٥ ، وفيه : « يمنى حكمه .. هنا الباب » .
(٤) في الديوان والوافي : « وفيض ندى » ، وفي الوافي : « يلتطم » .

آهـاً لمصر وقـد شـابت لفرقتـه فليس ينكر إذ يعـزى لهـا الهرم(١)
وأوحش الثغر من رؤيـا محـاسنـه فـما يكاد بـوجـهِ الـدَّهرِ يبتسم(٢)
يُنْشِي ويُنشـد فيـه الثغر منْ أسف بيتـاً تكاد بـه الأحشـاء تضطرم
« يـا من يعِـزّ علينـا أنْ نفـارِقَهم وجـدانُنـا كلَّ شيء بعـدكم عـدم »(٣)
يـزهى الشـآم بمن فـارقتَ طلعتـه « واحرَّ قَلْبـاهُ مِمّن قَلْبُـه شبِم »(٤)

١٥٢٨ ـ محمد [بن] أبي بكر بن عيسى*

قاضي القضاة تقي الدين الأخنائي المالكي الحاكم بالديار المصرية .

أجاز لي بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة في شهر رمضان(٥) .

تولى الحكم بالديار المصرية في ...(٦) وأقام على حاله إلى أن طلع القلعة ليحضر دار العدل ، فرأى السلطان الملك الناصر من نظرة حاله فهم منها أنه يعمى ، قال شيخنا قاضي القضاة تقي الدين السبكي : فأرسل إليه السلطان من قال له : انزل إليه فما تجده قد وصل إلى بيته إلا وهو أعمى ، فلمّا وصل إليه الرسول وجَدَهُ قد عَمي بماء نزل في عينيه ، فلمّا أخبره بذلك قال له : أشتهي من صدقات السلطان أنه كما فهم عنّي هذا

(١) في الأصل : « آهاً لعصرٍ وقد شاقت » ، وأثبتنا ما في الديوان والوافي ، وفي الديوان : « أن يعزى لها هرم » .
(٢) في الديوان : « مِنْ مرأى » .
(٣) هذا البيت وعجز البيت الذي يليه مضمن من قصيدة للمتنبي ، انظر ديوانه : ٣٦٢/٣ ، البيت (١) ، (٢٤) .
(٤) تمامه :

ومَنْ بجسمي وحالي عنده سقم

* الوافي : ٢٧٢/٢ ، ووفيات ابن رافع : ٢٨٨/١ ، والدرر : ٤٠٧/٣ .
(٥) هنا تنتهي ترجمته في الوافي .
(٦) كذا بياض في الأصل ، ويفهم من كلام ابن رافع أنّه تولّى ذلك في حدود سنة (٧٢٠) .

الحال يكْتُمها عليَّ ويدع منصبي عليّ إلى أن أعالج نفسي ، فقبل السلطان ذلك ، وترك منصبه عليه مُدَّة ستة أشهر إلى أن قدح عينيه وأبصر وطلع القلعة ونزل ، أو كما قال .

واستمر على حاله إلى أن توفّي ـ رحمه الله تعالى ـ في طاعون مصر سنة تسع وأربعين وسبع[1] مئة .

وكان السلطان يعظّمه ويرجع إلى أقواله في أشياء ، ولما عزل القضاة بمصر عزل قاضي القضاة جلال الدين القزويني وقاضي القضاة برهان الدين بن عبد الحق الحنفي[2] ، وعزل قاضي القضاة تقي الدين الحنبلي[3] ، وأما قاضي القضاة تقي الدين بن الأخنائي فلم يُغيّر عليه شيئاً من حاله ، وكان السلطان الملك الناصر محمد قد قال في وقت يومٍ دار عدل للقضاة : أريد تبصرون لي رجلاً فاضلاً شافعياً يَعْرِفُ عربية ، ويكون ساكناً ، لا يدخل في شيء غير التعليم ، فأجمعوا كلّهم على الشيخ برهان الدين الرشيدي خطيب جامع أمير حسين ، وانفصل الحال على ذلك ولم يجرِ شيء غيرُ ما جرى ، ولا[4] طُلب الشيخ برهان الدين ، وسكن الحال حتى نَقّب[2] قاضي القضاة جلال الدين القزويني عن السبب ، فوجد أن القاضي تقي الدين الأخنائي قال للسلطان : مالك به حاجة ، فإنه من أصحاب ابن تيميّة ، فسكت السلطان ولم يَجْرِ بعد ذلك شيء . وكان في نفس قاضي القضاة تقي الدين منه من أيام واقعة شهاب الدين بن مري لما كان يتكلم عنده في الجامع ، وجرى ما ذكرته في ترجمة شهاب الدين بن مري .

---

(١) وفي وفيات ابن رافع والدرر أن وفاته في أوائل سنة (٧٥٠ هـ) .

(٢) إبراهيم بن علي بن أحمد ، سلفت ترجمته .

(٣) سليمان بن حمزة ، سلفت ترجمته .

(٤) في الأصل : « ولمّا » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٥) في الأصل : « وتعب » ، وأثبتنا ما في (خ) .

١٥٢٩ ـ محمد بن أبي بكر بن ظافر*

ابن عبد الوهاب ، قاضي القضاة ، شرف الدين الهمداني ، بسكون الميم وبعدها دالٌ مهملة ، المالكي ، ابن قاضي القضاة معين الدين أبي بكر ابن الشيخ ركن الدين[(١)] أبي المنصور .

حضر من الديار المصرية إلى دمشق في خامس جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وسبع مئة .

كان ساكناً ، كثير الوقار ، سعيد الحركات في المحافل الكبار ، كثير التّجمّل في ملابسه ، غزير الإطراق والصمت عند مجالسته ، لا يرى مَنْ حاضره في دسته المكّل ، غير أنه « كَبيرُ أُناسٍ في بجاد مزمل »[(٢)] . إلاّ أنه وادع السر ليس عنده[(٣)] أذى ولا يُطبق أحدٌ جَفْنه منه على قذى[(٤)] .

وكان الأمير سيف الدين تنكز يجلّه ويضعه فوق النجوم ويُحلّه .

ولم يزل على حاله إلى أن قضى قاضي القضاة نَحْبَه ، وفارق أعزّاءه وصحبه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بكرة الأحد ثالث المحرم سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، وصلّى عليه الأمير سيف الدين يلبغا اليحيوي نائب دمشق والأمراء والقضاة والحجّاب

---

* الوافي : ٢٧٠/٢ ، والبداية والنهاية : ٢٢١/١٤ ، ووفيات ابن رافع : ٢٤١/١ ، والدرر : ٤٠٤/٣ ،

(١) في الوافي : « زكي الدين » .

(٢) عجز بيت لامرئ القيس من معلقته .

(٣) في الأصل : « ليس عندي » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٤) في الأصل : «ولا يطبق أحد منه جفنه على ... » ، وأثبتنا ما في (خ) ، وقد أفاد المؤلف من معنى قول معن بن أوس :

فإنْ أعفُ عنه أغضِ عيناً على قذى ... وليس له بالصفح عن ذنبه علم

انظر : أمالي القالي : ٩٩/٢ .

والأعيان بسوق الخيل ، ودُفِنَ في تربته التي أنشأها بميدان الحصى ، وفي يوم موته حُررت قبلة الجامع الذي عمّره يلبغا .

وكان شكلاً طويلاً مهيباً يعظّمه النّواب كلهم ويحترمونه ، وكان يعاني الآلات الكبار في جميع ماعنده من دواة وقنديل ومغرز وطاسة ، وما يرى أحد مثل القماش الذي يكون عليه ولا أغرب ، ولا يُرى ألطف من شاشة وقماشه ، ولا أطيب من ريحه .

١٥٣٠ ـ محمد بن أبي بكر بن محمد*

ابن طَرْخان بن أبي الحسن ، العالم الفاضل الأديب شمس الدين .

سمع حُضوراً من إبراهيم بن خليل ، والنجيب عبد اللطيف ، وسمع الكثير من ابن عبد الدائم ، وكتب المنسوب ، وله نظم ونثر .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في خامس عشري ذي القعدة سنة خمس وثلاثين وسبع مئة .

وأجاز لي بخطه في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

وله حضور في شهر رمضان سنة سبع وخمسين وستّ مئة ، وهو في الثانية من عمره . وحضر على إبراهيم بن خليل ، والنجيب عبد اللطيف الحراني ، وأبي طالب بن السروري ، وسمع من ابن عبد الدائم ، وابن أبي اليسر ، وعبد الوهاب بن الناصح وجماعة وطلب بنفسه وكتب الطباق ، وسمع من جماعة من أصحاب ابن طبرزَد ومَنْ بعده ، وخرّج له ابن خاله شمس الدين بن سعد[1] (مشيخةً) في مجلدين وحدّث بها غير مرّة .

وكان كاتباً مجيداً ، وكان يصحب الأكابر ويخدمهم وله مرتبات جيدة بالشام على الديوان السلطاني .

* الوافي : ٢٧٠/٢ ، والدرر : ٤٠٨/٣ .

(١) محّد بن يحيى محّد بن سعد للقدسي (ت٧٥٩) ، وفيات ابن رافع : ٣٥١/٠ ، والدرر : ٢٨٣/٤ .

١٥٣١ ـ محمد بن أبي بكر بن أيوب**

ابن سعد بن حريز الزُّرعي ، الشيخ الإمام الفاضل المفتن شمس الدين الحنبلي المعروف بابن قيم الجوزية .

سمع على الشهاب العابر وجماعة كبيرة(١) منهم سليمان بن حمزة الحاكم ، وأبو بكر بن عبد الدائم ، وعيسى المطعّم ، وأبو نصر محمد بن عماد الدين الشيرازي ، وابن مكتوم(٢) ، والبهاء بن عساكر ، وعلاء الدين الكندي الوداعي ، ومحمد بن أبي الفتح البعلبكي(٣) ، وأيوب بن نعمة الكحّال ، والقاضي بدر الدين بن جماعة ، وجماعة سواهم .

وقرأ العربية على ابن(٤) أبي الفتح البعلي ، قرأ عليه (الملخص) لأبي البقاء(٥) ، ثم قرأ (الجرجانية) ، ثم قرأ (ألفية ابن مالك) ، وأكثر (الكافية الشافية) وبعض (التسهيل) ، ثم قرأ على مجد الدين التونسي قطعة من (المقرّب) .

وأما الفقه فأخذه عن جماعة منهم الشيخ مجد الدين إسماعيل بن محمد(٦) الحراني ، قرأ عليه (مختصر) أبي القاسم الخرقي و (المقنع) لابن قدامة ، ومنهم ابن أبي الفتح البعلي(٧) ، ومنهم الشيخ تقي الدين بن تيمية ، قرأ عليه قطعة من (المحرّر)(٨) تأليف جدّه ، وأخوه الشيخ شرف الدين .

** الوافي : ٢٧٠/٢ ، والبداية والنهاية : ٢٣٤/١٤ ، والدرر : ٤٠٠/٣ ، والبغية : ٦٢/١ ، والشذرات : ١٦٨/٦ ، والنجوم الزاهرة : ٢٤٩/١٠ ، وذيول العبر : ٢٨٢ .

(١) في (خ) : « كثيرة » .

(٢) إسماعيل بن يوسف القيسي ، سلفت ترجمته .

(٣) ستأتي ترجمته .

(٤) ليست في الوافي .

(٥) لعلّه كتاب التلخيص لأبي البقاء العكبري ، عبد الله بن الحسين . البغية : ٣٩/٢ .

(٦) في الأصل و (خ) : « محمّد بن إسماعيل » ، سهو ، وأثبتنا ما في الوافي ، وقد سلفت ترجمته .

(٧) في الأصل : « ومنهم أبو الفتح » ، سهو ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي .

(٨) في الأصل : « المحرمات » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي . وانظر : كشف الظنون : ١٦١٢/٢ .

وأخذ الفرائض أولاً عن والده وكان له فيها يد ، ثم اشتغل على إسماعيل بن محمد ، قرأ عليه أكثر (الروضة) لابن قدامة ، ومنهم الشيخ تقي الدين بن تيمية ، قرأ عليه قطعة من (المحصول) ومن كتاب (الأحكام) للآمدي[١] .

وقرأ في أصول الدين على الهندي[٢] أكثر (الأربعين) و (المحصل) ، وقرأ على الشيخ تقي الدين بن تيمية قطعة من الكتابين ، وكثيراً من تصانيفه .

وكان ذا ذهن سيّال ، وفكر إلى حل الغوامض ميّال ، قد أكبّ على الاشتغال ، وطلب من العلوم كلَّ ما هو نفيسٌ غالٍ ، وناظر وجادل وجالد الخصوم وعادل ، قد تبحّر في العربية وأتقنها ، وحرَّر قواعدها ومكّنها ، واستطال بالأصول ، وأرهف منها الأسنة والنُّصُول ، وقام بالحديث وروى منه ، وعرف الرجال وكلَّ من أُخذ عنه .

وأما التفسير فكان يستحضر من بحاره الزخّارة كلَّ فائدة مُهمّه ، ومن كواكبه السيارة كل نيّر يجلو حَنَادس الظلمه .

وأمّا الخلاف ومذاهب السلف فذاك عُشّه الذي مِنه دَرَج[٣] ، وغابُه الذي ألفه لَيْثُه الخادر ودخل وخرج .

وكان جريء الجنان ثابت الجأش لا يُقعقع له بالشنان[٤] ، وله إقدام وتمكن

---

(١) هو السيف الآمدي ، علي بن محمّد (ت٦٣١) ، واسم كتابه : إحكام الأحكام في أصول الأحكام ، كشف الظنون : ١/١٧ .

(٢) الصّفي الهندي ، سلفت الإشارة إليه .

(٣) يشير إلى المثل : ليس هنا بعشّك فادرجي ، يضرب لمن يتعرض إلى شيء ليس منه ، وللمطمئن في غيروقته فيؤمر بالجدّ والحركة . اللسان (درج) ، ومجمع الأمثال : ٢/١٨١ .

(٤) الشّنّ : الخلق البالي من كل آنية صُنِعَتْ من جلد . والقعقعة : صوت الأدم اليابسة . وفي المثل : لا يُقَعْقع لي بالشنان .
اللسان : (شنن) ، (قعقع) .

أَقدام [١] ، وحظّه موفور ، وقبوله كلٌّ ذنب معه مغفور ، وكان يسلك طريق العلامة تقي الدين بن تيمية في جميع أحواله ، ومقالاته التي تفرّد بها والوقوف عند نص أقواله .

وتوجه إلى الحجاز مرات ، وحازَ ماهناك من المبرات .

ولم يزل على حاله إلى أن دخل تحت رَزَّة [٢] الرزيّه ، وعدم الناس منه لذة الحلوى السكرية وإن كانت نسبته إلى الجوزيه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ ثالث عشر شهر رجب الفرد سنة إحدى وخمسين وسبع مئة .

ومولده سنة إحدى تسعين [٣] وستّ مئة .

وكان محظوظاً عند المصريين من الأمراء ، يعطونه الذهب والدراهم ، وَهَبةُ الأمير بدر الدين بن البابا مبلغ اثني عشر ألف درهم ، والأمير سيف الدين بشتاك أعطاه في الحجاز مئتي دينار .

وكان قد اعتقل مع الشيخ تقي الدين بن تيمية في قلعة دمشق بسبب « مسألة الزيارة » ، ولم يزل إلى أن توفي الشيخ تقي الدين ، فأفرج عنه في ثالث عشري الحجة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

وما جمع أحد من الكتب ما جمع ، لأن عمره أنفقه في تحصيل ذلك . ولما مات شيخنا فتح الدين اشترى من كتبه أمهات وأصولاً كباراً جيّدة ، وكان عنده من كل شيء في غير ما فن ولا مذهب ، بكل كتاب نسخٌ عديدة ، منها ما هو جيد نظيف ، وغالبها من الكرندات [٤] . وأقام أولاده شهوراً يبيعون منها غير ما اصطفوه لأنفسهم .

---

(١) في الأصل : « وتمكن وأقدام » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٢) رزّة الباب : الحديدة التي يدخل فيها القفل .

(٣) في الأصل : « وسبعين » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي ومصادر ترجمته .

(٤) كذا .

واجتمعت به غير مرة ، وأخذت من فوائده ، خصوصاً في العربية والأصول .

وأنشدني من لفظه لنفسه :

بُنيٌّ أبي بكر كثير ذنوبه ... فليس على من نال من عرضه إثم
بُنيٌّ أبي بكرٍ جَهُولٌ بنفسه ... جهول بأمر الله أنّى له العلم
بُنيٌّ أبي بكر غدا متصدراً ... يُعلِّمُ علماً وهو ليس له علمُ
بُنَيٌّ أبي بكر غدا مُتَمنّياً ... وصال المعالي والذنوب له هَمّ
بُنيٌّ أبي كبر يَرُوم ترقّياً ... إلى جنّة المأوى وليس له عَزْم
بُنيٌّ أبي بكر يرى الغُنم في الذي ... يزول ويفنى والذي تَركُه غُنْمُ[1]
بنيٌّ أبي بكر لقد خاب سَعْيُه ... إذا لم يكن في الصالحات له سهم
بنيٌّ أبي بكر كما قال ربُّه ... هلُوع كنُودٌ وصفهُ الجهْلُ والظلم
بُنيٌّ أبي بكر وأمثالُه غَدَوا ... بفتواهم هذي الخليقة تأتمّ[2]
وليس لهم في العلم باع ولا التقى ... ولا الزّهد والدنيا لديهم هي الهمّ
فوالله لو أنّ الصحابة شاهدوا ... أفاضلهم قالوا هُمُ الصُّمُ والبكم

ومن تصانيفه[3] : (زاد المعاد في هدي خير العباد)[4] أربعة أسفار ، (مفتاح دار السعادة) ، مجلد كبير ، (تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته) ، نحو ثلاثة أسفار ، (سفر الهجرتين وطريق السعادتين) سفر كبير ، كتاب (رفع اليدين في الصلاة) ، سِفْر متوسط (معالم الموقعين عن رب العالمين) ، سفر كبير ، كتاب (الكافية الشافية لانتصار الفرقة الناجية) ، وهو نظم [نحو][5] ستة آلاف بيت ، وهذا الكتاب لمّا وقف عليه شيخنا العلامة قاضي القضاة تقي الدين السُّبكي أنكره

(١) في الوافي : « يرى الغُرْمَ ، تَركهُ الغُنْمُ » .
(٢) في الأصل و (خ) : « هذا الخليفة ... » ، وأثبتنا ما في الوافي والدرر .
(٣) انظر : الأعلام ٥٦/٦ .
(٤) (خ) : « زين العباد » وفي الوافي : « في هُدى دين » .
(٥) زيادة من (خ) والوافي .

وتطلّبه أياماً ، (الرسالة الحلبية في الطريقة المحمدية) ، (بيان الاستدلال على بطلان مُحَلّل السباق والنضال) ، (التحبير بما يحل ويحرم لبسه من الحرير) ، (الفروسية المحمدية) ، (جَلْي الأفهام في أحكام الصلاة[١] والسلام على خير الأنام) ، (تفسير أسماء القرآن) ، (تفسير الفاتحة) ، مجلد كبير ، (اقتضاء الذكر بحصول الخير ودفع الشر) ، (كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء) ، (الرسالة الشافية في أسرار المعوّذتين) ، (معاني الأدوات والحروف) ، (بدائع الفوائد) مجلد .

١٥٣٢ ـ محمد بن أبي بكر بن إبراهيم*

ابن عبد الرحمن الدمشقي ، الشيخ الإمام قاضي القضاة شمس الدين بن النقيب الشافعي ، قاضي حمص ، وقاضي قضاة طرابلس ، وقاضي قضاة حلب ، ومدرس الشاميّة الكبرى بدمشق أخيراً .

كان عالماً حبرا ، وحاكماً برّا ، من قضاة العدل وأئمة الهدى ، وحكام الحق الذين تساوى عندهم في القضاء الأحبَّةُ والعِدا ، مع لطف خلق كأنه نسيم ، وتواضع يراه محادثه ألذَّ من كأس تسنيم[٢] ، سالكاً طريق السلف والأخيار ، ناهجاً سبيل السنّة والآثار ، لم يُحْكَ عنه ميلٌ مُذْ حُكْمِه[٣] ولا حَيْف ، ولا جَنف تزول به عن المظلوم لذّة من قدوم ضيف الطيف[٤] ، وكان من بقايا الأئمه ، وخبايا هذه الأمَّه .

ولم يزل على حاله بدمشق إلى أن طرّق الموت لابن النقيب طريقه ، وترك العيون بالدموع غريقه ، والقلوب بالأحزان حريقه .

---

(١) في الكشف ، ١/٥٩٢ : « جلاء .. في فضل الصلاة » ، وكذا هي : « جلاء » في الدرر ، وفي الوافي : « حُلَى الأفهام » .

* الدرر : ٣/٣٩٨ ، والشذرات : ٦/١٤٤ ، وذيول العبر : ٢٤٨ .

(٢) التسنيم : ماء بالجنة .

(٣) كذا ، والأشبه : مدّة حكمه .

(٤) في الأصل : « اللطيف » ، والطيف : الغضب .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في شوال سنة خمس وأربعين وسبع مئة ، ومـات عن بضع وثمانين سنة .

وحدّث عن ابن النحاس وطائفة .

وكان قد تفقّه على الشيخ محيي الدين النواوي - قدس الله روحه - وقال له يوماً : أهلاً بقاضي القضاة ومدرّس الشامية ، فما مات رحمه الله تعالى حتى نال ذلك أجمع ببشرى الشيخ له .

وسمع من ابن البخاري وغيره ، وكان عنده خمائر في الفقه من الشيخ محيي الدين ، ويعرف (شرح العمدة) للأحكام الذي لابن دقيق العيد معرفة جيدة ويُقرئها لّما كان بدمشق للطلبة .

ولّما عزل القاضي فخر الدين ابن البارزي من حمص رسم الأمير سيف الدين تنكز للشيخ شمس الدين بالتوجه إلى قضاء حمص ، فامتنع من ذلك ، فتهدّده ، فما أمكنه إلاّ الرواح إليها ، وتوجّه إليها في يوم الاثنين حادي عشر شهر رمضان سنة ثماني عشرة وسبع مئة ، وخرج الناس لوداعه واستناب في وظائفه .

١٥٣٣ - محمد بن أبي بكر بن أحمد *

ابن عبد الدائم المقدسي .

سمع الكثير من جَدّه[(١)] ، ومن محمد بن إسماعيل خطيب مردا ، وأجاز لي بخطه سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في رابع ربيع الأول سنة ست وثلاثين وسبع مئة[(٢)] .

---

* الوافي : ٢٧٣/٢ ، ووفيات ابن رافع : ١٧٣/١ ، والدرر : ٤٠٠/٣ .

(١) انظر في مسموعاته الدرر .

(٢) وفي وفيات ابن رافع والدرر أنّ وفاته في رجب سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة . ومولده سنة ثمان أو تسع وأربعين وست مئة ، كذا مولده في الدرر .

١٥٣٤ ـ محمد بن بلبان *

الأمير ناصر الدين ابن الأمير الكبير سيف الدين البدري .

كان أحد أمراء الطبلخانات بدمشق ، وكان قد زوّج ابنته بركن الدين عمر بن الأمير ناصر الدين دوادار تنكز ، ودخل بها في ليلة الجمعة عاشر شوال سنة ثلاثين وسبع مئة ، وكان عرس عظيم وزفة عظيمة ، ثم إن تنكز ولاّه الحجبة .

١٥٣٥ ـ محمد بن تميم **

شرف الدين أبو عبد الله الإسكندري ، نزيل اليمن ، أحد كُتّاب الدرج للملك المؤيد هِزَبْر الدين صاحب اليمن[١] .

نقلت من خطّ الشيخ تاج الدين عبد الباقي اليمني[٢] . قال : نشأ المذكور في بلاد المعْبر من بلاد الهند ، وكان كاتب درج الملك الرحيم تقي الدين عبد الرحمن بن محمد السواملي الطيبي ، ثم لمّا مات مخدومه وفد إلى الملك المؤيد فاستكتبه .

وكان ذا لفظ صنيع ، ونظم بديع وله إنشاء حسن ، وكان يُعرف بالمقاماتي وحاولته على أن أرى تلك المقامات ، وكان يجيب ما هي مقامات بل قمامات . اجتمعت به في عدن سنة ثلاث وسبع مئة وأنشدني قصيدة مدح بها عز الدين عبد العزيز بن منصور الحلبي عرف بالكويكي[٣] وقد جاء إلى عدن بمال عظيم لم ير مثله ، وأول القصيدة :

* الدرر : ٣/٣٩٧ .

** الوافي : ٢/٢٧٩ ، والدرر : ٣/٤١٢ .

(١) وهو داود بن يوسف بن عمر بن رسول ، سلفت ترجمته .

(٢) هو عبد الباقي بن عبد المجيد المخزومي ، سلفت ترجمته .

(٣) كذا في الأصل والوافي . وفي الدرر ٢/٣٨٣ : « الكريمي » ، وسلف في ترجمته أنه الكولمي .

أتــذكر ليلى عهـدنــا المتقَــدّمــا ... أم البينُ أنساهـا عهـوداً على الحمى[(١)]
وأيامنا اللائي على الخيف قد مضت ... بمجلس أُنس بـــالمسّرة تمّمـــا

وكنت أنا وإياه يوماً على باب البحر بثغر عـدن فمرّ خـادم هنـدي بـديع الصورة فقال لي : أنظم في هذا بيتين فنظمت بديهاً :

بــأبي ظبيٌ من الهنـــد حكى ... لَحْظُــه الهنــديَّ في أفعـــالــه
جــوهري الثغر يـــدعى جــوهرا ... وأراهُ الفَرد في أمثـــالـــه

فعجب من سرعة البديهة ، قال : لكني أحكي لك حكاية اتفقت لي في بلاد الهند ، اقترح عليَّ بعضُ التجار الرُّعَّن[(٢)] اقتراحاً فيه قبح ، وذاك أنه كان له خادم هندي يسمى جوهراً وكان مغرماً به ، فقال لي تستطيع أن تنظم أبياتاً مضمونها أنّ فعلي لذلـك الحال موجب لنفاسة هذا العلق عندي[(٣)] ومتى فعلت هذا أعطيك عشرين عيناً ، فـأنشـدتـه أبياتاً من غير رويّة ، وهي :

أقــول للخــلّ عَــدَاك الرَّدى ... إني أنـــا المــاسُ فــلا تعتجب
في أصلي الحــدّة أسطــو بهـــا ... على أصمّ الجـــوهر المُنْتسب
والجـوهر الشّفــاف مــا لم يكن ... يثقُبـــه الثـــاقِبُ لم يَنْتَسب
فلي على الجـــوهر فضــلٌ إذا ... صيّرتُـــه بين الـــورى منثقب

قال الشيخ تاج الدين : وكان مولعاً بأكل البر شِعثا أكثر أوقاته ، غائب الذهن منها ، وكرهه السلطان لذلك .

مات ـ رحمه الله تعالى ـ سنة خمس عشرة وسبع مئة وله موشحات بديعة .

---

(١) في الأصل : « أنشاها » ، وأثبتنا ما في الوافي والدرر .

(٢) في الوافي : « الرعنى » .

(٣) ليست في الوافي .

١٥٣٦ ـ محمد بن تمر*

الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير سيف الدين الساقي نائب طرابلس .

كان شاباً حسن الصورة ، كريماً ، شجاعاً ، فيه خير ودين ، قُرئ في داره (صحيح) البخاري ، وسمعه معه جماعة ، وكان عمره يوم مات خمسةً وثلاثين[(١)] سنة .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بدمشق تاسع صفر سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

وتقدّم ذكر والده في حرف التاء مكانه .

١٥٣٧ ـ محمد بن ثابت**

الفقيه شمس الدين الخبي[(٢)] الحنبلي الصّالحي رفيق ابن سعد[(٣)] .

قال شيخنا الذهبي : عاقلٌ ، سمع ودار على الشيوخ ، وتنبّه قليلاً ، ثم أمَّ بقريةٍ بالمَرجْ ، سمع منّي .

وتوفي شاباً ـ رحمه الله تعالى في جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

١٥٣٨ ـ محمد بن جابر***

العالم المقرئ المحدّث ، الجليل ، أبو عبد الله الأندلسي ، الوادي آشي ، ثم التونسي المالكي .

---

* الدرر : ٤١٢/٣ .

(١) في الدرر : « وثمانين » ، سهو .

** الوافي : ٢٨١/٢ ، والدرر : ٤١٢/٣ .

(٢) في الأصل : « الجيبي » ، وأثبتنا ما في الوافي ، والظاهر أن نسبته إلى خبب ، وهي بليدة قرب دمشق على طريق حوران ، وفي الدرر : « الحبشي » .

(٣) يحيى بن محمد بن سعد المقدسي ، ستأتي ترجمته .

*** الوافي : ٢٨٣/٢ ، والدرر : ٤١٣/٣ ، وغاية النهاية : ١٠٦/٢ ، وتمام نسبه فيهما : « محمد بن جابر بن محمد بن قاسم » .

قرأ على والده ، وبالسبع[١] على طائفة ، وسمع من ابن هارون الطائي[٢] ، وأبي العباس بن الغمّار[٣] ، وطائفة بتونس .

قال شيخنا الذهبي : وقرأ عندنا (صحيح) البخاري ، وسمع من البهاء بن عساكر ، وبمكة من الرضي الإمام ، انتقى العلائي عليه جزءاً ، وكان حسن المشاركة في الفضائل ، خرّج (الأربعين البلدانية) ، كتبها عنه شيخنا علم الدين البرزالي ...[٤]

ومولده سنة ثلاث[٥] وسبعين وستّ مئة .

١٥٣٩ ـ محمّد بن جعفر بن ضوء البعلبكي*

الفقيه شمس الدين الشافعي .

كان من فقهاء المدرسة القيمرية بدمشق ، وكان له تردد إلى الناس واجتماع بهم ، وله عليهم خدمة ومعرفة بقضاء حوائجهم وأشغالهم ، على ما في نفوسهم ، وهو مطبوع داخل . وكانت بينه وبين النجم هاشم البعلبكي[٦] مودة وصحبة واتحاد ، وكان حسن الشكالة والصورة .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ ثاني عشري شعبان سنة خمس وعشرين وسبع مئة ، ودفن بمقبرة باب الفراديس وأثنى الناس عليه وتأسفوا عليه .

---

(١) في الأصل : « بالسبع » ، وأثبتنا ما في (خ) ، والوافي .

(٢) عبد الله بن محمد بن هارون الطائي القرطبي ، مسند تونس (ت٧٠٢) ، الدرر : ٣٠٣/٢ .

(٣) أحمد بن محمّد بن الحسن ، قاضي تونس (ت٦٩٣) ، غاية النهاية : ١١٠/١ ، ووقع في الأصل : « الغمار » ، تصحيف .

(٤) كذا بياض في الأصل . وهو موضعُ ذِكْرِ وفاته . وفي الغاية أنه توفي في ربيع الأول سنة (٧٤٩) .

(٥) في الغاية : « ثمان » .

* الدرر : ٤١٥/٣ .

(٦) هاشم بن عبد الله بن علي التنوخي البعلي (ت٧٣١) ، الدرر : ٣٩٩/٤ .

١٥٤٠ ـ محمد بن جعفر بن محمد*

ابن عبد الرحيم بن أحمد بن حجّون الشيخ الإمام الشريف تقي الدين ابن الشيخ ضياء الدين القنائي ، بالقاف والنون .

كان فقيهاً ، شاعراً ، صالحاً ، سَمِع من أبي محمد عبد الغني بن سليمان[١] ، وأبي إسحاق إبراهيم بن عمر بن نصر بن فارس .

وحدّث بالقاهرة ، وسمع منه الشيخ عبد الكريم بن عبد النور[٢] وجماعة ، ودرس بالمدرسة المسرورية[٣] وتولى مشيخة خانقاه أرسلان الدوادار ، وانقطع بها وتزوج بعلما أخت الشيخ تقي الدين[٤] ، ورزق منها ابنين فقيهين ، قال كال الدين الأدفوي : كان خفيفاً ، لطيفاً ، وله شعر . أنشدني بعض أصحابنا بقوصٍ مِمّا نظمه سنة اثنتين وسبع مئة ، عندما حَصلت الزلزلة :

مجازٌ حقيقتها فاعبروا ولا تَعْمُروا هوّنوها تَهُنْ[٥]
وما حسنُ بيتٍ له زخرفٌ تراه إذ زلزلت لم يكن

ومن شعره أيضاً :

من بعد فراقكم جرت لي أشيا لا يمكنُ شرحُها ليوم اللُّقيا
كم قُلت لقلبي بدلاً قال بمن والله ولا بكل مَنْ في الدنيا

* الوافي : ٣٠٧/٢ ، والطالع السعيد : ٥٠٥ ، والدرر : ٤١٥/٣ .

(١) (ت٦٦١ هـ) ، العبر : ٢٦٥/٥ .

(٢) توفي سنة (٧٣٥ هـ) .

(٣) في القاهرة ، وكانت دار مسرور أحد خدام القصر ، وكان مسرور ممن اختص بالسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب .

(٤) ابن دقيق العيد .

(٥) في الأصل : « فاعتبروا » . وأثبتنا ما في الطالع وبه يستقيم الوزن .

قال[١] : ووفاته بالقاهرة في جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

ومولده بقوص ظنّاً سنة خمس وأربعين وست مئة .

قلت : أخبرني من لفظه القاضي الرئيس الكاتب تاج الدين محمد بن محمد البارنباري[٢] . قال : قال لي الشيخ تقي الدين المذكور لمّا نظمت : « مجاز حقيقتها فاعبروا » البيتين بقي في نفسي شيء من كوني ذكرت في الشعر أسماء سور القرآن العظيم ، فأتيت الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ـ رحمه الله تعالى ـ وأنشدتها له ، فقال : لو قلت : « وما حُسْنُ كَهْف له زُخْرُف » لكنت قد زدت سورة رابعة . قال : فقلت له ياسيدي : قد أفدتني وأفتيتني[٣] ، أو كما قال .

وأنشدني قال : أنشدني المذكور لغزاً في العين الباصرة :

ومحبوبة عند المنام ضَمَمتها ... أُحسُّ بها لكنني ما نظرتها
لذيذة ضمّ لا أطيق فراقها ... وكم من ليال في هواها سهرتها[٤]

قلت : وما أحسن قوله « في هواها سهرتها » .

وقد ذكرت هنا لغزاً في العين للجهرميّ وهو حَسَنٌ :

إنّ التي أَوْدَت فؤادي تلت ... حزناً عليه وهو ملسوعها
جملتها واحدُ أجزائها ... طبيعة يعجب مطبوعها
فالكلّ إذ يُقرأ بعض لها ... والبعض إذ يذكر مجموعها
عمّيتها في لحن قولي فَمَنْ ... يُخرجها إذ كان يسطيعها

---

(١) أي الأدفوي في الطالع السعيد .

(٢) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) في الأصل : « وأقنيتني » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٤) في الوافي : « ورُبَّ ليالٍ » .

وقد رأيت لبعضهم ستة أسماء من سور القرآن العظيم في بيت واحد وهو قوله :

أقول وقد هبّت لنا نسمة الصَّبَا ترى دارت بنا كأس قرقف[(١)]
وفاطر قلبي هل أتى نَبَأ الورى بنمل عِذارٍ جاء في صفّ يُوسف

وما أحسن ما نقلته من خط السّراج الوراق :

سامح بفضلك من أتى ذنباً ولقّنْهُ المعاذر
وبزخرف من قوله كن أنت للزلات غافر

وأنشدني قال : أنشدني لنفسه أيضاً :

حياة المنازل سكّانها هُمُ رُوحها وهي جُثمانها
أضاءت بمن حلّها بهجةً كما حلّ بالعين إنسانها
وللظاعنين تحنّ الديّا ركأنّ الأحبة أوطانُها

قلت : ذكرتُ بهذا قول أبي الحسين الجزار ، وهو :

طرف المحب فمٌ يذاع به الجوى والدمع إن صمت اللسان لسانُ
يا سائلي عما تكابدُ مُهجتي إعراب طرفي بالدموع بيانُ
تبكي الجفون على الكرى فاعجب لمن تبكي عليه إذا نأى الأوطان

وأنشدني قال أنشدني المذكور لنفسه في باذهنج[(٢)] :

كأنما الباذهنج قلعٌ علا على الفُلك حين تَسْري
لكنّ ذاك الرياح أجرت وذا غداً للرياح يجري

---

(١) كذا في الأصل ، وفي عجز البيت خلل .

(٢) فارسية ، مؤلفة من « باذ » بمعنى « ساحب » ، و« آهنج » بمعنى هواء ، والمراد نافذة أو طاقة للتهوية .

وذكرت هنا قول شهاب الدين مسعود بن محمد بن مسعود السَّبكي المالكي :

وبـــاذهنـــج إذا حَرُّ المصيف أتى أهـدى النسيم وقـد رقت حـواشيـه
مصغ إلى الجوّ مـانـاجـاه نـافحـةٌ إلاّ ونمَّ عليـــه فَهْــوَ واشيـــه

قلت : ومما قلته أنا في باذهنج :

بنَيْنَـــا للتنسم بـــاذهنجـــا غـــلا فعلى إلى جَـــوّ السَّماء[1]
وراق بــــه الهـواء ورقّ لطفـــاً فسمّينـــــاه راووق الهـــــواء

وأنشدني ، قال : أنشدني لنفسه في شيخ منحنٍ مطيلس[2] :

كالعين شيـــــخ منحنٍ مُطَيلس أعرفــــــــه
تقـــويسهـــا كظهره ورأسهـــا رَفْرَفُـــه

قلت : هذا تشبيه عجيب ، وتخيّل غريب إلى الغاية .

وأنشدني قال أنشدني فيمن جهّز إليه بوريّه فايتة :

دع الاضطراب عن الحيـــا ة وخـلّ نفســك ثــابتــة
وازرع فحبــــات القلـــو ب بهـــا المحبـــة نـــابتــه
وذكرت فـــايتــــةً فقم للفـور واقضِ الفـــايتـــه

١٥٤١ ـ محمد بن جنكلي*

الأمير ناصر الدين ابن الأمير[3] بدر الدين جنكلي ابن البابا الحنبلي .

---

(١) في الأصل : « بيننا للتنسم » ، ولا تستقيم .
(٢) صفة للرجل إذا رمي بقبيح ، وتعني أيضاً الإنسان الأعجمي .
* الوافي : ٣١٠/٢ ، وفيات ابن رافع ١٣٦/١ ، الدرر ٤١٦/٣ .
(٣) في (خ) : « الأمير الكبير » .

تقدم ذكر والده في حرف الجيم مكانه .

كان جمال المواكب ، وثمال الكواكب ، أحسن خلق الله وجهاً وقواما ، كأنه غصن بان ركب الله في أعلاه قمراً تماما ، مع أخلاقٍ ما للنسيم لُطفُها ، ولا لأزاهر الرياض اليانعة عرفها[١] ، ولا للغصون الناعمة لينها ولا عطفها ، وسماحٍ يتعلم السَّحابُ سحَّه ، ويظهرُ من البحر شحَّه ، وكتابةٍ إنْ وصفتها بالخمائل أخملتها ، وإن قلت : هي كالعقود ، فقد نقصت من قدرها وأهملتها ، تصبح بها السطور[٢] وقد توشت ، والعيون وقد تردّت بالمحاسن وتَغَشَّت ، وفقهٍ ما لابن حزم حَزمه ، ولا لابن عبد البر نقلُه ولا جزمه ، وحديثٍ ماترقى الخطيب دَرجه ، ولا ألم به ابن عساكر ولا خرّجه ، وأسماء رجالٍ يغرق فيها ابن نقطه ، ويتحقّق سامعه أنه ما عند السمعاني بعدها غبطه ، وأدبٍ ما وصل الحُصريّ[٣] إلى أنماطه ، ولا صاحب (الذخيرة)[٤] إلى التقاطه ، ولا صاحب (القلائد)[٥] إلى تيجانه وأقراطه ، وشعر راق نسجه ، ولاق نهجه :

شخص الأنامُ إلى جمالك فاستعذ ... من شرِّ أعينهم بعيبٍ واحد[٦]

ولم يزل على حاله إلى أن حل بحماه الحمام ، وأبكى عليه حتّى الحمام .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رجب الفرد سنة إحدى وأربعين وسبع مئة .

ومولده سنة سبع وتسعين وست مئة .

كان أولاً قد اشتغل بمذهب أبي حنيفة ، ثم إنه تمذهب للإمام أحمد بن حنبل[٧]

---

(١) (خ) : « قطفها » .

(٢) في (خ) : « الطروس » .

(٣) إبراهيم بن علي الحصري صاحب زهر الآداب (ت ٤٥٣هـ) .

(٤) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، لعلي بن بسّام البسامي (ت ٤٠٣هـ) .

(٥) هو قلائد العقيان في محاسن الأعيان ، لأبي النصر الفتح بن عيس بن خاقان (ت ٥٣٥هـ) .

(٦) (خ) : « إلى كمالك » .

(٧) في الوافي : « وفي آخر الأمر مال إلى الظاهر ، ورأى رأيَ ابن حزم » .

وأنشدني من لفظه لنفسه غير مرة :

بـــك استجـــار الحنبلي مُحمـــــــــدُ بنُ جَنكلي
فـــاغفر لـــه ذُنـوبـــه فـــأنت ذو التفضُّـــل

وكتب طبقة واشتغل في غير مافن ، ولم يزل مواظباً على سماع الحديث ، واختلط بشيخنا الحافظ فتح الدين بن سيّد الناس وبه تخرّج ، وعنه أخذ معرفة الناس وأيـامهم وطبقاتهم وأسماء الرجال .

وكان آية في معرفة فقه السَّلف ونقل مذاهبهم وأقوال الصحـابـة والتـابعين ، وهـذا أجود ما عرفه ، مع مشاركة جيدة في العربية والطبّ والموسيقا .

وكان في النظم متوسّط الطبقة وربما تعذّر عليه حينـاً ، لكنْ لـه ذوقٌ في الأدب ، يفهم لطائف المعاني ويُدركها ويهتزّ للفـظ السهل ، ويطرب لنكت الشعراء المتـأخرين كأبي الحسين الجزّار والوراق وابن النقيب وابن دانيـال وابن العفيف ومن جرى مجراهم ، ويستحضر من مجون ابن حجاج جُملة .

وكان يلعب الشطرنج والنرد ، وقل أن رأيتُ مجموعه في أحد .

رأيته غير مرّة واجتمعتُ به كثيراً ، وقد شاركتـه في بعض سماعـاتـه ، وسمع بقراءتي على شيخنـا الحـافـظ أبي الفتح كثيراً ، وردّ عليَّ يومـاً بعض الأسماء صحّفتـه أنـا ذُهُولاً مني ، ولمّا فرغنا أنشدته :

يردّ علينـــا مـــا نَقُـولُ أميرنـــا لئـلا يرانـا في النهى دون حـدسِـه
ويختـــار منّـــا أن نكـون كمثلـــه «ويطلب عند الناس ماعند نفسه»

فأعجبه هذا التضمين وطرب له .

وكان فيه برّ وإيثـار لأهل العلم والفقراء ، ويُخيِّر مجـالسـة أهل العلم على مجـالسـة الأمراء والأتراك ، وكان كثير الميل إلى مَنْ يَهْوَاه ، لا يزال متيماً ، هائماً ، يذوب صبابـة

ويفنى وجداً ، ويستحضر في هذه الحالة ما يناسبها من شعر الشريف الرضي[١] ومهيار[٢] وابن المعلّم[٣] ، ومتيمي العرب جملة يترنم بها ويراسل بذلك ، ويعاتب .

وخرّج له شهاب الدين أحمد الدمياطي أربعين حديثاً ، وحدّث بها قبل موته ، وأثنى عليه الفاضل كمال الدين الأُدْفُوِّي في تاريخه : (البدر السافر) ثناء كثيراً .

ولما بلغتني وفاته ـ رحمه الله تعالى ـ وأنا بدمشق قلته أرثيه ، وضمنت القصيدة أعجاز أبيات قصيدة أبي الطيب[٤] :

هي الأيام ليس لها ذمام ... وليس لها على عَهْدٍ دوام
نُصبْنا للردى غَرضاً فأصْمَتْ ... حشانا من رزاياه السّهام[٥]
وما بعد الرضاع وذاك حق ... تبّين عندنا إلاّ الفطام
نسير على مطايا للمنايا ... وفي كفِّ الزمان لها زِمام
إذا متْنَا تَنَبَّهْنَا لِهَوْلٍ ... نَرى أن الحياة هي المنام
ألم تَرَ كيف عاث الدهرُ فينا ... وأوْدَى ناصرُ الدين الهُمَام
فشق الرَّعْدُ جَيْبَ السُّحْب لّما ... تَلَهَّب برقُها وبكى الغمام
فيا أسفاً لوجه كان يبدو ... فيستحيي له القمر التمام
ويا الشمائل كم هام فيها ... فؤادٌ ما يُسَلّيه المدام[٦]
ويا الخلائق كالرّوض لّما ... تَفَتّح عن أزاهره الكمام
ويا لفضائل قُلنا لديها ... أفدنا أيها الحَبْر الإمام

(١) محمد بن الحسين بن موسى (ت٤٠٦ هـ) ، وفيات الأعيان : ٤/٤١٤ .
(٢) مهيار بن مرزوية (ت٤٢٨) ، وفيات الأعيان : ٥/٣٥٩ .
(٣) محمد بن علي بن فارس الهُرْثي الواسطي ، شاعرٌ غزلٌ (ت٥٩٢ هـ) ، وفيات الأعيان : ٥/٥ .
(٤) في مدح المغيث بن علي العجلي ، ديوانه : ٤/٦٩ ، وما بعدها .
(٥) في الأصل : « عرضاً » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٦) في الأصل : « ما تسلته » ، وأثبتنا ما في (خ) .

ويـــا لكتـــابـــةٍ كالـــدرّ لمّـــا يُـؤلّفـــه على النّحر انتظـــام(١)
وكان يُرام في بـــذل العطـــا يـــا «وأمـــا في الجـــدال فمـــا يُرَام»
ولم نر في الـزمـــان لـــه شبيهـــاً «وإن كثر التجمّـــلُ والكـــلام»
أيـــا من في الرقـــاب لـــه أيـــادٍ «هي الأطـواق والنـــاس الحمـــام»
لئن عمّت مصيبتـــك البرايـــا وصـــار بهـــا على الـدنيـــا ظـلام
فكم حَسُنَتْ بـــك الأوقـــات حتى «كأنّـك في فم الـدنيـا ابتســـام»(٢)
ستنـــدبـــك المـواكبُ كلَّ يـوم ويبكيـــك المثقّفُ والْحُســـام
لأنّـــك مـــا شهـــدت الْحَرْبَ إلاّ «تعـــالى الجيشُ وانحـــطّ القتـــام»
فلـو تُفـــدى بـــذلنـــا كُـلَّ نَفْس لأنَّ حـــلال بُقْيـــانـــا حرام
ولـــــو رد الردى حربٌ لشُبّت وكان وَقُـــودهـــا جثثٌ وهـــام
وكفَّ الخطبَ عَنـك كُفـاةُ أهـل هُمُ في الروع أمجـــــاد كرام
أب وأخ همـــا ليثـــا عرين إذا مـــا كان للحرب اصطـــلام
يعـــــزّ عليهما أن بتَّ فرداً وجـــالت في محـــاسنـــك الهـوام
ومـــا تركاك رهْنَ الترب عَمْـــدا «ولكن مَعْـدِنُ الـذهب الرّغـام»(٣)
فنم فلـــو افتقرت لفعـــل بر «لأعطوك الـذي صلّوا وصـامـوا»(٤)
ومـــا تحتـــاج عنـــد الله قربى مـواهبُـــه لنـــا أبـــداً جســـام
فللرحمن لُطفٌ واعتنـــــاءٌ بمَنْ بـــالعلم كان لـــه اعتصـــام
فكم أذريت خَـــوْفَ الله دَمْعـــاً غمـــائمُـــه إذا انهلّت سجـــام
قَضَيْتُـك بـالـوفـا حقـاً أكيـداً لأنّ بصحبـــةٍ يجبُ الـــذمـــام
ســـأجعـل طِيب ذكرِك لي سميراً «ومَنْ يعشـق يلـــذّ لـــه الغرام»

(١) (خ) : « يؤلّفها على » .
(٢) في ديوان المتنبي « فم الدهر » .
(٣) الرَّغام : التراب .
(٤) في الأصل : « قتم لو » ، وأثبتنا ما في (خ) .

وأرجو الله أن يوليك رحْمَى «ومن إحدى عطاياه الدوام»
فلا تبعد فنحن عليك وفْدَ وغايتنا لهذا والسلام

وأورد الكمال الأدفوي في آخر ترجمة الأمير ناصر الدين ، وأظن ذلك في نظم كمال الدين المذكور فيه :

أبكي عليك بدمعة كتبت على صفحات خدٍ للكئيب سُطورا[1]
تجري من العين التي أنشأتها ما زال من إحسانه مسرورا[2]
سالتْ عقيقاً فاستحالت عَنْدما شابت فصارت لؤلؤاً منثورا

قلت : العين وإنسانها لا يوصفان بسرورٍ البتة ، وإنما السرور من صفات القلب .

وأنشدني من لفظه لنفسه ـ رحمه الله تعالى ـ لما أخرج السلطان الملك الناصر محمد خليل بن بلغدار[3] إلى الشام بسببه ، وكان له إليه ميل عظيم :

ومن حيثما غُيّبت عني ظاهراً وسرتَ على رغمي وفارقتني قَسْرا
أقمتُ ولكنيّ وعيشك آيسٌ من الرُّوح بعد الخلّ أنْ تسكن الصدرا
فكم عبرةٍ للعين أجريتُها دماً وكم حُرقٍ في القلب أذكيتها جَمْرا[4]
لعلّ الذي أضحى له الأمر كلُّه على طول ما ألقاه يُحْدثُ لي أمرا[5]

وأنشدني من لفظه لنفسه في المذكور ، اهتدم قول :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة وحولي ... إذخر وجليل[6]
وهل أرِدَنْ يوماً مناهل جلّق ويبدو لعيني شامة وخليل

(١) (خ) : « أبكي عليه » .
(٢) في الأصل : « العين الذي » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٣) كذا في الأصل و (خ) والوافي . وأكبر الظّن أنها « دلغادر » ، وقد ترجم له صاحب الدرر : ٨٨/٢ ، ووقع فيه اللفظ بالدال ؛ إلاّ أنه قطع ترجمته ، ولم يذكر وفاته .
(٤) (خ) والوافي : « في الصدر » .
(٥) هنا ينتهي مضمون الترجمة في الوافي .
(٦) كذا ، والإذخر : الحشيش .

وقال كال الدين الأدفويّ نقلت من خطه له :

وإذا اعتبرت سِنّي عمرك في الهوى ومرورها في أعصر الخسران[١]
وعلمت أن المرء منها راحلٌ سفراً به للسخط أو رضوان
أيقنت أن الفوز فيها للتقى ولمن يقوم بحكم القرآن
فاجهد لنفسك يا أخيّ مخلِّصاً فلَقَدْ نَصَحْتُك في جميل بيان

وكتبت له وأنا بالقاهرة منشوراً بإمرة أحد وأربعين رمحاً في أيام السلطان الملك الناصر محمد سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة وهو :

« الحمد لله الذي نصر هذا الدين بحمّده ، وجعل مفارق العدا من أغماد مهنده ، وأطفأ بوبل نبله حَرَّ الوَغى إذا زاد في توقُّده وجمع له بين فضل السيف والقلم ، فكان هذا الجمعُ من مزايا تفرُّدِه .

نَحْمَده على نِعَمِه التي منحت دولتنا القاهرة وليّاً تُعقَدُ عليه الخناصر ، وخصَّت أيامنا الزاهرة بماجد طابت[٢] منه الأصول ، كما طابت العناصر ، وزانت مواكبنا الوافرة بفارس يصبح النجم عَنْ مداه وهو قاصٍ والبرق قاصر ، واعْتَزّت[٣] جيوشنا الباهرة منه ببطل من لم يكن له وَسْمُه واسمه ﴿ فمالَهُ مِنْ قُوّةٍ ولا نَاصر ﴾[٤] .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تُرغم معَاطس الكفر والضلال ونعلي بها كلمة الإيمان بصدور البيض البُتْر وكُعوب السُّمر الطوال ، ونُطلع بها في ليل العجاج المظلم أسنَّة الذوابل تتّقد كالذُّبال ، وننال بإخلاصها النصر إذا تَبّت[٥] يد الكافر يوم الفتح في القتال .

(١) (خ) : « في الورى » .
(٢) (خ) : « طابت » .
(٣) في الأصل : « واعترت » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٤) الطارق : ٨٦/١٠ .
(٥) في الأصل : « نبت » ، وأثبتنا ما في (خ) ، وهو معنى قرآني .

ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي جاهد في الله حقّ جهاده ونصر الدين الحنيف بأنواع أعوانه وأجياد جياده وأتْعب السيوف في راحته حتى لقي الشرك وألوفَهُ بالتوحيد وآحاده صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين دعاهم إلى هداهم فثَنوا إليه الأعنة ورأوا أفعاله فَرَووا عنه السُّنة وجالدوا عداه ، فرووا منهم الأسنّة واستبشروا ببيعهم الذي بايعهم بأن لهم الجنة[1] ، صلاة تتبلج بها نجوم الظلم ، وتتأرّج بها نسمات الضال والسَّلم ما خَفَقت عذبات عَلَم وثلّ الإيمان عَرْشَ البهتان وثلم ، وسلَّم تسليماً كبيراً إلى يوم الدين .

وبعد :

فإنّ أحقّ الأولياء بموالاة النِّعم ومغالاة القيم ومضاعفة الآلاء عليه حتى تخجل الدّيم ، مَنْ تزاحم النجوم عُلياه بالمناكب ، ويغدو بَدْرُ الجيوش في هالة المواكب ، ويمتشق الصوارم بيمناه ويركب[2] من شوق إلى كل راكب ، ويعتقل الذوابل فتلجّ في عُلوّ « كأنما تحاول ثأراً عند بعض الكواكب »[3] .

وكان المجلس السامي الأميري وألقابه الناصري ونعوته محمد بن الجناب العالي الأميري البدري محمد بن جنكلي بن البابا الناصري من قوم ندعوهم فيُلبّون إلى طاعتنا مسرعين ، ونرجو لفَتَاهم كمال المئة ، فإنه قد تجاوز حد[4] الأربعين ، فهم أبطال تفرق[5] الأسود الغُلْب من وثَباتها وثباتها ، وفرسانٌ قوائمٌ خيلهم صوالج تَلْعب من رؤوس

(١) اقتباس من قوله جلَّ وعزَّ : ﴿ فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به ﴾ [التوبة : ١١١/٩] .

(٢) في الأصل : « ومركب » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٣) عجز بيت سلف للمؤلف أن مثّل به .

(٤) في (خ) : « بهذا حد » .. وهو يشير إلى بيت سحيم بن وثيل الرياحي :

وماذا يدّري الشعراء منّي وقد جاوزت حدَّ الاربعين

وهو من قصيدة اختارها الأصمعي ، انظر : الأصمعيات : ٦ .

(٥) الفَرَق : الخوف والفزع .

العدى بكُرَاتها في كَرّاتها ، وشجعان ألفوا[1] مقاعد الخيل فكأنهم وُلدوا على صهواتها ، وأمراء زانوا مواكبنا السعيدة التي لا تخرج الأقمار عن هالاتها ، قد احتكم إلى يمينه السيف والقلم ، وانطوى على نشر العِلْم والعَلَم ، ونقص عند أقوامه زَيْدُ الخيل ، وشاب من شجاعته عامر بن الطفيل ، وعجز ابن عساكر عن حفظه ، وغرق ابن نقطة في بحر لفظه ، فهو من المناضلة إلى المفاصلة ، ومن تدبير العوالي إلى تسطير الأمالي ، ومن جلاد الفوارس إلى جدال المدارس ، ومن ظهور السابقة العِرَاب ، إلى بطون الناطقة بالصواب عملاً بقول القائل :

أعزّ مكان في الدُّنا سرجُ سابحٍ وخيرُ جليسٍ في الزمان كتابُ[2]

لأنه نَجْل والده الذي مارفعنا راية رأيه في أمر ففسد ، وفرْعُ أصله الذي نشأ في خدمتنا الشريفة ، والشبل في المخبر مِثل الأسد ، كم لوالده من يوم حرب أذكر الناس بيوم بدر ، وكم له من ليلة علا فيها قدرهُ ﴿ وَماأدراك ماليلةُ القدر ﴾[3] .

وقد اقتضت آراؤنا الشريفة تغيير إقطاعه ليقوى حزبه على الحرب وينتقي من يكون أمامه من أبناء الطعن والضرب ، وتمرح به كمت الجياد في الأرسان وتُشاهد في مقامات حربه مقاتل الفرسان وينظم في صفاته (صحاح) الجوهري إذا نثر من الدماء (قلائد العقيان) ، فالفتوح تيسّر للدين القيّم بالحتوف ، والجنة كما قال ﷺ تحت ظلال السيوف[4] :

وليس لله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

(١) في الأصل : « ألقوا » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٢) للمتنبي ، ديوانه : ١٩٣/١ .

(٣) القدر : ٢/٩٧ .

(٤) فيه إشارة إلى الحديث : (الجنة تحت ظلال السيوف) ، ذكره السيوطي في الجامع الصغير : ١٤٥/١ ، وضعّفه .

يفوق الألوف فلذلك خرج الأمر الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي الناصري أعلاه الله تعالى وشرّفه أن يُجْرَى في إقطاعه .

فلما جُهّز المنشور إليه كتب هو إليّ قرين تشريف جهّزه والده رحمهما الله تعالى إليّ :

« يا مولانا ما هذا منشور إن هذا إلا لؤلؤٌ منثُور ، كل سطر منه جنة قد حفّت بالثمار ، وكل شطر[١] من سطره لو يباع اشتري بألف دينار ، تلعّب فيه قلم مولانا بالعُقول ، وأدار بكلامه على الأسماع كأس الشمول ، فعلّم كل بليغ ما يقول ، وتصدّق على المملوك بأوصاف استعارها له بيانُه ، ورصَّع جواهرها بنانُه ، وقد وقف عليه محبّكم الوالد وقال : بمثل هذا الفضل يحي الذكر الخالد[٢] ، وقد سيّر إليكم شيئاً من تمام الإحسان قبوله ، وهو يعتذر بما إذا حضر المملوك يذكره ويقوله ، والله تعالى يعلي لمولانا المكانة ، ويديم لهذه الدولة الشريفة بيانه بمنه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

وكنت قد كتبت أنا إليه وأنا بالقاهرة في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة :

لي في الجوانح من حزني حراراتُ ... كما لبرد اللّمى فيها حرارات[٣]
وللبوارق إن لاحت أو اعترضت ... في الضوء من ثغرك الضاحي إشارات[٤]
وللغصون إذا ورق الحمام تلت ... أيات عطفيك في الأسحار سجداتُ
أشكو ظلام ذؤابات دَجَت فغدت ... وما لها غير نُور الفرق مشكاة
خيالك البدر في جوّ السماء إذا ... نظرت فيها لأنّ الأفق مرآةُ
ومن يَسُق نفسه للوجد فيك ففي ... لعُب الغرام على خدَّيك شاماتُ

(١) في الأصل : « سطر » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٢) في الأصل : « الخالد » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٣) في (خ) : « حزازات » .
(٤) في الأصل : « وللبواق » ، وأثبتنا ما في (خ) ، وفيها : « في الجو » .

يا بـدر حسنٍ لـه دُون البَريّـة في أهلّـة اللثم لا في السحب هـالاتُ
دينـار خـدّك وافٍ في الجمـال فلِمْ زيـدت بـه مِنْ سواد القلب حبّاتُ
لـولا تَجَنّيـك لم يَعْذُب جنـاك ولا طـابت عليـك لـذاتِ الصبّ لـذّاتُ
لم لا سمعتِ دعـاوى الصبّ فيـك على هـواك إنّ دعـاويـه صحيحـاتُ
وأنت يـا مَن أداجيـه على شغفي بـه وهيهـات أن تخفى الصبابـات
لا تقبلنّ شهـادات الـدمـوع ومن تعـديل عطفيـه في جفني جراحـاتُ
حلبت شطري زمـاني وارتضيت بها لي وحشـةٌ عن أنيس فيـه إعنـاتُ[(١)]
فكم مجـالس لهـوٍ خمرُهـا غـزلي وشمعتي فكرةٌ فيهـا شراراتُ
وليس لي طرب إلاّ إذا تُليَتْ عن نـاصر الـدين أخبـارٌ وآيـاتُ
فتى إذا فكرتي صَاغَتْ لـه مـدحـاً شُنّت على الوصف في عليـاه غـاراتُ
وسـابق اللّفـظ في نظمي مـدائحـهُ الـدرّ والـزّهر والـزُّهر المنيراتُ
حـوى الفضـائـل مِن سيف ومن قلم فليس عنـد الـورى إلاّ فُضـالاتُ
لـه محـاريب حرب كلّما ركعت سيـوفـه سجـدت إذ ذاك هـامـاتُ
فـالأرض طِرس وغيٌ والخيل أسطرهُ والسمهري ألف والـلام لامـاتُ
وكم أدار كـؤوس الموت حين شـد الـ ـحُسـامُ وارتقصت للسمرقـامـاتُ
ليث فرائِسـه الفرسـانُ يـوم وغى ومـا البراثنُ إلاّ المشرفيّـاتُ
إنْ أظلم الجوُّ من جَوْنِ العَجاج فمِن خُرصـان ذُبّلـهِ فيـه ذُبـالاتُ[(٢)]
وإن دجـا البحث في تحقيق مسألـة جلت حنـادسـه منـه الـدّلالاتُ
وأوضح الحـقّ بـالبرهـان وازدحمت فيما يرى نَصْرَه منـه العبـاراتُ
وإن أتـاك بنقـلٍ فـالبحـور طمت ويعضـد الرأي مـا تهـدي الروايـاتُ

---

(١) في الأصـل : « حكيت ... إغنـات » ، وفي (خ) : « خلبت .. إعنـات » ، تحريف ، يقـال : حلب فلان الدّهر أشطره ، أي : خبر ضروبه .

(٢) الخرصان هي الأسنّة ، وتطلق أيضاً على الرّماح .

وإن تمســك في قــولٍ بظــاهره تخضـع لـه الشُّبهـات الفلسفيـاتُ
نقــول إلاّ إذا مــا كان حــاضرنــا فهـو الخطيب ومنّـا نحن إنصــاتُ
وإن أدار على قرطــاســـهِ قلمــاً فبــاطنُ الطِّرس أنهـار وجنّــاتُ
عن كل همــز سما في سطره ألفــاً فقُلْ غصون بأعلاها حمـامـاتُ
يكاد معنى عبــاراتٍ يسطّرهـــا تبـدو لهـا من حمـام الهمـز رنّـاتُ
نظم يروق ومعنـــاه يرقّ لنــا فـاللفـظ كأس لـه المعنى سلافـاتُ[1]
يـا شـاكي الزمن الجـاني استجر كرمـاً بـــه فللـــدهر من نُعماه ردّاتُ
وســوف يغفر لـلأيــام زلّتهــا وتنجلي ظلمـــاتٌ أو ظــلامــاتُ
فمــا سَميُّ النبي الهــاشمي لـــه بـدع إذا انكشفت عنك الغيابـاتُ
لقـد سما والـورى مِنْ دُون رتبتــه ولم تــزل تَفْضُــل الأرض السماواتُ
خـلائـقُ مثـلُ أنفـاس الريـاض إذا مرّت بـأزهــارهــا ليـلاً نُسَيْماتُ
وجُـــود كفٌّ كأنّ الفقر قفرُ فــلاً تهمي على عطش منـه غمــامــاتُ
مِن مَعشرٍ قـد سهـا طَرْفُ السُّهى لهُمُ عليـه من مجـدهم تُرخى الـذؤابـاتُ
لا زال في نِعمٍ أنفــاسُ لـــذّتهــا في كل نـادٍ لهـا بـالنّـد نفحـاتُ

فكتب هو الجواب إليّ عن ذلك :

أوراق نظمـك لـلأبصـار روضـات فيهـا لغـرّ المعـاني منـــك زَهراتُ
يـا نــاظمـاً نــزلت زُهْر السماء لـــه كانت بروجاً فـأضحت وهي أبيـاتُ
وفــاضـلاً لا يَفُضّ الله خـــالقُنــا لـــه فمــا منـــه للـدنيــا كمالاتُ
ترجّلت لـــك فرســان القريض وولّــوا منــك خــوفــاً كأنّ القــوم أمـواتُ
كلّ بفضلــــك أمسى وهــو معترفٌ وليس يقـوى لعصف الريــح نسماتُ
يروي الأنامُ حديث الفضلِ عنك وقدْ علت لهُم منـــك في ذاك الإجــازات
ومن يعـــانـــد فيما رُحتُ أذكرُه عمّـا حويت من العليـا فقُـلْ هـاتُـوا

(١) (خ) : « يروق لنا » .

وكتبتُ أنا إليه أهنئه بقدومه من الحجاز في شهر الله المحرم سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة :

قدمت قدوم البدر والليل قد دَجا فأشرقتِ الآفاقُ من سائر الأرجا
وكانت رُبا مصر رياضاً تصوَّحت فجئت إليها كالغمام إذا ثجّا
إذا النوق أعياها المسيرُ فإنها بطيب الثنا والذكر عنك غدت تُزْجَى
أيا من سرى والأنجم الزُّهرُ في الدجى ليُهْدى بها في القفر قد عُلِّقت سرجا
وأمسى هلال الأفق كوراً لنُجبه وإلاّ على ظهر الجياد له سَرجا
قطعت الفيافي نحو مكة مُحرماً ولم تتخذ إلاّ التقى والفلا منجا[1]
وجُرِّدْت من ثوبٍ مخيطٍ ولم تزَل برود الندى والبأس تُحكِمُها نَسْجا
ولبَّيْتَ لبّاك الإله لأنه رأى خير من لبّى بركبك أو عجّا
وطُفْتَ ببيتٍ لم تر الباب مُرْتجاً متى جئته تدعو ولا الركن مرتجّا
ترى الحجر المسودّ أحسن موقعاً بقلبك من خال على وجنة بَلْجَا[2]
فتوسِعُه لثماً بأبيض واضحٍ إذا قال قلنا السحرُ من لفظه مجّا
وفي عرفاتٍ كان عَرفك ذائعاً تضوّع عَرْفاً نَشْرُه مَلأ الفجّا
وحلّقت حتى لا تكون مُقصّراً وذلك أنجى في العبادات بل أرجى
وسُقْتَ مطايا الهَدْيِ تنحر كومها وقد نضجتْ أكبادُها بالسُّرى نُضجَا
فبَخَّلتَ حتى السحب في جُود وَبلها وزدت إلى أن كدْت أن تُغرق اللُّجا
وجئت إلى قبرٍ حوى خير مُرْسل ومَنْ حُبُّه الذُّخر الْمُؤمَّل والْمُلْجَا
تجادِل عنه أو تجالد مَنْ غدا يعالج منه المسلمون فتىً عِلْجا
إذا أنت رفعَّت الرماح مراوَداً تشقّ بها من نَقْعِه مُقْلةً دَعجا[3]

(١) (خ) : « نهجا » .
(٢) (خ) : « ثلجا » .
(٣) المرود : أداة الكحل .

وإن ظَمِئَتْ يوم الوغى أنفسُ العدا سَلَلْت لها في الروع بيض الظبا خَلْجَا
أيا مَنْ غَدَت أعلامُه وعُلومه تُنيرُ لنا مِثْل الشهاب إذا أجّا
قطعت الورى بَحْثاً وطُفْتَ بمكة فأصبحْتَ في الحالين أفْضَل مَنْ حَجّا
بقيت مليكاً في الفضائل والعلا متى هاج خَطْبٌ والتفتَّ له هجّا
ولا زلت محروس الجناب من العدا يسلُّ لها غمدُ الدجا فجره نَمْجا[1]

وكتب هو إليّ من القاهرة بعد خروجي منها إلى صفد في سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة[2] : إن الذي فرض عليك القرآن لرادّك إلى معاد :

يا راحلاً وجميلُ الصبر يتبعه هل من سبيل إلى لقياك يتّفق
ما أنصفتك دموعي وهي دامية ولا وفى لك قلبي وهو يحترق[3]

يا مولانا تذكر قوله ﷺ : ما قضى الله لامرئ مؤمن من قضاء إلا وكان الخيرة له فيما قضى من ذلك ، إن أصابته ضراء فصبر كان خيراً له[4] وإن أصابته سراء فشكر كان خيراً له ، وليس ذلك إلا للمؤمن . وفي الأثر : المؤمن مُلقَّى[5] ، وفي حديث سويد الأزدي[6] وقومه حين قدومهم على سيد البشر أنه فسّر إيمانهم بخمس عشرة خصلة وعدّ منها الصبر[7] عند البلاء ، والرضا بمواقع القضاء . وبالجملة الحمد والشكر لله أولاً وآخراً ، والله معك حيث كنت ، والسلام :

---

(١) في الأصل : « له » ، وأثبتنا ما في (خ) . والنمج : سيف رقيق يوضع إلى جانب السلطان أو النائب .
(٢) في الأصل : « هكذا في سنة ٧٣٢ » ، وأثبتنا ما جاء في (خ) .
(٣) في الأصل : « وهي آبية » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٤) في الأصل : « كان له خيراً » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٥) ملقّى : أي : مُوَفَّق لها .
(٦) في (خ) : « سويد بن الحارث الأزدي » .
(٧) في (خ) : « خصلة وفيها الصبر » .

أوحَشْتَ مصراً فـــادلهمّ رَبْعُهـــا شـوقـاً إلى ذلـــك المحيّـا الـزاهر
أفضت من فضـــائهــا فضـــائــلاً مِنْ بَحْرِ علم قـــد حَـــويت زاخرِ
نثرٌ إذا نظرتـــه كأنــــه الـمنثـــور لاح وســـط روضٍ نـــاضر
ونظم شعر راق في تـــأليفـــه فـــأخجـل العقـود في الجـواهر
وحُسن خـط قـد جعلت طِرسـه مـــدبّجـــاً كالروض بـــالأزاهر
يــا فخر دهر أنت من كتّـــابـه تُخجـــل كلَّ نـــاظم ونـــاشر
وعـزّ ملـــك كنت في ديــوانـه تنشئ مـــا يلعَبُ بـــالضمائر
إذا ترسّلتَ إلى أعـــدائـــه أغْنَيْتَـــه عن الحســـام البـــاتر
يـــا فـــاضـلاً أخنى عليـــه دهرُهُ لا تخضعن لنكبـــةٍ في الظّـــاهر
فـــاصبر ولا تقلـق لأهـوال الرَّدى فـــإنْ ثَبَتّ نلت أجر الصّـــابر
أرجـو لـــك العـودَ لمصر سُرْعَـــةً مظفراً كما يظنّ خـــــاطري

فكتبت أنا الجواب إليه ، رحمه الله تعالى :

يـــا برق هـــل ترثي لصب ســـاهرِ وهـل ترى لكسْره من جـــابر(١)
وهـل لمـا قـــدْ نَـــابَـهُ من راحم أو لم يكن فهـل لـــه من عَـــاذر
أبيت لا أنيس لي إلاّ الـــــذي يـــدور من شكـــواي في ضمائري
أخرجني كالسهم من كنـــانـــةٍ حكم زمـــان في القضـــاء جـــائر
وابتزّني صبري ومـــا أرى الـــورى على الـــذي قـــد نـــالني من صـــابر
فـــأضْلُعي تُحنى على جمر الغضى ومـــا الشرار غير قَلْبي الطـــائر
ومن غـــدا بـــاطنُـــه مشتعـلاً لم يُغنـــه تجلّـــدٌ في الظّـــاهر
ومقلتي تعثّرت دمـــوعُهـــا لأنّهـــا تجري على محـــاجري
والنـومُ لا أعرف منـــه سنـــة في سنـــةٍ إلاّ بحكم النـــادر
يـــا دهرُ قـــد رَمَيْتَني بنكبـــةٍ عَـــدمتُ فيهـــا قُـوَّتي ونـــاصري

(١) (خ) : « وأهل » .

القاتل المحل يجود كفّه ... وصاحب الإبداع في المفاخر
كم حدَّثتني راحتاه عَنْ عطا ... وكم روى إحسانه عن جابر
يا قاطع البيد إلى أبوابه ... ظفرت من جدواهُ بالجواهر
لا تشك في القفر ظماً فكفّه ... أطبقها على الخضمّ الزاخر[1]
ويا مجاريه لغايات العُلا ... قِفْ واسترح من هذه الخواطر
كم قد جرى البرق على آثاره ... فلم يفز إلاّ بجدّ عاثر
ويا مُناوي بأسه إلى الوغى ... جَهِلْتَ ما تبغي فلا تخاطر
أما ترى ما حاز مِن فضائل ... فاقت على قطر الغمام الماطر
والسيف واليراع في بنانِه ... ما اجتمعا إلاّ على المآثر
سيادة في بيته مشهورةٌ ... يَعُدّها في كابر عن كابر
آه على ما فات مِنْ نواله ... وفضله وجبره لخاطري
ولطفه ذاك الذي إذا بدا ... تَعْرفه في كل روض زاهر
أبعدني دَهْري عن أبوابه ... يا ويح دَهْر بالفراق ضائري[2]
وربّما يسمحُ لي بعودةٍ ... فيُغفر الأوّل عند الآخر

وكنت كتبت إليه من الرَّحبة سنة تسع وعشرين وسبع مئة :

لي حالة بعد الأمير ناصر الـ ... ـدين لها كل الأنام عاذرُ[3]
ضنيتُ بالبعد فما لي قوة ... وغاب عن عيني فما لي ناصر[4]

---

(١) في الأصل : « في القفر ظما » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٢) (خ) : « صائري » .
(٣) في الأصل : « له حالة » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٤) لعلّه يشير إلى قول القائلة :

قامت تبكيه على قبره ... من لي من بعدك يا عامرُ
تركتني في الدار ذا غربة ... قد ذلّ مَنْ ليس له ناصرُ

انظر : المذكر والمؤنث لابن الأنباري : ١٨٨/١ .

وكتبت أيضاً إليه :

يـــا غـــائبـــاً عني بحكم النـــوى وذكره مـــا زال في خـــاطري
قـــد جـــار في الحكم زمـــاني ولا بـــدع إذا اشتقت إلى نـــاصري

١٥٤٢ ـ محمد بن جوهر بن محمد*

أبو عبد الله التلّعفري المقرئ المجوّد الصوفي .

قرأ على أبي إسحاق بن وثيق[(١)] لأبي عمرو ، وأخذ عنه التجويد ومخارج الحروف . وسمع بحلب عن ابن رواحة ، وابن خليل ، والصلاح موسى بن راجح ، وغيرهم .

قال شيخنا الذهبي : قدم علينا دمشق ، وقرأت عليه مقدمته في التجويد وجُزءاً من الحديث . وكان شيخاً ظريفاً فيه دعابة وحسن محاضرة .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ست وتسعين .

ومولده بتلّعفر سنة خمس عشرة وستّ مئة .

١٥٤٣ ـ محمد بن حازم بن حامد**

ابن حسن الشيخ الإمام الصالح شمس الدين أبو عبد الله بن القدوة المقدسي ، إمام دار الحديث الأشرفية بالجبل .

كان شيخاً صالحاً بهيّ المنظر ، حسن الهيئة ، كثير الخير ، مشكور السيرة ، حدّث

* الشذرات : ٥/٤٣٦ .

(١) في الأصل : « رشيق » ، تحريف ، وأثبتنا ما في الشذرات ، وهو : إبراهيم بن محمّد بن عبد الرحمن بن وثيق (ت٦٥٤ هـ) ، غاية النهاية : ١/٢٤ .

** الشذرات : ٥/٤٣٦ .

بـ (صحيح) البخـاري وغيره ، وسمع عن ابن اللّتي ، والحسين بن صَصْرى ، والنـاصـح الحنبلي ، وابن غسان ، والفخر الإربلي ، وغيرهم .

وتوفي رحمه الله تعالى في ذي الحجة سنة ست وتسعين وست مئة .

ومولده سنة عشرين وست مئة أو بعدها بقليل .

ووجد سماعه في أول سنة خمس وعشرين وست مئة حضوراً .

١٥٤٤ ـ محمد بن الحرّاني*

ناصر الدين التاجر الشرابيشي[(١)] .

كان للأمير سيف الدين تنكز به اعتناء ، وإذا توجّه للقاهرة يقف حوله ويشتري له ما يريد ، وما يخرج من القاهرة حتى يقترض منه مبلغاً كبيراً من المئة ألف ومافوقها وما دونها ، وما كان القاضي شرف الدين النشو يعارضه لأجل تنكز .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة أربعين وسبع مئة ، وخلّف ستة عشر ألف ومئتين وستين ديناراً ، ومئة وخمسة وثلاثين ألف درهم ، وحججاً على أناسٍ بمئة وخمسين ألف درهم ، وخلعاً وقماشاً بسبعين ألف درهم ، وأملاكاً بمئتي ألف درهم ، ولم يخلف وارثاً ، وكان عند موته يقول : مالي .. مالي .. مالي .. إلى أن مات .

١٥٤٥ ـ محمد بن الحسن بن إبراهيم**

فتح الدين الأنصاري المعروف بالقمّني .

---

* لم نقف على ترجمة له .

(١) في الأصل : « الشرانيسي » ، ولعلّها محرّفة ، والشراب : ضربٌ من النسيج الرقيق .

** الوافي : ٣٣٩/٢ ، والدرر : ٤١٨/٣ .

سمعت عليه بثغر الإسكندرية في صفر سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة جميع الحديث المسلسل بروايته عن النجيب عبد اللطيف الحراني ، وأجاز لي جميع ما يجوز له روايته ، وكتب بذلك بخطه[1] .

١٥٤٦ ـ محمد بن الحسن بن سباع*

الشيخ الإمام العَرُوضي ، شمس الدين الصائغ الدمشقي .

كان من مشيخة الأدب ، والناس ينسلّون إليه من كل حَدَب ، أقرأ الناس في دكّانه بالصاغة زمانا ، وأخذوا عنه لشعرهم ميزانا ، والعروض أول ما كان يعرف ، وينفق من حاصله لمن يقصد ويصرف .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح الصائغ في الأحياء ضائعا ، وصوّح روض الأدب منه ، وكان به ضائعا .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ ليلة الثلاثاء ثالث شهر رمضان المعظم سنة عشرين وسبع مئة[2] . والصحيح أنه مات في ثالث شعبان .

ومولده في صفر سنة خمس وأربعين وستّ مئة .

رأيته غير مرّة وكان يتردّد إلى القاضي قطب الدين بن شيخ السلامية ، وينفق آدابه عليه ، وله نظم كثير ، ونثر كثير ، وشرح (ملحة الإعراب) ، و (اختصر صحاح) الجوهري ، فجرّده من الشواهد ، وله قصيدة عارض بها (القصيدة الهيتيّة) التي لشيطان العراق ، فما داناها وشرحها على هوامشها ، وملكتُها بخطّه وأخرجتُها عن

---

(١) في الأصل : « خطّه » ، وأثبتنا ما في الوافي .

* الوافي : ٣٦١/٢ ، وفوات الوفيات : ٣٢٦/٣ ، والدرر : ٤١٩/٣ ، والشذرات : ٥٣/٦ ، وذيول العبر : ١١٤ ، والنجوم الزاهرة : ٢٤٨/٩ .

(٢) الذي في الوافي والفوات أنه توفي سنة (٧٢٢) تقريباً .

يدي ، (وشرح الدريدية)[١] في مجلدين من أربعة[٢] ، ملكتُها بخطه ، وقد أخرجتها عن يدي لما وقعت على أشياء في الشواهد ضبطها بخطّه على غير الصواب ، وله (المقامة الشهابية)[٣] وضعها للقاضي شهاب الدين بن الخُوَيّي ، ملكتها بخطه مشروحة .

ومن شعره :

إنْ جَزْتَ بالموكب يوماً فلا تسأل عن السيّارة الكُنّس
فثَمّ آرامٌ على ضُمَّرٍ لله ما تَفْعَل بالأَنْفُس
بأحمرٍ هذا وذا أصفرٌ وأخضرٌ هذا وذا سندسي
فقل لذي الهيئة ياذا الذي ينقُل ما ينقلُ عن هُرْمسي[٤]
قولك هذا خطأ باطل أما ترى الأقمار في الأطلس[٥]

قلت : أخذه من سيف الدين بن قزل المُشِدّ ونقّصه ، لأنه قال :

زَعَم الأوائل أنّما تبدو الذوائب للكواكبْ
وتوهّموا الفلك المعظم أطلساً ما فيه ثاقب
أتراهم لم ينظروا ما في الزمان من العجائب
كم من هلالٍ قد غدا في أطلس وله ذوائب[٦]

وأنشدني من لفظه القاضي شهاب الدين أحمد بن عزّ الدين الفارقي الموقع[٧] قال :

---

(١) هي مقصورة ابن دريد في اللغة .

(٢) في الوافي : « يقربان من أربعة » .

(٣) في الوافي : « المقالة » . وانظر كشف الظنون : ١٧٨٥/٢ .

(٤) حكيم فرعوني ، ويقال إنه النبي يونس .

(٥) في الوافي والفوات : « هذا خطل » .

(٦) في الوافي والفوات : « قد بدا » .

(٧) هو أحمد بن سعد الله بن مروان الفارقي (ت ٧٣٧) ، وفيات ابن رافع : ١٧/١ .

أنشدني من لفظه لنفسه الشيخ شمس الدين الصائغ ملغزاً :

مـــــا اسمٌ إذا عكستَـــــهُ رأيتـــــه بنفســـــــه
كـــذاك إن ضـــاعفتـــه لم يختلف بعكســـــــه

قلت : هو في « سدس » وضعفه ثلث ، وهذا في اللغز بديع .

وقال الشيخ شمس الدين الصائغ وهو بمصر يتشوّق إلى دمشق :

لي نحـو ربعـك دائمـاً يـا جلّـق شـوقٌ أكاد بـه جـوًى أتمـزّق[1]
وهـولُ دمعٍ من جوى بـأضـالعي ذا مُغْرِقٌ طرفي وهـــذا مُحْرِق[2]
أشتـاق منـك منـازلاً لم أنسهـا أنّى وقلبي في ربـوعـك مُـوثـق
طَلَـلٌ بـه خَلقي تكـوّن أوّلاً وبـه عُرِفْتُ بكلّ مـا أتخلّـق
وقْفٌ عليـك لـذا التـأسّف والبكا قلبي الأسير ودمْـعُ عيني المطلـق
أدمشـق لا بَعُـدَتْ ديـارُك عن فتىً أبـداً إليـك بكُلِّـه يتَشـوَّقُ
أنْفَقت في نـاديـك أيـامَ الصِّبـا حُبّـاً وذاك أعـزّ شيء يُنفـق
ورحلت عنـك ولي إليـك تلفّتٌ ولكلّ جمـع صَـدْعـةٌ وتَفَرّق
فـاعتضت عن أنسي بظلـك وحشـةً منهـا وهَىَ جَلَـدي وشَـاب المِفرق
فلبستُ ثـوب الشيب وهـو مُشهَّر ونزعْتُ ثـوب الشَّرخ وهـو مُعتّـق[3]
ولكم أسكّن عنـك قَلْبـاً طـامعـاً بـوعـدِ قُرْبـك وهـو شـوقـاً يخفـق

منها :

والريـحُ تكتب في الجـداول أسطراً خَـطٌّ لـه نَسْـخُ النسيم مُحقَّـقُ[4]

(١) في الأصل : « أكابده » ، وأثبتنا ما في الوافي والفوات ، والنجوم .
(٢) في الفوات : « عيني » .
(٣) في الفوات : « وخلعت ثوب » ، وفي الأصل : « الشرح » بالحاء المهملة ، وأثبتنا ما في الوافي والفوات .
(٤) في الفوات : « والريح تكتب والجداول أسطر . الربيع محقق » .

والطير يقرأ والنسيم مردِّدٌ والغُصْن يرقُصُ والغـــدير يصفّـق
ومعـاطفُ الأغصـان غنّتهـا الصَّبـا طَرَبـاً فـذا عــارٍ وهــذا مُـوْرق
وكأنّ زَهْرَ اللـوز أحــــداقٌ إلى الـزّوار من خُلَــل الغصـون تحــدّق (١)
وكأنّ أشجــــار الغيـــاض سُرادقٌ في ظلّهــــا من كل لــــون نَمْرق
والـورد بـــاللّـوان يجلـو منظراً ونسيـــه عَطِر كمســك يعبــق (٢)
فبـلابـلٌ منهـــا تهيـــج بـلابلي ولـذاك أثـواب الشقيـق تشقَّـق (٣)
وهـــزاره يصبـــو إلى شحروره ويجـاوب القمريَّ فيــه مطـوّق (٤)
فكأنّما في كلّ عـــود صـــارخ عُـود حـلا مـزمُـومـه والْمُطَلـق (٥)
والـورق في الأوراق يشبـه شجـوهـا شجوي وأين من الطليـق الموثـق (٦)

قلت : وهي طويلة جداً ، وقد ذكرتها مستوفاة في الجزء الأول من (التـذكرة) التي لي (٧) .

١٥٤٧ ـ محمد بن الحسن بن محمد*

الخطيب كمال الدين أبو عبد الله ابن الشيخ (٨) الإمام العلامة نجم الدين أبي محمد ابن الشيخ كمال الدين القرشي الأموي القرطبي الأصل الصفدي الخطيب بن الخطيب بن الخطيب ، الدمشقي المولد (٩) .

(١) في الأصل : « حلل » .
(٢) في الفوات : « بالألوان » ، وفي الأصل : « عطراً » ، وأثبتنا ما في الوافي والفوات .
(٣) في الفوات : « بلابلاً وكذاك » .
(٤) في الأصل : « ويحارب » ، وأثبتنا ما في الوافي والفوات .
(٥) في الفوات : « صادح » .
(٦) في الفوات : « الخليّ الموثق » » .
(٧) وأثبتها بتمامها أيضاً صاحب الفوات .
* الوافي : ٣٦٦/٢ ، والدرر : ٤٢٤/٣ .
(٨) في الوافي : « ابن الخطيب الشيخ » .
(٩) وزاد الوافي في نسبه : « العثماني » .

كان خطيباً مِصْقَعا ، وأديباً ترك ربع البلاغة بعده بَلْقَعا ، كم أسال الدموع وفضّها على الخدود من الخشوع ، وكم علا ذروة المنبر واستقبل الناس فقالوا : هذا بدرٌ قدْ بدا في سماء من العنبر . ليس للحمائم مثل أسْجَاعه إذا غَرَّدت ، ولا للفُصَحاء مثل عبارته التي جمعت أنواع البيان فتَفَرَّدت .

وكان ممّن ينظم وينثر ، ويجري قلمه[1] في ميدان البلاغة ولا يعثر ، يأتي فكره بقصائد كأنها قلائد ، ونثره برسائل كلها فرائد :

لا تطلبنّ كلامه متشبّهاً ... فالدّر ممتنع على طُلاّبه
كلمٌ كنظم العقد يحسن تحته ... معناه حُسْنَ الماء تحت حبابه

خطب في حياة والده ، وهو خالي الوجنة من النبات ، وحيّر العقول بمالَهُ من الإقدام والثبات ، وكان وهو أمرد [يفتن][2] القلوب بنظره ، ويُقسمُ الأفق أنه أحسن من قَمَره .

ومات والده وهو عارٍ[3] من حليّ الآداب سارٍ في مَيْعَة[4] الصَّبا والشباب ، فلمّا مات والده ـ رحمه الله تعالى اجتهد ودأب ، وتمسّك بعُرَا الفضل والأدب ، فنظم ونثر وكتب .

ولم يزل على حاله إلى أن خاطبه الخطب فجاءه ، ولم يدفع الطبيبُ داءَه .

وتوفّي رحمه الله تعالى ـ يوم الاثنين رابع جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين وسبع مئة .

ومولده بدمشق ، تقريباً سنة تسع وسبع مئة .

(١) في (خ) : « ويجري جواد قلمه » .
(٢) زيادة من (خ) .
(٣) في الأصل : « خال » ، وأثبتنا ما في (خ) ، وهي أنسب للجناس .
(٤) في الأصل و (خ) : « منعة » ، وما أثبتنا أشبه .

صلّى الظهر بالناس يوم الاثنين ، وجاء إليه المؤقّت فقال له : إن بعض المؤذنين ما يلازم التأذين ، فأحضره وأنكر عليه ، وحصَل له منه غيظ ، دخل بعد ذلك إلى بيته ونام[١] فجأة على فراشه . وكذلك توفي والده رحمه الله تعالى ـ فجأة بصفد أيضاً ، وقد تقدم ذكره في حرف الحاء مكانه .

وكان الخطيب كال الدين يكتب خطّاً حسناً وهو من بيت بلاغة وكتابة ، وبَيْني وبينه مكاتبات ومراجعات ، ذكرت أكثرها في كتابي (ألحان السواجع بين البادي والمراجع) ، وكنت أودّ ما يودّه ، وأختار ما يختاره من مسكنه[٢] دمشق ـ رحمه الله تعالى ـ وما اتفق له ذلك .

وكان قد كتب هو إلى من صفد في أواخر سنة أربع وخمسين وسبع مئة :

سلامٌ كنَشْر المِسْك يَسْري ويَعْبق ... على مَعْهَد كالبدر يَعْلُو فيُشْرِق
ومَشْهَدُ أُنْسٍ حَلَّه مِنْ أحبَّتي ... مُوالٍ لهم في شاهدِ المجد مُشْرق
وسادات عزٍّ قيَّدُوا القلب في الهوى ... على حبِّهم والدَّمْع في الخدّ أطلقوا
يذكِّرنيهم كلُّ شيءٍ يروقني ... فلي بهمُ مَعْ كلِّ حُسْن تَعَلُّقُ
ويذكي فؤادي هجرهُم وبعادُهم ... ولي نحوهم في كل حين تَشَوُّق
يردّده سارٍ ينمّ به الشذا ... ويخبر عن جارٍ من الدمع يَسْبق
ويتلو على سمع التعطّف منهم ... حديثي عسى يوماً يرق ويشفق[٣]
ويرفع حالا نكَّرت وَصْفَ لمّتي ... بعطف ابتداء لي على الودّ يُنْسَقُ
وينسخ أشواقي بريحان قُربه ... ويرقُمه [حقاً] دنوّي الْمُحَقَّقُ[٤]
أأحبابنا إن لم أفز بلقائكم ... فَمُنّوا بطيفٍ في الكرى وتصدَّقوا

---

(١) كذا ، ولعله نام فمات .

(٢) (خ) : « سكنه » .

(٣) في الأصل : « ويعطف » ، سهو ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٤) الزيادة من (خ) .

فقد طال هذا البعدُ والزمنُ انقضى ... بأحلام قُرْبٍ لا تَتِمّ فتصْدُق
وإن كان معْ بُعدي صحيحاً ودادكم ... أكيدٌ ولكنَّ التداني أوفَقُ
سقى دوحةً كنّا نلوذ بظلّها ... مِنَ القُرْب سحَّاحُ الندى مُتَدفَق
وحيّا زماناً كان فيه بوصلكم ... لسانُ حُبُوري بالمسرات ينطق
فما كان أهنا عيشنا وألذَّهُ ... وما راعنا بُعدٌ ولا شاب مَفْرِق
ولا فرّقت أيدي الحوادي شملنا ... ولا باتَ قلبي من لُقَا البين يَخفق
فواهاً على أوقاتِ قُرْبٍ قَطَعْتُها ... بكم وشبابي مائِسُ الغُصْن مُورق
ووصلكُم داني الجنى في ربا المنى ... وصافي التصافي بيننا يترَقْرَق(١)
مضَتْ بسلامٍ ثم أعْقبتِ الأسى ... فؤاداً سِوى إعراضكم ليس يفرَق
فما ذاتُ طوقٍ راعها فَقْدُ إلفها ... وأشجى حَشَاها بَيْنُه والتفرُّقُ
وأنطقها بالنوح في الدوح والبكا ... غريمُ غرامٍ شَفَّها والتحرُّقُ
بأشجى فؤاداً أو أشدَّ تشوّقاً ... وأحْرَى لعبراتٍ بها العين تَشْرَق(٢)
وأبرحَ مني أو بأذكى تلهبًّاً ... على قرب إلفٍ أو على الطيف يَطْرق
لعمري لقد كنت البعيد مَزارُه ... فَحُبُّك في سَوداء قلبيَ مُلْصَقُ(٣)
وإن تنكر الأيام مالي عندها ... فأنت على دعوى ودادي مُصَدَّق
فديتك كن لي في ودادي معاضداً ... فأنت بإسعادي أحقُّ وأخلَقُ(٤)
ورأيك مسعودٌ فكن لي مُساعداً ... فإنَّك ذُو الرأي السعيد الموفَّقُ
وإن أنت لم تسمع لقول شكايتي ... فعِشْ سالماً مما يسوء ويُرهِقُ
فشكري أياديك الجميلة واجبٌ ... أقومُ به مادمتُ أحْيَا وأُرزق(٥)

(١) (خ) : « ربا الرضا » .
(٢) في (خ) : « وأجرى » .
(٣) (خ) : « لئن كنت » .
(٤) (خ) : « في زماني » .
(٥) (خ) : « أياديك القديمة » .

وأسجع من مدحي بكل غريبة ... لأنّي بعقد المنّ منك مُطوَّق
فدُمْ في بقاءٍ يُنْبِتُ العزَّ والغِنى ... فأنت لنا الكنزُ الذي مِنْه نُنْفِق

يُقَبّل الأرض التي يسأل الله تعالى أن يحمي حماها من الغِير ، ويجعلها كعبة تَطُوف بها الآمال والفكر ، وأن يمنح ربَّها من مزيد النعم « ما لا عينٌ رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر »[١] ، ويُنْهي أشواقه التي أصبح من حرها على خطر ، ويذكّره الذي كم له فيه مِنْ وَطر ، فلا يخلو منه أين كان ولا أنّى نظر ، وصحيح وِدّه الذي هو بنَقل الثقات مُعْتَبر ، وحديث حُبّه الْمُسْتَطر ، وقديم ولائه الذي هو للسان الملأ سَمَرْ .

وتلك نِسبُة رقٍّ قد عُرفت بها ... حفظُ الولا منكم حقٌّ لها يَجب
يا مالكي أين إسعافي بما طَمِعتْ ... نفسي به من بعيد الدار يقترب[٢]
فقد سئِمت حياتي مع بعادكم ... وقد خشيت الردى تأتي به النُوبُ
وإن قضيتُ ولم يُقضَ اللقاء لنا ... فكم مضى بحزازات الحشا وصبُ
فلا تعينوا على قلبي بقسوتكم ... فقد كفاه الجفا والشوقُ والنَّصَب
وإن تباخل أحبابي بقربهم ... فالرُّسل والطيف يكفي الصبَّ والكتبُ
وإن تجَنوا برفع السود مِن خبر ... فالعبدُ للحب في الحالين ينتصب

فكتبت أنا الجواب إليه من رأس القلم ارتجالاً :

تحيّة ذي ودّ براه التشوُّقُ ... وأضناهُ بلْ أفناه وجْد مُؤرِّق[٣]
تَروق كم راقت معاني حديقةٍ ... إليها عيونُ الناظرين تحدّق
وتأتي بلطفٍ من تخصّ ربوعه ... كدمعةِ صبّ ودْقُها يترقرق
إلى مجدك السامي البنا الغامر الثنا ... تروح وتغدو دائماً تتأنّق[٤]

---

(١) من حديث قدسي أوّله : (قال رسول الله ﷺ ، قال الله : أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ...) ، وهو في صحيح البخاري ، الحديث رقم ٣٢٤٤ ، ٣/٤٢٤ .

(٢) في الأصل : « أسعى بما » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٣) في الأصل : « تحية ذا » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٤) (خ) : « على مجدك » .

بعثت كال الـدين نَحـوي مُشرِّفـاً ... عُقـودُ لآلـيـه لجيـدي تُطـوّق(١)
تنزّهت منـه في ريـاض بـلاغـة ... بهـا أدبٌ أنْهـارُه تَتَـدفّـق
كأن قـوافيـه كـؤوسٌ يُـديرهـا ... على السمـع مني البـابليُّ الْمُعَتَّـقُ
قِـوى في قـوافيـه التي قـد تمكنت ... يخور لهـا عنـد البيـان الخَـوَرْنَـقُ
بـه ألفـات كالغصـون تقـوَّمت ... من الهمـز يعلُوهـا الحمـام المطـوّق
ولا عين إلاّ مثـل عينٍ مريضـة ... يهيم بهـا في النـاس من يتعشَّـق
ولا ميمَ إلا مبسمٌ من رضـابـه ... رضـاب يحـاكيـه المـدام المُروَّق(٢)
وأين البهـا أعني زهيراً فلـو رأى ... أزاهر هـذا كان في الحـال يُطْرِق
وذلـك شعر ليس للنـاس مثلـه ... ولكنّ ذا أنـدى وأحلى وأرشـق
وذاك قريضٌ قـد سما للسما وذا ... على أُذُن الجـوزاء قرطٌ مُعَلَّـق(٣)
وذاك إمـام في البـلاغـة شـامـل ... وهـذا مـوشّى بـالبـديع موشق(٤)
فـأذكرتني عهـد الصبـا بقـدومـه ... وذلـك عَهْـد في الصبـابـة معرق(٥)
إذا ذكرت نفسي زمـانـاً قَطَعْتـه ... وغُصْنُ الصّبـا ريّـان بـاللّهـو مُـورق
تصـوبُ على خـدي سحـائب أدْمُعٍ ... فلـولا زفيري كنت بـالـدمع أغرقُ
ولـو كان لي صبرٌ لقيت بـه الأسى ... ولكنّ ثـوب الصبر عني مُمَـزَّق
فيـازمني بـالغت في عكس مقصـدي ... فمـالي بـالحرمـان أُرْزى وأُرزقُ
فـلا وطني يـدنـو ولا وطري أرى ... ومِنْ دون مـا أبغيـه هـامٌ تُفَلَّـقُ
أمـولاي مـدّتْ بَيْنَنـا حُجُب النَّـوى ... ومـا رُفعت والعمر من ذاك أضيـق
فـإن كان مـولانـا بـه صفـدٌ صَفَتْ ... فـإنـك قـد جلَّت بقربـك جلّـق

(١) في الأصل : « لعقدي » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٢) في (خ) : « مبسم من ورائه » .
(٣) في (خ) : « وذاك قريض للسما سما وذا » ، وفيه خلل .
(٤) في (خ) : « وذلك سام في الفصاحة سامك » . والسامك : الرافع . وفي الأصل : « مشوق » ، وأثبتنا ما في (خ) . والتوشيق : التقطيع .
(٥) في (خ) : « في اللذاذة » .

وهبْكَ خطيباً قد علا فوق مِنْبرٍ ... أما في دمشق منبرٌ بكَ أَلْيَقُ
أدِم شوقَ لجٍّ البين في عرصاتها ... فكم من أناس أفلحوا مُذْ تَدَمْشقوا(١)
وجدّد لباس العزّ في غير ربعها ... فطولُ مقام المرء في الحي مُخْلق(٢)
وضُمّ بنا شمل التآلف واللّقا ... «بأسحم داج عَوْض لا نتفرق»(٣)
فكلّ مكان يُنبت العزّ طيّبٌ ... وفي كل أفق للسعادة مشرق
فلو وضحتْ لي من مرادك لمحةٌ ... لكنتُ لوفْد الريح والبرق أسْبقُ
فما أنا في حفظ الوفا مُتَصنّعاً ... ولا أنا للزور القبيح منّمق
وأنت فتدري ماقَضته جبلّتي ... فما أدعي إلا وأنت تصدّق(٤)
ولكنّ دهراً قد بُلينا بأهله ... أباعوا به ثوب النفاق ونفّقُوا
أناسٌ تنازلنا إلى أن ترفّعوا ... علينا ألا ياليتهم لو ترفّقوا
فكانوا أصولاً في صحائف عزّهم ... ونحن على بعض الهوامش مُلْحَق
فثق بقضاء الله وارض بحكمه ... فلي أملٌ لا بدّ فيك يُحقّق

يقبّل الأرض ويُنْهي ورُودَ المثال الكريم الذي فضح كمالُه القمر ، وسلب بسحره الألباب وقمر ، وأحيا رسم البلاغة ، فساد بما شاد وعمر ، وهَمَى غمامُ فضله وسقى رياض الفصاحة وهَمَر(٥) ، وقسم نظْمَه ونَثْرَه فهذا للنَّدامى غناء ، وهذا للمُحدثين سَمر ، وخالف العادة لأنه جاء بستاناً في ورقة ، إلاّ أن جميعه زهر وثمر ، وأمر ونهى في سلطان فضله ، فأذْعن الفصحاء له وقالوا له : السمع والطاعة فيما(٦) نهى وأمر ، وأطرب

(١) (خ) : « عن عرصاتها » ، وهي أقرب .
(٢) فيه معنى قول أبي تمام :

وطول مقام المرء في الأرض مخلق ... لديباجيته فاغترب تتجدد

(٣) عجز بيت للأعشى ، صدره : ... رضيعَيْ لبان ثدي أمّ تحالفا
والأبيات قالها في مدح آل المحلق .
(٤) (خ) : « ما اقتضته » .
(٥) في الأصل : « وسطى ... وهمز » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٦) (خ) : « لما » .

المسامع فعلم أنّ مَنْ أنشأه لو شاء بالطرس طبَّل[١] وزمر ، فوقف المملوك على أبياته وآمن بآياته وعلم أنه يُقَصِّر عن مباراة مباديه وهو في غاياته ، وتصوّر عُتْبَه فتضوّر ، وتفكّر في أمره الأمر فتكفّر ، وتربّص لما يدبره في معناه فما تصبَّر ، وترفّق للحيلة فما رأى لها دليلاً تقرّر ، وتحرى فيما يعتمده فما وجد فيه بحثاً تحرّر :

سوى حضورك في أمنٍ وفي دعة ... ليقضي الله ما نرجو ونرتقب
أو فالتصبرُ أولى ما ادَّرعتَ به ... فالسُّوْل يُقْضى به والقصد والأرب
فلي أمانيُّ خير فيك أرقبها ... أرى بعيد مداها وهو مقترب
فلا يضق لك صدر من أذى زمَن ... أيامه تَمْنَح الحسنى وتستلب[٢]
وربما كان مكروهُ الأمور إلى ... معرُوفها سبباً ما مِثْلُه سَبَبُ

وكنت قد كَتَبتُ له توقيعاً من الفخري لَمّا كان بدمشق ، على أن يكون موقعاً [بصفد][٣] في سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة ، ونسخته :

« رُسم بالأمر العالي ، لا زال يزيد بُدور أوليائه كمالا ، ويُفيد سفور نَعْمائه جمالاً ، ويُعيد وفور آلائه[٤] على من بهر بفوائده التي غدا سِحر بيانها حلالا ، أنْ يرتّب المجلس السامي القضائي الكمالي في كذا ، لأنّه الأصيلُ الذي ثبت في البيت[٥] الأموي رُكْنه ، وتفرَّع في الدوحة العثمانية غُصْنُه ، وكَمُل قبل بلوغ الحلم حِلْمُه ، فلم يكن في هضبات الأبرقين[٦] وزْنُه ، وألف حين أشبل غابَ المجد حتى كأنه كنُّه ، والبليغ الذي تساوى في البديع نَظْمُه ونثره ، وخلَب العقول من كلامه سحرُه ، وفاق[٧] زهر الليالي لآليه

(١) في (خ) : « بالطرس والقلم طبل » .
(٢) في الأصل : « صدراً » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٣) زيادة من (خ) ، ومثله في الوافي .
(٤) في الأصل والوافي : « الآية » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٥) في الوافي : « النسب » .
(٦) الأبرقان : غير ما موضع في الجزيرة العربية ، انظر : (معجم البلدان) .
(٧) في الأصل : « وفارق » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي .

ودراريها [درّه][١] ، والفاضل الذي ألقى إليه العلم فَضَل الرّسن ومجّ السهادَ فُمُ جفنِه وغيرُه قد ذَرّ الكسل فيها فترة الوسن ، وبهر[٢] في مذهبه فللشافعية به كما للحنفية محمد بن الحسن ، والخطيب الذي يعلو صهوة المنبر فيعرفه وإن لم يضع العمامه[٣] ، ويطمئن له مطاه حتى كأن بينه وبين عَلَميه علامه ، ويبرز في سواد شعاره بوجه يُخجل البدر إذا بدا في الغمامة ، وَيَوّد السّمع إذا أطاب[٤] لو أطال ، فإنه ما سامَةُ منه[٥] سآمه ، ويغسل درن الذنوب إذا أيّه[٦] بالناس وذكر أهوال القيامة ، ويتحقق الناس أنّ كلامه رَوْضٌ ومنبره غصن ، وهو في أعلاهُ حَمَامه .

فليباشر ذلك مباشرةً هي في كفالة مخائله ، وملامح شمائله ، ومطامح الآمال في نتيجة المقدمات من أوائله ، وَلْيُدَبّج المهارق بأقلامه التي تنفث السحر في العقد[٧] ، وتشب برق الإسراع حتى يقال : هذا الجمر قَدْ وَقَد[٨] ، وتُنَبّه على قدر هذا الفن فإنه من عهد والده خمل وخَمَد ، وتُنَبّهه فإن ما رقى لمّا رقد ، ليسرّ ذلك الليث الذي شبّ له منه شبلُه ، وذلك الغيث الذي فضّ له منه[٩] فضله ، والوصايا كثيرة وهو غنيّ عن شرحها . مَلِيّ بحراسة سرَحها ، فلا يُهدَى إلى هجره منها تمره[١٠]، ولا يُلْقَن إلى بَحْره منها دُرّه ، ولكنّ تقوى الله تعالى أعمّ الوصايا وأهمّ نفعاً مما في حنايا الزوايا من الخبايا ، وهو بها يأمر الناس على المنابر ، والآن تنطق بها ألسنة أقلامه مِنْ أفواه

(١) زيادة من (خ) والوافي .

(٢) في الوافي : « وبرع » .

(٣) يشير إلى بيت سحيم الذي تمثّل به الحجّاج ، وقد سلف غير مرّة .

(٤) (خ) : « أطال » ، والوافي : « طاب » .

(٥) ليست في الوافي .

(٦) أي قال : ياأيّها .

(٧) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَد ﴾ [الفلق : ٤/١١٣] .

(٨) (خ) والوافي : « وقد وقد » .

(٩) ليست في الوافي .

(١٠) في الأصل : « ثمره » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي ، وفي المثل : (كمستبضع التمر إلى هجر) ، انظر : مجمع الأمثال : ١٥٢/٢ .

المحابر ، فليكن بها أوّل مأمور ، وأوّل[١] متّصف أسفر له صُبْحُها من سواد الديجور . والله يزيده فضلا ، ويزيده[٢] من القول المحكم فصلا .

والخطّ الكريم أعلاه الله تعالى أعلاه حُجّة ثبوتِه ، والعمل بمقتضاه إن شاء الله تعالى .

١٥٤٨ ـ محمد بن الحسن*

الأمير ناصر الدين ابن الأمير عماد الدين بن النشّائي .

كان أمير عشرة مقدماً على خمسين بدمشق ، وأحد[٣] الحجبة بين يدي النواب وأخذ حكومة البندق بعد الأمير سيف الدين بلغاق المقدم ذكره في حرف الباء .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في شهر رمضان سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، وصلّي عليه بالجامع الأموي ودفن بسفح قاسيون .

١٥٤٩ ـ محمد بن الحسن بن يوسف الأرموي**

الفقيه المحدث الصالح ، صدر الدين الشافعي نزيل دمشق .

قدم دمشق ولزم ابن الصلاح ، وحدّث عنه ، وعن كريمة ، والتاج بن حَمُّوية ، وابن قُمَّيرة ، وعدة . وتفقّه وحصّل وتعبّد .

قال شيخنا الذهبي : كتبت أنا عنه وسائر الرفاق .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة سبع مئة .

ومولده سنة عشر وست مئة .

---

(١) الوافي : « وأولى » .

(٢) الوافي : « ويفيده » ، وهي أشبه .

* الدرر : ٤٢٥/٣ ، ووقع في الأصل : « الحسين » وليس موقعها هنا ، وأثبتنا ما في الدرر .

(٣) في الأصل : « وأخذ » ، وأثبتنا ما في الدرر ، وهي أصحّ .

** الإعلام للذهبي : ٢٩٣ .

١٥٥٠ ـ محمد بن الحسن*

الأمير صلاح الدين أبو الحسن ابن الملك الأمجد مجد الدين ابن السلطان الملك الناصر داود ابن السلطان الملك المعظم عيسى ابن السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب .

سمع حضوراً من والده ، وروى عنه ، وسمع من ابن البخاري والفاروثي وجماعة . وكانت له ديون كثيرة .

ولم يزل في تعب إلى أن توفي ـ رحمه الله تعالى في تاسع عشر شهر رمضان سنة ست وعشرين وسبع مئة .

ومولده في رابع عشري القعدة سنة أربع وستين وست مئة .

١٥٥١ ـ محمد بن الحسين بن محمد**

ابن يحيى الأرمنتي ، جمال الدين .

كان فقيهاً ذكيا ، كريم النفس أبيّا ، لطيف الذات ، ظريف الصّفات ، نهايةً في السماح ، لا يلحقه البرق في ذلك ولا عاصف الرّياح ، حتى أفضى به ذلك إلى الفقر ، وأدّى بحاله إلى العَقْر .

وكان أديباً ناظماً ناثرا ، إذا جرى في فنّ الإنشاء لم يكن عاثرا .

ولم يزل على حاله إلى أن حضرت منيّته ، وانقطعت من الحياة أُمنّيتُه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بأرمنت سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

كان قد أخذ الفقه عن الشيخ بهاء الدين القفطي ، والشيخ جلال الدين أحمد[1]

---

* الدرر : ٤١٩/٣ .

** الوافي : ٢٠/٣ ، والطالع السعيد : ٥١٠ ، والدرر : ٤٢٩/٣ .

(١) أحمد بن عبد الرحمن بن محمد الدشناوي (ت٦٧٧هـ) . الطالع السعيد : ٨٠

الدشناوي ، والأصول عن الشيخ شهاب الدين القرّافي والشيخ شمس الدين محمد بن يوسف الجزري[١] الخطيب ، وأصول الدين والمنطق عن بعض العجم ، وذكرَ للشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، فقال : الفقيه ابن يحيى ذكيّ جداً ، فاضل جداً . وتولى الحكم بأدْفُو[٢] ، ناب في الحكم بقوص وبنَى بأرمنت مدرسةً ودرّس بها .

ومن شعره :

عُرَيب النقى قلبي بنار الجوى يكوى ... وجيدي عنكُم دائم الدهر لا يُلوى
ولي مُقْلَةٌ تبكي اشتياقاً إليكمُ ... ولي مُهْجَةٌ ليست على هَجْرِكم تقوى
نشرتُم بساطَ البُعد بيني وبينكم ... ألا يا بساطَ البُعْد قل لي متى تُطْوَى
بعادكم والله مرٌّ مذاقُه ... وقربكم أحْلَى من المنّ والسَّلوى[٣]

١٥٥٢ ـ محمد بن الحسين بن تغلب*

موفق الدين الأُدفوّي خطيب أدفو .

كان فيه كرمٌ وجودٌ وسماح ، شاع خَبَرُه في الوجود ، وله في الطبّ يدٌ باسطه ، وقوّة في العلاج ناشطة[٤] ، وينظم وينثر ، ويخْطُو لما يخطب فلا يَعْثُر . ومعرفته بالوثائق جيّدة وكتابته[٥] .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح فلم يجد لعِلَّتِهِ علاجا ، وأمْسَى وقد اتخذ إلى المعاد معاجا .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في أوائل سنة سبع وتسعين وستّ مئة .

(١) في الأصل : « الجرري » ، وأثبتنا ما في الوافي والطالع .
(٢) في الوافي : « بأدفو وقمولا » .
(٣) الأبيات وغيرها في الطالع السعيد : ٥١٣ ـ ٥١٤ .
* الوافي : ٢١/٣ ، والطالع السعيد : ٥١٥ ، وفيه : « ابن ثعلب » .
(٤) في الأصل : « باسطة » ، وما أثبتناه أقرب .
(٥) كذا ، وعبارة الوافي : « ويكتب خطاً حسناً » . وكذلك في الطالع السعيد .

قال الفاضل كمال الدين الأُدْفُوّي : رأيته مرات ، وكان يأتي الجماعة أصحابنا أقاربه فيسمعهم يشتمونه ، فيرجع ويأتي من طريق أخرى حتى لا يتوهموا أنه سمعهم .

ووقَفْتُ له على كتاب لطيف تكلّم فيه على تصوّف وفلسفة[١] .

وكان وصيّاً على ابن عمّه وعَلَيه ثمر للديوان وقفٌ ، عليه مِنه[٢] خمسةٌ وعشرون أرْدَبّاً ، فشُدد الطلب عليه ، فتقدم الخطيب إلى الأمير وأنشده :

وَقَفَتْ عليَّ من المقّرر خمسةٌ ... مضروبة في خمسة لا تُنْكَر[٣]
مِنْ ثمر ساقية اليتيم حقيقةً ... ليت السواقي بعدها لا تثمر
حمت النصارى بينهم رهبانُهم ... وأنا الخطيب وذمّتي لا تُخْفَر[٤]

واجتمع يوماً بالجامع جماعة وعملوا طعاماً وطلبوا « جعفر »[٥] المؤذن ولم يطلبوا الخطيب ، فبلغه ذلك ، فكتب إليهم أبياتاً منها :

وكيف رضيتم بما قَدْ جَرَى ... صحبتوا المؤذّن دُون الخطيب[٦]
أمنتم من الأكل أنْ تَمْرضوا ... ويحتاج مرضاكم للطبيب

قال : وكان يَمْشي[٧] للضعفاء والرؤوساء ويطبّهم ـ رحمه الله تعالى ـ .

---

(١) الطالع السعيد : ٥١٦ .
(٢) عبارة الوافي : « وقف عليه منه للديوان » .
(٣) في الوافي والطالع : « لا تحقر » .
(٤) في الوافي : « تُحقر » .
(٥) في الوافي « جعفراً » .
(٦) كذا في الوافي والطالع : صحبتو » .
(٧) في الأصل : « عيسى » ، وأثبتنا ما في الوافي ، والطالع .

١٥٥٣ ـ محمد بن الحسين*

الشيخ شمس الدين الغوري ، بضمّ الغين المعجمة وسكون الواو بعد راء ، الحنفي المدرّس .

كان فاضلاً ، وكان في لسانه عُجْمة ، وكتب بخطّه كُتباً في العربية ، ووقع المسكين في لسان الفخر عثمان النصيبّي ، فجعل يُمَسْخر به في حكاياته ، ويذكر وقائعه ويزيد في بعضها من مضحكاته . ولقد حُكي عنه مرة حكاية تنمّر فيها تنكز نائب الشام ورسم بقتل الشيخ شمس الدين بالمقارع ، وما خلص من ذلك إلا بالجهد .

وأهل دمشق يحكون عنه حكايات مشهورة بينهم .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة إحدى وعشرين وسبع مئة .

١٥٥٤ ـ محمد بن الحسين بن القاسم**

ابن علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين ، الصدر الأصيل بدر الدين ابن العدل عماد الدين ابن الحافظ بهاء الدين ابن الحافظ الكبير أبي القاسم بن عساكر .

كان رجلاً حسناً .

قال شيخنا البرزالي : روَى لنا عن ابن أبي اليسر ، وسمع على جماعة ، وشهد على الحكام بدمشق ، وولي الولايات من جهة الكتابة ، وحجّ وأقام باليمن مدة ، وكان له ثلاثة أولاد نجباء قدَّمهم بين يديه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في ذي الحجة سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .

---

* الوافي : ٢٢/٣ ، والدرر : ٤٣٠/٣ .

** الدرر : ٤٢٩/٣ .

١٥٥٥ ـ محمد بن الحُسَيْن بن عبد الله*

ابن الحسين ، زين الدين أبو عبد الله القرشي ابن الفويّي[(١)] .

رَوَى (الخُلَعيّات) كاملة عن ابن العماد ، وكان من الفقهاء بمصر .

وكان عدلاً خيِّراً ، عمِّر وتفرّد في وقته ، وأخذ الناسُ عنه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سادس عشري المحرم سنة ثلاث وسبع مئة .

ومولده سنة أربع عشرة وست مئة .

وأجاز شيخنا البرزالي .

١٥٥٦ ـ محمد بن الحُسَيْن بن عتيق**

ابن رشيق ، الشيخ الإمام علم الدين المصري المالكي .

سَمع (الأربعين المخرّجة) لابن الجُميِّزي عليه ، وسمع (صحيح) مسلم من ابن البرهان .

وكان فقيهاً عارفاً بالمذهب مفتياً ، ولي نيابة القضاء بالإسكندرية نحو اثنتي عشرة سنة ، وليها قبل شرف القضاة ابن الربعي نحو سنة وأكثر ، ثم وليها بعده بقية المدة ، ثم عُزِل واستمرَّ إلى أن مات .

وكان متعيّناً للقضاء ، وعيّنه بدر الدين بن جماعة لقضاء دمشق ، وكان يقول : ما عندي مثله .

---

* الدرر : ٤٢٧/٣ .

(١) في الدرر : « لغوّي » .

** الدرر : ٤٢٧/٣ ، وذيول العبر : ١١٢ ، والنجوم الزاهرة : ٢٥٠/٩ ، وفيه : « محمد بن محمد بن الحسين » .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ حادي عشر المحرم سنة عشرين وسبع مئة ، ودُفن بالقرافة .

وكان يكتب في الإجازات :

أجزت لهم أبقاهم اللهُ كلّ ما رويتُ عن الأشياخ في سلف الدَّهر
وما سمعت أذناي من كلّ عالم وما جاد من نظمي وما راق من نثري
على شرط أصحاب الحديث وضبطهم بريّاً من التصحيف عارٍ من النكر
وبالله توفيقي عليه تَوَكُّلي له الحمدُ في الحالين والعُسر واليسر

١٥٥٧ ـ محمد بن الحسين*

السيد الشريف شمس الدين ابن السيد شهاب الدين الحسيني الموقع ، تقدم نَسَبَهُ في ترجمة والده رحمهما الله تعالى .

كان يكتب خَطّاً حَسَناً ، ويجعل الطروس بسطوره تختال بين سناء وسنى ، كأن المهارق تحت خطّه خمائل ، وألفاته فيها غصون تتمايل ، وكان والده ينشئ وهو يكتب ، فما ترى أحداً يتعنّت ولا يعتب .

ولم يزل على حاله إلى أن لحق أباه قريبا ، وما خلص مِنْ شرك المنية من كان الأجل لأجله رقيبا .

وجاء الخبر إلى دمشق بوفاته في حادي عشر شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستين وسبع مئة .

ومولده ...[١]

وكان قد دخل إلى توقيع الدّست الشريف بالديار المصرية لمّا توجّه والده لكتابة

---

* الدرر : ٣/٤٣٠ .

(١) كذا بياض في الأصل (خ) .

السرّ بحلب ، واستمرَّ على [ذلك][(١)] ، وحضر صحبة ركاب السلطان الملك الصالح في سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة ، وحضر[(٢)] صحبة ركاب السلطان المنصور صلاح الدين محمّد بن حاجّي إلى دمشق ، وعاد إلى مصر .

وكان قد اختصّ بالكتابة عند الأمير سيف الدين الداودار ، وما سمعت له بنظم ولا نثر ، وإنما كان عنده من إنشاء والده شيءٌ كثير إلى الغاية .

١٥٥٨ ـ محمّد بن حُسينا الأمير*

كان قد حكم في مملكة التتار بأذربيجان ، أعطاه يوماً النوين جُوبان قدحاً ليشربه ، وذلك في سنة أربع وعشرين وسبع مئة فقال : إن لم تشربه تؤدي[(٣)] ثلاثين توماناً من المال ، فقال : أنا أؤدي ذلك ولا أشربه ، فأشار جوبان إلى جماعة بأن يلازموه على المبلغ ، فخرج محمّد حسينا من عنده ، ومضى إلى الأمير نكباي وهو ذو مال عظيم ، فقال له : أعطني ثلاثين توماناً ، فقال له : بربح عشرة توامين ، فقال : نعم[(٤)] ، وكتب عليه حجّة بأربعين توماناً وسلمها إليه ، فقال الأمير نكباي للجماعة الذين هم مع حسينا : اذهبوا إلى النوين جوبان وقولوا له : إنّ المال عندي ، فهل أحمله إلى خزانته أو أسلّمه إلى العسكر ، وأي شيء تريد من النقود . فحضروا إلى جوبان وعرّفوه ذلك ، فطلب محمّد حسينا ، وقال له : تُعطي أربعين توماناً من الذهب ولا تشرب قدحاً من الخمر ؟! قال : نعم . فأعجب جوبان ذلك ، وخلع عليه ملبوسه ، ومزَّق[(٥)] الحجة ، وحكّمه حكماً قوياً ، وصار عنده مقرباً .

---

(١) زيادة من (خ) .

(٢) في (خ) : « وحضر أيضاً صحبة » .

* كذا بياض في الأصل ، ووقع الاسم فيه هكذا : « محمد بن محمد بن حسينا » ولعلّ ما أثبتناه هو الصحيح .

(٣) كذا .

(٤) في الأصل : « لهم » ، ولعلّ ما أثبتناه هو الصحيح .

(٥) في الأصل : « وفرّق » ، وما أثبتناه هو الصواب .

١٥٥٩ ـ محمّد بن الحشيشي*

الشمس الرافضي الموصلّي .

قال شيخنا الذهبي ، ومن خطّه نقلت : حدثني الإمام محمّد بن مُنتاب أنّ[(١)] عز الدّين يوسف الموصلي[(٢)] ، كتب إليه وأراني كتابَه قال : كان رفيق معنا في سوق الطعام ، يقال له الشمس بن الحشيشي ، كان يسبّ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ويبالغ ، فلمّا ورد شأن تغيير الخطبة إذ ترفّض القان خربندا ، افترى وسب . فقلت له : يا شمس ، قبيح عليك أن تسبّ هؤلاء ، وقد شِبْت . مالك ولهم وقد درجوا من سبع مئة[(٣)] ، والله تعالى يقول : ﴿ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ﴾[(٤)] فكان جوابه : والله إنّ أبا بكر وعمر وعثمان في النار ، قال ذلك في ملأ من الناس ، فقام شَعْر جسدي ، فرفعت يدي إلى السماء وقلت : اللهم يا قاهر فوق عباده يا مَنْ لا يخفى[(٥)] عليه شيء ، أسألك بنبيّك إن كان هذا الكلب على الحق فأنزل بي آية ، وإن كان[(٦)] ظالماً فأنزل به ما يُعْلِم هؤلاء الجماعة أنه على الباطل في الحال . فورمت عيناه حتى كادت تخرج من وجهه ، واسودَّ وجهه وجسمه[(٧)] حتى بقي كالقير[(٨)] ، وخرج من

---

* الوافي : ٢٢/٣ .

(١) في الأصل : « ابن » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٢) يوسف بن عبد الكريم بن هبيل الموصلي ، كان متشيعاً ، وكان حيّاً سنة ٧٢٦ هـ ، انظر : الدرر : ٤٦٢/٤ .

(٣) في الوافي : « من سبع مئة سنة » .

(٤) البقرة : ١٣٤/٢ ، ١٤١ .

(٥) في الأصل : « يخفيه » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٦) في الأصل : « وكان » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٧) عبارة الوافي : « واسوّد جسمه » .

(٨) في الأصل : « كالقبر » ، وأثبتنا ما في الوافي ، وعبارة هذا الأخير : « كالقير وانتفخ » .

حلقه شيء يصرع الطيور ، فحمل إلى بيته ، فما جاوز ثلاثة أيام حتى مات ، ولم يتمكن أحد مِنْ غَسْلِه ممّا يجري من جسمه وعينيه . ودفن .

قال ابن منتاب : جاء إلى بغداد أصحابنا وحدثوا بهذه الواقعة ، وهي صحيحة .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة عشر وسبع مئة .

١٥٦٠ ـ محمّد بن حمزة بن أحمد بن عمر*

القدوة الشيخ الصالح شمس الدين أبو عبد الله المقدسي الحنبلي .

سَمِعَ حضوراً من ابن اللّتي ، وجعفر الهمذاني ، وسمع من كريمة ، والضياء ، وجماعة . وتفقّه ودرّس وأفتى وأتقن المذهب .

قرأ الحديث بالصالحية [(١)] التي بالسفح وكتب الخطّ المليح .

وكان صالحاً خيّراً إماماً أمّاراً بالمعروف ، داعية إلى ما يعتقده [(٢)] ، يحطّ على مَنْ خالفه .

ناب في القضاء عن أخيه مديدة قبل موته .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع وتسعين وست مئة .

ومولده سنة إحدى وثلاثين وست مئة .

---

* الوافي : ٣/٢٦ ، وسيذكره المؤلف : ٥/١٥٠ ، بلفظ « ابن أبي عمر » .

(١) عبارة الوافي : « قرأ الحديث بالأشرفية » ، والمدرسة الصالحية تقع في تربة أم الصالح بدمشق ، أنشأها الصالح إسماعيل بن الملك العادل سنة ٦٨٣ ، انظر ، الدارس : ١/٢٣٩ .

(٢) عبارة الوافي : « داعية إلى السنة » .

١٥٦١ ـ محمّد بن حمزة بن عبد المؤمن*

أمين الدين الأصفوني الشافعي .

كان فقيهاً فاضلاً متديّناً ، تولّى الحكم بأبوتيج(١) ، وتولّى إسنا ، وأعاد بمدرسة سُيوط .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

ومولده بسيوط .

١٥٦٢ ـ محمّد بن حمزة بن مَعَد**

الْفَرْجُوطي ، مجد الدّين .

كان له أدب ونظم . قال كمال الدّين الأدفوي : أنشدني ابن أخيه أبو عبد الله محمّد قال : أنشدني عمي لنفسه :

يا سيداً أُسْنَدُ في جاهه ... بجانبٍ عَزَّ به جانبي(٢)
عساك أن تنظر في قصّةٍ ... واجبةٍ تُطْلَقُ لي واجبي
أوصلك اللهُ إلى مَطْلبٍ ... مُؤَيَّدٍ بالطالبِ الغالبِ(٣)

وتوفي رحمه الله تعالى بفرجوط سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

---

* الوافي : ٢٧/٣ ، والطالع السعيد : ٥١٧ ، والدرر : ٤٣٢/٣ .

(١) أبوتيج : على الشاطئ الغربي من النيل قبل أسيوط . (حاشية الطالع) .

** الوافي : ٢٧/٣ ، والطالع السعيد : ٥١٨ ، والدرر : ٤٣٢/٣ .

(٢) في الدرر والطالع : « أسندني » . وفي الأصل : « عز بي » . وأثبتنا ما في الطالع والوافي والدرر .

(٣) في الطالع : « بالطلب » .

١٥٦٣ ـ محمّد بن الخضر بن عبد الرحمن*

ابن سليمان بن علي ، القاضي تاج الدّين بن زين الدّين ، المعروف بابن الزين خضر .

كان من جملة كتّاب الدّرج بباب السلطان ، ثم إنه كَتَب[1] قدّام الوزير الأمير علاء الدّين مغلطاي الجمالي ، وكان حظيّاً عنده ، وكان يجلس في دار العدل هو وشمس الدّين بن اللبّان خَلْفَ موقّعي الدست على عادة كتّاب الدّرج للوزير[2] . ثم إن السلطان الملك الناصر محمد جهّزه إلى حَلَب كاتب سرها لّما عَزَل القاضي جمال الدين[3] بن الشهاب محمود . فتوجه إليها في أوائل سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، فباشَرَها إلى سنة تسع وثلاثين وسبع [مئة][4] فحضر في أوائلها صحبة الأمير علاء الدّين ألطنبغا نائب حلب إلى باب السلطان ، فعزلها معاً ، وجهَّز بدلهما الأمير سيف الدين طرغاي[5] الجاشنكير نائباً والقاضي شهاب الدين أحمد بن القطب كاتب سر ، فأقام القاضي تاج الدين بمصر بطّالاً مدة .

وكان الأمير سيف الدّين طاجار يعتني به كثيراً ، فسعى له حتى رُتّب مِنْ موقّعي الدست بين يدي السلطان ، فأقام على ذلك مدّة . فلما توفي القاضي بدر الدّين محمد بن فضل الله كاتب سر دمشق ، رسم السلطان الملك الكامل للقاضي تاج الدين بكتابه سرِّ دمشق عوضاً عنه ، فحضر إليها في سلخ شعبان سنة ست وأربعين وسبع مئة ، وأقام بها إلى ثامن شهر ربيع الآخر من السنة الثانية .

---

* الوافي : ٣٨/٣ ، ووفيات ابن رافع : ٢٣٣/١ ، والدرر : ٤٣٢/٣ ، والذيل التام : ٨٨ .

(١) في الأصل : « كنت » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي .

(٢) في الأصل : « الوزير » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي .

(٣) في الأصل : « جمال » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي .

(٤) زيادة من (خ) والوافي .

(٥) في الأصل : « طوغاي » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي ، وقد سلفت ترجمته في موضعها .

وتوفي ليلة الجمعة من الشهر سنة سبع وأربعين وسبع مئة ، ودفن بسفح [قاسيون][(١)] وصلّى الناس عليه والقضاة والأعيان ، وكان مَرضُه بدوسنطاريا انقطع به ثمانية أيام .

١٥٦٤ ـ محمّد بن خلف بن محمد بن عقيل*

الشيخ بدر الدين المنبجي التاجر السفّار .

كان رئيساً متموّلاً معروفاً بالدين والعقل والثقة ، يحضر بمجالس الحديث ، ويُسمع لأولاد ابنه .

توفي رحمه الله تعالى سنة سبع وتسعين وست مئة .

١٥٦٥ ـ محمّد بن خليل**

الشيخ شمس الدين الصوفي .

سمع من الشيخ شمس الدّين أبي بكر محمّد بن إبراهيم المقدسي[(٢)] ، وأبي الهيجاء غازي بن أبي الفضل بن[(٣)] الحلاوي ، وغيرهما . حدث مراراً . أجاز لي ...[(٤)]

---

(١) زيادة من (خ) والوافي .

* لم نقف على ترجمة له .

** الوافي : ٥٠/٣ ، والدرر : ٤٣٣/٣ .

(٢) محمّد بن الحسن بن عبد السلام (ت ٦٥٤) ، السير : ٢٩٥/٢٣ .

(٣) ليست في الوافي . وكانت وفاته سنة (٦٩٠ هـ) . وسلفت الإشارة إليه .

(٤) وهنا انتهت ترجمته في الوافي أيضاً . وفي الدرر أنه : « مات في شهر رمضان سنة (٧٣٢) ، وله سبع وستون سنة » .

١٥٦٦ ـ محمّد بن دانيال بن يوسف*

الخزاعي الموصلّي ، الحكيم الفاضل الشاعر الأديب شمس الدّين .

صاحب النظم الحُلْو ، والقريض الذي ليس فيه بيت من النكت خلْو ، والنثر العذب الرائق ، والكلام الذي أصبح وهو على زهرِ الرياض فائق ، والطباع الداخله ، والمخيّلة [التي][1] هي بالصواب غير باخله .

كان ابنَ حَجَّاجِ عَصْرِه ، وابنَ سُكرة مِصْرِه . لو كانا حيّين لقلّداه المجون . وعَلِما أن نُكتَه تفعل بالألباب ما لا تفعله ابنة الزَّرْجون . قد لطف كلامه ، وظرفُ نظامه ، يأتي بمُضْحِكات تعجبُ منها الثّكالى ، وتنشِطِ الكَسَالى ، لو رآه أبو نواس لما قال :

« أما ترى الشمس حلت الحمل[2] » .

أو ابن الهبّارية[3] لَمَا نظم « حيّ على خير العمل » . وكان لا يبالي بما يقول من سُخْفه ، ولا يستحيي في المجون إذا رَفع مُرخى سُجْفه :

لو عابه سيبويه قال له : خرا الكسائيّ في لحية الفراء

ولم يزل على حاله إلى أن استجنّ حشا ضريحه ، وأوحش الزمانَ وأهلَه خِفّةُ رُوحه .

---

* الوافي : ٥١/٢ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٥٨ ، وفوات الوفيات : ٣٣٠/٣ ، والدرر : ٤٣٤/٣ ، والشذرات : ٢٧/٦ .

(١) زيادة يقتضيها السياق .

(٢) ديوان أبي نواس ص ٦٣ .

(٣) محمد بن محمد بن صالح بن حمزة ، شاعر عباسي (ت ٥٠٤) ، وقيل : (٥٠٩) ، الوافي : ١٣٠/١ ، ووفيات الأعيان : ٤٥٣/٤ .

وتوفي رحمه الله تعالى بالقاهرة ليلة الأحد ثاني عُشْري جمادى الآخرة سنة عشر وسبع مئة .

وكان ابن دانيال رحمه الله تعالى طبيباً كحّالاً ، أديباً شاعراً مَطْبوعاً على الدخول في أقواله وأفعاله . توجّه صحبة الأمير سيف الدّين سلاّر إلى قوص ومع الأمير سَلاّر حَسَنٌ الحليق ، وكان من جملة مَماليك سلاّر غلام جميل الصّورة ، له صورة عند أستاذه ، فتمشى الحليق ومعه الخادم ، فوجدا ظل جُمّيز وَجَدْوَلاً يجري ، فرقد الحليق هناك ، ونام الخادم عنده . فطلبه أستاذُه فلم يجده ، ففرّق المماليك في طلبه ، فوجدهما على تلك الحالة ، فأحضروا وقد اشتدَّ غضب سلاّر ، فلمّا رأى ابن دانيال ذلك تقدم وقال : ياخوند ، أقول لك ماتفعل بهذين ، فقال : قل . قال : احلق ذقن هذا القَوّاد حَسَن ، واخْصِ هذا الخادم . فضحك سلاّر[1] وسكن غضبه .

حكى لي شيخنا الحافظ فتح الدّين قال : اجتزنا[2] جماعة به وهو في دكّان داخل باب الفتوح والناس عليه مجتمعون ، فقالوا : تعالوا نخايل على الحكيم ، فقلت لهم : ماأنتم وزنه فلا تشاكلوه فقالوا : لابدّ وهو يكحل الناس . فقال[3] بعضنا : ياحكيم تحتاج[4] إلى عُصّيات ؟ فقال : لا والله ، إلا ... أي من كان منكم يشتهي يقود[5] فليتقدم قال : فقلت لهم : قلت لكم : لاتشاكلوه فما قبلتم قولي ، أو كما قال .

---

(١) في الأصل : « سلاّم » ، سهو .

(٢) في الأصل : « أخبرنا » ، ولا تستقيم ، وعبارة الوافي : « فاجتزت به أنا وجماعة من أصحابه » ، ومثله تقريباً في الفوات .

(٣) في الأصل : « فقالوا » ، سهو ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٤) في الوافي : « أتحتاج .... » ، وزاد في الفوات بعد هذه العبارة مانصّه : « يعنون أنّ هؤلاء الذين يكحّلهم يعمون ، ويحتاجون إلى العصا » .

(٥) في الوافي : « إن كان فيكم أحد يقود» ، وفي الفوات : « إن كان فيكم مَنْ .. » .

ولـه نـوادر كثيرة من هـذا النمـط . يقـال إن الملك الأشرف أعطـاه قبـل أن يلي فرساً ، وقال له : هذا اركبه إذا طلعت القلعة أو سافرت معنا إلى الصيد ، لأنـه كان في خدمته[١] ، فلمّـا كان بعـد أيـام رآه وهو راكب [على][٢] حمـارٍ مكسّح ، فقـال لـه : يا حكيم أين الفرس الذي أعطيناك ؟ فقال : بعتها وزدت عليها واشتريت هذا الحمّار ، فضحك منه .

وكان لـه راتب لَحْمٍ على ديـوان السلطـان فعُمـل في وقتِ استيمـار ، وقطـع هـو وغيره ، فدخل على الأمير سيف الدين سلاّر وهو يعرج فقال له : مـا بـك يـا حكيم ؟ قال : بي قَطْع لحم ، فضحك منه ، وأمر له بإعادة مُرَتّبه من اللحم .

وله من التصانيف كتاب (طيف الخيال) أبدع فيه وقيل : إنـه أخرجـه من القوة إلى الفِعْل ، ولبس ثيـابـه ورقص بـالآتـه جميعهـا ، ولـه أيضاً أرجوزة سماهـا : (عقود النظام في مَنْ ولي مصر من الحكام) .

ومن شعره يستهدي قطراً[٣] :

نَعَم أنت أَوْلى مَنْ نُـؤمّلـه قَـدْراً ... وأَكْرَمُ مَنْ نُهدي المديح لـه دُرًّا[٤]
ومـا أنت إلاّ دِيمَـةٌ أيُّ دِيمَـةٍ ... تَسِـحُّ فيُحيي سَحُّهـا البَلَـدَ القَفْرا
ولـو لم تَكُنْ يـا ابْنَ الْمَكارِمِ ديمـةً ... تجودُ لما استهديت مِنْ جُودِك القطرا[٥]
فَجُـدْ لي بـه مِنْ سـاعتي إنني امرؤٌ ... أخـاف إذا جُرِّعتُ في عَسْـلٍ صَبرَا
ودَعْنِيَ مِنْ رَفْـعِ النُّحـاةِ ونَصْبهم ... وَجرِّهمُ أنْ يَمْـلأوا جَرّتي جرّا[٦]

---

(١) زاد في الوافي : « فأخذه منه » .
(٢) زيادة من الوافي .
(٣) المختار من شعر ابن دانيال : ٧٥ .
(٤) في المختار : « أنت أعلى » .
(٥) في المختار : « الأكارم .... من صوبك » .
(٦) في المختار : « جرّي جرّا » .

فقد لهبت عندي القطائفُ غُلّةً ... عليه وأبدت ألْسُناً للظَّما حرّا [1]
وشقّت له أيدي الكُنافة جَيْبَها ... وقد ضيّقت من طُول وَحْشَتها الصّدرا [2]
وقد صَدَعَ البَيْنُ الْمُشتُّ لبُعْده ... قلُوباً ، فقَلْبُ اللَّوْزِ مُنْكَسِرٌ كَسْرَا
وإن جاءني مع ذلك القطرِ سُكَّرٌ ... أُنَقِّطُه حتى يَكُونَ لكم شُكْرا [3]

ومنه في الثقة عامل المَلَقة بالجيزة :

مالِيَ ولِلمُنْخَرِقَه ... والعطفِ والْمُنْزِلقَه
وغَلّهِ الخالص في ... تحصيلها والمَلَقَه
ورحْلَتي في مركبٍ ... بكل فَدْم مُوسَقَهْ
أرجاؤها عَليّ مِنْ ... زِحامهم مُضيّقَهْ
بتُّ بها لضيقها ... وضَنْكِها في بوتقهْ
تَرْقُصُ في البَحْرِ لدى ... أمواجهِ الْمُصفّقَهْ
والريح لا تَجْري عَلَى ... طريقة مُتّفقَهْ
تهبُّ غرباً وتهبْ ... بُ تارةً مُشَرِّقَهْ
كأنّها مِنْ هَوَجٍ ... رَفيقُنا اللّصّ الثقهْ
أقبحُنا خلقاً فسبـ ... ـحان الذي قد خلَقَهْ
بصورَةِ القرْد فلو ... لا ، ذَقْنُه والعَنْفَقهْ [4]
وأنه الكلبُ لِمَنْ ... عاينه أو حقّقَهْ
والكلبُ لو جاراه في ... خَساسةٍ ما لحقهْ
شيخ لنقصه وإن ... كان ثقيلاً طَبقَهْ

(١) في المختار : « فقد لهثت » .
(٢) في المختار : « وحشته» .
(٣) في المختار : « حتى يعود » .
(٤) في المختار : « بصورة كالقرد لولا ... » ، والعنفقة : ما بين الشفة السفلى والذقن .

رافقْتــــــــــه ولم تكن رفـــاقتيـــه رَفقَـــهْ[١]
حتى إذا مـــــاغيّب الأُ فــقُ لـــدَينــا شَفَقَـــهْ
وهـــوّمَ النــــاس فـــلا عَيْنُ امرئٍ مـــؤرّقـــــهْ
نـــام فكان نـــائمـــاً كالحَيّــــة المطـــوّقـــهْ
وقـــام في الليـــل كمثـ ـــلِ مَنْ يُريـــد السرقـــهْ
يَسْعى إلى عبـــدٍ لـــهُ وَجْـــهٌ شبيـــه الـــدّرقـــهْ
عَبْـــلُ الـــذراع أســـوَدٌ بشَفَــــــة مُشقّقَـــــــهْ
لـــو جـــاز رأس أَيْره في كُمٍّ قـــاضٍ فَتّقَـــهْ
أَوْلَجَـــــه في سُرْمِـــــه ثُمّ عليـــــه طَبَّقَـــــهْ
وفـــكّ سَنْـــدانَ اسْتِـــه بفَيْشَـــــةٍ كالمِطْرَقـــــهْ
ولم يـــــزل حتى رمى بيض المخـــاصي زنبقـــهْ
فقلت في نفسي تُرى خَيَّطـــــه أم فتقَـــــهْ
وعـــاد نحـــوي قـــائـلاً وجُحْرَه مُبصّقـــــــــهْ
مـــــاأطيب الأير سجـ ـقــا والخصيّ مـــدقـقَـــهْ
ولـــو أتـــاني نكتـــه على سبيـــل الصـــدقـــهْ
أحسن من ذاك وذا جـــاريـــةٌ مُعَشّقَـــهْ
جـــديـــدة في حسنهـــا وقهـــــوة معتقـــــهْ
ذات حِرٍ يضيـــق بـــالأيْـ ـــر إلى أن يخنقــــــهْ
حرٌّ رميت طَيْرَه من خِصيتي بنـــــدقـــهْ
فخرَّ مصروعـــــاً ولمْ يقطـــع ســـواي سَبقَـــهْ
غنّت فـأغْنَتْ عن شَـدا الـ ـحمامـــة المطـــوقـــهْ
لله صبٌّ لا يُضيـ ـــع عَهْـــدَه ومَـــوْثقَـــهْ

(١) في المختار: « زافقته .... زفافيته »، والمزافقة: التكلّم بخشونة ».

أو شــــادنٍ عليـــــه أكـ ـبَــاد الـورى مُحْتَرقـــهْ
عِلْــقٌ نفيسٌ كُـــلّ مُهْـ ـجَـــةٍ بــــه مُعْتَلِقَـــهْ
يمـوج عنـــــد نيكـــــه تحتــك مثــلَ العَلَقَـــهْ[(١)]
يكاد مـــوج رِدْفـــــه للصبّ أن يغرّقَـــــــهْ[(٢)]
كم ليلــــــــــة ركّبني من خلفـــه في الحلقـــهْ
لَمّـــا استجـــــاد عِــدّتي في العرض يـوم النفقـــهْ[(٣)]
وجَــوْنــــة[(٤)] زاهيـــــة بظلمـــــة وبرزقـــــهْ
ذات شـواءٍ قَـــدْ غـــدا مشتمـــلاً بجردَقَـــــهْ[(٥)]
وافى ونفسي لم تـــــزل إلى لقـــــاء شيّقـــــهْ
لــولا خلـوق ثــوبـــــه لكـــدت أن أُخلّقـــهْ
في إثره دَجَـــــاجـــــة مصلـوقـــة في مرقِـــه
تتبـــع بـــورانيـــــةً في دهنهـــا مُغَرّقَـــهْ[(٦)]
فمن حَبَتـــه هـــــذه سبحـــانَ ربٍّ رزقـــهْ

وقالَ يومَ كتب كتابَه :

قـدْ تجـاسرتُ إذ كتبتُ كتـابي طمعـــاً في مكارم الأصحـــاب

وهي طويلة وقد أوردتها في الجزء الأول من (التذكرة)[(٧)] .

(١) في المختار : « تحت ... عندك » .
(٢) في المختار : « يخرّقه » .
(٣) في المختار : « الحلقة » .
(٤) سلّة تكون مع العطارين .
(٥) الجردقة : نوع من الخبز ، فارسية .
(٦) في المختار : « معرّقة » .
(٧) انظر : المختار من شعره ١١٨ ، وما بعدها .

وقال وقد أبطلوا المنكرات في أيام الملك المنصور حسام الدّين لاجين[١] .

رأيت في النـــوم أَبــا مُرّه ... وهــو حــزين القلب في مَرَّهْ
وعينـــه العـوراءُ مقروحـــةٌ ... تقطرُ دَمْعَـــــاً قطرةً قطرَهْ
يَصيـــح واويـــلاه من حَسْرتي ... تلــكَ التي مــا مثلُهــا حسْرَهْ
وحَـوْلَـــه مِنْ رهطـــهِ عُصْبَـــةٌ ... فيهم عَلى قلّتهم كَثْرهْ
مِنْ كلِّ علـق مثـلِ بَـدْرِ الـدُّجى ... قيمتـــه في واحـــدٍ بَـــدْرَهْ
مُظفَّر اللَحـــظِ بعشّـــاقـــه ... وإنمـــا في جَفْنـــهِ كَسْرهْ
شمسُ ضحىً غُصْن نقىً قَــدُّهُ ... وظِلُّـــهُ من خَلْفـــه الشَّعْرَهْ
تجميشُـــه تقـلٌ لمن ضَمَّـــهُ ... وجَــوَّز التينـــةَ بـــالتَمْرهْ[٢]
يهـون وزن للـــال في وَصْفـــه ... طـــالعُـــهُ الميزان والـــزهرَهْ
ومن سَحــورِ العين فتّـــانـــةٍ ... خَـــوْدِلهـــا شمسُ الضُّحَى ضُرَّهْ
تقـــول للعشـــاق من معْصَمي ... تنزهـــوا في المـــاء والْخُضْرهْ
إذا رأى عـــاشقهـــا كسَّهـــا ... يـــودُّ لـــو تُرْضِعُـــه بَظْرَهْ
وكُــلّ قــواد لـــه ضَرْطَـــةٌ ... من شـــدقـــه يتبعهـــا شخره
يسطــو على العــاشـقِ في سَومِـه ... مُغَـــالبـــاً لـمـــا اقتضى حـــذرهْ
يقـول والكيفـــاح من خلفـــه ... وعنـــده في قـــولـــه شَمْرَهْ[٣]
زن ألف دينـــار إذا رُمْتَهـــا ... إن كنتَ مـــا ترضى بهـــا بَعْرَهْ
سبحـــان من ولّـد في خـدّهـا النّـ ... ـقي بيـــاضـــاً فَـوْقَـــهُ حُمْرهْ
هيّـــا تمتـع دي[٤] بحـقِّ الـوفـــا ... لا تترك القَصْفَ على فشْرَهْ
وكل لـــوطي لـــه نَهْمَـــةٌ ... على سميـــط اللحم في السَفْرهْ

(١) المختار ١١٩ .
(٢) في المختار : « وجوّن » .
(٣) الكيفاح : هو المضاجع .
(٤) كذا في الأصل .

إن وسـوست في وجهـــه فِســوة — يَقُــلْ لهــا يــاطيبهــا نَخْره
وكلُّ زنَّـــاءٍ يرى بــولـــةَ الـ — ـقحبــــةِ في صُبحتـــه نَشْرَهْ
وكلُ بنتٍ مـــاالهـــا عُـــذَرةٌ — لكنْ هــواهَـــا من بني عُـــذْرَهْ
سحّـاقــةٌ قــد كَلْكَلت بظرهــا — ومـــالهــا في دلْكِهَـــا شعْرَه
وكل خَمّـــارٍ وفي كفِّـــه — كأسُ على عـــاتقـــه جَرَّهْ
ومن حشيشيّ سطيـــل على — شـــاربـــه قـــد بقلت خُضْرَهْ
ومن بني حـــامٍ لـــه مَـــزرَةٌ[1] — صفّى لهـــا صـــاحبـــه الْمَـزرَهْ
وكل بغّـــاءٍ بـــه أَبنـــةٌ — مبـــادِلٌ أَبْغى من الإبرهْ[2]
وكل جـــلاّد على خلـــوةٍ — عُمرةً هــــاجت بـــه عُميْرَه
ومن خيـــاليّ ومن مُطْرِب — وزامرٍ قـــد جـــاء في الـــزُّمْرَه
فقلت يـــا إبليس مـــاذا الـــذي — أســـال من مُقلتـــك العَبْرَه
ومـا الـذي أزعـج أشيـاعـك النو — كَى وإن كانـــوا ذوي شرّه
فقـــال لي: يـــا بـــأبيْ أنت قـــد — وَقَعْتُ في كُسّ أخت مـــاأكره[3]
قلّت جُيـــوشي ووهَى منصبي — وعُـــدْت لا أمرٌ ولا إمْرَه
وأصبـــح الخمـــار لا يَلْتَقِي — في بيتـــه كـــوزاً ولا جرّه[4]
ومنزل المـــزّار صِفْرٌ وقـــد — علتـــهُ من ذلّتـــه صفرَه
وبـــات قليّ الفـــار في حَسْرَةٍ — وقلبـــهُ يُقلى على جَمْرِه
وكاد أن يسطـــو الحشيشي وأن — يجرح بـــالخنجر والشفره[5]

(١) في الأصل: « زمرة »، وأثبتنا ما في المختار، وهو ضربٌ من الأشربة المسكرة.
(٢) في المثل: أبغى من الإبرة، ومن الزبيب، ومن المحبرة. انظر: مجمع الأمثال: ١١٩/١. والأبنة: العيب.
(٣) في المختار: « ياماني ».
(٤) في المختار: « لا يكتفي ».
(٥) في المختار: « يخرج ».

وســـائر السّتـــات من قحبنــــا ... أكثرهنّ اليــــــــوم في الحُجْره
يطلبن أزواجــــاً فـــلا قحبـــةٌ ... منهنّ إلا أَصْبحَت حُرّه
وكل ســـالــوسٍ قِمَـــارٍ وقـــد ... أجـــاد بـــالعَفــق بهـــا مَهرَهْ[١]
كم جَهْـــد مــــا أغــوي وأعــوي وكم ... أصفّف المقصــــــوص والطرّه[٢]
وكم أرى العينين مكحــــولـــــة ... لمن رُمي بــــــالعين والنظره
وكم وكم أسهر في خـــدمــــة الـ ... ـعُشّـــــاق في الليــــل إلى بُكْرَه
ومــــا أرى اليــومَ ولا عـــاشقـــاً ... إلا الـــذي أغـــويــه في النـــدره
قـــد كَسَـــدت سوق المعـــاصي فـــلا ... شربٌ ولا قَصْف ولا عشره
هـــــــــذا على أني ومن غيّتيْ ... أقـــــــــود لا أجْر ولا أجره
فقلتُ : يـــا إبليس ســـافرْ بنـــا ... وطـــــولَ الغيبــــــةِ والسَّفْرهْ
إيـــــــاكَ أن تسكن مِصْراً وأن ... تَقْرَبَهَــــــا إن كُنْتَ ذا خبرَه
فـــإن فيهـــا صـــاحبـــاً عـــادلاً ... مبـــــاركَ الطلعَـــــة والغرَّه
قـــد علمَ السلطـــانُ من نُصْحِـــهِ ... للملكـــه مـــا شـــاعَ بـــالشُّهْرَه
جـــزاءُ مَنْ خـــالفَ مرسـومَـــه ... تجريسُـــه والضربُ بـــالـــدّرَه

وقال على لسان المَشاعِلَة[٣] :

لا ودُخَــــــانِ المِشْعَــــــلِ ... وضـــوئِــــه المُشْتَعِـــــل[٤]
وعَرْفِـــه الـــــذي غــــدَا ... يُــــزري بَعْرفِ المنـــــدل[٥]

(١) السالوس : مَنْ أدمن على شيء . وفي المختار : « ساكوس » .
(٢) في المختار : « أعوى وأعوي » .
(٣) المختار : ١٢٥ .
(٤) في المختار : « وجمره المشتعل » .
(٥) في المختار : « الذي سرا » .

وقد جوّدها وهي طويلة ، وقد أوردتها في الجزء الثالث من (التذكرة) .

وقال[(١)] :

قد عَقِلْنا والعَقْلُ أيُّ وِثاقِ ... وصَبَرْنا والصَّبْرُ مُرُّ المذاقِ
كُلّ مَنْ كانَ فاضلاً كان مثلي ... فاضلاً عندَ قِسْمَة الأرزاقِ

وقال[(٢)] :

بي من أمير شكار ... وجدٌ يُذيبُ الجَوانح
لّما حكى الظبي جيداً ... حَنَت إليه الجوارح[(٣)]

وقال[(٤)] :

ما عاينت عيناي في عطلتي ... أقلَّ مِنْ حظِّي ولا بَخْتي[(٥)]
قدْ بعتُ عبدي وحماري معاً ... وصرتُ لا فوقي ولا تحتي[(٦)]

وقال[(٧)] :

يا سائلي عن صَنْعتي في الورى ... وحرفتي فيهم وإفلاسي[(٨)]
ما حالُ مَنْ دِرْهَم إنفاقه ... يأخذه من أعين الناس

وقال[(٩)] :

---

(١) المختار : ٤٠ .
(٢) المختار : ٦٣ .
(٣) في المختار : « أحنت » .
(٤) المختار : ٩٢ .
(٥) في المختار : « أفحش » ، وفي الفوات : « أدبر » .
(٦) في المختار : « عبدي وحصاني وقد أصبحت لا فوقي » .
(٧) المختار : ٩٢ .
(٨) في الوافي والفوات : « عن حرفتي .... وضيعتي » ، وفي المختار : « وثروتي فيهم » ، ولعلّ الصواب : « واضيعتي فيهم » ، وهو ما ورد في خيال الظّل ، انظر : حاشية المختار .
(٩) المختار : ١٣٤ .

إذا مـــا كنت مَتْخـومـــاً فكن ضيفـــــاً على شير
فمـــا يخرجُ منـــه الخبـــز إلاّ بـــالمنـــاشير

وقَال[١] :

يـا رشـاً لَحْظُـه الصَّحيـحُ عَليـلُ كُـل صبٍّ بسَيْفـــهِ مقتـولُ[٢]
لـك ردفٌ غـادرتـه رهن خصرٍ وهـــو رهنٌ كما علمتَ ثقيـــل[٣]

وقال[٤] :

وأقْطـــعٍ قلتُ لـــه أنت لصٌّ أوْحَـــدُ
فقـــالَ هـــذي صنعـــةٌ لم يبـقَ لي فيهـا يـدُ

وقَالَ[٥] :

كم قيـــل لي : إذ دعيت شمســـاً لا بـــدّ للشمس من طلـوع[٦]
فكان ذاك الطلـــــوعُ داءً يُرْقى إلى السطـح من ضُلـوعي[٧]

وقال وقد صلبوا ابن الكازروني ، وفي عنقه جرة خمر في أيام الظاهر[٨] :

لقد كان حَدُّ الخمرِ مِنْ قبل صلبه خفيفَ الأذى إذ كان في شرعنا جَلْدَا[٩]
فلمــا بـدا للمصلوب قلت لصـاحبي ألا تُبْ فإنَّ الحدّ قد جاوزَ الحدّا

(١) المختار : ١٨٥ .
(٢) في المختار : « رشاً لحظه الصحيح العليل » .
(٣) في المختار : « رهن غصن » .
(٤) المختار : ١٠٤ .
(٥) المختار : ١٦٩ .
(٦) في الأصل : « إذا » ، وأثبتنا ما في المختار والفوات .
(٧) في الفوات : « سما إلى ... » .
(٨) المختار : ١٠٥ .
(٩) في المختار : « حد السكر » .

وقالَ أيضاً[١] :

لقـــد منـعَ الإمـــامُ الخمرَ فينـــا ... وصيّر حَــــدَّهـــا حَــــدَّ اليماني
فمــا جَسَرتْ ملــوك الجن خــوفــاً ... لأجْـل الحـدّ تـدخـل في القنـاني[٢]

وقال أيضاً[٣] :

يقـــولـــون الحكيم أبــو فــلانٍ ... حَـوَى كَرَمـاً وجوداً في اليـدينِ[٤]
فقلتُ علمتُ ذلـــك وهــو سمــحٌ ... يُضَيّــــع كل يــــوم ألف عَيْن

وقال أيضاً[٥] :

قَطَعْتُ من يـــومين بطيخـــــةً ... وجـــدْت فيهـــا جَعْسَ مصمـــودي
قـــالـــوا خرى الخــولي في أصلهـــا ... من يــوم جَرْي المـــاء في العــود[٦]

قال في مكارم اليهودي[٧] :

مكارمٌ مــــا زالَ في طِبّــــــه ... مُكارِهـــاً واللفـــظ فيـــه اشتبـــاه
أعْني بــــه الغَـــارقَ في ذَقْنــــه ... ولستُ أعني غـــارقـــاً في خراه

قلت : وقـد اخترت أنـا (ديوانـه) بـالـديـار المصريـة وهو أجمعـه في الجزء الرابع عشرين من التذكرة .

---

(١) المختار : ٢٨٤ .

(٢) في المختار والفوات : « لأجل الخمر » ، وفي الوافي : « السيف » .

(٣) المختار : ٩٤ .

(٤) في المختار :

يقـــولـــون الطبيب أبـــو عليّ ... ببــذل الجـود مبسـوط اليـــدين

(٥) المختار : ٩٥ .

(٦) في المختار والوافي : « أيّام » .

(٧) المختار : ١٩١ .

وللحكيم شمس الدين بن دانيال موشحة ظريفة وهي[١] :

غُصْن من البـــان مثمرٌ قَمرَا يكاد من لينـــه إذا خطرَا يُعقَــدْ
أسمرُ مِثْلَ القناة مُعْتدلُ
ولْحْظُه كالسِّنان منصقِلُ
نشوان من خمرةِ الصِّبا ثَملُ
عَربَــدَ سكراً عليّ إذ خَطرا كذاك في النـاس كل من سَكِرَا عَرْبَــدْ
يَا بأبي شادنٌ فُتِنْتُ به
يهواهُ قلبي على تَقَلُّبه
مُذ زادَ في التيهِ من تجنُّبِهِ
أحْرَمني النّومَ عِنْـدمَـا نَفَرا حتى لطيف الخيـال حين سرى شرّدْ[٢]
عَيْنَاه مثْوَى الفتور والسَقم
قَدْ زلزلا من سُطاهما قَدَمي
سيفان قد جُرّدا لسَفْك دمي
إن كان في الحب قتلتي نَكَرا فهَـا دمي فوق خَـدّه ظَهَرا يشهَـدْ
لا تَلْحَني بالملام يا عَذَلي[٣]
فإنني في هواه في شغل[٤]
وانظر لماذا المحبّ به بُلي[٥]
لَـوْ عَبَـد النـاسُ قَبْلَـه بشراً لكان من حسنـــه بغير مِرَا يُعْبَــدُ

---

(١) المختار : ١٧٧ .
(٢) في الفوات : « قيّد » .
(٣) في الأصل : « في عذلي » ، وأثبتنا ما في الوافي والمختار والفوات .
(٤) في الفوات والمختار : « من هواه » .
(٥) في الوافي والمختار : « لماذا به المحبّ بلي » .

حُمّلْتُ وجْداً كرِدْفِه عِظَماً
وصِرْت نضواً كخصره سقماً
لو أن ما بي بالصخر لانْهَدما
فالحبُّ داءٌ لو حُمّل الحجرا لذاب مِن هَوْل ذاك وانفطرا وانْهَد
جوىً أذابَ الحشا فَحرّقني
ونِيْل دمع جرى فغرّقني
لكنّه بالدموع خَلّفني
فبت[١] أجري في الدمع مُنْحدرا ذاك لأني غدوت مُنْكَسِرا مُفْرَدْ
بَديع حُسْنٍ سبحانَ خالقه
أحمرُ خدٍّ يُبْدي لعاشقِه[٢]
مِسكاً ذكيَّ الشذا لناشقه
نَمْلُ عِذَار يحيِّر الشُّعَرا وفَوْد شَعْرٍ يستوقف الزمرا[٣] أسودْ

وقد عارض ابن دانيال بهذه الموشحة موشحةً لأحمد بن حسن الموصلي[٤] الوشاح وهي :

بي رَشأٌ عندما رنَا وسَرَا باللّحظ للعاشقين إذ أسَرَا قيَّدْ
السِّحرُ من لفظه ومُقْلَتِه
والرشد من فرقِه وغرّتِهِ
والغيّ من صُدغهِ وطُرّتِهِ

(١) في الوافي والمختار والفوات : « فرحت » .
(٢) في الفوات : « أبيض ثغر » .
(٣) في الفوات : « وفوق شعر النهرا » .
(٤) ترجم له في الوافي ، ولم يذكر سنة وفاته ، وهو ممن مدحوا المنصور صاحب حماة (ت ٦٨٣ هـ) ، الوافي : ٣٢٣/٦ .

بَـدْرٌ بصُبْـح الجبين قـد سترا بليـلِ شَعْرٍ وانظرْ لـهُ سترا اسْـوَدْ
إن قلتَ بدرٌ فالبدرُ ينخسفُ
أو قلتَ شمسٌ فالشمس تنكسف
أو قلتَ غصنُ فالغصن ينقصفُ

وَسْنـانُ جفنِ سما عَنْ النَّظَرا وكل[١] طرفٍ إليـه قـد نظرا سَهَّـدْ
حاجبهُ مشرفٌ على شغفيْ
عارضُه شاهدٌ على أسفِيْ
ناظرهُ عاملٌ على تَلَفيْ
بـه غرامِي قَـدْ شـاعَ واشتهرا وسَيْفُـه في الحشـا إذا اشْهِرَا يُغْمَـدْ
زها[٢] بثغرٍ كالدُّر والشنب
وأطلعَ الأقحوَان كالحَبَب[٣]
رُصّع شبهَ اللُّجين في الذهب
حـوى الثريـا من نـوره أثرا لـه أدمعي الـذي نَثَرَا[٤] نضَّـدْ
عِذارهُ النّملُ في القلوب[٥] سَعَى
والنّحلُ مِنْ ثغرهِ الأقاحَ رَعَى
ويوسفُ أيدِي النسَا قَطعَا
بالنورِ من وجههِ سبـا الشعرا وردَّني بـالجفـا ومـا شَعَرا مُكْمَـدْ
بما بأجفانه مِنَ الوَطَفِ

(١) في الأصل : « لكل » ، وأثبتنا ما في الوافي والفوات .
(٢) في الفوات : « يزهو » .
(٣) في الفوات : « والطلع والأقحوان والحبب » .
(٤) في الفوات : « من ثغره أثرا له الذي أدمعي نثرا » .
(٥) في الفوات : « الفؤاد » .

وما بأعطافه مِنَ الهَيَف
وما بأردافه من التّرف
ذا الأسمَرُ اللون[(١)] ردنّي سَمرا وفي فؤادي من قدّه سَمَرَا أَمْلَدْ
خلّد طولَ الحياة في خَلَدي
وكابَدَتْ لاعجَ الجوى كبدي
ضعيفُ خَصْرٍ يوهي قوى جلدي
فخصرهُ حالتي قد اعتبرا وعن سَقَامي فقد روى خبرا مُسْنَدْ

قلت : وسيأتي في ترجمة شمس الدّين محمّد بن علي الدّهان عدّة موشحات في هذا الوزن وهي جيدة .

١٥٦٧ ـ محمّد بن داود بن محمّد بن مُنْتَاب*

بضم الميم وسكون وبعدها تاء ثالثة الحروف وبعدها ألف وباء موحّدة ، التقيّ المأمون شمس الدّين أبو عبد الله الموصلّي السلامي الشافعي التاجر .

حضر غزاة[(٢)] عكا ، وحفظ (التنبيه) و (الشاطبية) وسمع من أبي جعفر بن الموازيني ، وببغداد من أبي القاسم وغيره .

وسافر للتجارة وغاب عن دمشق زماناً ، ثم إنه عاد إليها وسكنها بعد العشرين وسبع مئة .

وكان مليحَ الشكل مَهيباً جميل اللباس حسن البِشْر ، دائم البذل والصّدقة ، خبيراً

(١) في الفوات : « اللدن » .
* الوافي : ٦٤/٣ ، والدرر : ٤٣٧/٣ .
(٢) في الأصل : « عزلة » ، تحريف عمّا أثبتناه ، وفي الوافي : « غزوة عكّا » .

بالأمتعة ، ذا خطٍّ من أوْرَادٍ وتهجّد ومُرَّوة ، مجوِّداً لكتاب الله . وكان التّجّار يخضعون له ويحتكمون إليه وثوقاً بعلمه ووَرَعه .

وتوفي رحمه الله تعالى ليلة الجمعة رابع عشري ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة نيِّفٍ وسبعين وست مئة .

وصُلّي عليه بعد الجمعة ، وشيّعه أُمَم من الناس .

١٥٦٨ ـ محمّد بن داود*

المسند الجليل شرف الدّين أبو الفضائل بن الخطيب عماد الدين بن عمر بن يوسف بن يحي بن عمر بن كامل بن يوسف بن يحي بن خطيب بيت الأبّار .

رَوَى عن السَّخَاوي ، وشيخ الشيوخ تاج الدّين بن حَمّوْيَه ، وإبراهيم الخشوعي ، وعز الدّين بن عساكر ، وعتيق السلماني ، والصفيّ عُمَر بن البراذعي ، والرشيد بن مسلمة ، وإسحق بن طرخان الشاغوري ، والْمُرَّجا بن شقيرة ، والحافظ ضياء الدّين المقدسي ، وابن الصلاح ، وجماعة .

وتوفي رحمه الله تعالى في عشري شهر رجب الفرد سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

١٥٦٩ ـ محمّد بن داود**

مجير الدين بن الأمير سيف الدّين أبي الحسن علي بن عمر بن قَزَل الْمَشِدّ التركماني

* الدرر : ٤٣٧/٣ .

** الوافي : ٦٤/٣ ، والدرر : ٤٣٦/٣ .

الأصل ، سبط الملك الحافظ ابن السعيد بن الأمجد صاحب بعلبك ، القاضي شمس الدين بن الحافظ .

كان فقيهاً حنفيّا ، شاعراً ذكياً يقع بقوة ذهنه على الْمَعْنَى إذا كان خفيّا ، ويرى غوامضَ المواقيت وكيف لا وقد كان للشمس سَمّيا ، وله مشاركة في العربيه ، ومداخلة في النكت الأدبيّه . ونثره غير طائل ، وخَطّهِ ليس بهائل .

يعرف الرياضيَّ جيداً ، أعْني فيما يتعلق بالحساب ، وآلات المواقيت من الربع والاصْطِرلاب ، ويَضع الآلات بيَدِه ولكنْ وضعاً عفشا ، ويكتب رسومها رسماً وحشا . وكان يضع مِن حيل بني موسى جُمْلَه ، ويحمّل نفسه من تجارب أعمالها ما لا يطيق حمله . قد أفنى عمره في ذلك وسلك طرائقها الموحشة وليله حالك . إلا أنه كان في حَلِّ الْمُتَرْجَم آيه ، وذِهْنُه في حلّه بلا فاصلة غايَه ، وهو أَوّلُ مَنْ كتب لي مُتَرجماً وحَلَلْتُه ، وهَزَزْتُ لَهُ حسامَهُ وسَلَلْتُه .

ولم يزل على حاله إلى أن ضاع من ابن الحافظ حِسابُ عُمْرِه ، وأذهل ذويه مُبْهَمُ أَمْرِه .

وتوفي رحمه الله تعالى بطرابلس فيما أظن سنة أربع وثلاثين وسبع مئة في تاسع عشر المحرّم ، ودفن هناك ، وكان وصّى بأن يُنْقَلَ إلى دمشق .

وكان أوّلاً بصفد ناظرَ الجيش ، فأقام بها زماناً ، ثم إنه نُقِل إلى نظر جيش طرابلس .

وكان قد سمع من ابن شيبان (ثلاثيات المسند) ، ومن ابن البخاري (كتاب الترمذي) ، وسمع بمصر والإسكندرية ، وحدّث .

ولمّا توجه الأمير سيف الدّين بكتمر الحاجب من صفد والأمير علم الدين الجاولي لحصار سَلْع[1] ، عمل رسالة في ذلك نظماً ونثراً ، وسمعْتها من لفظة غَيْرَ مرَّة ، ومما جاء

(١) حصن بوادي موسى قرب بيت المقدس . (معجم البلدان) .

فيها نظماً :

دعَتْ قلعــــــةُ السّلْــع مَنْ مَضَى بلُطفٍ إلى حُبِّهـــــا القَـــاتِــل
وغرَّتْهُم حين أبْـــــــــــدَت لَهُم مُحيّـــــاً كبَــــدْرِ دُجىً كامِــلِ
ولّمـــا استجــابُــوا لهـــا أعرضتْ دَلالاً وقـــالتْ إلى قـــابــل
تفـــانى الرجـــالُ على حُبِّهـــا ومـــا يحصلُــونَ على طــائـِـل

وقَرأت عليه بصفد (رسالة الإصطرلاب) لقاضي القضاة بدر الدّين بن جماعة ، وأخبرني أنّه قرأها على الْمُصنّف .

وحكى لي أن القاضي بدر الدّين حكى له أن إنساناً من المغاربة جاء إليه وهو بمنزله دار الخطابة بالجامع الأموي ، وكان إذ ذاكَ قاضي القضاة وخطيباً ، وقال : يا سيّدنا رأيت اليوم في الجامع إنساناً وفي كمّهِ آلة الزندقة ، فاستفهمت كلامه واستوضحته إلى أن ظهر لي أنه رآه وفي كُمّه إصطرلاب ، قال : فقال لي : إذا جئتَ لتقرأ عليَّ شيئاً تحيَّلْ في إخفاء ذلك ما أمكن .

ووصف لي يوماً حلَّ الْمُتَرجَم وحبَّبهُ وزيَّنه ، وقال لي : يعوزك أن تكونَ تحلّ الْمُتَرْجم ، فقلت له : اكتبْ لي شيئاً منه ، فكتبه لي وأخذته من عنده ، وبتّ بعض لَيْلَتي أفكّر فيه ، وفتح الله عليّ بفكّه من غير شيخ ولا مُوَقّف ، فحَلَلْته وكتبت جواب ما كتبه لي ، وكتبت فيه :

سَلكتُ الْمُترجمَ في لَيْلَــــــــــةٍ ولــولاكَ مــــا كنتُ مِمَّن سَلَــك
ومَـــا كانَ لَيْلي بــــهِ ذا حيــــاً لأنّـــك شمسٌ تُضِيء الحَلَـــكْ

وكتب إليَّ يوماً ، وقد بلغه عني كلام لَمْ أقله ، واستقالني من العتب فلم أَقِلْه :

أُعيـــذُك من ضميرٍ غيرِ صـــافٍ وأنتَ كما نراكَ أبـــو الصفـــاء
وغرسُ الـــدين لا يَـــذْوي ثَراه فُمحتـــاجٌ لشمسِ الاستـــواء

فكيف يَرى بعـــاداً عن سَنَـــاهـــا ويُعمـــل فكْرَه طَلَبَ الخفــــاءِ
أُحــاشي ذهنَـك الـوقّـادَ يَسْطُـو عليــــه ظُلْمــــةُ الخِــلِّ المِراء
وأن تُصْغِي إلى الـــواشي وأنت الـ عليمُ بصـــــــدق ودّي وانتمائي
فـلا بـــالله لا تسمـع حـــديثــاً ينمّقـــه الحـواســـدُ بـــافتراء
فـــإني قـــد جَعَلْتُـك في مَمَـــاتي خليــلاً أصطفيــه وفي بقـــائي

فكتبت أنا الجواب إليه :

أيـــا شَمْسَ العُلـوم لِمُجْتَليهـــــا ويـــا مَنْ فَضْلُـه بـادي السَّنَـاء
ومَنْ قـد ظَل [منه] الفُضْـلَ فينـا ولـولاه نُبِـــذْنـــا بـــالعَراء[1]
ألست إذ ادلَهمّت مشكـــــــلاتٌ جَـلاهـــا بـــالتّروّي والـــذّكاء
فمـــا يخفى عليـــه مَقـــال غُشٍّ لأنّ الغُشَّ يظهر في الصَّفــــــاء
أُعيـــذك أن تُصـــدّقَ قَـوْلَ واشٍ وأنْ تَمْشي على غير استـــــــواء
أتحسبني أفــــــــــوه بغير شُكْرٍ لفَضْلـــــك لا وخــــلاّق السماء
وبـــابُـك منـــذ كنت عرفت نفسي عَقَـــدْتُ عَلَيــه أَلْـويـــة الـولاء
ومـــا أهـدى النَّسيمُ إليـــك طِيبـــاً وكانَ شَـــــذاه إلاّ مِن ثنـــاء
ووِدّي أنت تَعْلَمُـــــه يقينـــــاً صحيــح لا يُكــدَّرُ بـــالْجَفَـــاء
فـلا تَسْمَـعُ لِمَـــا نَقَـل الأَعَـــادي ومـــا قَـــدْ نمّقـــوه من افتراء
فـأصْلُـك طيّبٌ حـاشـــاه يجفـو خليــلاً دأبُـــه رَفْـعُ الـــدُّعـــاء
وهَبْني قلت هـــذا الصّبـحُ لَيْـلٌ أيَعْمى العـــالمون عن الضيـــاء

وأنشدني من لفظه لنفسه :

لله دَرُّ الخليــــــج إنّ لَــــــهُ تَفَضُّـــــلاً لا نُطيـــــق نشكُره
حَسْبُـــك منــه بـــأن عـــادتـــه يجبر من لا يـــــــزال يكسره

(١) الزيادة يقتضيها الوزن .

قلت : أخذه من قول الأول وفيه زيادة :

سَـدَّ الخليـجُ بكَسْره جَبْرَ الـورى ... طُرّاً فكُـلٌّ قـد غَـدَا مَسْرورا
البـاء سلطـانٌ فكيف تـواترت ... عنـه البشـائر إذ غـدا مكسـورا

وأنشدني من لفظه لنفسه :

وذي شَنَب مـالت إلى فيـهِ شَمْعـةٌ ... فرُدَّتْ لإشفـاق القلـوب عليـه
فـالت إلى قُـدَّامـه شغفـاً بـه ... فقبّلت البطحـاء بين يـديـه[(١)]
وقـالت بـدا من فيـه شهـد فهزّني ... تَـذكّرُ أوطـاني فمِلْت إليـه
فحـالت يَـدُ الأيـام بيني وبينـه ... فعفّرتُ أجفـاني على قـدميـه

قلت : أخذ قول الأول ، وزاد هو عليه :

أتـدرون شمعتنـا لِمْ هـوتْ ... لتقبيـل ذا الرشـأ الأكحـل[(٢)]
دَرَت أنّ ريقتـهُ شهـدة ... فحنّت إلى إلْفِهـا الأوَّل

١٥٧٠ ـ محمّد بن داود*

الأمير ناصر الدين ابن الأمير نجم الدّين بن الزيبق .

كان أولاً أمير عشرة بعد وفاة والده ، ثم إنّه أُعطي نيابة الرحبة في أيام الأمير سيف الدّين أيتمش ، فأقام تقدير سنتين أو أقل ، ثم عُزِلَ منها وأقام في دمشق وهو أمير طبلخاناه ، فولاّه الأمير سيف الدّين أرغون الكاملي ولاية مدينة دمشق ، فباشرها إلى أن أتى الأمير علاء الدّين أمير علي المارداني إلى دمشق نائباً ، فجعله والي الولاة بالصفقة

---

(١) في الأصل : « شغفاً فيه » ، ولا يستقيم الوزن وأثبتنا ما في الوافي .
(٢) في الأصل : « لمن هوت » ، وأثبتنا ما في الوافي .
* الدرر : ٤٣٨/٣ ، وذيول العبر : ٣٠٨ .

القبلية ، فسفك فيها الدماء ، واستخرج الأموال ، ولكن اطمأنت بـه البلاد من العشران والفتن .

ولم يزل بها إلى أن مرض مدّة ، وتوفي رحمه الله تعالى ، وجاء الخبر إلى دمشق بوفاته في أول شهر رمضان[(١)] سنة ستٍ وخمسين وسبع مئة ، ونقل إلى دمشق .

١٥٧١ ـ محمّد بن رضوان*

ابن إبراهيم بن عبد الرحمن ، زين الدّين العُذْري ، المعروف بابن الرَّعاد ، براءٍ وعين مهملة مشدّدة وبعدها ألف ودال مهملة .

أخبرني شيخنا العلامة أثير الدّين قال : كان المذكور خياطاً بالْمَحلّة من الغربية وله مشاركة في العربية وأدب لا بأس به ، وكان في غاية الصيانة والترفّع عن الدنيا والتردد[(٢)] إليهم ، واقتنى من صناعة الخياطة من الكتب كثيراً ، وابتنى بها داراً حسنة ، ورأيته بالمحلة مراراً .

وأنشدني لنفسه قال : أنشدني للشيخ بهاء الدّين بن النحاس :

سَلِّمْ على الْمَوْلَى البهاء وقُلْ له : شوقي إليه وإنني مملوكه[(٣)]
أبداً يحرّكني إليه تشوّقٌ جِسْمي به مشطورُه مَنْهوكُه
لكنْ نَحِلْت لبعده فكأنني أَلِفٌ وليسَ بِمُمْكِنٍ تحريكه[(٤)]

وأنشدني قال : أنشدني لنفسه :

(١) وفي الدرر أنه توفي في شعبان .

* الوافي : ٧٢/٣ ، وفوات الوفيات : ٣٥٦/٣ ، والدرر : ٤٤٠/٣ ، والبغية : ١٠٣/١ .

(٢) في الوافي والفوات : « عن أهل الدنيا والتودد » ، وما بين حاصرتين زيادة منها ، وعبارة البغية نقلاً عن الأدفوي : « مترفعاً عن أبناء الدنيا لا يتردد إليهم » .

(٣) في الوافي والفوات : « وصف له » ، وهي أنسب .

(٤) واضح ههنا أن الشاعر أفاد من مصطلحات العروض والصرف في بناء فنٍّ بديعي يدعى التوجيه .

رأيت حبيبي في المنـــام مُعَـــانقي وذلـــك للمهْجُـــورِ مرتبـــةٌ عُلْيـــا
وقد جـاء لي مِنْ بعـدِ هَجْرٍ وقسوةٍ ومـا ضرَّ إبراهيمَ لو صـدّق الرؤيـا(١)

وأنشدني قال : أنشدني لنفسه :

نـــــارَ قلبي لا تقرّي لَهَبــــاً وامنِعي أجفـانَ عيني أن تنـامـا
فـــإذا نحنُ اعتنقنـــا فـــارجعي نـــارَ إبراهيم برداً وسـلامـــا(٢)

وأنشدني قال أنشدني لنفسه :

قـــالـوا وقَـــدْ عـــاينـوا نُحُـولي إلامَ في ذا الغرام تَشْقَى
ضنيتَ أو كـــدتَ فيـــهِ تفنى وأنت لا تستفيـــق عشقـــا(٣)
فقلتُ : لا تَعْجَبـــوا لهـــذا مـــا كان للهِ فهـــوَ يَبْقى

قلت : شعر عذب منسجم .

وتوفي رحمه الله تعالى بالحلّة سنة سبع مئة .

وكان قد أخذ النحو عن العلامة أبي عَمْرو ابن الحاجب .

ومن شعر ابن الرّعاد أيضاً :

أشكـو إلى الله قصّـــاصـــاً يُجرّعني بـالصَدِّ والهجرِ أنـواعـاً من الغُصصْ
إن تُحْسِنِ القصَّ يمنـــاه فمُقْلَتُـــه أيضـاً تقصُّ علينـا أحسنَ القصصْ(٤)

---

(١) في الوافي والفوات : « وقد رقّ » . وفي البيت إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وناديناه أن يا إبراهيم قد صدّقت الرؤيا ﴾ الصافات : ١٠٥/٣٧ .

(٢) في الفوات : « نحن التقينا » . وفي البيت اقتباس من قوله تعالى : ﴿ قلنا يا نارُ كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ﴾ الأنبياء : ٦٩/٢١ .

(٣) في الوافي والفوات : « فنيت أو كدت » .

(٤) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ نحن نقصّ عليك أحسن القصص ﴾ يوسف : ٣/١٢ .

قال كمال الدين الأدفوي : أخبرني شيخنا أثير الدين قال : قال لي زين الدين المذكور : أرسل إليّ شهاب الدين الخويّي حين كان قاضياً بالغربيّة أن أرسِلْ إليّ بالكتاب الذي استعرتَه مني ، فقلت له : ما استعرت في دهري من أحدٍ شيئاً فأعاد الرسالة[1] ، فكَتبت إليه هذه الأبيات :

غَنيتم فأطغاكم غناكم فأغنتنَا ... قناعتُنا عنكم ومن قنع استغنى
ألا مالكُم سُدْتم فساءت ظنونكم ... ومن عادة السادات أن يُحسنوا الظنا
عسى سفرةٌ شرقيةٌ حلبِيّة ... تروح بكم منّا وتغدو بكم عنّا

وأرسلها إليه ، فما فرغ من قراءته إلاّ بريديٌّ وصل إليه أن يتوجه إلى حلب قاضياً .

ومن شعر ابن الرعّاد أيضاً قوله :

أعِدْ نظراً فما في الخدِ نَبْتٌ ... حماه الله مِن ريبِ الْمَنون
ولكنْ رقَّ ماءُ الوجهِ حتى ... أراكَ خيالَ أهدابِ الْجُفون

قلت : مأخوذ من قول الأوّل :

ولمّا استقلتْ أعينُ الناسِ حَوْلَهُ ... تراقِبُه حيثُ استقلّ وسارا
تمثلَتِ الأهدابُ في صفوِ خَدِّهِ ... خيالاً فخالوا الشعرَ فيه عِذارا

ولعلّ هذا وما قبله منقول من قول ابن سناء الملك :

لم يُهنّي إلاّ هواه ولا دلْـ ... ـلَ على السّقام إلاّ دلالُهْ
ما خلا خدُّه الصقيلُ من الخا ... ل ولكنْ سوادُ عيني خالُه

---

(١) في الأصل : « فاد الرسالة » ، وعبارة الدرر نقلاً عن الأدفوي : « فأعاد السؤال » .

وزاده تصريحاً نجم الدين بن صابر المنجنيقي[١] حيث قال :

أهـلاً بـوجـهٍ كالبـدرِ حُسْنـا صيّرني حُبْـــهُ هِـــلالا
قـد رقّ حتّى لحظتُ فيـه ســوادَ عيني فخِلتُ خـالا

وقال تاج الدّين مُظفّر الذهبي :

لاحَ هــلالاً وانثنى مثقّفــاً وصــال لينـاً ورنـا غـزالاً
لـو لم تكن وجنتُـهُ مـاء لمـاَ خِلتُ سـواد العينِ فيـه خـالا

وكلّهم أخذه من الشريف البياضي[٢] حيث قال :

بـوجـهٍ شفَّ مـاءُ الحسنِ فيـهِ فلـو لُثِمَتْ صَحيفتـهُ لسـالا
يـؤثر فيـهِ لَحْـظُ العين حتّى رأيتُ سـوادَهـا في الخـد خـالا

١٥٧٢ ـ محمّد بن سالم*

ابن نصر الله بن سالم بن واصل ، القـاضي الإمـام العلامـة جمـال الـدين بن واصل الحموي الشافعي ، قاضي القضاة بحماة .

كان أحد الأئمة الأعلام ، والقائمين بجمع العلوم الخافقةِ الذوائب والأعلام .

برع في العلوم الشرعية وطلع كالشمس في الفنون العقليه ، وجَمْعَ شَمْلَ مـا تفرّق في العلوم الأدبيّه . صنّف وجمع وألّف ، ودخل في كل فنٍّ وما تخلّى عنه ولا تَخَلّف . وأفتى واشتغل ودرَّس ، وقضى وحَكَم وفَصَل لمّا علم وتفرس . وبَعُدَ صيتـه واشتهر ، وبرّز على الأقران في الجدال ومَهَر . وغلب عليه الفكر إلى أن صار يـذهل عَنْ جليسـه ، ويغيب عن وجوده في حضرة أنيسه :

(١) يعقوب بن صابر بن بركات (ت ٦٢٦) ، وفيات الأعيان : ٣٥/٧ .
(٢) مسعود بن عبد العزيز بن عبد المحسن (ت ٤٦٨) ، وفيات الأعيان : ١٩٧/٥ .
* الوافي : ٨٥/٣ ، ونكت الهميان : ٢٥٠ ، والشذرات : ٤٣٨/٥ .

وأُدَيم نحـــو محـــــدثي نظري أنْ قـــد فَهمتُ وعنـــدكم عقلي

ولي القضاء مدّة مديده ، وفاز منها بالسيرة الحميـده . وأضرّ أخيراً ، وحـاز بـذلـك أجراً كبيرا .

ولم يزل على حاله إلى قُطِع عُمْرُ ابن واصل ، ولم يبقَ في حياته حاصل .

وتوفي رحمـه الله تعـالى يوم الجمعـة ثـاني[١] عُشري شـوّال سنـة سبـع وتسعين وست مئة .

ومولده بحماة في ثاني شوال سنة أربع وست مئة .

ودفن بتربته بعقبة بيرين .

وقيـل إنـه كان يشغـل في حلقتـه في [ثـلاثين][٢] علمـاً وأكثر ، وحضر حلقتـه نجم الدّين دبيران المنطقي ، وأورد عليه إشكالاً في المنطق .

وكان قـد جُهّـز عن صـاحب مصر رسـولاً إلى الأنبرور[٣] ، فتـوجّـه ، فـأعظمـه الأنبرور ، وسأله عن مسائل تتعلق بعلم المناظر وغيرها ، فأخذهـا وبـات بهـا ، وأصبح وقـد أملى الجـواب عليهـا في مُجَلّـد صغير ، فعظم في عين الأنبرور وقـال : يـا قـاضي ما سألناك عن حَلال ولا حرام في دينك الذي أنت فيه قاض ، وإنما سألناك عن أشيـاءَ لا يعرفها إلاّ الفلاسفة الأقْدمون ، فأجبت عنها ، وليس معك كتب ولا ماتَسْتعين به ، مثلكِ يكون قسّيساً ، وحَسَد المسلمين[٤] عليه ، وزاد في تعظيمـه وإكرامـه ، وأحضر لـه الأرغل وهو الآلة عنـدهم في الطرب ، ولا يضرب بـه إلاّ في أيـام أعيـادهم ، فقيل : إنـه

---

(١) في الوافي : « رابع » .
(٢) زيادة من الوافي .
(٣) هو ملك الصقليتين .
(٤) في الأصل : « المسلمون » .

ما اهتز له ولا تحرك ، وعندهم إن أحداً ما يسمعه فيملك نفسه من الطرب ، إلاّ أنّه لمّا قام وجدوا كِعَابه ممّا حكّها في البساط قد أدماها الحك ، وبقي أثر الدم في البساط ، فزاد تعجب الأنبرور منه أيضاً وأعطاه شيئاً كثيراً .

وحكى لي عنه الشيخ شمس الدّين بن الأكفاني غرائب من حِفظه وذكائه ، وحكى الحكيم السديد الدمياطي عنه أنه تعشى ليلة عند الشيخ علاء الدين بن النفيس ، وصلّينا العشاء الآخرة . قال : إلاّ أنّ القاضي جمال الدّين كان يحتدّ في البحث ويحمارّ وجْهُهُ ، والشيخ علاء الدّين في غاية الرياضة ، ثم إن القاضي آخراً قال : والله يا شيخ علاء الدّين أمّا نحن فعندنا نُكيتات ومواخذات وإيرادات[1] وأجوبة ، وأما أنت فهكذا خزائن علوم ، هذا أمر بارع . أو كما قال .

وأخبرني شيخنا العلامة أثير الدين قال : قدم المذكور علينا القاهرة مع الملك المُظَفَّر صاحب حماة ، فسمعت منه ، وأجاز لي جميعَ مرويّاته ومصنفاته ، وذلك بالكبش من القاهرة في يوم الخميس التاسع والعشرين من المُحَرَّم سنة تسعين وست مئة . وهو من بقايا[2] من رأيناه من أهل العلم الذين خُتِمَتْ بهم المئة السابعة .

وأَنْشَدَنَا لنفسه مما كتب به لصاحب حماة الملك المنصور محمّد بن مُظَفّر :

يا سيّداً ما زالَ نجمُ سَعْدِه ... في فَلَكِ العلياءِ يعلُو الأنجُما
إحسانُكَ الغَمْرُ ربيعٌ دائمٌ ... فلا نرى في صفرَ مُحَرَّما[3]

ومن شعر قاضي القضاة جمال الدين بن واصل أيضاً :

وأعيذ مصقول العِذار صحبتُه ... ورَبْعُ سروري بالتأهّلِ عَامِرُ

---

(١) في الأصل : « وإيرات » ، ولعلّها محرّفة عمّا أثبتنا .

(٢) في الأصل : « بقاياه » .

(٣) في الأصل : « العمر » ، وأثبتنا ما في الوافي ، وفيه : « فلم ير في صفر » .

وفـارقتـهُ حينـاً فجـاءَ بلحيـةٍ تَرُوع وقـدْ دارتْ عليـهِ الـدوائرُ
فكررّتُ طِرْفي في رُسُـوم جمـالـهِ وأنشـدتُ بيتاً قـالـهُ قبـلُ شَـاعرُ
« كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيسٌ ولم يُسْمِرْ بمكـةَ سـامرُ »(١)
« فقـال مجيبـاً والفـؤاد كأنّما يقلقـهُ في القلبِ مني طـائِرُ »
« بلى نحن كنّـا أهْلَهـا فـأبـادنـا صروفُ الليـالي والجـدود العواثِرُ »

قلت :ومن مصنفـاتـه (التـاريخ) الـذي لـه ، وكان مفرّج الكُروب في دولـة بني أيوب ولـه (مختصر الأربعين في أصول الـدين) ، (شرح المـوجـز في المنطـق) لأفضـل الـدين الخـونجي ، و (شرح الجمـل) لـه أيضـاً ، و (شرح قصيـدة ابن الحـاجب) في العروض والقـوافي ، و (التـاريـخ الصـالحي) ، و (مختصر الأدويـة المفردة) لابن البيطار ، واختصر (الأغـاني الكبير) ، وملكت بـه نسخـة عظمى . وكان خطّـه عليها بعدما أضرّ ، وكتاب (نخبة الأملاك في هيئة الأفلاك) .

١٥٧٣ ـ محمّد بن سعد الله*

ابن مروان بن عبـد الله القـاضي الرئيس عـز الـدّين ابن القـاضي سعـد الـدين أبي الفضل ابن الشيخ الفقيه العدل بدر الدين الفارقي .

كان جيّد الكتابة يكتب المطالعة بـديوان الإنشـاء بـدمشق ، وهو مرّشح لكتـابـة السر ، مشاراً إليه مُعَظماً .

ولم يزل على حاله إلى أن توفي رحمه الله تعالى في يوم الجمعة سـابع عُشْري ، شعبـان سنة سبع عشرة وسبع مئة ، وعمره اثنان وخمسون سنة .

---

(٢) هذا البيت والبيت الأخير من أبيات لمضّاض بن عمرو الجرهمي يتشوق مكّة لّما أجلتهم عنها خزاعة . (معجم البلدان) .

* الدرر : ٤٤٤/٣ .

وهو والد القاضيين محيي الدّين محمّد ، وشهاب الدّين أحمد ، كاتبي الإنشاء بدمشق .

١٥٧٤ ـ محمّد بن سعيد بن أبي المنى*

الإمام الفقيه بدر الدين الحلبي الحنبلي نزيل القاهرة .

سمع من التقي بن مؤمن ، والعزّ بن الفرّاء ، والأبرقوهي . ونسخ كثيراً ، وحصّل وأفاد . وكانت فيه صفات حميدة .

قال شيخنا الذهبي : انتقيت له جزءاً حدّث به .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة خمسٍ وأربعين وسبع مئة .

ومولده سنة أربع وسبعين وست مئة .

١٥٧٥ ـ محمّد بن سعيد بن عبد الله**

تقي الدين المدني الحجازي ، قارئ الحديث بالمدينة النبوية .

كان أسود اللون ، فاضلاً في الأدب . وَرَد إلى دمشق ، ثم توجّه منها إلى القاهرة ، ليعود إلى المدينة .

فتوفي رحمه الله بالقاهرة في شوال سنة تسع وتسعين وست مئة .

وسمع بالشام ومصر وكتبَ عنه من شعره شيخنا البرزالي .

ومولده في أحد الربيعين سنة ثلاث وخمسين وست مئة .

---

* الدرر : ٤٤٦/٣ .

** لم نقف على ترجمة له .

١٥٧٦ ـ محمّد بن سعيد بن محمّد بن سعيد*

الصدر الرئيس الفاضل شرف الدين ابن الصدر شمس الدين بن الأثير الكاتب ، تقدم ذكر والده .

كان شاباً حَسَناً عاقلاً ساكناً وقوراً ، كان قد أسره التتار في واقعة غازان فيمَن أسروه ، ومَنَّ الله عليه بالرجوع إلى وطنه ، وكان وصوله إلى دمشق في تاسع عشر صفر سنة إحدى وسبع مئة ، فأُصيب بوالده ، وترك له ميراثاً جيداً ، فلم يتمتع به .

وتوفي رحمه الله تعالى سابع ربيع الأول سنة ثلاث وسبع مئة ، وكان على طريقٍ حميدة ودُفِنَ عِنْدَ والده .

١٥٧٧ ـ محمّد بن سعيد بن ريّان**

الطائي ، القاضي ، تاج الدين ابن الرئيس عماد الدّين .

أوّل ما عرفت من أمره أنه كان كاتبَ إنشاء بحلب ، ثم إنّه حَضَر إلى القاضي كريم الدّين الكبير لمّا جاء لزيارة بيتِ المقدس[1] في سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة ، وأخذ كتابه إلى الأمير سيف الدين تنكز بأن يكون مباشراً بدمشق ، فتولّى نظر بَعْلَبك وأقام بها مدة ، ثم إنه توجه إلى حلب صاحب الديوان ، ثم إنه خرج منها في واقعةِ لؤلؤ وعاد إلى دمشق وأقام بها على نظر البيوت وصحابة ديوان الجامع الأموي .

ودام على ذلك مدة ، ثم أصابَهُ فالج فأقْعَده في بيته بقدر[2] أربع سنين أو أكثر ، إلى أن توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في بُكرة الاثنين ثاني عُشري جمادى الآخرة سنة خمس وخمسين وسبع مئة .

---

* الدرر : ٣/٤٤٦ .

** الدرر : ٣/٤٤٥ .

(١) (خ) : « لزيارة القدس » .

(٢) (خ) : « تقدير » .

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ شكلاً حسناً ، فيه رئاسة وسؤدد ، حسن الأخلاق كريماً ، يتجمّل في ملبسه ومأكله ، ويكتب خطّاً جيّداً .

ورأيته يكتب الكتاب مقلوباً من الحسبلة إلى البسملة في أيّ معنى اقتُرح عليه .

وبرع في كتابة الحساب والإنشاء .

ومات ـ رحمه الله تعالى ـ [و][(١)] قد تجاوز الستين قليلاً .

١٥٧٨ ـ محمد بن سلمان بن حمائل بن علي*

الصدر الرئيس الفاضل شمس الدين المقدسي ، عُرف بابن غانم . وقد تقدم ذكر أولاده شهاب الدين أحمد ، وعلاء الدين علي ، وبهاء الدين أبو بكر .

قال شيخنا البرزالي : روى لنا [عن][(٢)] ابن حمّويه وابن الصلاح . وكان من أعيان الناس ، معروفاً بالكتابة والكفاية والمعرفة والتقدم وحُسن المحاضرة ، وحصّل كُتباً نفيسة .

ولي التّدريس بالعصرونية . وسمع أيضاً في سنة ثلاث وثلاثين وست مئة من الشيخ تقي الدين يوسف بن عبد المنعم بن نعمة بنابلس ، وسمع بدمشق من القرطبي وابن مسلمة وجماعة .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في شعبان سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومولده سنة سبع عشرة وست مئة .

---

(١) زيادة من (خ) .

* تالي وفيات الأعيان : ١٥٦ ، والشذرات : ٤٥١/٥ ، والنجوم الزاهرة : ١٩٣/٨ .

(٢) زيادة يقتضيها السياق ، ثابتة في الشذرات .

١٥٧٩ ـ محمد بن سليمان بن الحسن بن الحسين*

العلاّمة الزاهد جمال الدين أبو عبد الله البلخي الأصل ، المقدسي ، الحنفي المفسّر ، المعروف بابن النقيب ، أحد الأئمة .

دخل القاهرة ، ودرّس بالعاشورية ، ثم تركها وأقام بالجامع الأزهر مدة .

وكان صالحاً زاهداً متواضعاً عديم التكلّف ، أنكر على الشجاعي إنكاراً تاماً ، بحيث إنه هابه وطلب رضاه . وكان الأكابر يترددون إليه ويلتمسون منه الدعاء .

صرف همّته أكثرَ دهره إلى التفسير ، وجمع تفسيراً حافلاً ، جمع فيه خمسين مصنَّفاً . وذكر فيه أسباب النزول والقراءات والإعراب واللغات والحقائق في علم الباطن . قيل : إنه في ثمانين[(١)] مجلّدة . ولهذا التفسير نسخة في جامع الحاكم بالقاهرة .

قال شيخنا الذهبي : سمعت منه حديث علي بن حرب[(٢)] .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بالقاهرة في شهر الله المحرم سنة ثمان وتسعين وست مئة .

ومولده سنة إحدى عشرة وست مئة .

وقال الفاضل كمال الدِّين الأدفوني في تاريخه (البدر السافر) في ترجمة ابن النَّقيب هذا : وله نظم ، منه يمدح الشيخ قطب الدِّين القسطلاني وهو قوله :

سألتُ أخاكَ البحرَ عنكَ فقالَ لي … شَقيقيَ إلاّ أنَّه الساكنُ العَذْبُ[(٣)]
لنا ديمَتا ماءٍ ومالٍ ، فديمَتي … تَماسكُ أحياناً وديمتهُ سَكْبُ
إذا نشأت تبريّه فلهُ النَّدى … وإن نشأت بحريّة فلي السُّحُبُ

---

* الوافي : ٣/١٣٦ ، والفوات : ٣/٣٨٢ ، والشذرات : ٥/٤٤٢ ، والنجوم الزاهرة : ٨/١٨٨ .

(١) في الوافي والفوات : « خمسين » .

(٢) الطائي الموصلي (ت ٢٦٥) ، السير : ١٢/٢٥١ .

(٣) في الوافي (عند ترجمة ابن اللبانة) : « أخاه البحر عنه ... أنه البارد » .

أقـلّ عليــهِ من سماحِ صِفـــاتِــــه فـإنّي أخشى أن يُـداخِلَـهُ العُجبُ

قلت : كـذا قـال كمال الـدِّين الأدفـوي ، ونسب هــذه الأبيــات إلى ابن النَّقيب المفسر ، وليس الأمر كذلك ، وإنما هذه من قصيدة لابن اللبّانة[1] مـدح بهـا المعتمـد بن عبّاد وأولها :

بَكَتْ عِنـدَ تـوديعي فما عَلِمَ الرَّكبُ أذاكَ سَقيـطُ الطَّـلِّ أم لـؤلـؤٌ رَطبُ
وتـــابَعَهـــا سَرب وإنّي لَمُخْطِئ نُجومُ الـدَّيـاجي لا يُقـالُ لَهـا سَربُ

وأظنُّ ابن النَّقيب كتب بها إلى ابن القسطلاني[2] مستشهداً بها على عادة الناس .

وأورد لابن النَّقيب أيضاً :

نَسيمَ الصَّبـا هيَّجتَ مِن قَلبِيَ الْمُضْنى فُنـونــاً مِنَ الأشـواقِ نَفْنَى ولا تَفْنى
وعَهدي بـأنفـاسِ الصَّبـا تبردُ الْجَوى وتَهـدي مِنَ الأرواحِ راحـاً لِمَن أنّــا
فَما لي إذا هَبَّت سُحَيْراً يَهـــــــزُّني غَرامٌ كَما هَـزَّت جَنـوبيَّـةٌ غَصْنــا
ومـالي إذا هَبَّت صَبـا شـامَ بـارِقٌ مِنَ الْحُزْنِ أنساني صَميمَ الْحَشـا حُزنـا

قلت : نعم هـذا شعر ابن النقيب ، وإلا فـأين هـذه الطبقـة من تلـك الطبقـة الأولى ، أين الثريا من الثرى .

١٥٨٠ ـ محمد بن سليمان بن أبي العز بن وُهَيْب*

الإمام المفتي شمس الدِّين ابن قاضي القضاة صـدر الـدِّين الحنفي مـدرِّس النوريّـة والعذراويّة .

---

(١) محمد بن عيسى بن محمد الداني (ت ٥٠٧ هـ) ، الوافي : ٢٩٧/٤ .
(٢) محمد بن محمد بن الحسن ، ستأتي ترجمته .
* الوافي : ١٣٧/٣ ، والنجوم الزاهرة : ١٩١/٨ .

كان من كبار الحنفيّة مقصوداً بالفتوى ، أفتى نيِّفاً وثلاثين سَنَة ، وناب في القضاء عن والده ، وكان منقبضاً عن الناس .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ نهار الجمعة سادس عشر ذي الحجة سنة تسع وتسعين وست مئة .

وكانت له إجازة بعد سنة خمسين وست مئة ، ولم يحدث .

١٥٨١ ـ محمد بن سلمان*

الإمام المفتي وجيه الدِّين الرومي القونوي الحنفي ، إمام الرّبوة .

كان شيخاً فاضلاً متواضعاً ، ولِيَ تدريس العزيّة التي بالميدان ، وأعاد وأفتى .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة تسع وتسعين وست مئة .

١٥٨٢ ـ محمد بن سليمان بن عمر بن سالم**

الصَّدر الرَّئيس بدر الدِّين محمد بن قاضي القضاة جمال الدِّين الأذرعي المعروف بالزُّرَعي .

كان رئيساً محتشماً قد باشر عدة أنظار بالدِّيار المصريَّة ، وكان من أصحاب القاضي كريم الدِّين الكبير ، وكان قد سمع من ابن البخاري وزينب بنت مكي وجماعة ، وحدَّث بالقاهرة وبمنفلوط . وآخر ما تولّى نظر الفيّوم .

فتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ فجأة في آخر جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

---

* الوافي : ١٣٧/٣ .

** الدرر ٤٥٠/٣ ، وفيه : « ابن عمرو » .

١٥٨٣ ـ محمد بن سليمان بن سومر البربري الزواوي*

قاضي القضاة جمال الدِّين أبو عبد الله المالكيّ .

قدم الإسكندرية حدثاً ، وتَفَقَّه بها ، وبَرَع في المذهب ، وفَرَّط في السَّماع من ابن رواج والسّبط .

ثم إنه سمع من أبي عبد الله المرسي ، وأبي العباس القرطبي ، والشيخ عز الدِّين بن عبد السَّلام ، والشيخ أبي محمد بن بُرْطُلَّة . وعالج الشروط ، وناب في الحكم بالقاهرة ، وحكم بالشرقيّة وغير مكان .

ثم إنه قدم على قضاء دمشق فحكم بها ثلاثين سنة ، وكان حاكماً ذا صرامه ، قاضياً يبلغ بها الضعيفُ مَرامَه ، ماضي الأحكام بَتّاتاً[1] ، أراق دم جماعة تعرضوا لجناب النَّبي ﷺ ، عارفاً بمذهبه ، عالماً بمقدمه ومُنْقَلبه ، لو رآه مالك رضي الله عنه لَسرَّه ، وأشهب[2] لَما ركب في إثْره إلا المجرَّه .

حَصَل له في آخر عمره فالج ورعشه ، وبقي على نطقه من العجز وحشه ، وكان لا ينطق إلاّ بمشقّه ، ولا يأتي بالكلمة إلا حسَّيتَ شفته مُنْشَقَّه ، وعجز عن العلامه ، واستناب من يكتب عنه من برئ عنده من الملامه .

وعزل قبل موته بقليل ، وبقي إلى أن سلك تلك السبيل ، ومضى إلى ربِّه ذي المنِّ والفضل الجزيل .

---

* الوافي : ١٣٧/٣ ، والبداية : ٨٤/١٤ ، والدرر : ٤٤٨/٣ ، والشذرات : ٤٥/٦ ، والدارس : ٩/٢ وذيول العبر : ٩٣ .
وقع في الأصل : « الراوي » ، تحريف ، وفي الوافي : « ابن سرور » .

(١) في الدرر عن الذهبي : « ثياتاً » .

(٢) أشهب بن عبد العزيز العامري ، تلميذ الإمام مالك (ت ٢٠٤ هـ) . السير : ٥٠٠/٩ ، ووفيات الأعيان : ٢٣٨/١ .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ يوم الخميس تاسع جمادى الآخرة سنة سبع عشرة وسبع مئة .

عُزل قبل موته بنحو عشرين يوماً بالقاضي فخر الدِّين بن سلامة[(١)] المالكي .

ومولد القاضي جمال الدِّين الزواوي في حدود سنة ثلاثين وستّ مئة ، ومات ولم يسرع إليه الشبهات .

وكان بمصر من أعيان العدول ، وناب في الشرقيَّة والغربيَّة ، وناب في القاهرة ، وترجَّح لولاية القضاء بالقاهرة عقيب وفاة ابن شاش ، وتولي ابن مخلوف[(٢)] ، ثم إنه تولى قضاء دمشق ووصل إليها في عاشر جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وست مئة ، واستمر بها قاضيا نحو ثلاثين سنة .

وظهر في أيامه ما لم يكن معروفاً من مذهب مالك ، وعمّر المدرسة النورية والصمصامية[(٣)] ، وحصلت له رعشة في وسط ولا يتهوكان يجد له مشقة ، وثقل لسانه عن الكلام أخيراً .

وحدّث (بصحيح) مسلم و (الموطأ) رواية يحي بن يحي[(٤)] ، و (بالشفا) لعياض وغير ذلك .

١٥٨٤ ـ محمد بن سليمان بن أحمد بن يوسف*

الشَّيخ الصالح المقرئ الصنهاجي المراكشي الإسكندري ، إمام مسجد قَدَّاح .

(١) أحمد بن سلامة بن أحمد . سلفت ترجمته .

(٢) محمد بن علي (ت ٧١١ هـ) ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) في الأصل : « العصامية » ، ولا ذكر لها في الدارس ، وأتبعنا ما في البداية والنهاية ، وانظر الدارس : ٦/٢ .

(٤) يحي بن يحي الليثي (ت ٢٣٤ هـ) ، السير : ٥١٩/١٠ ، والكشف : ١٩٠٨/٢ .

* الوافي : ١٣٨/٣ ، والدُّرر : ٤٤٧/٣ ، والشَّذرات : ٤٦/٦ ، وذيول العِبَر : ٩٦ .

سمع عبد الوهاب بن رواج ، ومظفّر بن الفُويّ .

أخذ عنه الرحالون ، وكتب في الإجازات .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة سبع عشرة وسبع مئة .

١٥٨٥ ـ محمد بن سليمان بن حمزة*

ابن أحمد بن عمر ، ابن الزاهد أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة ، قاضي القضاة عزّ الدِّين أبو عبد الله بن قاضي القضاة تقيّ الدِّين المقدسي الحنبلي .

وسمع الحديث من جماعة من أصحاب ابن طَبَرْزَد ، منهم الشيخ شمس الدِّين[(١)] ، وابن البخاري ، وأبو بكر الهروي . وجدته خديجة بنت خلف ، وحبيبة بنت الشيخ أبي عمرو ، ومن جماعة غيرهم .

وخرَّج له شمس الدِّين بن سعد[(٢)] (مشيخة) عن أكثر من خمسين شيخاً . وأجاز له ابن عبد الدائم وجماعة .

واشتغل وحصَّل ، وقرأ الفقه على والده وغيره . وكان له محفوظ في الحديث . واستنابه والده في الحكم . وترك تدريس المدرسة الجوزيَّة ، وكتب في الفتوى . وكان فيه عقل وحُسْن تودُّد .

ولما مات والده باشر تدريس دار الحديث الأشرفيّة بالصّالحيَّة ، وانقطع في بيته مدة ولاية قاضي القضاة شمس الدِّين ابن مسلّم الحنبلي ، ولَمّا توفّي ولّوه مستقلاً ، و [وصل][(٣)] توقيعه بذلك إلى دمشق في ثاني عشر ربيع الأول سنة سبع وعشرين

---

* البداية والنهاية : ١٥٤/١٤ ، والدُّرر : ٤٤٨/٣ ، والشّذرات : ٩٦/٦ ، والدّارس : ٤١/٢ .

(١) عبد الرحمن بن محمد بن أحمد المقدسي (ت ٦٨٢ هـ) ، العبر : ٣٣٨/٥ .

(٢) يحيى بن محمد ، ستأتي ترجمته .

(٣) زيادة يقتضيها السياق .

وسبع مئة[١] ، فباشره واختاره الناس لما تقدم لوالده من الحقوق[٢] ، ولحسن خُلُقه وتودُّده ، وقضاء حوائج الناس .

وحجَّ ثلاث مرات ، وحدَّث في كل حجة منها ، وزار القدس مرّات ، وحضر بعض الغزوات ، وتولّى القضاء مستقلاًّ أربع سنين ولم يكملها . وكان له وِرْدٌ من التِّلاوة ، ومن الصلاة في الليل .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ يوم الأربعاء تاسع صفر سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، وحضر جنازته خلق كثيرة ، وكان يوماً كثير المطر والوحل ، ودفن بتربة الشيخ أبي عُمَر .

ومولده في العشرين من شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وست مئة .

وولي المنصب بعده قاضي القضاة شرف الدِّين أبو محمد عبد الله بن الحافظ .

١٥٨٦ ـ محمد بن سليمان بن أحمد*

تاج[٣] الدِّين بن الفخر .

سمع من أبي عبد الله محمد بن غالب الجيّاني[٤] بمكة ، ومن تقيّ الدِّين بن دقيق العيد بالقاهرة ، ومن غيرهما .

(١) انظر : البداية والنهاية : ١٢٧/١٤ ، وفيه : أنه قرئ تقليده يوم الجمعة تاسع عشر ربيع الأول .

(٢) في الأصل : « الحوق » .

* الوافي : ١٣٩/٣ ، والطالع السعيد : ٥٢٤ ، والدُّرر : ٤٤٧/٣ .

(٣) في الأصل : « ابن تاج ... » ، وأثبتنا ما في الوافي والدُّرر . وفي الطالع : « ينعت بالتاج ويعرف بابن الفخر » .

(٤) في الأصل : « الحباني » ، وأثبتنا ما في الوافي والدُّرر ، والطالع ، وهو محمد بن غالب بن سعيد الجياني (ت ٧٠٢ هـ) ، وستأتي ترجمته .

وحدَّث بقوص وغيرها . واشتغل بالعلم . وكان متعبِّداً ممتنعاً عن الغيبة وسماعها[١] .

له في السَّماع حالٌ حسنة ، وكتب الخط الجيِّد ، وكتب كثيراً من الحديث والفقه وغير ذلك .

قال كمال الدِّين جعفر الأُدفوي[٢] : لَمَّا عَدَّل بعض الجماعة بقوص في أيام ابن السديد قام في ذلك وقصد أن لا يقع ، وتوجه إلى مصر وقال قصيدة سمعتها منه أولها :

شريعتنا قد انحلَّت عُراها ... فَحَيَّ على البُكاءِ لِمَا عَراها

وأقام بمصر .

وتوفِّي فيها ـ رحمه الله تعالى ـ سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة .

قلت : أنشدت بالقاهرة وقد تعدّل جماعةُ سُقّاط :

تَعدَّل كلُّ جَمْريّ بمصرَ ... وشافَ إلى العَدالةِ كلَّ جَمْري
فقُل للفاسِقينَ ازنوا تَزْكوا ... ولا تتأخَّروا فالوقتُ بَدْري[٣]

١٥٨٧ ـ محمد بن سليمان بن همَّام بن مرتضى*

الصَّدر القاضي جلال الدِّين ابن العدل وجيه الدِّين ، المعروف بابن البيّاعة ، أحد كتّاب الإنشاء بدمشق ، وناظر ديوان الربّاع . كان أبوه من عدول القاهرة .

---

(١) في الأصل : « وجماعة » ، وأثبتنا ما في الوافي والدُّرر .
(٢) الطّالع السَّعيد : ٥٣٤ .
(٣) في الأصل : « زنوا » .
* الدُّرر : ٣/٤٥٠ .

روى عن جعفر الهمذاني وغيره ، وسمع منه علاء الدِّين الوداعي وغيره .

كان يُمَنِّي نفسه بالوزاره ، ويزعم أن طيفها جاءه في النّوم وزارَه ، ويعد أصحابه بوظائف ، ويجعلهم في الذِّهن كباراً وهم ما بين حارس وطائف ، وله في ذلك آثار ، وعند رفاقه الموقّعين أخبار .

ولم يَزَلْ على ذلك إلى أن مرض مرضة طوّل فيها ، وانقطع عوّاده وعدم تلافيها ، وانفلج أخيرا ، ولم يجد له في ذلك أُجْرَة ولا أجيرا ، ثم إنه أصبح ثالث التراب والمدر ، وانقبض عن الأحياء وانقبر .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة خمسين وست مئة .

وكان شيخاً طوّالاً ، مسترسل الذقن خفيفها ، وكانت له معرفة بابن الخليلي الوزير ، وصَحِبَه ، فمن هنا كان يحدِّث نفسه الأمّارة بالوزارة ، وبلغت هذه الأماني شمسَ الدِّين غبريال وكان يضحك منه ويهزو به ، وما ترتب له على ذلك إلاّ مصلحة من خلاص جامكيته وماله على الديوان .

جاء الأمير علاء الدِّين ألطنبغا من مصر متوجِّهاً رسولاً إلى مُهَنّا عن السلطان قبل أن يلي نيابة حلب ، فلَمّا وصل إلى دمشق توجَّه إليه الصاحب شمس الدِّين وسلم عليه ، وقال : يا مولانا الساعة يجيء إليك شيخ طوال صفته كذا وكذا ، ونشتهي توهمه أنك سمعت هناك أنه يكون وزير الشام ، وجاء الصاحب شمس الدِّين ، وطلب جلال الدِّين وقال له : يا مولانا كنا عند هذا الأمير ورأيناه يسأل عنك كثيراً ، وقال : لي معه كلام وأريد أجتمع به ، رح إليه وعرفني أي شيء يقول لك ، فتوجَّه إلى ألطنبغا ، فحالما رآه عرفه بالصفة التي قررها عنده الصاحب شمس الدِّين ، فقام إليه وأجلسه إلى جانبه وتلقّاه ، وقال : توقيعُ مَوْلانا بوزارة دمشق قد كتب في مصر ،

وكان السلطان رسم بأن أحضره إليك ولكن تَعوَّق ليكون التشريف قرينه ، وفي هذه الأيام يصل إليك . ويا مولانا أنا والله قد بشرتك والحلاوة أنك لا تنسانا ، فقال : بسم الله ، وبينما هم في هذا الحديث دخل الشيخ كمال الدِّين بن الزملكاني ، ولم يعلم القضية ، فجلس فوقه إلى جانب الأمير ، فتأذَّى جلال الدِّين وقال : هذا قلة أدب ، فقال له الشيخ كمال الدين : إيش جرى ؟ فذكروا له طرفاً من ذلك وأن تقليده بالوزارة واصل في هذه الأيام . فقال له الشيخ كمال الدِّين : يا شيخ مسكين هؤلاء يضحكون عليك . فقام وخَرَج مُغضباً .

وقال يوماً للشيخ شهاب الدِّين أحمد بن غانم : بلغني أنَّك لَمّا كنت في مصر سعيت عند فخر الدِّين ناظر الجيش حتى أبطل كتابة تقليدي ، فقال : والله يا مولانا ما دولةٌ أكون أنا مشيرها وأنت وزيرها إلاّ دولة خَرَا .

وكان قد أُنزِل عليه الشيخ تاج الدِّين اليمني[١] ، وكان في زمن الأفرم بدمشق ، وكان ينشئ له ما يحتاج إليه في الدِّيوان .

١٥٨٨ ـ محمد بن سليمان بن عبد الله بن سليمان*

المحدِّث الفقيه الفاضل تقيّ الدِّين الجعبريّ[٢] ، الشاهد .

سمع من الْحَجّار وطبقته ، وقرأ عليه[٣] كثيراً ، وتخرَّج بوالد حَمِيّه شيخنا الحافظ جمال الدِّين المزّي[٤] ، وقرأ على العامة ، وهو رفيقي في أكثر مَسْموعاتي بالشام ، وقد كنت أجزت له ولأولاده .

---

(١) هو عبد الباقي بن عبد الحميد بن عبد الله ، سلفت ترجمته .

* الدُّرر : ٤٤٩/٣ .

(٢) في (خ) زيادة : « الشافعي » .

(٣) ليست في (خ) .

(٤) عبارة الدُّرر : « تزوّج بنت المزيّ ، وقرأ عليه » .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة خمس وأربعين وسبع مئة .

ومولده سنة ست وسبع مئة .

١٥٨٩ ـ محمد بن سليمان بن أحمد*

القاضي شمس الدِّين القفصي ، بالقاف المفتوحة والفاء الساكنة ، وبعدها صاد مُهْمَلة ، نائب الحكم العزيز المالكي بدمشق .

ناب لقاضي القضاة شرف الدِّين المالكي ، ومِنْ بَعْده لقاضي القضاة جمال الدِّين الْمَسَلاّتي[1] .

كان فهماً بمذهب مالك رضي الله عنه ، خبيراً بالأحكام ، وفي لسانه عجمة المغاربة ، يجعل الثاء سيناً والجيم زاياً . وكان يَسْكن المنيحة[2] ، ويدخل المدينة كل يوم ويخرج منها . وكان إذا رأى في مجلس حكمه ما لا يعجبه قال بفمه ، وأشار بيده بالفُحش ، ويقول للمرأة التي يتأذى منها : والك يا مومس .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في ثاني شوّال يوم الأحد سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة .

وكانت له مشاركة في العربيّة والأصول ، عفا الله عنه وسامحه .

وكان قد ولي نيابة الحكم في صَفَر سنة عشرين وسبع مئة[3] .

١٥٩٠ ـ محمد بن شِرْشِيق**

بكسر الشين المعجمة وبعدها راء ساكنة وسين ثانية معجمة وبعدها ياء آخر

---

* وفيات ابن رافع : ٣٠٩/١ ، والدُّرر : ٤٤٧/٣ .

(١) محمد بن عبد الرحيم بن عبد الملك المسلاتي (ت ٧٧١ هـ) ، وفيات ابن رافع : ٣٩/٢ .

(٢) من قرى دمشق بالغوطة . (معجم البلدان) . وتعرف اليوم (المليحة) .

(٣) البداية والنهاية : ٩٦/١٤ .

** الوافي : ١٤٩/٣ ، ونكت الهميان : ٢٥٣ ، والدُّرر : ٤٥٢/٣ .

الحروف ساكنة وقاف ، ابن محمد بن عبد العزيز بن عبد القادر بن صالح بن دوست[١] بن يحيي الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحسن بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، الشيخ الإمام العارف الكامل شمس الدِّين أبو الكرم ابن الشيخ الإمام القدوة حسام الدِّين أبي الفضل ابن الشيخ الإمام القدوة جمال الدِّين أبي عبد الله ابن الشيخ الإمام علم الدِّين الزّهّاد شمس الدِّين أبي المعالي ابن الشيخ الإمام قطب العارفين أبي محمد الجيلي الحسني الحنبلي المعروف بالحِيالي ، بكسر الحاء المهملة والياء آخر الحروف وألف بعدها لام ، والحِيال : بلدة من أعمال سنجار .

حفظ القرآن العظيم في صباه ، والفقه للإمام أحمد ، وسمع الحديث وهو كثير من جماعة منهم الإمام فخر الدِّين أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد البخاري المقدسي[٢] بدمشق ، وأبو العباس أحمد بن محمد النصيبي[٣] بحلب ، والإمام عفيف الدِّين أبو محمد عبد الرَّحيم بن محمد بن أحمد بن الزَّجّاج[٤] بمكة ، والإمام عفيف الدِّين أبو محمد عبد السّلام بن محمد بن مزروع المصريّ البَصْريّ[٥] بالمدينة الشريفة . ورحل وحدَّث ببغداد ودمشق والحيال وغيرها من البلاد .

وروى عنه جماعة منهم أولاده المشايخ حسام الدِّين عبد العزيز ، وبدر الدِّين حسن ، وعز الدِّين الحسين ، وظهير الدِّين أحمد ، ومحدِّث العراق تقيّ الدِّين أبو الثَّناء محمود بن علي بن محمود الدّقوقي الحنبلي[٦] ، والشيخ الإمام زين الدِّين أبو الحسن علي بن

---

(١) في الوافي : « ابن صالح جنكلي دوست » .

(٢) (ت ٦٩٠ هـ) ، العبر : ٣٦٨/٥ ، ووقع في الأصل : « أبو الحسين » ، سهو .

(٣) أحمد بن محمد بن عبد القاهر (ت ٦٩٢ هـ) ، العبر : ٣٧٤/٥ .

(٤) (ت ٦٨٥ هـ) ، العبر : ٣٥٣/٥ .

(٥) (ت ٦٩٦ هـ) ، الإعلام : ٢٩١ .

(٦) ستأتي ترجمته .

الحسين بن شيخ العُوينة الموصلي الشافعي[1] ، والإمام بدر الدِّين محمد بن الخطيب الإربلي الشافعي ، وخلق .

كان مشهوراً بالصَّلاح والعبادة والزهد والسماح ، يكاثر الغمام إذا سَحَّ ، ويتحقق البحر الزَّاخر معه أنه شحّ . وله هيبة في النفوس وعليه [وقار][2] وناموس ، يعظِّمه الناس وهو لا يعبأ بأمرهم ، ولا يلتفت إلى شواظ نارهم ولهيب جمرهم ، وكان ملوك دار بكر يحبونه ويخدمونه ويحيّونه ويقبلون إشاراته ويُقْبلون على رسائله وإماراته ، ولهم فيه اعتقاد وانتفاء لما يؤثره منهم وانتقاد ، ومع ذلك مليح الخلق ، صبيح الخلق ، زائد الحشمه ، كثير الإحسان للناس والخدمه .

ولم يزل على حاله إلى أن حالت حياة الْحَيالي وأبلت جدَّته الأيام والليالي .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ يوم الجمعة سنة تسع وثلاثين وسبع مئة .

ومولده ليلة الجمعة منتصف شهر رمضان سنة إحدى وخمسين وستّ مئة بالحيال .

وبيتُه بيت رياسة وحشمة وسؤدد ومروءة . والخير والإحسان معروف بهم ، ولم تمسّ يد هذا الشيخ شمس الدِّين من نشأته إلى موته فضة ولا ذهباً ، وجوده في تلك البلاد مشهور ، وكان له كشف وأحوال وحلم وتجمُّل ، وهو وأهل بيته معروفون بمناصحة الإسلام ، ويكاتبون ملوك مصر ونوّاب أطراف بلاد الشام .

ولَمّا كنتُ في الرحبة سنة تسع وعشرين وسبع مئة وما بعدها أهديت إليه قماشاً إسكندريّاً وأهدى إليَّ أشياء من طرائف سنجار ، ولم تزل رسله مدة مقامي بالرحبة تتردد إلى الرحبة وأخدمهم وأقوم بما يجب لأجله . رحمه الله تعالى .

---

(١) سلفت ترجمته .

(٢) زيادة يقتضيها السِّياق .

١٥٩١ ـ محمد بن شريف بن يوسف*

الفاضل الكاتب المجيد صاحب الخط[١] الفائق ، شرف الدّين ابن[٢] الوحيد الزُّرعي .

سافر إلى الحجاز[٣] والعراق ، واجتمع بياقوت المجوِّد[٤] .

كان تامَّ الشكل ، متأنِّقاً في اللبس والأكل ، حسن البزّه ، لَدْن المهزّه ، موصوفاً بالشجاعه ، وبالعبارة[٥] السّادّة والبراعه ، يتكلّم بعدة ألسن ، ويأتي فيها بما يروق ويحسن ، وقد ضُرب بِحُسن كتابته المثل ، وسار ذكرها في السهل والجبل ، لأنها أخملت زهرات الخمائل ، وفاقت على [من][٦] تقدَّمَهُ الأوائل ، فلو رآه ابن البوّاب لجوَّد تحت مثاله ، وعلِم أنَّ بدر هذا فاق على هلاله ، أو ابن مقلة شخص إليه إنسانه ، وعلِم أنه ما تُلْحَق إجادته ولا حسانَه ، أو الولي التبريزي لتحقق أنه قد بَرَّز وسبقه ، وأنه ما يشم ريحانه ولا محققه .

وكان قد فضح الأوائل والأواخر بفصاح نسخه ، وتفرَّد هو بكمال الخط وترك غيره يخبط في مَسْخه ، فما أحقه بقول البستي[٧] :

---

* الوافي : ١٥٠/٣ ، وفوات الوفيات : ٣٩٠/٣ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٥٦ ، ووفيات ابن رافع : ٩١/١ ، والدُّرر : ٤٥٣/٣ ، والشَّذرات : ٢٧/٦ ، والنُّجوم الزّاهرة : ٢٢٠/٩ .

(١) في الأصل : « الحفظ » ، تحريف ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٢) في الأصل : « أبو » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٣) في الأصل : « العراق » بلا واو .

(٤) هو ياقوت بن عبد الله المستعصمي الرّومي (ت ٦٨٩ هـ) ، وفيات الأعيان : ١٢٢/٦ .

(٥) في الأصل : « بالعبارة » .

(٦) زيادة يقتضيها السياق .

(٧) علي بن محمد بن الحسين (ت ٤٠٠ هـ) ، وهو شاعر عصره . وفيات الأعيان : ٣٧٦/٣ .

إنْ هَـزَّ أقـلامَـهُ يَـومـاً لِيعملهـا   أنســاكَ كلَّ كَميّ هَـزَّ عـاملَـهُ
وإن أقرَّ على رقّ أنـــامِلـــه   أقرَّ بـالرّقّ كتـابَ الأنـامِ لَـهُ

أما أنا فلا أرى أحداً مثله كتب في المحقق والريحان وفصاح النّسخ ، لأنه[1] أتى في ذلك بالإبداع . وكان في حياته يبيع المصحف نسخاً بلا تجليد ولا تذهيب[2] بألف درهم . وكان ابن تمام[3] قد كتب عليه وحكى طريقه ، وكان يكتب المصاحف فيقول له : اكتب أنت المصحف وهاته إليَّ ، فإذا أتى به يزن له أربع مئة درهم ، ويأخذ الشيخ شرف الدّين فيكتب في آخره : كتبه محمد بن الوحيد ، ويبيعه هو بألف درهم .

وروى عنه البرزالي وقاضي القضاة جلال الدّين القزويني .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح ابن الوحيد في قبره وحيدا ، وفقد الناس منه كاتباً فريدا .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في البيمارستان المنصوري بالقاهرة في يوم الثلاثاء سادس عشر شعبان سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

ومولده بدمشق سنة سبع وأربعين وستّ مئة .

وكان يتكلم بعدة ألسن ، وكان يتّهم في دينه . قيل : إنه وضع الخمر في دواته وكتب منها[4] المصحف .

وأخوه علاء الدّين[5] مدرِّس البادرائيّة كان ممن يحطُّ عليه ويذكِّره بكل سوء ،

---

(١) في الأصل : « لأنَّ » ، ولا تستقيم .
(٢) في الأصل : « تذهب » ، ولا تستقيم .
(٣) محمد بن أحمد بن تمام بن السّراج (ت ٧٤٩ هـ) . الدُّرر : ٣١٢/٣ .
(٤) في الوافي : « بها » .
(٥) علي بن شريف بن يوسف الزُّرعي (ت ٧٤٤ هـ) . وفيات ابن رافع : ١٨٤/١ ، والدُّرر : ٥٥/٣ .

وكان قد اتصل بخدمة الجاشنكير[1] قبل السلطنة وأعجبه خطُّه . فكتب له ختمة في سبعة أجزاء في ورق بغدادي قطع النصف بليقة ذهب ، قلم الأشعار ، دَخَّل فيها ألف وست مئة دينار ليقة ، فدخل في الختمة ست مئة دينار وأخذ هو الباقي ، فقيل له في ذلك ، فقال : متى يعود آخر مثل هذا يكتب عليّ مثل هذه الخَتْمة ، وزمّكها صندل[2] ، ورأيتها أنا وهي وَقْفٌ بجامع الحاكم بالقاهرة وما أظنها يكون لها ثان من حسنها ، ولَمّا فرغَتْ أدخله الجاشنكير ديوان الإنشاء ، فما أنجب في الدّيوان ، فكانت الكتب التي تدفع إليه ليكتبها في أشغال الناس على القصص تبيت عنده وما تُتَنَجَّز ، وهنا تعجيز من الله تعالى لمثل هذا الكاتب العظيم . كما يحكى عن الحريري صاحب (المقامات) وأنه بعد عمل المقامات طلب إلى ديوان الإنشاء ببغداد فأعطاه صاحب الديوان كتاباً فمكث فيه من بكرة النهار إلى الظهر وهو ينتف عُثْنونَه ، ولم يفتح الله عليه بشيء حتى قال فيه ابن حِكّينا[3] :

شيخٌ لَنا من رَبيعةَ الغَرَس ... يَنْتِفُ عُثْنونَهُ مِنَ الهَوَس
أنطَقَهُ اللهُ بالمشانِ وقد ... أَلْجَمَهُ في العراقِ بالْخَرَسِ[4]

هذا وقد كان يوماً في بعض مجالس الأكابر ، فجرى ذكر البستي وقوله في رجلٍ بخيل شرير : إن لم يكن لنا طمع في دَرَك درّك فاعفنا من شَرَك شرّك ، فلم يبقَ أحد حتى استحسنها ، وأقرَّ بالعجز عن الإتيان بمثلها ، فقال الحريري في الحال : وإن لم تُدنِنا من مَبارِك مبارّك فأبعدنا عن مَعارِك معارّك .

---

(١) بيبرس ، كما في الفوات .

(٢) في الوافي والفوات : « صندل المذهب » .

(٣) الحسن بن أحمد بن محمد ، من ظرّاف الشعراء الخلعاء (ت ٥٢٨ هـ) ، ووقع اسمه في بعض المصادر بالجيم .
انظر : فوات الوفيات : ٣١٩/١ ، والبيتان الآتيان هما في وفيات الأعيان : ٦٥/٤ .

(٤) الذي في وفيات الأعيان هو :
أنقطَهُ اللهُ بالمشانِ كما ... رماهُ وسطَ الدّيوانِ بالْخَرَسِ

قلت : وما لابن الوحيد والحريري إلا قول أبي الطيب[١] :

وتوهَّموا اللَّعِبَ الوغى والطَّعن في الـ هيجاء غيرُ الطَّعنِ في الميدانِ

ولهذا ، إنَّه لَمّا دخل ابن الوحيد ديوان الإنشاء بلغ القاضي شرف الدِّين بن فضل الله صاحب الديوان عنه كلام يفهم منه أنه يُنَقِّص به ، فطلبه وقال : اقعد . أعطوه درجين قطع الثلاثين ، وقال : أوصل أحدهما بالآخر وعجل ، فوصلها . فقال : اكتب وعجِّل إلى صاحب اليمن وهدِّ قوائمه ، وزعزِعْ أرْكانَه فيه ، وتوعَّدْه وهدِّدْه ، ثم لطِّفِ القولَ حتى لا ييأس ، ثم عُدْ ببعض تلك الغلطة الأولى وعرِّفه أنَّ العساكر التي نجهِّزها إليه يكون أوّلها عنده وآخرها عندنا ، وذكِّره باصطناعنا لوالده قبله ، وأنه لوشئنا ما تركناه جالساً على سرير مَمْلكته ، ولكن نحن نرعى هذا البيت الأيوبي ، ومن هذا وأشباهه . وعجِّل بكتابة هذا لأدْخُلَ وأقرأهُ على السلطان ، فبهت شرف الدِّين وأُسقِطَ في يده وأُرْعِدت فرائصُه ، ولم يدرِ ما يقول ولا ما يكتب ، ثم إنه اعترف وقال : يامولانا والله ما أنا قدر هذا ، والعفو . فقال له : إذا كنت كذا فلا تكن بعدها تكثر فضولك . فاستغفرَ اللهَ وخرَج .

وكان الشيخ شرف الدِّين شيخَ خطيبِ بعلبك وغيره مِمَّن كتب عليه .

ونَظْمُه فيه يُبْسٌ قليل ، إلاّ أنه كان جَيِّدَ العربيَّة ، عارفاً باللغة ، وله رسائل كثيرة وقصيدةٌ لامية سمّاها (سَرْد اللأم في مادة[٢] لامية العجم) .

وكان الله تعالى قد رمى بينه وبين محيي الدِّين البغدادي[٣] حتى عمل له ذلك المنشور[٤] المشهور الذي أقطعه فيه قائم الهرمل وأبو عروق وما أشبه هذه الأماكن .

---

(١) ديوانه : ٤/٤٧٦ .

(٢) في الوافي : « في معنى » .

(٣) في الوافي : « ابن البغدادي » .

(٤) في الأصل : « النّشو » ، وأثبتنا ما في الوافي والفوات .

ولقد وقفت أنا بالدِّيار المصريّة على كتاب (خواص الحيوان) وفي بعضه ذكر الضّبع ، ومن خواص شعْره أنه من تَحَمّل بشيء منه حدث له البغاء ، وقد كتب ابن البغدادي على الهامش : أخبرني الثقة شرف الدِّين بن الوحيد أنه جرَّب ذلك فصحَّ مَعَه ، أو كما قال.

ومِمّا ينسب إلى ابن الوحيد[1] ، ورأيته لغيره :

وخضراء لا الحمراء تفعلُ فعلها ... لَها وثَباتٌ في الْحَشا وثباتُ
تؤجِّجُ ناراً في الْحَشا وهِيَ جَنّةٌ ... وتبدي مريرَ الطَّعمِ وهيَ نباتُ

ومن شعر ابن الوحيد :

اللهُ باري قوسَ حاجبه التي ... مُدَّت وإنسانِ العُيونِ النّابل
ولِحاظُه نَبلٌ لها مِن هُدبِهِ ... ريشٌ وأفئدَةُ الأنامِ مقاتل

ومنه :

جُهْدُ الْمُغَفَّل في الزَّمانِ مضيّع ... وإنِ ارتَضى أستاذه وزمانه
كالثَّورِ في الدّولابِ يَسعى وهو لا ... يدري الطَّريقَ ولا يَزالُ مكانه[2]

وكان السّراج الورّاق قد مرض في وقت ، فجهز إليه شرف الدِّين بن الوحيد أبلوجة سكّر ومعها رقعة بخطه المليح ، فكتب إليه السّراج ومن خطه نقلت :

أرسلَ لي ابنَ الوحيدِ لَمّا ... مَرِضْتُ بالأمسِ جامَ سُكَّرْ
ومدحةً لي بخطِّه لي ... فقلتُ ذا سُكّر مُكرَّرْ
حلَّى وحلَّى فَمي وجيدي ... عَقْدُ شرابِ وعِقْدُ جَوْهَرْ

ووقف يوماً شيخنا ناصر الدِّين شافع على شيء من نظم [ابن] الوحيد فقال :

(١) في تفضيل الحشيشة على الخمر ، كما في الوافي والفوات ، والنّجوم .
(٢) في الوافي والفوات : « فلا يزال » .

أرانـا يراعُ ابنِ الـوحيـدِ بـدائعـا تَشـوقُ بها قَـدْ أنهَجتـهُ مِنَ الطّرْقِ
بِهـا فـاتَ كلّ النّـاسِ سَبْقـاً فَحَبّـذا يَمين لـهُ قَـد أحْرَزَتْ قَصَبَ السَّبْـق

فقال ابن الوحيد :

يـا شـافِعـاً شَفـعَ العَليـا بِحِكْمَتِـهِ فســادَ مَنْ راحَ ذا عِلْمٍ وذا حَسَب
بـانَتْ زِيـادةُ حَظّي بـالسّماعِ لَـهُ وكانَ يَحْكيـهِ في الأوضـاعِ والنَّسَب
فَجاءَني مِنهُ مَـدْحٌ صيغَ مِن ذَهَبٍ مُرَصَّعـاً بَـل أتى أبْهى مِنَ الـذَّهَب
فَكِدْتُ أنشِـدُ لـولا نورُ بـاطِنِـهِ «أنـا الَّـذي نَظَرَ الأعمى إلى أدَبي»(١)

فلما بلغت هذه الأبيات ناصر الدّين شافعاً قال :

نعَم نَظرتُ ولكن [لم] أجِـدْ أحَـداً يـا مَن غَـدا أوحَـداً في قِلّـةِ الأدب(٢)
جـازَيتَ مَـدْحي وتَقريظي بمَغْيرَة والعَيبُ في الرّأسِ دونَ العيبِ في الـذَّنب(٣)
وزِدْتَ في الفَخْرِ حتّى قلتُ مُنْتَسِبـاً بخَطِّـكَ اليـابسِ المَرْئي كالْحَطَب
بـانَتْ زِيـادةُ حَظّي بـالسَّماعِ لَـهُ وكانَ يَحكيـهِ في الأوضـاعِ والنَّسَب
كَـذَبتَ واللهِ لَن أرضـاهُ في عُمُري يـابنَ الـوحيـدِ وكَم صَنَّفتَ مِن كَـذِب
جـازَيْتَ نَظْمي وقَـد نَضـدتُـه دُرراً يروقُ سَمـعَ الـوَرى درّاً بمحتلِب(٤)
ومـا فَهِمْتَ مُرادي في المـديـحِ ولـو فَهِمْتَـهُ لم تُـوَجِّهْـهُ إلى الأدَب
سـأتبـعُ القـافَ إذا جـاوبتُ مُفْتَخِراً بـالـزّاي يـا غـافِلاً عَن سَوْرَةِ الغَضَب
خـالَفْتَ وَزْني عَجْـزاً والرويّ معـاً وذاكَ أقْبَـحُ مـا يُرْوى عن العَرَب

(١) هو للمتنبي وعجزه : « وأسمعت كلماتي مَنْ به صَمم » ، ديوانه : ٣٦٧/٣ .
(٢) الزيادة من الوافي والفوات . وفي الفوات : « غدا واحداً » .
(٣) في الأصل : « بمغيرة » ، وأثبتنا ما في الوافي . وروي صدر البيت في الفوات بلفظ :
«عيَّرتني ، بعمى أصبحت تذكره »
(٤) في الوافي : « درّي وقد نضدته كلّما » . وفي الأصل : « بحشلب » ، ولم نقف على ذكر لها في المعاجم ، وأثبتنا ما في الوافي .

قلت : ابن الوحيد ـ رحمه الله تعالى ـ معذور في العدول عن الوزن والقافية لأنه ما كان يجد في ذلك الوزن والقافية مثل قول أبي الطيِّب : « أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي » ، فإن ناصر الدِّين كان ذلك الوقت قد أضرّ ، وقد احترز ابن الوحيد بقوله : « لولا نور باطنه » احترازاً ، لكنه ما أفاده مع تسرُّع ناصر الدِّين شافع ، ورحم الله كلاًّ منهما .

وأخبرني شيخنا الحافظ فتح الدِّين محمد بن سيِّد النّاس اليعمري ـ رحمه الله تعالى ـ قال : كان شرف الدِّين بن الوحيد الكاتب [يقول في][1] قول القائل : « النبيذ بغير الدّسم سُمّ ، وبغير النّغم غمّ » : هاتان السَّجعتان ما وقع لهما ثالث[2] ، وهو قولي : « وبغير المليح قبيح » .

قلت أنا : ما كان ابن الوحيد ـ رحمه الله تعالى ـ لمح فيهما من الجناس المرقص والمطرب ، ولو أن الأمر راجع إلى السّجع فقط أو إلى الوزن فقط عمل الناس مجلدات من هذا النوع ، ولكن أنا تكلفت لهما ثالثاً : « وبغير النّهم همّ » ، أعني أن الإكثار من الشراب سَبَب الانشراح والسرور ، على العادة من كلام الذين أولعوا بالشراب وبالغوا في الإكثار وحثّوا على معاقرته .

١٥٩٢ ـ محمد بن شكر*

الشيخ الإمام الفاضل شمس الدِّين الديري الشافعي الناسخ .

كتب ما لا يحصى كثرة ، وكان مُقْرِئاً بالسَّبع ، وكان يعرف علم الحرف ويتكلم عليه جيِّداً إلى الغاية ، وله مشاركة في علوم كثيرة ، وأظنه كتب في المصطبة في وقت . والله أعلم .

---

(١) زيادة لعلّ السياق يقتضي نحوها .

(٢) في الأصل : « ثالثاً » ، ولا تستقيم ، وسياق كلامه يدلُّ على أنه ما وقع لهما ثالث إلاّ عنده .

* الدُّرر : ٣/٤٥٦ .

وكانت له عناية بتصانيفي ، لا يسمع بشيء منها إلا ويكتبه لنفسه أوّلاً وللنّاس ثانياً ، وكتب من الكتب السِّتة الصِّحاح كثيراً ، ومن كتب الفقه المطوَّلة كثيراً .

ثم إنَّه آخر الحال أقام بدار الحديث الأشرفيّة يرتزق بالنّسخ إلى أن توفِّي - رحمه الله تعالى - في ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة وقد(1) قارب التِّسعين . عفا الله عنه .

١٥٩٣ - محمد بن الشنبكي*

بالشين المعجمة والنون الساكنة وبعدها باء موحدة وكاف ، ناصر الدِّين .

كان من ظرفاء القاهرة ، ساكناً خيِّراً ، يلعب بالعود ويلوذ بالقاضي جمال الدِّين رئيس الأطباء ، ورأيته بسوق الكتب مرات وكتب إليَّ يوماً :

أيا صَلاحَ الدِّين يا فاضِلاً ... لفظُكَ ما أسْمَى وأسناه
كالدّرِّ مَنظوماً وإن كانَ مَنثوراً فما أغْلَى وأعلاه
إنْ دارَ بينَ الشربِ في أكْؤسِ الـ ... أفواهِ ما أجلا وأحلاه
ما الزُّهر ما الزَّهر إذا استَمْتَعوا ... منهُ برؤيّاهُ وريّاه
فيطربُ السَّمعَ لألفاظِهِ ... ويرقصُ القلبُ لِمَغناه

فكتبت أنا الجواب إليه :

يا ناصِرَ الدِّين الذي نَظمَهُ ... قد زانَ مَغْناهُ ومَعْناهُ
أتحَفْتَني مِنهُ بشعرٍ غَدا ... كالزَّهرِ مَرآهُ ورَيّاهُ
فَلَفظُهُ إن حالَ في مَنطِقٍ ... حلاهُ أو في السَّمعِ حلاّهُ
يَحكي محيّاكَ الكريمَ الذي ... حيّاهُ لي اللهُ وحيّاهُ
كَذا يكونُ الشعر يا مالكيّ ... ما كلّ مَنْ أنشاهُ وشَاهُ

(1) في الأصل : « قد » .

* الدُّرر : ٤٥٦/٣ ، وفيه أنَّ وفاته بعد سنة ٧٤٠ هـ .

١٥٩٤ ـ محمد بن شهري*

الأمير شجاع الدِّين متولِّي بعلبك .

توفِّي يوم الأحد خامس شهر رجب سنة تسع وتسعين وست مئة ، ودفن بمقبرة اللوزة يوم الاثنين .

١٥٩٥ ـ محمد بن صالح بن حسن**

شمس الدِّين بن البنّا القفطي الشافعي .

كان فقيهاً أديباً شاعراً ، أخذ الفقه والأصول عن الشيخ مجد الدِّين بن دقيق العيد وتلميذه بهاء الدِّين القفطي ، وتولَّى الحكم بسمهود والبَلْينا وجَرْجا وطُوخ(١) .

وكان الشيخ تقي الدِّين بن دقيق العيد يُكرمه ، وتوجّه صحبته إلى دمشق ، وسمع منه . قال ابن الوالي : قد سمع منه بقوص .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ثمان وتسعين وستّ مئة .

١٥٩٦ ـ محمد بن صبيح بن عبد الله***

بدر الدِّين ، رئيس المؤذِّنين بالجامع الأُموي بدمشق المعروف بالتفليسي ، لأن والده كان عتيق امرأة كانت ابنة كمال الدِّين التفليسي(٢) التاجر ، وتارة كان ينتسب إلى الكرخي(٣) .

---

* لم نقف على ترجمة له .

** الوافي : ١٥٧/٣ ، والطالع السعيد : ٥٢٥ .

(١) في الأصل : « طوح » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في الوافي .

*** الوافي : ١٥٨/٣ ، والدُّرر : ٤٥٨/٣ ، والبداية والنهاية : ١٢١/١٤ ، وفيه : « أحمد بن صبيح » .

(٢) عمر بن بندار بن عمر (ت ٦٧٢ هـ) ، العبر : ٢٩٨/٥ .

(٣) وفي البداية والنهاية : « أبوه مولى لامرأة اسمها شامة بنت كامل الدين التفليسي امرأة فخر الدِّين الكرخي » .

سمع على أيبك الجمالي[١] سنة سبع وخمسين وهو حاضر في الخامسة ، وسمع بعد ذلك على ابن عبد الدائم ، وعمر الكرماني ، وأبي بكر بن النشبيّ ، وأحمد بن نعمة المقدسي ، وغيرهم .

وقرأ القرآن على الشيخ يحي المنبجي[٢] . وكان حسن الصوت في القراءة والأذان والتسبيح موصوفاً بذلك مشهوراً في البلاد ، سمع منه الطلبة وأمَّ بنائب السلطنة مدة ، وولي حِسْبَةَ الصالحية والإشراف على الجامع الأموي . وكان يقرأ في المصحف على الكرسي عقيب صلاة الصبح ويخرج أمام الخطيب يوم الجمعة بالسواد .

توفّي ـ رحمه الله تعالى ـ في ذي الحجة سنة خمس وعشرين وسبع مئة بخانقاه الطواويس .

ومولده تقريباً سنة اثنتين وخمسين وستّ مئة .

١٥٩٧ ـ محمد بن أبي طالب الأنصاري الصوفي*

شمس الدِّين المعروف بشيخ حطّين أولاً ، ثم أخيراً[٣] بشيخ الربوة .

رأيته بصفد مرات ، واجتمعت به مُدَّة مديدة .

كان من أذكياء العالم وأقوياء الفهم الذي مَن رُزِقَه فقد سلم وسالم . له قدرة على الدخول في كل فن ، وجرأة على التصدي لكل ما سَنح في الأذهان وعَنّ ، رأيت له عدة من التصانيف في كل علم حتى في الأطعمه ، وكلّ ما يعمل على النار المُضْرَمه ، وفي أصول الدِّين على غير طريق الأشاعره ، ولا طريق الاعتزال ولا الحشويّة[٤] المتظاهره ، لأنه

(١) عز الدِّين الأمير ، سلفت ترجمته .

(٢) في الأصل : « محي » ، تحريف ، وكان من أصحاب أبي عبد الله الفاسي (ت ٦٧٦ هـ) . الشذرات : ٣٥٤/٥ .

* الوافي : ١٦٣/٣ ، والدُّرر : ٤٥٨/٣ .

(٣) في الوافي : « آخراً » .

(٤) هم المشبّهة ، ولا مذهب لهم منفرد .

لم يكن لـه علم . وإنما كان ذكيّـا ، وعقلـه بفَهْم الغرائب زكيّـا ، فكنت يـومـاً أراه أشعريّاً ، ويوماً أراه مُعتزليًا ، ويومـاً أراه حشويّـا ، ويومـاً أُراه يرى رأي ابن سبعين وقـد نحـا طريقـه ، وتكلَّم على العِرْفـان والحقيقـه . نعم كان يتكلم على الأوفـاق ووضْعها ، وحفظها فيا يستعمله ورفعها ، ويتكلم على أسرار الحروف كلامـاً منـاسبا ، ويدّعي أنه لا يرى دونه في ذلك حـاجبا ، ويعرف الرمل ويُتْقِنُه ضَرْبا ، ويـدريه جنساً ونوعاً وضَرْبا .

وكان ينظم نظماً ليس بطائل ، ويستعير فيه مـا يريـده من جميع القبـائل ، وكان قد لحقه صَمَمٌ ، وحصل به له ولمن يعرفه ألَم ، ثم أضَرَّ بأخَرة من عينـه الواحـده ، وبقي رحمة لمن يراه عدوّاً أو عنده له معانده .

ولم يزل على حاله إلى أن رأى عين اليقين ، وعلم أن مُعارات الدنيـا[(١)] لا يحمين من الموت ولا يقين .

وتـوفِّي ـ رحمـه الله تعـالى ـ فيا أظن في جمـادى الأولى سنـــة سبـع وعشرين وسبع مئة[(٢)] بصفد .

ومولده سنة أربع وخمسين وست مئة .

نقلته من خطِّ شيخنا البرزالي .

كان ذكيّاً وعبارته حلوة ، ماتُمَلُّ محاضرته ، وكان يـدَّعي عمل الكيميـاء ، ودخل على الأفرم وأوهمه شيئاً من ذلك ، فولاَّه مشيخة الربوة ، والظـاهر أنـه كان يَعْلَمُ منهـا ما يخدع به العقول ، ويتلعَّبُ بالألباب الأغمار ، ولما جاء إلى صفد ورأيته بها كان شيخ قرية علمين الفقراء ، وهي قرية عند قريـة مغران[(٣)] بـالقرب من الشريعـة عنـد جسر يعقوب ، وَقْف السلطان صلاح الدِّين يوسف تَغَمَّده الله تعالى برحمته .

(١) معارات الدنيا أي : ما تعيره الدنيا .

(٢) وكان ذكر في الوافي أنه توفي سنة ٧٢٥ هـ .

(٣) كذا رسمت في الأصل .

قال شيخنا علم الدِّين البرزالي : ومولده بزاوية جده الشيخ أبي طالب بقصر حجَّاج بدمشق .

قال الشيخ علم الدِّين البرزالي : وأعرف جَدَّه أبا طالب ، وكان صالحاً يصلي الجمعة دائماً تحت النسر ، انتهى .

قلت أنا : وهو شيخ النجم الحطِّيني[١] المعروف بنُجَيْم الذي سَمَّرهُ السلطان الملك الناصر بالقاهرة وجهَّزه إلى دمشق مُسَمَّراً على جمل ، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى في حرف النون مكانه ، وكان هذا النجم يخدمه ، وهو شيخ الخانقاه بحطين من بلاد صفد ، وورد عليهم إنسان في تلك المدة أضافوه على العادة ، وكان هذا النجم رأى مع الضَّيف ذهباً ، فاتَّبعه لَمَّا سرى من الخانقاه ، وقتله في الطريق وأخذ ذهبه ، وبلغت القضية نائب صفد الأمير سيف الدِّين كراي ، فأحضر الشيخ شمس الدِّين وضربه ألف مَقْرعة ، على ما قيل ، وعوقب زماناً ، ثم أُفرج عنه ، ثم إن هذا النجيم كان بعد ذلك يؤذي الشيخ . حكى لنا الشيخ شمس الدِّين قال : كنت أخافه على نفسي ، فأنام في الربوة وأغلق باب المكان وهو محدود ، وأستوثق من الأقفال وغيرها ، وأكون نائماً آمناً ، وما أشعر به إلا وقد أيقظني فأفتح فأرى السكين في يده مُجَرَّدة[٢] ، ويقول : ياأفخاذ الغنمة ، ما تريد أن أفعل بك ؟ قال : فأدْخل بكلِّ طريق من ضروب الخداع والتَّلطف أنه أيّ فائدة في قتلي ، وفرضنا أني قتلت ، فهل في هذا فائدة تحصل ، ولا أزل أخدعه حتى يمضي ويتركني .

وأنشدنا لنفسه ومن خطِّه نقلت :

الله أكبر يـا الله مِنْ قَـدَر ... حارَتْ عقولُ أُولي الألباب في صَدرِه[٣]
نَجمٌ بـهِ كُسِفَتْ شَمسٌ وذا عَجَبٌ ... أن يكسفَ الشَّمسَ جُرمُ النَّجمِ معَ صِغرِه

(١) في الأصل : « الخطيبي » ، وأثبتنا ما في الوافي والدُّرر .
(٢) في الأصل : « مجرّة » .
(٣) في الأصل : « أولو » ، ولا تستقيم .

ولم يزل الشيخ شمس الدِّين مُرَوَّعاً من هذا النجيم إلى أن سُمِّر . وكان ما يسمِّيه بعد ذلك إلا الهالك ، ويكني عن نفسه بالشخص . فيقول : جَرَى للشخص مع الهالك كيت وكيت ، وما كانت حكاياته عنه تُمَلُّ ، لأنه يؤديها بعبارة فصحى ويُنَمِّقها ويزمِّكها .

وجمع هذا الشيخ كتاباً في علم الفِراسة سمّاه (كتاب السياسة في علم الفراسة)[1] كتبته بخطي مِنْ خَطِّه ، وتَناولته منه بصفد ، ولم أر في كتب الفراسة مثله ، وقد نَقَله مني جماعة أفاضل بمصر والشام منهم الشيخ شمس الدِّين الأكفاني ، لأنَّه جَمَع فيه كلام الشافعي رضي الله عنه وكلام ابن عربي وكلام صاحب المنصوري وكلام أفلاطون وكلام أرسطو ، فجاء حسناً إلى الغاية .

ولحقه صَمَمٌ زائد قبل موته بعشرة أعوام ، أضرَّت عينه الواحدة . وتوفي بمارستان الأمير سيف الدِّين تنكز بصفد رحمه الله تعالى .

كان من أفراد العالم وله في كلِّ شيء يتحدث فيه مصنف .

وأنشدني من لفظه لنفسه ، ومن خطه نقلت ، في مليح كان يميل إليه ، وتوكَّل بقرية فَرّادية من عمل صفد ، ولاه الحاكم بصفد هذه الوكالة :

قُل لِلْمُقيمينَ بِفرَّاديه ... مَن ذا الذي أفْتَى بإفراديَه
ومَنْ لحَيْني في الهوى عامداً ... أصدَرني من قبلِ إفراديَه
وما الَّذي أوجبَ هَجري وأن ... تقصد الأتراك أكراديَه
فقيلَ مُتْ في حبِّهم أو فَعِشْ ... فالمَقْتولِ الهَوى من ديَه[2]
وهَجْرك الحكم العزيز اقتضى ... من غير ما ذَنبٍ ولا عاديَه
وإنّما سُنَّةُ أهلِ الهَوى ... تُغايرُ الْحُضَّارَ والباديَه

---

(١) وهو مطبوع ، كما في الأعلام : ١٧٠/٦ .

(٢) في الأصل : « فقيل : فمت ... لقتول » .

ونقلت من خطه له :

للنَّفسِ وَجهانِ لا تَنفكُّ قابلَةً ... ممّا تُقابِلُ من عالٍ ومُستفلِ
كنحلَةٍ طَرفاها في مقابلَةٍ ... فيها مِنَ اللَّسعِ ما فيها منَ العسلِ

ونقلت من خطه وأنشدنيه :

نَظرَ الهِلالُ إليهِ أوّلَ ليلةٍ ... فَرآهُ أحسنَ مَنْظراً فَتَـزَيَّـدا
ورآهُ أحسن وهو بدر فهو من ... غمٍ يـذوبُ ويضمَحِلُّ كما بدا[1]

ونقلت مِن خطِّه له :

يا مَن تَعالى أن يجوزَ بذاتِهِ ... وصِفاتِهِ التَّلويحُ والتَّصريحُ
أنتَ العَليّ عنِ الصِّفاتِ بأسرِها ... لكن تنزّلك اللَّطيف يبوحُ
والقولُ منّا عند كلِّ تعقّلٍ ... وتخيّلٍ وتوهّم سُبُّوحُ

ونقلت من خَطِّه له ، يعني نفسه :

تأدَّب حتّى لم يجِد من يُناظرهُ ... وحتّى قَلَتْهُ كُتْبُهُ ودفاترُه
ودارسَ ما فيها فلم يَرَ ذا حجىً ... وذا أدَبٍ مِمّا يَراهُ يُحاورُه
وطابَ بهِ الحِرمانُ من كلِّ جانبٍ ... وظلَّ إليهِ الفقرُ تَسْعى بوادرُه
فلو رامَ بَحراً زاخِراً وهو ظاميٌّ ... يُحاولُ منهُ شربةً غاص زاخرُه

وكان يعرض شعراً كثيراً عليَّ وأغيِّر منه كثيراً .

وكان صبوراً على القلة والفقر والوحدة ، كثير الآلام والأوجاع . وكان به انفتاق في أنثييه يثور به كل قليل ويقاسي منه شدة ، وكان قد كبر سنّه وأنقى شيبه . والذين رأيتهم يقومون بعلم الفراسة ثلاثة : شيخنا نجم الدِّين بن الكمال الصفدي الخطيب رحمه الله تعالى ، وهذا الشيخ شمس الدِّين ، والحكيم أسد اليهودي ، وكان أصدقَهم

(١) في الدُّرر : « ورآه أحسن منه بدراً فهو من ... » .

فراسة أسد اليهودي ، ولكنّه لَمّا رأى هذا المصنِّف الذي ذكرته لشيخ الربوة معي بحلب سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة وطلبه مني لينسخه ، فأبيت ، ثم طلبه بدمشق ، ثم طلبه بالقاهرة وما اتفق إعطاؤه .

١٥٩٨ ـ محمد بن طرنطاي*

الأمير(١) ناصر الدِّين ابن الأمير الكبير حسام الدِّين ، أمير مئة مقدم ألف بالديار المصرية .

وكان قد اتصل ببستان ابنة الأمير سيف الدِّين قبجق نائب الشام ، أظنها كانت أولاً زوجة الأمير سيف الدِّين كراي المنصوري نائب الشام .

كان جيِّداً خيِّراً ، سليمَ الباطن ، وعنده ثلاثة مماليك اسم أحدهم (حلب) والآخر (مصر) والاخر (دمشق) ، وهو ابن الأمير حسام الدِّين طرنطاي نائب الديار المصرية لأستاذه الملك المنصور .

وحجَّ الأمير ناصر الدِّين أربع مرات .

وكان قد أجاز له ولأخوته سنة سبع مئة الحافظ شرف الدِّين الدمياطي ، والأبرقوهي .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ ليلة الخميس تاسع شهر رجب الفرد سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بمدرسة والده داخل القاهرة .

١٥٩٩ ـ محمد بن طُغْريل الصيرفي**

المحدّث ، الْمُخرِّج ، مفيد الطلبة ، ناصر الدِّين الدمشقي .

* الدُّرر : ٤٥٩/٣ ، والنُّجوم الزاهرة : ٢٨٧/٩ .
(١) في الأصل : « ابن الأمير » سهو .
** الوافي : ١٧٢/٣ ، ووفيات ابن رافع : ١٦/١ ، والدُّرر : ٤٦٠/٣ .

روى عن أبي بكر بن عبد الدائم ، والمطعِّم . وقرأ الكثير . وسمعت بقراءته (صحيح) مسلم على البندينجي الصوفي وغير ذلك . وكان سريع القراءة فصيحها يأتي فيها إتيان السيل إذا تحدَّر ، لا يكترث ولا يَدْأب فيها .

توفي - رحمه الله تعالى - غريباً في حماة سنة سبع وثلاثين وسبع مئة ولم يتكهل أو بلغ الأربعين .

قال شيخنا شمس الدِّين الذهبي : جيِّد التحصيل ، مليح التصريح ، كثير الشيوخ ، حسن القراءة ، ضعّفوه مِنْ قِبَل العدالة ، ثم تردَّدنا في ذلك وتوقَّفْنا ، فالله يُصْلحه ، ولو قبل النصح لأفلح .

قلت : لم يَطْعنوا عليه إلا لأنه إذا قرأ قلب الورقتين والثلاث ، والله أعلم .

١٦٠٠ - محمد بن طُغلُق شاه*

السلطان الأعظم العادل الفاضل أبو المجاهد ، صاحب دهلي وسائر مملكة الهند والسند ومكران والْمَعْبر ، وكان يخطب له بمقدشوة وسرنديب وكثير من الجزر البحرية .

ورث الْمُلْكَ عن أبيه طغلق شاه ، مَلِكٌ هو إسكندر زمانه ، وحاكم الأرض في عصره وأوانه ، قد دَوَّخ البلاد ، ودخل في طاعته العِباد ، يحكم على بلاد الهند ، وما دخل في مسمَّى السّند ، ليس في ملوك الأرض من يدانيه في اتساع ملكه ، ولا من ينخرط دُرّ بلاده في سلكه ، تُكاثِرُ الرمال عساكره ، وتفاخر النجوم جَواهِرُه ، وتغامر البحار الزاخرة ذخائره ، وتُحْصَى الحصى قبل أن تحصى مآثره إذا تغلغل طَرْف المرء في طَرَفٍ من ملكه غرقت فيه خواطره ، كريم بَخَّل الغمام ، وجوادٌ أضحت هباته هي الأطواق والناس الحمام ، تغرق البحار في فضاء كرمه ، وتستحي السيول أن تطأ مواطئ حَرمه ، قد وسع الناسَ طَوْلُه ، وشملهم بالإحسان فِعْلُه وقَوْلُه ، ما أمّه عاف إلا

وتلقَّاه الغنى ، وسَرَّى[١] الفقر عنه[٢] والعَنا ، ونوَّله في مبادي جوده غايات المنى :

وغيرُ كثيرٍ أن يـــزورك راجِـــلٌ فيرجــعَ مَلْكاً للعراقين واليــــا[٣]

وأما تواضعه لله تعالى مع هذه العظمة فأمر عجيب ، وفِعلٌ لا يصدر إلا مِمَّن إذا دعاه الهُدَى يجيب .

وأما محبته لأهل العلم فشيء زاد على الصِّفة ، وعجزت عن إدراك كنهها بنت كل شَفة ، يجعلهم ندماءه الخواص وجُلساءه الذين هم في بحر كرمه غواص ، يتقرب إليهم بالمكارم ، ويحكِّمهم في أمواله كما يَحْكُم في فريسته الليث الضُّبارم[٤] .

لم يزل على حاله إلى أن أوحش[٥] منه إيوانه ، وما أغنى عنه ماله وهلك عنه سلطانه[٦] .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة تقريباً .

مما يستدل به على عظمة هذا السلطان أنه ورَدَ في وقتٍ كتابُه إلى سلطاننا الأعظم محمد في مقلمة ذهب وزنها ألفا دينار ، وهي مرصَّعة بجوهر قُوِّم بثلاثة آلاف دينار .

وكنت يوماً عند الأمير عز الدِّين أيدمر الخطيري وقد جاء إنسان في زيٍّ فقير ، فقال : ياخوند أنا جئت في جملة مَنْ أرسله السلطان صاحب الهند محمد بن طغلق

---

(١) (س) : « وتبرّأ » .

(٢) (خ) : « منه » .

(٣) البيت للمتنبي ، ديوانه : ٢٩٠/٤ .

(٤) الضبارم : الجريء على أعدائه .

(٥) (س) ، (خ) : « استوحش » .

(٦) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ ماأغنى عَنِّي ماليَه ☆ هَلَكَ عَنِّي سُلْطانِيَه ﴾ [سورة الحاقة : ٢٨/٦٩ـ٢٩] .

شاه ، وسبب الرسالة أن السلطان فتح تسعة آلاف مدينة وقرية أو قال : تسعة عشر ألف ، وأخذ من ذلك ذهباً عظيماً يتجاوز الحدّ والوَصْف ، وانتعل من مدينة دِهلي كرسي مُلْكِهِ إلى وسط هذه البلاد التي فتحها ليكون قريباً من الأطراف ، وأنه أجري يوماً عنده ذِكْرُ مَكّة والمدينة . فقال : أريد أن يتوجه من عندنا ركب يحج في كلّ سنة ، فقيل له : إن ذلك في مملكة الملك الناصر محمد بن قلاوون ، فقال : نجهز إليه هدية ، ونطلب منه الإذن في ذلك . وأنه جهز إليه مركباً قد ملئ من التفاصيل الهندية الفائقة خيار ما يوجد[١] ، وعشرة بُزاة بيض وخدم وجواري[٢] ، وأربعة عشر حقّاً قد مُلِئت من فصوص الماس ، وكنت أنا في جُمْلَة المُسَفَّرين . وأنّنا لمّا وصلنا إلى اليمن أحضر صاحب اليمن المماليك الذين في خدمة الرسول ، وقال لهم : أي شيء يعطيكم صاحب مصر ، اقتلوا أستاذكم وأنا أجعلكم أمراء عندي ، فلما قَتلوه شنق الجميع وأخذ المركب بما فيه[٣] ، وأريد أن تحضرني عند السلطان ، فأدخله الأمير عز الدِّين الحظيري إلى السلطان وحَكَى له الواقعة .

وكتب القاضي[٤] شهاب الدِّين أحمد بن فضل الله في ذلك الوقت كتاباً إلى صاحب اليمن جاء فيه عند ذكر ذلك : وبَعْدَ أنْ كان في عداد الملوك أصبح وهو من قطّاع الطريق .

ومن الأدلة على سعة ملكه وكَثْرة الذهب عنده أنه أقلّ ما يوجد الدينار عنده مثقالين وثلاثة كثيراً ، ويوجد الدينار خمسين مثقالاً ، وأنا رأيت في الرحبة ديناراً زنته تسعون مثقالاً .

---

(١) (س) : « يؤخذ » .

(٢) كذا .

(٣) وفي الدُّرر رواية أخرى لهذه الحكاية .

(٤) في الأصل : « للقاضي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي .

قال القاضي شهاب الدِّين بن فضل الله : وكان طغلق شاه رجلاً تُركيّاً من مماليك ملوك الهند[١] ، ويقال إنه الذي عمل أبيه فقتله[٢] . قالوا : وصورة قَتْله أنه تركه في خَرْكاه وقد بدت به علّة ، ثم إنه هيَّج[٣] عليه الفيلة حتى أتى فيل منها على الخركاه وحطَّمها وألقاها عليه ، وتمادَوْا في إخراجه حتى أخرجوه[٤] ميتاً لا روح فيه .

قال : وكان محمد هذا عنيناً لكيٍّ كُوِيَ على صُلْبه أيام[٥] الحداثة لعلَّةٍ حَصَلت لَهُ ، وهو متمذهب بمذهب أبي حنيفة ، يَحْفظ في المذهب كتاب (الهداية) . وقد شدا[٦] طرفاً جيداً من الحكمة ، ويحضر مجلسَه الفقهاء للمناظرة بين يديه ، ويجيز الجوائز السنية ، وملكه ملك متّسع جدّاً ، وعسكره كثير .

قال : ذكر الافتخار عبد الله دفتر خوان الواصل في الرسليّة في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون أن عسكره مبلغ تسع مئة ألف فارس ، قال : وفي ذلك نظر ، إنما الشائر الذائع أنه يقارب الستّ مئة ألف يُجْري على كلهم ديوانه ، منهم الفارس والرّاجل ، والرّاجل أكثر لقلة الخيل عندهم ، لأن بلادهم لا تنتج الْخَيْل وتُفْسد ما يُجلَبُ إليها من الخيل . وذكر أن عنده[٧] ألفاً وسبع مئة فيل وأن عنده عدداً كثيراً من الأطباء والندماء والشعراء بالعربية وبالفارسية وبالهندية ، وعدداً كثيراً من

(١) في الوافي : « سلاطين الهند » ، وفي الدرر : « صاحب الهند » .
(٢) (س) ، (خ) ، والوافي : « حتى قتله » .
(٣) في الوافي : « هاج » .
(٤) (خ) : « خرج » .
(٥) (س) ، (خ) ، والوافي : « أوان » .
(٦) في الأصل : « شد » ، وأثبتنا مافي (س) ، (خ) ، والوافي .
(٧) في الأصل : « عنده من الخيل » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي .

المغاني[1] رجال وجواري قال : ونعتُه في بلاده : « سلطان العالم ، إسكندر الزمان الثاني ، خليفة الله في أرضه » ، ولهذا يدعو له الخطباء على المنابر في ممالكه والدعاة .

وفي بلاده معادن كثيرة وتجاوره كوّة قراجل ، بالقاف والراء والألف والجيم واللام ، وهو جبلٌ يقارب البحر المحيط الشرقي ، وهي بلاد كُفّار ، وفيها معادن الذهب ، وله عليها أتاوة جزيلة إلى غير ذلك . ومما يوجد في بعض بلاده من نفائس الياقوت والماس عين الهر والْمُسَمَّى بالماذنبي[2] . قلت : هو البنْفش الماذنبي ، يعنون أنه يقول : ماذَنْبي كوني لم أكن بسعر البلخش .

قال : وذكر لي الشيخ مبارك الأنباتي[3] ، وكان من كبار دولته ثم تزهد : أن ابن قاضي شيراز أتاه بكتب حكميّة منها كتاب (الشفاء) لابن سينا بخط ياقوت في مجلدة ، فأجازه عن ذلك جائزة عظيمة ، ثم إنه أمر بإدخاله إلى خزائنه[4] ليأخذ منها ما يريد ، فأخذ منها ديناراً واحداً وضعه في فمه فلما خرج ليقبّل يده قيل له : ما فعل شيئاً[5] ، وأنه لم يتعرض إلا لدينار واحد فسأله عن ذلك . فقال : أخذت حتى امتلأ بطني[6] ، وطلع هذا الدينار من فمي ، فأعجبه ذلك وضحك منه وأمر له بلُكٍّ من الذهب ، واللُّك عبارة عما يقارب المئتي ألف مثقال وسبعين ألف مثقال بالمصري .

قال : ولحقه يُبْس مزاج من قبيل السوداء ، انتهى .

قلت : ومّما يؤكد كرمه المفرط ما ذكرتُه في ترجمة الشريف عَضُد المذكور في حرف العين مكانه .

---

(١) في الأصل و (س) و (خ) : « الأغاني » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٢) في الأصل و (س) و (خ) : « المادني » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٣) في الوافي : « الأنبايتي » .

(٤) (س) ، (خ) ، والوافي : « خزانته » .

(٥) ليست في (س) ، (خ) ، والوافي .

(٦) في الوافي : « حتى امتلأت » .

١٦٠١ ـ محمد بن طولو بغا*

المحدِّث ناصر الدِّين أنو نصر التركي .

شابّ ساكن ديِّن ، كتب الأجزاء ، ودار على الشيوخ وحصَّل . أجزتُ أنا لهُ . وكان قد سمع من الحجّار بعض (الصحيح) ، وسمع من ابن أبي التائب[١] ، وبنت صصرى ، وخَلْق بنفسه . وكتب ، وتخرَّج[٢] .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في .....[٣] .

ومولده سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

١٦٠٢ ـ محمد بن طينال**

الأمير ناصر الدِّين ابن الأمير الكبير سيف الدِّين نائب طرابلس وغزّة وصفد .

كان الأمير ناصر الدِّين المذكور من جملة أمراء الطبلخاناه[٤] بدمشق . وكان ذا صورة بديعة ومحيّا جعله[٥] البدر طلعته في الكمال طليعة ، ووَجَنات يُقْطف الورد من جنّاتها[٦] الغضّة ، ويخال أنها خليطا عقيق أحمر وبلور أو مرجان وفضة ، بحيث إنه ظهر للنساء في دمشق قماش يعرف بخدود ابن طينال ، وبذل الناس في ذلك جملة من الأموال .

---

* الوافي : ٣/١٧٦ ، والدُّرر : ٣/٤٦١ ، وذيول العبر : ٢٧٨ .

(١) عبد الله بن الحسين ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٢) عبارة الدُّرر : « عني بالحديث والتخريج » .

(٣) كذا في الأصل . ولم يذكر سنة وفاته في الوافي . وفي الدُّرر أنه توفي سنة (٧٣٩ هـ) . وكذلك في ذيول العبر .

** الدُّرر : ٣/٤٦١ .

(٤) في الأصل : « الطبلخاناة » .

(٥) في (خ) و (س) : « جعل البدر طلعته له .. » .

(٦) في الأصل : « جنباتها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

وكان في مرح الشبيبة يجري مُرخى الرسن ، ويملأ عينيه في غفلة الزمان عنه من الوسن ، وورَّثه والده جملة من الأملاك والعين ، ورَخْتُ الإمرة الذي هو من النعمة الطائلة أحد النصفين ، فأذهب الجميع وتحمَّل ما يقاربه من الدين .

ولم يزل على حاله إلى أن خسف الموت بدره في الكمال ، وأودع في بطن الأرض منه جملة من الجمال .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في بكرة الأربعاء تاسع عشري شهر رمضان سنة ست وخمسين وسبع مئة[١] .

١٦٠٣ ـ محمد بن عالي بن نجم*

الشيخ شمس الدِّين الدمياطي .

سمع من النجيب ، والمعين الدمشقي .

وأجاز لي بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

وتوفِّي رحمه الله تعالى في ....[٢] .

ومولده سنة خمسين وست مئة .

١٦٠٤ ـ محمد بن عبد الجبّار**

معين الدِّين الأرمنتي الفلكي المعروف بابن الدُّوَيْك .

---

(١) وفي الدُّرر أنه توفِّي سنة (٧٥٠ هـ) .

* الوافي : ٣/١٨٠ ، ووفيات ابن رافع : ١/١٢٧ ، والدُّرر : ٤/١٣٣ ، وفيهما : « ابن غالي » .

(٢) كذا بياض في الأصل ، ولم يذكر وفاته في الوافي . وفي وفيات ابن رافع والدُّرر أنه توفي سنة (٧٤١ هـ) .

** الوافي : ٣/٢١٦ ، والطالع السعيد : ٥٢٧ ، والدُّرر : ٣/٤٩١ .

قال الفاضل كمال الدِّين الأدفوي : كان ينظم[(١)] ، وأنشدني من نظمه ، وكان يعمل التقاويم ، وأخبرني في بعض السنين أن النيل يقصّر[(٢)] فجاء نيلاً جيِّداً ، فعمل فيه بعض الشعراء أبياتاً منها قوله :

أُخرم تقويمَكَ يابنَ الدُّوَيك   من أينَ علم الغيبِ يوحَى إليك

[وتوفي رحمه الله تعالى في سنة أربعين وسبع مئة .

ومولده سنة إحدى وخمسين وستّ مئة][(٣)] .

١٦٠٥ ـ محمد بن عبد الرحمن بن يوسف بن محمد*

الإمام المفتي البارع شمس الدِّين أبو عبد الله ابن الشيخ المفتي الزاهد فخر الدِّين البعلبكي الحنبلي .

سمع من خطيب مَرْدا ، وشيخ الشيوخ شرف الدِّين الأنصاري ، والفقيه محمد اليونيني ، والزين بن عبد الدائم ، والرضي بن البرهان ، والنجم البادرائي ، وجماعة ، وتفقَّه على والده على الشيخ شمس الدِّين بن قدامة ، وجمال الدِّين بن البغدادي[(٤)] ، ونجم الدِّين بن حمدان[(٥)] .

وقرأ الأصول على مجد الدِّين الرووراوري ، وبرهان الدِّين المراغي .

وقرأ الأدب على الشيخ جمال الدِّين بن مالك . وحفظ القرآن وصلَّى بالناس وهو

(١) قوله : « كان ينظم » ليس في (س) .

(٢) في الوافي : « مقصّر » .

(٣) زيادة من (س) ، ومثله في الوافي .

* ترجم له في الوافي مرتين : ٢٣٨/٣ ، ٢٤٣ ، والعبر : ٤٠٣/٥ ، والشّذرات : ٤٥٢/٥ ، والدّارس : ٩٢/٢ .

(٤) (س) ، والوافي : « ابن البغدادي » ، وهو عبد الرحمن بن سلمان الحرّاني البغدادي (ت ٦٧٠ هـ) ، العبر : ٢٩٣/٥ ، والشّذرات : ٣٣٢/٥ .

(٥) أحمد بن حمدان بن شبيب الحرّاني (ت ٦٩٥ هـ) ، الإعلام للذهبي : ٢٩٠ .

ابن تسع ، وحفظ (المُقْنع) و (منتهى السُّول) للآمدي ، و (مقدمتي) أبي البقـاء ، وقرأ معظم (الشافية) لابن مالك .

وكان أحد الأذكياء المناظرين العارفين بالمذهب وأصوله ، والنحو وشواهده ، ولـه معرفة حسنة بالحديث والأسماء وغير ذلك وعنايةٌ بالرواية . وأسمع أولاده الحديث .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في شهر رمضان سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومولده سنة أربع وأربعين .

قال شيخنـا الـذهبي : سمع[1] بقراءتي (معجم) الشيخ علي بن العطـار ، ولي منـه إجازة .

وكان يبحث مع الشيخ تقي الدِّين بن تيميّة .

١٦٠٦ ـ محمد بن عبد الرحمن بن سامة*

ابن كوكب بن عـز بن حُمَيـد الطـائي السـواديّ ، الـدمشقي الصـالحيّ الحنبلي ، الحافظ المتقن المحدِّث الصالح شمس الدِّين أبو عبد الله ، نزيل القاهرة .

سمَّعوه من ابن عبد الدائم . وطلب بنفسه فسمع من ابن أبي عُمَر ، وابن الدرجي ، والكمال عبد الرَّحيم ، وأصحاب حنبل والكنـدي . وارتحل فسمع بمصر من العز الحرّاني ، وابن خطيب المزة ، وغازي الحلاوي ، وببغداد من الكمال الفويرة وعدّة بواسط وحلب والثغر ، وانتهى إلى أصبهان . قال شيخنا الذهبي : وما أظنه ظفر بها برواية .

وقرأ الكثير من الأمهات ، وانتفع به الطلبة .

---

(١) في الأصل : « سمعت » ، وأثبتنا ما في (س) ، والوافي .

* الـوافي : ٢٣٨/٣ ، والإعـلام : ٢٩٧ ، والـدُّرر : ٤٩٧/٣ ، والشَّـذرات : ١٧/٦ ، ووقـع في الأصـل : « شامة » تصحيف .

وكان فصيحاً سريع القراءة حسن الخط ، له مشاركة في أشياء ، وفيه كَيَس وتواضع ودين وتلاوة ، وله أوراد ، وتزوّج بأخَرة .

وكان عمّه شهاب الدِّين بن سامة محدثاً عدلاً شروطيّاً ، نسخ الأجزاء وحمل عن ابن عبد الدائم وعدة .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ رابع عشري ذي القعدة يوم الثلاثاء سنة ثمان وسبع مئة .

ومولده سنة اثنتين وستين وست مئة .

وكانت وفاته بالقاهرة ، ودفن بالقرافة بالقرب من الإمام الشافعي .

١٦٠٧ ـ محمد بن عبد الرَّحمن بن عبد الوهاب*

بهاء الدِّين الأسنائي .

كان فقيهاً فرضيّاً فاضلاً ، تفقَّه على الشيخ بهاء الدِّين هبة الله القفطي ، وقرأ عليه الأصول والفرائض والجبر والمقابلة ، وكان يقول له : إن اشتغلت ما يقال لك إلا الإمام .

وكان حسن العبارة ، ثاقب الذهن ، ذكيّاً ، فيه مُرَوّة ، بسببها يقتحم الأهوال ، ويسافر في حاجة صاحبه الليلَ والنهار .

قال كمال الدِّين جعفر : ثم ترك الاشتغال بالعلم وتوجَّه لتحصيل المال فما حصل عليه ولا وصل إليه .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ بقوص ليلة الأضحى سنة تسع وثلاثين وسبع مئة .

---

* الوافي : ٢٤١/٣ ، والطالع السعيد : ٥٣٣ ، والدُّرر : ٤٩٩/٣ .

١٦٠٨ ـ محمد بن عبد الرَّحمن بن محمد بن زيد*

البُقْراط الدَّنْدَرِي ، بدالين مهملتين بينهما نون ساكنة وبعد الدال راء(١) .

قرأ القرآن على أبي الربيع سليمان الضرير البوتيجي ، وقرأ أبو الربيع على الكمال الضرير ، وتصدر للإقراء ، وقرأ عليه جماعة بدندرا ، واستوطن مصر مدة ، واشتغل بالنحو مدة ، واختصر (اللمحة)(٢) نظماً ، وقال في أول اختصاره :

وها أنا اخترتُ اختصارَ اللمحة ... أمنحهُ الطلاب فهو مِنْحَه
وفي الذي اختصرتُه الحشوَ سَقَطْ ... ليقربَ الحفظَ ويَبْعُد الغَلَط(٣)
وفيهِ أيضاً بِما أُريدُ ... فائدةٌ يحتاجُها المريد(٤)

قال الفاضل كمال الدِّين الأدفوي(٥) : وهو الآن حي .

قلت : ....(٦)

١٦٠٩ ـ محمد بن عبد الرَّحمن بن محمد**

ابن عمر بن عبد الرَّحيم ، الصَّدر الرئيس الكاتب شهاب الدِّين ، أبو عبد الله بن العجمي كاتب الدرج بحلب ، وهو أخو الشيخ عز الدِّين عبد المؤمن ، وأخو الخطيب شمس الدِّين أحمد .

---

* الوافي : ٢٤١/٣ ، والطالع السعيد : ٥٣٠ ، والدُّرر : ٧/٤ ، والبغية : ١٥٨/١ .
(١) نسبة إلى دندرة ، بلدة غربي النيل من نواحي الصعيد ، دون قوص . (معجم البلدان) .
(٢) في الوافي والبغية والطالع : « الملحة » ، والمراد باللمحة : اللمحة البدرية لأبي حيان الأندلسي ، وذكر صاحب الكشف : ١٥٦١/٢ ، اختصار الدندري لها .
(٣) في الدُّرر : « وينتفي الغلط » .
(٤) في الأصل و (س) : « أريد » ، في الوافي : « أزبد » ، وفي الطالع والدُّرر : « أزيد » .
(٥) (س) والوافي : « جعفر الأدفوي » .
(٦) كذا في الأصل و (س) ، ولم تذكر سنة وفاته .
** الدُّرر : ٧/٤ .

وقد تقدَّم ذكرهما في مكانيهما ، وكانوا قد سمعوا على الشيخ كمال الدِّين بن النصيبي (الشمائل) للترمذي في سنة ثمان وثمانين وست مئة .

وتوفِّي[١] ـ رحمه الله تعالى ـ تاسع عشر شوال سنة ثلاثين وسبع مئة ، ودفن بتربتهم .

١٦١٠ ـ محمد بن عبد الرَّحمن بن عمر*

الشيخ الإمام العلامة ، ذو الفنون ، قاضي القضاة جلال الدِّين أبو عبد الله القزويني الشافعي الأشعري .

سمع من الشيخ عز الدِّين الفاروثي وطائفة . وأخذ المعقول عن شمس الدِّين الأيكي .

كان قاضي القضاة جلال الدِّين شريفَ الخِلال ، مُنيفَ الجلال ، وارفَ الظِّلال ، صارف الملال ، طَوْد حلم ، وبحر علم ، يتموَّج فضائل ، ويتبرَّج براهين ودلائل ، بذهن يتوقد ، ويَدورُ على قطب الصَّواب كالفرقد ، قد ملأ الزمان جودا ، وجعل أقلام الثناء عليه رُكَّعاً وسُجودا .

ولم يُرَ قاض أشبه منه بوزير ، ولا إنسان كأنه وفي أثوابه أسد يزير[٢] ، يجلس إلى جانب السلطان في دار عدله ، ويغدو كالشمس بين[٣] أهلّة وأهْلِه ، مهما أشار به هو الذي يكون ، ومهما حركه فهو الذي لا يعتريه سكون . يرمّل على يد السلطان لا يفعل ذلك غيره إذا حضر ، ولا يتقدم عليه سواه من أشراف ربيعة أو مضر :

(١) (س) : « وتوفِّي شهاب الدِّين المذكور » .

* الوافي : ٢٤٢/٣ ، والبداية والنهاية : ١٨٥/١٤ ، ووفيات ابن رافع : ٧٦/١ ، والدُّرر : ٣/٤ ، والنُّجوم الزَّاهرة : ٣١٨/٩ ، والبغية : ١٥٦/١ ، والشَّذرات : ١٢٣/٦ ، والدَّارس : ٣٤٨/١ .

(٢) زار يزيز : مثل : زأر ، يزأر ...

(٣) في الأصل : « في بين » ، وأثبتنا ما في (س) .

فـــالأمرُ مردودٌ إلى أمْرِهِ وأمْرُه ليسَ لــــهُ رَدُّ

جمع بين قضاء الشام والخطابة ، وفاز في كل المنصبين بالإصابة ، وطُلب إلى قضاء الدِّيار المصريَّة فسَدَّ ما فَسَد ، وعَوَّذَتْهُ مكارمه ﴿ مِن شَرِّ حاسِدٍ إذا حَسَدَ ﴾[1] ، وأقام هناك مدة ينشر ألوية علومه ، ويفيض على الناس سواكب غيومه . ثم إنه عاد إلى الشام عود الغمام إلى الروض إذا ذوى ، والبدر التمام إلى الأفق الذي زلَّ[2] نجمه وهوى ، فجدَّد معاهد الفضل والإفضال ، وعمَّر غابَهُ بالليث الخادر أبي الأشبال .

ولم يزل على حاله إلى أن زال ذلك الطَّوْد ، وزلَّ وتقشَّع ذلك المطر الْجَوْد[3] .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ منتصف[4] جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وسبع مئة . وشيَّع جنازته خلقٌ عظيم ، ودفن في مقابر الصوفيّة .

ومولده بالموصل سنة ست وستين وست مئة .

وسكن الروم مع والده وأخيه ، وولي بها قضاء ناحية وله من العمر نحو ثلاثين سنة ، وتفقَّه وناظر واشتغل ، وتخرَّج به الأصحاب ، وناب في قضاء لأخيه قاضي القضاة[5] سنة ست وتسعين ، وناب في ما أظن لقاضي القضاة نجم الدِّين بن صصرى في أول المحرم سنة خمس وسبع مئة . وولي خطابة الجامع الأموي مدّة .

وطلبه السلطان إلى دمشق في جمادى الأولى سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، وشافهه بولاية قضاء الشام ، ووصله بذهب كثير ولَمّا طلبه دافع عنه تنكز ، فقال : هذا عليه ديون كثيرة ، وابنه نحس ما يحمل أن يكون أبوه قاضي القضاة[6] . فقال

---

(١) سورة الفلق : ١١٣/٥ .

(٢) في الأصل : « الأفق زال » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٣) (س) : « المطر والجود » .

(٤) في (س) : « في منتصف » .

(٥) (س) والوافي : « قاضي القضاة إمام الدِّين » .

(٦) في الأصل و (س) : « ما يحمل » ، وعبارة الدُّرر : « وابنه نحس ما يصلح أن يلي أبوه القضاء فيحتمله الناس » .

السلطان : أنا أوْفي دينه ، وولده أنا أدعه يقيم في الديار المصرية . فجهزه في نصف جمادى الأولى سنة أربع وعشرين وسبع مئة . صلى بالناس صلاة الخسوف لأن القمر خُسف تلك الليلة . ثم إنه صلى الصبح يوم الخميس وسافر إلى القاهرة .

وعاد إلى دمشق في خامس شهر رجب يوم الخميس ، وباشر المنصب على أتمّ ما يكون وصرف مال الأوقاف على الفقراء والمحتاجين وراك المدارس ، واستناب الشيخ جمال الدين بن جملة والشيخ فخر الدِّين المصري .

ولما كان في يوم الجمعة نصف جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين وسبع مئة وصل البريد إلى دمشق فطلبه إلى مصر وولاّه السلطان قضاء الديار المصريَّة ، وعظَّمه ورفع شأنه ، ورأى من العزّ والوجاهة ما لا رآه غيره .

وكان يرمّل على يد السلطان في دار العدل .

قال لي القاضي شرف الدِّين أبو بكر بن الشهاب محمود ، وقد كان كاتب السِّر بمصر ، وقد خرج من يوم اثنين نهار دار عدل[1] : اليوم أخْرَج قاضي القضاة جلال الدِّين من كمِّه ست عشرة قصة غير ما شفع فيه وأشار به وشكر منه ، والجميع يَقْضيه السلطان وما يردّه .

وحجَّ مع السلطان ، ورتَّب له ما يكفيه بزيادات ، وأحسن في مصر إلى أهلها وإلى الشاميين ، وكان في باب السلطان ذخراً وملجأ لمن يقصده من الشاميين يشفع له ويساعده على مقاصده ، ويصله عند قدومه وعند سفره وما بين ذلك . وأحبَّه المصريون ، وفتح لهم باب الاشتغال في الأصول . كنت يوماً عنده وقد جاء إليه محضر فيه شهود ، فوقف على أسماء الشهود اسماً اسماً ، والتفت[2] وقال : من هو فلان ؟ فقال أحد الواقفين : أنا يا مولانا ، فقال له : ما أنت الذي كان يعمل الدوادارية لقبجق ؟

(١) (س) : « دار العدل » .

(٢) في الأصل : « التفت » ، وأثبتنا ما في (س) .

قال : نعم . قال : ما هذه الحالة ؟ فشكا بطالة وقلة . فقال له : اصعد إلى فوق ، وأجْلَسَه . ولَمّا انقضى ذلك الشغل وخفَّ المجلس ولم يبقَ إلاّ من هو به[١] خاصّ أخرج كيس النفقة ونفضه فنزل منه ما يقارب المئة . فقال[٢] : خُذ هذه ارتفق بها في هذا الوقت وعُد إذا فرغت ، ولما كان في ...[٣] رسم له السلطان بالعود إلى دمشق قاضي القضاة كما كان أوّلاً ، فحضر إليها وصحبه ، وصحب أولادُه من المجلدات النظيفة النفيسة ما يزيد على خمسة آلاف مجلد ، وفرح الناس به . فأقام قليلاً وتعلَّل ، وأصابه فالج إلى أن توفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في التاريخ المذكور ، وتأسَّف الناس عليه لِمَا كان فيه من الحلم والمكارم وعدم الشَّرِّ وعدم المجازاة لمن أساء إليه إلا بالإحسان .

وكان ينتسب[٤] إلى أبي دلف العجلي وكرمه بصدق هذه الدعوى .

وكان فصيحاً بليغاً في وقت البحث والجدل ، منطقياً إلا إذا علا صهوة المنبر فإنه ليس ذلك ، لغلبة الحياء .

وكان مليح الصورة ، حلو العبارة ، كبير الذقن رسلها ، موطأ الأكناف ، سَمْحاً ، جواداً حليماً ، جمّ الفضائل ، حادَّ الذهن ، يراعي قواعد البحث . وكان يحب الأدب ويحاضر به ، وله فيه ذوق كثير يستحضر نكته ، ويكتب خطّاً جيِّداً حسناً . وصنَّف في المعاني والبيان مُصَنَّفاً وسمَّاه (تلخيص المفتاح) ، وشرحه وسمّاه (الإيضاح)[٥] ، وقرأ عليه جماعة بمصر والشام ، وكان [يعظِّم][٦] الأرَّجاني الشاعر ، يرى[٧] أنه من مفاخر العجم ، واختار شعره وسمّاه (الشَّذر المرجاني من شعر الأرَّجاني) .

(١) (س) : « فيه » .

(٢) (س) : « فقال له » .

(٣) كذا بياض في الأصل و (س) .

(٤) في الأصل : « ينزل » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٥) وهو مطبوع .

(٦) زيادة من (س) .

(٧) في (س) : « ويرى » . والأرجاني هو أحمد بن محمد (ت ٥٤٤ هـ) ، وديوان شعره مطبوع . الأعلام : ٢١٥/١ .

وعلى الجملة فكان من أفراد الزمان في مجموعه علماً وعقلاً وأخلاقاً . وأجاز لي بخطه في سنة ثمان وعشرين[١] بالقاهرة .

وكتبت أنا إليه أهنّيه في الدّيار المصريّة لَمّا قدم من الحج سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة بقصيدة فائيَّة وهي :

من خصَّ ذاكَ البنانَ الغضّ بالتَّرَف ... وزانَ ذاكَ القوامَ اللّدْن بالهَيَفِ
وضَمَّ في شَفتيها درَّ مَبْسَمِها ... فراحَ من أحمرِ المرجانِ في صَدَفِ
وحَلَّلَ الفرقَ فرعاً من ذوائبها ... والبدرُ أحسن ما تلقاهُ في السُّدَفِ
عُلقتها من بناتِ التُّركِ قد غَنيَتْ ... بدمعِ عاشِقِها عن منّةِ الشُّنُفِ[٢]
يَلقى المتيَّم من تثقيفِ قامتِها ... ما لا يُلاقيهِ كوفيٌّ مِنَ الثَّقفي[٣]

ومنها :

في حفظِ سالِفِها لِلْحُسنِ تَرْجَمَةٌ ... فاقَتْ وما اتَّفَقَت للحافظِ السَّلَفي
يا للهَوى عينها عينٌ ؛ وحاجبها ... نُون وتمّ العَنا من قدّها الألِفي
يا هذهِ إنَّ للأشعارِ مُعجِزَةً ... تَبقى عنِ السَّلفِ الماضينَ لِلْخَلَفِ
ضعي بنانكِ مَخضوباً على جسَدي الـ ... بالي ليَجتَمِعَ العُنّابُ بالحشفِ[٤]
يا عاذِلي في هَوى عينَيْ مُحجّبة ... خَفْ شرَّ ناظرِها ، فالسّرّ فيه خَفي
ودّع فؤادي ودَعْه نصبَ ناظرِها ... لا ترمِ نفسكَ بين السَّهمِ والهَدَفِ
إنّي لأعجَبُ للعُذّالِ كيف رأوا ... شَخصي وقد رحت ذا روحٍ تردّد في[٥]

---

(١) (س) : « ثمان وعشرين وسبع مئة » .

(٢) في الأصل و (س) : « قد عنيت » ، تصحيف .

(٣) الثقفيّ هو الحجّاج بن يوسف .

(٤) لعلّه أفاد من قول امرئ القيس في معلّقته :

كأنَّ قلوبَ الطَّيرِ رطباً ويابساً ... لَدى وكرِها العنّابُ والْحَشَفِ البالي

(٥) يشير إلى قول المتنبي :

روحٌ تردَّدَ في مثلِ الخلالِ إذا ... أطارَتِ الرِّيحُ عنهُ الثَّوبَ لم يبنِ

ديوانه : ١٨٦/٤ .

أليسَ يشغلهم طيب الثّنـــــاء على ... قاضي القضاة جلالَ الـدِّين عن شَغَفي
ويستَفِـزّهُم أفراحُ مَقْـــدمِـــــه ... من حَجِّه وهو مِثـل الشّمسِ في الشَّرَفِ
حَـجّ غَـدا حُجَّة في الـدَّهرِ ثـابتـة ... إن ينكَسِف نورهـا للشَّمسِ تنكسِفِ
كم جـابَ في سَيرِه والعيس قـد سَئمت ... جذبَ البُرى والسُّرى في مهمه قُـذفِ
والرَّكبُ من فضلـهِ أو من فضـائلِـه ... مـــا بينَ مُغترفٍ منـــهُ ومُعترفِ
حتّى نَضـــا الإحرام مَلْبَسَــــه ... عنِ الهُـدى والنَّـدى والعلمِ والصَّلفِ
وراحَ ذا جسـدٍ قـد طـابَ عُنصرُه ... عـارٍ من العـارِ بـالإحسـان ملتَحِفِ
مـا مَسَّ طيبـاً وإن كانَ الحجيـجُ بِها ... أثْنَـوا عليــهِ غَـدوا في رَوضَـةٍ أُنُفِ
وأمَّ أُمَّ القُرى ذاتَ القَرارِ ومَنْ ... يطلبُ رِضى اللهِ في تلكَ الـدِّيـارِ كُفي
وطـافَ بـالبيتِ فـارتـاحَ المقامُ لـهُ ... لَمّـا تَمَسَّــكَ بـالأستـارِ والسَّجَفِ
فكلُّ رُكنٍ إذا حـــاذاهُ منكِبُـــهُ ... يـودُّ لـو كان عنـــهُ غير مُنعَطِفِ
وراحَ في عرفـــاتٍ واقفــاً ولـــهُ ... عُرْفٌ يسيرُ بـــــهِ عِرْقٌ ولم يَقِفِ
وفي مِنًى كم أنـــالُ الطَّـــالبينَ مُنى ... أمْسوا بها عن سَطا الأعـداءِ في كَنَفِ
وجـاء طيبـةَ يَقضي حـقَّ سـاكِنِهـا ... ومثـل ذمتـــهُ تُرعى لـــهُ وتَفي
وزارَ مَن لم يَـــزَل في نَصرِ مِلَّتِـــهِ ... وشَرْعِـهِ بـالقَضـا يـا خَيْرَ مُعتكفِ
هـذا الإمـامُ الـذي تَرضى حكـومتُـه ... خلافَ ما قالهُ النَّحويُّ في الصُّحُفِ(١)
حَبْرٌ متى جـالَ في بحثٍ وجـادَ فـلا ... تَسـأل عنِ البحرِ والهطّـالـة الـوكفِ
لـــهُ على كلِّ قـولٍ بـــاتَ ينصرُهُ ... وجـهٌ يُصـانُ عنِ التَّكليفِ بـالكَلَفِ
قــد ذَبَّ عن مِلَّـةِ الإسـلامِ ذَبَّ فتى ... يَحمي الحِمى بـالعوالي السُّمرِ والزّعفِ
ومَـذهبُ السُّنَّـةِ الغَرّاء قــامَ بــه ... وثقفَ الحـــقّ من حَيْفٍ ومن جَنَفِ
يــأْتي بكلِّ دليـلٍ قـد جَـلا جـلاً ... فليسَ ينسفُـهُ مـا مغلـط النّسفي

---

(١) يشير إلى بيت الفرزدق المشهور عند النحاة :

مـا أنت بـالحكم لترضى حكـومتـه ... ولا الأصيل ولا ذي الرأي والجدل

وقد شَفى العيَّ لَمّا باتَ مُنتصِراً للشّافعي بزَعمِ المذهبِ الحنفي[(١)]
تحمي دروسَ ابن إدريس مباحثُهُ فحبَّذا خلفٌ منهُ عن السَّلَفِ
فما رأى ابن سُرَيج إذْ يناظِرُهُ من خيلِ ميدانِهِ فلْيَمضِ أو يَقِفِ
ولو أتى مزنيُّ الوَقتِ أغرقَهُ ولم يَعُد قطرةً في سُحبِهِ الذُّرفِ
وقَد أقامَ شِعارَ الأشعريِّ فَما يشكُّ يوماً ولا يَشكو منَ الدَّنفِ
وليسَ للسَّيفِ حَدٌّ يَستقيمُ لهُ ولو تَصدَّى لهُ ألقاهُ في التَّلَفِ
والكاتِبيّ غَدا في عينِهِ سَقَمٌ إذْ راحَ يَنظُرُ من طَرْفٍ إليهِ خَفي
مِن مَعْشَرٍ فَخرِهِم أبقاهُ شاعرهُم في قولِه: «إنَّما الدُّنيا أبو دُلَف»[(٢)]
هو الحفيّ بما يوليهِ مِن كَرَمٍ فما جَرى قَلَمٌ في مَدحِهِ فَحَفي
لوشاءَ في رِفعَةٍ مِن مَجدِهِ وُغلا لَمَدَّ نحو الثُّريا كَفَّ مُقتطِفِ[(٣)]
قد زانَ أيّامَهُ عدلٌ ومعرفةٌ فسعدُهُ في دوامٍ غيرَ مُنصَرِفِ
يَغْدو الضعيفُ على الباغينَ مُنتصِراً ولم يكُن قبلَهُ منهُم بمُنْتَصِفِ
لو يَشْتكي النَّهرُ مثلَ الغصنِ عنهُ مع الصَّبَا إليهِ رَمى عَطفَيْهِ بالقَصفِ
بَل لوشَكى الدَّهرَ خَصمٌ من بَنيهِ غَدا مِن خَوفِهِ بينَ مرتَجٍّ ومُرتَجِفِ[(٤)]
دامَت مآثِرهُ اللاتي أنظمُها تهدي لسَمعِ المعالي أحسنَ التُّحَفِ
ما رَسَخَت عَذَباتُ البانِ سافحةً مِنَ الصَّبَا وشَفت صَبّاً منَ الأسفِ

فكتب هو إليَّ قرين ما بُعث به :

يا مولانا هذه الأبيات التي تفضلت بإرسالها ، وأنبطت[(٥)] معين زلالها ، ما أقول فيها إلاَّ أنَّها ذهبٌ مسبوك ، أو وشيٌ محبوك ، أو ستر ظلام عن الذراري مهتوك ،

(١) ليست في الأصل ، وهي ثابتة في (س) .
(٢) سلفت الإشارة إليه .
(٣) (س) : « من رفعة » .
(٤) في الأصل : « من خوف » ، ولا يستقيم بها الوزن ، وأثبتنا ما في (س) .
(٥) نبط الماء : نبع .

أو دمعٌ مسفوح من صبٍّ دَمَّةً في الحبِّ مسفوك ، قد رقَّ وراق وراع ، وأمال الأعطاف وشنَّف الأسماع ، وتألَّق في دياجي سطوره برقُ معناه اللَّمّاع . كم قد تلعَّبتَ فيه بضروب الفنون ، وخضت من أنواع العلوم في شجون ، أخمَلْتَ أرْجَ الخمائل من الأرّجاني ، وأهنتَ ما عزَّ من أبكار ابن هاني :

وأخذتَ أطرافَ الكلامِ فلم تَدَع قَولاً يُقالُ ولا بَديعاً يُدَّعى

فكذا فليكن كلام الأفاضل ، وكذا فليكن مَن يناصر أو يناضل . لقد تفضل مولانا بأوصاف هو أحقّ بها مِمَّن وصَفَه ، وأولى بأن يجعل إليه مرجعه ومَصْرفَه ، ومن تمام الإحسان العميم والبرِّ الجسيم ، قبولُ ما جهَّزه المملوك[1] صحبة محكم القاضي ضياء الدِّين فإنه نَزْر ، وما يقابل مَنْ هذا مَدُّه بهذا الْجَزْر[2] ، والله تعالى يمتِّع الزمان وأهله بهذه الكلمات ، ويمد بعونه في الحركات والسكنات ، إن شاء الله تعالى .

١٦١١ ـ مُحَمَّد بن عبد الرَّحمن*

الصَّدر الرئيس الكبير ، القاضي شرف الدِّين ابن القاضي الكبير[3] ابن العدل أمين الدِّين سالم ابن الحافظ بهاء الدِّين أبي المواهب الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن صصرى التغلبي[4] الدمشقي .

سمع كثيراً من الحديث . وسُمّع رضيعاً بقراءة شيخنا البرزالي على والديه وجدّته

---

(١) (س) : « ما جهّزه المملوك صحبة محبكم القاضي ضياء الدّين » .

(٢) في الأصل و (س) : « الحرر » ، تصحيف .

* البداية والنهاية : ٨٦/١٤ ، والدُّرر : ٩/٤ ، وثمة اختلاف في نسبه ، ففي البداية والنهاية هو « شرف الدّين محمد بن عال الدّين إبراهيم بن شرف الدّين عبد الرَّحمن بن أمين الدّين سالم ... » . وفي الدُّرر هو : « محمد بن عبد الرَّحيم بن سالم ... » .

(٣) ثمَّة بياض بعد هذه الكلمة في (س) .

(٤) في الأصل : « الثعلبي » ، وأثبتنا ما في (س) والدُّرر .

وخاله ، ثم سمع على الشيخ فخر الدِّين [بن][1] البخاري (مشيخة) بكمالها . وكان صدراً يملأ العين والصَّدر ، ويَخْجَلُ لمحاسنه البَدْر ، يستحيي الغمام من جوده ، ويَهَب كل ما هو في موجوده ، ساد على الدماشقة ، بكثرة المكارم ، وعلَّم الناس السماح حتى الغمائم :

ولهذا أثنَتْ عليهِ اللَّيالي ومَشَتْ دونَ سَعْيِهِ الأيّامُ

ولم يزل في المعالي يترقَّى ويحاذر الملام ويتوقَّى إلى أن فاضت نفسه وهو محرم يلبِّي ، وختم الله له بخير فهو يخبأ له عمله ويربِّي .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ سابع ذي الحجة سنة سبع عشرة وسبع مئة ، وعمره خمسة وثلاثون سنة ، ودفن ضحوة[2] يوم التروية بمقبرة الحجون على باب مكة .

وكان له همَّة وعزمة ومعرفة وكفاية . باشر بدمشق نظر الأشراف ، ونظر الجامع الأموي ، ولبس خلعَة بصحابة الديوان في سادس عشر المحرم سنة اثنتي عشرة وسبع مئة ، ولبس الصّاحب غبريال[3] أيضاً لنظر الدواوين ، وكان هو[4] قد وصل من حماة إلى دمشق في شهر رمضان سنة ثمان وسبع مئة ، وكان بها ناظراً لَمّا أُقطعت حماة للأمير سيف الدِّين قبجق ، وولي عوضَهُ بهاء الدِّين عبد الصَّمد بن المغيزل وباشر نظر الجامع الأموي في ذي القعدة من السنة المذكورة .

ومن مكارمه ما حكاه لي عنه القاضي الرئيس ضياء الدِّين أبو بكر بن خطيب بيت الآبار بالقاهرة ، قال : كنّا عنده ليلة وقد أحضر حلوى ليجهزها لبعض أصحابه الذين يقدمون من الحجاز ، قال : فأكلناها بمجموعها ، ثم إنه أحضر عوضها مرة

---

(١) زيادة من (س) .

(٢) (س) : « ضحية » .

(٣) (س) : « شمس الدِّين غبريال » .

(٤) ليست في (س) .

أخرى ، فأكلناها بمجموعها ، ثم إنَّه أحضر الثالثة ، وأنا في شك هل قال : فأكلناها ، وأحضر الرابعة أوْ لا ، وأهلُ دمشق يحكون عن كرمه غرائب ـ رحمه الله تعالى ـ .

وكان قد تولَّى صحابة الديوان بدمشق في سادس عشر المحرم سنة اثنتي عشرة وسبع مئة ، وخُلِعَ عليه وعلى الصاحب شمس الدِّين غبريال .

١٦١٢ ـ مُحَمَّد بن عبد الرَّحيم بن الطيِّب القيسي*

الأندلسي الضرير العلاّمة الضرير المقرئ أبو القاسم .

تلا بالسَّبع على جماعة ، وسكن سبتة ، أراده الأمير العَزَفيّ[1] أن يقرأ في شهر رمضان (السيرة) فبقي يدرس في كلِّ يوم ميعاداً ويُورده ، فحفظها في شهر رمضان . وكان طيب الصوت صاحب فنون ، يروي عن أبي عبد الله الأزدي ، وأخذ عنه أئمة .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى[2] ـ في رمضان سنة إحدى وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاثين وست مئة أو نحوها .

١٦١٣ ـ مُحَمَّد بن عبد الرَّحيم بن مُحَمَّد الأرموي**

الشيخ الإمام العلاّمة المحقق صفيّ الدِّين أبو عبد الله الشافعي الأشعري المعروف بالهندي .

---

* الوافي : ٢٤٨/٣ ، ونكت الهميان : ٢٥٤ ، والدُّرر : ١٠/٤ ، وغاية النهاية : ١٧١/٢ .

(١) محمد بن أحمد ، أمير سبتة ، وهو أول من ولي الإمارة من بني أبي عَزَفة (ت ٦٧٧ هـ) . انظر الأعلام : ٣٢٣/٥ .

(٢) ثمة بياض بعد هذه الكلمة في (س) . وفي الدُّرر والغاية أنه توفي في رمضان .

** الوافي : ٢٣٩/٣ ، وفيه : « محمد بن عبد الرَّحمن » ، والبداية والنهاية : ٧٤/١٤ ، والدُّرر : ١٤/٤ ، والشَّذرات : ٣٧/٦ ، والدّارس : ٩٧/١ ، والبدر الطالع : ١٨٧/٢ .

كان قيِّماً بفن الكلام ، عارفاً بغوامضه التي خفيت عن السيف والإمام ، لو رآه ابن فُورَك[(١)] لانفرك ، أو الباقلاني لقلا معرفته ، ووقع معه في الدَّرَك ، أو أمام الحرمين لتأخر عن مقامه ، أو الغزالي لما نسج (المستصفى)[(٢)] إلاّ على منواله ولا رصفه إلاّ على نظامه ، أو ابن الحاجب لحمل العصا أمامه ، وجعله دون الناس إمامه . مع سلامة باطن تنعتُه يوم حشره ، وديانة طواها الحافظان له إلى يوم نشره ، ومودة لا تُنْسى عهودها ، ولا تجفو على كبره مهودها ، وانعطاف على الفقراء وحُنّو ، وبراءة من الكبرياء والعتو[(٣)] . أقرأ الكبار وأفادهم ، وأفاض عليهم فضلة فَضْلِهِ وزادهم .

ولم يزل على حاله إلى أن تكدَّر للصفي مورد حياته ، وناداه الموت بإغفال شياته ، فبات الدينُ وقد ثلم هنديُّه ، وثلَّ عرش الأصول بل هُدَّ نديّه .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ ليلة الثلاثاء تاسع عُشْرَي صفر سنة خمس عشرة وسبع مئة بمنزله بالمدرسة الظاهرية بدمشق ، ودفن في مقابر الصوفيّة .

ومولده في ليلة الجمعة ثالث شهر ربيع الآخر سنة أربع وأربعين وست مئة بالهند .

وكان له جدّ لأمه فاضل من [أهل][(٤)] العلم هو شيخه ، قرأ عليه ومات سنة ستين وست مئة ، وخَرَج من دهلي[(٥)] البلد المشهور بالهند في شهر رجب سنة سبع وستين وست مئة ، ودخل اليمن ، وأقام بمكة نحواً من ثلاثة أشهر ، واجتمع بابن سبعين .

ولَمّا كان باليمن أكرمه المظفر وأعطاه أربع مئة دينار . ثم إنه ركب البحر ،

---

(١) محمد بن الحسن ، من علماء الكلام والأصول (ت ٤٠٦ هـ) ، السير : ٢١٤/١٧ .

(٢) الكشف : ١٦٧٣/٢ .

(٣) في (س) : « والتجبر والعتو » .

(٤) زيادة من (س) .

(٥) في الوافي : « دلهي » .

ودخل الديار[١] المصرية في سنة سبعين ، وخرج منها ، ودخل البلاد الرومية وأقام بها إحدى عشرة سنة ، منها خمسة[٢] بقونية ، وخمسة بسيواس ، وسنة بقيصريّة . ودرَّس بقونية وسيواس ، واجتمع بالقاضي سراج الدّين الأرموي وأكرمه وأخذ عنه المعقول .

وخرج من الروم سنة خمس وثمانين وست مئة ، وقَدِمَ دمشق وأقام بها واستوطنها وعقد حلقة الإشغال بالجامع الأموي وقرأ عليه الأعيان وفضلاء الناس ، ودرَّس في دمشق بالرواحيّة[٣] والدّولعيّة والأتابكيّة والظاهريّة . وكان مقصوداً بالاستفتاء ، ويكتب كثيراً في الفتاوى . وكان فيه خيرٌ وديانة وبرٌّ للفقراء يُفَطِّر في شهر رمضان عشرة من الفقراء الضعفاء .

وصنَّف في أصول الدّين كتاب (الفائق)[٤] ، وكان يقوم في الليل فيتوضّأ ويلبس أفخر ثيابه ، وعلى ما قيل حتى الخفّ والمهماز ، ويصلّي ورده في جوف الليل ، وكان يحفظ ربع القرآن لا غير . قيل عنه إنه قرأ يوماً في الدرس : « الْمَصّ » ، مصدر يمصّ مصّاً ، ولم ينطق بها حروفاً[٥] مقطّعة كما هو لفظ التلاوة .

وممن تخرَّجَ عليه الشيخ صدر الدّين بن الوكيل وغيره ، وأظن الشيخ كمال الدّين بن الزملكاني أيضاً ، وكان في بعض مدارسه ناظر لا ينصفه ، فقال : هذه المدرسة يُعمل فيها بآيتين من كتاب الله تعالى ، المدرّس : ﴿ لَيسَ لَكَ مِنَ الأمرِ شَيءٌ ﴾[٦] ، والناظر : ﴿ لا يُسألُ عَمّا يَفعَلُ ﴾[٧] .

ولَمّا عقد بعض المجالس للعلاّمة تقي الدّين بن تيميّة عُيِّن صفي الدّين الهندي

---

(١) (س) : « إلى الديار » .
(٢) (س) : « خمس سنين » .
(٣) في الأصل : « الرواجية » .
(٤) الكشف : ١٢١٧/٢ .
(٥) في الأصل : « حروف » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٦) سورة آل عمران : ١٢٨/٣ .
(٧) سورة الأنبياء : ٢٣/٢١ .

لمناظرته ، فلما وقع الكلام قال لابن تيميّة : أنت مثل العصفور تنط من هنا إلى هنا . وقيل : إن الشيخ تقي الدِّين ذكر ما هو المشهور في سبب تسمية المعتزلة بهذا[(١)] الاسم ، وهو أن واصل بن عطاء لَمّا اعتزل حلقة الحسن البصري سمي بذلك معتزلاً ، فيقال إن الشيخ صفي الدِّين قال : لا نُسَلِّم[(٢)] . فقال الحاضرون : ما يقال في نقل التاريخ لا نسلِّم ، وكان ذلك سبب نصرة ابن تيميَّة . ومنها أن قاضي القضاة نجم الدِّين بن صصرى قال لابن تيميّة : هذا الكلام الذي يثلج الصدر . فقال له الشيخ كمال الدِّين بن الزملكاني : والله تَسخَرَّ[(٣)] وجه الشافعية بتلك الحاجة لما كنت[(٤)] أنت حاكمهم ، فقال لابن صصرى : لي يقال هذا الكلام ؟ اشهدوا عليَّ أني عزلت نفسي من القضاء ، فانفصل المجلس على غضب ابن صصرى .

قلت : وما أُنصف[(٥)] صفي الدِّين الهندي في قوله[(٦)] ، لعله كان عنده سببٌ آخر لتسمية المعتزلة غير ذلك ، إذ هو ممكن .

وما رأيت أضعف ولا أوحش من خَطِّه ومن خط الشيخ شمس الدِّين بن الأكفاني ، وقد تقدم ذكره . وقيل إنه أجري بين يديه ذكر خطِّه ، فقال له بعض الطلبة : والله ياسيِّدي ما رأينا أوحش من خطِّك . فقال : والله البارحة رأيت كرّاساً أوحش من خطِّي . فقالوا له : هذا يمكن . فقام وأتى بالكراسة فإذا بها أوحش من [خطِّه][(٧)] ، واعترفوا بذلك ، ثم إنَّ ذلك الطالب تتبع الكلام إلى آخره فوجدَ آخره : وكتب محمد بن عبد الرَّحيم الأرموي . فقالوا : هذه بخطِّك ، فأعجبه ذلك ، وضحك .

---

(١) في الأصل : « لهذا » ، وفي (س) : « هذا » .

(٢) في الأصل : « نسلم » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٣) (س) : « قد تسخّر » .

(٤) (س) : « صرت » .

(٥) في الأصل : « انصرف » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٦) (س) : « لقوله » .

(٧) زيادة من (س) .

وكان قد جاءه يوماً حمل دبس هديَّة من بعلبك ، فأخذهُ الردّادُون الذين يقفون في الطريق لأجل المكس . فقالوا : هذا للشيخ تقي الدِّين الهندي . فقالوا : هاتوا خطّه ، فحضروا إليه وأخذوا خطّه . وقد كتب : صفي الدِّين هندي[1] في حمل دبس ، إن يكن هُوَ هُو فهو هُو وإلا فليس به ، وكانت في لسانه عجمة الهنود .

١٦١٤ ـ مُحَمَّد بن عبد الرَّحيم بن إبراهيم*

ابن هبة الله البارزي ، القاضي كمال الدِّين أبو عبد الله بن البارزي الجهني الحموي .

قال شيخنا علم الدِّين البرزالي : كان رجلاً جيِّداً موصوفاً بالخير ، عنده مُرُوّة وانقطاع ، وكان من الفقهاء المدرّسين ، روى لنا عن جده ، وسمع حضوراً من صفية القرشية .

توفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في العشر الأخير من جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وست مئة .

ومولده في ثالث صفر سنة إحدى وأربعين وست مئة .

١٦١٥ ـ مُحَمَّد بن عبد الرَّحيم بن عمر**

الجزري الباجُرْبَقي ، بالباء الموحدة ، وبعدها ألف وجيم وراء ساكنة وباء موحدة وقاف[2] . الشيخ الزاهد ابن المفتي الكبير جمال الدِّين الشافعي .

وقد ذكرت والده[3] في (التاريخ الكبير) .

---

(١) ليست في (س) .

* الوافي : ٢٤٨/٣ .

** الوافي : ٢٤٩/٣ ، وفوات الوفيات : ٣٩٧/٣ ، والنجوم الزاهرة : ٢٦٢/٩ ، والبداية والنهاية : ١١٥/١٤ ، والدُّرر : ١٢/٤ ، وفيه : « ابن عيمر » .

(٢) ليست في (س) .

(٣) (س) : « والده المذكور » .

كان أمره عجيبا ، وحاله تجعل الولدان شيبا[١] ، خلب عقول الكبار من الفضلاء ، وسَحَر بحاله السادة النبهاء النبلاء . لم نسمع عن أحدٍ ما بلغنا عنه من الأمور الخارقه ، والأحوال التي هي للعوائد مفارقه . حكى عنه جماعة فضلاء لا أتَّهم علومهم ، ولا أسْتَزِلُّ حلومهم ، حكايات ما أدري ما هي ، ولا أعرف ما تضاهي ، إلاّ أنها بعيدة عن تصديق عقلي بها ، نائية[٢] عن انفعال نفسي لصحَّتِها عند تقليبها .

ولكن شاع هذا عند كثير من أهل عصري ، وأخذ كل منهم على ذلك إصري[٣] ، فما أدري ما أقول ، إلا أنَّ جماعة كفَّروه وأخرجوه عن حمى الإسلام ونفَّروه ، والله يعلم السرائر وما تنطوي عليه الضمائر ، وحُكم بإراقة دمه من دمشق . وكان يكون ذلك دَرِيّة[٤] للسيوف عند المشق .

وضاقَتْ خطَّة فَخَلصتُ مِنها خُلوصَ الْخَمْرِ مِن نَسْجِ الفِدامِ[٥]

وفرَّ إلى الدِّيار المصريّة ، وانقطع بالجامع الأزهر . وأتى هناك بأشياء مما أتى به في دمشق وأشهر ، ثم إنه عاد إلى دمشق بعد مدة مديدة[٦] ، وأقام بالقابون . واستمرَّ الناس يترددون إليه وينتابون .

ولم يزل على حاله إلى أن جاءه ما أعجز الأوائل والأواخر رَدُّه ، وفَصَّل أوصاله الذي لا يلفّ[٧] على طول المدى خدّه .

---

(١) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ فَكَيفَ تَتَّقونَ إن كَفَرتُم يَوماً يَجْعَلُ الوِلْدانَ شِيباً ﴾ [المزَّمِّل : ٧٣/ ١٧] .

(٢) في الأصل : « نائبة » ، ولا وجه لها .

(٣) أفاد من قوله تعالى : ﴿ وأخَذْتُم على ذلِكُم إصْري ﴾ [آل عمران : ٨١/٣] .

(٤) (س) : « وكاد يكون دريئة » .

(٥) الفدام : ما يوضع في فم الإبريق . ووقع في الأصل : « الجر » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٦) في الأصل : « مدّة » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٧) (س) : « لا يكفّ » ، وهي أشبه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ ليلة الأربعاء سادس عشر شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

كان والده الفقيه قد تحوَّل بولديه بعد الثمانين إلى دمشق ، وسمعا من ابن البخاري[١] ، وجلس أبوهما للإفتاء . ودرَّس ومات وقد شاخ ، فتزهَّد محمَّد هذا . وحَصَل له حال وكشف وانقطع ، وصَحِبَهُ جماعة فهوَّن لهم[٢] الشرائع ، وأراهم بوارق شيطانية ، وكانت له قوة نفسانية فعّالة مؤثِّرة ، فقصده الشيخ صدر الدِّين بن الوكيل وقلَّده جماعة في تعظيمه ، وكان مِمَّن قَصَده الشيخ مجد الدِّين التونسي النحوي ، فَسَلَّكه على عادته ، فجاء إليه في اليوم الثالث في الوقت الذي قال له يعود فيه[٣] ، وقال له : ما رأيت ؟ وقال : وصلت في سلوكي إلى السماء الرابعة . فقال له : هذا مقام موسى بن عمران[٤] بلغته في ثلاثة[٥] أيام ، فرجع الشيخ مجد الدِّين إلى نفسه وتوجَّه إلى القاضي المالكي وحكى[٦] له ما جرى وجدَّد إسلامه . وطَلَب الباجربقي وحكم بإراقة دمه القاضي جمال الدِّين المالكي قاضي القضاة بمحضر جماعة من العلماء في يوم الخميس ثاني[٧] ذي القعدة سنة أربع وسبع مئة . وفي سابع عشر رمضان حكم قاضي القضاة تقي الدِّين الحنبلي بحقن دمه بحكم عداوة الشهود ، وذلك في سنة ست وسبع مئة[٨] ، وكان الشهود عليه مجد الدِّين التونسي وعماد الدِّين محمد بن مزهر ، والشيخ أبو بكر شرف

---

(١) في الأصل و (س) : « النجار » ، وأثبتنا ما في الوافي ومصادر ترجمته .

(٢) عبارة الوافي : « جماعة من الرذالة » . وفي الأصل : « فهون له » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٣) (س) والوافي : « تعود إليَّ فيه » .

(٤) في الدُّرر : « هذا مقام إدريس » .

(٥) في الوافي والفوات : « أربعة » .

(٦) في الأصل : « وتوجَّه فقال له ، وحكى » ، وهي مضطربة ، وأثبتنا ما في (س) والمصادر الأخرى .

(٧) في البداية والنهاية : ٣٤/١٤ : « الثاني والعشرين » .

(٨) البداية والنهاية : ٤٠/١٤ ـ ٤١ .

الصّالحيّ ، وجلال الدّين بن النجاري خطيب الزنجليّة[١] ، ومحيي الدّين بن الفارغي ، والجمال إبراهيم بن الشيخ إسماعيل اللبناني[٢] . والذين شهدوا بالعداوة ناصر الدّين بن عبد السّلام ، والشريف زين الدّين [بن][٣] عدنان ، وأخوه ، [و][٤] القاضي قطب الدّين ابن شيخ السلاميّة ، وشهاب الدّين الرومي ، وشرف الدّين قيروان الشمسي . فاختفى وتوجه إلى مصر وانقطع بالجامع الأزهر ، وتردد إليه جماعة .

وحكى لي عنه الشيخ شمس الدّين بن الأكفاني حكايات عجيبة وأموراً غريبة ، وحكى لي غيره من مادّتها أشياء لليس للعقل فيها مجال . وحكى لي عنه[٥] القاضي شهاب الدّين بن فضل الله أن أمين الدّين سليمان رئيس الأطباء حكى له عنه ، قال : كنتُ يوماً عنده في البستان الذي كان فيه ، فجاء البستاني وهو من أهل الصحراء العوام ، فقال له ابن[٦] الباجربقي : اقعد . فقعد ورمق الشيخ[٧] وقال للفلاح : تحدَّث مع الرئّس أمين الدّين ، قال : فأخذ ذلك الفلاح يتحدث معي في كلّيّات الطّب وجزئياته وأنواع العلاج وخواص المفردات إلى أن أذهل عقلي ، ثم بعد ساعة شال الشيخ رأسه من عبّه فبطل ذلك الكلام ، وسألت الفلاح فقال : والله ما أدري ما قلت ، ولكن شيء جرى على لساني ما أدري .

---

(١) وتعرف أيضاً بالزنجارية ، خارج باب توما ، تنسب إلى فخر الدّين الزنجيلي (ت ٦٢٦ هـ) ، الدّارس : ٤٠٤/١ .

(٢) كذا في الأصل و (س) ، ومطبوعة الدُّرر : ١٩/١ ، ووقع في بعض أصوله : « الكناني » ، ولم يذكر سنة وفاته .

(٣) زيادة من (س) والوافي والدُّرر ، وفي البداية : « ابن الشريف عدنان » .

(٤) في الأصل : « القاضي » ، وأثبتنا ما في (س) والدُّرر .

(٥) (س) : « لي القاضي » .

(٦) في الأصل : « يابن » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٧) في الأصل : « وزنق » ، وأثبتنا ما في (س) والدُّرر . وفي الدُّرر : « ورمق الباجربقي » .

وقد حكي عنه عجائب من هذا . وكان الشيخ صدر الدِّين يتردَّد إليه كثيراً ، ويجلس بين يديه ويحصل [له][(١)] بهت في وجهه ويضع كفّه على ذقنه ويخللها بأصابعه :

عجَبٌ مِن عجائبِ البرِّ والبحـ ـرِ وشكلٌ فَرْدٌ ونَوْعٌ غريب

وشهد عليه مجد الدِّين التونسي ، وخطيب الزنجليّة ، ومحيي الدِّين ابن الفارغيّ ، والشيخ أبو بكر بن مشرّف[(٢)] بما أبيح به دمه ، وجنَّ أبو بكر هذا أياماً ثم عقل .

وحكي عنه التهاون في الصلوات[(٣)] وذكر النَّبي ﷺ باسمه من غير تعظيم ولا صلاة عليه ، يقول : ومن هذا محّدكم[(٤)] ؟! فحكم القاضي جمال الدِّين الزواوي المالكي بإراقة دمه ، فاختفى وسافر[(٥)] . وسعى أخوه بجاه بيبرس العلائي إلى القاضي الحنبلي ، فشهد نحو العشرين أن الستة بينهم وبينه عداوة ، فعصم الحنبلي دمه ، وغضب المالكي ، وجدَّد الحكم بقتله . ثم إنه جاء بعد مدة ونزل بالقابون ، وأقام به إلى أن مات وله ستون سنة .

ومما قيل عنه إنَّه قال : إنَّ الرُّسل طوَّلت على الأُمم الطرق إلى الله تعالى .

قلت : بدون هذا يباع الحمار ، بدون هذا يسفك ألف دم من هذا وأمثاله .

١٦١٦ ـ مُحَمَّد بن عبد الرَّحيم*

الخطيب محيي الدِّين شيخ بعلبك ، ومسندها ، وشيخ الكتابة .

(١) زيادة من (س) والفوات .
(٢) في الفوات : « شرف » .
(٣) (س) : « بالصلاة » .
(٤) (س) والوافي والفوات : « ومَنْ محمّد هذا ؟ » .
(٥) إلى العراق ، كما في الوافي والوفيات .
* ذيول العبر : ٢٣٣ ، والنجوم الزاهرة : ١٠٤/١٠ ، والدُّرر : ١١/٤ .

حدَّث عن ابن عبد الدائم ، والقاسم الإربلي ، والرشيد العامري ، وابن هامل[١] ، وطائفة . وسمع الكثير[٢] ، وكتب المنسوب .

وكان مليح الشكل عاقلاً صيِّناً .

توفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في تاسع شهر رمضان سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة عن خمس وثمانين سنة .

١٦١٧ ـ مُحَمَّد بن عبد الرَّحيم بن علي*

القاضي شرف الدِّين الأرمتني .

قال الفاضل كمال الدِّين الأدفوني : كان فقيهاً ذا وَرَع ونزاهة ومكارم ، وتولَّى[٣] الحكم بقنا ، ثمَّ ارتحل إلى مصر ، وتولَّى الحكم بإطفيح[٤] ، ثمَّ بمنية بني خصيب وأبياروفُوَّة[٥] ودمياط والفَيّوم وسيوط . قال : وكان قاضي القضاة بدر الدِّين بن جماعة يرعاه ويكرمه لِمَا اتَّصف به من النّزاهة ، ولا يأكل لأحد شيئاً مطلقاً سواء كان من أهل ولايته أو غيرهم ، غير أنه كان يقف مع[٦] حظِّ نفسه ويحبُّ التعظيم وأن يقال عنه رجل صالح ، وإذا فهم من أحد أنه لا يعتقده يحقد عليه ويقصد ضرره ، ويرى أنه إذا عزل عن ولاية[٧] لا يتولَّى أصغر منها ويعالج الفقر الشديد ، وعزله قاضي القضاة

(١) في الأصل : « ابن عامل » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، وهو محمد بن عبد المنعم بن هامل الحراني (ت ٦٧١ هـ) ، العبر : ٢٩٦/٥ .

(٢) في الأصل : « الكتب » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

* الوافي : ٢٥٠/٣ ، والطالع السعيد : ٥٢٨ ، والدُّرر : ١٢/٤ .

(٣) (س) والوافي والطالع : « تولَّى » .

(٤) بلدٌ بالصَّعيد الأدنى على شاطئ النيل في شرقيّه . (معجم البلدان) .

(٥) في معجم البلدان : منية أبي الخصيب ، على شاطئ النيل في الصعيد الأدنى . وأبيار : قرية بجزيرة بني نصر بين مصر والإسكندرية . وفوّه : بليدة على شاطئ النيل من نواحي مصر ، قرب رشيد . (معجم البلدان) .

(٦) في الأصل : « عند » ، وأثبتنا ما في (س) والطالع والوافي .

(٧) في الأصل « ولايته » ، وأثبتنا ما في (س) والطالع والوافي .

جلال الـدِّين القزويني من سيوط ثم عرض عليـه دونهـا فلم يوافق مع شـدة ضرورتـه ، واستمرَّ بطّالاً[(١)] .

قلت : ماأحقه بقول الأول :

فــــأصبَحَتْ بعـــــدَ ذاكَ تَفسُـــو فَما سِـوَى عِطرهـــا فُسَــاهـــا

قال : وكان يحفظ (التنبيه) حفظاً متقناً معرباً . وكان قليل النقل والفهم ، ولـه في الحكم حرمة وقوة جنان .

وتوفِّي ـ رحمـه الله تعـالى ـ بمصر في سنـة ثلاث وثلاثين وسبع مئـة فيما يغلب على الظن .

١٦١٨ ـ مُحَمَّد بن عبد الرَّحيم بن عباس*

ابن أبي الفتـح بن عبـد الغني بن أبي محمـد بن خلف بن إسماعيـل القرشي ، الشيـخ شرف الدِّين أبو الفتح المعروف بابن النشو .

كان حسن الشكل ، فيه أمانة ومعرفة . وسافر في التجارة إلى بغـداد وديـار مصر . وكان له مُلْك[(٢)] .

أسمعه خاله الشيخ برهان الـدِّين إبراهيم بن محمـد بن عبـد الغنيّ القرشي ابن النشو بالقـاهرة من ابن رواج ، ويوسف السـاوي ، وفخر القضـاة ابن الجبّـاب ، وابن الجميزي بهاء الدِّين ، وغيرهم . وسمع أيضاً بدمشق .

وخرَّج له فخر الدِّين البعلبكي (مشيخة) في أربعة أجزاء عن نحو عشرين شيخاً . قـال شيخنـا علم الـدِّين البرزالي : قرأتهـا عليـه ، ومن الأجزاء التي تفرد بهـا بـدمشق ،

(١) انظر الخبر في الطالع السعيد ، ففيه زيادة .

* الوافي : ٢٤٨/٣ ، والدُّرر : ١٠/٤ ، والشَّذرات : ٥٣/٦ .

(٢) عبارة الدُّرر : « وله بستان » .

وقرأتها عليه مراراً كتاب (المحدث الفاصل)[١] الذي للرامهرمزي سبعة أجزاء ، و (مشيخة وكيع ابن الجراح) ، وحديث إسماعيل [الصفار][٢] عن الصغاني والدوري ، و (مسند عائشة) للمروزي ، والأجزاء الثلاثة من (المحامليات) : السادس والسابع والتاسع[٣] من المركبات وغير ذلك .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ ثالث شوال سنة عشرين وسبع مئة ، ودفن برّا الباب الصغير .

ومولده في جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين وست مئة .

١٦١٩ ـ مُحَمَّد بن عبد الصمد بن عبد القادر السنباطي*

قطب الدِّين ، الفقيه الشافعي .

سمع من الحافظ الدمياطي ، وقاضي القضاة ابن جماعة ، وغيرهما . وتَفَقَّه على ظهير الدِّين الترمنتي ، وتقيّ الدِّين بن رزين . وبَرَع في مذهب الشافعي . وأفتى ، ودرَّس ، وتصدَّر للإشغال ، وانتفع به الطلبة . وكان كثير النقل حافظاً للفروع ساكناً متديِّناً . وناب في الحكم بالقاهرة ، وولي الوكالة بالديار المصرية ، ودرَّس بالفاضليَّة والحاميّة ، وأعاد بالصالحيّة ، وصنَّف تصحيحاً لكتاب (التعجيز)[٤] و (أحكام المُبَعّض) .

---

(١) في الأصل و (س) : « الفاضل » ، تصحيف ، واسمه بتمامه : المحدّث الفاصل بين الراوي والواعي ، صنَّفه الحسن بن عبد الرَّحمن الرامهرمزي (ت ٣٦٠ هـ) ، الكشف : ١٦١٢/٢ ، والأعلام : ١٩٤/٢ .

(٢) زيادة من (س) .

(٣) زيادة في (س) زيادة : « والثامن والتاسع » .

* الدُّرر : ١٦/٤ ، والبداية والنهاية : ١٠٤/١٤ ، والشذرات : ٥٧/٦ ، والنجوم الزاهرة : ٢٥٧/٩ .

(٤) الكشف : ٤١٨/١ .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ يوم الجمعة رابع عشر ذي الحجة سنة اثنتين وسبع مئة .

ومولده بشبرا من الغربيّة سنة ثلاث وخمسين وست مئة .

قول أصحاب الشافعي رضي الله عنه : إنَّ الراهن والمرتهن إذا تَشاحَّا في الرهن يكون عند من يسلمه الحاكم إلى عدل صورةُ التشاحح ممّا يسأل عنه .

فإنه إن كان قبل القبض فالتسليم غير واجب ، وإن كان بعد القبض فلا يجوز نزعه ممّن هو في يده .

وكان الشيخ قطب الدِّين السنباطي ـ رحمه الله تعالى ـ يصوِّر ذلك فيما إذا وضعاه عند عدل ففسق ، فإنَّ يده تُزال والرهن لازم ، فإذا تشاحّا حينئذٍ فمن يكون تحت يده اتجه اختيار الحاكم وكذلك لو رضيا بيد المرتهن لعدالته حين القبض ثم فسق ينبغي أن يكون كذلك .

قلت : هذه الكذلكة الثانية لا فائدة فيها فإنها هي الأولى بعينها .

١٦٢٠ ـ مُحَمَّد بن عبد العظيم بن علي بن سالم*

جمال الدِّين بن السَّقْطي القاضي الشافعي .

كان رئيساً عاقلاً لبيباً وقوراً ، من قضاة العدل ، تولَّى نيابة الحكم بمصر والجيزة والقاهرة والقليوبيّة سنين كثيرة ، ولم يؤخذ عليه في حكمٍ حكم به ، ولا نُقِضَ عليه أمرٌ أبرمه . شهد عنده جماعة في قضية فتثبَّت فيها وركب إلى القرافة وقرأ تاريخ الوفاة من المشهود عليه(١) ، ورجع الجماعة إليه ، فقال لهم : امضوا إلى قبره ، واقرؤوا تاريخ الوفاة ، فوجموا لذلك .

---

* الدُّرر : ١٨/٤ ، والشَّذرات : ١٦/٦ .

(١) عبارة الدُّرر : « على قبر المشهود » .

ولـه حكايـات في التوقف وعـدم التسـامـح في الأحكام . ودَرَّس بـالطيرسيّـة بمصر وبالجامع الأقمر .

وسمع الحديث من ابن الصّابوني ، وأجاز له ابن باقا . وترك القضاء مدة .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ ليلة الإثنين حادي عشر شعبان سنة سبع وسبع مئة .

ومولده سنة اثنتين أو ثلاث وستين وست مئة .

ومن تشدُّده ـ رحمه الله تعالى ـ ما حكاه الفـاضل كمال الـدِّين الأدفوي قـال : حكى لي العالم الفقيه أبو إسحـاق إبراهيم الإسنـائي قـاضي قوص قـال : وَقَعَتْ لشخص عنـده قضيـة احتيج فيهـا إلى التعريف ، فقـال لـه : أحضر من يعرِّف بـك . فـأحضر الشيـخ علاء الدِّين الباجي ، فقام إليه وأجلسـه معـه وبَجَّلَـه ، فقـال ذلـك الشخص : سيِّـدي علاء الدِّين يُعَرِّف بي ، فقال القاضي : سيِّدي علاء الـدِّين أكبر من ذلـك ، امضِ وأتِ بمن يعرِّف بك .

قـال : وقـال لي صـاحبنـا أبو عبـد الله مُحَمَّـد الإخميي الشهير بـابن القـاسح[1] : طلبت من قاضي القضاة الشيخ تقي الدِّين بن دقيق العيد ولاية العقود [بالقاهرة][2] وسألته أن يفوض ذلك إلى ابن السقطي فقال : مـا يفعل ، قلت : بلى يفعل . فقـال : أنا أقرب في ذلك منه .

وله حكايات في التثبُّت والاحتياط والاحتراز معروفة مشهورة بين المصريين .

---

(١) في وفيات ابن رافع ٥٣/١ : ابن القاصح ، وهو فيه : مُحَمَّد بن يوسف (ت ٧٣٨ هـ) .

(٢) زيادة من (س) .

١٦٢١ ـ مُحَمَّد بن عبد الغني بن عبد الكافي*

ابن عبد الوهاب بن مُحَمَّد بن أبي الفضائل ، الشيخ زين الدِّين الأنصاري بن الحرستاني[١] .

سمع من ابن صبّاح ، وابن اللّتي ، وغيرهما .

وحدَّث بالدّارمي ، قَرَأَهُ عليه ابن حسيب ، وكان ذَهَبيّاً[٢] بقيسارِيّة المد ، وله حرمة ووجاهة ببلده لدينه ومكارمه ، وكان حافظاً للحكايات والأشعار يوردها إيراداً جيداً ، وكان يلقب بالنّحوي .

توفّي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومولده سنة خمس وعشرين وست مئة .

١٦٢٢ ـ مُحَمَّد بن عبد الغني بن محمد**

ابن يعقوب بن إلياس ، الشيخ شمس الدِّين بن عز الدِّين ابن قاضي حرّان ، الحموي النّحوي .

كان مُتَصدِّراً بجامع حماة الأعلى للإقراء ، وفقيهاً في المدارس ، وله خصوصيّة بالأمير بدر الدِّين حسن بن الأفضل ، وله عنده منزلة .

توفّي ـ رحمه الله تعالى ـ في ثامن صفر سنة ثمان عشرة وسبع مئة .

---

* الوافي : ٢٦٨/٣ ، والعبر : ٤٠٣/٥ ، والشذرات : ٤٥٢/٥ .

(١) في (س) والوافي زيادة : « وعبد الوهاب هو أخو القاضي أبي القاسم بن الحرستاني » .

(٢) في العبر : « هو زين الدِّين الذهبي المعروف بالنحوي » .

** الدُّرر : ١٩/٤ .

١٦٢٣ ـ مُحَمَّد بن عبد القادر*

ابن عثمان بن منهال المصري ، الصدَّر عز الدِّين .

كان رجلاً جيِّداً عارفاً ، ولم يكن رأى دمشق ، فنزل بالمدرسة الإقباليّة الحنفيّة[١] .

قال شيخنا البرزالي : فاجتمعتُ به وذاكرني في مرويّاته [ومسموعاته][٢] ، وكان له ميل إلى أن يخرَّج له شيء ، وكان له شعر ، وتولّى إمامة الجامع الحاكمي بالقاهرة .

وسمع من الحرّاني ، وشاميّة[٣] ، والصفّي خليل ، وطبقتهم .

وأجاز له جماعة من المتأخرين من أصحاب البوصيري ، وجمع شيوخه بالإجازة ، ورتَّبهم فزادوا على الألف .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ ثاني عشر جمادى الأولى سنة تسع وسبع مئة ، ودفن بسفح قاسيون في تربة ابن الْجُوخي .

ومولده سنة إحدى وستين وست مئة .

١٦٢٤ ـ مُحَمَّد بن عبد القوي بن بدران**

الإمام المفتي النحوي شمس الدِّين أبو عبد الله المقدسي المرداوي الحنبلي .

---

* الدُّرر : ٢٠/٤ .

(١) واقفها الأمير إقبال عتيق الخاتون . الدّارس : ٣٦٢/١ .

(٢) زيادة من (س) .

(٣) (س) : « شامة » ، تحريف ، وهي شامية بنت البكري ، أمة الحق بنت الحسن بن محمد (ت ٦٨٥ هـ) ، العبر : ٣٥٢/٥ .

** الوافي : ٢٧٨/٣ ، والبغية : ١٦١/١ ، والشّذرات : ٥٤٢/٥ ، والدّارس : ٦٥/٢ ، والنجوم الزاهرة : ١٩٢/٨ .

قدم الصّالحيّة ، وتفقّه على الشيخ شمس الدِّين وغيره .

وبرع في العربية واللغة ، وأقرأ ودرَّسَ وأفتى وصنَّف ، وكان حسن الديانة ، دمث الأخلاق . ولي تدريس الصّاحبيّة[١] ، وكان يحضر دار الحديث ويُشغل بها وبالجبل .

وسمع من خطيب[٢] مردا ، ومن مُحَمَّد بن عبد الهادي ، وعثمان بن خطيب القرافة ، ومظفر بن الشيرجي[٣] ، وإبراهيم بن خليل ، وابن عساكر تاج الدِّين .

وله قصيدة دالية في الفقه ، وكان على ذهنه حكايات ونوادر . وقرأ النحو على الشيخ جمال الدِّين بن مالك وغيره . وأخذ عنه القاضيان شمس الدِّين بن مسلم ، وجمال الدِّين بن جملة .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في ثاني عشر شهر ربيع الأول سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومولده بمردا سنة ثلاثين وست مئة .

١٦٢٥ ـ مُحَمَّد بن عبد الكريم بن علي التبريزي*

المقرئ المعمِّر نظام الدِّين .

سافر مع أبيه للتجارة وأقام بحلب ، وسمع من ابن رواحة ، وقال : سمعت بها من بهاء الدِّين بن شدّاد . وكَمَّل القراءات سنة خمس وثلاثين وست مئة على السخاوي

---

(١) أنشأتها ربيعة خاتون بنت نجم الدِّين أيوب بجبل الصّالحيّة بسفح قاسيون من الشرق . الدّارس : ٦٢/٢ .

(٢) في الأصل : « الخطيب » ، سهو .

(٣) في الأصل : « السيرجي » ، تصحيف ، وسلفت الإشارة إليه .

* الوافي : ٢٨٢/٣ ، والدُّرر : ٢٣/٤ ، وغاية النهاية : ١٧٤/٢ .

إفراداً وجمعاً ، وتلا بحرف أبي عمرو بالثغر على أبي القاسم الصَّفراوي ، وبمصر على ابن الرمّاح . وتلا به وبغيره ختماً على المنتخب الهمذاني[١] .

ثم استوطن دمشق وأمّ[٢] بمسجد وأقرأ بحلقة ، وكان ساكناً متواضعاً كثير التلاوة . قرأ عليه شيخنا الذهبي لأبي عمرو ، وسمع منه (حرز الأماني) بقراءة ابن منتاب .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ يوم الأربعاء سادس عشر شهر ربيع الآخر سنة ست وسبع مئة .

ومولده بتبريز سنة ثلاث عشرة وست مئة .

١٦٢٦ ـ مُحَمَّد بن عبد الكريم بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد*

الصَّدر مجير الدِّين بن المغيزل .

كان قد تولَّى نظر الدّواوين[٣] بحماة .

وتوفِّي في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وسبع مئة .

وقد تقدم ذكر والده شرف الدِّين في حرف العين مكانه .

١٦٢٧ ـ مُحَمَّد بن عبد الكريم بن مُحَمَّد بن علي**

الشيخ الإمام العالم الزاهد الورع شمس الدِّين أبو عبد الله القرشي [بن][٤] الشمّاع .

---

(١) في غاية النهاية : « المنتجب بن الهمذاني » ، وفي الأصل : « المنتجب » . وهو المنتخب بن أبي العز بن رشيد الهمذاني (ت ٦٤٣ هـ) . العبر : ١٨٠/٥ .

(٢) في الأصل : « وأقرأ » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

* الدُّرر : ٢٤/٤ .

(٣) (س) : « الديوان » .

** الدُّرر : ٢٤/٤ .

(٤) زيادة من (س) والدُّرر .

كان فاضلاً ، من أعيان الفقهاء ، وله مشاركة في القراءات[(١)] والحديث والأصول والنحو ، [سمع][(٢)] من أصحاب الخشوعي وابن طَبَرْزد ، وحصَّل النسخ ، وقرأ وحدَّث وتزهَّد مدة .

أقام بصفد في أواخر عمره إلى أن مات بها ـ رحمه الله تعالى ـ في مستهل جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبع مئة .

١٦٢٨ ـ مُحَمَّد بن عبد اللطيف بن يحيى*

ابن تَّمام بن يوسف بن موسى بن تّمام بن تميم بن حامد ، أقضى القضاة تقي الدِّين أبو الفتح بن أبي البركات بن أبي زكريا الأنصاري الخزرجي السبكي الشافعي .

أجاز[(٣)] له لَمّا ولد جماعة من الْمُسْندين منهم الحافظ شرف الدِّين الدمياطي ، وفي تلك السنة توفِّي .

وأحضره أبوه على أبي العباس أحمد بن قاضي القضاة شمس الدِّين مُحَمَّد بن إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي ، وأبي الحسن علي بن محمد بن هارون الثعلبي ، وأبي المحاسن يوسف بن المظفر بن كوركيك[(٤)] الكَحّال ، وأبي الحسن علي بن عيسى بن سليمان بن القيِّم ، وغيرهم .

وأجاز له في سنة سبع وسبع مئة خَلْقٌ من أعيان المشايخ بالديار المصرية والشاميّة يطول ذكرهم . ثمَّ سمع بنفسه من خلق بالقاهرة ومصر وأعمالها ومكَّةَ والمدينة ودمشق

(١) (س) : « له مشاركة في القراءة » .

(٢) زيادة من (س) ، ولكن فيها : « سمع من ابن الخشوعي » ، وهو سهو ، وفي الدُّرر : « سمع من جماعة من أصحاب الخشوعي » .

* الوافي : ٢٨٤/٣ ، ووفيات ابن رافع : ٢٠٠/١ ، والدُّرر : ٢٥/٤ ، والشّذرات : ١٤١/٦ ، وذيول العبر : ٢٤١ .

(٣) أخذ المصنِّف مادّة هذه الترجمة من لفظ ابن السبكي نفسه ، كما في الوافي .

(٤) في الوافي : « كوركيل » ، تحريف ، انظر ، الدُّرر : ٤٧٨/٤ ، ووفاته سنة (٧١٠ هـ) .

بقراءته[١] وقراءة غيره كأبي علي الحسن بن عيسى بن خليل الهَكَّاري وأبي الحسن علي بن عمر بن أبي بكر الواني وأبي الهدى أحمد بن مُحَمَّد[٢] بن علي بن شجاع العباسي ، وقاضي القضاة بدر الدِّين بن جماعة ، ومُحَمَّد بن عبد الحميد بن مُحَمَّد الهمذاني ، وعبد الله بن علي بن عمر بن شبل الحميري ، ويوسف بن عمر بن حسين الختني ، وأحمد بن أبي طالب الصّالحي ، ويحي بن يوسف المقدسي ، ومحيي[٣] الدِّين بن فضل الله ، وعلي بن إسماعيل المخزومي ، ومُحَمَّد بن عبد المنعم الصّواف ، وأبي بكر بن يوسف بن عبد العظيم المصري ، وخلائق يطول[٤] ذكرهم . وسمع العالي والنازل ، وكتب بنفسه وخرَّج وانتقى وحصَّل .

وقرأ القرآن بالسبع في ختماتٍ على شيخنا العلاّمة أبي حيان ، وأجاز له بإقرائه[٥] حيث شاء متى شاء ، وكتب له خطّه بذلك .

وقرأ الفقه على مذهب الشافعي ، وغيره من العلوم على شيخنا العلاّمة شيخ الإسلام قاضي القضاة تقي الدِّين السبكي ، وقرأ الفقه أيضاً على جده يحي بن علي ، وعلى الشيخ قطب الدِّين السنباطي . وقرأ الفقه أيضاً على ذي الفنون أبي علي الحسين[٦] بن علي الأسواني ، ولازمه مدة طويلة ، واشتغل بأصول الفقه على جده يحي .

وقرأ النحو على شيخنا العلاّمة أثير الدِّين ، لازمه نحواً من سبعة عشر عاماً ، وشرح عليه (تقريب الْمُقَرَّب) تصنيفه ، وكتاب (التَّسهيل) لابن مالك ، وأجازَهُ بإقرائها ، وسمع عليه كثيراً من (شرحه للتسهيل) ، وكثيراً من (كتاب سيبويه)

(١) في الوافي : « بذاته » .
(٢) في الأصل : « وأبي الهدى علي بن محمد أحمد ... » سهو ، وأثبتنا مافي (س) و (خ) والوافي .
(٣) (س) : « يحي » ، تحريف .
(٤) في الأصل : « طوال » ، وأثبتنا مافي (س) ، (خ) ، والوافي .
(٥) (خ) : « وأجاز بإقرائه » ، وفي (س) : « وأجازه بإقرائه » ، وفي الوافي : « وبإجازة بإقرائه » .
(٦) (خ) : « الحسنين » ، تحريف .

سماعاً وشرحاً ، وسمع عليه كثيراً من شعره بقراءتي أنا ، وسمع عليه من شعر غيره ، وكثيراً[١] من المرويات الأدبية . وسمع عليه (مقامات) الحريري بقراءتي أنا ، وقرأ كتاب (لباب الأربعين)[٢] وكثيراً من علم الخلاف على شيخنا العلاّمة قاضي القضاة تقي الدِّين السبكي . وقرأ كتاب (مطالع الأنوار) مرتين على الشيخ تاج الدِّين التبريزي ، وسمع عنده كثيراً من الكتب المنطقيّة والخلافيّة والأصوليّة . وجالس في الأدب شيخنا العلاّمة ناصر الدِّين شافع بن علي وسمع عليه من شعره وتصانيفه ، ومَدَحه بأبيات منها :

رأتِ العِدا عبّاس جَدَّكَ طاهِراً فأتَوْا إلى عَلْيا نَداكَ بشافِعِ

كان هذا أقضى القضاة تقي الدِّين من أصحِّ الناس ذهناً وأذكاهم[٣] فطرة كا سفر البدر وَهْناً .

شارك في فنون ، وعارك في عدّة علوم خاض منها في شجون ، عمل في القراءات عملاً بخل الزمان [به][٤] على السَّخاوي ، وكُسر له ابن جبارة فما يقاومه ولا يقاوي[٥] .

وَجَدَّ في سماع الحديث ، وقرأ بنفسه ، فما عند السّلفي منه نقده ، ولا ابن عساكر لو لاقاه لولّى فراراً وهو[٦] وحده .

واشتغل بالفقه فلو أن الماوردي في زمانه ما تسمّى أقضى القضاه ، أو رآه الروياني نشف بحره في فضاه .

(١) في الأصل : « وحدَّث وكثيراً » ، وأثبتنا مافي (س) ، (خ) ، والوافي .
(٢) لأبي الثناء الأرموي محمود بن أبي بكر بن أحمد (ت ٦٨٢ هـ) ، وكتابه مخطوط . الأعلام : ١٦٦/٧ .
(٣) في الأصل : « وأذكاه » ، وأثبتنا مافي (س) ، (خ) .
(٤) زيادة من (س) ، (خ) .
(٥) في الأصل : « ولا يقاري » ، تحريف ، وأثبتنا مافي (س) ، (خ) .
(٦) في الأصل : « لو لاقاه ، لو رآه وهو » .

ودأب في الأصول فما للآمدي[1] في مداه خطوه[2] ، ولا لابن خطيب الرّيّ ري إذا رقا من المنبر على ذرْوَه .

وأكَبَّ على العربية حتى أطار ابن عصفور عن هذا الفن ، وغدا الزجاجي يكسر قواريره على ضنِّه بما ظن . وحضر مآدب الأدب حتى افتقر صاحب (الذّخيره) وجُعل صاحب (القلائد) مع الحصيري على حصيره . وكتب فَرَوَّضَ المهارق ، وأخمل بخطه الخمائل ، وقد أحدقت بها زُهْرُ الحدائق . ونظم الشعر الذي ترقرق وانسجم . ولام الناس صاحب (لاميّة العرب) و (لاميّة العجم) :

لفظٌ كأنَّ مَعاني السُّكرِ تَسكنُهُ فَمَن تَحفَّظ بيتاً منهُ لم يَفِقِ
إذا تَرَنَّمَ شادٍ لليَراعِ بهِ لاقى الْمَنايا بلا خَوْفٍ ولا حَرَقِ

وأما الدين فإنه تمسَّك منه بالحبل المتين ، وأما الورع فكان معلّقاً منه في الوتين ، له في ذلك عجائب ، وأخبار تحملها الصَّبا والجنائب ، قدم على شيخنا العلاّمة شيخ الإسلام وهو مقيم بالشام وعاد إلى القاهرة ثم زاره ثانياً فأمسكه إمساك غريم ألدّ ، وألزمه بنيابته فسلك فيها الطريق الأسَدّ بالأمر الأشدّ .

ولم يكن يزل على حاله إلى أن جُرَّ أبو الفتح إلى لَحْدِه ، وطوت شقّة الأيام منه نسيج وَحْدِه .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ ليلة السبت ثاني عشر ذي القعدة سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

وكان قد نَزَلَّ بالمدارس في القاهرة وتولّى الإعادة للفقهاء بالمشهد الحسيني والمدرسة السَّيفيّة في حدود سنة عشرين وسبع مئة . ودَرَّس بالمدرسة السَّيفيّة المذكورة سنة أربع وعشرين وسبع مئة نيابة عن جده أبي زكريا يحي ، واستقرَّ التدريس بها باسمه ،

(١) في الأصل : « والآمدي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٢) في الأصل : « مدى » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

ولم يزل بها مُدرِّساً مع ما أضيف إليه من الوظائف إلى أن باشر التصدير بالجامع الطولوني وغيره لَمّا توجَّه شيخنا العلاّمة قاضي القضاة تقي الدِّين السبكي إلى الشام وولي القضاء بالمقسّم ظاهر القاهرة .

ثمَّ إنَّه ورد الشام وتولَّى تدريس المدرسة الركنيَّة الجوّانية وخلافة الحكم العزيز بالشام والتصدير بالجامع الأموي .

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ شديد الورع[١] متحرزاً في دينه محتاطاً لنفسه ، درَّس بالرّكنية فحكى لي بعض الفقهاء[٢] أنه كان لا يتناول منها مافيها[٣] من الجراية ويقول : تركي لهذا في مقابلة[٤] أني ما يتهيأ لي فيها الصَّلوات الخمس . وكان سديد[٥] الأحكام بصيراً بمواقع الصّواب فيها .

وكتب إلى شيخنا العلاّمة أبي حيان مع خشكنانج [جهّزه][٦] إليه بعد عيد الفطر :

أهنيكَ بالعيدِ الَّذي حَلَّ عِندَما ... خَلَعْتَ عليهِ من عُلاكَ جَلالا[٧]
وحاولتُ تَعْجيلَ البِشارَةَ والهَنا ... فأرسَلْتُ مِن قبلِ الهِلالِ هِلالا

ومن شعره ـ رحمه الله تعالى ـ :

واللهِ لم أذهَبْ لِبحرٍ سلوةً ... لكم ولا تَفريج قَلبٍ موجَعِ[٨]

---

(١) في الأصل : « الزرع » ، تحريف ، وأثبتنا مافي (س) ، (خ) .
(٢) (س) ، (خ) ، والوافي : « بعض فقهاء المدرسة » .
(٣) عبارة الوافي : « ما للمدرس فيها » .
(٤) في (س) ، (خ) ، والوافي : « مقابلة على أني » .
(٥) في الأصل و (س) : « شديد » ، وأثبتنا مافي (خ) ، والوافي .
(٦) زيادة من (س) ، (خ) . وفي (س) والوافي : « .. قبل عيد الفطر » .
(٧) (س) : « حلَّ عندما » ، وفي الوافي : « حلالاً » .
(٨) (س) : « ببحر » .

لكنّـــهُ لَمّـــا تـــأخَّرَ مُـــدَّةً   أحْبَبْتُ تَعْجيـلَ الـوفـاء بـأدْمُعي

ومنه :

مُنـــذُ بَعـــدتُم فَسُروري بَعيـــدْ   وبَعـــدكُم لم أتَمَتَّـعْ بِسَعيـــدْ[1]
وكيفَ يَهـوى العيـد أو نـزهـــة   شهيـد وَجـدٍ ودمـوع تَـزيـدْ
فـالبحرُ من تيّـارِ دَمعي لـــهُ   يَبكي بـهِ والعيـد عيـد الشَّهيـدْ[2]

وكنت قد كتبت إليه في شهر رمضان سنة أربع وأربعين وسبع مئة :

تقيّ الـدِّين يـا أقْضى البَرايـا   ويـا رَبّ النُّهى والألمعيّـة
ويـا [من] راحَ أثنيتي عليـهِ   تَضـوعُ كَمِسْكِ فطرتـه الـذَّكيّـة[3]
أهـزّ إليَّ منـكَ بجـذع عِلم   فـوائـدُه تسـاقـطُ لي جَنيّـة
لأنّـكَ لا تُسـامى في علـوم   نَـزَلت بهـا منـازلَـكَ العَليّـة
ونَظمُـكَ نظمُ مَصريٍّ طبـاعـاً   حَـلاوتـهُ لـذلـكَ قـاهريّـة
ودأبُـكَ فتـحُ بـابِ النَّصرِ حقّـاً   وغيركَ شُغْلُـهُ بـالبـاطليّـة[4]
أفِـدْنـا إنّنـا فقراءُ فَهْم   لمـا تملي فضـائلُـكَ الغنيّـة
تقرّر أنَّ فعّـالاً فَعُـولاً   مُبـالغَتـانِ في اسمِ الفـاعليّـة
فكيفَ تقـولُ فيما صَـحَّ منـهُ   ومـا اللهُ بظـلاَّمِ البَريّـة[5]
أيعطى القـولُ إن فكَّرت فيـه   سـوى نفيُ الْمُبـالغـةِ القـويّـة
وكيفَ إذا تـوضّـأنـا بِمَـاءٍ   طَهُـورٍ وهـو رأيُ الشّـافعيّـة
أزَلنـا الـوصفَ عنـهُ بفردِ فعـلٍ   وذاكَ خِـلافُ رأيِ المـالكيّـة

---

(١) في الأصل : « ولم أتمتع » ، وأثبتنا ما في (خ) ، (س) ، والوافي .
(٢) (س) والوافي : « دمع » .
(٣) الزيادة من (س) ، (خ) ، والوافي . وفي (س) : « كمثل فطرته » .
(٤) في الأصل : « دأب » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي .
(٥) فيه اقتباس من قوله تعالى : ﴿ وما رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلعَبيدِ ﴾ [فُصِّلت : ٤١/٤٦] .

فــأوضـح مــا ادلهَمَّ عليَّ حتّى ... تُغــادِرُني على بَيضـا نَقيّــة
فـإن يَـدنـو ظـلام الشّـكِّ منّي ... فـإنَّـك ذو قنـاديـل مَضيّـة[1]
ودُمْ للمشكـلاتِ تُميـطُ عنهـا ... أذى فَهمٍ لأذهـانِ مـديّـة[2]

فكتب الجواب إليَّ عن ذلك ، وأجاد :

جَلَـوتَ عَليَّ ألفـاظـاً جَليّـة ... وسُقْتَ إليَّ أبكاراً سَنيّـة
ونَظّمت الجـواهرَ في عُقـودٍ ... فـأزرَت بـالعُقـودِ الجـوهريّـة[3]
وأبـدعَت المسيّر من نظـامٍ ... فمـا لمسيّر عنـدي مـزيّـة
لآلٍ مثـلَ بـدرِ التّمِّ نـوراً ... ولكن في النّهـارِ لنـا مَضيّـة
حـلاوتهـا تخـالِـطُ كلَّ قلب ... ومن حَشـو وحـوشيٍّ نقيّـة
أتَتْ من حـافـظِ الآداب طُرّاً ... وقَلبي مُغرَمٌ بـالحـافظيّـة
وتُعْـزى للخليـل فمـا فـؤادي ... يميـلُ هـوىً لغيرِ السُّكَّريَّـة
فهمتُ بما فَهمت منَ المعـاني ... ولم أظفَر بنكتَتِهـا الخفيّـة
لأنَّ العجـزَ منّي غيرُ خـافٍ ... ومـالي في العلـوم يَـدٌ قـويّـة
تـأفّفَ صـاغـةُ الآدابِ منّي ... ومـالي لـلإجـابَـةِ صـالحيّـة
ومَنْ جـاءَ الحروبَ بِـلا سِـلاحٍ ... كَمَن عَقَـدَ الصّلاةَ بغيرِ نيّـة
فَخُـذْ مـا قـد ظفرت بـهِ جـواباً ... فما أنـا قَـدر فِطرتَـكَ الـذَّكيّة
فظـلامٌ كبزاز وأيضـاً ... فقَـد يـأْتي بمَعنى الظّـالميّـة
وقَـد ينفى القَليـلَ لِعلَّـةٍ في ... فـوائِـدهِ بنَفي الأكثريّـة
وقـد يَنْحى بـهِ التّكثيرُ قَصْـداً ... لِكَثْرَةِ مَنْ يُضـامُ منَ البَريّـة
وأمّـا قـولُـهُ مـاءٌ طَهـورٌ ... ونُصْرَتـه لِقَـوْلِ المـالِكيّـة

(١) (س) ، (خ) ، والوافي : « فإنْ يدجو ... فذهنك ذو » وهي أشبه .
(٢) في (س) ، (خ) ، والوافي : « تميط عنها ... مدية » .
(٣) (س) و (خ) والوافي : « الكواكب في » .

فَجــاءَ على مُبــالَغَــة فعــولٌ ... وشــاعَ مَجيئــهُ للفــاعليّــة
وقَــد يُنـوى بــهِ التَّكثيرُ قَصـداً ... لِكَثْرَةِ مَن يَرومُ الطّــاهريّــة
وأيضــاً فَهُـوَ يَغسِـلُ كلّ جـزء ... ولاءٍ وهُــوَ رأيُ الشّــافعيّــة
فَخُــذْهــا مِن مُحِبٍّ ذي دُعــاءِ ... أتى منــهُ الرّويّ بــلا رَويّــة
لـــهُ فيكُم مُــوالاةٌ حَلَتْ إذْ ... أصـولُ الـوُدِّ منــهُ قــاهريّـة[1]
فـــإنْ مَرَّت إذا مَرَّت فَعَفْـواً ... فـــإنَّ السّتر شيمَتــكَ العَليّــة
فَمُرسَـل شعرهُ مــا فيــهِ طَعمٌ ... تُجــابُ بــهِ القَـوافي السُّكَّريّـة

وأورد له قاضي القضاة تاج الدِّين أبو نصر عبد الوهاب السبكي في (الطبقات الصُّغرى) له ، قال : وأنشدني أبو الفتح لنفسه بقراءتي عليه :

إذا رُمْتَ تعـدادَ الخـلائفِ عُـدّهُم ... كَما قلتـهُ تُـدعى اللَّبيبَ الْمُحَصّلا
عَتيـقٌ وفــاروقٌ وعثمانُ بعــدهُ ... عليّ الرّضى من بعــدهِ حسنٌ تَـلا
معــاويـــةٌ ثمَّ ابنــه وحَفيــده ... معــاويـة وابن الـزُّبيرِ أخـو العُـلا
ومروانٌ يَتلـوهُ ابنــهُ ووليــده ... سُلَيمــان وافى بعـــدهُ عمر ولا[2]
يـزيـد هشـام والـوليـد يـزيـدهم ... سَنــاهُم وإبراهيم مروان قَـد عَـلا[3]
بسفـاحِ المنصـورِ مهـديّ ابتـدي ... وهـــادٍ رشيــــد لـلأمينِ تَكَفَّـلا
وأعقبَ بـالمـأمـونِ مُعْتَصِمٌ غَــدا ... بـواثقـــه يستتبــعُ المتــوكّــلا
ومُنتصِرٌ والمستعين وبعــــــدهُ ... لمعتزّ المتلـوّ بــالمهتــدي انتقـلا
ومُعتمـــد يَقْفـوهُ معتضـــد وعن ... سَنـا المكتَفي يتلـوهُ مقتـدِرٌ سَـلا
وبـالقــاهرِ الرّاضي تعـوّض متَّـقٍ ... وبـــاللهِ مُسْتَكفٍ مُطيـع تَفَضَّـلا

---

(١) في الأصل : « حكت » ، وأثبتنا مافي (س) ، (خ) .
(٢) في الأصل : « وحفيده » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٣) في الأصل : « قد تلا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

وطـــائعهُم لله بـــالله قـــادرٌ وقـائمُهم بـالمقتـدي استظهرَ العُـلا
ومُسْتَرشِـد والرّاشِـد الْمُقْتَفى بـه ومُسْتَنجِـدٌ والمستضي نـاصرٌ تَـلا
وظـاهرهمُ مستنصِرٌ قـد تَكَلَّمـوا بِمُستَعصِمٍ في وقتِـه ظَهر البـلا
ومستنصِرٌ وحـاكمٌ وابنـه ولم يقم واثـق حتّى أتى حـاكمٌ المـلا
فـدونَكَهـا منّي بَـديهـاً نظمتـهُ فـإن آتِ تقصيراً فكُن مُتطـولا

وكتب له شيخنا العلامة شيخ الإسلام قاضي القضاة تقيّ الـدّين السبكي رحمه الله تعالى :

أجَـدْتَ تَقيَّ الـدِّينِ نَظْماً ومَقـولاً ولم تُبْـقِ شَـأْواً للفَضـائِـلِ والعُـلا
فَمَن رامَ نَظْماً لـلأَئِمَّـةِ بعـدَهـا يـؤمّ محـالاً خـاسئـاً ومجهّـلا[1]

قلت : لم يـذكر تقي الـدِّين ـ رحمه الله تعـالى ـ إبراهيم بن المهـدي ، وكان قـد تولّى[2] بعد الأمين ، ولا ابن المعتز في خلفاء بني العباس ، لأنه بويع له في حياة المقتدر بعدما خلع ، وكانت بيعة ابن المعتز يوم السبت لعشر بقين من شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين ومئتين ، وأُقعد في دار الـدّايـة ، وسُلّم عليه بإمرة المؤمنين ، لأن أولياء الأمر قالوا : المقتدر غير بالغ ، ثم كان أمر ابن المعتز يوم السبت وبعض يوم الأحد ، ثم فسد أمره وبطل لأن غِلمان المقتدر صعدوا في الطيارات في الماء وصاحوا من دجلة ، فخاف أصحاب ابن المعتز وتفرَّقوا ، وأُخِذ وقُتِل وأُعيد المقتدر . وفي ابن المعتز قال القائل :

لله دَرُّكَ من مَلِـك بمَضيعـة وافٍ منَ العلمِ والعَليـاءِ والحسبِ
مـا فيـهِ لـوٌّ ولا لـولا تُنَقِّصُـه وإنَّما أدركتـهُ حِرفَـةُ الأدَبِ[3]

(١) (خ) : « مجالاً » .
(٢) (خ) ، (س) : « قد ولي » .
(٣) (س) : « فتنقصه » .

وفي قوله ـ رحمه الله تعالى ـ : « ووليده سليمان » تجوّزٌ يوهم من لا علم له أن وليده سليمان واحد ، ومراده اثنان لأنه قال : « ومروان يتلوه ابنه » ، يعني به عبد الملك ، وولي بعد عبد الملك ابنه الوليد الذي عمَّر الجامع الأُموي ، ثم تولّى بعده سليمان ، فقوله : « ووليده سليمان » كان ينبغي أن يأتي بينهما بفيصل ، لأن لفظة الوليد مشتركة بين الولد والعَلَم .

وقد نظم الشيخ برهان الدِّين الجعبري ـ رحمه الله تعالى ـ قصيدة في هذه المادة مليحة ذكر الخلفاء إلى آخر وقت كُلاًّ منهم بلقبه وعمره ومُدَّة خلافته ، لكنها بخلاف بحروف الْجُمّل ، وقد ذكرتها مستوفاة في الجزء الرابع عشر من (التَّذكرة) التي لي . وله قصيدة أخرى نونيّة مردفة بألف ، ذكر ذلك بعد حروف الْجُمّل ، بل ذكره تصريحاً[(١)] .

ولشيخنا الذهبي أبيات قليلة ضمَّنها أسماء الخلفاء أيضاً في ثمانية أبيات ذكرتها أيضاً في هذا الجزء ، وللرشيد الكاتب قصيدة رجز في ذكر الخلفاء ، وقد أودعتها في الجزء السابع والثلاثين من (التّذكرة) التي لي ، وبعضهم نظم الخلفاء المصريين وما رأيت من نظمهم غيره ، وهي :

الأوّلُ الْمَهـديُّ ثُمَّ القـائِمُ ... وبعـدَهُ المنصـورُ ذاكَ العَـالِمُ
ثُمَّ الْمُعـزُّ بعـدهُ العَـزيـزُ ... والحـاكِمُ المبرّزُ الإبريـزُ
والظّـاهِرُ المشهـورُ والْمُسْتَنْصِرُ ... في عهـدِهِ شَخص الهُـدى مُسْتَبْصِرُ
والْمُصْطَفى للـدِّين والْمُسْتعلي ... وآمِرٌ والحـافِـظُ الْمُستَتْلي[(٢)]
والظّـاهِرُ الْمَـذكـورُ ثمَّ الفـائـزُ ... والعـاضِـدُ الأخير ذاكَ الفـائـزُ

---

(١) (س) ، (خ) : « صريحاً » .

(٢) (س) : « المستعلي » .

ونظم أبو الحسين الجزار أرجوزة سمّاها : (العقود الـدُّرِّيَّـة في الأُمراء المصريَّـة) ، ذكر فيها من حكم في مصر من أول الإسلام إلى آخر أيام السعيد بن الظاهر ، ثم كمل على ذلك فيما أظن الشيخ علاء الدِّين بن غانم إلى آخر أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون في الدولة الثانية ، ثم كمل عليها القاضي شهاب الدِّين بن فضل الله إلى آخر أيام الملك الصّالح إسماعيل بن الناصر محمد ، ثم إنني أنا كملت عليها إلى آخر وقت ، وهي جميعها في الجزء الرابع من (التّذكرة) التي لي .

١٦٢٩ ـ مُحَمَّد بن عبد الله بن أحمد*

القاضي شرف الدِّين [بن الصاحب][١] فتح الدِّين القيسراني المخزومي .

روى (جزء ابن عرفة) عن ابن عبد الدائم ، وسمع من الفقيه اليونيني[٢] ، وإبراهيم بن خليل ، وجماعة .

ولد بحلب سنة ثمان وأربعين وست مئة .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في يوم الجمعة مستهلِّ شعبان سنة سبع وسبع مئة .

وكان من بيت حشمة وصداره ، وكتابة ووجاهة وعباره[٣] ، وسيادة تسفل عن مراقي مراتبهم النجوم السَّيّاره . جمَّلوا الممالك وصانوها ، وزادوا الدول بهجة بألفاظهم وزانوها .

وكان القاضي شرف الدِّين هذا إذا كتب أخذ أرض الطرس زخرفها وازَّيَّنت[٤] .

* الوافي : ٣٧٠/٣ ، والدُّرر : ٤٨١/٣ .
(١) زيادة من (س) والوافي .
(٢) (س) : « محمد اليونيني » .
(٣) (س) : « ووزارة » .
(٤) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ حتّى إذا أخَذَتِ الأرْضُ زُخْرفَها وازَّيَّنَت وظَنَّ أهلُها أنَّهم قادِرونَ عَليها أتاها أمْرُنا ﴾ [يونس : ٢٤/١٠] .

وعُدَّت من الخيرات [اليانيّة][(١)] وتعينت . نَظْمٌ كأنه القلائـدَ ، ونظمٌ يشبـه الـدُّرَّ على لَبَّات الخرائد ، كلّه منتخبٌ ، وكلّه وجه غانية كأنه بالحسن[(٢)] البارع قد انتقب :

كأنَّ طُروسَــــــــهُ رَوْضٌ نَضيرٌ وأزهــارُ المعــاني فيــهِ غَضَّــهْ
فَكَمْ نــالَ الأديبُ بِهــا غِنــاهُ لأنَّ كــلامَــهُ ذَهَبٌ وفِضّــهْ

وكان متين الديانه ، متوشّحاً بالصِّيانه ، معروفاً بـالعفَّـة والأمـانـه . وكان يلازم تـلاوة القرآن ، لا يخـلُّ بـذلـك في ولا أوان . يقرأ القصص ، وإذا فرغ منهـا عـاد إلى التلاوة على الراتب . وإذا مرَّ بآيةِ سَجْـدة دار إلى القبلـة وسجـد وظهره إلى النـائب . وتبرَّم منه النائب وشكاه ، وذكر ذلك للسلطان وغيره وحكاه ، فما رجع عن عـادتـه ، ولا ترك ذلك من سعادته .

ولم يزل على حاله إلى أن سكن نَبْضُه وبطل من بيت المال قَبْضُه .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ في التاريخ المذكور .

أخبرني شيخنا الحافظ أبو الفتح بن سيِّد الناس قال : كان القاضي شرف الدِّين قـد توجَّه صحبة السلطان إلى غزوةٍ ، فرأيته في المنام كأنَّه منصرفٌ عن[(٣)] الوقعة ، وقد نصر الله المسلمين فيهـا على التتـار ، فـأخبرني بمـا فتـح الله بـه ، فنظمت في المنـام بيتين ، واستيقظت ذاكراً للأول منهما وهو :

الحمــدُ للهِ جــاءَ النَّصرُ والظَّفرُ واستبشرَ النَّيِّرانِ : الشَّمسُ والقمرُ

فكتبت إليه أعلمه بذلك ، فكتب إليَّ الجواب عن ذلك :

أيـا فـاضِـلاً تُلْهي معـاني صِفـاتِـهِ فكلُّ بَليـغٍ فـاضِـلٍ من رواتِــهِ[(٤)]

---

(١) زيادة من (س) .
(٢) (س) : « وكل وجه غانية بالحسن » .
(٣) في الأصل : « على » ، وأثبتنا مافي (س) والوافي .
(٤) (س) : « بليغ محسن » .

ومن يَسْتبين الفَهْمَ مِن لَحَظـاتِـه لـهُ آمِرٌ بـالرُّشـدِ في يَقَظـاتِـه
وفي النَّومِ يَهـديـهِ لخيرِ[١] الطَّرائـق
ومَنْ قُرْبُـه غـايـاتُ كلِّ فَضيلَـةٍ وأَسْطُرُهُ تُـزْهى بـزَهْرِ خَميلَـة[٢]
وجُملَتُـه في النّـاسِ أيّ جَميلَـة فـإنْ قـامَ لم يَـدْأب لغيرِ فَضيلَـة
وإن نـامَ لم يَـدْأب لغيرِ[٣] الحقـائق

يقبِّل اليد العالية الفتحيّة فَتَحَ الله أبوابَ الجنة بها ولها ، وأسعد خاطره الذي ما اشتغل عن الصواب ولا لها ، ومشتهى خُلُقه الذي لا أعرف لحسنه مشبهاً ، تقبيل مشتاق إلى روايته ورؤيته ، ونتائج بديهته ورَويَّته ، متعطِّش إلى روائه وإروائه والتَّيمُّن بعالي آرائه ، والتَّحلِّي به في هذه السفرة المسفرة بمشيئة الله تعالى عن الفلاح والنجاح ، والغزوة التي لها الملائكة الكرام النجدة ، والرايات النبوية السلاح ، والحركة التي أخلص المسلمون لله تعالى رواحهم ، وغدوَّهم ، وتعلَّقت آمالهم بأنَّه سبحانه وتعالى يهلك عدوّهم ، فإنهم قد بغوا والبغي وخيم المصرع ، وابتغوا الفتنة والفتنة لمثيرها تَصْرَع . وقد تكفَّل الله تعالى بالملَّة[٤] المحمَّدية أن يديل دولتها ، وأخبر رسول الله ﷺ أنَّ الله لا يسلِّط على هذه الأمة من يستبيح بيضتها ، فلهذا ما أمضينا[٥] في السهر ليلا ، ولا أنضينا في السفر خيلا ، ولا رجونا[٦] إلاّ أن « نَحْمِدَ السّرى عند الصّباح »[٧] ، وكدنا أن « نطير إلى الهيجاء زرافاتٍ ووحداناً » بغير جَناح ولا جُناح . وسمحنا بنفوس نفائس في طلب الجنة والسماح رباح ، وينهي أن المشرّف العالي ورد إليه فتنسّم

(١) في الأصل : « لغير » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٢) في (س) والوافي : « كل وسيلة » .
(٣) (س) والوافي : « لم يحلم بغير » .
(٤) في (س) والوافي : « للملّة » .
(٥) في الأصل : « أفضينا » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٦) في الأصل : « راحونا » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٧) من أمثال العرب : عند الصباح يحمد القوم السّرى . انظر مجمع الأمثال : ٣/٢ .

أرواح قربَه ، وأوجد مسرّات قلبه ، وأعدم مضرّات كَرْبه ، وأبهجه الكتاب بعبير رَيّاه ، وألهجه[1] الخطاب تعبير رؤياه ، فرأى خطّه وشياً مرقوما[2] ، ولفظه رحيقاً مختوما ، ووَجَدَه محتوياً على دُرَرٍ كلاميّة وبِشَرٍ مناميّه ، وحديث نفس عصاميّه .

نرجو من الله أن نشاهد ذلك أيقاظا[3] ، ونكون لأبنائه حُفّاظا .

وهو كتاب طويل . وأجاب عنه شيخنا فتح الدِّين ، وقد أثبتها في الجزء الأول من (التذكرة) [التي][4] لي .

١٦٣٠ ـ مُحَمَّد بن عبد الله بن المجد إبراهيم*

الشيخ الكبير المشهور الصّالح المرشدي .

[قرأ على][5] ضياء الدِّين بن عبد الرحيم ، وتلا على الصّائغ . وكان فقيهاً شافعيّ المذهب . وكانت له أحوال وهمّة عظيمة ، في خدمة الناس على مرِّ السنين والأحوال ، يطعم الناس الذين يردون عليه ، ويأتي لكلِّ واحد بما في خاطره ويقدِّمه بين يديه ، اشتهر هذا الأمر عنه وذاع ، وامتلأت به النواحي والبقاع . ولو وَرَدَ عليه من الألف نفس فما دونها أو جاؤوه في أيِّ وقت كان من غير هديّة يهدونها وجدوا ما يكفيهم ويكفي دوابّهم وشيوخهم وشوَابّهم .

(١) في الأصل : « وأبهجه » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٢) في الأصل : « مرفوعاً » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٣) في الأصل : « ألفاظاً » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٤) زيادة من (س) والوافي .

* الوافي : ٣٧٢/٣ ، وفيه : « المجد بن إبراهيم » ، والدُّرر : ٤٦٢/٣ ، والشذرات : ١١٦/٦ ، وذيول العبر : ١٩٨ ، والنجوم الزاهرة : ٣١٣/٩ ، والبداية والنهاية : ١٧٩/١٤ .

(٥) زيادة من (س) ، والوافي ، والدُّرر .

ولم يكن يقبل لأحد شيئاً البته . وتحيَّل الناس عليه في مثل هذا فحالما علم به ردّه بغته .

ولم يزل على حاله إلى أن راح إلى خالقه على سداد ، وسكن لحده إلى يوم المعاد .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في شهر رمضان سنة سبع وثلاثين وسبع مئة .

كان يحكي[١] عجائب يحار لها السامع من إحضاره الأطعمة الكثيرة للواردين وكلّ من حضر وخطر بباله في الطريق قبل وصوله إليه شيء من المآكل الغريبة أحضره إليه ووضعه قدّامه على الخصوص ، وكان مقامه بقرية منية مرشد بالقرب من بلد فوّه بالديار المصريّة .

تحيَّل السلطان الملك الناصر محمد وجهّز له[٢] مع الأمير سيف الدِّين بكتمر الساقي جملة من الذهب ، فغالطه في قبولها ودسَّها معه في مأكول جهَّزه معه إلى السلطان . وحجَّ في هيئة كبيرة وتلامذة .

أنفق في ليلة ماقيمته ألفان وخمس مئة درهم ، وقيل : إنَّه أنفق في ثلاث ليال ماقيمته ألف دينار ، وكان يأتيه الأمراء الكبار ومن دونهم الفقراء ، فيقوم بخدمتهم على أتمّ ما يكون ، وقلَّ من أنكر عليه[٣] ، فاجتمع به إلاّ وزال ذلك من خاطره . وكان شيخنا فتح الدِّين بن سيِّد الناس ممن ينكر حاله ويشنِّع عليه ، فما كان إلاّ أن اجتمع به ، فسألته عنه ، فقال : هو إنسان حسن . ثم إنَّه اجتمع به مرّة ومرّة ، وكذلك الأمر ناصر الدِّين بن جنكلي كان ينكر عليه واجتمع به ، وجرى بينهما تنافس في الكلام ، ولم يجئ من عنده إلاّ وقد رضي به .

---

(١) في الدُّرر : « يحكى عنه » .

(٢) (س) ، والوافي ، والدُّرر : « عليه ويعث له » .

(٣) في (س) والوافي : « عليه حاله » .

وأخبرني جماعة مِمَّن توجّه إليه وأقام عنده أنَّ في مكانه مسجداً ومنبراً للخطيب يوم الجمعة ، وكان يأمر الناس بالصلاة ، ولم يصلِّ مع أحد ، وصلاة الجماعة لا يَعْدِلها شيء . وأمره غريب والسلام ، يتولّى الله سريرته[١] .

وكان قد عظم شأنه ، ويكتب الأوراق إلى دوادار السلطان ، وإلى كاتب السِّرِّ ، وإلى من يتحدث في الدولة بقضاء أشغال الناس بعبارة ملخَّصة موجزة على يد من يتقاضاه ذلك ، ويقضي جميع ما يشير به ، وما عَظُمَ واشتهر في الديار المصرية إلاّ بتردد القاضي فخر الدين ناظر الجيش إليه ، فإنه كان يزوره كثيراً ، فعظم لذلك محلُّه في النفوس .

وبات في عافية ، وأرسل إلى الذين من حوله[٢] ليحضروا إليه فقد عرض أمرٌ مهم ، فأتوه ، فدخل خلوته وأبطأ ، فطلبوه فوجدوه ميتاً في التاريخ المذكور .

والحكايات في شأنه تزيد وتنقص إلاّ أنه لا يدّعي شيئاً ، ولم يُحفظ عنه شطح ، حسن العقيدة ، شافعي المذهب ، وكان يُخرِج إلى الواردين أطعمة كثيرة من داخل مكانه ، ولا يدخل إلى ذلك المكان أحد سواه .

قال القاضي شهاب الدين بن فضل الله : حكى لي الأمير الوزير مغلطاي الجمالي رحمه الله تعالى ، قال : توجهت إلى زيارة الشيخ محمد المرشدي ، فلَمّا قربت منه اشتهيت قمحيّة بلبن حليب بلحم رميس ، فلَمّا وصلنا جاء ومعه زبدية كبيرة فيها قمحيّة بلبن حليب بلحم رميس[٣] ، وقال لي : كُلْ . ثمَّ بقي يغيب ويأتي بأشياء أُخَر ويضعها قدام مماليكي ، وكلّما أتى بشيء إلى واحد منهم تعجَّب منه ويقول : أنا والله كنت اشتهيته ، وأحضرَ أكثر من عشرين لوناً ما يطبخ إلاّ في مطبخ السلطان .

---

(١) في (س) والوافي : « سيرته » .

(٢) (س) والوافي : « إلى القرى التي حوله » .

(٣) (س) : « خروف رميس » .

قال : وحكى لي شهاب الدِّين أحمد بن مليح الإسكندري بالإسكندرية ، قال : نويت زيارة الشيخ محمد في نفسي . وقلت : لعلّي أصادف عنده هيطليّة بسمن وعسل آكل منها . فجاء كتاب وكيل الخاص باستعمال حوائج السلطان ، فعاقني عمّا عزمت عليه ، فلم يمضِ غير يومين أو ثلاثة وإذا أنا برجل قد أتاني من عند الشيخ ، وقال : الشيخ يسلِّم عليك وقد بعث لك هذا السمن والعسل ليعمل لك هيطليّة وتأكل بها ، ولو كانت تحمل إليك لبعث بها .

قال : وقد زعم قوم أن هذه الكرامات إنما كانت بصناعةٍ مُقَرَّرة بينه وبين قاضي فوّه فإنها كانا روحين[1] في جسد ، وكان قد تحصَّن بالشيخ ، فلا يقدر قاضي القضاة ولا أحد على عزله ، وطال ذيله ، وأكثر من تسجيل البلاد والتجارة ، والولاة ترعاه إمّا لاعتقاد في الشيخ أو لرجاء العناية من الشيخ بهم عند الدولة . فنمت أمواله ، وصلحت حاله ، واتسعت دائرة سعادته ، ولم يبق له دأب إلاّ يلقى من يصل من ذوي الأقدار قاصداً زيارة الشيخ ، لأن فوّه طريق مُنية مرشد ، فإذا وصل الزائر أنزله وأضافه وشرع في محادثته ومحادثة من معه حتى يقف على ما في خواطرهم وما يقترحونه ، ثمَّ إنَّه يبعث إلى الشيخ بذلك على دوابّ مُرَكَّزة في الطريق بينهما ويمدّه من الأصناف بما لعلّه لا يكون عنده ، ويعطيه حليَة كلّ رجل من المذكورين واسمه .

قلت : هذا فيه بعدٌ إلى الغاية ، وهذا يريد أموالاً كثيرة ينفقها القاضي أولاً على الزائرين ، ثمَّ إنَّه يجهِّز إلى الشيخ بما يطعم به زوّاره ثانياً . ولعلَّ الذي كان يشتهي المأكول أو المشروب يشتهيه بعد فراق القاضي في نفسه ، فمن أين يعلم الشيخ بذلك أيضاً[2] ؟ فما كلُّ من قصد الشيخ يعمل طريقه على فُوّه ويجتمع بالقاضي .

(١) في الأصل : « زوجين » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) في (س) : « وأيضاً » .

واستفاض[(١)] أنّه ما راح أحد وتمنّى شيئاً يأكله أو يشربه إلاَّ وجاءه الشيخ به .

وكان الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ أسمر مبدناً ربعة[(٢)] من الرجال ، حسن الشكل ، منوّر الصورة ، جميل الهيئة ، حسن الأخلاق .

ومات ـ رحمه الله تعالى ـ وقد قارب الستين . وكان يفتي من يسأله من غير أن يكتب خطّهُ .

١٦٣١ ـ مُحَمَّد بن عبد الله بن الحسين*

ابن علي بن عبد الله الزرزاري[(٣)] الإربلي الدمشقي ، قاضي القضاة العلاّمة شهاب الدِّين أبو الفرج وأبو عبد الله بن الإمام مجد الدِّين .

سمع من ابن أبي اليُسر ، ومظفر بن عبد الصَّمد بن الصائغ ، والفخر علي ، وابن أبي عُمَر ، وأبي بكر [بن][(٤)] الأنماطي ، وابن الصابوني ، وعبد الواسع الأبهري ، والنجم بن المجاور ، وابن الواسطي ، وابن الزين ، وابن بلبان ، وغيرهم .

وكتب الطباق ، وسَمع كثيراً ، وأفتى ، ودرس ، وجوَّد العربية والفقه . وكان في الشروط آية ، وفي معرفة الأحكام ونقضها وإبرامها غاية . وكان في المكارم لا يجارى ، وفي الجود[(٥)] لا يبارى ، وله على الناس خدم ، وفي المروّة رسوخ قَدَم . ينظر في المكتوب نظرة واحدة فيعرف فساده من صلاحه ، ويزيل منه واواً أو يزيده ألفاً فيأتي

(١) (س) : « وقد اشتهر واستفاض » .

(٢) (س) : « رفعة » ، تحريف .

* الوافي : ٣٧٣/٣ ، والدُّرر : ٤٦٧/٣ ، وذيول العبر : ٢٠١ ، والبداية والنهاية : ١٨١/١٤ ، والنجوم الزاهرة : ٣١٤/٩ .

(٣) في الأصل : « الزرزالي » ، وفي الوافي : « الزدزاي » ، تحريف ، وفي البداية : « الرازي » ، وزرْزا : قرية من الصعيد الأدنى . (معجم البلدان) .

(٤) زيادة من (س) والوافي والدُّرر .

(٥) (س) : « في الكرم ... وفي جود » .

بالمراد على اصطلاحه . ولي قضاء القضاة بدمشق بعد ابن جملة[١] فلم يحمد ، وعاد طرف الدِّين به وهو أمْدَ .

ولم يزل على حاله إلى أن انهدم ابن المجد ، وأهلك نفوس ذويه عليه من الألم والوجد .

كان أولاً ينوب في وكالة بيت المال عن القاضي جمال الدِّين والقاضي علاء الدِّين ابن القلانسي ، ثمَّ إنَّه انفرد بالوكالة في جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، ثمَّ ولي قضاء القضاة بعد ابن جملة ، ولبس تشريفه لذلك اليوم في يوم الأحد ثامن عشري القعدة سنة أربع وثلاثين وسبع مئة . ولم يزل به إلى أن عزل من باب السلطان بقاضي القضاة جلال الدِّين القزويني ، ولم يُعْلَم ، ثمَّ إنَّه توجَّه إلى القاضي شهاب الدِّين بن القيسراني يهنِّئه بكتابة السِّرّ ، فنفرت به البغلة عن حمام الخضراء فَرُضَّ دماغه ، فحمل في محفَّة إلى العادليّة .

ومات بعد أسبوع في آخر جمادى الأولى سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة اثنتين وستين وست مئة ، ولم يعمل له عزاء . وأُوذي أصهاره .

أنشدني من لفظه لنفسه شمس الدِّين مُحَمَّد الخياط الشاعر :

بغلةُ قاضينا إذا زُلْزِلَتْ ... كانَت لهُ مِن فوقِها الواقِعَة
تَكاثُرَ أَلْهاهُ مِن عُجْبِهِ ... حتّى غَدا مُلْقى على القارِعَة
فَأَظْهَرَت زَوْجَتُهُ عِندَها ... تَضايُقاً بالرَّحْمَةِ الواسِعَة[٢]

وكتب إليه الشيخ جمال الدِّين مُحَمَّد بن نباتة[٣] :

---

(١) هو يوسف بن إبراهيم بن جملة الدمشقي (ت ٧٣٨ هـ) . النجوم الزاهرة : ٣١٧/٩ .

(٢) في الأصل : « روحه » ، وأثبتنا ما في (س) ، والوافي ، والدُّرر ، والنجوم .

(٣) ليست في ديوانه .

قـاضي القُضـاةِ ابـقَ في سَماء عُـلاً ... مُقتبِـلَ السَّعـدِ نـافِـذَ الْحُكْمِ
كَم مِن صَديـقٍ قـد جـاءَ يَسْـألُني ... في البِرِّ والْمَكْرُمـاتِ والْحِلْمِ
عن ابن صَصْرى وعنـكَ. قلتُ لـهُ: ... لا فَرْقَ بينَ الشِّهـابِ والنَّجْمِ

١٦٣٢ ـ مُحَمَّد بن عبد الله بن عمر*

الشيخ الإمام العلاّمة الخيِّر الورع زين الدِّين بن علم الدِّين ابن الشيخ زين الدِّين بن المرحّل الشافعي . هو ابن أخي الشيخ صدر الدِّين بن الوكيل .

رَبي على طريق خيرٍ [وسلامه][1] ، ونشأ في صون وعفاف لم يلحقه في ذلك سآمه ، يلازم الاشتغال ليلاً ونهارا ، ويكرِّر دروسه في [كلِّ][2] وقت مرارا . وكان من أحسن الناس شكلا ، وأبهجهم وجهاً ، كأنَّ البدر منه تجلَّى .

وكان قد جوَّد الفقه والأصول وتوفَّر عنده منهما المحصول .

وأما العربيّة فكان فيها ضعيفا ، ولم يسمع الناس له فيها صريفا .

وناب في الحكم بدمشق فَحَمِدَت سيرته ، وودَّ الناس ، لو دامت على ذلك جيرته .

ولم يزل على ذلك إلى أن رحل ابن المرحّل إلى المقابر وعُدَّ بعد أن كان موجوداً في[3] الغوابر .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة .

---

* الوافي : ٣٧٤/٣ ، والبداية والنهاية : ١٨١/١٤ ، ووفيات ابن رافع : ٥١/١ ، والدُّرر : ٤٧٩/٣ ، والشَّذرات : ١١٨/٦ ، والدّارس : ٢١٣/١ عن الوافي ، وذيول العبر : ٢٠٣ .

(١) زيادة من (س) .

(٢) زيادة من (س) .

(٣) في الأصل : « إلى » ، وأثبتنا ما في (س) .

وكان عمّه الشيخ صدر الدِّين رحمه الله تعالى يحسده ، ويقول : لا إله إلا الله ابن الجاهل طلع فاضلاً [وابن الفاضل طلع جاهلاً][(١)] يعني بذاك ابنه .

وكان قاضي القضاة شمس الدِّين بن الحريري عيَّنه للقضاء وأشار به على السلطان إما لقضاء [مصر][(٢)] أو لقضاء الشام ، ولم يكن فيه ما يمنعه عن[(٣)] ذلك غير صغر سنّه . وجهزه السلطان على البريد إلى دمشق وولاَّه تدريس الشاميّة البرّانيّة[(٤)] عوضاً عن الشيخ كمال الدِّين بن الزملكاني ، فوصل إليها يوم الثلاثاء تاسع[(٥)] عشري شهر رجب سنة خمس وعشرين وسبع مئة ، وكان الناس قد أوهموا الأمير سيف الدِّين تنكز ووصفوه بالدين المتين ، فلما جاء كان في الميدان ، فلما رآه ترجل له وجاء وقبَّل يده ، فنزل بذلك من عينه[(٦)] .

وأخبرني جماعة أن دروسه لم تكن بعيدة عن[(٧)] دروس الشيخ كمال الدِّين لفصاحته وعذوبة ألفاظه .

وباشر نيابة الحكم عن قاضي القضاة علم الدِّين الأخنائي بدمشق في الحادي والعشرين من صفر سنة ثلاثين وسبع مئة .

١٦٣٣ ـ مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد الأموي المروي*

الشيخ الأديب محبّ[(٨)] الدِّين أبو عبد الله المغربي المعروف بابن الصائغ .

(١) زيادة من (س) والوافي .
(٢) زيادة من (س) والوافي .
(٣) (س) : « من » .
(٤) انظر ، البداية والنهاية : ١١٨/١٤ .
(٥) (س) : « سابع » .
(٦) في الأصل : « فترك بنلك عن عينه » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٧) (س) : « في » ، والوافي : « من » .
* الوافي : ٣٧٥/٣ ، والدُّرر : ٤٨٤/٣ ، والشّذرات : ١٦٥/٦ ، وفيه : « المرّي » .
(٨) (س) : « مجير » ، تحريف .

رأيته بالقاهرة مرات ، واجتمعت به في دروس شيخنا العلاّمة أثير الدِّين وغيرها .

وسمعت أنا وهو (صحيح) البخاري بقراءة الشيخ شهاب الدِّين بن المرحّل النحوي على الشيخ فتح الدِّين وأخيه بالقاهرة[١] أبي القاسم بالظاهرية بين القصرين ، فكان هذا الشيخ محب[٢] الدِّين يأتي بفرائد في أثناء السماع مما يتعلّق بالعربية الغريبة واللغة .

وكان يعرف العروض معرفة تامّه ، ويجيد الكلام على غوامضها الخاصّة والعامّه .

وأما العربيّة فكان عنده لبابها ، ولديه تجتمع أبوابها ، ذهنه الخارق[٣] فيها كالنار إذا توقّدت ، وحلّها بيده إذا تَعَقّدت .

وشعره فائق جزل ، يسلك به طريق[٤] الجدّ لا الهزل ، أنشدني منه كثيرا ، وحباني منه لؤلؤاً نظيماً ونثيرا . وكان يعاني اللعب بالعود[٥] ، ويُطيب وقته بالأماني والوعود .

ولم يزل على حاله إلى أن سكت المحبّ فما نبس ، وصحَّ عنده من أمر الموت ما التبس .

وتوفِّي ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون مصر .

وكان قد كتب إليَّ وأنا بالقاهرة :

صلاحَ الدِّينِ يا ربّ المقال ويا تِربَ المعاني والمعالي
تَصدَّق لي بصَرْفِ زَكاةِ جاهٍ فَفيها إن أرَدْتَ صلاحُ حالي[٦]

(١) ليست في (س) ، (خ) ، والوافي .
(٢) (س) : « مجير » ، تحريف .
(٣) ليست في (س) .
(٤) ليست في (خ) .
(٥) (س) : « وكان يلعب بالعود » .
(٦) (خ) : « فقيهاً » ، تحريف .

فكتبت جوابه مع شيء أهديته إليه :

محبّ الـــدِّين في الآداب شيــخٌ نــوى لي أن يعرّضَ بـــالنّــوال
إذا مـا الجـاهُ لم أكُ فيـهِ وَجْهـاً فـــالي لا أجـودُ بفَضـلِ مـــالي

وأنشدني من لفظه لنفسه يمدح القاضي نجم الدِّين محمد بن محمد الطبري قاضي مكة ، وقد أنشده القاضي خمسة أبيات على هذا الوزن والروي ، وستأتي في ترجمة المذكور إن شاء الله تعالى :

شَرع الهَوى هُوني لعزّةِ جاهك فارْثي لِذلّةِ مَوْقفي بجاهك[1]
رِقّي لجسمٍ رَقّ مِن دَنَفِ الهَوى وشَفاهُ ما تَحْويهِ حُوّ شِفاهك[2]
لا تعجبي إن ذبت شوقاً واعجبي أنْ ليسَ إلاّ سقم طَرفك ناهك[3]
وَسَنٌ نفى وَسَني فنِمتُ ولم أنم ماليلةِ السّاهي كليلِ السّاهك[4]
بَطحاء وادي الأثلِ لولا تيهها ونِفارُها ما حُمْتُ في أتياهك
ولَمّا وخَدْت بها شَوازب ضمّراً أوردتها عَشراً ثِغاب مياهك[5]
بُدّلت سِدْرَك بالسَّدير وما حوى ونفائح النِّسرين فيحُ عِضاهك
وهجرت طيبَ كرىً وواصلتُ السُّرى بمَشَقّةِ التَّهجيرِ في إدماهك[6]
أدعوا بسعدى أينَ يُمن سَراي إذ أكرهتم وعفّفت عن إكراهك[7]

(١) (س) : « فادني لذلة » .
(٢) في الأصل : « حلو » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي .
(٣) في (س) ، (خ) ، والوافي : « ذبت سقماً » .
(٤) الساهك : الرّمد .
(٥) في الأصل : « بغاب » ، وفي (س) : « ثواب » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي ، والثغاب : أكثر الماء للتبقي في الوادي .
(٦) في الأصل : « هوى » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي . والدمه : شدة حر الرمل .
(٧) في الأصل : « كرهتم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي .

نَصبــــوا عليّ رحـــــــاضهم لكنّهم ... شاهَت وُجوهُهم لِصَوْلـةِ شـاهـك
جُبْتُ الشِّعـابَ وآلَ شعبـة عنـدمـا ... سَـدَل الظَّـلام رِداءَهُ برداهـــك (١)
أعْشــو إلى حلي التّرائب خِفيَـــــةً ... إذا غَمَّضَ الأترابُ عن أفكاهــــك
ادني اللجين لعسجــــديّ شـــاحب ... صدئ الإهاب بِما اكْتَساهُ سـاهـك (٢)
اسقي عِهاد الـدَّمع عَهـداً بـاللّوى ... أنسيتــه لشفـــاي لا لشفـــاهـــك
زَمنـــــاً أُرَدِّدُ آهـــــة المشغــوفِ من ... حُرَقي فيحيكيني ترجُّــعُ آهــــك
أنضـارتي اشتعــلَ المشيبُ فـأنضبت ... شُعَـلَ الحشـا مـا راقَ من أمـواهـك
ينهى وينهكني مشيبٌ صُنْتــــــــه ... ولمـا عرفت بصـون نـاهٍ نـاهـك
حُلْك المفـارق قـد تنفس صبحــه ... يا نفس هبّي من كَرى استعماهك (٣)
يَستَبْـــدِهـونـــك للنّسيب فشرِّفي ... بشريفِ مكّــةَ منتـجِ استبـداهـك
قـاضي الشريعــةَ والمقيم منـارَهــا ... حيثُ المقـــامُ وحيثُ بيت إلهـــك
بُلِّـدت في جوبِ البـلادِ ومَـدْحـه ... يشفي فينفي تهمـــة استبـلاهـــك
لـــولاه أوشكت الخمــول فـــلازمي ... شكرَ الـذي سنّى لقــاهُ لقـاهـك
يـــا خيرَ أرضِ الله قـــد رضِيَ النّـوى ... رَجُـلٌ ثَـوى فـــأوَى إلى أوّاهـــك
القطب نجم الــدِّين إشراق الــدُّنـــا ... معنى العُــلا أسنى وجـوهِ وجـاهـك
مَنْ إن تَشـابَهت الـوُجـوهُ أقَـلْ لهـا ... من بعد هـذا الـذهن لاستشباهـك (٤)
إن يخف مَعنـاكِ السّقيم فعـامـل ... بصحيحِ حكمتـهِ على أفقـاهـك (٥)
روّى الحـديث فروّيت سـاحـاتهـا ... يـا سحب إذا حلّت عُرا أفـواهـك (٦)

---

(١) في الأصل : « برادهك » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي .
(٢) في الأصل : « بعسجدي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي .
(٣) (خ) : « حلل » ، تحريف .
(٤) (س) : « تشابهت الرموز » .
(٥) (س) : « فعائل » . وفي الأصل : « تصحيح » ، وأثبتنا ما في (س) ، والوافي .
(٦) في (س) ، (خ) ، والوافي : « ساحاتها » .

غَيثاً أغاثك يا حجاز بدُّره ... وجَلا هَوامِدَ أغْبَرتْ بجلاهك
فاخضرَّ مَرعاكِ المبارك مُمْرعاً ... والتفَّت البهمى بغَضٍّ شباهك
جودي سماءُ يُمنٍ دعوة من سما ... رُتبا يقلُّ لها انتعال جباهك
يا نفس إنَّك قد نُقهت من الغِنى ... ولقد غَنيت اليومَ في استنقاهك
هذا الجواد لما حوى يمناه في ... إفقار كيسِ المال أم إرفاهك (١)
يَسخو بما يوعى ويُطْبي ما يعي ... كم بينَ كنز نفيسةٍ ونفاهك (٢)
دارت رَحى الأيّام تبغي جاره ... فأجاره مِن كلِّ داءٍ داهك (٣)
أُمَّ القُرى قد جارَ مَن أمَّ القرى ... بفِناءِ بُدنِك كلِّها وشاهك
ناسبت غرّته وبيت نسيبه ... فأعدت ليس البدر من أشباهك
يا همّةً عن كلِّ همٍّ نُزِّهَت ... إلا العُلا دومي على استِنزاهك
لسموتَ حينَ سمهت في شأو العُلا ... أُفرِدْت فالأسماء في أسماهك (٤)
يا فِكرةً بَدهت بأبدع مُلحَةٍ ... ما أقربَ الإبداعَ مِن إبداهك
عرّضتها لمعارض لم يحكِها ... أنّى وقد لزمَت قوافيها هك

١٦٣٤ ـ محمد بن عبد الله بن الحسين*

ابن علي بن عبد الله بن عمر بن عيسى ابن أحمد بن حسن ، الشيخ الفقيه الصالح الزاهد عفيف الدين أبو عبد الله ابن الشيخ الإمام مجد الدين أبي محمد الزرزَاري الإربلي الدمشقي .

---

(١) في (س) ، (خ) ، والوافي : « بما حوى أمناه » .
(٢) (خ) : « ويبطي » ، وفي الوافي : « ويظني » .
(٣) في (س) ، (خ) ، والوافي : « الأزمات » .
(٤) في الأصل : « أسموت » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي ، وفي الوافي : « سهمت » .
* الدرر : ٣/٤٦٨ .

سمع من شيخ الشيوخ الأنصاري ، وإبراهيم بن خليل ، وجماعة . حفظ (التنبيه) ، ولمّا مات والده ولي تدريس الكلاّسة مُدّةً بعده . وكان إماماً بالقيمرية ، ثمّ انتقل عنها إلى الظاهرية .

حدث بالقاهرة ودمشق وبطريق الحجاز .

توفي رحمه الله تعالى ثالث عشري شهر [ربيع][١] الآخر سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

ومولده بحلب سنة خمسين وسبع مئة ، وأثنى الناس عليه عند موته كثيراً[٢] .

١٦٣٥ ـ محمد بن عبد المجيد بن عبد الله*

القاضي سعد الدين بن فخر الدين [بن صفيّ الدين][٣] ابن الأَقْفَاصي .

كان قد ولي نظر الخزانة بمصر ، ولمّا توجه السلطان الملك الناصر[٤] إلى الكرك في سنة ثمان وسبع مئة توجه صحبته ، وأظهر هناك شرّاً كثيراً وعَسفاً .

وتوفي رحمه الله تعالى بالقاهرة سنة أربع عشرة وسبع مئة في ثامن عُشري [ذي][٥] الحجة .

كذلك[٦] يقال في ألسنة العوام : « الأقفاصي »[٧] ، وإنما هو الأقفهسي ، بهمزة

---

(١) زيادة من (س) .

(٢) (س) : « ثناء كثيراً » .

* الوافي : ٢٦/٤ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٣٧ ، والدرر : ٢٧/٤ .

(٣) زيادة من (س) والوافي ، والتالي .

(٤) (س) والوافي : « الناصر محمّد » .

(٥) زيادة من الوافي .

(٦) (س) : « كذا » .

(٧) (س) : « ابن الأقفاصي » .

مفتوحة وقاف ساكنة وفاءٍ مفتوحة وبعدها سين مهملة ، نسبة إلى أَقْفَهْس ، وهي قرية من قرى مصر[٢] .

١٦٣٦ ـ محمد بن عبد المجيد بن أبي الفضل*

ابن عبد الرحمن بن زيد[٣] الحنبلي ، الشيخ الفقيه الإمام[٤] المفتي بدر الدين أبو عبد الله .

كان فاضلاً صالحاً مسجلاً ، ليس في بلده له نظير ، وكان يكتب الإسجالات[٤] والشروط كتابة مليحة خطّا ولفظاً .

ويفتي الناس ويقرئهم[٥] .

توفي رحمه الله تعالى تاسع شهر ربيع الأول سنة اثنتين وسبع مئة .

ومولده سنة خمس وأربعين وست مئة .

١٦٣٧ ـ محمد بن عبد المحسن بن الحسن**

شرف الدين الأرمنتي ، قاضي البهنسا .

كان فقيهاً نحوياً شاعراً ذكياً[٦] كثير الاحتمال ، أريباً باذلاً للنوال . بنى مدرسة ورباطاً ومسجداً بالبهنسا . ورسخ بذلك قدَمُه في الخير ورسَا .

---

(١) بالصعيد ، (معجم البلدان) .

* الدرر : ٢٧/٤ .

(٢) في الأصل : « يزيد » ، وأثبتنا ما في (س) والدرر .

(٣) في الأصل : « الإمام الفقيه الإمام » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٤) الإسجال : الكتابة أو التسجيل .

(٥) (س) : « يقربهم » .

** الوافي : ٣٠/٤ ، والطالع السعيد : ٥٣٩ ، والدرر : ٢٧/٤ .

(٦) (س) والوافي : « ذكياً لبيباً » .

ولم يزل على حاله إلى أن جاءه حتفه ، ورُغِمَ بالموت أنْفُه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة اثنتين وسبعين وست مئة .

وكان قد قرأ الفقه بالصعيد على خاله سراج الدين يونس بن عبد المجيد الأرمنتي[١] ، وتأدّب به ولازمه ، وأقام بمصر سنين يشتغل بها مع خاله ، [إلى أن ولي خاله][٢] فسار معه وتزوج ابنته ، وكان ينوب عنه حيث كان ، وكان قد عُيّن شرف الدين المذكور لقضاء الإسكندرية ، وطُلَب إلى القاهرة [فحضر][٣] جمعٌ كبير من أهل البهنَسَا وأظهروا الألم لفراقه ، وسألوا القاضي جلال الدين القزويني ألاّ يغيره ، فأعفاه ، ورجع إلى البهنسا . ثم إنه عُيّن لقوص ، فلم يوافق ، ومات رحمه الله تعالى ولم يُعْقب .

وقال القاضي كمال الدين الأدفوي : أنشدني كثيراً من شعره ومنه :

جز بسفح العقيق وانشق خزامَه ... وفؤادي سَلْ عنه إن رُمت رامه
وإذا ما شهدت أعلام نجد ... وزرود وحاجر وتهامَه
صف لجيرانها الكِرام بيُوتاً ... حالة الصبِّ بعدهم وغرامَه
وترفق لهم وسَلْهُم وصالا ... وقل الهجرُ والصدود علامه ؟[٤]
عَبدكم بعدكم على الودّ باقٍ ... لم يغير طولُ البعَاد ذمَامَه
يا كرام النصاب إنا نراكم ... حيث كنتم بكلّ حيّ كرامَه[٥]

---

(١) (ت ٧٢٥هـ) ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) زيادة من (س) والوافي ، والطالع .

(٣) زيادة من (س) والوافي ، والطالع .

(٤) في الدرر : « وترفّق بهم » .

(٥) الطالع السعيد : ٥٤٠ .

قال : وأنشدني لنفسه يجمع « العَبادلة » :

إن العَبـــادلـــة الأخيـــار أربعـــة مناهـج العلم في الإسلام للنـاس[١]
ابن الـزبير وابن العـــاص وابنُ أبي حفص الخليفـــة والحبر ابن عبّـــاس
وقـد يضـاف ابنُ مسعود لهم بـدلاً عن ابن عمرٍو لـوهْمٍ أو لإلبـــاس[٢]

وقال : حكى لي أن بعض عدول البهنسا حكى له أنّ امرأة حضرت مع زوجها إلينا لنُوقع بينهما الطـلاق ، فرأينـاه لا يشتهي ذلـك ، فكلمنـاهـا ، فلم تقبـل ، فـاوقعنـاه ، فالتفت إلينا وأنشدت :

لّمـا غـدا لأكيـد عَهْـدي نـاقضـاً وأراد ثـوبَ الـوصـل أن يتمـزّقـا[٣]
فـارقتـه وخلعت من يـده يـدي وتلـوت لي ولَـهُ ﴿ وإنْ يتفرَّقـا ﴾[٤]

١٦٣٨ ـ محمد بن عبد المحسن بن أبي الحسن*

ابن عبـد الغفـار ، الشيخ الفـاضل الواعـظ المسنـد المعمرّ ، مسنـد الوقت ، عفيف الدين أبو عبـد الله الأَزجي البغـدادي الحنبلي الخرّاط ، والـده الـدواليبي شيخ الحـديث بالمستنصرية .

سمع سنة أربع وأربعين من ابن الخيِّر إبراهيم[٥] ، وابن العلّيق[٦] ، وابن قُمَيْرة[٧] ،

(١) في الوافي : « الأحبار » .
(٢) الطالع السعيد : ٥٤١ .
(٣) في الأصل : « الصبر » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي ، والطالع .
(٤) ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاً مِن سَعَتِهِ ﴾ [النساء : ١٣٠/٤] .
* الوافي : ٢٨/٤ ، والدرر : ٢٧/٤ ، والنجوم الزاهرة : ٢٧٤/٩ ، والشـذرات : ٨٨/٦ ، وذيـول العبر : ١٥٦ ، ووقع في الأصل « ابن عبد القادر » ، وأثبتنا ما في (س) وبعض المصادر الأخرى .
(٥) في الأصل و(س) : « ابن أبي الخير إبراهيم » ، وأثبتنـا مـا في الـوافي . وهـو إبراهيم بن محمود بن سـالم (ت٦٤٨ هـ) ، السير : ٢٣٥/٢٣ ، والعبر : ١٩٨/٥ .
(٦) هو الأعز بن فضائل البغدادي ، ابن العليق . توفي سنة (٦٤٩هـ) ، العبر : ٢٠٢/٥ .
(٧) هو يحي بن أبي السعود (ت٦٥٠هـ) ، العبر : ٢٠٦/٥ .

وأخيه يحيى ، وعبد الملك بن قينا[١] ، وأحمد بن عمر الباذبيني ، وعجيبة الباقداريّة[٢] ، وطائفة أخرى ، وسمع (المسند) كله بفَوتْ ، و (صحيح مسلم) ، وانتهى علوّ الإسناد إليه .

كان يقولُ : حفظت (اللمع) في النحو و (مختصر الخَرقيّ) .

وحجَّ غير مره . ووَعظ بكلاّسة دمشق ، وسمع منه شيخُنا الذهبيّ بالعُلا[٣] وغيرها ، وكان حَسَن المحاضرة ، طيّب الأخلاق ، أخذ عنه الفرضي وابن الفوطي ، وشيخنا البرزالي ، وصفيّ الدين بن الخطيب ، وسراج الدين القزويني ، وشمس الدين بن خلف ، وأخوه منصور ، وعفيف الدين المطري ، وخلق سواهم .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الخميس ، ودفن يوم الجمعة خامس عشري جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين وسبع مئة [ببغداد][٤] .

ومولده سنة سبع وثلاثين وست مئة .

ومن شعره :

كم قد صفت لقلوب القوم أوقاتُ ... وكم تقضّت لهم بالليل لذّات
فالليلُ دَسكرةُ العشّاق يجمعُهم ... ذكر الحبيبُ وصِرف الدمع كاسات[٥]
ماتوا فأحياهم إحْيَاء ليلهمُ ... ومن سواهم أناسٌ بالكرى ماتوا[٦]
لّما تجلّى لهم والْحُجْبُ قَدْ رُمِعت ... تهتّكوا وصَبَتْ منهم صَبابات

(١) في ذيول العبر : « قيبا » .
(٢) عجيبة بنت الحافظ محمد بن أبي غالب الباقداري (ت٦٤٧هـ) ، الشذرات : ٢٣٨/٥ .
(٣) لسم لموضع من ناحية وادي القرى بينها وبين الشام ، نزله رسول الله ﷺ في طريقه إلى تبوك . (معجم البلدان) .
(٤) زيادة من (س) .
(٥) الدسكرة : بيت يكون فيه الشراب واللهو .
(٦) في الأصل : « للكرى » ، وأثبتنا ما في (س) .

وغيبّتهم عن الأكــــوان في حُجُب وأظهرت سرّ معنـــــاهم إشـــارات
شـافي القلـوب هـو المحبـوب يشهـده صبّ لـه بقيـام الليـل عـادات[١]
إذا صفـا الوقت خـافـوا مِن تكـدُّرهِ وللـوَصـــال من الهجران آفـــاتُ

وكان ينظم المواليّا والكان وكان[٢] .

١٦٣٩ ـ محمد بن عبد المحسن*

القاضي قطب الدين أبو عبد الله بن مجد الدين بن تقيّ الدين السبكي ، قاضي حمص .

مولده سنة أربع[٣] وثمانين وست مئة .

وتوفّي رحمه الله تعالى بدمشق بعدمَا نزل[٤] عن القضاء بحمص ، وكان قد وليها في سنة تسع[٥] وأربعين وسبع مئة ، ولم يزل[٦] إلى أن ولي بعلبك في سنة ثلاث وستين وسبع مئة [فأقام بها مديدة يسيرة ، ثم عاد إلى حمص ، وحضر إلى دمشق في شهر ربيع الأول سنة أربع وستين وسبع مئة][٧] وحصل له ضعف انقطع به إلى أن توفي في بكرة الجمعة مُستهل جمادى الأولى سنة أربع وستين وسبع مئة ، ودفن بالصّالحية .

(١) في الأصل : « ساقي القلوب » ، وأثبتنا ما في (س) ، ولعلّها أشبه .
(٢) في (س) : « كان » بلا واو ، وهو أحد الأنواع الشعرية المستحدثة .
* البداية والنهاية : ٢٩٩/١٤ وفيه : « حمد بن الحسن » . ووفيات ابن رافع : ٣٦٩/١ ، والدرر : ٢٨/٤ ، وذيول العبر : ٣٥٩ .
(٣) في ذيول العبر : « ست وثمانين » .
(٥) في الأصل : « ترك » وأثبتنا ما في (س) .
(٥) في ذيول العبر : « سبع » .
(٦) في (س) : « يزل بها » .
(٧) زيادة من (س) .

وكان كثير السكون والميل إلى الموادعة والركون ، لا يتحدث فيما لا يعنيه ، ولا يؤسس الشر ولا يَبْنيه . وكان شيخنا قاضي القضاة تقيّ الدين السُّبكي رحمه الله تعالى يركن إليه ويعتمد عليه .

وروى عن ابن الحبوبي(١) ، وعلي بن محمد بن هارون الثعلبي(٢) وطائفة .

وكان قد تفقّه على الشيخ صدر الدين السبكي ، وأخبرني قاضي القضاة تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب السبكي أنه كان يستحضر من (الحاوي)(٣) جملة كبيرة ، وكان كثير التلاوة رحمه الله تعالى .

١٦٤٠ ـ محمَّد بن عبد الملك بن عمر*

الشيخ الإمام الزاهد القدوة شرف الدين الأرزوني .

كان شيخاً مشهوراً بالصلاح ، تامَّ الشكل ، أسمر ، مهيباً جليلاً قليل الشيب مليح الهمّة والعمّة والشيبة والبزّة(٤) ، صاحب سمت وهدى ووقار .

صحبَ الكبار وتعبد وانقطع [سنة ست وتسعين وست مئة](٥) .

١٦٤١ ـ محمد بن عبد الملك بن إسماعيل**

الأمير الملك الكامل ناصر الدين ابن الملك السعيد بن السلطان الملك الصالح ابن

---

(١) إبراهيم بن علي بن محمد ، سلفت ترجمته .

(٢) في الأصل : « علي بن محمّد بن محّمد ... » ، سهو ، وقد سلفت ترجمته ، وفي ذيول العبر : « التغلبي » .

(٣) (س) : « الحاوي الكبير للماوري » ، وانظر : الكشف ٦٢٨/١ ، وتوفي الماوري سنة (٤٥٨ هـ) .

* الوافي : ٤٥/٤ ، والدرر : ٣٢/٤ .

(٤) (س) : « مليح العمّة والبزّة » ، ومثله في الوافي .

(٥) زيادة من الوافي .

** الوافي : ٤٦/٤ ، والبداية والنهاية : ١٣٠/١٤ ، والدرر : ٣١/٤ ، وذيول العبر : ١٥٣ ، والنجوم الزاهرة ، ٢٦٩/٩ .

العادل الأيوبي سبط السلطان الكامل وابن خالة صاحب الشام الناصر يوسف وابن خالة صاحب حماة .

حدّث عن ابن عبد الدايم .

كان من أمراء دمشق الأكابر في الطبلخاناة ، وكان ذكياً خبيراً بالأمور ، بصيراً بالورود في القضايا والصدور [يُعَدّ في رؤساء الأمراء وسادة الصدور ، ويجلس من المحافل الكبار في الصدور][1] ، ينبسط كثيراً مع لطافه ، وينخرط في التنديب إلى سلك يزين عقوده من الزمان أعطافه ، ونوادره عديده ، وبوادره فيها عتيده ، لو عاصره أبو العَيناء[2] لقال هنا هو الإمام ، أو الجمّاز[3] قفز وناوله هذا الزمام . أو أبو العِبَر[4] لعثر ، أو أشعب الطمَع لسلا عمّا رأى وسمع .

كانت تقع له نكتٌ حارّه ، وتناديب إلى القلوب[5] سارّه ، هزّازة ، خلاّبه ، [بزّازة سلاّبه][6] .

ولم يزل يستدين ويُنفق ويستعين ممّن[7] لا يرفق إلى أن بهضهُ حمل الدين ، وصار منه بمنزلة القذى في العين ، وصار كلما نهض بهض[8] . وكلما نسخ رسخ .

---

(١) زيادة من (س) .

(٢) محمد بن القاسم بن خلاّد ، أديب من الظرفاء (ت٢٨٣ هـ) ، وفيات الأعيان : ٥٠٤/١ ، والأعلام : ٣٣٤/٦ .

(٣) أبو عبد الله محمد بن عمرو ، تحكى عنه نوادر ، وفيات الأعيان : ٧٠/٧ .

(٤) محمد بن أحمد ، له نوادر كثيرة (ت ٢٥٠هـ) ، فوات الوفيات : ٢٩٨/٣ .

(٥) (س) : « للقلوب » .

(٦) زيادة من (س) .

(٧) في الأصل : « عمّن » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٨) في الأصل : « نهض » وفي (س) : « ربض » ، ولعل ما أثبتناه أقرب ، يقال : بهضه الأمر إذا شقّ عليه .

كخائض الوحل إذا طال العناء به فكلّما قلقلتـه نهضـةٌ رسَبَا[1]

وأنجده الله أخيراً بالأمير سيف الدين تنكز فحجر عليه في إقطاعه ، وترك الصاحب شمس الدين يتحدّث له في مشتراه وابتياعه ووفاء ديونه وانتفاء غبونه . فصلحت حاله بعض الصّلاح . وما تقدر على الإمساك كف تعوّدت البذل والسّماح .

وبقي على حاله حتى فقده الوجود ، وترك العيون عليه بالدموع تجود .

وتوفي رحمه الله تعالى في يوم الأربعاء العشرين من جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وخمسين وست مئة .

وأوصى أن يُدفن عند أبيه بتربة الكامل فما مكّن ، ودفن بتربة جدتهم أم الصالح ، و [والدته][2] وهي ربيعة خاتون بنت السلطان الملك الكامل محمّد ابن السلطان الملك العادل أبي بكر .

وكان الملك المنصور صاحب حماة ابن خالته ، وكان الملك العزيز صاحب حلب مزوّجاً بخالته الأخرى .

كان أولاً[3] من أمراء دمشق ، ثم نقل إلى حماة ، ثم أعيد إلى دمشق ، ولمّا حضر إليها اجتمع بأصحابه ، فسألوه عن حماة ، فقال : أنا ما كنت في حماة بل كنت في الأردو ، يعني بذلك أن الملك المؤيد ابن خالته صاحب حماة يتكلم بالتركي .

وعاشر الأفرم ونادمه وأحبه كثيراً وقربه ، وكان لا يصبر عنه ، وكان يوماً هو والشيخ صدر الدين بن الوكيل عند الأمير جمال الدين الأفرم وقد أحضر لهم على بكرة

---

(١) في الأصل : « العتاء » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) زيادة من (س) .

(٣) ليست في (س) .

سخاتير[١] صنعَها لهم وتأنق الطّباخون بها ، فقال الملك الكامل : يا شيخ أنا أحبّ السخاتير فقال صدر الدين: « حب الوطن من الإيمان »[٢] فانتكى الكامل منها ، وكان قد تقرر بينهم أنه من سبق وحضر إلى حضرة الأفرم يَركب الذي يجيء بعده ويدور في المجلس فتأخر الملك الكامل تلك الليلة إلى أن تحقق أن صدر الدين قد سبقه وجاء بعده ، فقال الأفرم : أيش أخّرك إلى هذا الوقت ، قم يا شيخ اركبه ، فقال : والله طيّب إن غبنا ما تذكرونا[٣] ، وإن جئنا تحمّلون علينا الكلاب ! فقال صدر الدين : يا خوند ما يضيع له شي ، استوفاها .

قلت : والشيخ صدر الدين أخذ تنديبتَهُ من قول نصير الدين الحمّامي ، أنشدني من لفظه شيخنا الحافظ فتح الدين اليعمري ، قال : أنشدني من لفظه لنفسه النصير الحمامي :

رأيت شخصاً آكلاً كرشَةً ... وهو أخو ذوق وفيه فِطَنْ
وقالَ مَازلت محبّاً لَهَا ... فقلت من الإيمان حبّ الوطن

ونقلت من خط[٤] الشيخ شهاب الدين أحمد بن غانم ، وأنشد فيه إجازةً:

أيها اللائمي لأكلي كُرُوشا ... أَتْقَنُوها في غاية الإتقان
لا تَلُمْني على الكروش فحبّي ... وطني من دلائل الإيمانِ[٥]

---

(١) السخاتير ، عامية : وهي نوع من الطعام يصنع من أمعاء الغنم ومعدته . معروفة في مناطق حمص وحماة بهذا .

(٢) يسخر منه ، إذ جعل أحشاء الماشية وطناً له .

(٣) في (س) ، والدرر : « تطلبونا » .

(٤) ليست في (س) .

(٥) في (س) والوافي ، زيادة : « وتوجه مرة مع الأفرم إلى الصيد ، فضرب الحلقة ، ولما فرغ أحضر على العادة كل أمير ما رماه من الصيد ، فقال له الأفرم : وأنت يا ملك ما رميت شيئاً ؟ قال : نعم ، رميت . قال : وأين هو صيدك ؟ قال : الكف الذي كان معلقاً في حياصتي رميته ، فضحك الأفرم والجماعة » .

وقيل له[١] : إن هلال رمضان ثبت البارحة ، فقال : من رآه ؟ فقالوا : مجد الدين الميت ، فقال : هذا ميت وفضولي ، ويخلط شعبان في رمضان .

وحضر عند الصاحب شمس الدين ليلة[٢] ، فلمّا أحضرت الحلوى وجاء البابا بالفوطة والماوردية ورشّ على يده ، فأخذ الماورد ومسَحَ به عينيه وقال : الحلوى رأيتها بعيني ، وأما بيدي فما لمستها ، لأن الصاحب كان قد أشغله بالحديث عنها حتى فرغت ، فضحك الصاحب وأحضر له حلوى تخصه .

وحكى لي الأمير شرف الدين حسين بن جندر قال : جرى الحديث بيننا يوماً في حضرة الأفرم ، فقلت المثل المشهور : « فقلت اصفعوني وردّوا شبابي » ، فقال : والله الأولى نقدر عليها الساعة والأخرى ما يقدر عليها إلاّ الله تعالى .

ونظر ولده يوماً في حضرة الأفرم وهو واقف قدامه إلى بعض الفقهاء وقد لبس بابوجاً أزرق ، فتعجب ولده من ذلك فقال : لا تعجب منه ، هذا نصراني مقلوب .

ووجدوه يوماً في الصيف وعليه فروة سنجاب ، فقالوا : يا مَلِك في الصيف بفروة ؟ فقال : أنا ما ألبس بالفصول ، إلا إذا بردت لبست الفروة .

وكان من أخص الناس بالشيخ كمال الدين الزملكاني ، وكان إذا وقع بينه وبينه ركب فرسه ودار على أصحابه ومعارفه وقال : قد وقع بيني وبين ابن الزملكاني فلا تسمع فيّ ما يقول ، وكذلك يفعل الآخر .

ودخل إليه الأمير شرف الدين حسين بن جندر يعوده في مرضه ، وكان قد طُلب إلى الديار المصرية وأخذ معه ثلاث مئة درهم فقال : هذه برسم الطبيب ، فقال : بالله

(١) (س) والوافي : « له يوماً » .

(٢) في الوافي : « ليلة موعد » .

دعها تحت الطَّرّاحة[١] لئلا يبصرها أرباب الدَّين ، وقال له يوماً : أمير[٢] شرف الدين ما نحنُ كلنا أولاد ناس ، فما أعلم من أين داخلت هؤلاء التتر وصرت منهم ، وما أعلم وَجْه المناسبة بينكم ، نعم دينك[٣] هو الذي يجمع بينكم .

وقلت أنا فيه :

الملكُ الكامل في سَعده نَقْصٌ وفيَ تَنْديبه قد كَمَلْ
كَبيت شعر نصفه سائر حُسناً وباقي لفظه قد خَمَلْ

وكان الملك الكامل قد باشر شدّ الأوقاف بدمشق وصار يولّي ويعزل ، فغضب ابن صَصَرى لذلك ، وترك الكلام في الأوقاف ، فصار الملك الكامل يصرف مال الأوقاف الحكمية بقلمه إلى أن وصل كتاب السلطان لقاضي القضاة ابن صصرى في أواخر شهر رجب الفرد سنة تسع وسبع مئة باستمراره على نظر الأوقاف ، فانشرح لذلك وتكلم على عادته في الأوقاف .

ولم يزل الكامل في شد الأوقاف إلى أن عزل بالأمير سيف الدين بكتمر المنصوري لما[٤] وصل الناصر من الكرك ، وكان الملك العادل كتبغا قد أمّره في المحرم سنة تسع وتسعين وست مئة لما كان بدمشق .

١٦٤٢ ـ محمّد بن عبد المنعم*

شرف الدين بن المعين[٥] المنفلوطي .

---

(١) في التاج (طرح) : « طرح له الوسادة ألقاها ، وطرحوا لهم المطارح : المفارش » .
(٢) في (س) : « يا أمير » .
(٣) (س) : « ذكرت دينك » .
(٤) في الأصل : « ولمّا » ، وأثبتنا ما في (س) .
* الدرر : ٣٣/٤ ، والشذرات : ١٣٢/٦ .
(٥) في الأصل : « المعيني » ، وفي (خ) : « المعتني » ، وأثبتنا ما في (س) ومصادر ترجمته .

كان فقيهاً شافعياً ، أديباً شاعراً تَفَقَّه بالشيخ نجم الدين البالسي وغيره ، وقرأ الأصول على الشمس الْمُحَوْجَب[١] . وكان مقبولاً عند الحكام ، واختصر (الروضة) ، وتكلم على أحاديث (الْمُهَذَّب) وسَمَّاه (الطراز الْمُذَهّب)[٢] .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة إحدى وأربعين وسبع مئة .

ومن شعره :

ما للمليحة ما رَعَت حَقّ الإخا ... لمحّبها يوماً ولم تَدْرِ السّخَا
أضحت رياح صدودها لمحبّها ... نكداً عواصف بعدمَا كانت رَخَا[٣]
وعزيزة بالدَّل ظَلَتْ لعِزّها ... متذللاً أبغي لديها مُنْتَخَا
سَفكت دمي عمداً وآيةُ سَفْكِها ... في الخدّ إذ أضْحَى به متضمّخا
كم أثبتت للصبّ آية صدّها ... منها أبَت لثبوتها أن تنسَخا

١٦٤٣ ـ محمّد بن عبد الوهاب بن عطية*

الفقيه المحدّث ناصر الدين الإسكندراني .

قال شيخنا الذهبي : صحبته بالثغر ، وسمعت بقراءته على الغرّافي ، وكان قارئ الحديث عنده بالأبزاريّة[٤] ويؤم بمسجد ، وكان ديّنا عاقلاً ، مليح الخط .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .

ومولده في حدود الستين وست مئة .

---

(١) محمد بن يوسف بن أبي بكر ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) كشف الظنون : ١٩١٣/٢ .

(٣) في الأصل و (خ) : « بلدا » ، وأثبتنا ما في (س) .

* الوافي : ٧٧/٤ ، والدرر : ٣٦/٤ .

(٤) لعلّها منسوبة إلى : « أبزار » قرية بينها وبين نيسابور فرسخان (معجم البلدان) .

١٦٤٤ ـ محمّد بن عبد الوهاب بن عبد العزيز*

ابن الحسين بن الحَبّاب ، القاضي نجم[١] الدين المصري ، وكيل بيت المال بالقاهرة .

روى (جزء الحفّار) عن علي ابن مختار بن الْجُمّل[٢] ، وسمع أيضاً من جدّه وابن الْجُمَّيزي .

توفي رحمه الله تعالى حادي عشر شهر ربيع الأول سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومولده في شهر ربيع الأول سنة[٣] أربع وعشرين وست مئة .

وكان موصوفاً بالأمانة والنزاهة ، وهو من بيت رئاسة في مصر .

١٦٤٥ ـ محمّد بن عبد الوهاب بن علي**

القاضي جمال الدين بن السديد الإسنائي .

نشأ في سعادة ورئاسه ، وسيادة ونفاسه . وكان له خَدَم ، وأتباع وحَشَم ، وكانت فيه صداره ، وعليه رونق من السعادة والنضاره[٤] .

وتوفي رحمه الله تعالى ... وسبع مئة[٥]

---

* لم نقف على ترجمته ، وأشار إليه في السير : ٧٧/٢٣ .

(١) (س) : « شرف » ، وظاهر كلام الذهبي في السير أنه : « زين الدين » .

(٢) (ت ٦٣٨ هـ) ، السير : ٧٦/٢٣ ، والعبر : ١٥٨/٥ .

(٣) زيادة من (س) .

** الوافي : ٧٧/٤ ، والطالع السعيد : ٥٤٤ ، والدرر : ٣٦/٤ .

(٤) (س) : « ونضارة » .

(٥) كذا في الأصل و (س) ، ولم يذكر في الوافي سنة وفاته ، وفي الدرر : « ومات في سنة ٧٣٩ أو بعد ذلك . قلت : بل عاد إلى نيابة القضاء بقوص فإني وقفت على مكتوب أثبته سراج الدين أبو بكر ... في ذي القعدة سنة (٧٤١ هـ) ، وهو يومئذٍ ينوب عن جمال الدين هذا في الحكم بقوص » .

ومولده سنة ثمان وسبعين وست مئة .

اشتغل بالعلم ، وقرأ الفقه على الشيخ بهاء الدين القفطي ، وأجازه بالفتوى . وتوجه إلى القاهرة ، وسمع من الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، والحافظ شرف الدين الدّمياطي ، وقاضي القضاة ابن جماعة ، وقرأ على شيخنا أثير الدين (الفصول في النحو) ، وعلى الخطيب الجزري (الأصُول) وأجازه بالفتوى ، وأجازه الشيخ فخر الدين عثمان بن بنت أبي سعد[١] .

وتعدّل وجلَسَ بالقاهرة وقوص ، وتولّى العُقود ، واستنابه زين الدين إسماعيل السفطي[٢] في الحكم بأرمنت ، وتولّى الخطابة بإسنا ، وتولى الحكم بقمولا وقنا وقفط وأصفون ، ثم ولي النيابة بقوص ثم إن قاضي القضاة جلال الدين القزويني قسم عمَل قوص بينه وبين شهاب الدين أحمد بن عبد الرحيم بن حرمي القمولي ، فتولّى جمال الدين قوص والبَرّ الشرقي وذاك في البر الغربي ، وتزوج ببنت ابن حرمي للائتلاف ، وأقبل جمال الدين على المتجر بجملته[٣] ، واستمال ابن حرمي الوالي بالهدايا . فاتّفق أن وقع الغلاء في قوص سنة خمس وثلاثين وسبع مئة ، وكان عند جمال الدين تقدير ألفي إردبّ وخمس مئة إردب ، فقال الوالي لجمال الدين : إنه يبيع بالسعر المعروف ، فأراد التأخير لغلاء السعر ، فكتب الوالي إلى السلطان ، فبرز مرسومه بالحوطة عليه وإحضاره ، وصَرُف عن القضاء . ثم إن جمال الدين تولّى النيابة خارج باب النصر بالقاهرة بعد سنتين [وشهرين][٤] مُدَيْدة لطيفة ، فلمّا تولّى قاضي القضاة عز الدين بن جماعة لم يُولّه .

---

(١) هو عثمان بن علي بن يحيى ، سلفت الإشارة إليه .

(٢) إسماعيل بن موسى بن عبد الخالق . سلفت الإشارة إليه .

(٣) في الوافي : « بجملته » .

(٤) زيادة من (س) والوافي ، والطالع .

١٦٤٦ ـ محمد بن عثمان بن أبي الوفاء*

القاضي بدر الدين بن فخر الدين العزازي ، أحد كتاب الدرج بدمشق .

كان حسَنَ البِزّة والسّمت ، كثير الوقار يلزم الصمت ، عديم الشرّ ، حافظ السرّ ، يكتب خطاً حسنا ، يطلعُ به في روض الطّرس ورداً وسوسنا .

لم يزل على حاله إلى أن غاب بدره فما طلع ، وسار على النعش وما رجع .

وتوفي رحمه الله تعالى ليلة الخميس ثالث عشر ذي الحجة سنة ثلاثين وسبع مئة .

ومَولده سنة ست وسبعين وست مئة .

حجّ واستصحب معه الشيخ إبراهيم الصيّاح[١] ، وعادله في المحمل . وكان يعتكف العشر الأواخر من شهر رمضان .

قال شيخنا البرزالي : وسمع معنا على الشيخ تقي الدين الواسطي عدة أجزاء .

قلت : وكان كثير الملازمة بسوق[٢] الكتب بجسر اللبادين يوم الجمعة ، ويقتني[٣] الكتب النفيسة ، ومَلَك منها ومن الكرند شيئاً كثيراً ، وكان عنده من والده ـ وقد تقدم ذكره في حرف العين ـ أشياءُ نفيسة مثل السرطان البحري والكحل الأصبهاني والنصفيّة في داخل قصبة ، إلى غير ذلك . إلاّ أنه كان إذا أنشأ شيئاً يأتي[٤] بما يُضحِك منه .

ولّما توفي رحمه الله تعالى طَلِبْت أنا من الرحبة ورُتّبت مكانه ، وكان في آخر أمره

---

* الوافي : ٨٨/٤ ، والدرر : ٤٥/٤ .

(١) إبراهيم بن منير ، سلفت ترجمته .

(٢) (س) : « من سوق » .

(٣) في الأصل : « وتعتني » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (س) .

(٤) (س) : « أتى » .

قد حنا عليه الأمير سيف الدين أُلجاي الناصري الدوادار ووعَدَه أن يكون مِنْ جملة مُوقِّعي الدست فعَاجلته المنيّة ولم تُبلغه الأمنية .

١٦٤٧ ـ محمد بن عثمان*

الصاحب الأمير نجم[١] الدين البصروي ، ابن أخي قاضي القضاة صدر الدين الحنفي .

كان فيه كرمٌ زائد ، وجودٌ يأتي لعافيه بالصلة والعائد ، وعنده شهامه ، ولديه همّة وصرامه .

ودَرَّس أولاً ببصرى ، وأتى بفوائد في دروسه[٢] تتْرى ، وخدم السلطان الملك الناصر وهو في الكرك ، ونقل إليه ما أراد فما بقّى ولا تَرَك ، وسعى له في الباطن مع أمراء دمشق بملطفات[٣] إلى أن انبرم له الأمر ، وصار لهباً ذلك الجَمْر ، فرعى له حقّه ، وملكّه من السؤدد رِقّه . فولي الحسبة ، ثم نظر الخزانة ، ثم الوزارة ، وانتقل بعد ذلك إلى الإمارة ، فأعطي طبلخاناه ، ولم يلبس زي الأمراء ، وأنف منه للازدراء .

ولم يزل على حاله إلى أن انبثق نجمه وضمّه رَجْمه[٤] .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثامن عشري شعبان سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة .

---

* الوافي : ٨٩/٤ ، والبداية والنهاية : ١٠٨/١٤ ، والدرر : ٤٦/٤ ، والشذرات : ٦٢/٦ .

(١) في الأصل : « فخر » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٢) (س) : « درسه » .

(٣) في (س) زيادة : « ومذكرات ومعطفات » .

(٤) في الأصل : « إلى أن ضمّه نجمه رغمه » ، وأثبتنا ما في (س) ، لكن وقع فيها : « رحمه » ، وما أثبتنا أشبه ، والرجم : القبر . وانبثق : الفجر .

ووصل من مصر(١) إلى دمشق في سابع صفر سنة عشر وسبع مئة متولياً وزارة دمشق(٢) ، وترك الحسبة لأخيه فخر الدين سليمان ، وأظنه استمرّ في الوزارة إلى أنْ تولاها الصاحب عز الدين بن القلانسي ثالث ذي القعدة سنة عشر وسبع مئة(٣) ، ولبس هو للإمرة يوم الخميس ثالث عشر صفر سنة إحدى عشرة وسبع مئة ولم يغيّر ملبوسه ، وكان قد وَصَل من مصر إلى دمشق في ذي الحجّة سنة ست وسبع مئة .

وقد تولّى الحسبة عوضاً عن أمين الدين [يوسف العجمي ، ثم إنّه وصل من مصر أيضاً متولياً نظر الخزانة عوضاً عن شمس الدين بن](٤) الخطيري مضافاً إلى الحسبة في أواخر شهر رمضان سنة سَبع وسبع مئة . ثم إنه عزل من الحسبَة في عشري جمادى الآخرة سنة تسع وسبع مئة بالشيخ عز الدين بن القلانسي .

وقد تقدم ذكر أخيه الشيخ صفيّ الدين أبي القاسم بن عثمان في مكانه ، وذكر أختها أم يوسف فخرية الصّالحة في مكانه(٥) من حرف الفاء .

١٦٤٨ ـ محمّد بن عثمان بن يوسف*

الصدر الكبير القاضي بدر الدين أبو عبد الله الآمدي ثم المصري الحنبلي ، المعروف بابن الحدّاد .

تفقّه بمصر ، وحفظ (المحرر) وتميّز ، ثم دخل في الكتابة ، واتصل بالأمير قراسنقر ، ودخل(٦) معه إلى حلب وولي نظر ديوانه والأوقاف والخطابة . ولما تولّى

---

(١) في الأصل : « حضر » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) البداية والنهاية : ٥٨/١٤ .

(٣) البداية والنهاية : ٥٩/١٤ .

(٤) زيادة من (س) . وانظر البداية والنهاية : ٤٦/١٤ .

(٥) (س) : « مكانها » .

* الوافي : ٨٩/٤ ، والبداية والنهاية : ١١٥/١٤ ، والدرر : ٤٦/٤ ، والشذرات : ٦٥/٦ .

(٦) (س) والوافي : « وسار » .

دمشق ولّى ابنهُ خطابة دمشق ، انتزعها من الخطيب جلال الدين القزويني ، ثم وصل توقيع جلال الدين بعد أيام من مصر بإعادته . ثم ولي الحسبة عوضاً عن فخر الدين البصروي . ووصل[1] إلى دمشق من مصر في ذي القعدة سنة أربع عشرة وسبع مئة ، ثم إنه عزل بابن مبشر[2] ، ثم أعيد إليها في جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وسبع مئة . وتولى[3] نظر البيمارستان النوري ، ثم نظر الجامع الأموي .

وكان له سماع من القاضي شمس الدين بن العماد ، وذُكِر لقضاء دمشق في وقت .

وتوفي رحمه الله تعالى في يوم الأربعاء تاسع جمادى الأولى سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

١٦٤٩ ـ محمّد بن عثمان*

الصدر المقرئ صلاح الدين ابن الشيخ المقرئ شمس الدين [بن][4] محمد بن منيع بن عثمان بن شاد البشطاري[5] .

كان مقرئاً ، رئيس المؤذنين بالجامع الصالحي خارج باب زويلة بالقاهرة ، كانت له قراءات في عدة أماكن ، وفيه مروءة وعصبيّة ، وله مكانة عند الناس .

توفي رحمه الله تعالى ليلة عيد الأكبر[6] سنة ثلاثين وسبع مئة ، ودفن ثاني يوم بالقرافة .

---

(١) (س) : « وصل » .

(٢) عز الدين المبشر (ت٧١٦هـ) ، كما في البداية والنهاية : ٧٨/١٤ .

(٣) ليست في (س) . وانظر البداية والنهاية : ٧٣/١٤ ـ ٧٤ .

* الدرر : ٤٤/٤ .

(٤) زيادة من (س) .

(٥) كذا في الأصل و (س) ، وفي الدرر : « ساد البسطاوي » .

(٦) في (س) : « عيد الله الأكبر » .

١٦٥٠ ـ محمَّد بن عثمان بن أبي الحسن*

ابن عبد الوهاب الأنصاري ، قاضي القضاة ، شمس الدين بن الحريري ، قاضي القضاة بدمشق وبالقاهرة .

سمع من ابن أبي اليُسر ، وابن عطاء ، والجمال بن الصيرفي ، والقطب بن أبي عصرون ، وجماعة . وتفقَّه فبرع في الفقه ، وحفظ (الهداية) وغيرها ، وأفتى ودرَّس وتميّز .

وكان مِنْ قضاة العدل ، والحكام الذين خُصّ ستر وقارهم[١] بالعدل ، نظيف البزّه ، صلب القناة في الحق عند الغمز والهزّه ، عليه مهابة ووقار ، وسَمْت[٢] تُرمى النجوم عنده بالاحتقار ، وله عِبَاره ، وشارة وإشاره ، وكان قوّالاً بالحق ، قواماً بالصّدق ، حميد الأحكام ، صارماً على الخاص والعام ، متين الديانه ، وصيّن الصيانه ، له أوراد يقوم بأوقاتها ، ويعدّ ذلك لنفسه من أقواتها .

وكان يراعي الإعراب في كلامه ، وفي فصله القضاء عند أحكامه ، ومع نسائه وخدّامه ، إلاّ أنه كان مفرطاً في تعظيم نفسه ، ورؤية الناس من أبناءِ[٣] جنسه . وبهذا لا غير نُقم عليه ، وبه يشار عند الذم إليه .

ولم يزل على حاله إلى أن لبس الحريري[٤] قطنَ أكفانه ، وأطبق القبر على إنسانه ما يطول من غمض أجفانه .

---

* الوافي : ٩٠/٤ ، والبداية والنهاية : ١٣٤/١٤ ، والدرر : ٣٩/٤ ، والشذرات : ٨٨/٦ .

(١) في الأصل : « والحكم الذي خص ستر وقارهم » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) في الأصل : « وشمس » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٣) في (س) : « من دونه في أبناء » .

(٤) (س) : « ابن الحريري » .

وتوفي رحمه الله تعالى بالقاهرة يوم السبت رابع جمادى الآخرة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

وفي شهر ربيع الأول ورد البريد يطلبه إلى مصر متولياً قضاء القضاة بها عوضاً عن قاضي القضاة شمس الدين السروجي ، وولاّه السّلطان أيضاً تدريس الناصريّة والصّالحية وجامع الحاكم . وكان وهو بدمشق قد عُزل بقاضي القضاة شمس الدين الأذرعي ، وطُلب للأذرعيّ توقيع شريف من الشام ، فلما كان في شهر ربيع الآخر سنة ست وسبع مئة وصل البريد من مصر ومعه توقيع فتوهم البريديّ أنه لقاضي القضاة ابن الحريري ، فتوجه به إليه ، وحضر أصحابه إليه للهناء به ، ففُتح التوقيع وقرئ ، ولمّا وصل القارئ إلى الاسم وجَدَه غيره فطوى التوقيع ، وحصل لقاضي القضاة[1] خجل من هذا الأمر ، وكانت هذه واقعة غريبة[2] .

ولما أقام بمصر قاضياً كان لبكتمر الساقي إصطبل بأرض بركة الفيل لورثة الملك الظاهر وقفاً ، فتعرض إليهم وقال : هذه الأرض زادت معكم[3] ، فتوجه وكيل بيت المال ونائب الحكم لقياس الأرض فما زادت شيئاً ، ثم أرسلوهم مرة أخرى وتحيّلوا على الزيادة وقالوا : أعطونا أرض الإصطبل بالزيادة ، فقالوا : نحن نُشهد علينا بقبض الأجرة ونعوّض ، فقيل للسلطان : في[4] مذهب أبي حنيفة يجوز التعويض ، فقال لابن الحريري عن ذلك ، فقال : هذا رواية عن أبي يوسف وحده[5] ، وما أعمل بها ، فولّى السلطان القاضي سراج الدين عمر صهر القاضي السروجي قاضياً وعزل ابن

(١) (س) : « وحصل للقاضي شمس الدين بن الحريري » .

(٢) انظر ، البداية والنهاية : ٤١/١٤ .

(٣) (س) : « معلم » .

(٤) ليست في (س) .

(٥) (س) : « وجدّه » ، تصحيف .

الحريري ، وحكم سراج الدين [بذلك][١] وبقي على القضاء[٢] مُدَّة يسيرة ، ثم مات ، وأعيد ابن الحريري ، وعظمت مكانته .

وكان فقيهاً جيّداً ، له محفوظات جيدة ، ودرَّس بعدّة مدارس ، وأفتى وشغل[٣] الطلبة وولي قضاء دمشق مدّة سنتين ، وانفصل منه ، ثم طُلب لقضاء مصر ، وكان موصوفاً بالنزاهة لا يقبل لأحد هديّة ، وكان له حرص على خلاص الحقوق وفصل القضايا ، وصُحْبَتُه جيدة ، ومودّتُه أكيدة ، ينفع أصحابه ومعارفه .

وكانت جنازته حافلة ، وعُمل عزاؤه بالجامع الأموي ، وكان قد سمع الحديث على النجيب المقداد ، وابن علاّن ، وغيرهم . وحدّث بدمشق والقاهرة .

قال شيخنا علم الدين البِرزالي : وخَرَّجْت له جزءاً عن عشرة من الشيوخ ، قرئ عليه غير مرة .

وفي قاضي القضاة شمس الدين الحريري[٤] يقول شمس الدين الباذرائي[٥] :

مـــذ أسلمتَني عَيْنُ أمِّ سـالمٍ إلى الرّدى يئسْتُ مِنْ مُسالميْ
وكلما قَلّ نصيبي عندهَا تكاثرت في حُبِّها لَوَائميْ
يا مقلتيَّ أنتما نعمتَما والقلب يَشْقَى وهوَ غيرُ جارمِ
جنيتما الذنب فلاأقلّ مِنْ أن تبكيا قلبي بدمعٍ ساجم
عيناي عَونان عليّ وهما منّي وهل بعدهما مِن راحم[٦]

(١) زيادة من (س) .
(٢) (س) : « على قضاء القضاة » .
(٣) (س) : « وأشغل » .
(٤) (س) : « ابن الحريري » .
(٥) (س) : « شمس الدين محمد بن محمد الباذرائي » ، وستأتي ترجمته في موضعها .
(٦) (س) : « متى فهل » .

قلبي غمرٌ في اتّبــــاع غيّـــــه يـــالَيتني بـــدّلتــــه بحَـــازِمِ[1]

منها في المديح :

قـــد ختم الـــدهر بـــه أجـوَاده وإنمـــا الأعمـــالُ بـــالخـــواتمِ

وقال يَمدحه أيضاً :

أشكـــو إلى عثمان جـــودَ ابنــــهِ فقـــد رمـــاني في الطـويـل العَريض
قـــد صَيـــد البَـاخِـلَ بحر النـــدى وعلَّم المفحم نظم القريض
والشيء لا يظهَرُ تمييزُهُ للنــــــاس إلاّ بـــوجـــود النقيضْ
لـــه يـــد فيّـــاضَـــةٌ بـــالنــــدى كالبحر إلاّ أنهـــــــا لا تغيض
عجبتُ مِن حـــاســـده كيفَ لا يقضي أسىً وهـــو المعنّى المريضْ[2]

قلت : البيتان الأولان من هذه القصيدة مأخوذان من قول الأول[3] :

مـا رأينـا من جـود فضـل ابن يحيى ترك النـــــــاسَ كلَّهم شعراء

١٦٥٠ ـ محمد بن عثمان بن أسعد*

ابن المنجّا بن بركات بن المؤمل ، الرئيس الإمـام ، شيـخ الجمـاعـة من الحنـابلـة ، وجيه الدين أبو المعالي بن المنجّا التنوخي الدمشقي الحنبلي .

سمـع من ابن اللّتي حضـوراً ، ومن جعفر الهمـداني ، ومكّرم ، وسـالم بن صصَرى ، وخضر بن المقيّر .

---

(١) في الأصل : « غمّة .. بذلته » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٢) في الأصل : « مريض » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٣) زاد في (س) : « وهو بيت واحد » .
* الوافي : ٩١/٤ ، والدرر : ٣٨/٤ ، والشذرات : ٣/٦ ، وذيول العبر : ١٧ .

ودَرَّسَ بالمسماريّة ، وكان صدراً مبجّلا ، [وجواداً يذر الغمام مُبَخّلا ، ديّناً محترما ، صيّناً لا يُرى منه وقت من البرّ مخترما][١] ، محبّاً للأخيار[٢] ، مجانباً للأغيار ، له تسرع في الخير ، وهمّة تسابق البرق فضلاً عن الطير .

ولم يزل على حاله إلى أن هلك ابن المنجا ، وأصبح على فراشه مُسجّى .

وتوفي رحمه الله تعالى بدار القرآن في شهر شعبان سابعه[٣] سنة إحدى وسبع مئة .

ومولدُه سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

وكانت له أملاك ومتاجر ، وله برّ وأوقاف ، أنشأ داراً للقرآن بدمشق ورباطاً بالقدس ، وباشر نظر الجامع الأموي تبرّعاً ، وكان من أولي الاقتصاد في ملبسه مع سعة دائرته وسعادته[٤] .

١٦٥١ ـ محمّد بن عثمان بن عبد الله*

سراج الدين أبو بكر الدرندي[٥] ، الفقيه الشافعي .

قرأ القراءات[٦] على نجم الدين عبد السلام[٧] بن حفّاظ صهره ، وتصدّر للإقراء بقوص سنين كثيرة ، وانتفع به جَمْع كثير .

---

(١) زيادة من (س) .
(٢) في الوافي : « للأخبار » .
(٣) (س) : « سابع الشهر » .
(٤) في (س) : « في سعادته » .
* الوافي : ٩١/٤ ، والطالع السعيد : ٥٤٧ ، والدرر : ٤١/٤ .
(٥) في الطالع السعيد : « الدندري » .
(٦) في الأصل : « القرآن » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي ، والطالع .
(٧) في الأصل : « ابن عبد السلام » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي ، والطالع ، وهو عبد السلام بن عبد الرحمن بن رضوان (ت٦٨٥هـ) . الطالع السعيد : ٣٢٠ .

وكان متقناً ثقة ، وسمع من الحافظ ابن الكومي ، وتقي الدين بن دقيق العيد ، ومحمد بن أبي بكر النصيبي[(١)] ، وعبد النصير بن عامر بن مصلح[(٢)] الإسكندري وغيرهم ، وحدّث بقوص .

وقرأ الفقه على جلال الدين أحمد الدشناوي ، وسراج الدين بن دقيق العيد[(٣)] ودرّس ، وناب في الحكم بقفط وقنا وقوص .

واستمرّ في النيابة إلى أن توفّي رحمه الله تعالى سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

وكان يستحضر متوناً كثيرة من الحديث والتفسير والإعراب ، واختلط في آخر عُمره .

١٦٥٢ ـ محمّد بن عثمان بن محمد*

ابن علي بن وهب بن مُطيع ، جلال الدين ابن علم الدين بن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد .

سمع جدَّه ، والحافظ الدمَياطي[(٤)] ، والفقيه المقرئ تقي الدين محمد بن أحمد بن عبد الخالق الصّائغ ، ومن[(٥)] أحمد بن إسحاق الأبرقوهي ، وغيرهم . واشتغل بالمذهبين[(٦)] المالكي والشافعي .

---

(١) في الطالع : « النصيبيني » . وهو محمد بن محمد بن عيسى ، (ت٧٠٠هـ) ، الطالع السعيد : ٦١٣ .

(٢) في الأصل : « ومصلح » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي ، والطالع .

(٣) هو موسى بن علي بن وهب القشيري ، سراج الدين (ت٦٧٥هـ) ، الطالع السعيد : ٦٦٥ .

* الوافي : ٩١/٤ ، والدرر : ٤٣/٤ ، والطالع السعيد : ٥٥١ .

(٤) هو عبد المؤمن بن خلف الدمياطي . (الطالع) .

(٥) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي ، والطالع .

(٦) في الأصل : « بالمذهب من » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي ، والطالع .

وقرأ (مختصر المحصول) لجدّ والده الشيخ مجد الدين[1] وكان يُذْكر بخير ويُنسب إلى دين .

قال الفاضل كمال الدين الأدفوي : وكان قاضي القضاة ابن جماعة يُؤثره ويبرّه ، ودَّعه مرّةً فأعطاه ذهباً وفضة من ماله ، وكتب [له][2] بتدريس دار الحديث بقوص ، فأقام بها مُدة .

وتوفي بالقاهرة سنة[3] ست أو سبع وعشرين وسبع مئة .

١٦٥٣ ـ محمّد بن عثمان بن أبي بكر*

قاضي القضاة شرف الدين النهاوندي ، قاضي صفد وغيرها .

كان من أعرف الناس بالْمُداراه ، وأخلبهم[4] في المحادثة والمجاراه ، له دُربة بسياسة الخصوم ومصالحهم ، وقَوْدهم إلى تراضيهم بعد تشاحيهم[5] ومشاحتهم ، وله قدرة على مداخلة النواب ، والعبور إلى رضاهم من كل باب ، وكان مُمْتع المحاضره ، شهيَّ المسامره ، لطيف الأخلاق ، ذا كرم دفّاق ، تنقّل في البلاد كثيرا ، وقاسى في آخر عمره قلّةً وفقراً كبيرا .

ولم يزل على حاله[6] إلى أن ضمَّه ترابه وفارقه أحبابُه وأترابُه .

---

(١) هو علي بن وهب بن دقيق العيد (ت٦٦٧ هـ) ، الطالع السعيد : ٤٢٤ .
(٢) زيادة من (س) والوافي ، والطالع .
(٣) (س) : « رحمه الله تعالى في سنة » .
* الوافي : ٩٠/٤ ، والدرر : ٣٩/٤ .
(٤) (س) : « وأجلبهم » .
(٥) في (س) : « تشاحنهم » .
(٦) قوله : « على حاله » ، ليست في (س) .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رمضان سنة أربعين وسبع مئة[١] بالقاهرة .

كان أوّلاً قد تولّى قضاء صفد بعد والده المقدّم ذكره في مكانه من حرف العين ، وأقام[٢] بها إلى أن طُلِب إلى مصر ، وانحرف عليه قاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة وعزله بالقاضي فتح الدين القليوني ، ثم إن قاضي القضاة نجم الدين بن صصرى حنا عليه وولاّه قضاء عجلون ، ثم قضاء نابلس ، ثم ولاّه[٣] قضاء القضاة بطرابلس ، ثم إنه أعيد إلى صفد بعد القاضي [حسام الدين القَرْمي ، ثم إنّه نُقِل إلى قضاء طرابلس ، ثم أعيد إلى صفد بعد القاضي][٤] جمال الدين عبد القاهر التبريزي فيما أظن وأقام بها إلى أن تغير عليه الأمير سيف الدين[تنكر ، فعزله بالقاضي شمس الدين الخضري ، فأقام في بيته بصفد بطالاً نحواً من أربع سنين ، ثم إنه توجه إلى القاهرة ونزل عند الأمير سيف الدين[٥] أرقطاي لما بينهما من الصحبة ، فمات هناك في التاريخ .

١٦٥٤ ـ محمّد بن عثمان بن حمدان*

شمس الدين الثعلبي المعروف بابن البيَّاعة .

كان شاعراً ، مدح الأمير علم الدين الدوادار[٦] وغيره ، وكان مُشِد الرقيق ، ويخدم في الجهات السلطانية .

توفي رحمه الله تعالى حادي عشر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

(١) في الأصل : « أربع وستين وسبع مئة » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) والوافي ، ومصادر ترجمته .
(٢) (س) : « وقام » .
(٣) ليس في (س) والوافي .
(٤) زيادة من (س) والوافي .
(٥) زيادة من (س) والوافي .
* الدرر : ٤/٤٠ .
(٦) في (س) : « الدواداري » .

ومن شعره :

نَعَمْ غرامي بنجدٍ فوق ما زعموا … أفنى وأبقى وهذا بعضُ ما علموا
حدّث فَدَيْتُكَ عن ذاك الحمى وأعِدْ … ففي حديثك مَا يُشْفَى به الأَلَمُ[1]
ليس الحمى غير قلبي والذي بهِ … ففيه ثأرهم بالشوق يضطرمُ
بانوا فبان الغضى ذاوٍ ومَنْهَلُهُ … غَوْرٌ وأنواره من بعدهم ظُلَمُ
خيّمت يا وجدُ في قلبي لفقدهم … فلا رأت وحشةً مِنْ أهلها الخيمُ
ولا تغيّر واديهم ولا أفَلَت … بُدَورُهُ وسقت أكنافه الديمُ
فالقلبُ في حُرق والطرف في غرق … والصّبر منثلم والدمع منسجمُ[2]

١٦٥٥ ـ محمّد بن عثمان بن أحمد*

ابن عثمان بن هبة الله بن أحمد بن عقيل ، الصدّر الفاضل الحكيم فتح الدين أبو عبد الله الشيخ جمال الدين بن أبي الحوافر القيسي .

سمع مِن النجيب الحرّاني (مشيخة) ابن كُليب ، و (مجالس) ابن مسلمة ، و (مجالس) الخلاّل ، وحدَّث ، وكان طبيباً معروفاً بالقاهرة .

توفي رحمه الله تعالى في ثاني عشر شهر رمضان سنة ثمان وعشرين وسبع مئة بالقاهرة[3] ، ودفن بالقرافة .

١٦٥٦ ـ محمّد بن عثمان بن محمد**

الفقيه[4] الإمام شمس الدين الأصبهاني المعروف بابن العجمي الحنفي .

---

(١) (س) : « الأكم » .
(٢) (س) : « والدمع في غرق » .
* الدرر : ٣٨/٤ .
(٣) ليست في (س) .
** الدرر : ٤٣/٤ ، والدارس : ٣٦٤/١ .
(٤) في الأصل : « العقبة » تحريف ، وأثبتنا ما في (س) .

كان مُدَرِّساً بالإقباليّة للحنفيَّة ، وفيها توفّي رحمه الله تعالى في نصف شوال سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

ودرّس أيضاً بالمدينة النبويّة .

سمع من ابن البخاري (مشيخته) ، وكان فيه وسواس في الطهارة وديانة وانجماع عن الناس ، وجمع منسكاً على مذهبه ، وولي تدريس الإقباليّة بعده قاضي القضاة نجم الدين إبراهيم ابن قاضي[1] القضاة عماد الدين الطرسوسي[2] ، وأثنى الناس على درسه وفصاحته .

١٦٥٧ ـ محمّد بن عدنان بن حسن*

الشيخ الإمام العابد الشريف السيّد محيي الدين العلويّ الحسيني الدمشقي الشيعي ، شيخ الإماميّة وكبيرهم .

وليَ مرّةً نظر السبع ، مات ولداه زين الدين حسين وأمين الدين جعفر وهما من جلّة رؤساء دمشق ، باشر الأنظار ونقابة الأشراف ، وتقدم ذكرهما في مكانها ، فاحتسبها عند الله تعالى . وأخبرني غَيْرُ واحد أنّه لمّا مات كلٌّ منهما كان يُسجّيه قدّامَهُ وهو قاعد يتلو القرآن ولم تنزل له دمعة ، وولي النقابة في حالة[3] حَياته ابن ابنه شرف الدين عدنان بن جعفر إكراماً لجدّه .

وكان محيي الدين ذا تعبد زائد وولاية وتلاوة دائمة وتألّه ، وانقطع[4] بالمزة .

(١) في الأصل : « إبراهيم إلاّ أنّ قاضي » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) البداية والنهاية : ١٤/١٦٦ .

* الوافي : ٤/٩٣ ، والدرر : ٤/٤٧ ، والشذرات : ٦/٥٧ ، ووقع في الأصل : « ابن عثمان » ، سهو .

(٣) ليست في الوافي .

(٤) (س) والوافي : « وانقطاع بالمزة أضرّ مدة » .

وكان يترضّى عن عثمان وعن غيره من الصحابة ، ويتلو القرآن ليلاً ونهاراً ، ويناظر [منتصرا][١] للاعتزال متظاهراً بذلك .

توفي رحمه الله تعالى ليلة الجمعة الثاني والعشرين من ذي القعدة سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة تسع[٢] وعشرين وست مئة .

١٦٥٨ ـ محمّد بن أبي العزّ بن مُشَرّف*

ابن بيان الأنصاري الدمشقي ، الشيخ الجليل ، الْمُسْنِد الْمُعَمِّر شهاب الدين البزاز ، شيخ الرواية بالدار الأشرفيّة[٣] .

رَوَى الصحيح غيْر مرَّة عن ابن الزبيدي ، وحدَّث أيضاً عن ابن صبّاح والناصح ، وابن[٤] المقيّر ، ومكرم ، وابن ماسويه[٥] ، وتفرَّد في وقته .

وكان حَسَن الإصغاء جيّد الخط . أخذوا عنه ببعلبك ودمشق وطرابلس وأماكن ، وعاش سبعاً وثمانين سنة .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع وسبع مئة في سابع ذي[٦] الحجّة .

وهو أخو نجم الدين أبي بكر بن العزّ بن مشرّف الكاتب .

(١) زيادة من (س) والوافي .

(٢) في الأصل : « ست » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

* الوافي : ٩٤/٤ ، والدرر : ٤٩/٤ .

(٣) دار الحديث الأشرفية البرانية بسفح جبل قاسيون ، بناها الملك الأشرف مظفر الدين موسى . الدارس : ٣٦/١ .

(٤) في الأصل : « والناصح بن » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٥) علي بن المبارك بن الحسن الواسطي (ت ٦٣٢ هـ) ، العبر : ١٢٨/٥ .

(٦) زيادة من (س) .

١٦٥٩ ـ محمّد بن عقيل بن أبي الحسن*

ابن عقيل نجم الدين البالسي ، أحد أعيان الشافعيّة وفضلائها بالديار المصرية .

سمع من الفخر بن البخاري وغَيْره بدمشق ، وسمع ببلبيس من علي بن عبد الكريم ، والفضل بن رواحة وغيرهما . وبالقاهرة من ابن دقيق العيد ، وناب في الحكم بمصر عن ابن دقيق العيد ، وولي قضاء بلبيس ودمياط عن قاضي القضاة ابن جماعة ، وولي نيابة الحكم ظاهر القاهرة بالحُسينية . ودرّس بالمدرسة الطيبرسية بمصر وبالمدرسة المعزيّة ، وبزاوية الدوري بالجامع[1] العتيق وبالمسجد بالشارع خارج القاهرة .

وصنف في الفقه مختصراً حسناً لخص فيه كتاب (المعين) ، وشرح (التنبيه) شرحاً جيّداً ، ولم يكمله ، واختصر (كتاب الترمذي في الحديث) .

وكان قويَّ النفس ، حصل بينه وبين فخر الدين ناظر الجيش بسبب أنّه ركب لرؤيا الهلال لشهر رمضان ورجع والمديرون أمامه يصيحون على العادة ، فمروا على دار فخر الدين ، فأهان المديرين[2] ، وشقّ ذلك عليه وانزعج ، وتكلم في ذلك ، وكتب محضَراً ، وجرى في ذلك كلام ، ولوُطِف وسئل على أن يجتمع بفخر الدين فلم يفعل .

وطلب منه قاضي القضاة جلال الدين القزويني قضية فتوقف فيها وصرف نفسه ، وكان ينوب عنه بمصر ، ثم استُرضي وعاد .

قال كمال الدين الأدفوي : جئته مرّة وهو راكبٌ ، وطلبت منه كتاباً من وقف المدرسة المعزيّة ، فرجع إلى المعزيّة من دار النحاس بمصر فأخرج [الكتاب][3] وأرسله

---

* الوافي : ٩٨/٤ ، والدرر : ٥٠/٤ ، والشذرات : ٩١/٦ ، والنجوم الزاهرة : ٢٨٠/٩ .

(١) في الأصل : « وبرواية الدودي وبالجامع » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) في الأصل « المديرون » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٣) زيادة من (س) .

إليّ ، وكان يُؤْثر مع ضعف حالـه ، قـانعـاً بـاليسير ، مقللاً من المـأكل والملبس . دارت الفيتا عليه بمصر ، واشتغل طلبة مصر عليه[١] .

وتوفي رحمه الله تعالى رابع عشر المحرم سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ستين وست مئة .

قلت : وأجاز لي بالقاهرة بخطّه سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

١٦٦٠ ـ محمّد بن علي بن محمد بن المَلاَق*

بالتخفيف في اللام ، القاضي بدر الدين الرقّي ، الفقيه الحنفي .

سمع من بَكبرس الخليفتي[٢] (الأربعين الـودعَـانّيـة)[٣] وسمعهـا منـه الـدواداري ، وأجاز للدمَاشقة .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع وتسعين وست مئة .

ومولده سنة تسع عشرة وست مئة .

١٦٦١ ـ محمّد بن علي**

الأمير شهاب الدين العُقَيْلي ، نائب الدواداري في شد الدواوين بالشام .

قتل في أواخر سنة سبع[٤] وتسعين وست مئة ، وكان قد شاخ وأسن وسُمِّر قاتله .

---

(١) في (س) زيادة : « وانتفع به أهل مصر » .

* الوافي : ١٩٢/٤ .

(٢) بكبرس بن يلنقج (ت٦٥٢هـ) ، الوافي : ١٨٧/١٠ .

(٣) للقاضي محمد بن علي ودعان (ت٤٩٤هـ) ، الكشف : ٦٠/١ .

** الوافي : ١٩٣/٤ .

(٤) في الأصل : « تسع » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

١٦٦٢ ـ محمّد بن علي بن محمد بن علي*

ابن منصور المؤمّل بن محمود البالسي ، المسند عماد الدين أبو المعالي .

كان يشهد على الحكّام مُدّة طويلة ، وأسمعه أبوه حضوراً وسماعاً واستجاز له من جماعة ببغداد ومصر ودمشق ، وانتفع به الناس ، وحدث بالقاهرة ودمشق .

ومن شيوخه حضوراً السخاوي ، وابن الصلاح ، وكريمة القرشيّة ، وشيخ الشيوخ ابن حمّوية ، والضياء المقدسي الحافظ ، وسالم خطيب عقربا ، وعمر بن المنجا ، وإبراهيم الخشوعي ، وإسحاق بن طرخان الشاغوري ، وعتيق السَلماني ، وعبد الحق بن خلف وعبد الملك بن الحنبلي ، وعلي بن عبد الصمد الرازي ، وعيسى الداركي . وخرّج له شيخنا الذهبي جزءاً جمع فيه شيوخه بالسماع والحضور والإجازة على حروف المعجم ، وحدث به .

وتوفي رحمه الله تعالى خامس عشر جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

ومولده في صفر سنة ثمان وثلاثين وست مئة بدمشق .

١٦٦٣ ـ محمّد بن عليّ بن وَهَب بن مُطيع**

الإمام العلاّمة شيخ الإسلام ، أستاذ المتأخرين ، قاضي القضاة ، تقيّ الدين أبو الفتح ابن الشيخ الإمام مجد الدين المعروف بابن دقيق العيد القشيري المنفلوطي المصري المالكيّ الشافعي .

سمع من ابن المقيّر ، وابن الْجُميّزي ، وابن رواج ، والسبط ، وعدّة . وسمع من

---

* الدرر : ٨٣/٤ ، وذيول العبر : ٦١ .

** الوافي : ١٩٣/٤ ، وفوات الوفيات : ٤٤٢/٣ ، والبداية والنهاية : ٢٧/٤ ، والطالع السعيد : ٥٦٧ ، والدرر : ٩١/٤ ، وبدائع الزهور : ٤١١/١/١ ، والشذرات : ٥/٦ ، والبدر الطالع : ٢٢٩/٢ .

ابن عبد الدائم ، والزين خالد بدمشق وخرَّج لنفسه (أربعين تساعيَات)[١] ولم يحدّث عن ابن المقيّر وابن رواج ، لأنّه داخله شكّ في كيفيّة التحمّل عنها .

كان الشيخ تقيّ الدين رحمه الله تعالى إماماً في فُنونه ، غماماً فيما يرسله من الفوائد في كلامِه وعيونه ، مُفسّراً ، محدّثا ، سبق في هذين مَنْ كان عَجِلاً أو متلبثاً ، فقيهاً مدقّقا ، قام بفروع المذهبين مُحَقّقا ، أصوليّاً أشعريّا ، حقيقاً بانفراده في ذلك حرّيا ، نحويّاً أديبا ، ناظماً ناثراً عجيبا ، لا يباريه في كلّ فُنونه مُبارٍ ، ولا يجاريه في مضمارها مجارٍ ، ولا تعلقُ له الريح إذا أمّ غايةً بغبار .

وإذا خطابُ القوم في البحث اعتلى فصل القضيّةَ في ثلاثةِ أحرُفِ

وكان ذكيّاً غوّاصاً على المعاني ، قنّاصاً لشوارد ما يحاولُهُ مِن العلوم ويعاني ، وافر العقل ، سافرَ الْحُجب عن وجوه النّقْل ، كثير السَّكينه ، لازم الوَقار والأبَّهة الركينه ، بخيلاً بالكلام ، قلّ أنْ يسمع منه غَيْرُ ردّ السَّلام ، شديد الورع ، مديد الباع إذا قام في أمرٍ شرعي وشرع ، ملازم السَّهر والسهاد ، مُداوَم المطالعَة في استخراج ما ينتفع به في العبادةِ العباد ، وكانت كفّه تتخرقُ ، وتدع الغمام حِسداً لجوده بنار البرق يتحرّق ، عديم الدّعاوى ، كثير الشّكر قليل الشكاوى ، بصيراً بعلل المنقول ، خبيراً بغلل المعقول :

يَروي فيرى كلّ ذي ظمأ لَهُ بحمَى الحديث تَعَلُّقٌ وهُيَامُ
ببديهةٍ في العِلمِ يُقسِمُ مَنْ رَأى ذاك التَسَرّع أنّهُ السهامُ

وكيف لا يكون ذلك[٢] ، وهو الذي بعثه الله على رأس المئة[٣] ليُجدّد للأمّة أمرَ دينها ، ويحدّد لها ما اشتبه من قواعد شريعتها عند تبيينها . وهؤلاءِ الذين أشار إليهم

---

(١) في الوافي : « تساعيّة » .

(٢) في (س) : « كذلك » .

(٣) في (س) زيادة : « السابعة » .

رسول الله ﷺ في قوله : « يبعث الله على رأس كل مئة سنة لهذه الأمة مَنْ يُجَدِّدُ لها أَمْرَ دينها » .

كان الأول على رأس المئة الأولى عمر بن عبد العزيز ، وعلى رأس المئة الثانية الشافعيّ رضي الله عنه ، وعلى رأس المئة الثالثة ابن سُريج ، وقيل : أبو الحسن الأشعريّ ، ويمكن الجمع بينهما ، فإنّ الأشعري جاء لأصول الدين ، لأن المعتزلة كانوا قد طبقوا الأرض فحجزَهم رضي الله عنه في قوع السمسم ، وابن سريج جاء لتقرير الفروع .

وعلى رأس المئة الرابعة أبو حامد الإسفراييني ، وقيل : سَهْل بن أبي سهل محمد المقول [فيه] النجيب[1] بن النجيب ، كان أحد عظماء الشافعية الراسخين في الفقه والأصول[2] والحديث والتصوف .

وعلى أرس المئة الخامسة[3] حجّة الإسلام أبو حامد الغزّالي . وعلى رأس المئة السادسة الإمام فخر الدين الرازي . وعلى رأس المئة السّابعة الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد .

ومن سعادة الشافعيّة أنّ الجميع شافعيّون . فإنْ قلت : فكيف تعمل في عمر بن عبد العزيز ؟ قلت : ما كانت المذاهب الأربعة ظهرت ذلك الزمان .

وقد أنشد شيخ من أهل العلم في مجلس ابن سُريج :

اثنان قَدْ مَضَيا فبورك فيهما ... عُمرُ الخليفةُ ثم حِلفُ السُّؤدد

الشافعي الألمعيّ محمَّد ... إرث النبوّة وابن عمّ مُحمَّد

---

(١) في الأصل (البحث) ، وأثبتنا ما في (س) ، والزيادة منها ، وكانت وفاته سنة (٤٠٤هـ) . انظر سير أعلام النبلاء : ٢٠٧/١٧ .

(٢) ليست في (س) .

(٣) في الأصل : « السادسة » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) .

أبشر أبـا العبّـاس إنـك ثـالثٌ … مِن بَعدهم سُقيـاً لتربَـةِ أحمَـدِ

فصاح ابن سُريج وبكى ، وقال : لقد نَعى إليَّ نفسي ، ومات في تلك السنة رحمه الله تعالى .

وزاد على ذلك بعضُ الفقهاء فقال :

والرابع المشهورُ سَهل محمَّـد … أضحَى عظيماً عند كل مُوَحِّـدِ
يـأوي إليه المسلمون بـأسرهم … في العلم إن جاؤوا بخطب مُؤبَّـد
لا زال فيما بيننـا خير الـوَرى … للمـذهَب المختـار خَيرَ مُجَـدِّد

وأنشد[1] من لفظه لنفسه مولانا قاضي القضاة تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب الأنصاري السُبكي الشافعي مُكَمّلاً على الأبيات الأولى التي في ابن سُريج :

ويقـالُ إنّ الأشعريّ الثـالث الـ … ـمبعوث للـدين القـويم الأملـد
والحـقّ ليسَ بمنكرٍ هـذا ولاَ … هـذا وعلْمها اقرانّ فعَـدّد[2]
هـذا لنصرة أصل دين محمّـد … لنظير ذلـك في فروع محمّـد[3]
وضرورة الإسـلام داعيـةٌ إلى … هـذا وذاك ليهتـدي من يهتـدي
وقضى أنـاسٌ أنّ أحمـد الأسفرا … يينيّ رابعهم فـلا تستبعـد
فكلاهمـا فرد الـورى المعـدود من … حـزب الإمـام الشـافعيّ محمّـد
والخـامس الحبر الإمـام محمّـد … هـو حجّـة الإسـلام دون تردّد
وابن الخطيب السـادس المبعوث إذ … هـو في أصـول الـدين أيّ مـؤيّـد
والسـابع ابن دقيق عيـد فـاستمع … فـالقـوم بين محمّـد أو أحمَـد
وانظر لسر الله أن الكلَّ مِن … أصحـابنـا فـافهم وأنصف ترشُـد

(١) (س) : « وأنشدني » .
(٢) في الأصل : « أمران فعدد » ، ولعلّ ما أثبتناه هو الوجه .
(٣) (س) : « كنظير » .

هـــذا على أنَّ المصيب إمـــامنـــا ... أجلى دليـــلٍ واضـــح للمُهتـــــدي
يـــا أيّهـــا الرَّجُـــلُ المُريـــد نجـــاتـــه ... دَعْ ذا التعصّب والمراء وقلـــــــــدْ
هـــــذا ابن عم المصطفى وسميّـــــه ... والعـــــالم المبعـــوث خيرُ مجـــــدّدِ
وضح الهُـــدَى بكلامـــه وبَهـــديـــهِ ... يـــا أيّهـــا المسكين لم لا تقتـــــدي

ولم يزل الشيخ تقيّ الـدين بن دقيق العيـد إلى أن طَفِئ سراجُـهُ الـوهّـاج ، وأثـار عليه لواعج الأحزان وَهَاج .

وتُوفّي رحمه الله تعالى في يوم الجمعة حادي عشر صفر سنة اثنتين وسبع مئة .

ومولـده في البحر المِلْح وكان والـده رحمـه الله تعـالى متوجّهـاً إلى مكّـة في البحر ، فولد له عند الينبعُ في يوم السبت الخامس والعشرين من شعبان سنة خمس وعشرين وست مئة ، ولـذلـك ربمـا كتب بخطّـه : « السجيّ »[١] . ثم إن والـده أخـذه على يـده فطاف به وجعل يدعو الله أن يجعله عالماً عاملاً .

وقلت أنا فيه :

ومن عنـــــد الطـــوَاف بخير بيتٍ ... غـــدا يـــدعـــو أَبُـــوه لـــه هنـــالـــكْ
بـــــأنْ يمتـــــاز في عمـــــل وعلم ... فقـــل لي كيف لا يـــأتي كـــذلـــك

وكان الشيخ تقيّ الدين رحمه الله تعالى قد تَفَقّه بأبيـه الشيخ مجـد الـدين بقوص ، وبالشيخ عز الدين بن عبد السلام بالقاهرة وبطائفةٍ ، واشتهر اسمـه في حيـاتـه وحيـاة مشايخه ، وتخرج به أئمّة .

وكان لا يسلـك المراء في بحثـه ، بـل يتكلم بسكينـة كلمـات يسيرة ، فـلا يُرادّ ولا يراجع . وكان عارفاً بمذهبي مالكٍ والشافعيّ ، كان مالكياً أوّلاً ، ثم صار شـافعيـاً .

(١) كـذا ، ولعلّـه يشير إلى سجوّ البحر ، وهو سكونـه وامتـداده ، وفي الطـالع السعيـد : « الثبجي » ، أي المعمّى .

قال : وافق اجتهادي اجتهاد الشافعي إلاّ في مسألتين أحدهما أنّ الابن لا يُزَوّج أمّهُ والأخرى ...[١] ، وحسبك بمن يتنزّل ذِهْنُه على ذِهْن الشافعي .

قلت : أما مسألة الابن وعدم تزويجه لأمّه فلأنه مُتفرعٌ عن أصلين : أحدهما : أبوه ، ولا ولاية له في تزويج أمّه ، والثاني : أمّه ، وما لها أن تُزَوّج ابنها[٢] ، فبطل أن يكون للابن ولاية في تزويج أمّه .

وامتدحه شيخنا الإمام العلامة المحقق النظّار ركن الدين محمد بن محمد بن القَوبع[٣] بقصيدة طنّانة جاء منها في مدحه :

صَبَـا للعلم صبـاً في صَبـاهُ ... فـاعْـل بهمّـة الصبّ الصبّي
وأتقَنَ والشبـاب لـه لبـاسٌ ... أدلّـة مـالـكٍ والشـافعيّ

وستأتي بقية الأبيات في ترجمة الشيخ ركن الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن .

وكانت ولايته قضاء القضاة بالديار المصرية في يوم السبت ثامن عشر جمادى الأولى سنة خمس وتسعين وست مئة .

وكان الشيخ تقيّ الدين لا ينام الليل إلا قليلاً ولا يقطعه إلاّ بمطالعة[٤] وذكرٍ وتهجّد ، أوقاته كلّها مَعْمورة .

وله التصانيف البديعة كـ (الإلمام والإمام)[٥] شرحه ولم يكمله ، ولو كمل لم يكن

---

(١) كذا بياض في الأصل و (س) والوافي .

(٢) (س) : « نفسها » .

(٣) هو محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف القرشي التونسي (ت ٧٣٨ هـ) .

(٤) في الأصل : « بمطاله » ، وعبارة (س) والوافي : « إلاّ قليلاً ، يقطعه بمطالعة » .

(٥) في الطالع : « وأما كتابه المسمى بالإلمام الجامع أحاديث الكلام ، فلو كملت نسخته في الوجود لأغنت عن كل صنف في ذلك موجود » .

للإسلام مثله ، وكان يجيء في خمس وعشرين مجلدة ، وله « علوم الحديث »[١] و « شرح العمدة »[٢] في الأحكام الذي أملاه على ابن الأثير فاضل العصر الذي تعرفه وهو إملاء ، وشرح (مقدّمة) المطرّزي[٣] في أصول الفقه . وألّف (الأربعين في الرواية عن رب العالمين) وشرح بعض (مختصر ابن الحاجب) ، و (شرح ابن الحاجب) في فروع المالكية ، وشرح (مختصر التبريزي) في فروع الشافعيّة .

وكان رحمه الله تعالى قد قهره الوسواس في أمر المياه والنجاسات ، وله في ذلك وقائع وحكايات عجيبة . وكان كثير التَسرِّي ، وله عِدَّة أولاد سمّاهم بأسماء الصحابة العشرة .

ولمّا طلع إلى السلطان حسام الدين [لاجين] قام[٤] له وخطا عن مرتبته .

وعَزَل نفسه عن القضاء مرات ، ثم يُسأل ويعادُ . وكان شفوقاً على المشتغلين ، كثير البّر لهم .

قال قطب الدين عبد الكريم[٥] : أتيت إليه بجزءٍ سَمِعَهُ من ابن رواج والطبقة بخطه ، فقال : حتى أنظر في هذا ، ثم عاد إليه فقال : هو خطّي ، ولكن ما أحقّقُ سماعي له ولا أذكره .

أخبرني شيخنا العلاّمة قاضي القضاة تقي الدين السبكي قال : حكى لي الشيخ قطب الدين السنباطي قال : بلغني أنَّ الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد قال : لكاتب

(١) في الدرر : « الاقتراح في علوم الحديث » . وفي الكشف : ١٣٥/١ : « الاقتراح في أصول الحديث » . وعبارة الوافي : « علوم الحديث في شرح عمدة الأحكام » . وفي الطالع : « الاقتراح في معرفة الاصطلاح » .

(٢) انظر كشف الظنون : ١١٦٤ .

(٣) في الأصل : « المطرز » ، وأثبتنا ما في (س) والدرر ، والطالع .

(٤) في الأصل : « حسام الدين أقام » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٥) (س) : « أظنّه عبد الكريم » .

الشمال عشرين سنة . أو قال : « سنين » ، الشك منّي أنا في روايتي عن شيخنا تقي الدين ـ لم يكتب عليَّ شيئاً ، قال السنباطي : فاجتمعت به وقلت له : قال فلان عن مولانا[١] كذا وكذا ، فقال : أظن ذلك أو كذلك يكون المسلم ، أو كما قال .

وكان يقول : ماتكلّمت كلمة ولا فعَلْتُ فِعلا إلاّ وأعدَدتُ له جواباً بين يديّ الله تعالى .

ولّما جاءت التتار وَرَدَ مرسوم السُلطان إلى مصر بجمع العلماء وقراءة البخاري ، فقرؤوا البخاريَّ إلى أنْ بقي ميعادٌ أخرّوه ليُخْتَم يوم الجمعة ، فلما كان يوم الجمعة رُئي الشيخ تقي الدين في الجامع فقال : ما فعلتم ببخاريّكم ؟ فقالوا : بقي ميعاد ليكمل اليوم ، فقال : انفصل الحال من أمس العصر وبات المسلمون على كذا ، فقالوا : نخبر عنك ؟ قال : نعم ، فجاء الخبر بعد أيام بذلك ، وذلك في سنة ثمانين وست مئة على حمص ، ومقدَّم التتار منكوتمر[٢] .

وقال عن بعض الأمراء وقد خرج من القاهرة إنه ما يرجع ، فما رجع .

وأساء شخص عليه الأدب فقال الشيخ : نُعيتَ لي في هذا المجلس ثلاث مرّات ، فمات بعد ثلاثة أيام[٣] .

واستمع له بعض أصحابه ليلةً وهو يقرأ ، قال : فوصل إلى قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾[٤] . قال : فما زال يُكرّرها حتى طلع الفجر[٥] .

---

(١) (س) : « قال فلان عن فلان عن مولانا » .
(٢) انظر الخبر في الطالع السعيد : ٥٧٧ .
(٣) هو ابن القصري كما في الطالع السعيد : ٥٧٩ .
(٤) المؤمنون : ١٠١/٢٣ .
(٥) انظر الطالع السعيد : ٥٧٩ .

قلت : ويدل على ذلك تحرّيه في عدم الكلام ، وأنه كان بخيلاً ، وشعره فيه أيضاً ما يدل على ذلك .

أنشدني الشيخ شمس الدين بن نباته المصري من لفظه ، قال : أنشدني الشيخ تقي الدين لنفسه :

الجسم تـذيبُـه حُقُـوقُ الخِـدمَـهْ ... والنفسُ هـلاكُهـا عُلـوّ الهِمَّـة
والعمرُ بـذاك ينقضي في تعبٍ ... والراحـة مـاتت فعليَهـا الرّحَمَـة

ومن العجيب ما نقلته أنا من بعض التعاليق أنّ هذين البتيين حفظهما تاج الدين أحمد أخو الشيخ تقيّ الدين ، وكان فارضاً عاقداً[1] بالحسينية ، فاتّفق أنه قال في وقت في الهاجرة بمسجد الجوادي[2] ، فرأى في النوم والدهما الشيخ مجد الدين ، رحمه الله تعالى ، فسلم عليه ، وسأله عن حاله ، فقال : يا سيّدي بخير . فقال : كيف مُحمد أخوك ؟ قال : بخير ، الساعة كنت عنده وأنشدني هذين البيتين . وأنشدهما ، فقال : سلّم عليه وقل له :

الروح إلى محلّهَـا قـد تـاقَتْ ... والنفسُ لها مع جسمها قد عـاقَتْ
والقلـبُ معـذّبٌ على جَـمْعهمُ ... والصبر قضى وحيلتي قـد ضـاقت

ونقلت أنا من خطّه رحمه الله تعالى لنفسه :

أفكّر في حـالي وقُرْب منيّتي ... وسَيْري حَثيثـا في مَصيري إلى القبر
فيُنشئ لي فكري سحـائبَ لـلأسى ... تسحّ دموعا دونهـا وابـل القطر[3]
إلى الله أشكـو مِن وجـودي فـإنني ... تعبتُ به مـذ كنتُ في مبـدأ العُمر[4]

---

(١) في الوافي : « وعاقداً » .

(٢) في الوافي : « الجواري » .

(٣) في الأصل : « في فكري » ، وأثبتنا ما في (س) ، والوافي والفوات ، وفي الأخيرين : « تسح هموماً » .

(٤) في الفوات : « مبتدا » .

تروح وتغدو للمنايا فجائع تكدّره والموت خاتمةُ الأمرِ

ونقلت من خطه له أيضاً :

سحاب فكري لا يزال هامياً وليْلُ هَمّي لا أراه راجلاً
قد أتعبتني همّتي وفِطنتي فليْتَني كنت مهيناً جاهلا

قلت : جاء في كلام أرسطو : تعبت بعرفاني فليتني خلقتُ لا أعرف .

وأنشدني الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن نباتة المصري قال : أنشدنا من لفظه لنفسه الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد :

أتعبت نفسك بين ذلة كادحٍ طلب الحياة وبَيْنَ حِرص مُؤمّل
وأضعت عُمْرك[١] لا خلاعة ماجن حصّلت فيه ولا وقار مُبَجّل[١]
وتركت حظ النفس في الدنيا وفي الـ أخرى ورُحْتَ عنِ الجميع بمعَزلِ

ولقد وقفت له على جواب طويل كتبه بخطّ يدّه في دَرجٍ إلى الأمير سيف الدين منكوتمر نائب السلطان حسام[٢] الدين لاجين ، وكان عند أستاذه الجزء الذي لا يتجزأ ، وقد كتب فيه بعد البسملة .

« ورَدَ على العبد الفقير محمد بن علي مخاطبة الأمير الكبير سيف الدين ، ووقف عليها وعجب منها لأمرين ، ثم إنه ذكر[٣] كل فصل ويجيبه عنه ، إلى أن قال في آخر ذلك : فكتب الأمير إليّ كتاباً يُكْتَبُ إلى من ليس عنده من الدين شيء ، ولو كان الأمير عرف مني ارتكاب الكبائر الموبقات ما زاد على ما فعل ، وبالجملة[٤] فإنّ الله تعالى

(١) في الوافي والفوات : « نفسك » .
(٢) في الوافي : « نائب السلطنة لحسام » .
(٣) في الوافي : « الأمرين ثم إنه يذكر » . وفي (س) : « ... ثم ذكر » .
(٤) (س) والوافي : « وعلى الجملة » .

أمَر نبيَّه بالْمُبَاهلة والملاعنة في الدين ، فقال لأهل الكتاب : ﴿ فَقُل تَعَالَوا نَدْعُ أَبنَاءَنَا وأَبنَـاءَكُمْ وَنِسـاءَنَـا وَنِسـاءَكُم وأَنْفُسَنَـا وأَنفُسَكُم ثُمَّ نَبْتَهِـل فَنَجْعَـل لَّعَنَـةَ اللهِ عَلَى الكَـاذِبِين ﴾ فنمتثل[١] أمر الله لرسوله ونقول : اللهمّ يـا شـديـد البطش ، يـا جبّـار ، ياقهار ، يا حكيم ، ياقويّ ياعزيز ، ياقوي ياعزيز ، يـاقوي يـاعزيز ، نسب[٢] إليّ أكل الحرام من المدارس[٣] الغـائبـة ، وإلى أمور أنْتَ أعلمُ[٤] بسرّهـا ، فـإن كان ذلـك في علمـك صحيحـاً فـاجعل لعنتـك ولعنـة مـلائكتـك والنـاس أجمعين عليّ ، وإن لم يكن صحيحـاً فـاجعلهـا على من افترى عليّ بهـا ، وإن كان الولـد قـد فَعل مَـا قيل من أخـذ البراطيل فاجعلها عليـه ، وإن لم يكن فـاجعلهـا على من افترى عليـه ، فهـذا إنصـاف وامتثـالٌ لِمَـا أمر الله بـه رسـولـه[٥] ، وربُّـك بـالمرصـاد[٦] ، والشكـوى إلى الله الحكم العدل » .

فلم يلبث إلاّ أسبوعا أو أقل أو أكثر حتى قُتل السلطان وحبس منكوتمر ، ثم أخرج من محبسه وذُبح .

وكان مِنْ شدّة وسواسه ما يجلس على جوخ ولا يقربه .

وكان[٧] في بعض الأيام طلع إلى السلطان حسـام الـدين وهو جـالس على طرّاحـة جوخ ، فجلس معه عليها وقضى شغلـه ، وعـاد إلى بيتـه ، ونزع كلّ مـاعليـه وغَسَلـه .

(١) في (س) : « فتمثيل » . والآية من آل عمران : ٦١/٣ .
(٢) (س) ، وأصل الوافي : « قد نسب » .
(٣) في الوافي : « من مال المدارس » .
(٤) (س) : « عالم » .
(٥) في الوافي : « به ورسوله » . وفي (س) : « الله ورسوله به » .
(٦) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ إنَّ ربَّكَ لَبِالْمِرصَادِ ﴾ [الفجر : ١٤/٨٩] .
(٧) (س) : « ولمّا كان » .

فقالوا له : يا سيدي لا كنت جلست عليها ، فقال فكّرت إن جلستُ دونه أكن قد أهنت[١] منْصِبَ الشرع ، وهو أمر ما يزول ، فجلست معه وغسلت ما عليّ فزال .

وقيل : إنه امتنع من أكل الحلوى فقيل له في ذلك ، فقال : لأني رأيت يوماً بعض الصناع يحرّك دست حلوى[٢] ثم إنّه أراق ماءً ولم يستنج . وقيل : كان يغسِل الحَلْوى ويأكلها .

وكان قد عَزَل نَفْسه في شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين وستّ مئة ، ثم إنّه أعيد إلى القضاء وخُلع عليه ، ورُسم له أن لا يستنيب وَلَدَه محبّ الدين .

وعلى الجملة فكان امرأ غريباً قلَّ أنْ تَرَى العيونُ مِثْله زهداً ووَرعاً وتصمياً وتحرّياً واجتهاداً وعبادة وتوسّعاً في العلوم .

فهَوَ الّذي بجح الزمان بذكره وتزيَّنتْ بحديثه الأشعَارُ[٣]

وأمّا ما كان يقع في حقّه من شيخنا العلاّمة أثير الدين فله سبَبُ ، أخبرني شيخنا الحافظ أبو الفتح اليعمري قال : كان الشيخ تقيّ الدين قد نزل عن تدريس مدرسةٍ لولده ، أُنْسيت أنا اسم المدرسة واسم ابنه ، فلمّا حَضَر الشيخ أثير الدين دَرْسَ قاضي القضاة تقي الدين بن بنت الأعزّ قرأ آيةً يدرس بها ذلك[٤] اليوم وهي ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوَا أَولادَهُمْ ﴾[٥] الآية ، فبرز أبو حيّان من الحلقة وقال : يامولانا قاضي القضاة « قدّموا أولادهم » ، يكرّر ذلك ، فقال قاضي القضاة : ما معنى هذا ؟ فقال : ابن دقيق العيد نزل لولده فلان عن تدريس المدرسة الفلانية ، فنُقل المجلس إلى الشيخ

(١) (س) : « دونه فقد أهنت » .

(٢) (س) : « الحلوى » .

(٣) في الوافي : « الأخبار » . وبجح : فرح ، وتبجّح : فخر .

(٤) (س) : « قرأ آية يدرّسها ذلك .. » ، وعبارة الوافي : « يفسّرها دَرْس ذلك » .

(٥) الأنعام : ١٤٠/٦ .

تقي الدين ابن دقيق العيد فقال : أمّا أبو حيان ففيه دعابة من أهل الأندلس ومجونهم ، وأمّا أنْتَ يا قاضي القضاة يُبَدَّل[١] القرآن في حضرتك وما تنكر هذا[٢] الأمر . فما كان إلاّ قليل[٣] حتى عُزِل ابن بنت الأعز عن[٤] القضاء بابن دقيق العيد . وكان[٥] إذا خلا شيء من الوظائف الّتي تليق بالشيخ أثير الدين يقول الناس : هذه لأبي[٦] حيّان ، فتخرج عنه لغيره . فهذا هو السبب الموجب لحطّه عليه وشناعته[٧] .

والصحيح أنّ أهل العصر لا يُرْجَعُ إلى جَرْح بعضهم بعضا لهذه الوقعة[٨] وأمثالها :

إن العرانين تلقاها مُحَسّدة ولا ترى لِلئام النّاس حُسّادا

وبعد هذا ما خَلّصَ ابن بنتِ الأعزِّ مِنْ ضَرْب العُنَق إلاّ ابن دقيق العيد ، لأنّ الوزير شمس الدين بن السَّلْعُوس لَمّا عمل على ابن بنت الأعزّ وعَزَله ، وعمل مَحَاضر بكفره ، وأخذ خطّ الجماعة على المحاضر ، ولم يبق إلا خط[٩] ابن دقيق العيد ، أرسل إليه المحاضر مع النقباء وقال[١٠] : يا مولانا الساعة تضع خطك على هذه المحاضر ، فأخذها وشرع يتأملها واحداً واحداً ، والنقباء من القلعة يتواترون بالحَث والطلب والإزعاج ، وأنَّ الوزير والسلطان في طلب ذلك ، وهو[١١] لا ينزعج ، وكلّما فرّغ محضراً

---

(١) في الوافي : « فيُبدّل » .
(٢) (س) : « وما تذكر عن هذا » .
(٣) (س) : « فما كان عن قليل » ، وفي الوافي : « فما كان إلاّ عن قليل » .
(٤) (س) والوافي : « من » .
(٥) في الوافي : « فكان » .
(٦) في الأصل : « لابن » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٧) في الوافي : « وشناعة عليه » .
(٨) (س) والوافي : « لمثل هذه الواقعة » .
(٩) (س) : « وأخذ خطّ الجماعة إلاّ خطّ » .
(١٠) (س) والوافي : « مع نقباء » . وفي (س) : « وقالوا » .
(١١) (س) : « انتظار ذلك وهما يحثان الطلب ، وهو .. » .

دَفَعه إلى الآخر وقال(١) : ما أكتب فيها شيئاً . قال الشيخ فتح الدين : فقلت أنا : ياسيّدي لأجل السلطان والوزير ، فقال : أنا ما أدخل في إراقة دم مسلم ، قال : فقلت(٢) : فكيف كنت تكتب خطّك بذلك ، وبما يخلّص فيه ؟ فقال : يافقيه ماعقلي عقلك ، هم ما يدخلون إلى السلطان ويقولون : قد كتب فلان بما يخالف خطوط الباقين ، وإنما يقولون : قد كتب الجماعة ، وهذا خطّ ابن دقيق العيد ، فأكون أنا السبب الأقوى في قتله(٣) ، قال : فأبطل ذلك عَمَلهم ، وسكَّن سَوْرتهم ، وأطفأ شواظّ نارهم .

قال شيخنا أبو الفتح : وما كان الشيخ تقي الدين يعجبه من يقول(٤) : قاضي القضاة الشافعي ، فإذا قلنا : قاضي قضاة الشافعيّة قال : إيه(٥) هذا .

وأخبرني شيخنا العلاّمة شهاب الدين أبو الثناء قال : قال لي يوماً الشيخ تقي الدين : قولُ أبي الطيب(٦) :

أو كان صادف رأسَ عازَر سيفه   في يوم معركة لأَعيَا عيَسى

في هذا شيء غير إساءة الأدب ، ففكرت(٧) ساعة ، ثم قلت : نعم ، كون الموت ما يتفاوت إنْ كان بالسيف أو بغيره ، فالإحياء من الموت سبيل واحدة ، فقال(٨) : أحسنت يافقيه . أو كما قال .

---

(١) (س) والوافي : « فقال » .
(٢) (س) والوافي : « فقلت له » .
(٣) في الأصل : « حقه » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٤) في (س) والوافي : « قول من يقول » .
(٥) في الأصل : « إنه » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٦) ديوانه : ١٩٨/٢ .
(٧) في الوافي : « فأفكرت » .
(٨) (س) : « فقال لي » .

وهذه المؤاخذة دقيقة لا تصدر إلاّ من أديب كبير كالجاحظ أو غيره .

قال لي شيخنا شهاب الدين : ما رأيت في أهل الأدب مثله ، وناهيك بمن يقول مثل الشهاب محمود في حقه مثل هذا[١] ، وقد كان شيخ الأدب في زمانه ، ووقفت أنا له على كتاب كتبه إلى قاضي القضاة شهاب الدين الخُوَيّي شافعاً ومُتَشَوِّقاً :

« يخدم المجلس لا زال حافظاً لأحكام الجود ، محفوظاً بضمان الله في ضمن السعود ، محروس العزم من دواعي الهوى والعز من دعاوي[٢] الحسود ، مقابل وجه الرأي بمرآة[٣] الحقّ ، مولّي جناب الباطل جانب الصدود ، ولا برح على العُفَاة سحائب كَرَمه ، ويَروي الرواة من بحار علوم تُمَدُّ[٤] مِنْ قلمه ، ويجلو أبكار الأفكار مقلدة بما نظم[٥] السحر من حليّ كَلِمِهِ ، ويُبرز خفيّات المعاني منقادةً بأيد ذهنه وأيدي حكمه ، ويسمو إلى غايات المعالي حتى يقال : أين سُمُوّ النجم من هِمَمه ، ويسبغ من جمال فضله وجميله ما يبصره الجاهل على عماه ، ويسمعه الحاسد على صَمَمِه ، ويُنهي من ولائه ما يشهد به ضميره الكريم ، ومن ثنائه ما هو أطيبُ مِنْ ودائع الروض في طيِّ النسيم . ومن دُعائه ما يقوم منه بوظيفة لا تُهمل ، ويُشَيِّعه برجاءٍ يَطْمع معه بكرم الله أن يُقبل ويقبل ، ويجري منه على عادةٍ إذا انقضى منها ماضٍ تبعه الفعل في الحال والعَزْمُ في المستقبل ، غير خاف أنه ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾[٦] ، ولكلّ مقصودٍ أسباب ، ولم يزل يهم بالكتابة والأيام تدافع ، ويعزم على المخاطبة فتدفع في صدر[٧] عزمه الموانع ، حتى

(١) في الوافي : « بمن يقول شهاب الدين محمود في حقّه هذا » .
(٢) في الأصل : دواعي » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٣) في الأصل : « بمرأى » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٤) في الوافي : « بمدّ » .
(٥) (س) : « ممّا نظم » .
(٦) الرعد : ٣٨/١٣ .
(٧) في الوافي : « صدور » .

طلع بهذا الوقت فَجر حَظّه[١] ، واستناب منافثة قلمه عن مشافهة لفظه ، وقال لخدمته هذه : رِدِي مورداً غير آسن ، وتهنّي بمحاسن[٢] لا تشبهها المحاسن ، وتوطّني المحلّة المسعودة فكما يسعد الناس ، فكذلك تسعد الأماكن ، وشاهدي من ذلك السيّد صدراً بشره بالنجح ضامن ، وشهاباً ما زلنا نعُد السيادة سبعاً حتى عزّزت لنا مِنهُ بثامن ، وكان السبب في ذلك أنّ القاضي نجم الدين بمحلّة مَنَف[٣] لّما قدم القاهرة أقام بحيث نقيم ، وحاضرنا محاضرة الرجل الكريم ، ونافث منافثةً ﴿ لا لَغْوٌ فِيها وَلاَ تَأْثِيمٌ ﴾[٤] ، ولازم الدروسَ ملازمةً لولا أنها محبوبة لَقُلْنا ملازمة[٥] غريم ، وتلك حقوق لهُ مرعيّه ، ومعرفة أنسابها[٦] مراضعة العلوم الشرعيه ، وقصد هذه الخدمة إلى المجلس ، فكان ذلك من واجب حقّه ، وذكر ثناءً فقلنا : رأيت الحق لمستحقّه وسيّدنا[٧] حرسه الله تعالى أهلٌ لتقليد المنن[٨] ، ومَحَلّ لأن يُظَنّ به كل حَسَن ، والعلم بمروءته لا يقبل تشكيك المشكك ، وأبوة[٩] يقتضي أن يرتقي منْ بِعروة وُدّه يستمسك . والله تعالى يرفع شانه ، ويُعْلي بُرهانه ، ويكتب له يوم إحسانه إحسانَهُ ، ويطوي على المعارف اليقينية جنابه ، ويُطلق بكل صالحةٍ يدَه ولسانه بمنّه وكرمه إن شاء الله تعالى » .

قلت : ما أعرف من كتب الإنشاء بعد القاضي الفاضل رحمه الله تعالى مثل القاضي

(١) في الأصل : « خطّه » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٢) في الوافي : « وتهن محاسن » .
(٣) اسم مدينة فرعون بمصر . (معجم البلدان) .
(٤) الطور : ٥٣/٢٣ .
(٥) (س) : « هي ملازمة » .
(٦) في الأصل : « أنشأ بها » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٧) في الأصل : « وسيد » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٨) في الأصل « المن » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٩) في (س) والوافي : « وأبوية » .

محيي الدين ابن عبد الظاهر ، وماله مثل هذه المكاتبة إذا[(١)] لم تعتبر التورية علم ذلك من علمه وجهله[(٢)] مَن جَهله .

وأنشدني شيخنا الحافظ فتح الدين بن سيد الناس قال : أنشدني من لفظه الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد لنفسه :

أأحباب قَلبي والذين بذكْرهم ... وترْداده طول الزمان تعلّقي[(٣)]
لئن غاب عن عيني بديعُ جمالكم ... وجار على الأبدان حكم التفرّق
فما ضرّنا بُعْدُ المسافةِ بيننا ... سَرائرنا تَسْري إليكم فنلتقي

وبالسند المذكور له أيضاً :

قالوا فلان عالمٌ فاضلٌ ... فأكرموه مثل ما يرتضِي
فقلت لمّا لم يكن ذا تقى ... تعارض المانع والمقتضي

ومن شعر الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى :

كم ليلة فيك وصلنا السرى ... لا نعرف الغمض ولا نستريح[(٤)]
قد كلّت العيس فجدّ الهوى ... واتسع الكَرْبُ فضاق الفسيح[(٥)]
وكادت الأنفسُ ممّا بها ... تزهق والأرواح منها تطيح[(٦)]
واختلف الأصحاب ماذا الذي ... يزيل من شكواهم أو يريح[(٧)]

---

(١) (س) : « إذ » .
(٢) في (س) والوافي : « أوجهله » .
(٣) في الطالع : « أحبة ... في كل وقت تعلقي » .
(٤) في (س) : « لا نغرم الغمض » . وفي الطالع : « وصلت السرى لا نرقد الليل .. » .
(٥) في الأصل و (س) : « فسدّ » ، وأثبتنا ما في الوافي والفوات . وفي الطالع : « بجد الهوى .. فضاق » .
(٦) في الفوات : « منا تطيح » .
(٧) في الطالع : « يرد من أنفسهم .. » .

فقيـــل تعريسُهم ســـــاعــــةً وقيـل بـل ذكراك وهـو الصحيـح[١]

قلت : لا أعرف لأحد من المتقدمين ولا من المتـأخرين حسن هـذا المخلص[٢] ثم إنـه نص على الصحيح بعد ذلك .

ومن شعره :

يـــا مُعرضـــاً عني ولست بمعرض بل ناقضاً عهدي ولست بنـاقض[٣]
أتعبتني فخـلائـق لـــك لم يفــدْ فيهـا وقـد جمحَت ريـاضـة رائض[٤]
أرضيت أن تختـار رفضي مـذهبــاً ويُشَنــع الأعـــداء أنــك رافضي[٥]

ومنه :

قـــد جَرحتنـــا يـــدُ أيّـــامنـــا وليس غير الله مِنْ آس
فـلاترجِّ الخلـق في حـــاجــــة ليســوا بـــأهـل لسـوى اليـــاس
ولا تـــزد شكـــوى إليهم فـــلا معنى لشكـــواك إلى قـــاسي[٦]
وإن تخـــالـــــط منهم معشرا هَـوَيت في الـــدين على الراس[٧]
يــــــأكل بعضٌ لحم بعض ولا يحسب في الغيْبـــة من بـــاس[٨]
لا ورع في الــــــــدين يحميهم عنهـــا ولا حشمــــة جُـــلاّس

(١) (س) : « ذكرك » . وفي الطالع : « وقيل بل قربك » .
(٢) (س) : « التخلص » . وفيها زيـادة : « مـا كأنـه في هـذا الشعر إلا إمـام الحرمين ، قـد ألقى مسألـة خلاف ، وهو يذكر فيها أقوال الأصحاب » .
(٣) في الأصل : « وليت » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات والطالع .
(٤) في الفوات والطالع : « بخلائق » .
(٥) في الوافي والفوات والطالع : « فتشنّع » . وفي الأصل : « أني رافضي » وأثبتنا ما في المصادر السابقة .
(٦) في الأصل : « ترد » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات .
(٧) في الأصل : « إلى » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات . وفي الطالع : « فإن » .
(٨) في الفوات : « ولا يخاف في الغيبة » .

لا يعـــــدم الآتي إلى بـــــابهم من ذلّـة الكلب سـوى الخـاسي[١]
فـــاهرب من النــــاس إلى ربّهم لا خير في الخلطـــة بـــالنـــاس

ومن شعره رحمه الله تعالى :

وقـــائلــة مَـــات الكرام فمن لنــا إذ عضّنـا الـدهرُ الشـديـدُ بنـابـهِ
فقلتُ لهـا : مَنْ كان غـايــة قَصْـده سُـؤالا لمخلـوق فليس بنــابـــه
لئن مَـات من يُرجى فمعطيهم الـذي يرجّـونـه بـاق فلوذي ببـابـه[٢]

ومنه :

ومستعبـــد قلب المحب وطرفـــه بسُلطـــان حكم لا ينـــازع في الحكم
متين التقى عف الضمير عن الخنــا رقيق حواشي الطرف والحسن والفهم[٣]
ينـــاولني مســواكـــه فـــأظنّــه تحيّـل في رشفي الرضـاب بلا إثم[٤]

ومنه :

إذا كنت في نَجْـــد وطيب نسيمهـــا تـــذكَّرتُ أهلي بـــاللـوى فمحجّر
وإن كنت فيهم ذُبت شوقـاً ولـوعـة إلى ســـاكني نجـــد وعِيْــلَ تصبّري
وقـد طـــالَ مـــا بين الفريقين قصتي فمن لي بنجـــد بين أهلي ومعشري[٥]

ومنه ، وقيل إنّه في ابن الجوزي :

دقّقت في الفطنــــة حتى لقـــد أبـــديت مَـــا يسحر أو يسبي

(١) الخاسي : الذليل المهان .
(٢) الطالع السعيد : ٥٩٠ .
(٣) (س) : « مبين » . وفي الوافي : « الظرف » .
(٤) الطالع السعيد : ٥٩٠ .
(٥) الطالع السعيد : ٥٩٠ .

وصِرت في أعلى مقـــامـــاتهـــا   حيث يراك النــــــاس كالشهب
وســـارمَـــا صيّرت من جـــوهر الـ   ـحكمـــــة في الشرق وفي الغرب(١)
ثم تنــــــــــازلت إلى حيث لا   يـــنزل ذُو فـــهم وذو لـــب(٢)
تُثَبّت مـــــا تجحـــــده فطرة الـ   ـعقـــل وَلا تشعرُ بــــــالخطب
أنت دليـــــلٌ [لي] على أنّـــــه   يُحـــــــال بين المرء والقلب(٣)

ومنه ما نظمه في بعض الوزراء :

مقبـلٌ مــــدبرٌ بعيـــدٌ قريب   مُحْسنٌ مُـــذنب عـــدوّ حبيب
عجبٌ من عجـــائب البرّ والبحـ   ـر ونــــوع فرد وشكل غريب(٤)

ومن شعره :

يـــا هـــل أقضّ حـــاجتي من منًى   وأنحــرُ البُـــزْل المهـــارِيـــا(٥)
وأرتـــوي من زَمْـــزم فهي لي   ألـــذُّ من ريـــق المهـــا ريّـــا(٦)
يهيم قلبي طربـــــــــــاً كلّما   أستلمـح البرقَ الحجـــازيّـــا(٧)
ويستخف الـــوجـــد عقلي وقـــد   لبست أثـــواب الحجى زيّـــا(٨)

ومنه :

تمنّيت أنّ الشيب عَـــاجـــل لمّتي   وقرّب منّي في صبـــاي مَــزَارَه

(١) في (س) ، والوافي : « سيرت » .
(٢) (س) والوافي : « ولالبّ » .
(٣) الزيادة من (س) والوافي ، والطالع السعيد .
(٤) في الطالع السعيد : « وشكل عجيب » .
(٥) (س) : « يأهل » . والإبل المهرية : منسوبة إلى مهرة بن حيدان .
(٦) المها : بقر الوحش .
(٧) (س) والوافي : « تهيم نفسي » . وهذا البيت والذي يليه جاءا أولاً في الطالع السعيد .
(٨) في الطالع : « قلبي وقد أصبح لي حسن الحجا » .

لآخـذ من عصرِ الشبـاب نشـاطـه وآخــذ مِنْ عصر المشيب وقـــارَهُ

ومنه :

يـا شبـابي أفسـدت صـالـح ديني يــــا مشيبي نغّصَت طيّب عيشي
فعَــــدوّان أنتما لا صَـــديقــا ن تلعّبتمـــــا بحلمي وطيشي

ومنه :

لم يبـق لي أمـلٌ سـواك فـإن يَفُت ودّعُت أيــام الحيــاة وداعـــا[2]
لا أستلــذّ لغيرِ وجهــك منظراً وسـوى حـديثـك لا أريـد سماعـا

وأنشدني الشيخ شمس الدين بن نباته قال : أنشدني له :

لعمري لقـد قـاسيتُ بـالفقر شـدةً وَقَعْتُ بهـــا في حيرة وشتـــات
فإن بُحتُ بـالشكوى هتكتُ مُروءتي وإن لم أبـح بـالصبر خفت ممـاتي
فـأعظم بــه من نــازل بُملمّــة يُـزيـلُ حيائي أو يـزيـل حيـاتي

وأنشدني من لفظه شيخنا فتح الدين قال : أنشدني من لفظه له :[3]

الحمـــــدُ لله كم أسعى بعــزمي في نيـل العـلا وقضـاءُ الله ينكسـهُ[4]
كأنني البـدر أبغي الشرق والفلـك الـ أعلى يعـــارضُ مسعـاه فيعكســه

قلت : هذا مثل قول الأرّجاني :

سعيي إليكم في الحقيقــة والـــذي تجـدُون عنكم فهـو سَعيُ الـدّهر بي
أنحــــــوكم ويردّ وجهي القهقرى دهري فسيري مثـل سير الكـوكب[5]

(١) الطالع السعيد : ٥٩٣ .
(٢) في الأصل : « فلم يفت » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات .
(٣) (س) : « لنفسه » .
(٤) في الأصل : « يعكسه » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات .
(٥) في الأصل : « أنحو بكم » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

فالقصد نحو المشرق الأقصى له   والسير رأي العين نحو المغرب

قلت : إلاّ أنّ هذا المعنى الذي أتى به الشيخ تقي الدين في بيتين فهو[١] أخصر . وقد تكلمت في (شرح لاميّة العجم)[٢] على معنى الأرّجاني وأوضحته .

وأخبرني شيخنا الحافظ فتح الدين ، وكان خصيصاً بالشيخ تقي الدين قال : كان الشيخ مغرىً بالكيمياء ، معتقداً صحّتها ، قال : لأنه اتفق لي[٣] في مدينة قوص من صَنعها بحضوره وحكى لي الواقعة بطولها في ذلك .

ومِمّن روى عنه الشيخ فتح الدين بن سيد الناس ، وقطب الدين بن منيّر ، وقاضي القضاة علاء الدين القونوي ، وقاضي القضاة علم الدين الأخنائي ، وآخرون ، وحدّث شيخنا الذهبي إملاءً .

وقال كمال الدين الأدفوي : حكى[٤] القاضي شهاب الدين بن الكُوَيك التاجر الكارميّ رحمه الله تعالى ، قال : اجتمعت به مرّةً واحدة ، فرأيته في ضرورة ، فقلت : يا سيِّدنا ما تكتب ورقة لصاحب اليمن ؟ اكتبها وأنا أقضي فيها الشغل ، فكتب ورقة لطيفة فيها :

تجادل أربابُ الفضائل إذ رأوا   بضاعتهم مَوكوسة الحَظّ في الثَمن
وقالوا عرضناها فلم نلف طالباً   ولا من له في مثلها نظر حسن[٥]
ولم يبق إلاّ رفضُها واطّراحُها   فقلْتُ لهم لا تعجلوا السُوقُ باليمن

وأرسلها إليه فأرسل له مئتي دينار ، واستمّر يُرسلها صاحب اليمن[٦] إلى أن مات .

(١) (س) : « وهو » .
(٢) الغيث المسجم : ١٤٥/١ .
(٣) (س) : « له » .
(٤) (س) : « حكى لي » .
(٥) (س) : « ولا من له فيها » . وفي الطالع : « فقالوا » .
(٦) في الطالع : « واستمر يرسلها كل سنة إلى أن مات . يعني صاحب اليمن » .

وقال كمال الدين أيضاً : قال لي عبد اللطيف بن القَفْصي : هجَوتُهُ مرّة فبلغه ، فلقيته في الكامليّة فقال : بلغني أنك هجوتني ، أنشدني ، فأنشدته بُلّيقةً أوّلها :

قـاضي القضـاة أعـزلَ نفسُـو لمّـا ظهر للنـاس نحسُـو[١]

إلى آخرها فقال : هجوت جيداً .

وقال قالي صاحبنا الفقيه الفاضل الثقة مجير الدين عمر بن اللَّمطي[٢] ، قال : كنت مَرّةً بمصر ، وطلعت إلى القاهرة ، فقالوا لي : الشيخ طلبك مرّات ، فجئت إليه ، فقال أين كنت ؟ قلت : بمصر في حاجة ، قال : طلبتك في حاجة[٣] ، سمعتُ إنسانا ينشد خارج الكاملّية :

بكيت قـالـوا عـاشـق سكتّ قـالـوا قـد سَلا
صلّيت قـالـوا زوكر مـا أكثر فضـول النـاس

وقال : حكى لي صاحبنا فتح الدين محمد بن كمال الدين أحمد[٤] بن عيسى القليوبي قالَ : دخلتُ مرّةً عليه وفي يده ورقة ينظر فيها زماناً ، ثم ناولني الورقة[٥] وقال : اكتب من هذه نسخة ، فأخذتها فوجدت فيها « بُلّيقة » أولها :

كيف أقـدر أتـوب وراس إيري متقـوب

وقال : قال لي شيخنا تاج الدين محمّد بن أحمد الدشناوي : سمعته يُنشد هذه « البليقة » أولها :

---

(١) في الوافي : « نَفْسه .. نحسه » . وفي الطالع : « عزل » .

(٢) هو عمر بن عيسى بن نصر اللمطي (ت٧٢١ هـ) . الطالع السعيد : ٤٤٨ .

(٣) قوله « في حاجة » ، ليس في (س) والوافي ، والطالع .

(٤) (س) : « ابن أحمد » ، سهو ، وسلفت ترجمته في موضعها .

(٥) (س) : « تلك الورقة » .

جَلْـد عميرة[١] بـالـزجـاج ولا الـــزواج

ويقول : بالزّجاج يا فقيه ...!

وقال : حكى لي القاضي سراج الدين يونس بن عبد المجيد الأرمنتي قاضي قوص قال : جئت إليه مرّة ، وأردت الدخول ، فمنعني الحاجب وجاء الجلال العسلوجي فأدخله وغيره ، فتألّمت ، وأخذت ورقة وكتبت فيها :

قُـل للتقي الـذي رَعِيَّتُـهُ راضُون عَنْ عِلْمِـه وعَنْ عَمَلِـه
انظر إلى بـابـك ... ... يلـوح من خللـه[٢]
بـاطنـه رحمـةٌ وظـاهرهُ يـأتي إليـك العـذابُ مِن قِبلـه[٣]

ثم دَخَلْتُ وجعلتُ الورقة في الدواة ، وظننت أنّه ما رآني[٤] ، فقال : أجلس ، ما في هذه الورقة ؟ قلت : يقرأها سيدنا ، فقال : أقرأها أنت ، فكرّرت عليه ، وهو يرد عليّ فقرأتها ، فقال : ما حَملك على هذا ؟ فحكيت له ، فقال : وقف عليها أحد ؟ فقلت : لا ، فقال قطّعها .

قال[٥] : وأخبرني برهان الدين إبراهيم المصري[٦] الحنفي الطبيب ، وكان قد استوطن قوص سنين ، قال : كنت أباشر وقفاً ، فأخذه مني شمس الدين محمد ابن أخي الشيخ ، وولاّه لآخر ، فعزّ عليّ ، فنظمت أبياتاً في الشيخ ، فبلغته ، فأنا أمشي خلفه

---

(١) (س) والوافي والطالع : « العميرة » .
(٢) كذا بياض في الأصل و (س) والوافي ، والطالع .
(٣) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ﴾ [الحديد : ١٣/٥٧] .
(٤) عبارة الوافي والطالع : « أنه ما رآني وقمت » .
(٥) الأدفوي في الطالع السعيد : ٥٨٥ .
(٦) إبراهيم بن محمّد المصري ، سلفت ترجمته في موضعها .

مرّة فإذا به قد التفت إلّي وقال : يا فقيه ، بلغني أنّك قد هجوتني ، فسكتّ فقال : أنشدني ، فألحّ عليّ فأنشدته :

وَليتْ فَولّى الزّهْدُ عنكَ بأسرهِ وبان لنا غيرُ الذي كنتَ تُظهرُ
ركنتَ إلى الدنيا وعاشرت أهلها ولو كان عن جدٍ لقد كنت تُعذَرُ

فسكتّ زمانا وقال : ما حملك على هذا ؟ فقلت : أنا رجل فقير ، وأنا أباشر وقفاً أخذه مني فلان ، فقال : ما علمتُ هذا ، أنت على حالك ، فباشرتُ الوقف مُدّةً ، وخطر لي الحجّ ، فجئت إليه استأذنه ، فدخلت خَلْفَه ، فالتفت إليّ وقال : أمعك هجوٌ آخر ؟ فقلت : لا ، ولكنّي قصدتُ الحجَّ ، وجئتُ أستأذن سيّدي ، فقال : مع السلامة ما نغير عليك .

وقال ناصر الدين شافع : من شعر الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد قوله :

تجاوزت حدَّ الأكثرين إلى العلا وسافرت واستبقيتهم في المعاوز[(١)]
وخضت بحاراً ليس يُعرف قدرُها وألقيت نفسي في فسيح المفاوز
ولجّجتُ في الأفكار ثم تراجع اخـ ـتياري إلى استحسانِ دين العجائز

وكتب إليه ناصر الدين حسن بن النقيب الفَقْيسي[(٢)] لّما قدم الديار المصرية في سنة أربع وسبعين[(٣)] وست مئة :

أنْتَ كالشافعّي إذْ حَلَّ مصراً فهو فيها عِلْماً وإن فات عصَرا
قد رأيناه مُذ قدمت علينا وسمعناه بعد ما حَلّ قَبْرَا
وارتضيناك مالكا وإماماً فامضِ فينا الأحكام نهياً وأمرا

---

(١) في الوافي : « في المفاوز » .
(٢) هو الحسن بن شاور بن طرخان بن حسن الكناني (ت٦٨٧هـ) الوافي : ٤٤/١٢ .
(٣) (س) : « وتسعين » ، تحريف .

وهي ثلاثون بيتاً ، فأجاب الشيخ عنها بأبيات أولها[١] :

قــد تــأمّلتُ مــا بعثتَ بــه لا زلت تُهــدي لمن يــواليــك برّا[٢]
فرأيت الجمــال كُمّــل والإجــ ـمال فــاستجمعــا وسُمّي شِعَرا
وتنزهت في ريــاض بــديــع من صنيــع البيــان أطلعن زهرا
يــا أميراً حتى على النظم والنثــ ـر لقــد زدت في الإمــارة قــدْرا

وهي خمسة عشر بيتاً ، وكتب الجواب ابن النقيب أيضاً وأوله :

أرسلت أبيــاتــا إليّ بنشرهــا غرف الجنــان تـزخرفت وقُصُورهــا
وبهــا عُيــون الشعر إلاّ أنهــا ولـدانُ هــاتيـك الجنــان وحُـورهــا
ورأيت ألفــافــا من الجنّــات إلا أنهنّ حروفهــا وسُطــورهــا

وهي أحد عشر بيتاً ، وقد أثبتّ الجميع في الجزء التاسع والعشرين من (التذكرة) التي لي .

وكان الشيخ تقيّ الدين رحمه الله تعالى صحَّح حديث القُلّتين[٣] ، واختار ترك العمل به لا لمعارض أرجح بل[٤] ، لأنه لم يثبت عنده بطريق يجب الرجوع إليه شرعاً تعيين لمقدار القلّتين .

وقال رحمه الله تعالى : ذكر بعضهم المسألة السريجيّة وقال : إذا انعكست انحلّت [وتقريره أنّ][٥] صورة المسألة : متى وقع عليك طلاقي فأنت طالق قبله ثلاثاً ، أو متى طلّقتك ، فوجهُ الدّور أنه متى طلّقها الآن وقع قبله ثلاثاً ومتى وقع قبله ثلاثاً لم

(١) (س) : « بأبيات منها » .
(٢) (س) : « ولا زلت » .
(٣) وهو : « إذا بلغ الماء قلّتين لم يحمل نجساً » ، وفي رواية : لم يحمل خبثاً . اللسان (قلل) .
(٤) (س) : « به » .
(٥) زيادة من (س) .

يقع ، فيؤدي إثباته إلى نفيه ، فانتفى ، وعَكْسُ هذا أن يقول : متى طلقتك ، أو متى وقع عليك طلاقي فلم يقع فأنت طالق قبله ثلاثاً ، فحينئذ متى[1] طلّقها وجب أن تقع الثلاث القبلية ، لأنه حينئذ يكون الطلاق القبلي ثابتاً على النقيضين ، أعني المنجز وعدم وقوعه ، وما ثبت على النقيضين فهو ثابت في الواقع قطعاً ، لأن أحدهما واقع قطعاً ، فالمعلق به واقع قطعاً . وهذه مقدمة ضرورية عقلية لا تقبل المنع بوجهٍ من الوجوه ، وأصل المسألة الوكالة . وكان شيخنا العلامة شيخ الإسلام تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى يقول : هذا فيه نظر ، وإنّما يلزم وقوع الطلاق المعلّق بالنقيضين المذكورين لو قال : إن طلقتك فوقع عليك طلاقي [أو لم يقع فأنت طالق قبله ثلاثاً ، ثم يقول لها : أنت طالق][2] ، فحينئذ يحكم بأنها طلقت قبل ذلك التطليق ثلاثاً عملاً بالشرط الثاني ، وهو عدم الوقوع ، لأنّ الطلاق المعلّق مشروط بأحد أمرين : إمّا الوقوع وإمّا عدمه في زمن واحد مُستندٍ إلى زمن واحد قبلي ، ولا يمكن الحكم بالوقوع القبلي استناداً إلى الشرط الأول وهو الوقوع للزوم الدور ، وأما الوقوع في ذلك الزمان القبلي مستنداً إلى عدم الوقوع فلا مجال فيه ، لأنه لا يمكن أن يقال : لو وقع فيه لوقع قبله ، لأنه إما أن يحتمل القبلية على المتسعة[3] التي أوّلها عقب التعليق ، أو على القبلية التي تستعقب التطليق ، فإن كان الأول لم يكن وقوع الطلاق قبله ، لأنه يكون سابقاً على التعليق ، وحكم التعليق لا يسبقه ، وهذا فائدة فرضنا التعليق على التطليق ونفيه بكلمة واحدة ، وإن كان الثاني لم يتمكن القول أيضاً بالوقوع قبله استناداً إلى الشرط الأول ، لأنه كما تتقيّد القبلية القريبة بالنسبة إلى الشرط الثاني كذلك تتقيّد بالنسبة إلى الشرط الأول ، فلا يكون على تقدّم [الوقوع][4] على ذلك الزمان دليل ، ولا له موجب ، هذا كله إذا كان التعليق بالنقيضيين بكلمة واحدة ، كما فرضناه ، وبان لك

(١) (س) : « متى إن » .
(٢) زيادة من (س) .
(٣) في (س) : « على القبلية للتسعة » .
(٤) زيادة من (س) .

بهذا أنّ الحكم بالوقوع ليس لكونه معلّقاً بالنقيضين وأنّ ما تعلّق بالنقيضين واقع ، كما توهّمه القائل لأن التعليق بالعدم ، وأنّه لا مانع منه ولا استحالة فيه حتى لو انفرد التعليق بالعدم ، وكان كذلك فلا أثر للتعليق معه على الوجود وإن وقع في فرض المسألة .

١٦٦٤ ـ محمّد بن علي بن أحمد*

ابن فضل ، المسند المبارك شمس الدين أبو عبد الله ، أخو الإمام القُدوة تقي الدين الواسطي[١] .

حضر على الشيخ الموفّق ، وموسى بن عبد القادر ، وابن راجح ، وسمع عن ابن أبي لقمة ، والقزويني ، وابن البنّ ، وابن صَصْري ، والبهاء ، وابن صبّاح الكاشغري ، وابن غسّان ، والزبيدي ، وعمر بن شافع ، وطائفة .

خرَّج له شيخنا الذّهبيّ عوالي في جزء ضخم ، وخرّج له ابن النابلسي (مشيخةً) في جُزأين ، وسمع منه شيخنا المزي ، وشيخنا البرزالي ، وشيخنا ابن سيّد الناس ، والمقاتلي ، وابن المهندس ، ونجم الدين القحفازي ، وشمس الدين بن المهيني ، وغيرهم .

وتوفّي رحمه الله تعالى في منتصف شهر رجب الفرد سنة سبع مئة .

ومولده سنة خمس عشرة وست مئة تقريباً .

١٦٦٥ ـ محمّد بن علي**

الوزير الكبير سعد الدين الساوجي العجمي .

---

* الوافي : ١٩٣/٤ ، والعبر : ٤٠٤/٥ ، والشذرات : ٤٥٣/٥ ، وفي هذين الأخيرين أنه توفي سنة (٦٩٩ هـ) ، وكذلك في النجوم الزاهرة : ١٩٣/٨ ، عن الذهبي .

(١) في الوافي : « ابن الواسطي » ، وكذلك في العبر .

** الوافي : ٢٠٩/٤ ، والدرر : ١٠١/٤ ، وذيول العبر : ٦٣ .

كان من جملة وزراء خربندا ، كان جبّاراً ظالماً ، إلاّ أنه كان عمّر ببغداد جامعاً أنفق عليه ألف ألف درهم ، رافعوه ، فقتله خربندا ، وذُبح ابناه قبله . صلّى ركعتين قبل قتله وودّع أهله وثبت للقتل ، وخلع فُرجيّته على قاتله ، فباس يده واستجعل منه في حلٍّ ، ثم إنه أطار رأسه وقتل معه الوزير مبارك شاه[(١)] ، وصاحب الديوان المانشتري ، وتاج الدين الآوي كبير الأشراف ، والملك ناصر الدين يحي بن إبراهيم[(٢)] صاحب سنجار ، وذلك في سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

١٦٦٦ ـ محمّد بن علي بن يحي بن علي*

الشيخ العلاّمة الغرناطي المالكي المقرئ بالمدينة ، أبو محمد .

كان فقيهاً نحوّياً مشاركا في عدّة فنون ، أديباً شاعراً ، سمع بالمغرب (المُوطَّأ) من أبي محمد بن هارون ، وسمع بالحجاز من جماعة ، وشرح (الجمل) في النحو وحدَّث .

سمع منه شيخنا البرزالي وجماعة ، وجاور بمكّة والمدينة [مدّة][(٣)] ، وله نظم كثير في المديح النبوي أكثر من ألفي بيت .

وتوفّي رحمه الله تعالى بالمدينة في يوم الاثنين سادس صفر سنة خمس عشرة وسبع مئة .

ومولده بأجوار غرناطة سنة إحدى وسبعين وست مئة .

١٦٦٧ ـ محمّد بن علي بن عمر المازني الدهان**

شمس الدين الدمشقي الشاعر المشهور .

(١) الدرر : ٢٧٦/٣ .
(٢) ستأتي ترجمته في موضعها .
* الوافي : ٢٠٩/٤ ، والدرر : ٩٦/٤ ، وغاية النهاية : ٢١٢/٢ ، والبغية : ١٩٣/١ .
(٣) زيادة من (س) والدرر .
** الوافي : ٢٠٩/٤ ، وفوات الوفيات : ٥/٤ ، والدرر : ٧٨/٤ ، والشذرات : ٥٨/٦ .

كان يعرفُ (مقامات) الحريري ، وربّما يحفظها ، ويدري الموسيقى ، ويرى محاسنها ويلحظها ، فينظم الشعر الرقيق ويُلحِّنُه ، ويروجهُ بذلك على الأسماع ويملأه بهجة ويشجِّنه . وكان يلعب بالقانون ، ويرى أنه يصلح[1] لمنادمة المأمون .

وكان له مكان قد عمّره في الربوه ، واعتنى به ، وجعله بالزخرفة حُظوه ، يجمع به أحبابه وأترابه وأصحابه ، ويأخذ أربابُ الملاهي[2] عنه الألحان ، ويرون أنهم أشوق إليها من بنت الحان .

ولم يزل على حاله إلى أن دُهي الدهّان ، وأمسى تحت الأرض إلى أن تصير السماء وردة كالدهان[3] .

وتوفي رحمه الله تعالى في خامس شهر رجب يوم السبت سنة إحدى وعشرين وسبع مئة .

أنشدني من لفظه لنفسه القاضي شهاب الدين بن[4] فضل الله قال : كتبت إليه مُضمِّنا :

رأيتك [أيها] الدّهان تبغى | مزيدا في التودّد بالمساعي
«فلو صوّرت نفسك لم تُزدها | على مافيك من كرم الطبَاع »[5]

وذكرتُ أنا هنا ما نظمته في مليح دهّان :

ودهّانٍ أقول له ونفسي | من الوَجد المبَرّح لم أجدها[6]

---

(١) (س) : « كان يصلح » .

(٢) (س) : « الملاهي والطرب » .

(٣) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان ﴾ [الرحمن : ٣٧/٥٥] .

(٤) (س) : « أحمد بن .. » .

(٥) البيت لأبي تمام . انظر ديوانه .

(٦) (س) : « من الوجه » .

مَلكت جميـع حسنٍ في البرايـــا فلـو صـوّرت نفسـك لم تـزدهـا

وكان قد اشترى مملوكاً وأحبّه وربّاه وهذّبه وخرّجه ، فمات ، فحزن عليه حزناً عظيماً ، وأسف عليه أسفاً كبيراً ، ورثاه بأشعار كثيرة ، ولحّنها وغنّى بها على قانونه ، ونقلها المغنون عنه وتداولها الناس مُدَّة مديدة .

وأنشدني من لفظه لنفسه جمال الدين يوسف الشاعر الصوفي في ذلك :

لئن مات يا دهانُ مملوكك الّذي بلغتَ به في الفِسْقِ مَا كنت ترتجي
فَمَثِّلهُ بالأصباغ وجهاً وقامةً وخصراً وردفاً ثم عاينه واصلَج[١]

ومن شعر شمس الدين الدهان مِمّا رثى به مملوكه :

مُصيبةٌ فقدٍ أيقظت كُلّ هاجع ووثبة حَتف فاجأت بالفواجع
ولوعة حزنَ فاجأت لاعج الأسى فصدمتها الشنعاء بين الأضالع
ووقعة رُزءٍ لم تدع حين هدّمت قوى الصّبر قلباً وقعها غير واقع
إذا مَا دَعا داعي التذكر باسمها أجابت حنيناً هاطلات المدامع[٢]
لقد ضل من يبغي اجتماعاً وألفةً من الدهر والأيام ذات القوارع
ومَا الدهر إلاّ ظالم غيرُ منصف وموجد تفريق لنا غير جامع
ومَا هذه الأجساد إلا منازل وأرواحُنا فيهنّ غير ودائع[٣]

ومنها :

ألاَ في سبَيل الله شخصٌ رزئتُهُ على غِرّة والدهر جمّ الفجائع
فُجعتُ به كالبدر في السنّ والسنا وكالشمس في إشراقها والمنافع
سريع إلى داعي الجميل مُبرّأ من العيب عفّ طَرفُه في المجامع

(١) الأصلج : الشديد الأملس .
(٢) (س) : « حبيباً » .
(٣) (س) : « غير منازل » .

جميل المحيّا فيه تلمح صادقا رزانة كهل وهو في سنّ يافع[١]

وهي طويلة تزيد على الخمسين بيتاً .

وقال فيه أيضاً :

سلُوا طول هذا الليل يخبركم عنّي بأني لم يغمض لفقدكم جفني
رَحلتم بصبري واستمر مريركم وأسلمتم قلبي إلى لوعة الحزن[٢]
وعوضتموني عن سروري بالأسى وبالبعد عن قربي وبالخوف عن أمني[٣]
وقد كان ظنّي أن يدوم وصالكم فأخلفتِ الأيّام في وصلكم ظني

ومن شعره فيه مَا أنشدنيه[٤] عنه الصارم إبراهيم بن عبد الرحمن العوّاد :

مَا سيّج الورد في خديك ريحان إلاّ ووَجْهُك في التحقيق بُستان
وَلا تعطّف مِنك العِطْفُ من صَلَفٍ إلاّ وريقك خمرٌ وهو نشوانُ
لله فتنة ذاك الطرفِ منك لقد سَبَى المحبّين لحظ منهُ فتّانُ
لو لم يكن سلبَ العشاق نومهم مَا راح مِن غير سُهد وهو وَسنان

قلت : البيت الرابع أخذه من قول مهذّب الدين بن القيسراني :

هذا الذي سلب العشاق نومَهُمُ أمّا ترى عيْنَهُ مَلأى من الوسَن

وما أحسن ما أتى بهذا تضميناً شيخنا العلاّمة شهاب الدين أبو الثناء محمود رحمه الله تعالى ، أنشدنيه لنفسه إجَازة :

---

(١) (س) : « وزانه » .
(٢) استمرّت مريرته عليه : استحكم عليه .
(٣) (س) : « من أمني » .
(٤) (س) : « ومن شعر الدهان ما أنشدنيه » .

قالوا وقد عاينوا عينيَّ ساهرة … من الكَرى وأطالوا فيَّ لومهُمُ
فقلتُ: عهدي بهِ من يوم فارقني … هذا الذي سَلب العُشاق نومَهُمُ

وبه قال : أنشدني له :

عند قلبي مِنك وجدٌ لا يُحدُّ … وغرامٌ هَزلُه في القول جَدُّ
واشتياق نارُهُ لا تنطفي … ولَه بين شغاف القلب وقَدُ
أيّها البدرُ الذي تيّمني … منه وجهٌ يُشبه البدر وخَدٌّ[1]
وسباني جَوهَر من ثغرهِ … فوقه من رِيقهِ خمر وشهدُ

وبه[2] قال : أنشدني له :

دلائل الوجد لا تخفى على الفطن … والحب أقصاه مَا أفضى إلى الفتن[3]
كم ذا التستر والأشواقُ تعربُ عن … سرِّ الهوى بلسان المدمع الهتِن
دع التكتمَّ فالكتمان نارُ جوى … بين الجوانح تذكيها يدُ المحن
وبح فليس بعارٍ أن تبوح فما … في ساحة الحّي إلاّ كُلّ ذي شجن[4]

قلت : الرابع أخذه من قول الأول .

لا تُخفِ مَا صنعت بك الأشواق … واشرح هَواكَ فكُلُّنا عُشّاقُ

وبه قال : أنشدني له :

ألا حبذا الوادي وروضُ البنفسج … وطيبَ شذىً من عرفه المتأرّج
وأغصان بان في نواحيه ميد … وكلّ قويم القدّ غير معوّج

---

(١) (س) : والوافي : « يخجل البدر » .
(٢) في الأصل : « ومنه » ، وأثبتنا ما في (س) قياساً على ما سبق .
(٣) (س) : « أقصى ».
(٤) في الوافي : « ونح .. أن تنوح » .

وأنهــار مــاءٍ في صفـــاءٍ ورقّـــةٍ تسيـل بهـا مـابين روضٍ مـدبّـج
فــإن جَعّـدتـه خطرةٌ مِن نسيمــهِ فيــا حسن مرآى مــائــه المتمـوّج[1]

ومن شعره ملغزاً في الجوز :

ومجلـــــــود لــــــــه جرمٌ بــــــــــــلا جرمٍ ولا ذنب
يعــــــــاقَبُ وهـــــــو من كَرَم السجيّـــــــــة طيّبُ القلبِ

وكتب إليه المجير أحمد الخياط ، نقلته من خطه[2] :

بـــات بعيــد الــدار عن سَكَنــهْ صبٌّ قريبُ المـزار من شجنـــــه[3]
متيمٌ يـــذرف الـــدمُـوع دمـــا في الرَّبع بعـد الـدمَـا على دمنـهْ
لم يُبـق فيـــه بلى الرسـوم سـوى وسم خيـــال يلـوُح من بـــدنـــه
رام اكتتــــــــام الغرام مستتراً بـــالصبر والصّبر ليس من جُنَنِـــه
وكيف يُخفي الهـــوى وعبرتــــه تُنقـــــل من سرّه إلى عَلَنــــــه
رقّ لــــه الشـــامتـون حين رأوا فرط اكتئـاب عــلاه من حـزنــه
مــــدلّـــــهٌ لا يعي المــلام ولا يـدخـل عـذل العـذول في أذنـه[4]
أقسمَتُ بـالبيت ذي الستُور وبـالـ حَجيـج والرّاقصـاتِ من بـدُنـه[5]
ويـــوم جمــــع والمشعرين ومَنْ وفّى فُرُوض الميقــات مـع سُنَنِـه
إنّ أبــــا عبـــد الله نـــادرة أحسن مـا في الـزمـان من حسنـه
ليس يـــوازى بمن يشـــاكلـــه في ســائر النــاس من بني زمنـه
لا في نهـــاهُ ولا فضـــائلــه ولا ذكاهُ كــــلا ولاَ فطنـــــه

(١) في الوافي : « متنه المتموج » .
(٢) (س) : « ومن خطّه نقلت » .
(٣) (س) : « الديار » .
(٤) (س) : « لا يعي الغرام » .
(٥) الراقصات : الإبل في سير الخبب .

غُـــذّي لبـــــان الآداب في حكم الـ ـعُلـوم قبـل الفصـال من لبنـه[١]
وفـــاق في المـوسيقـا ومعبـــد في دخـولـــه والغريضَ في غننِـــه[٢]
وفي القريض الجزل الرقيـق شـأى وفـات نجـل الحسين مـع حَسَنـه
هــو الحبيبُ الـــذي يـــداهنني والـــدهن من فنّـــه ومن فننـــه
واعــــــدني ذورة وقـــــد علقت ذاتي بحبّ الــوعــود في رهنـــه
فـــإنْ يبـــادر إنجـــازهـــا عـــدةً عَــددتُهـــا مَـــا حييت من مننـــه
وللمحبّ الــــداعي إليـــه هـــوىً يجـــذب من ضبعـــه ومن رسَنَـــه
سَنّ لـــهُ شـــوقـــه تبـــاعـــده فلم يـــزل جـــاريـــاً على سَننِـــه
وهـــو مقيمٌ على ودادكَ مَـــــاعَـــــا ش إلى أن يلفّ في كفنِـــــه

قلت : قد حَذَفْتُ منها كثيراً لما فيه من اللحن والزحاف[٣] وفساد التركيب .

وكتب شمس الدين الدهان إليه الجواب عن ذلك :

شفَّ المعنّى وزاد في شجنـــــه[٤] هـــاتفُ أيـــكٍ أوفى على فَننـــه[٤]
دَعـا هَــدِيـلاً شطّت بـه غُرْبـةُ الـ ـبين فـأمسى يبكيـه من شجنـه[٥]
فـــاهتجن من دائـه الـــدويّ عقـــا بيـــل غرام لـــــه إلى سكنـــه
أذكَرَهُ طيب عيشـــــــة سلفت وانصرمت بـــالقيـــان مـع فتنـــه
فبـــات يُجري دمعـاً يشـاركـه الـ ـغيث إذ الغيث ارفض عن مُزنه[٦]
واصطلم البينُ صبره ونفى عن جفنـــه المستلـــذ من وسَنـــه

---

(١) (س) : « من حلم » .
(٢) الفريض : المغني الجيد .
(٣) في الأصل : « والزخارف » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٤) في الأصل : « سجنه » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٥) (س) : « من حزنه » .
(٦) (س) : « إذا » .

فيـــالـــه من فتًى أخي حُرَقٍ حــافـظ عهـد المغيب مـؤتمنـه
مَــا تركَ الحبّ حين جـدّ بــه سـوى خيـال يلـوح من بـدنِـه
فقـال لِـلاحِيــهِ في الغرام دع اللّـو م ودّعـــه إن كنت لم تعنــه
لاتبـغ بـالعـدل أنْ تقـاد فقـد مكّن كفّ الغرام من رسنِــه
وللهــوَى المستَلــذّ مهجتُــه قـد خضعت فـانضـوت إلي محنـهِ
كما لعبــد المجير قـد خضعتُ غرّ القـوافي فـاتّضعن في قَرنـه
أيّ بليــغ أعيت بــلاغتُــه مَسّــا وفـاقت إيــاس في لَسنـه
صريـح وُدٍّ من أنْ يُشــاب نقيّ الـ ـعِرضِ صـافي الأديم من درنـه[1]
كاتبتني محسنــاً بحكمــةٍ ذات بيـــان دلّت على فطنـه
رقت ورَاقت فراح ســامعهــا يخـال سحراً قـد صُبّ في أذنـه[2]
لم يجر سبقـا لمثلهــا ابن أبي الصّلـ ـت بغمـدانـه ولاعـدنـه[3]
أربى على جرول بهــا وشــأى حسّـان وابن الحُبـاب من حسنـه[4]
يفـديـك عبـد المجير مُضطغن الـ ـضغنـة أمسى يطـوي على ضغنـه
فــاسلم على رغمــه تصرف في الـ ـكـلام منثـوره ومتّـزنــه
مَـا انعطف البـان بـالنسيم ومَـا رجّعت السَـاجعــات في غصنـه

قلت : قوله : « فقل للاحيه في الغرام » البيت قافيته ملحونه ، لأنّـه قـال : « إن كنت لمْ تُعنِه » لأن النون ساكنة ووقع له قبلها أخرى في بيتٍ حـذفْتُـه ، وهو معـذور لأنّ المجير وقع له مثل ذلك ، وحذفته ، فقلّده الـدهّان ، وكلاهمـا اغتر بقول النحـاة : الساكن إذا تحرك كُسِرَ ، ذاك إذا كان السـاكن متطرفاً ، أمّا وبعده ضمير أو غيره فلا .

(١) في الأصل : « تقي » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٢) (س) : « يختال » .
(٣) أمية بن أبي الصلت .
(٤) (س) : « مع حسنه » . وجرول : هو الحطيئة ، وحسان بن ثابت ، ووالبة بن الحباب ، والحسن بن هانئ أبو نواس .

ولشمس الدين الدهّان رحمه الله تعالى :

يا بأبي غصن بانة حَمَلاَ بدرَ دجَى بالجمال قد كملا أهيفْ
فريد حسن ما ماس أو سَفَرا
إلا أغار القضيب والقمَرَا
يبدي لنا بابتسامهِ دُررا
في شهد لذّ طعمه وحَلا كأن أنفاسهُ نسيمُ طِلاَ قَرْقَف
مُوردُ الخدّ فاترُ المُقَل
يفوق ظبي الكناس بالحمل
وينثني كالقضيب في الميل
مِنْ حَمل ردف مثل الكثيب علا نيط[(١)] بخصر كأضلعي نُحلا مُخطّف
ظبيٌ من الترك يقنص الأسدا
مقرطقٌ قد أذابني كَمَدَا
حاز بديع الجمال فانفردا
واهاً له لو أجار أو عدلا لمستهام بهجره نحلا[(٢)] مُدنف
غزالُ سِرْب جماله شرك
سِتْر اصطباري عليه مُنتهكُ
لكلّ قلب هَوَاه منتهك
علّم قلبي الولوع والغَزالا طرفٌ[(٣)] له بالفتور قد كَحَلاَ أوطفْ
لله يوم به الزمان وفى
إذْ منّ بالوصل بعد طُول جَفا
حتّى إذا ما اطمأن وانعطفا

(١) في الأصل : « ينط » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات .
(٢) في الأصل : « نجلا » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات .
(٣) في الأصل : « ظبي » وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات .

أسفر عنـه اللّثـام ثمّ جـلا وَرْداً بغير اللّحَاظ منـه فـلا يُقطَفُ

فَظَلْتُ من فرط شــدة الترحِ[١]

إذ زارني والرقيب لم يَلُــح

ألثم أقــدامــه من الفَرَحِ

وقُلْتُ إذ عَنْ صدوده عـدلا أهـلاً من بعـد جفـوة وقلى أسْعَف[٢]

قلت : والأصل في هـذا التـوشيـخ أن بعضهم أخـذ[٣] قـول أبي نـواس الحسن بن هانئ[٤] :

أمَــا ترى الشمس حلّت الحَمَـلا وطـاب وقت الـزمـان واعتـدلا

فجاء إلى آخره وزاده توشيحـة فقـال : « فـاشرب » ، ولمّا فتح هـذا البـاب لأهل النظم طاروا إليه زرافاتٍ ووحدانا ودخلوا أرسالاً لخفته[٥] وعذوبته ، وغـالب من نظم فيه لزم الباء في التوشيخة ، وبعضهم عملها دالاً ، وبعضهم عملها فاءً مثل الدهان . فأوّل من علمته نظم في هذا ولزم الباء إبراهيم بن سهل المغربي[٦] فقال :

رَوْضٌ نضير وَشـادن وطـلا فـاجتن زهر الربيع والقُبلا واشرب

يـا سـاقيـاً مَـاوقيت فتنتـه

حكت[٧] كؤوس الرحيق صُورتـه

فمثّلت ثغره ووجنتــه

(١) في الفوات : « البرح » .

(٢) (س) : « أضعف » .

(٣) في الأصل : « إن أخذ » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٤) انظر : ديوان أبي نواس ص ٦٣ .

(٥) (س) : « ودخلوه أرسالاً بخفته » ، والأرسال : القطيع .

(٦) (ت٦٤٩ هـ) ، الوافي : ٥/٦ ، وأثبت الصفدي موشحته الآتية ثمّة .

(٧) في (س) والوافي : « جلت » .

هذا حبابٌ كالسّلك معتدلا وذا رحيق لذا الزجاج علا كوكبْ
أقمتُ حربَ الهوىَ على ساق
وبعتُ عقلي بالخمر من ساق
أُسهر جفني بنوم أحْداق
تمثّل السحر وسطَها كحَلا معتلة وهي تُبْري العِلَلا فاعجبْ
قلبك صخر والجسم من ذهبِ
أيا سمّي النبّي ياذهبي
جاورت من مهجتي أبا لهب
يا باخلاً لا أذمّ مَا فعلا صيّرت عندي محبّة النُجَلا مذَهبْ
يامنيتي والمنى من الخُدع
مَا نلتُ سؤلي ولا الفؤاد معي
هل عنك صبر وفيك من طمع[1]
أفنيتُ فيك الدمُوع والحيلا فلا سُلوي في الحبّ نِلْتُ ولا مَأربُ
أتيتُ اشكوه لوعتي عجبا
فصدّ عني بوجهه غضبا
فعند هذا ناديت يا حَربَا
تَصدّ عني يامنيتي مللاَ وأشتكي مِنْ صدودك العِلَلا[2] تغضب

قلت : ولّما علّقت هذه الموشحة راق لي وزنها فنظمت فيه مع عِلْمي بأنني ما أوفيه ، وهو :

لا تحسب القلب عن هواك سلا وإنما حاسدي الذي نَقلا حرّف

---

(١) في الوافي : « أو فيك » .

(٢) في الوافي : « المللا » .

أسلو ولا صبر لي ولا جلدُ
ونار شوقي وسط الحشا تقـد
وكلّ وجد دون الذي أجدُ
مَا وصل القلبُ في هواك إلى هذا وإن شئت أن يرى بـدلاً سـوّف
لي بـدر تمّ للعقـل قـد قمَرَا
وفـاق شمس النهـار والقمرا
وَطرفـه لـلأنـام قـد سحَرَا
والريق خمرٌ قد حلّ لي وحَلا لأنـه بـالمُنى إذا بَخَـلا يُرشف
وجفنـه صـح سُكره وصحـا
كم بـات حتفٍ لصّبـه فتحـا
وعُـذرُ ذاك العـذار قـد وضحـا
سَعَى إلى فيه يرشف[1] القُبَلا والنمل سار إلى أن[2] رأى العَسلا يَـزحف
يـا شـادنـاً سـلّ سيف مقلتـه
وهـزّ قـدّ القنـا بخطرتـه
وأخجـل البـدر حسن صُورتـه[3]
وجهك يـزداد بـالجمال عُـلا والبـدرُ في تمـة إذا كَمُـلا يُخسف
تبـدو فترمي الغصون بـالخجـل
فلم يمس عطفُهـا من الكسـل
وأنت مُغرى الأعطـاف بـالميـل
وقـدّك اللّـدْنُ كلّما اعتـدلا أخشى عليـه إن مَـال وانفتلا يُقصَف

---

(١) (س) : « يطلب » .
(٢) في الأصل : « مازال أن » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٣) (س) : « طلعته » .

شعرك ليـــل ووجهـــــك القَمرُ
والريــق حلـــو وحشـــوّهُ دُررُ
والقــدّ غصن ووجهـــك الــزهرُ
خــدٌّ زهـا الورد فيـه واشتعلا   وعقربُ الصّدغ فيـه قـد نَزلا   والتَفُ

وأنشدني لنفسه إجازة صفّي الدين الحلّي رحمه الله تعالى[1] :

زار وصبغ الظـلام قـد نَصلا   بـدرٌجـلا الشمس في الظـلام ألا   فـــاعجب
جـــاء وسَجف الظــلام قـد فتقـا
والصّبـح لم يبـق في الـدجـا رمَقـا
وقــد جـلا نـورٌ وجهــه الغَسقـا
وأدهم الليّـل منـه قـد جفـلا   وقـد أتى رائـد الظّـلام على   أشهبْ
أفـديـــه بـــدراً في قـــالب البشر
قـد جـاء في حسنـــه على قـــدر
يرتـــع في روض خـــــدّه نظري
خَـدّ بلطف النعيم قـد صقـلا   كأنّـــه من دمي إذا خَجـلاَ   يُخضب
يـا من غـدا ظـلٌّ حسنـه حرمـا
لّمـا حــوى مَـا بـه الجمـــال حمى
فرعـاً وصـدغـا مُذْ حكّمـا ظَلَمَـا
فـأرقَمَ الجعـد يَحرسُ الكفـلا   وحَارسُ الخـدّ منـه قـد جُعِلاَ   عقرب
هـــلاّ تعلمت بَــــــذْل ودّك ليْ
من المليــــك المـؤيـــد بن علي

---

(١) ديوان صفي الدين الحلي : ٢١٣ ، وفيه اختلاف يسير عما هاهنا .

سُلطــــــان عصر سَما على الأُول

لـولا أيـادٍ بهـا الـورى شَمَـلا لأصبـح النـاسُ كالسماء بـلا كــوكَب

وقال شمس الدين محمد بن العفيف التلمساني[1] :

بـدرٌعن الوصل في الهـوى عـدلا مَـالي عنـه إن جَـار أو عـدلا مــذهب

مُترّكُ اللحـــظ لفظـــه خنثُ

إليـــه يصبُـو الحشـــا وينبعث

أشكـــو إليـــه وليسَ يكترث

دَعَـا فـؤادي لأنْ يـذوبَ قِلى والمـوت والله من مقـالي لاَ أقرَب

لم يبـق لي مقلـــة وَلا كبَـــدُ

والقلبُ فيـــه أودى بـــه الكَمـــد

وليس يُلفى لهجره أمَـــــــدُ

لا تعجبُـوا إن غَـدوت محتمـلا لكنّ قلبي إن كان عنـه سَلا أعجب

بـالحسن كلّ العقـول قـد نَهبـا

والحـزن كلّ القلـوبَ قـد وَهبـا

شمسٌ وُلكنني لـــديـــه هَبَـــا

فـانظر لـذاك القوام كيف حلا غضتنـا وكم منـه بـالجهال جَلاَ غَيْهَبْ

١٦٦٨ ـ محمَّد بن علي بن عبد القوي*

ابن عبد الباقي محيي الدين التنوخي المعريّ ثم الدمشقي ، ابن المارستـاني الحنفي ، نزيل القاهرة .

(١) ديوان العفيف ص ٢٤٥ .

* الوافي : ٢١٣/٤ ، والدرر : ٦٨/٤ .

سمع من عثمان بن علي ، وإبراهيم بن خليل ، وفرج الخادم[(١)] ، وعبد الله بن الخشوعي ، وعدّة . وخرّج له الدمياطي (مشيخة) ، وسمعها منه قديماً .

وكان مديماً للاشتغال ، ورعاً زاهداً متواضعاً مُفَسّراً ، من كبار الحنفية ، أعاد بالمنصورية والناصريّة والظاهرية والصالحية ، وحمل عنه الطلبَة من سماعاته (جزء) الذّهلي[(٢)] على ابن خطيب القرافة[(٣)] سنة اثنتين وخمسين وست مئة .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثامن عشر شهر رمضان سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة سبع وأربعين وست مئة .

١٦٦٩ ـ محمّد بن علي بن الحسين بن سالم*

الشيخ المقرئ الصالح الحاج ، بقيّة المُسْندين ، شمس الدين ، أبو جعفر السلمي المرداسي بن الموازيني .

سماعه سنة اثنتين وعشرين وبعدها ، إذ كان عند الملقّن .

سمع أبا القاسم بن صَصرى ، والبهاء عبد الرحمن ، وتفرّد بالرواية عنهما . وسمع من إسماعيل بن ظفر[(٤)] ، وأبي سليمان بن الحافظ ، والشيخ الضياء .

وورث من أبيه ثروةً وعقاراً ، وجاور مدّة ، وأنفق في البّر والقُرب ، ثم أعطى ملكه لابنته ، وبقّى لنفسه كلَّ يوم درهمين ، ولبس العَسَلي وتزهد ، وحدَّث بالحرم ، وانحطم بالهرم[(٥)] ، وثقل سمعه وضعف بصره .

---

(١) في الأصل : « وفرج بن خليل » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) والوافي . وفي الدرر : « فرج مولى القرطبي » ، وهو فرج بن عبد الله الحبشي الخادم (ت٦٥٢هـ) ، العبر : ٢١٣/٥ .

(٢) محمد بن يحيى بن عبد الله النيسابوري (ت٢٥٨ هـ) ، السير : ٢٧٣/١٢ ،

(٣) عثمان بن علي (ت٦٥٦ هـ) ، السير : ٢٤٧/٢٣ .

* الوافي : ٢١٢/٤ ، والدرر : ٦٣/٤ ، والشذرات : ١٨/٦ ، وذيول العبر : ٤٤ .

(٤) كذا في الأصل ، وهو ابن المظفر ، انظر ترجمته في العبر : ١٦٠/٥ .

(٥) في الأصل : « وانهزم » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

وحدّث عنه ابن الخباز وباقي الطلبة .

وتوفي رحمه الله تعالى ليلة الاثنين منتصف ذي الحجة سنة ثمان وسبع مئة .

ومولده سنة خمس عشرة تقريباً .

١٦٧٠ ـ محمّد بن علي*

الإمام الفاضل الفقيه النحوي الأصولي تاج الدين البارنباري الشافعي .

أخبرني شيخنا العلاّمة قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، رحمه الله تعالى ، قال : قرأ المذكور على الشيخ حسن الراشدي[(١)] القراءات السبع بالفاضليّة ، وقرأ المعقول على الشيخ شمس الدين الأصبهاني ، وحفظ (التعجيز) ، وكان يستحضره إلى آخر وقت ، ويعرفه جيداً ، وحفظ (الجُزُوليَّة) ، واستمرّ على حفظ القرآن إلى أن مات .

وكان جيد المناظرة ، متوقِّد الذّهن في الفقه والأصولين والعربية والمنطق ، وكان عديم التكلف في ملبسه ، ولم يكن بيده غير فقاهات بالمدارس[(٢)] ، كان يلقب بطوير الليل .

توفّي رحمه الله تعالى سنة سبع عشرة وسبع مئة .

وقال لي[(٣)] شيخنا قاضي القضاة تقي الدين ، قال لي ابن الرفعة : مَن عندكم من الفضلاء في دَرْسِ الظاهريّة ؟ فقُلْت له : قطب الدين السنباطي ، وفلان ، وفلان ، وعددت حتى انتهيت إلى ذِكر البارنباري ، فقال : ما في من ذكرت مثله .

---

* الوافي : ٢٢٢/٤ ، والدرر : ١٠٠/٤ .

(١) حسن بن عبد الله ويحيات (ت ٦٨٥هـ) ، وغاية النهاية : ٢١٨/١ .

(٢) في الوافي : « فقاهات للمدارس » .

(٣) ليست في (س) .

ومن مباحثه في السؤال الذي يورد في قوله تعالى : ﴿ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ ولا نومٌ ﴾[(١)] وتقديره أنّ السِّنة أعمُّ من النوم ، ويلزم مِن نفي العام نفي الخاص[(٢)] ، فكيف قال ﴿ ولا نوم ﴾ بعد قوله ﴿ لا تأخذه سنة ﴾ ؟

وقد أجاب الناس عن هذا بأجوبة كثيرة ، ومن أحسنها ما قاله البارنباري هذا ، قال : الأمر في الآية على خلاف ما فهم ، والمنفيّ أولاً إنما هو الخاص وثانياً العامّ ، ويُعرَفُ ذلك من قوله ﴿ لا تأخذه ﴾ أي لا تغلبه ، ولا يلزم[(٣)] مِنْ أخَذ السنة التي هي قليل من النوم أو النعاس عَدَم أخذ النوم له ، فقال ﴿ ولا نوم ﴾ فعلى هذا فالسؤال منتفٍ ، وإنّما يصح إيراده أن لوْ قيل لا يحصل[(٤)] له سنة ولا نوم . وهو [جواب][(٥)] بليغ ، قال مولانا قاضي القضاة تاج[(٦)] الدين السبكي : إلاّ أن لك[(٧)] أن تقول : فلم لا اكتُفي بنفي[(٨)] أخذ النوم على هذا التقدير[(٩)] الذي قررت ، وما الفائدة في السنة[(١٠)] .

ومن سؤلات تاج الدين طوير الليل : سوّى الأصحاب بين المانع الحسّي والمانع الشرعي فيما إذا باع جاريةً حاملاً بحرٍّ أو باع جارية إلاّ حَمْلَها ، فإنّ الصحيح فيهما البطلان ، ولم يفعلوا ذلك فيما إذا باع داراً مستأجرة ، فإن الصحيح فيها الصحة ، والبطلان فيما إذا باع داراً واستثنى منفعتها شهراً[(١١)] .

(١) البقرة : ٢٥٥/٢ .
(٢) (س) : « على الخاص » .
(٣) في الأصل : « ويلزم » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٤) في الأصل : « يصل » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٥) زيادة من (س) .
(٦) (س) : « تقي » .
(٧) في الأصل : « إلاّ لك » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٨) في الأصل : « حكم لا النفي بنفي » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٩) (س) : التقرير » .
(١٠) (س) : « ذلك السنة » .
(١١) ليست في (س) .

وأجاب ، وقد سئل : كيف يقول الغزّالي إن النيّة في الصلاة بالشروط أشبه وهي بشرط [(١)] أن تكون مقارنة للتكبير ، والتكبير ركنٌ ، فيتحد زمان الركن والشرط مع كون الركن لا بد أن يكون داخل النيّة [(٢)] والشرط خارجاً ؟ بأن المراد بالداخل ما تتقوَّمُ به الماهيّة ولا تصدق بدونه وبالخارج [(٣)] ما ليس كذلك سواء أقارن الداخل في الزمان أم لا ، فالترتيب ليس في الزمان ، والنيّة لا تَتَقَوَّم بها الصلاة ، لجواز [(٤)] أن توجد بلا نيّة [(٥)] ، وتكون صلاة فاسدة ، وكذلك ترك الأفعال الكثيرة في الصلاة فإنّه شرط مع أنه [(٦)] لا يوجد إلاّ داخل الصّلاة .

قال مولانا قاضي القضاة تاج الدين السبكي : هذا جوابه ، وهو على حُسْنه قد يقال عليه : هذا يتم [(٧)] إذا قلنا : إن الصلاة موضوعة لما [(٨)] هو أعمّ من الصحيح والفاسد لتصدق صلاة صحيحة وصلاة فاسدة ، أمّا إذا قلنا : إنما هي موضوعة للصحيح فقط ، فحيث انتفى شرطها لا تكون موجودة . وقد حكى الرافعي الخلاف في أنّ لفظ العبادات هل هُو موضوع لما هو أعم من الصحيح والفاسد أو هو مختص [(٩)] بالصحيح [حيث قال في كتاب الإيمان : وسيأتي خلاف أن لفظ العبادات هل هو موضوع لما هو أعم من الصحيح] [(١٠)] والفاسد ، أو هو مختص بالصحيح ؟ وإن كان لم يف بما وعد إذ لم يحكه بعد ، على ما رأيناه .

(١) (س) : « يشترط » .
(٢) في الأصل : « داخل إليه » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٣) (س) : « والخارج » .
(٤) (س) : « بجواز » .
(٥) (س) : « ثلاثية » .
(٦) (س) : « مع كونه » .
(٧) في (س) : « إنما يتم » .
(٨) في الأصل و (س) : « لها » ، وما أثبتنا أشبه .
(٩) في الأصل : « محض » ، وأثبتنا ما في (س) .
(١٠) زيادة من (س) .

١٦٧١ ـ محمّد بن علي بن محمد بن غانم*

الشيخ الفاضل القاضي بدر الدين ابن الشيخ علاء الدين بن غانم ، تقدم ذكر أبيه وعمّه وأخيه وابن عمه .

كان مِنْ جُمْلة كتاب الإنشاء ، كان على الاشتغال مكبّاً وإلى التفهّم مُنْصَبّاً لا يثنيه عن ذلك ثانٍ ، ولا لَهُ من بيته في هذا ثان ، يكون في ديوان الإنشاء جالسا ، وتراهُ في (مختصر) ابن الحاجب دارسا ، كثير الصّمت ، عليه وقار وسمت ، يفيض جماعة الإنشاء فيما يفيضون فيه ، وهو مَشغول بنفسه وصلاح حاله وتلافيه . يتَشدَّدُ في الكتابة فلا يكتب إلاّ ما وافق الشريعه ، وكان مضمونه إلى الحقّ ذريعه . وكتب كثيراً وعلّق تراجم والتقط ذلك من التواريخ والمعاجم ، وكان غاوياً باقتناء الكتب ، رافعاً عن البذْل فيها أذيال الحُجُب ، على مَسْكَةٍ كانت في يده ، وشحٍّ سكن في خلده .

وكان جميل الصّورة في صباه ، مَصُونا في مَرْباه . ثم إنّه سأل الإعفاء مِنْ ديوان الإنشاء ، فأُجيب إلى ما قصده ، وتناول ما رَصَده .

ولم يزل على ذلك إلى أن سلك سبيل من مضى [من][1] الأمم ، وأصبح وقد عُدّ في الرّمم .

وتوفي رحمه الله تعالى في سادس عشر جمادى الأولى سنة أربعين وسبع مئة .

وكان مُنْجَمعاً عن الناس لا يتكلّم فيما لا يعنيه ، يكرّر على محافظه[2] الليل والنهار . وكان قد حفظ القرآن و (المنهاج) و (مختصر) ابن الحاجب و (الحاجبيّة)

---

* الوافي : ٢٢٢/٤ ، ووفيات ابن رافع : ١٠٨/١ ، والدرر : ٨٤/٤ ، والدارس : ٣٣٠/١ .

(١) زيادة من (س) .

(٢) في الوافي : « محفوظاته » .

و (المُلْحة) ، وعرض ذلك على الشيخ كمال الدين[١] ، وعلى الشيخ برهان[٢] وعليه تفقه .

ولمّا توجه الشيخ كمال الدين بن الزملكاني إلى قضاء حلب وصار بها[٣] كَتَب له إذناً بالإفتاء[٤] ، وجهّزه إليه إلى دمشق ، وفي آخر أمْره سأل الإعفاء من كتابه الإنشاء وأن يكون له نظير معلومه على الجامع الأموي ، فأجيب إلى ذلك . وكان بيده تدريس القليجيّة الشافعية والشريفية عوضاً عن القاضي نجم الدين الدمشقي[٥] ، وباشر العمادّية والدماغيّة عوضاً عن الشيخ [بدر الدين بن][٦] أبي اليُسر ابن الصائغ[٧] لّما توجه لخطابة القدس ، وكان يحمل المعلوم إلى أقارب الشيخ بدر الدين ، ولّما عاد ابن الصائغ إلى دمشق استمرّ بدر الدين في تدريسهما ، فوشى به الأمير حسام الدين بن النجيبي مشدّ الأوقاف إلى الأمير سيف الدين تنكز ، فأمر بإعادة المدرستين المذكورتين إلى ابن الصّائغ ، وكان قد عُيِّن لخطابة القدس عوضاً عن ابن الصائغ فغضّ[٨] ذلك منه .

ولّما توجه الشيخ برهان الدين إلى الحجاز ألقى عنه الدرس بالباذرائية ، وكان معه عدّة وظائف من قراءات على الكراسي[٩] وغير ذلك مِمّا يقارب[١٠] الألف درهم في كل شهر .

---

(١) ابن الزملكاني ، كما في الدرر .

(٢) الفزاري ، إبراهيم بن عبد الرحمن ، سلفت ترجمته .

(٣) قوله : « وصار بها » ليست في (س) .

(٤) في الأصل : « إذا بالإفتاء » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٥) الدارس : ٢٣٨/١ .

(٦) زيادة من (س) .

(٧) محمد بن عبد الخالق (ت٧٤٩ هـ) ، الدارس : ١٧٨/١ .

(٨) في الأصل : « بعض » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٩) في الأصل : « الكرسي » ، وأثبتنا ما في (س) .

(١٠) في الأصل : « مما رب » ، وأثبتنا ما في (س) .

وكان جمّاعةً للكتب ، أبيع له لمّا مات قريب الألفي مجلدة ، وعلّق على (المنهاج) تعليقه ، وكان يحب الصالحين .

١٦٧٢ ـ محمّد [بن علي] بن محمد بن سعيد*

ابن حمزة الشيخ الصدر الرئيس شرف الدين بن الصدر علاء الدين التيمي ، ابن القلانسي .

من بيت كبير ، وكان صاحب ثَرْوة ، تزوّج في شبابه بابنة قاضي القضاة صدر الدين بن سنيّ الدولة ، وهو صاحب حمّام الزهور بالصالحيّة ، وهو خال عز الدين بن القلانسي .

كان محبّاً للفقراء والصالحين ، وسمع [من السخاوي][(١)] والقرطبي ، والعز بن عساكر ، وابن[(٢)] مسلمة ، غيرهم .

وتوفّي رحمه الله تعالى في حادي [عشري][(٣)] جمادى الأول سنة أربع وسبع مئة .

ومولده سَنة ست وثلاثين [وست مئة][(٤)] بدمشق .

١٦٧٣ ـ محمّد بن علي بن عبد الواحد**

الأنصاري السّماكي الدّمشقي الزملكاني ، الشيخ ، الإمام ، العالِم العلاّمة ، ذو

---

* الدرر : ٨٢/٤ ، وما بين حاصرتين زيادة من (س) والدرر .

(١) زيادة من (س) .

(٢) ليست في (س) .

(٣) زيادة من (س) .

(٤) زيادة من (س) .

** الوافي : ٢١٤/٤ ، وفوات الوفيات : ٧/٤ ، والبداية والنهاية : ١٣١/١٤ ، والدرر : ٧٤/٤ ، وبدائع الزهور : ٤٥٨/١/١ ، والشذرات : ٧٨/٦ ، والدارس : ٢٤/١ ، والنجوم الزاهرة : ٢٧٠/٩ ، وذيول العبر : ١٥٤ .

الفنون ، الذكيّ النحرير ، شيخ الشافعيّة في عصره ، كمال الدين أبو المعالي قاضي القضاة بحلب .

سمع من أبي[١] الغنائم بن عَلاّن ، والفخر عليّ ، وابن الواسطي ، وابن القوّاس ، ويوسف بن المجاور[٢] ، وعدّة ، وطلب الحديث .

وكان فصيحاً في قِراءته مُتَسّرعاً[٣] . قال شيخنا شمس الدّين الذهبي : له خِبْرَةٌ بالمتون ، تَفَقَّهَ عَلَى الشيخ تاج الدين الفزاري[٤] [وأفتى][٥] وله نيّفٌ وعِشْرُون سَنَة ، وسُمِّيَ بالشيخ وعُمْرهُ عشرون سَنة .

وقَرأ العربيَّةَ على الشيخ بدر الدين بن مالك ، وقَرَأ على قاضي القضاة شِهاب الدّين الخوَيّي[٦] وشمس الدين الأيْكي .

وقرأ الأصول على الشيخ صفي الدين الهندي أوّلَ قدومِه البلادَ ، أمّا لمّا عاد لم يقرأ عليه[٧] ، وقرأ على قاضي القضاة بهاء الدين بن الزكي .

وأخبرني شيخنا نجم الدين بن الكمال الصفدي ، قال : قُلْتُ له : فَرّطت في المنطق ، قال : كان في طلبي له تلك الأيام شخص[٨] يعرف بالإفسِنْجي[٩] ، وكنت قد

(١) في الأصل : « ابن أبي » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي . وأبو الغنائم هو المسلم بن محمد بن المسلم القيسي الدمشقي ، ابن علان ، (ت ٦٨٠ هـ) . العبر : ٣٣٢/٥ .

(٢) في الأصل : « الحار » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي . وهو يوسف بن يعقوب بن محمد بن علي الشيباني ، (ت ٦٩٠ هـ) . العبر : ٣٧٠/٥ .

(٣) في الفوات : « متشرعاً » .

(٤) في الأصل : « العزاري » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٥) زيادة من (س) والوافي .

(٦) في الأصل : « ابن الخوبي » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٧) عبارة الوافي : « أمّا لما عاد الشيخ صفي الدين وأقام بدمشق لم يقرأ عليه » .

(٨) عبارة الوافي : « فقال كان بدمشق أيام طلبي له شخص » .

(٩) في الوافي : « الأفشنجي » .

دَرّسْتُ وتميّزت ، أو قال : وأفْتَيْت ، فكنت أتَرَدّدُ إليـه على كُرْهٍ منّي ، والعلمُ في نفسـه صعب ، وعبارة الأفسنجي فيها[1] عُجْمَة ، فإذا أردْتُ منه زيـادةَ بيـان ، أو قُلْت لـه : مـا ظهر لي ، جثـا[2] وأدار وَجْهَـهُ عَنّي ، فـأَنِفْتُ من تلـك[3] الحـالـة ، وبطّلت الاشتغال[4] ، أو كما قال .

قلتُ : أغناه فكره الصائب وذهنه الثاقب عن ذلـك ، لأنّ المنطـق عِلْمُ عَقْـلٍ لا نَقْل ، على أنه كان يعرف منه ما يحتاج إليه في أصول الدين وأصول الفقه ، فالمنطق نحو[5] المعاني ، كما أنّ النحو منطقُ الألفـاظ ، وابن الزملكاني كان[6] يعرف المنطق على وجهٍ كليّ ، كما أنّ امرأ القيس وغَيْرَه مِنْ فصحـاء قريش يعرفون النّحو على وجـهٍ كليّ ، وقال ابن سينا : واضعُ النحو والعروض في اللغة العربية يُشْبِـه واضعَ المنطق والموسيقـا في اللغة اليونانية .

قلت : لعمري هذا تشبيهُ مَنْ عَرَف حقيقة هذه العلوم الأربعة ، ولقـد أوْرد بعضُ الأفـاضل على تعلّق[7] المنطـق : إنْ كانت هـذه الآلات من الفطريـات[8] فليستغن عن تَعَلّمها ، وإلاّ افتقرت إلى آلةٍ أخرى ، ودار وتسلسل ، وأجابه[9] المنتصرون بأنّ بعضهـا فطري وبعضها كَسْبيّ ، فاندفع الإشكال .

---

(١) في الأصل : « الأصبحي في » وأثبتنا ما في (س) .
(٢) (س) : « قال : جثا » ، وفي الوافي : « قال جاء » .
(٣) في الأصل : «ذلك » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٤) في الأصل : « الإشغال » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٥) (س) : « هو نحو » .
(٦) في الأصل : « وكان » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٧) في الأصل : « علم تعليق » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٨) في الأصل : « الآيات » ، وفي (س) : « الآلة من النظريات » .
(٩) (س) : « أو تسلسل وأجاب » .

قلت : بل الإشكالُ باقٍ على حالهِ ، فنقول فيما هو فطري ما قلناه أوّلاً ، وفيما هو كسبي ما قلناه أوّلاً ، وما كان الشيخ في ذلك بحيث إنّه يجهل معرفة التصّور والتصديق ، ودلالة المطابقة ، ودلالة التضمّن [(١)] ، ودلالة الالتزام ، والضرب من [(٢)] الشكل المنتج والكاذب ، ومواد البُرْهَان ، والمقدّم والتالي ، وقياس الْخُلْف ، وغير ذلك مما يَدْخلُ في الأصولين ، بل كان يعرف ذلك معرفةً جيّدة تامة يتسلط بها على باقي الفن [(٣)] ، أمّا أنّه كان يُطْلَبُ مِنْهُ [(٤)] أنْ يشغل في مختلطات كشف الأسرار للخونجي فلا ، وقلت أنا في مقتضى حال الشيخ كمال الدين رحمه الله تعالى :

أغناه ثاقبُ ذِهْنِه وذكاؤه عَنْ أنْ يُقَلّد فيَ الأنام سِواهُ
مَنْ كان كالشمسِ المنيرة ذِهْنُه فجميعُ ما تحوي العلومُ يراهُ

وقال : وكان [(٥)] الشيخ كمال الدين رحمه الله تعالى عَلاّمَةَ الزمان وثَلاَّمة [(٦)] البهتان ، قائماً بالفِقْه ودقائقه وغوامضه وحقائقه ، لو رآه الرّوياني لأغرقه في بَحْره ، أو المتولي [(٧)] لَعُزل عما أكسبه نهاية فخره ، أو القفّال لفتح له أبواب نَصْره ، أو الرافعي لا نحطّ إلى خَفْضه وجرّه . قاعداً بالأصول فقهاً وديناً ، ناهداً كالأسد وقد جعلت له الأقلام عرينا ، فلو رآه الحليمي [(٨)] لسفّه رأيه ، أو الباقلاّني لكان باقلاً [(٩)] في الرّواية والدّراية ، كأنما عناه الغزي بقوله ، واقتصر به على طَوْله ، حيث قال :

---

(١) (س) : « التضمين » .

(٢) (س) : « في » .

(٣) قوله : « يتسلط ... الفن » ليس في (س) .

(٤) (س) : « فيه » .

(٥) في (س) : « وكان » بلا « وقال » .

(٦) ثلم الشيء : كسر حرفه .

(٧) عبد الرحمن بن مأمون بن علي (ت ٤٧٨ هـ) ، وفيات الأعيان : ١٣٣/٣ ، والسير : ٥٨٥/١٨ ، والكشف : ١/١ .

(٨) الحسين بن الحسن بن محمّد بن حليم البخاري الشافعي (ت ٤٠٣ هـ) ، السير : ٢٣٢/١٧ .

(٩) يشير إلى المثل : « أعيا من باقل » .

لم يَبْرح الفقه رَوْضاً فاقَ فيكَ له | سحَابةٌ وَرْدُه منهَا وعَبْهَرُه[١]
ذو الدرس سهل المَعاني في عبارَته | يكاد يحفظه مَنْ لا يكرّره[٢]
أمّا الجدال فيدانٌ فَوارسُه | تُقِرُّ أنّك دُون الناس عنترُهُ

لا يرى الناس أفصحَ من عبارته ، ولا أمْلَحَ من إشارته ، لو سمعه الأصمعيّ لم ينقل عَربيه عن أعْرَابه ، أوْ يُونس بن حبيب لَمَا قلّده سيبويه في إعرابه ، كأنّ عبارتَه السكّرُ الْمُذَاب ، أو رشْفُ الثنايا العِذَاب ، تدخل الأُذنَ بلا إذْن لفصاحتها ، ويرشفها الذهن لصناعتها ونَصَاعتها .

وكان شَكْلُه يُرَى وهو من أَحْسَن الأشكال ، ومثله[٣] لا يَرى وليُّه معه إلاّ أنْ يذل[٤] له الأنذال ، وعدوّه سوى إن كال[٥] له الأنكال ، بعمّة لا يحسن أحدٌ أنْ يُديرها ولا يَصْدُق تصويرها ، وطلعةٍ يستحيي القمر أنْ يُقَابلها ، والشمس أنْ تُشاكلها ، وشيبةٍ عليها نُور الإيمان ، ورونق الإيقان ، وكَرَم نفسٍ لا يُذكَرُ مَعَه صَوْبُ الغَوادي ، ولا النيل ذو الأصابع ولا البحر ذو الأيادي .

وأما خطُّه فلم يكتب أحدٌ في زمانه مثلَ تَعْليقه ، ولا يصل معه كاتب إلى تَعْليقه ، كأنّ طروسه رياضٌ دَبَّجها أيدي[٦] الغمام ، سطورُه حدائقُ ألفاتُها غصونٌ ، والهمزاتُ عليها حَمَام ، كأنما :

تَنَاولَ من لطافته نَهاراً | وفَرّق فَوْقَهُ لَيْلاً بَهيَما

هذا إلى معارف حواها من سائر الفنون . وأخذ من كلٍ منها محاسنَ النكت وفوائد

(١) العبهر : العظيم ، والنرجس والياسمين .
(٢) في الوافي : « في جزالته » .
(٣) (س) : « ونبله » .
(٤) في (س) : « يذال » .
(٥) في الأصل : « كان » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٦) (س) : « إبر » .

العيون ، فما باشر شيئاً إلاّ وزانَه ، ونَفَى عنه ما شابه وشانَه ، تنقّل في مباشرات الدوله ، ونال فيها الوجاهة والعزّ والصون والصّوله ، ووَلي في آخر عمره قضاء قضاة حَلب غَصْبا ، ولقي فيها نَصْبا ، وإن كان قد وَجَد فيها رَفْعا ونَصْبا ، ثم إنّه عزل [منها وطلب إلى] باب[1] السلطان فما وصل ، ونزع خضاب سعده ونَصَل ، ومرض في طريق الرّمل . وانبَتّ من حياته الشَّمْل ، فعُدِم الوجودُ كمالَه ، وما وصل جرح حياته اندمَاله .

وأدركه أجلُه في بُلْبَيس سادس عشر شهر رمضان سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، وله من العمر ستون سنة .

كان[2] مولده في شوال سنة سبع وستين وست مئة .

وحَمَله ولده عبد الرحمن[3] إلى القاهرة ودفنه بالقرافة عند الشافعيّ رضي الله عنه .

وكان قد حفظ (التنبيه) فيما أظن و (المُنْتخب) في أصول الفقه ، و (المُحَصَّل) في أصول الدين . وكتب المنسوب الفائق ، كان يقال إنّه ما كتب على نجم الدين بن البُصَيْص أحْسَنَ منه ومن الشيخ بدر الدين [حسن][4] بن المحدّث ، وخَطُّه هو أحْسَن ، وقيل[5] : إنّه كان يكتب الكوفيّ طبقة .

وذكره شيخنا الذهبي في (معجمه) المختص فقال فيه : شيخنا عالم العصر ، انتهى .

---

(١) في الأصل : « عزل من باب » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) (س) : « وكان » .

(٣) (س) : « تقي الدين عبد الرحمن » .

(٤) زيادة من (س) والوافي .

(٥) في الوافي : « وقيل لي » .

وكان الشيخ من بقايا المجتهدين ومن أذكياء أهلِ زمانه ، تخرّج به الأصحاب ، وانتفع به الأئمّة . لم ير مثل كرم نفسه وعلوّ همته وتجمّله في ملبسه ومأكله ، لم تزل تلاميذه الخواصّ على مائدته ، يحب الطالب الذكي ويجذب بضَبْعه[1] من ورطة الخمول ويكبره . ويعظّمه ويُزَهْزِه[2] له ، ويسير إليه في البحوث ويُصوّب ما يقول ويُحَسّنه ويُعجب الحاضرين منه ، فعل ذلك بجماعة ، ونزل للقاضي فخر الدين المصري من تدريس العادلية الصغيرة ، وما رأى أحد أسعد منه في علمه وقوله ، كان إذا دوغ[3] أحداً بكلمة سوء لبسته من فرقه إلى قدمه ، وكذا في الخير غضب مرة على فخر الدين المصري فقال : مَنْ أرادني وأحبّني فلا يكلمه ، وكان[4] المسكين يراه الناس في الجامع فما يجسر أحد يسلم عليه ، وعمل خطبة افتتحها بقوله : الحمد لله الذي جعل « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » ، وكان لا يتعب على التلميذ ، بل إذا رأى الطالب [في] دروسه وذهنه جيّد وقد تعب على نفسه اجتذبه إليه ونوّه به وعرّف بقدره ، فيُعْرَفُ به ويُنْسَب إليه ، وإذا جاءه مبتدئ ليقرأ عليه يقل له : رُح الآن إلى الشيخ كمال الدين بن قاضي شهبة وإلى الشيخ شمس الدين بن النقيب وإلى مجد الدين التونسي وإلى نجم الدين القحفازي ، فإذا تَنَبّهت عُدْ إليّ .

واشتهر في زمن أشياخه وتقدم عليهم إلى أنْ سادهم[7] ورأس وساد في الدولة ، وطار ذكره .

وصنف رسالة في الردّ على الشيخ تقي الدين بن تيمية في الطلاق[8] ، ورسالة في

(١) أي : بعضده .

(٢) في الأصل و (س) : « ويزهر » ، وأثبتنا ما في الدرر .

(٣) كذا ، يقال : أصابتنا دوغة ، أي : برد ، والمراد أنه إذا رمى أحداً بكلمة .

(٤) (س) : « فكان » .

(٥) انظر : الجامع الصغير ١/١٣٤ .

(٦) في (س) : « .. الطالب في دروسه .. » .

(٧) قوله : « إلى أن سادهم » ، ليس في (س) .

(٨) قوله : « وصنّف رسالة » حتى ههنا بياضٌ في أصول الوافي لم يتمّه المحقق ، وهو ثابت في الفوات .

الردّ عليه في مسألة الزيارة ، وصنّف مُصَنّفين في تفضيل البشر[١] ، أحدهما سماه (تحقيق الأَوْلى في الرفيق الأعلى)[٢] ، وجَوَّدَهُ ما شاء ، وشرح من (منهاج) النووي قطعاً مفرقه ، وكان يلقي الدروس من (نهاية المطلب) . وله رسالة سماها (رابع أربعة) نظماً ونثراً ، وشرح في (عُمْدة الأحكام) قطعة .

ودرَّسَ بالشاميّة البرّانية . والظاهرية الجوانيّة والرواحيّة ، وباشر في وقتٍ دارَ الحديثِ الأشرفيّة تحت القلعة عوضاً عن الشيخ صدر الدين بن الوكيل ، تقدير نصف شهر ، ثم أخذها منه كمال الدين بن الشُّرَيْشي في شعبان سنة عشرٍ وسبع مئة .

وولي نظر ديوان الأفرم ، ثم بطّله ، وولي نظر الخزانة ووكالة بيت المال ، وكتب في ديوان الإنشاء مُدّة [ووقع في الدست][٣] قُدَّام الأفرم وغيره ، فكان لا يدع أحداً يتكلم لا مِنْ وزيرٍ ولا مِنْ قاضٍ ولا من ناظر جيش ولا من حاجب ولا من كاتب سرٍ ، ولا من مُشَدّ أوقاف ولا من والي المدينة ولا أحد [له][٤] وظيفة ، وكلامه في جميع [ذلك][٥] سادٌّ وافٍ بالمقاصد ، وكلّ ذلك لمعارفه وسَعة علمه وخبرته ودُرْبَته [ومعرفته][٦] بتراجم أهل العصر .

وله الإنشاء الجيّد ، ونثره خَيرٌ من نظمه . وله التواقيع الجيّدة المليحة ، وكَتَب عن الأفرم في فتح جبل كسروان[٧] بعد البسملة : ﴿ ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا ﴾[٨] .

---

(١) (س) : « البر » .

(٢) في الكشف ٣٧٧/١ : تحقيق الأولى من أهل الرفيق الأعلى .

(٣) زيادة من (س) والوافي .

(٤) زيادة من (س) .

(٥) زيادة من (س) .

(٦) زيادة من (س) .

(٧) في الأصل : « السروان » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٨) طه : ٩٧/٢٠ .

ولّما كان في شهر شعبان سنة أربع وعشرين وسبع مئة رَسَم له السلطان بقضاء حلب ، فامتنع ، ودخل على الأمير سيف الدين تنكز وسأله الإعفاء ، فكتب له إلى السلطان ، فجاء الجواب بالتشديد في أمره وتجهيزه قولاً واحداً ، فتوجَّهَ بَعْدَ ما قضى أشغالَهُ مِن دمشق في رابع عشر شوال من السنة المذكورة ، وتأسّف الناس على فراقه .

ولّما دخل[1] إلى حلب يوم الثلاثاء سادس عشري شعبان قال له نائب حلب كانت قلوبنا قد انكسرت فجبَرْتَها ، وقال : يا حَلبيّين لقد سعدتم وأراد الله بكم الخير ، والآن عَظُمت حلب بهذا الرجل . ولّما وصل إلى حلب نزل بمكان يعرف بالفردوس ، وكان قد توجَّهَ مَعَه شمس الدين محمد الخَيّاط الشاعر ، فأنشده وأنشدنيه من لفظه غير مرَّة :

يا حاكمَ الحكّام يَا مَنْ بِهِ ... قَدْ شُرفت رتبَتُه الفاخرَه[2]

ومن سَقى الشهباء إذْ حَلّهَا ... بحَارَ علم ونَدىً زاخِرَه[3]

نَزَلْتَ في الفردوس فابشرْ بهِ ... دارُك في الدنيا وفي الآخره

وتألّم أهْلُ دمشق لِفراقه[4] وتأسَّفُوا على بُعْدِهِ ، لأنه كان للشافعية واسطةَ قلادتهم وشمسَ سيادتهم ، وأقام في حلب مُدّةً وما رُزق فيها سعادة ، وتعكّس في أيّام الأمير سيف الدين أرغون الدوادار وكان أصحب الناس إليه ، وذلك لأنه عبث باليهود عبثاً [عظيما][5] وأخذ منهم كنيسة كانت لهم وفتحها مدرسةً ، فتسلّطوا عليه وبرطلوا وبذلوا ، فنودي عليه في الجامع بعد صلاة الجمعة على رؤوس الأشهاد ، وقاسى من ذلك شدة وتألم .

---

(١) (س) : « وصل » .

(٢) في الوافي : « قد شرقت » .

(٣) (س) والوافي : « مُذ حلها » .

(٤) (س) : « بفراقه » .

(٥) زيادة من (س) .

وطلبه السلطان بعد ذلك إلى الديار المصريّة بعد ما وصل من حلب إلى دمشق في عشري شعبان سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، فأقام بدمشق أربعة أيام ، وتوجّهَ على البريد إلى القاهرة ليوليه قضاء الشام أو كتابة [السر][1] بمصر ، فقيل : إنه مات [وهو][2] مسموم ، وعند الله تجتمع الخصوم[3] .

على أنّ القاضي شهاب الدين بن فضل الله حَكَى لي عن ولده تقي الدين أنّ والده الشيخ كمال الدين قال له وقد بدا في المرض في الرمل : والله ياولدي أنا ميّت ولا أتولى لا مصر ولا دمشق[4] وما بقي بعد حلب ولاية أخرى ، لأنه في الوقت الفُلاَنيّ حضر إلى الجامع الأموي فلانٌ الصالح فتردّدْتُ إليه وخَدَمْتُه وَطَلَبْتُ منه التسليك ، فأمرني بالصوم مُدّةً ، ثم أمرني بصيام ثلاثة أيّام ، أظنّه ، قال لي : أفطر فيها على الماء واللبان الذكر ، وكان آخر ليلة في[5] الثلاث ليلة النصف من شعبان ، فقال لي : الليلة تجيء إلى الجامع تتفرج[6] أوْ تخلو بنفسك فقلت : بل أخلو بنفسي ، فقال : جيّد ، ولا تزال تصلي حتى[7] أجيء إليك ، قال : فخلوت بنفسي أصلّي كما وقفني ساعة جيدة ، فلّما كُنت في الصّلاة إذا به قد أقْبَل ، فلم أبطّل[8] ، ثم إنّني خُيّل لي قبّة عظيمة بين السماء والأرض ، وظاهِرُها معارج ومراقي ، والناس يصعدون فيها من الأرض إلى السماء ، فصَعِدت معهم ، فَكُنت أرى على كلّ مَرْقاة مكتوباً : نظر الخزانة ، وكالة بيت المال ، نظر المارستان النوري ، التوقيع ، المدرسة الفلانية ، المدرسة العلانيّة ، قضاء حلب ، هذا

---

(١) زيادة من (س) .
(٢) زيادة من (س) .
(٣) في الأصل : « تلتقي الخصوم » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات ، وهو عجز بيت .
(٤) في الأصل : « مصر » ، سهو وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٥) الوافي « من » .
(٦) في الأصل : « وتفرّج » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات .
(٧) (س)والوافي : « إلى أن » .
(٨) (س) والوافي والفوات : « فلم أبطّل الصّلاة » .

أعلى المراقي المفرّقة[١] ، ولمّا وصلْتُ إلى هذه المرقاة أشفقْت من هذه الحالة[٢] ورجعت إلى حسّي وبتُّ لَيْلتي . فلّما اجتمعت بالشيخ قال لي : كيف كانت ليلتك ؟ جئت إليك وما قصّرت ، لأنّك ما اشتغلت بي ، والقبة الّتي رأيتها هي الدنيا ، والمراقي هي المراتب والوظائف والأرزاق ، وهذا الذي رأيتَه[٣] تناله كلّه . والله ياعبد الرحمن وكل شيء رأيته[٣] قد نلته ، وكان آخرَ الكُلّ قضاء حلب ، وقد قَرُبَ الأجَل . أو كما قال .

وكان الشيخ كمال الدين ـ رحمه الله تعالى ـ كثيرَ التخيّل ، شديدَ الاحتراز ، يتوهَّم أشياءَ بعيدة ويَبْني عليها ، وتعب بذلك ، وعادَى أصحابَه ، وحُسِد[٤] ، وعُمِلَ عليه مرّات ، ونجّاه الله ببركات العِلْم . وطار ذِكْرُه ، ورماه الناس أنّه يؤذي أصحابه ، حتّى قال فيه صدر الدين بن الوكيل ما أنشدنيه من لفظه القاضي علم الدين إبراهيم بن سليمان المستوفي ، قال : أنشدني من لفظه لنفسه الشيخ صدر الدين بن الوكيل :

طبَاع الزَّمْلَكِيِّ لَهَا مِثالٌ كعَقْرَبٍ أُخْفِيت في البيت مَعْنَى
فما مرّت بشيءٍ قطّ إلاّ وتَضْربه سَريعاً لا لِمَعْنَى

ولقد رأيته مَرّةً في الظاهريّة وفي يده قائمة الحِسَاب وهو يُسَاوق المباشرين على المصروف فيسبقهم إلى الجمع وعَقْدِ الْجُمْلَةِ ، ويَبْقَى ساعةً ينتظرهم إلى أن يَفْرَغُوا ، فيقول : كم جاء معكم ؟ فيقولون : كذ وكذا ، فيقول : لا ، فيُعيدون الْجَمْعَ ، إلى أن يصح .

ومرض مَرّة بالماشرا ، وكان يعوده لعلاجه من جملة الأطباء [أمين الدين رئيس الأطباء][٥] ، فخرج يوماً من عنده وقال : الله لا يعافي هذا الشيخ كمال الدين ، قالوا

---

(١) (س) : « هكذا على مراقي مفرّقة » .

(٢) (س) : « أشفقت على تلك الحالة » ، وفي الوافي : « استفقت من تلك الحالة » ، وفي الفوات : « أشفقت من تلك الحالة » ، وعبارة الدرر : « وأفقت من غيبتي » ، ومعنى الإفاقة ههنا أقرب .

(٣) في الوافي : « رأيتها » .

(٤) عبارة الوافي والفوات : « وعودي وحُسِدَ » .

(٥) زيادة من (س) .

له : لأيّ شيء ؟ قال : حتّى يطول علاجنا له واجتماعنا به[١] ، لأننا نسمع منه أسماء أعضاء ما كُنّا نحققها وأمراض ما نُصّححها ، فاستفدنا منه تصحيح ألفاظِ ذلك كلِّه .

وخرّج له الشيخ صلاح الدين العلائي[٢] عوالي وأربعين ، وقرأها شيخنا الذهبيّ عليه .

ومن نظمه ما كتبه [إلى][٣] قاضي القضاة شرف الدين بن البارزي يطلب منه (تيسير الفتاوي في توضيح الحاوي) :

ياواحد العصر ثاني البدر فيَ شَرَفٍ — وثالث العُمَرين السَّالفين هُدى
تيسيرك الشامل الحاوي الوجيز له — نهاية لم تنلهَا غايَةٌ أبَدَا
مُحَرَّرٌ خُصَّ بالفَتْح العَزِيز ففي — تهذيبه المقصَدُ الأسْنَى لمن قصَدا
وقد سَمَت همّتي أنَ أصطَفِيه بهَا — وأن أعلّمَهُ الأهلِيَن والولدا
فانعِم به نسخةً مقابلةً — وَلاَحَ نورك في أثنائها أبدا[٤]
لازِلت بحرَ عُلُومٍ طابَ موردُهُ — وكَلّ ظمآن علمٍ منه قد وَرَدَا

ومن نظمه رحمه الله تعالى[٥] :

أهوَاكِ يَا رَبّة الأستار أهوَاكِ — وإنْ تباعَدَ عَن مَغْنَاي مغنَاكِ
وَأُعمِل الْعِيسَ والأشواقُ تُرْشدني — عَسَى يُشَاهِدُ مَغْناك معنّاك
تهوي بها البيد لا تخشى الضلال وقد — هَدَت ببرق الثنايا الغرّ مُضناك[٦]
تشوقها نسَمات الصبح سَارَيةً — تَسوقها نحو رؤياك بريّاك[٧]

(١) قوله : « حتى .... به » ليس في (س) .
(٢) في الوافي : « ابن العلائي » .
(٣) زيادة من (س) .
(٤) (س) : « بها ... وبدا » .
(٥) وفي الوافي : أنه نظمها يذكر فيها الكعبة المعظمة ، ويمدح النبي ﷺ .
(٦) في (س) : « تهوي البيد » .
(٧) (س) : « تشوقها نحو » .

يـا ربّـة الْحَرم العَـالي الأمين لِمن ... وافـاه من أين هـذا الأمن لـولاكِ[١]
إن شبّهوا الخال بـالمِسْكِ الـذكي فهـ ... ـذا الخال من رؤيـة المحكيّ والحـاكي
أفـدي بـأسـود قلبي نـورَ أسـودهِ ... مَنْ لي بتقبيلـه منْ بَعْـد يُمْنَـاك
إنّي قصـدتـك لا ألـوي على بشرٍ ... ترمي النوى لي [سريعاً] نحو مرماك[٢]
وَقد حَطَطْت رحالي في حماك عسَى ... تُحَـطّ أثقـالُ أوْزَاري بلُقْيَـاكِ
كما حَطَطتُ بِبَـاب المصطفى أمَلي ... وقُلْتُ للنفس بـالمـأمـول بُشراك
محمّـد خير خَلْـق الله كلِّهم ... وفـاتـحُ الخَيْر مـاحي كلّ إشْراكِ
سما بـأخمصـه فـوق السماء فكم ... أوْطَـا أسَـافِلَهـا مِنْ عُلْـو أفـلاكِ
ونـالَ مرتبـةً مَـا نـالهَـا أحَـدٌ ... مِنْ أنبيـاءٍ ذوي فَضْـل وأمـلاكِ
يـا صـاحبَ الجـاه عنـد الله خـالقـه ... مَـا رَدَّ جـاهَـك إلاّ كلُّ أفّـاك
أنتَ الـوَجيـهُ على رغم العـدا أبـدا ... أنت الشفيـع لفُتّـاكٍ ونُسّـاك
يـا فِرقـة الـزيـغ لا لُقّيت صَـالحـةً ... ولا شفى الله يومـاً قَلْبَ مَرْضَاك[٣]
ولا حظيتِ بجـاه المصطفى أبـداً ... ومن أعـانَـك في الـدنيـا ووالاك[٤]
يا أفضل الرسل يـا مولى الأنـام ويـا ... خَيْرَ الخـلائـق من إنس وأمـلاك[٥]
ها قد قصدتك أشكو بعض مـا صنعت ... فيّ الـذنـوب وهـذا ملجأ الشـاكي[٦]
قـد قَيّـدتني ذنـوبي عن بلـوغ مـدى ... قَصْـدِي إلى الفـوز منهـا فهي أشراكي[٧]
فـاستغفر الله لي واسـألْـه عصمتـه ... فيما بقي وغنىً من غير إمسـاك
عليـكَ من ربـك الله الصّـلاةُ كما ... منّـا عليـك السَلامُ الطيّب الـزاكي

(١) في الأصل : « أمن ... أولاك » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات .
(٢) الزيادة من (س) . وفي الوافي والفوات : « سراعاً » .
(٣) في الفوات : « ولا سقى » .
(٤) (س) : « وأولادك » .
(٥) في الأصل : « جنس » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات .
(٦) في الوافي والفوات : « بي النوب » .
(٧) (س) والوافي والفوات : « ذنوب » .

قلتُ : ولم أقف للشيخ رحمه الله تعالى على نظم هو خير من هذه القصيدة لقصدها الصالح ، وقد أشبع فيها الكاف كسرة في خطاب المؤنث في ثلاثة أماكن[(١)] حتى نشأت ياءً ، لكنه جائز . وعَمِلَ على هذه القصيدة ، أو على قصيدةٍ ميمية مديح في النبي[(٢)] ﷺ أو عليهما ، كراريسَ سمّاها (عجالة الراكب) .

ومن شعره :

يا سَائق الظّعن قِفْ بي هذه الكثبُ ... عَسايَ أقضي بَها مَا للهوى يجبُ
وارفق قليلا [لكي]تروي الثرى سُحُبٌ ... من ناظِرَيّ بمُزنٍ منه تنسكبُ[(٣)]
فثمّ حيٌّ حَياتي فيَ خيَامِهم ... فالموتُ إن بَعُدوا والعيشُ إنْ قربوا
لي فيهم قمرٌ والقلبُ منزلُه ... لكنّ طرفيْ له بالبُعد يرْتقَبُ[(٤)]
لَدْنُ القوام رشيقُ القدّ ذو هَيَفٍ ... تَغارُ مِن لينه الأعطاف والقُضُبُ[(٥)]
حُلْو المقبّل مَعْسُولٌ مَراشفُهُ ... يجول فيها رضابٌ طَعْمُه الضَّرَبُ
لا غرو إن راحَ نشواناً ففي فَمِه ... خمرٌ ودُرّ ثناياهُ لهَا حبَبُ[(٦)]
ولائم لامني فيَ البعد عنه[(٧)] وفي ... قلبي من الشوق نيران لهَا لهبُ[(٧)]
فقلت: إنّ صُروفَ الدهر تصرفني ... عما أرُوم فمالي في النوى سَبَبُ
ومُذْ رمَاني زماني بالبعاد ولمْ ... يَرحَمْ خضوعي وَلم يبق لي نشبُ[(٨)]

---

(١) في الوافي : « في موضعين » . وهو الصحيح ، في قوله : « معناك ، رؤياك » .

(٢) عبارة الوافي : « مدح بها النبي » .

(٣) الزيادة من (س) والوافي .

(٤) في الوافي : « القلب » ، وفي الوافي : « في القلب » .

(٥) في الأصل : « ذي » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات .

(٦) في الأصل : « ثناياها » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات .

(٧) في الأصل : « البعد وفيه » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات .

(٨) في الوافي ، والفوات : « ولما يبق » .

ولمّا توفي رحمه الله تعالى نَظم فيه المولى جمال الدين محمد بن نباته قصيدة مليحة يَرثيه بها ، أوّلها[١] :

بلّغــا القَــاصــدين أنّ اللّيَــالي قبضَتْ جُمْلَــة العُـلا بَــالكمَــال
وقِفــا في مَـــدَارس العَقــل والنقـ ـــل ونُــوحــا معي على الأطــلال
سَـائـلاهــا عسَى يُجيبُ صـداهَـا أيْنَ ولّى مُجيبُ أهْــل الســؤال
أين ولّى بَحرُ العُلـــــوم وَأبْقَى بَيْنَ أجفــانِنـــا الــدمــوع لآلي
أين ذاك الـذهنُ الـذي قـد ورثنـا عنـه مَـا في الْحَشَـا من الاشتعـال[٢]
أين تلـك الأقـلام يـومَ انتصـار كعـوالي الرمَـاحِ يـوم النّـزال[٣]
ينقـل النـاس عن طريـق هُـدَاهَـا طُرُقَ العلم عن متــونِ العَـــوالي[٤]
وتفيــد الجنــا من اللفــظ حُلْـوًا حين كانت نـوعــاً مِنَ العَسّـــال

وكنت قد اختلفت أنا والمولى شرف الدين حسين بن ريّان في وقتٍ بصفد في قول الحريري في بعض (مقاماته) :

فلم يـــــــــــزل يبتزّه دَهْرُه مــا فيــه من بطشٍ وعـود صليب[٥]

فذهب هو في إعراب قوله : « ما فيه » إلى أنّ هذا في موضع نصبٍ على أنـه مفعول ثان ، وذَهَبت أنا إلى أنه بدل اشتمال من الهاء في قوله : « يَبْتزّه » ، فكتب شرف الـدين فتوى من صفـد وجهّزهـا إلى الشيـخ كمال الـدين رحمـه الله تعـالى ، ونقلتهـا مِنْ خَطّـه وهي :

(١) ديوان ابن نباته : ٤٠٥ .
(٢) في الأصل : « الاشتغال » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والديوان والفوات .
(٣) في الديوان : « أين ملك » . وفي الأصل : « لعوالي » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٤) في الوافي والديوان والفوات : « عن حديث » .
(٥) مقامات الحريري ، للقامة الفارقيّة ، للقامة (٢٠) .

ماتقول السادة علماء الدهر ، وفضلاء هذا العصر ، لا برحوا لطالبي[١] هذا العلم الشريف قبلة ، وموطنَ السؤال ومحلّه ، في رجلين تجادلا في مسألة نحويّة ، وهي في بيت من (المقامات الحريرية) وهو :

فلم يَزَلْ يبتزّهُ دَهْرُه ما فيه من بطش وعود صليب

وذهبا إلى أن معنى « يبتزه » يسلبُه ، وكلّ منهما وافق في هذا مذهب خصمه مَذْهَبُه ، وأصل[٢] سؤالها الغريب إعراب قوله : « مافيه من بطش وعُود صليب » . لم يختلفا في نصبه ، بل خُلْفهما فيا انتصبت به ، فذهب أحدهما إلى أنّه بدل اشتمال مِن الهاء المنصوبة في « يبتزّه » ، وله على ذلك استدلال ، وذهب الآخر إلى أنّه مفعول ثانٍ « ليبتزّه » وجعل المفعول الهاء ، واختلفا في ذلك وقاصديكم جاءا[٣] وقد سألا الإجابة عن هذه المسألة[٤] .

فكتب الشيخ كمال الدين رحمه الله تعالى الجواب ، ونقلته من خطه وهو : الله يهدي للحقّ ، كلٌّ من المختلفين المذكورَيْن قد نَهَجَ نَهْجَ الصَّواب ، وأتى بحكمةٍ وفَصْل خِطاب ، ولكلٍّ مِن القولين مساغ في النظر الصحيح ، ولكنّ النظر إنما هو الترجيح[٥] ، وجَعْلُ ذلك مفعولاً أقوى توجيها في الإعراب ، وأدق بحثا عند ذَوي الألباب[٦] . أمّا من جهة المعنى فإن[٧] المقام مقامُ تَشَكٍ وأخذٍ بالقلوب ، وتمكينٌ ، هذا

(١) (س) والوافي : « الطالب » .

(٢) (س) والوافي : « وموطن » .

(٣) في الأصل : « جاء » ، وأثبتنا مافي (س) والوافي .

(٤) في (س) والوافي زيادة : « وقد اضطر في ذلك إلى المسألة » .

(٥) في (س) والوافي : « في الترجيح » .

(٦) في (س) ، والوافي : زيادة : « أما من جهة الصناعة العربية فلأن المفعول متعلق الفعل بذاته التي هي بوقوع الفعل عليه معنية والبدل مبين لكونه الأول معه مطرحا في النية ، وهذا الفعل بهذا متعد إلى مفعولين وما فيه من بطش هو أحد ذينك الاثنين لئلا يفوت متعلق الفعل المستقل والبدل يرجع إلى توكيد بتأسيس للمعنى مخل » .

(٧) (س) : « فلأنّ » .

المعنى أقوى إذا ذكر ما سلب ، منه مع بيان المسلوب[١] ، فَذِكْرُ المسلوب مقصودٌ كذكر[٢] ما سُلِب ، وفي ذلك من تمكين الْمَعْنَى ما لا يَخْفَى على ذوي الأدب[٣] ، ووراء هذا بسط لا تحتمله هذه الْعُجَالة ، والله أعلم . كتبه محمد بن علي .

قلت : لا أعلم في ذلك العصر أحداً يأتي بهذا الجواب غيره ، لمعرفته بدقائق النحو وبغوامض علميّ المعاني والبيان ودُرْبَته بصناعة الإنشاء .

وأمّا صورة الخط الذي نقلت منه هذه الفتوى فما كانت إلا قطعةَ روضٍ[٤] تدبّجت ، أو هوامش عِذارٍ على طِرْس الخد تَخَرّجت ، رحمه الله وأكرم[٥] مثواه ، وجعل الجنة مُنْقَلَبَهُ وعُقْبَاه .

ونقلت من كلامه تعليقاً على قوله تعالى : ﴿ التائبون العابدون ﴾[٦] الآية : فإنْ قيل : كيف تَرَكَ العَطْفَ في جميع الصفات وعَطَفَ (النهي عن المنكر) على (الأمر بالمعروف) بالواو ؟ قلت : للمفسرين والعلماء في الجواب عن هذا السؤال أقوال ، فمنها قولهم لأنها الصفة الثامنة ، فهي واو الثمانية ، وهذا في غاية السخافة ، منها أن هذا من التفنن في الكلام ، وهو جواب إقناعي[٧] ، ومنها أن المراد التنبيهُ على أن الموصوفين بالصفات المتقدّمة هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، وهذا بعيد في الإعراب ومقصود الكلام[٨] ، ومنها أنّ هاتين الصفتين متعلقتان بالغير فاحتاجت إلى مزيّة ، وهو كالأجوبة التي قبله .

قال : وعندي في هنا وجه حسن ، وهو أن الصفات تارة تُنْسَقُ بحرف العطف

(١) (س) : « أنّه مسلوب » .
(٢) في (س) ، والوافي : « منه مقصود كذكر .. » .
(٣) في (س) والوافي : « الأرب » .
(٤) (س) : « روضة » .
(٥) (س) : « وكرّم ».
(٦) التوبة : ١٢/٩ .
(٧) قوله : « ومنها أنّ هذا » حتى ههنا ليس في (س) .
(٨) في الأصل : « في الكلام » ، وأثبتنا ما في (س) .

وتارة تُذكر بغيره ، لكل مقام معنىً يناسبه ، فإذا كان المقام مقام تَعدادِ صفاتٍ من غير نظرٍ إلى جمع أو انفراد حَسُنَ إسقاطُ حرف العطف ، فإنْ أريد الجمع بين الصفتين أو التنبيه على تغايرهما عُطف بالحرف أيضاً ، وفي القرآن أمثلة تبيّن ذلك ، قال الله تعالى : ﴿ عسى ربّه إن طلقكنّ أن يبدّله أزواجاً خيراً منكن ﴾[١] الآية ، فأتى بالواو بين الوصفين لأن المقصودَ بالصفات الأُوَل ذَكْرُها مجتمعة ، والواو قد تُوْهِمُ التنويع ، فحذفَ ، وأما الأبكار فَلاَ يكنّ ثيّبات والثيبات[٢] لا يكُنَّ أبكارا ، فأُتي بالواو لتضادّ النوعين ، وقال تعالى : ﴿ حم ✩ تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ✩ غافر الذنب وقابل التَّوب شديد العقاب ذي الطَّول ﴾[٣] ، فأتى بالواو في الوصفين الأوَّلَيْن ، وحَذَفها في الوصفين الآخرين ، لأن غفران الذنب قبل التوب[٤] ، وقبول التوب قد يظن أنها يجريان مجرى الواحد لتلازمها[٥] ، فَمَنْ غَفَرَ الذنب قبل التوب ، فبين الله تعالى بعطف أحدهما على الآخر [أنها][٦] مفهومان متغايران ووصفان مختلفان يجب أن يُعْطَى كلُّ واحدٍ حكمه ، وذلك مع العطف أبين وأرجح وأوضح ، وأما شديد العقاب ، وذو الطول فهما كالمتضادّين ، فإنّ شدّة العقاب تقتضي اتصال الضرر ، والاتصاف[٧] بالطول يقتضي اتصال النفع[٨] ، فحذف ليعرف أنهما مجتمعان في ذاته المقدّسة موصوفاً[٩] بهما على الاجتماع . فهو في حال اتصافه بشديد[١٠] العقاب ذو[١١]

(١) التحريم : ٦٦/٥ .
(٢) (س) : « وكذا الثيّبات » .
(٣) غافر : ٤٠/١ ـ ٢ .
(٤) قوله : « قبل التوب » ليس في (س) .
(٥) في الأصل : « للازمها » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٦) زيادة من (س) .
(٧) في الأصل : « والاتصال » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٨) في الأصل : « المنع » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٩) (س) : « موصوفة » .
(١٠) (س) : « شديد » .
(١١) كذا في الأصل .

الطول ، فحسن ترك العطف لهذا المعنى . وفي هذه الآية التي نحن فيها يتضح معنى العطف وتركه مما ذكرناه ، لأنّ كلّ صفة مما لم يُنْسَق بالواو مغايرة للأخرى ، والغرض أنها في اجتماعها كالوصف الواحد لموصوف واحد ، فلم يُحتج إلى عطف ، فلمّا ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهما متلازمان أو كالمتلازمين مستمدان من مادة واحد كغفران الذنب وقبول التوب ، حَسُن العطف ليبين أن كل واحد معتد به على حِدَة ، فإنّه[1] بذاته لا يَكْفي منه ما يحصل في ضمن الآخر ، بل لا بد من أن يظهر أمره بالمعروف بصريح الأمر ، ونهيه عن المنكر بصريح النهي[2] ، فاحتاج إلى العطف ، وأيضاً فلّما كان الأمر والنهي ضدين أحدهما طلب الاتحاد والآخر طلب الإعدام كالنوعين المتغايرين [في][3] قوله تعالى : ﴿ ثيّباتٍ وأبكاراً ﴾ فحسن العطف [بالواو][4] ، فهذا ما ظهر من الجواب . والله أعلم .

قلت : وكنت أنا في زمن الصبا والإشغال قد جمعت في هذه الواو كراسة وفيها فوائد .

١٦٧٤ ـ محمّد بن علي بن أبي بكر الرقّي*

الشيخ الصالح الواعظ المحدّث شهاب الدين بن تاج الدين [المعروف بـ ابن][5] العُدَيسة .

---

(١) (س) : « قائمة » .

(٢) في الأصل : « اللفظ » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٣) زيادة من (س) .

(٤) زيادة من (س) .

* الوافي : ٢٢١/٤ ، والدرر : ٦٠/٤ ، والدارس : ١٣٣/٢ ، عن البرزالي .

(٥) زيادة من (س) والدارس .

كان شيخ الخانقاه المجاهديّة ظاهر دمشق ، وله مواعيدُ حديث يقرأ فيها في الجامع الأمويّ والجامع السيفيّ وأماكن(١) أُخَر ، وكان يعـاني شيئـاً من المواعـظ(٢) في كلامـه ، وكان فيـه تعبّـدٌ وانقطـاعٌ وكَرَم وسخـاء ، وحـجَّ مراتٍ وجـاور ، سمع على عمر(٣) بن القواس ، ويوسف الغُسولي وغيرهما ، وسمع ببعلبك من الشيخ تاج الدين عبد الخالق ، وحدّث .

وتوفي رحمه الله تعالى بوادي الأخضر(٤) في يوم الخميس عاشر ذي القعـدة سنـة ست وثلاثين .

ومولده ....

وأظنّ المجير الخياط فيه يقول :

في الـــــــدهر شيءٌ عجيبٌ مرآه يُقْـــذي اللـــواحِـــظ
ابن الرُزَير خَطيبٌ وابن الغُـــدَيســـة وَاعِـــظ

١٦٧٥ ـ محمّد بن علي بن سعيد الأنصاري*

الشيخ الإمام الفاضل المُفَنّن بهاء الدين أبو محمد المعروف بابن إمام المشهد .

قرأ القرآن العظيم وأتقنهُ بالروايات السبع على الكفري(٥) ، واشتغلَ بـالعربيَّة على

(١) (س) والدارس : « وبأماكن » .
(٢) (س) : « الوعظ » .
(٣) في الأصل : « وجاور مع علي بن عمر » ، وأثبتنا مافي (س) والدارس .
(٤) في طريق الحجازقرب تبوك ، (معجم البلدان) وفي (س) : « الأخيضر » .
* الوافي : ٢٢٢/٤ ، ووفيات ابن رافع : ٣٠٩/١ ، والدرر : ٦٥/٤ ، والشذرات : ١٧٢/٦ ، والدارس : ١٤٩/١ .
(٥) حسين بن سليمان بن فزارة الكفري الحنفي (ت ٧١٩ هـ) سلفت ترجمته في موضعها .

الشيخ محمد[١] التونسي ولازَم الشيخ نجم الدين القَحْفَازي كثيراً ، وقرأ الفِقْهَ على الشيخ برهان الدين بن تاج الدين . وسمع بمصر والإسكندرية وحلب ، وبدمشق من أشياخِ عَصْرِهِ .

وكان حَسَنا شكلُه بَيِّناً فَضْلُه ، كثيرَ التبسُّمِ ، غزير الارتياح للسيادة والتسنم . جاب البلادَ وما هاب الجدال والجلاد ، وقطع المفاوز بحَظّ هابط وعزمٍ صاعد . وشَام كلَّ بارق ، وانتَجَعَ كلَّ راعد ، إلى أن أقمرَ ليل حَظّه الدجوجّي بعدما تَطَوّر في أطْوَارِ أبي زيد السروجي[٢] .

وكان قد جَوَّدَ الفِقْهَ والعربيه ، وعلَّق التعاليق الأدبيه ، وبلغ ما أراد من الوصول إلى الأصول ، واستنفد الحاصل واستغرق المحصول . وكتب المنسوب الفائِق ، وقطع في حسنه الدرج والدقائق ، ونَظَم جَيِّداً.ونَثَر . ورقا درج منبره ، وكان كأنّه في[٣] أعلاه حمام هَدَر :

يُنَمْنِمُ الخَطّ لا يَجتاب أحرفَهُ ... والوشي مهمَا حكاهَا منه يجتابُ
إلى تصانيف في أكامِهَا ثَمَرٌ ... تجنيه بالفهم دون الكفّ ألْبَابُ

ولم يزل على حاله إلى أنْ نزلت به دُؤلول[٤] بنة الرقِم ، وأصبح كفّ الموت من شخصه يَنتقم .

وتوفّي رحمه الله تعالى بدمشق في بكرة الأربعاء ثامن عُشْريّ شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة .

---

(١) في (س) ، (خ) والوافي : « مجد الدين » وهو « محمّد » ، لكن لم يتقدم للصفدي أن ذكره إلاّ بلفظ « مجد الدين » ، وستأتي ترجمته .

(٢) هو بطل مقامات الحريري .

(٣) في الأصل : « كأنه حمام في ... » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٤) هي الداهية . وفي (خ) : « ذؤول » .

ومَوْلده في ذي الحجة سنة ست وتسعين وست مئة .

وجمع كتاب (الأحكام) في ست[1] مجلدات وجَوَّده ، وتناولته منه ، وأجازني رواية مالَهُ تسميعه بديوان الإنشاء في المحرّم سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة بدمشق .

وكان قَدْ أمّ بدار الحديث ثم بمسجد الكنيسة ، ودرَّس بالقوصيّة ، وأقام بحلب مدّة ، وتردّد إليها مرات ، ثم أقام بطرابلس مدّة ، وتوجّه إلى صفد وأهلُها على عطش ، ومعه أشياءً بخطه فأباعها بأوْفَر الأثمان ، وتوجّه إلى مصر مرّات ، وحضر في سنة ست وثلاثين بين يدي السلطان الملك الناصر[2] ، وساعده القاضي شهاب الدين بن فضل الله ، فولّاه المدرسة الأمينيّة بدمشق عوضاً عن القاضي علاء الدين بن القَلانسي ، وحضر إلى دمشق على البريد ، وذكر الدرس بها في رابع شهر رمضان سنة ست وثلاثين وسبع مئة ، وحضره الأعيان . ثم إنّه سَعى وأخذ نظرها أيضاً من الخطيب بدر الدين ، ومشت بذلك حاله قليلاً ، وهو من وراء السعي والطلب .

ثم إنّه سعى وتولّى الحسبة بدمشق بعد موت القاضي عماد[3] الدين الشيرازي في أيّام سيف الدين أرغون شاه . وكتبت أنا توقيعاً له بذلك وهو « الحَمْدُ لله الذي زاد الدين بهاءً بحمّده ، وزان العلم الشريف بكل حَبْرٍ جمّل مُغَيَّبه[4] حُسْنُ مَشْهده ، وكَمّل الفضل بكلّ عالِمٍ يشهد من يومه مخائل الزيادة في غده .

فحمده على نعمه التي أعلت الرتب ، ونَفت الشُّبَهَ وكشفت الرِّيَب ، وكَفَت المؤونة في رفعةِ قَدْر مَنْ توكّل على الله واحْتَسب .

(١) (خ) : « ستّة » .

(٢) (س) ، (خ) : « الناصر محمد » .

(٣) في الأصل : « علاء » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، وهو محمد بن أحمد ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٤) في الأصل : « معيبه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له شهادةً لا يدخل الشكّ إقرارَها ، ولا يمحو الإفك أنوارَها ، ولا يبهرج الحك[١] دينارها .

ونشهد أنّ سيدنا محمداً عبده ورسوله ذو الخلق العظيم ، والجود الذي اخْتُصَّ به وهو للخلق عميم ، والفضل الذي أوتيه ﴿ من لَدنّ حكيم عليم ﴾[٢] صلّى الله عليه وعلى آله وصَحْبه الذين اتّبعوا أوامره ، وسمعوا زواجره ، ووضعوا على هامة الثريا مناقبه ، ورفعوا[٣] على فرق الفرقد مفاخره . صلاة تَشَرَّفَ بحفظها كلّ جمع ، وتشنف[٤] بلؤلؤ لفظها كلّ سمع ، ما عمَّ نظرٌ في المصالح فأنعم ، وملأ إناءَ الأنى[٥] قَطْرُ الإحسان فأفْعَم ، وسلّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

وبعد :

فإن النظر في مصالح الجمهور ، والفكر في المنافع العامة الوافية الأجور من الأمور الّتي تتجمّل بها[٦] الدول ، وتفخر بها الأيام المختصّة بمحاسنها على الليالي الأول ، والنظر في أمر الحسبة الشريفة سِلْكٌ ينخرط فيه هذا الجوهر الفاخر القِيَم ، وملك تتنافس في ادّخاره الأخلاق الطاهرة[٧] الشيم . كم باطل أقام به الحق منه الأَود ، وقوّم المَيْل ، وكم نَجس أزاله [به][٨] من الذراع والميزان والكَيْل ، وكم غَشّ أخرب الله به عشه في معايش النهار والليل ، وكم زُغل طهر الله به الكَمّ فولّى وقد شمّر الذيل .

(١) (خ) : « الحلّ » .
(٢) النمل : ٦/٢٧ .
(٣) (س) ، (خ) : « ورفعوا على هامة ... ووضعوا » .
(٤) (س) : « يتشرف .... ويتشنف » .
(٥) أي : الحلم والوقار .
(٦) في الأصل و (خ) : « به » ، وأثبتنا مافي (س) .
(٧) (س) : « الظاهرة » .
(٨) زيادة من (خ) و (س) . وعبارة (س) : « وكم نجس أزاكه الله به من الذراع » .

وكان الجنـاب العـالي الشيخي البهـائي ممن اشتهر فضلـه ، ونـزع[١] في قـوس الإحسان فـأصـاب الصوابَ نَبْلُـه الـذي أرسلـه نُبْلُـه ، وخَـدم العلم الشريف حتى عز في عصره أن يوجد في فنونه[٢] مِثْلُه ، وتفرَّعَ عن أصلٍ زكا فكان والده رحمه الله تعالى ليثاً وقد شبّ له منه شبله .

أمـا القراءات فبـاعُ صـاحب القصيـدة مَعَـه [فيهـا][٣] قصير ، ومَسْلَـك مصنف (التيسير) أصبح وهو عسير .

وأما العربيّة فأين صاحب (الجمل) من هذا التفصيل . وأيْنَ صـاحبُ (الحجّـة) من هذا التعليل .

وأمّـا الفقـهُ فلو رآه الرويـاني علم أن بحره في حـوضـه قَطْرَه ، ولـو سمعـه النـووي لأطلع من كلامه بروضته في كل شطرِ[٤] سطر زَهْرَه .

وأما الأصول فالإمام يتأخر عن محراب فخره ، والسيف لا يثبت له عند هزّه .

وأمّا الخطابةُ فهو من فرسان منابرها ، وأبطـال محـاريبهـا[٥] ومحـابرهـا . كم أذاب حصاةَ قلب تحت منبره ، وأذرى بها دمعاً إذا جرى تعثّر في مِحْجَره .

وأمّا الكتابةُ فما فتح ابن البواب لغيره فيهـا بـابـا ، ولا رفع ابنُ مُقْلـة فيهـا لغيره أهْدابا ، فشُهْدَةُ[٦] شَهدت له بالحلاوة نَصّاً . ويـاقوت أصبح في خاتمه فَصّـا ، هـذا إلى سياسةٍ حَلَب بها أشْطُرَ الأمور ، وعلم بها مصالح الجمهور ، ومَلَكَ بعرفـانهـا أزِمّـةً تسقـط

(١) (خ) : « وبرع » .
(٢) (س) : « فنونه المتنوعة » .
(٣) زيادة من (س) ، (خ) .
(٤) (س) : « شط » .
(٥) في الأصل : « محاربتها » ، وأثبتنا مافي (س) ، (خ) .
(٦) شهدة بنت أحمد بن الفرخ ، فخر النساء (ت ٥٧٤ هـ) ، السير : ٥٤٢/٢٠ .

على حَبّها طَيْر المصالح . ويصبح راجي العدل بها وميزانُه راجح ، وتَصْدُق بتوخيّها المنى والمناجح .

فلذلك رسم بالأمر العالي المولوي السلطاني أن يرتّب في الحسبة الشريفة بالشام المحروس ، لأن هذا العقد بجيده(١) لائق ، وهذا التاج لا يعوقه عن(٢) مفرقه عائق ، وهذا الميدان لا يجري معه فيه سابق ولا سائق .

فليباشر ذلك مباشرةَ من هذّبته العُلوم ، وتَدرّب بالقواعد الشرعيّة فاستدلّ بالمنطوق على المفهوم ، وساد بنفسه العصاميّة ، فكان له من الرياسة سرب(٣) معلوم ، وملك من السياسة ما يعرف(٤) به وجه الظالم من المظلوم ، فقد ولّيناك هذه الوظيفة وأنت ملء قالبها ، وعَذَقنا(٥) أمرها بك ، وأنت أوْلَى مِنْ قالبها وقال بها . فَتَمِّم نَقْصَها بكمالك(٦) ، ومشّ الناس فيها على أقوم المسالك . وأقَمْ المهابة فإنها تَرعى هؤلاء الرِّعَاع ، ومالك فيها إلاّ مذهب مالك(٧) ، وافعل ما تقتضيه معرفتك من احتكار ومَنْع ، وانخفاض(٨) سعر ورَفْع ، وتحرير ما يخرج من دار الضرب من النقود وتصحيح العيار ، فكم درهم ودينار هو في الْمَعْدُوم معدود ، وقد يَتَغطى الزين بالرين(٩) ويشتبه الشيء الحسن بالشين ، وضبط ما يمتد فيه باع الذراع ، ويتحرك به لسان الميزان ويبتلعه فَمُ الصاع ، ومنع العطارين من بيع العقاقير الغريبة لمن هو مجهول ،

(١) (خ) : « لجيده » .

(٢) في الأصل : « من » ، وأثبتنا مافي (س) ، (خ) .

(٣) في الأصل و (خ) : « شرب » ، وأثبتنا مافي (س) ، والسرب هو المسلك والطريق .

(٤) في الأصل : « وما يعرف » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٥) العاذق من يقوم بأمر النحل . وهو يريد هنا المثل المشهور : « أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب » . انظر مجمع الأمثال : ٣١/١ .

(٦) في الأصل : « بك » ، وأثبتنا مافي (س) ، (خ) .

(٧) (خ) : « ملك » .

(٨) (س) ، (خ) : « وانحطاط » .

(٩) الرين : الصدأ . ووقع في الأصل : « الزين » ، وأثبتنا مافي (س) ، (خ) .

والأصناف التي لا يلتئم اجتماعها وريعها بالهلاك مأهول ، وأهمّ ما عندك خبر الخبز فأمتع العيون ببدور رغفانه[١] ووجوه لُجَين عجينه الذي تتلّون[٢] في النار خدود عقيانه ، وانظر في جليل أمْرِه ودقيقه ، وقف على مبتدأ حَبّه وخَبَرِ دقيقه . وانْتَهِ إلى غايـة[٣] أمره إذا خرج من النار المسعّره ، واقصد العدل كمن[٤] عمل مَعْدَلة وسعّره ، وغش البواطن فاستعن بالله على إزالته ، وصلاح فساده وإحالته ، لأن ما أمْرُه مغيّب يُتَوقف في أمره ويستراب ، والدّاء القاتل أكثر ما يكون من الطعام والشراب . إلى غير ذلك مما يطول شرحه ، ويضيق هذا المقام فلا يتوسع فيه سرحه . وأنت بتفصيل الوصايا جدّ[٥] بصير ولو قيل لك قليل كان عندك منه علم كثير .

وتقوى الله تعالى حِلْية لكل راع ، وزينة[٦] لكل فاضل انعقد عليه الإجماع . فلتكن عين جمالك وحاجب جلالك ، والله يوفّق مسعاك . ويحفظك ويرعاك .

والخطّ الكريم أعلاه الله تعالى أعلاه حجة في ثبوت العمل بمقتضاه . والله الموفق بمنّه وكَرَمه إن شاء الله تعالى .

ثم إنّه أقام في الحسبة إلى أنْ وصل القاضي عماد الدين بن الفرفور على الوظيفة في أوائل سنة إحدى وخمسين[٧] ، فتوجه ابن إمام المشهد إلى الديار المصريّة ، ومعه زوجته الحمويَة ، وكان قد غرم عليها جملةً إلى أنْ مات ما يقارب المئتي ألف دِرْهَم .

---

(١) سقطت من الأصل راء « رغفانه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٢) (س) : « تتكوّن » .

(٣) (س) : « آخر » .

(٤) (س) : « لمن » .

(٥) في الأصل : « ماجد » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٦) (خ) : « ورتبة » .

(٧) في الأصول جميعها : خمس وخمسين ، وزاد في (س) : « وسبع مئة » ، ولا يستقيم ذلك ؛ لأن وفاة إمام المشهد كانت سنة (٧٥٣ هـ) ، وأثبتنا ما في البداية والنهاية فإنه ذكر أن القاضي عماد الدين بن الفرفور تولى الحسبة سنة (٧٥١ هـ) .

وأنشد[١] بدر الدين حسن بن علي الْغَزّي[٢] فيه ، واشتهر بذلك عنه في الشام ومصر :

قلت لَمَّا سَارَ البهاءُ لمصرٍ وَسَرَى نَحوها بعرس ظريفَهْ
أنتَ لا شك أنْ تعود ولكن لا بِهَا يابها ولا بالوظيفه

فتوصل هناك إلى أن وصل للأمير[٣] سيف الدين شيخو ، وسَعَى ، وتولّى الوظيفة ثانياً ، ثم أخذت[٤] منه للقاضي جمال الدين الفاقوسي في أيام الأمير سيف الدين أيتمش ، ثم إنّه سعى وأخذها ، ولمّا حضر الأمير سيف الدين أرغون الكاملي إلى دمشق أخذها منه وأعطاها للقاضي بدر الدين ابن وُهَيْبَة[٥] قاضي بعلبك ، فأقام بها قليلاً ، ولم تمض الولاية من مصر وأعيدت إليه .

ولم يزل فيها إلى أنْ مَرِض مرضةً طويلة قريباً من سنة إلى أن مات في التاريخ . وكان بيده أيضاً خطابة جامع العُقَيبة .

وأنشدني له إجازة :

وَلولا مَا أخاف من الأعادي وأن حديثنا فيهم يسيرُ
جُنِنتُ بكم كما مجنونُ ليلى وإنْ طَالَ المدى فكذا نصيرُ

وأنشدني له في ناعورة :

كنت في دوحة الرِّياض مُهّنا أنهل الطلَّ بين تلك الغصُون

---

(١) في (س) ، (خ) : « وأنشدني » .
(٢) سلفت ترجمته في موضعها .
(٣) (س) : « إلى أن دخل إلى الأمير » .
(٤) في (س) ، (خ) : « ثم إنها أخذت .. » .
(٥) (س) : « وهيب » .

فلنـــوح الْحَمامِ فـــوقي طـــويـــلاً غَرَّقتني كما تراني عيـــــــوني[(١)]

قلت : تقدّم لي في ترجمة القاضي شهاب الدين بن فضل الله ، وله عدة مقاطيع في الناعورة ، ومّما قُلْتُه أنا فيما يشبه هذا ....[(٢)]

وأنشدني ابن إمام المشهد [له][(٣)] إجازة :

أنْتُم بـــلائي وأصْــلُ بَلْبَـــالي وغيرُكم مَـــا يمرّ فيَ بـــالي
يــا جيرة في الغــوير قـــد نــزلُــوا لله من جيرة ونُـــــزّال
مــا عطَّــل الطرف بَعْــدَ بُعــدكُم عن دمعــه واســألــوا عَن الحــال
فلـــو زعمتم أنّي سَلــــوتَكم ويَعلم اللهُ أيّنـــا السَّـــالي[(٤)]
لا تتلفـــوا مهجَـــةً لكم خُلقت فقـــد نهي عن إضــاعـــة المــال

قلت : أحسن ما رأيت في هذه المادّة ، أعني البيت الرابع قولُ السِّراج الوراق رحمه الله تعالى ، ومن خطّه نقلت :

قـــال صَـــديقي ولم يَعُـــدني وعَـــــارضُ السُقم فيَّ أثّر
لقـــد تغيّرت يـــا صـــديقي ويَعْلَــمُ الله مَــنْ تــغيَّرْ

١٦٧٦ ـ محمد بن علي بن أيبك*

الشيخ الْمُحَدِّث الإمام شمس الدين أبو عبد الله السروجي .

عرض القرآن وهو ابن تسع سنين ، وارتحل إلى حلب ودمشق وغيرهما من البلاد

(١) (خ) : « عرفتني » . وفي الأصل و (خ) : « العيون » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٢) كذا بياض في الأصول .
(٣) زيادة من (س) ، (خ) .
(٤) في (س) ، (خ) : « فلم زعمتم » .
* الوافي : ٢٢٥/٤ ، ووفيات ابن رافع : ٣٨٦/١ ، والدرر : ٥٨/٤ ، وذيول العبر : ٢٣٨ ، والنجوم الزاهرة : ١٠٨/١٠ .

الشاميّة[١] مرّات ، وأخذ عن الشيخ فتح الدين بن سيّد الناس ومَنْ عاصره مِنْ أشياخ العِلْم ، وصار من الْحُفّاظ ، أتْقَن المتون وأسماء الرجال وطبقات الناس والوقائع والحوادث ، وضبط الوفَيَات والمواليد .

ومال إلى فنّ الأدب ، وحَفِظ من الشعر القديم والْمُحَدث جملةً ، وكتب الطباق[٢] والأجزاء ، وحصّل ما يرويه عن أهل عصره في البلاد التي ارتحل إليها . ولم أر بعد شيخنا الحافظ أبي الفتح مَنْ يقرأ أسرعَ منه ولا أفصح ، وسألته عن أشياء من تراجم الناس ووَفياتهم وأعصارهم وتصانيفهم ، فوجدته حفظة لا يغيب عنه ما حصّله ، وهذا الذي رأيته منه في هذه السنّ القريبة كبير على من غلب[٣] سنُّه من كِبَار العلماء ، ومع ذلك فله ذوق الأدباء وفهم الشعراء ، وخفّة روح الظرفاء . وكان قد خرَّج لنفسه تسعين حديثا متباينة الإسناد . قال شيخنا الذهبي : سمعناها[٤] منه ، ثم إنه كملها مئة .

وتوفّي رحمه الله تعالى بحلب ثامن شهر ربيع الأوّل سنة أربع وأربعين وسبع ومئة ، ودفن ثاني يوم الجمعة بكرة .

وسألته عن مولده فقال : في ذي الحجّة سنة أربع[٥] عشرة وسبع مئة .

١٦٧٧ - محمّد بن علي بن محمد*

ابن علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن محمد بن قطرال الأنصاري الخزرجي الحارثيّ ، القرطبي الأصل ، ثمّ المراكشي .

---

(١) (س) والوافي : « من بلاد الشام » .
(٢) في الأصل : « الطبقات » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٣) في (س) والوافي : « كثير ... علت سنه » .
(٤) في الأصل : « سمعناه » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
(٥) في ذيول العبر : « سنة خمس عشرة » .

* الدرر : ٨٣/٤ .

كان رجلاً فاضلاً صالحاً ، لـه نظم ونثرٌ ، وعنـده صلاح وانقطـاع وديـانـة . سمع كثيراً بالمغرب ، ودخل مصر والشام ، وسمع ، وحجّ غَيْرَ مرّة ، وجاور .

وتوفي رحمه الله تعالى بمكة برباط الجزري[1] عند بـاب إبراهيم عليـه السلام في رابع جمادى الأولى سنـة عشر وسبع مئـة ، غسل ثوبـه وطلع إلى سطح الربـاط لينشره فوقع من أعلاه فمات ، ودفن بباب الْمُعَلَّى .

ومولده سنة خمس وخمسين وست مئة .

١٦٧٨ - محمد بن عليّ بن أبي طالب*

ابن أبي عبـد الله ، الشريف شمس الـدين بن الشريف عـلاء الـدين الْحُسَيْني الموسويّ العَطّار المعروف بالشريف عطّوف .

كان يَرْوي (صحيح) مُسْلم عن المشايخ الاثني عشر . وسمع من جدّه لأمه محمد بن أبي بكر النيسـابوري[2] ، وسمع من ابن مسلمـة ، وسمع (جزء الأنصـاري) من المشـايخ الأربعة والأربعين مجتمعين ، وحدّث .

وله إجازاتٌ مِنْ بغـداد سنـة إحـدى وثلاثين وست مئـة . أجـازه ابن القطيعي ، ونصر بن عبـد الرزاق ، وابن الَّلتي ، وابن روزبـة ، وزهره بنت حـاضر[3] وجمـاعـة . وأجازه بمصر أبو الخطـاب بن دِحْيـة[4] ، ومرتضى[5] ، وابن الصفراوي[6] . ومن دمشق ابن الشيرازي ، وابن ماسويه ، والفخر الإربلي ، وابن صباح ، ومكرّم .

---

(١) في الدرر : « الخوزي » .

* الدرر : ٦٦/٤ .

(٢) هو محمّد بن أبي بكر بن علي الحنفي الفقيه (ت ٦٣٧ هـ) ، الشذرات : ١٨٦/٥ .

(٣) زهرة بنت محمّد بن أحمد بن حاضر شيخة صالحة صوفية (ت ٦٣٣ هـ) الشذرات : ١٥٩/٥ .

(٤) عمر بن حسن بن علي (ت ٦٣٣ هـ) ، السير : ٣٨٩/٢٢ .

(٥) مرتضى بن حاتم بن المسلّم (ت ٦٣٤ هـ) ، السير : ١١/٢٣ .

(٦) عبد الرحمن بن عبد المجيد (ت ٦٣٦ هـ) ، السير : ٤١/٢٣ .

وتوفي رحمه تعالى بالقاهرة في خامس[١] جمادى الآخرة[٢] سنة عشر وسبع مئة .

١٦٧٩ ـ محمد بن عليّ بن عبد الكريم *

الشيخ الإمام العلاّمة ذو الفنون أقْضَى القضاة ، فخر الدين ، أبو الفضائل وأبو عبد الله المصري الشافعي الأشعري المعروف بابن كاتب قطلوبك . تَقدَّم ذِكْرُ والده في مكانه .

قرأ القرآن على جماعة منهم الشيخ مُوسى العجمي . وقرأ العربية والفقهَ أوّلاً على الشيخ كمال الدين بن قاضي شهبه ، ثُمّ قرأ الفقهَ على الشيخ برهان الدين ابن الشيخ تاج الدين ، وقرأ بقيّة العلوم على الشيخ كمال الدين بن الزملكاني ، وهو أكثرهم إفادة له ، وكان معجباً به وبذهنه وبحافظته ، يشير إليه في المحافل والدروس وينوّه بقدره ويثني عليه ، ونزل له عن تدريس العادليّة الصغيرة . وقرأ على الشيخ صدر الدين بن الوكيل ، وبحث على الشيخ مجد الدين التونسي ، وعلى الشيخ نجم الدين القحفازي . كتاب[٣] (الْمُقَرّب) في النحو ، وحفظ (الْجُزوليّة) ، وبَحَث [منها][٤] جانباً على شيخنا نجم الدين الخطيب وقرأ الجست على النعمان[٥] ، والمنطق على جماعة أشهرهم الشيخ رضيّ الدين المنطقي ، وعلى الشيخ عَلاء الدين القونوي بمصر . وحفظ (التنبيه) و (المنتخب) في أصول الفقه ، وحفظ (مختصر) ابن الحاجب في مدّة

(١) (س) : « حادي » .

(٢) في الدرر : « جمادى الأولى » .

* الوافي : ٢٢٦/٤ ، ووفيات ابن رافع : ٢٩٩/١ ، والذيل التام : ١١٥ ، والدرر : ٥١/٤ ، والدارس : ١٨٤/١ ، ٢٧٩ ، والنجوم الزاهرة : ٢٥٠/١٠ ، وفيه : « محمد بن علي بن إبراهيم بن عبد الكريم » وذيول العبر : ٢٨٣ .

(٣) في الأصل و (خ) : « وكتاب » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٤) زيادة من (س) ، (خ) واالوافي .

(٥) هو النعمان بن دولات ، فاق في المعقولات ، وستأتي ترجمته في موضعها ، وعبارة الدارس عن الصفدي في الوافي : « وقرأ الحساب ... » .

تسعة عشر يوماً ، وهذا أمر عجيب باهرٌ إلى الغاية ، فإنَّ ألفاظ (المختصر) غَلِقة عقدة ما يَرْتَسم معناها في الذهن ليساعد على الحفظ ، وحفظ (المحصل) في أصول [الدين](١) وهو قريب من ألفاظ (المختصر) وحفظ (المنْتَقى) في الأحكام ، وقال : أحفظ منه في كل يوم خمس مئة سطر . وشرع في حفظ أشياء لم تكمل مثل (مطلع النيّرين)(٢) و (المنهاج) للنووي ، و (تصريف) ابن الحاجب .

وأُذِن له بالإفتاء وعمره ست وعشرون سنة ، ووُلي تدريس العادليّة الصغيرة في سنة خمس وعشرين وسبع مئة ، وفيها أذن له بالإفتاء ، ولما توفي شيخنا(٣) **الشيخ** [برهان الدين ابن الشيخ](٤) تاج الدين جلس بعده بالجامع الأموي وحلقةُ(٥) الإشغال في المذهب عند الرخامة ، وتأدب مع شيخه ، فأخلى مكانه وجلس إلى جانب منها .

وأنشدني شيخنا العلاّمة مفتي الإسلام وشيخهم قاضي القضاة تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى يذكر أوّل من جلس إلى هذه الرخامة إلى(٦) آخر وقت من المُصدّرين للإشغال ، ومن خطه نقلت وهو :

الجامع الْمَعمُورُ فيه رخامَة ... يَأْوي لها مَن للفضائل يَطلُبُ
الشيخ فخر الدين ابن عَساكر ... والشيخ عز الدين عنه ينسَبُ
والشيخ تاج الدين نجل فزارةٍ ... عنه تلقاهَا يفيدُ ويدأب
ثم ابْنه أكرمْ به مِنْ سَيّدٍ ... وَرع له كل المَنابر تخطب(٧)

---

(١) زيادة من (س) ، (خ) والوافي .
(٢) في الحديث ، الكشف : ١٧٢١/٢ .
(٣) في الأصل : « تولّى » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي . وفي (س) : « توفي شيخه » .
(٤) زيادة من (س) ، (خ) والوافي .
(٥) (س) : « في حلقة » .
(٦) (س) ، (خ) : « و إلى » .
(٧) (خ) : « المناصب » ، و (س) : « المناسب » .

وتــلاه فخر الــدين وَاحــد مِصْره بــذكائــه كالنــار حين تلهَّبُ
وابني يليهم زادهم ربّ السَّمَــا علمــاً وفَهماً ليسَ فيــه يُتعَبُ[١]

وأقدم من سمع عليه الحديث هدّية بنت عسكر ، وأحمد بن مشرّف .

وحجّ إلى أن مات تسع[٢] حجات فيا أظن أو ثمانية ، وجاور في بعضها مرّات بمكة والمدينة .

وكان رحمه الله تعالى في الذكاء والحفظ أعجوبه ، لم يكن في زمانه من يلحق أسلوبه ، قد صار الفقه والأصول له طباعا ، ونقْل فروع المذهب هَوىً مطاعا ، متى دعاه لبّاه وجاءه مسرعاً ولا يأباه ، فلو رآه أبو ثور[٣] لزم التسلسل في التعجب[٤] أوْ الدور ، وما قال بتقديم الوصيّة على الدَّين ، وهو في المذهب أغْرَب من بياض غراب البين ، أو الزعفراني لخلَّق ثيابه بها فرحا ، وفتح دربه ببغداد مَرحا ، أو عاصره الْمُزَني لغرق في قطره وتحقق أنّ الفخر لمصره ، أو ابن سُرَيْج لعلم أنه لم يكن من خيل[٥] هذه الحَلَبَة ، ووصى للماوردي أن يكون صاحب الثناء عليه ونَبَه[٦] . وما أحقّه بقول الأرّجاني :

غَبَّرْتَ في غرَرِ الــذين تقَــدمــوا في الدهر من أهل الفضائل والعُلاَ
وسَبقتهم ولَرُبّ آخر حَلْبَــة بسط العنان لــه فصَار الأوّلا

وكان يَتَّجرُ ويقتني الأصناف ويدّخر إلى أن ثوّر نعمة طائله ، وحصّل جملة هائله ، إلاّ أنّه كان يُخْرِج الزكاه . أخبرني بذلك مَنْ صدقته لما حكاه .

---

(١) في الأصل : « وابني عليهم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٢) في الوافي : « سبع » .
(٣) إبراهيم بن خالد الكلبي مفتي العراق (ت ٢٤٠ هـ) ، السير : ٧٢/١٢ .
(٤) (س) : « في التعجب منه » .
(٥) ليست في (س) ، (خ) .
(٦) في الأصل : « بعده » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

ولم يزل على حاله إلى أنْ نَزَلت بشعاب حياته شَعوب ، ولبست الدنيا من الأصيل عليه ثوبَ شحوب(١) .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الأحد سادس عشر(٢) ذي القعدة سنة إحدى وخمسين وسبع مئة ، وصلّي عليه الظهر بالجامع الأموي ، ودفن في مقابر الباب الصغير ، وكانت جنازته حَافلة . وتوفّي بدمشق في داره بالعادلية الصغيرة بعد مرضةٍ طويلة عُوفي منها ثم انتكس .

وسألتهُ عَنْ مولده فقال : في سنة إحدى وتسعين(٣) وست مئة(٤) .

واجتمعتُ به غَيْر مرَّة . وكان ظريفاً ولطيفا ، وكان قد حج بعض حجاته وجاور ، ولّما حضَر كتبتُ له توقيعاً بإعادة نظر الدولعيّة وتدريسها إليه ، وهو :

« رُسِمَ بالأمر العالي أعلاه تعالى(٥) ، لا زال يرتفع به العِلْم الشريف إلى فخره ، ويعيده إلى خير حبر تُقبس الفوائد من نُوره وتُغْتَرَفُ من بحره ويجمل الزمان بمن(٦) هو عَلَمٌ عصره وفَخْرُ مِصره أن يعاد المجلس العالي القضائي الشيخي الفخري إلى كذا وكذا ، وضعاً للشيء في مَحَلّه ، ورفعاً للوبل على طلّه ، ودفعاً لسيف النظر(٧) إلى يدٍ هي مألف هزّهِ وسَلِّه ، ومنعاً لشِعْب مكة أن ينزلَهُ غَيْرُ أهْله(٨) ، إذ هو لأصحاب الشافعي رضي الله عنه حجّه ، ولبَحْر مذهبه الزاخر لجّه ، ولأهل فضله الذين يقطعون مفاوزَهُ بالسّرى صبح وبالمسير مِحَجَّه ، طالما ناظر الأقران فَعَدَّلهم ، وجادل الخصوم في حَومة

(١) (س) : « الشحوب » .

(٢) (س) : « عشري » .

(٣) (س) : « وسبعين » تحريف .

(٤) زاد في (س) : بظاهر القاهرة في الحيّانيّة » ، وفي الوافي : « الحبانيّة » ، وخرج من القاهرة أول سنة اثنتين وسبع مئة .

(٥) قوله : « أعلاه الله تعالى » ، ليس في الوافي .

(٦) عبارة الوافي : « ويجعل الزمان بولائه من هو » .

(٧) (خ) : « القطر » ، تحريف .

(٨) يشير إلى القول المشهور : « أهل مكة أدرى بشعابها » .

البحث فجدَّ لهم وجدَّلهم . كم قطع الشبهات بحججٍ لا يعرفها السيف[١] ، وأتى بوجهٍ ما رأى الروياني أحلى منه في أحلام الطّيف ،ودخل[٢] باب علمٍ فتحه القفّال لطالب (نهاية المطلب)[٣] التبري ، وارتوى مِنْ معينٍ ورَدَ عين حياته الخضري[٤] . وتمسَّك بفروعٍ صحَّ سَبْكُها فقال ابن الحداد[٥] : هذا هو الذهب[٦] المصري ، وأوضح المغالط بما نَسَف به جبال النَّسفي ، وروى أقوال أصحاب المذهب بحافظةٍ يتمناها الحافظ السِّلفي .

كم جاور بين زمزم والمقام ، وألقى عصا سفره لمّا رحل الحجيج وأقام ، وكم طاب له القرار بطَيبه . وعطّر بالإذْخِرِ والجليل[٧] رِدْنَه وجَيْبَه . وكم استروح بظل نخلها والسَّمُرَاتَ[٨] . وتملّى بمشاهدة الحجرة[٩] الشريفة ، وغيره يَسفح على قرب تربها العَبَرات ، وكم كتب له بالوصول[١٠] وصول ، وبث شكواه فلم يكن بينه وبين الرسول رسول ، لا جرم إنّه عاد وقد زاد وقارا ، وآبَ بعد ما غاب ليلاً فتوضّح شَيْبُهُ نهارا .

فليباشر ما فُوِض إليه جرياً على ما ألف من إفادته ، وعهد من رياسته لهذا العصابة وسيادته ، وعرف من زيادة يومه على أَمْسِهِ ، فكانت كنيلِ بلاده ، لا[١١] يتعجب من

(١) (خ) : « للسيف » ، والمراد : السيف الآمدي .

(٢) في الأصل : « ودخل على » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

(٣) نهاية المطلب في دراية المذهب للجويني (ت ٤٢٨ هـ) في الفقه الشافعي . الكشف ١٩٩٠/٢ .

(٤) في الأصل : « الحصري » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، وفي مطبوعة الدارس عن الوافي : « الحضرمي » .

(٥) محمد بن أحمد بن محمّد بن الحداد الشافعي (ت ٣٤٤ هـ) ، السير : ٤٤٥/١٥ .

(٦) في الأصل : « المذهب » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

(٧) الإذخر : حشيش طيّب الريح . والجليل : الثمام .

(٨) في الأصل : « السرات » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٩) في الأصل : « قرب الحجرة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

(١٠) في الوافي : « بالوصال » .

(١١) (س) ، (خ) والوافي : « ولا » .

زيادته ، حتى يحيي بدرسه مادَرس ، ويثمر(١) عود الفروع ، فهو الذي أنبته بهذه المدرسة وغرس ، مجتهداً في نظر وقفها ، معتمداً على تتبّع ورقات حسابها وصحفها ، عاملاً بشروط الواقف فيما شرط ، قابضاً ماقَبَضه باسِطاً(٢) ما بسط ، وتقوى الله جنّة يَرْتع فيها خاطره ، ويسرح في رياضها الناضرة ناظره . ومثله لا يُنَبّه عَلَيْهَا . ولا يوماً(٣) له بالإشارات إليها ، فلا يَنْزع مالبس(٤) من حلاها ، ولا يَسِرْ في مَهْمَهٍ فهم إلا بسناها . والله يديم فوائده لأهل العلم الشريف ، ويجدّدُ له سَعْداً يشكر منه التالد والطريف.

والخط الكريم أعلاه حجة بثبوت مقتضاه(٥) ، إن شاء الله تعالى » .

وكان قاضي القضاة جلال الدين القزويني قد استنابه واستناب جمال الدين يوسف بن جملة ، واستمرّا على ذلك ، ولمّا جاء القاضي علاء الدين القونوي باشر النيابة في أيامه ، ثم إنّ القاضي فخر الدين استعفى في شهر شوال سنة تسع وعشرين وسبع مئة ، وكان يعتكف في بعض السنين في شهر رمضان بمقصورة الخطابة رحمه الله تعالى .

١٦٨٠ ـ محمّد بن علي بن محمود*

ابن الدُّقوقي البغدادي المعمر .

توفّي رحمه الله تعالى ببغداد في سنة أربعين وسبع مئة عن خمس وسبعين سنة .

سمع من ابن أبي الديّنَة (مسند) الإمام أحمد ، وحدث عن أبي محمد بن ورخز .

---

(١) (خ) : « ويتم » .

(٢) (س) ، (خ) والوافي : « وباسطاً » .

(٣) في الأصل : « ولا ما يوماً » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

(٤) في الوافي : « لبسه » .

(٥) في الوافي : « حجّة بمقتضاه » .

* الدرر : ٩٠/٤ ، وذيول العبر : ٢٢٢ ، وفيه وفاته (٤٧١ هـ) .

١٦٨١ ـ محمّد بن علي بن حَرَمي*

الشيخ الإمام الفاضل الفَرَضي المحدّث عماد الدين أبو عبد الله الدّمياطي .

سمع من الدمياطي ، والأبرقوهي ، وبنت الإسعردي وطائفة بمصر ، وبدمشق[1] من الموازيني ، وابن مشرف . وسمع بقراءتي (المقامات الحريريّة) وغيرها على شيخنا العلامة أثير الدين ، وعلّق عني أشياء .

وكان حلو المحادثة ، كثيرَ التودّد ، غزير المحاسن ، وله خصوصيّة زائدة عن الحدّ بُقَاضي القضاة عز الدين بن جماعة ، ولِيَ مشيخة الكامليّة .

وتوفي رحمه الله تعالى في سابع جمادى الأولى سنة تسع وأربعين وسبع مئة بطاعون مصر .

١٦٨٢ ـ محمد بن علي بن أحمد**

ابن عبد الواحد بن أحمد ، الشيخ شمس الدين أبو عبد الله ، ابن الشيخ الإمام المسند فخر الدين أبي الحسن الصالحي الحنبلي ، المعروف بابن البخاري .

سمع من إبراهيم بن خليل ، وعبد الله الخشوعي[2] ، وعليّ بن إسماعيل بن إبراهيم بن طلحة المقدسي[3] ، وابن عبد الدائم ، وغيرهم .

وأجاز له جماعة من بغداد منهم إبراهيم الرعيني[4] ، ومحمد بن الحصري[5] وهما من

---

* الوافي : ٢٢٨/٤ ، وفيات ابن رافع : ٢٦٠/١ ، والدرر : ٦٠/٤ .

(١) في الأصل : « ودمشق » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

** الدرر : ٥٥/٤ .

(٢) (س) : « ابن الخشوعي » .

(٣) (ت ٦٦١ هـ) ، الشذرات : ٣٠٦/٥ .

(٤) إبراهيم بن عبد العزيز (ت ٦٨٧ هـ) ، النجوم : ٣٧٨/٧ .

(٥) في الدرر : « محمد بن نصر الحصري » .

أصحاب ابن شاتيل . وسافر إلى العراق بسبب الأسرى ، وحدَّث بدمَشْق والقاهرة ، وكان شيخ الحديث بالمدرسة الضيائيّة ، وليها بعد موت سعد الدين سعد ، وخَرَّج له ابن الْمُحب جزءاً من عواليه فيه خمسة عشر شيخاً بالسماع .

وكان فيه همّة وشجاعة وقوّةُ نفس وكَرَم ، وعنده عبادة وقيام لَيْل .

وتوفّي رحمه الله تعالى في سادس عشر ذي القعدة سنة ست وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة اثنتين وخمسين وست مئة .

١٦٨٣ ـ محمد بن علي بن أبي القاسم*

المقرئ الإمام الكبير ، بَقيّة السَّلَف ، أبو عبد الله الموصلّي الحنبلي ابن خروف ، ويعرف بابن الوَرّاق .

ارْتَحَل إلى بغداد في طلب العِلْم سنة اثنتين وستين وست مئة ، وتلا بِعدَّةِ كُتب على الشيخ عبد الصمد ، وسمع من جماعة ، وقرأ كتباً كِباراً ، وقرأ (تفسير الكواشي) على الْمُصَنِّف و (جامع أبي عيسى)[(١)] على ابن العجمي[(٢)] .

قال شيخُنا الذهبي : قدم علينا وسمعنا منه .

وتوفّي رحمه الله تعالى بالموصل في جمادى الأولى سنة سبعٍ وعشرين وسبع مئة .

ومَوْلده سنة أربعين وستّ مئة .

١٦٨٤ ـ محمد بن علي بن مخلوف بن ناهض**

قاضي القضاة محيي الدين ابن قاضي القضاة زين الدين المالكي .

---

* الوافي : ٢٢٩/٤ ، والدرر : ٧٧/٤ ، وغاية النهاية : ٢٧٠/٢ .

(١) محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) ، الكشف : ٥٥٩/١ .

(٢) في الدرر : « محمد بن مسعود العجمي » .

** الدرر : ٩٠/٤ .

كان مشكورَ السيرة عاقلا دَيِّناً كثير السكون ، يفضله النـاس على والـده ، ونـاب عن والده مُدّةً في الحكم .

وتوفي رحمه الله تعـالى حـادي[١] عشر ذي الحجـة سنـة إحـدى عشرة وسبع مئـة ، وكان من أبناء الأربعين . وقد تقدم ذكر والده .

١٦٨٥ ـ محمد بن علي*

الكاتب الْمُجَوِّد البارع أمين الدين ابن المهتار الصفدي ، كانت يُعْرَف عند بعض[٢] النـاس بـدرويش ، بفتح الـدال المهملـة وسكـون الراء وكسر الـواو وبعـدهـا يـاء آخر الحروف ساكنة ، وشين معجمة .

كتب المنسوب الفائق ، وأبرزه للعيون في المنظر اللائق الرائق[٣] ، ووضع سطوره في طروسه فحكى نظرات الأحـداق ونضـارة الحـدائق ، وفـاق كُتّـابَ العصر[٤] ، إلاّ أنّ خَطّه كان لِحَظّه من أكبر العوائق ، لم أر ولا غيري مثل الصّفاء الـذي كان في خَطّـه في سائر الأقلام ، والقوة التي يشهد بها أرباب العلوم والأعلام ، والتحرير[٥] الذي لم تشاهد العيون مثله في اليقظة والأحلام[٦] ، فيالها من كتابة :

ذهَبَت كما ذهبت بسَـاطـعِ نـورهـا شمسُ النهـــار وأعْقَب الإظــلامَ

مولدُه تقريباً في سنة سبع وسبع مئة .

وأظنّ وفاته كانت بالقاهرة في طاعون مصر ، سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

---

(١) (س) : « في حادي » .

* الدرر : ٩٠/٤ .

(٢) ليست في (س) .

(٣) في الأصل : « الفائق » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٤) (س) ، (خ) : « عصره » .

(٥) (خ) : « والنحرير » .

(٦) (س) : « ولا أحلى في الأحلام » .

وكان والده ركابيّاً(١) عند الأمير علاء الدين أقطوان أمير حاجب بصفد ، ونشأ هو بصفد ويده قابلة يكتب خطا قَوِيّا إلى الغاية ، لكن خَطّه غير منسوب ، فنزل إلى دِمَشْق ، ونزل عند الشيخ العلاّمة كمال الدين بن الزملكاني بَوّاباً في المدرسة الرواحيّة ، فحنا عليه لحسن كتابته .

وكتب على الأشْيَاخ المجوّدين ، ومهر ، ثم عاد إلى صفد ، وأقام قليلاً ، ثم توجه إلى بغداد ، وكتب هناك على طريقة ياقوت المستعصمي ، وجَوَّد النسخ الفَضّاح ، ثم إنّه دخل إلى الهند ولبس زِيّ الفقراء ، وجاء إلى اليمن ، ثُمّ قدم إلى القاهرة ، فرأيته بها في سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، ثمّ عدت رأيته بها في سنة ست وثلاثين إلى سنة تسع وثلاثين . وقد اتّصل بالقاضي الرئيس ضياء الدين بن الخطيب ، وقد أحبّه وحنا عليه وجعله نائبه في الفروع من الحسبة ، ثم(٢) إني رأيته بدمشق سنة ست وأربعين وسبع مئة ، وعاد منها إلى الديار المصريّة ، وكان ذلك آخر عهدي به .

وكان ينظم متوسّطا ، إلاّ أنّه كان مُنْحَرِفَ المزاج ، في أخلاقه زعارة ، وعنده طيش ، وفيه سلس(٣) ، فكان ذلك سببَ تأخيره وعَدم تَقَدّمه .

كتب إليّ في أول شهر رمضان سنة خمس وأربعين وسبع مئة وأنا بالقاهرة :

تصوم بخير في سُرور وغبطةٍ ... وضدك فيَ عكس القضية خاملُ(٤)
وحكمك ماض في البرية نافذ ... وأمرك في أَقصَى الأقاليم واصلُ(٥)
لأنت صلاح الدين أفضل مَنْ وشى ... وأنشا إذا التفّت عليه المحافِلُ

(١) في الأصل : « ركاباً » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٢) (س) : « نائبه في بعض فروع ثمّ ... » .
(٣) فيه سلس أي : « جنون » .
(٤) (خ) : « وصدك » ، تصحيف .
(٥) في الأصل : « في القضية » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

وكنت قد كتبت إلى القاضي علاء الدين بن فضل الله صاحب ديوان الإنشاء الشريف قصيدة على وزن قصيدة ابن بابَك[١] التي أوّلها :

عُلّقتـــــه أســـودَ العينين والشَّعرَه

ولهج بها المصريون ، ونظم جماعة كثيرة[٢] على وزنها ، فكتب هو إليَّ في ذلك الوزن ، والجميع هو في الجزء الرابع والعشرين[٣] من (التذكرة) :

سَرَت نسيم الصبا في رَوْضة حَبَره ... فَرنَّحتنا بأنفاس لهَا عطَرهْ
وغنّت الوُرْق في الأغصانِ مِنْ طربٍ ... على رياض ببانات الحمى عَطرَه
وزمْجَر الرعد في أكناف سَاريَةٍ ... وأومض البَرق عايَنّا إذاً مطرَه
وصَفق الماء في الغدران مِنْ فرحٍ ... والغصن أهدى لنا يا صَاحبي ثمرَه
ونحنُ في مجلس اللذات نَكْرَعُها ... من كل صافية صفراءَ معتصرَه
ونغمة الشيز في راحات غانيةٍ ... أغنت بمبسمهَا عن أن ترى قمرَه[٤]
وحُسنُ سَاقٍ سقى صرفا فأسكرَني ... فما رأيت له عينا ولاَ أثرَه
دع عنك ذلك وانظر في فضائله ... وافتْ وحقك في المنظوم منتثره[٥]
صلاح ديوان إنشاء الشام به ... فما على الحق مَا محمُود من غبَره
قَدمته وَفْق أبياتٍ نظرت لهَا ... فما تلعثمتُ أنْ وافيت بالعشره

وكتب إليّ كثيراً ، وهذا القدر يكفي مِنْ أنموذجه .

---

(١) عبد الصمد بن منصور (ت ٤١٠ هـ) ، وفيات الأعيان : ١٩٦/٣ .
(٢) في الأصل : « كثير » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٣) في الأصل : « والعشرون » .
(٤) في الأصل : « من أن نرى » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٥) وقع البيت في (س) ، (خ) بلفظ :
.... وانظر فضل من ... وردت منه الفضائل في المنظوم منتثرة

١٦٨٦ ـ محمد بن علي بن حسن*

الأمير ناصر الدين ابن الأمير علاء الدين بن المرواني .

كان هذا الأمير ناصر الدين أحد أمراء العشرات ، ولما كان والده والي القاهرة[(١)] كان هو والي مصر ، ولمّا تُوفّي والده وتوفّي السلطان الملك الناصر محمد حضر هو إلى الشام ، وتعكّس ، وتوجّه إلى حلب ، ثم إنّه عاد مع الأمير يلبغا[(٢)] اليحيوي لمّا حضر إلى دمشق نائباً ، فولاّه برَّ دِمَشْق ، وأقام به مدّة ، ثم انفصل وبقي بطّالا مُدّة .

ثم إنّه تولى بيروت وأقام به[(٣)] مُدَّة ، ثمَّ إنّه حَضَر إلى دمشق وأقام مُدَيْدَة .

وتوفّي رحمه الله تعالى[(٣)] ، وكان فيه حشمة وخدمة للناس ورعاية وتودّد[(٤)] ، وتولى ولاية المدينة بدمشق أيضاً وكانت وفاته في ....[(٥)]

١٦٨٧ ـ محمّد بن علي بن محمد**

الفاضل الأديب المُنَجِّم شمس الدين أبو عبد الله ، المصريُّ مَوْلِداً الغزيُّ مَنْشَأً ، المعروف بابن أبي طرطور .

أقام بغَزَة مُدّةً ، وكابد فيها من الاقْلاَل شِدّة . ووَرد إلى دمشق وسكَنَها ، وأزاح بآدابه لَكَنها . وكان يجتمع بالصاحب شمس الدين وبناصر الدين الدوادار . وكَلَفَ به

* الدرر : ٦٣/٤ .
(١) في الأصل : « العشرة » ، وأثبتنا ما في (س) .
(٢) (س) : « سيف الدين يلبغا » .
(٣) وقع بعد هذه الكلمة بياض في (س) بمقدار سطر .
(٤) هنا تنتهي الترجمة في (س) .
(٥) كذا في الأصل ، وفي الدرر أنّ وفاته بعد الخمسين وسبع مئة .
** الوافي : ٢٢٣/٤ ، والدرر : ٨٨/٤ .
(٦) اللكن : العجمة .

ناصر الدين ، لأنه على مثله طَوَّفَ وسَعَى ودار . وامتزج برؤساء [الشام][١] ، حَصَل على مراده لمّا انتجع بَرْقَهم وشام ، ثم توجَّه إلى حماة أيّام الملك الأفْضَل ، فصانه وحَمَاه .

وأنزله من جودِه الغامر في رَبْعِه العامر[٢] وحَمَاه ، فأجرَى عليه راتبا يكفيه ، ولم يدع نوعاً من البرّ إلاّ ويجزلُ[٣] قِسْمَه منه ويوفيه . فتَخيَّرها مقاما ، وشفى من داء فقره سقاما . وغرّد بمدائحه لمّا أصبح بإحسانه وهو مُطَوَّق ، وناضل الفقر بسهامه فأصاب مَقاتِله لمَّا سَدَّدَها إليه وفَوَّق . ولمّا مات الأفضل رحمه الله تعالى لم يتخذ غَيَر حماة سَكَنا ، وألِفَهُ أهْلُها وألفهم ، فصرَّح بشكرهم وكَنَى .

وكان يعرف النّجامة ، ويقول لمن سأله منها النَّجامَه ؟ ويعرف ما يتعلّق بالإسطرلاب ،ويتكلم على ما فيه من بروج الاستواء والانقلاب، وكتب الخط الفائق ورقا[٤] فيه درجاً ، يعزّ على غيره أن ينال ما فيها من الدقائق . ونَظَمَ فنونا من الشعر وغيره . وأمال الأعطافَ بأسجاع طَيْرِه .

ولم يزل على حاله بحماة إلى أن أصابه الحِمامُ بسهمٍ رماه ، فأصبح الغزّي مَغْزُوّا ، ووجوده إلى العَدم مَعْزُوّا[٥] .

وتوفي رحمه الله تعالى في العُشر الأواخر من ذي القعدة في سابع عشريه سنة إحدى وستين وسبع مئة .

ومولده في سنة خمس وثمانين وست مئة .

---

(١) زيادة من (س) ، (خ) .
(٢) ليست في (س) .
(٣) (س) : « ويجلّ » .
(٤) في الأصل : « ورفا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٥) في الأصل : « مغزوّ ، مغروّ » وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

ووجد في بيته بخان الخطيب بحماة ، وهو سكنه ، ميتا بعد ثلاثة أيام وهو جالس ، ووجد له خمسة وسبعون ديناراً مصريّة هرجة ، وثلاث مئة درهم ، وقماش بدنه بِيع بخمس مئة درهم ، وكتبه مجلدات بيعت بست مئة درهم .

واجتمعت به غَيْرَ مرّة بالقاهرة ودمشق وصفد وحماة ، وكان خفيفاً على القلوب حَسَنَ العِشرة ، كثير النادرة ، حلو التنديب ، قد برته الأيام في صحبة الناس ومخالطةِ الأكياس . وكان حسنَ الشكل ظريف الملبس يتأنّق في مأكله ومشاربه ، ولكنّه ما كان يجلس في بيته إلا وحَوْلَه عُفَاش كثير من الزبادي والأواني ، وكان يطبخ قُدَّامه ، فلهذا كان كثير العفاش . وأمّا محاضرته فلا تُمَلّ ، وكانت له بديهة عظيمة وعنده جُرأةٌ وقوة عَيْن زائدة ، مع النظم الحلو والكتابة الحسنة[1] . وما أحقه بقول[2] الشريف الرضي في ابن حَجّاج رحمهم الله تعالى أجمعين وهي :

ومـــا كنت أحسبُ أنّ الـزمَـــا ... ن يغـل مضـــاربَ ذاك اللسَـــان
ليبـــك الـزمَـــانُ طـويـلا عليـ ... ـك فقد كنتَ خِفّة روح الـزمان

أَنْشَدته لنفسي بصفد سنة أربع وثلاثين وسبع مئة :

يـا حسنـه رشـأ تَخَلَّى الليث عن ... وَثَبـاتــه وثَبــاتــه في حربــه
تروي السَّقـامَ جفـونُـه عَنْ خَصْره ... عن عهـده وعن الصَّبـا عن صبّـهِ

فأنشدني هو رحمه الله تعالى لنفسه :

بـأبي غـزال غـزْلَ هُـدْبِ جُفُونـهِ ... يكسُـو الضّنـا صبّـا أُذيب بَصـدّه
يَروى حـديث السّقم جُسْمُ مُحبّـه ... عن جَفْنـــه عن خَصْره عَنْ عَهْـــدِهِ

(١) قوله : « وكان حسن الشكل » حتى ههنا ، ليس في (س) .
(٢) (س) ، (خ) : « برثية » .

وأنشدني هو لنفسه رحمه الله تعالى في التاريخ :

مَرّ في الفستقّي يجلـــو عَلَيْنَـــــا طلعـــةً حلـوة الرِضـــابَ شهيّـــه
قلتُ : مَنْ للفقير لـــو ذاق في السطـ ـلـــة من ذي الحـلاوة الفُستقيَّـــه

فأنشدته أنا لنفسي :

في فستقيّ اللّـــون لّمــــا بَـــــدَا يميس مثَــــلَ الغُصَن الْمُـــــورِق
مَنّ وقـــــــد مرّ عَلى صبّـــــــهِ ومَـــــا ألـــذّ المنَّ بــــالفستــقِ

وأنشدته أيضاً لنفسي :

لمـــا بـــدا في الفستقيّ مُعَـــذّبي نـاديت مِنْ وَجْـــدِي وفَرْط تحرقّي
كانت لـوجهـك في الفـؤاد حـلاوة كَمّلْتَ لـــذّتهـــا بهـــذا الفُستقِي

وأنشدته أنا لنفسي أيضاً :

لاتقيسُـــوا إلى الْحَمامـــــة حـــزني إنّ فَضْلي تَـــدْري بـــه العُشّـــاقُ(١)
أنـــــــا أُملي الغرام عن ظهر قلبٍ وهي تملي وحــــولهَـــــا الأوراقُ

فأنشدني هو لنفسه رحمه الله تعالى :

أتشكَى مــــع البعـــــــاد إليكم برقيــق العِتَـــاب فَرْطَ اشتيــــاقي
وكأني الــورقـــاء من فُرقـــة الإلـ ـفِ تَلَهّت بـــالسّجـع في الأوراقِ

وكتب هو إليّ وقد قَدِمْتُ إلى حماة لتلقي النائب الجديد لحلب في المحرم سنة ستين وسبع مئة :

مملكـــة الشَهبـــا على الشهب علَتْ فـــاستبشرت بـــالخير والفـلاح
لّمـــا شكت سِرّاً فَسَـــادَ حـــالهـــا أعـــانهـــا السُلطـــان بـــالصـلاحِ

(١) (س) : « حزناً » .

يقبل الأرض التي ابتهلت أوّلَ أمْرِها بعلّو قَدْرها ، وابتهجت في سرّها بمقدم كاتب[١] سِرِّها ، فلله دَرُّها دولةٌ اقتضت آراؤها الشريفة لمملكتها[٢] الحلبية بمن صانها وزانها ، وارتضت آلاؤُها المنيفة من أصلح شانها الذي شانها ، فجانست أوامِرَها العالية بين مقام أعْلمِ خليل ، وبين مقام أكرم خَليل ، وآنسته رَشَدا بتقدم[٣] فاضل زمانه ، وإنْ كان اللائق بالتقديم والتفضيل ، فأقرت عيناً بآيات[٤] الفضائل السجيّة الصلاحيّة ، وأقَرَّت وألقت في ساحتها من ساعتها عَصَاها واستقرّت[٦] ، ومدَّت وارِفَ ظِلِّها عليها الرياسةُ والسيادة فما ساءت حين سَرّت . وينهي أنّ الملوك مِمن سرّته هذه البشرى التي ردّت شوارد الأدب بعد مَفَرّها إلى مَقَرّها ، و أسبغت ظلالها على سر الصناعتين بعد هجير هجرها ، فلقد دلت على الهدى ، وجَلَت صدأ الصدا بأنوارها وأنوائها[٦] ، وجَلّت في حَلَبة المعالي على أبلقها وشَقْرائها بشهبائها ، فلله الحمد على منةٍ لا ترد إلاّ مِنْهُ ، وله الشكر على نعمة لا تُصَدّ إلاّ عنه .

زِنْتُم رُغْم الحسود محلَّها كنتم أحقَّ بها وكنتم أهْلَها

والقصد أنّ مولانا يعفّي خطأها وخَطَلَها ، ويسامح بحلمه جَهْلَها ، ويسبل عليها ستر معروفه لأنّه مالك الحلّ والعَقْد ، وإليه مرجع النقل والنقد ، لا زال جابرًا بقبوله وإقباله ، ساتراً بخلاله الكريمة ما خفي عن المملوك من إخلاله بمحمدٍ وآله إنْ شاء الله تعالى .

---

(١) (س) : « كتاب » .

(٢) (خ) : « بمملكتها » .

(٣) في (س) : « وآنست رشداً بتقديم » .

(٤) (س) : « بإياب » .

(٥) يشير إلى قول معقر بن حمار :

فألقت عصاها واستقرّ بها النّوى كما قرّ عيناً بالإياب المسافر

اللسان (عصا) (نوى) .

(٦) في الأصل : « وأنوانها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

١٦٨٨ ـ محمد بن علي بن عبد الواحد*

ابن يحي بن عبد الرحيم ، الشيخ الإمام العالِم الفاضل المُفَسِّر المحدّث شمس الدين أبو أُمَامَة الدُّكَالي ، بالدال المهملة المضمومة وكاف بعدها ألف ولام وياء النسبة ، **ودُكَال** : قَلْعَةٌ بالْمَغْرب[١] ، المعروف بابن النقاش .

كان شكلاً حَسَنا ، راقَ سناءً وسنا ، حلو الصورة والشكالة ، يريح بمحاضرته أَلَمَ مَنْ شكا لـه ، يستحضر من التفسير كثيراً ، ويحل من غرائبه محلاً أثيراً . وكانت طريقه[٢] في التفسير غريبة ، يأتي[٣] فيها بكلّ عجيبة ، ما رأيت لـه في ذلك نظيراً ، ولا توهمت أنّ غيره من أبناء جنسه[٤] يكون على ما يأتي به قديرا . حصّل من الدنيا جانبا ، وأكبّ على السعي فيها فما كَلَّ اجتهاده[٥] ولا نبا . وكان يدخل إلى الملك الناصر حسن ، وقادَهُ [الله][٦] إليه بغير رسن ، وعمل على شيخه قطب الدين الهِرْمَاس[٧] ، فأبعده عنه حتى كأنّه ما خطر بين يديه ولا ماس[٨] . وكان يصحب أمراء الدولة ، حتى صار له في كل جَوّ جَوْلَة . فنال[٩] مرامه وتعدى أقرانه ، وتجاوز الغاية في علو المكانة .

---

* وفيات ابن رافع : ٣٧٤/١ ، والبداية والنهاية : ٢٩٢/١٤ ، والدرر : ٧١/٤ ، والبغية : ١٨٣/١ ، والبدر الطالع : ٢١١/٢ ، وبدائع الزهور : ٥٨٩/١/١ ، والشذرات : ١٩٨/٦ ، والنجوم الزاهرة : ١٣/١١ .

(١) الذي في معجم البلدان أنّ : « دكّالة » بفتح أوّله ، وتشديد ثانيه : بلدٌ بالمغرب يسكنه البربر .

(٢) في الدرر : « طريقته » .

(٣) (س) : « ويأتي » .

(٤) قوله : « من أبناء جنسه » ليس في (س) .

(٥) في الأصل : « اجتهاده فيها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٦) زيادة من (س) ، (خ) .

(٧) هو محمد بن محمود بن هرماس الشافعي . (ت ٧٦٩ هـ) .

(٨) انظر في البداية والنهاية أحداث سنة (٧٦١ هـ) : ٢٧١/١٤ ـ ٢٧٢ .

(٩) (خ) : « فقال » .

يكاد مِنْ صِحّـة العـزيَـة مَـا   يَفْعَـل قبـل الفَعـال ينفعـلُ

ولم يزل على حاله إلى أنْ مُحيت من الحياة سكّة ابن النقّاش ، وتلّقاها[١] الدهر بعد البِشْر بالتقطيب والإيحاش .

وجاء الخبر إلى دمشق بوفاته في القاهرة[٢] في أواخر شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستين وسبع مئة .

وكنت سألته عن مولده فقال : في نصف شهر رجب سنة عشرين وسبع مئة .

أخبرني أنّه قرأ القرآن على الشيخ برهان الدين الرشيدي كاملاً ، وقرأ العربيّة عليه وعلى الشيخ محبّ الدين أبي عبد الله بن الصائغ الأندلسي ، وعلى العلاّمة أثير الدين ، قال : وقرأت (ألفيّة ابن مالك) على ابن معاوية ، وسَمِعْتُ في شرح (التسهيل) وغَيْرِه على أثير الدين ، قال : وحفظت (الحاوي) في الفِقْه ، وأنا أوّل مَنْ حفظه بالقاهرة ، و (منهاجَ الأصول) للبيضاوي على العلاّمة قاضي القضاة تقي الدين السبكي وعلى الشيخ شهاب الدين الأنصاري وعلى غيرهما ، قال : وعلّقت مُثُلاً على (التسهيل) ، وقرأت (العُمْدَة في الأحكام) وألّفت (شرحاً) لها يجيء في ثماني مجلّدات ، قال : وألّفت كتابا سمّيته (كاشف الغُمّة عن شافعيّة الأمّة في أحاديث الرافعي) قال : وسمّيته[٣] (أمنية الألمعي في أحاديث الرافعي) ، قال : ووضعت شرحاً (لألفيّة ابن مالك) وسمّيته (توضيح الألفيّة وإلحاقها بالجرجانيّة) ، وكتاب (النظائر وفروق المذهب) و (تفسير آيات وسور) .

وكان قد قدم إلى دمشق ، واجتمعت به في شهر رمضان سنة خمس وخمسين وسبع مئة ، ونزل لمّا جاء إلى دمشق عند العلاّمة قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، وكانت

(١) (س) : « وتلقّاه » .
(٢) (س) : « من القاهرة » .
(٣) (س) : « وسميته أيضاً » .

بَيْنَه وبين النائب علاء[١] الدين أمير علي المادريني نائب الشام معرفة من مصر ، فأكرمه وأقبل عليه وأحْسَن رعايته ، وتوجَّه إلى حماة لمعرفةٍ بينَه وبين الأمير سيف الدين طازيرق نائب حماة ، وقامت له سوق بدمشق ، ورُزِقَ منها الحظّ والحظوة ، وعمل مجلساً بالجامع الأموي في التفسير ، وتكلّم فيه كلاماً كثيراً ، واستحضر[٢] أحكاماً وأقوالا ومذاهب ورقائق[٣] وتصوّفاً بجَنانٍ ثابت ولسانٍ فصيح من غير توقف ، ووسَّع فيه المجال ، وأبدع فيه الجمال ، ولمَّا فرغ منه كتبت أنا إليه :

أتينا المجلس حَبْرَ الورى ... فسَرّ القلوبَ بَما فسَّرَا[٤]
وحرك أعطافنا نشوةً ... ولا تسأل الدَّمْعَ عَمَّا جَرى
فشبَهتُهَا بغصون سمت ... وشبهته بنسيم سرى[٥]

وأنشدني من لفظهِ لنفسه يمدح قاضي القضاة تقي الدين السبكي لمّا كان بالقاهرة :

طرقَتْ وقَدْ نامَتْ عيونُ الحُسَّدِ ... وتوارت الرُّقَباء غير الغرقدِ[٦]
والعسكر الزنجيّ رُمْح سِماكه ... قانٍ وعضب الفجر لم يتجرد
والليل قد نشرت غلائل مسكِه ... لمّا طوَى الإمساء حلّة عَسْجَدِ[٧]
وسَرى يَجُر عَلى المجرّة ذَيْلَه ... إذْ طُوّقت مِنْ شهبهَا بمقلّد
ربعيّة حلّت بأكناف الحشَا ... ودموعها بين النقا والأنْجد
غراء يفضح خدّها وَلحاظها ... مرأى الغزالة والغزال الأغيدِ[٨]

---

(١) (س) ، (خ) : « الأمير علاء » .

(٢) في الأصل : « وأحضر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٣) كذا في الأصل و (خ) ، وفي (س) : « ومذاهب دقائق » .

(٤) في الأصل : « خير الورى » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والدرر . وفي الدرر أيضاً : « بما قد قرا » .

(٥) (س) ، (خ) : « فشبهتنا » .

(٦) (س) : « وتوارث » . وهنا البيت فقط في النجوم الزاهرة .

(٧) (س) : « قد غشيت » .

(٨) في الأصل : « يصبح » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) . والغزالة : الشمس .

خلصَت إليّ ودونَ رَبْعي حـاجـزُ ... من سَيل أجفاني ونار توقّدي
وَأتت ولم تضرب لوصل موعدا ... أحلى المنى مالم يكن عن موعد[١]
تهْفو بمعْطفها الشمُولُ كما هفت ... أيدي الشمائلِ بالقضيب الأملد[٢]
أرجت بقاع الرقمتين وشعبُها ... وتشرّفت أعلامُ ذاك المَعْهَد[٣]
شرف المجالس شيخنا علم الفخا ... ر الأوحديّ الألمعيّ الأمجدي[٤]
ياقوت سلكِ البَحر أحكم نظمه ... فالدّر بينَ مرصّعٍ ومنضّد
عين السَيادة حلّ منها رتَبة ... كيوَان يرصدها بعين الأرمدِ[٥]

وهي طويلة وقد أوردتها في ترجمته في (تاريخي الكبير)[٦] .

وكتبت أنا إليه ملغزاً في فيل ، وهو :

يا إمَام الأنام في كل علمٍ ... وإليه الورى ترى منتهاهُ
وهو شمسُ التحقيق في كل فنّ ... وسواه يكون فيه سُهَاهُ[٧]
أيّما اسمٌ تركيبه من ثلاثٍ ... وهو ذو أربع تعالى الإله
حَيَوان والقلبُ منه نباتٌ ... لم يكن عند جوعه يرعَاهُ
فيك تصحيفه ولكنْ إذا مَا ... رُمْتَ عكساً يكون لي ثُلُثاهُ
فأبِنْه لازلت في ظلّ سَعْدٍ ... مَا تَمَلّى طَرْفٌ بطيبِ كَراهُ

فكتب هو الجواب عن ذلك :

---

(١) في الأصل : « ولم تصرف » .
(٢) الأملد : « الناعم اللين » .
(٣) في الأصل : « العهد » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٤) (س) : « علم الفخار الأوحدي الأوحد » ، وفي (خ) : « الأوحدي الأوحدي الأوحد » .
(٥) (س) : « الأملد » . وكيوان : كوكب زحل .
(٦) الظاهر أنه يريد : في ترجمة تقي الدين ، وتقع في الجزء الحادي والعشرين من الوافي ، ولم يطبع .
(٧) في الأصل : « سواه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والدرر .

يا إمَاماً قد حاز علماً وفَضْلاً وسُمواً على الورى بِندَاهُ[١]
وَهو للدين والعلومِ صَلاحٌ جَلّ ربٌّ بكلّ حسن حبَاهُ
إن لغزاً أبدعت فيه لعمري يَقْصُرُ الفهمُ عَنْ بُلوغ مَداهُ
قَلْبُه بالعراق في النخل بادٍ وهو بالهند كلّ عين تَرَاهُ
مَا أُحب الشطرنج إلاّ بدا لي منه خصمٌ داعٍ لحربي أخاهُ[٢]
هُو عَنِيٌّ بادٍ فإنْ رَاح منه آخرٌ عُدْتْ جهراً أرَاهُ
دُمْتَ لي مُهْدِياً جواهرَ علمٍ لَكَ كلّ الوَرَى ترى منتهاهُ

محمد بن علي بن عبد الرحيم*

الشيخ علم الدين بن بهاء الدين بن الإمام محيي الدين ، عُرف بابن الدُّمَيْري .

أجاز لي رحمه الله تعالى في سنة .....[٣]

ومولدُه سنة خمس وسبعين وست مئة بدار الزعفران بزقاق القناديل بمصر .

وتوفي رحمه الله تعالى ....[٤]

١٦٩٠ ـ محمد بن علي**

الأمير ناصر الدين بن الأمير علاء الدين بن الفراء .

كان والده علاء الدين بن الفراء أمير طبلخاناه ، وهو مقدّم البريدية ، وكان هذا

(١) في الدرر : « على الورى وعداه » .
(٢) في الدرر : « ما أخذت » و « الحرب » .
* الوافي : ٢٢١/٤ ، وفيه : « ابن عبد الرحمن » ، والدرر : ٦٧/٤ .
(٣) كذا بياض في الأصل ، وفي (س) : « رحمه الله تعالى » .
(٤) كذا بياض في الأصل و (س) والوافي والدرر .
** الدرر : ١١٠/٤ .

ناصر الدين ولده أمير عشرة بدمشق ، وكان صورة جميلة ظريفاً لطيفاً ، فيه حياء وحشمة ، وفيه كرم وهمّة .

ولم يزل حاله يقوم في ديونه ويقع إلى أنْ توفّي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وستين وسبع مئة ، وقد تقدّم ذِكْرُ والده في حرف العين مكانه .

١٦٩١ ـ محمد بن عمر بن أبي بكر البانياسي*

كان شاباً ذكيّاً متيّقظاً ، قرأ القراءات وبرع فيها ، وقرأ الفقه والعربية والأصول[١] ، وأفاد في القراءات ، وله نظم .

ومات سنة تِسْع وتسعين وست مئة[٢] .

١٦٩٢ ـ محمد بن عمر بن عبد الله بن عمر**

الخطيب الأمين الصالح الفاضل موفق الدين عبد الله ابن الخطيب الزاهد نجيب الدين الخطيب بقرية بيت الآبار وابن خطبائها ، وهو أخو علاء الدين علي بن عمر[٣] المُقَدّم ذكره في حرف العين مكانه ، بينهما في الوفاة أربعة أيام .

سمع الخطيبُ موفّقُ الدين من الضياء يوسف ، والموفق محمد[٤] . وحدّث وحجّ غَيْرَ مرّة . وروى بالعلا وبدر من منازل الحجيج . وأقام خطيباً بالقرية نحو أربعين سنة ، وليها بعد والده .

---

* الوافي : ٢٨٤/٤ .

(١) قوله : « والأصول » ليس في (س) .

(٢) في (س) : « ومات ولم يبقل خدّه ، ولا بلغ العشرين سنة ، ووفاته رحمه الله تعالى سنة تسع وتسعين وست مئة » .

** الدرر : ١٠٨/٤ .

(٣) (س) : « علي بن محمّد » ، سهو .

(٤) محمد بن يوسف بن إسماعيل المقدسي (ت ٦٩٩ هـ) العبر : ٤٠٥/٥ .

كان اشتغل على تاج الدين ، وكتب بخطه الْحَسَن[١] جملةً من المجلدات ، وكان له خُلقٌ حَسَن ، وفيه تواضع .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الأربعاء عاشر شعبان سنة ثلاثين وسبع مئة[٢] .

ومولده في شهر ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وست مئة .

١٦٩٣ ـ محمد بن عمر بن محمد*

ابن عمر بن إدريس بن سعيد بن مسعود بن حسن بن محمد [بن محمد][٣] بن رُشَيْد ، أبو عبد الله الفهري السبتي .

أخذ العربية عن [ابن][٤] أبي الربيع ونُظَرائه ، واحتفل في صغره[٥] بالأدبيات وبَرَع فيها ، ورَوَى (البخاريَّ) عن عبد العزيز الغافقي قراءةً من لفظه .

وارتحل إلى فاس ، واشتغل بالمذهب ، ورحل[٦] إلى سبتة ، وتصدَّر لإقراء الفقه خاصّة ، وتأدّب مع أشياخه ، فما أقرأ غير الفقه ، وارتحل إلى تونس واشتغل بالأصلين على ابن زيتون ، ثم رحل[٧] إلى الإسكندريّة ، وحج سنة خمس وثمانين وست مئة ، وجاور بمكة والمدينة ونزل بمصر .

---

(١) (س) : « للحسن » .

(٢) وعدّه الذهبي في الإعلام ص ٣٠٠ في وفيات سنة (٧١٣ هـ) .

* الوافي : ٢٨٤/٤ ، والدرر : ١١١/٤ ، وذيول العبر : ١٢١ .

(٣) زيادة من (س) والدرر ، وفي الوافي : « ابن حسن بن عمر بن محمّد بن رشيد » .

(٤) زيادة من (س) والوافي .

(٥) في الأصل : « شعره » ، وأثبتنا مافي (س) والوافي . وعبارة الدرر : « في صباه » .

(٦) (س) والوافي : « ورجع » .

(٧) (س) : « دخل » .

وكان رحمه الله تعالى صاحبَ همّة ، وله عز في الطلب وعَزْمَة ، صنَّف تصانيف مفيدة ، وألف تواليف في الإفادة[١] عتيدة ، وباشر الخطابة فَصَدَحت على غصن المنبر حمامته ، واستجنّ في حشا[٢] المحراب فجمّلْتَه إمامته ، وبث في غرناطة علومَه وسُفحت بها غمامته . ثم إنّه أُخرج منها وزُحْزِح عنها ، فأحسن إليه ملك[٣] العَدْوَة ، ونوّله إحسانَه مسَاءً وغُدوة .

ولم يزل إلى أن توسّد بطن اللحدَ واستوى منه الاعتراف والْجَحْد .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة إحدى وعشرين وسبع مئة .

أخبرني من لفظه شيخنا العلاّمة أبو حيان قال : قدم المذكور علينا القاهرة حاجًّاً وسمع معنا الحديث ، وعُنِي به ، وكان قد بحث (سيبويه) على أبي الحسين بن أبي الربيع ، ولمّا توجّه مِن الحجّ صُحْبة أبي عبد الله بن الحكيم[٤] [اتفق أن السلطان أبا عبد الله][٥] ابن السلطان أبي عبد الله بن الأحمر ، استوزر[٦] ابن الحكيم ، **فولّى** ابن رشيد الإمامة والخطابة بجامع غرناطة ، ولمّا قتل الوزير أَخْرَج أهل غرناطة ابن رشيد إلى العَدْوَة ، فأحسن إليه ملك العدوة أبو سعيد عثمان بن السلطان أبي يوسف بن عبد الحق المريني[٧] ، وبقي في إيالته إلى أنْ توفي رحمه الله تعالى ، وكان فاضلا . انتهى .

---

(١) في الأصل : « الإعادة » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) (س) : « بحشا » .

(٣) (س) : « بتلك » ، تحريف .

(٤) في الأصل : « الحكم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، وهو : محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم الرندي اللخمي (ت ٧٠٨ هـ) ، الأعلام : ١٩٢/٦ .

(٥) زيادة يقتضيها السياق ، ثابتة في الوافي .

(٦) في الأصل و (س) : « واستوزر» ، وأثبتنا ما في الوافي ، وابن الأحمر هو محمد بن محمد ، ويعرف بالمخلوع (ت ٧١٣ هـ) . الأعلام : ٣٣/٧ .

(٧) (ت ٧٣١ هـ) ، الدرر : ٤٥٢/٣ .

قلت : ولـه من التصـانيف (الرحلـة المشرقيـة) أربـع مجلـدات ، (فهرست مشايخه) ، (المقـدّمـة المعرّفـة في علوّ المسـافـة والصفـة) ، (الصراط السوي في اتصـال [سماع][1] جامع الترمذي) ، (إفادة النصيح في مشهور رواة الصحيح) ، (جزء فيـه مسـألـة العنعنـة)[2] ، و (المحـاكمـة بين الإمـامين) ، (إيضـاح المـذاهب في تعيين من ينطلق عليه اسم الصـاحب) ، (جزء فيـه حُكْم رؤيـة هلال شهر رمضـان وشوّال) ، (تلخيص كتـاب القـوانين في النحـو) ، (شرح جـزء التجنيس) لحـازم بن حـازم الإشبيلي[3] ، و (حكم الاستعارة) ، وغير ذلك .

وله خطبٌ وقصائد نبوية مطوّلة ، ومقطّعات بديعة .

قال شيخنا أثير الدين : كان سريّا حسنَ الأخلاق .

وسألته أن يكتب لي شيئاً من شعره ، وكان ممن ينظم بـالعروض إذ لم يكن الوزن في طبعه ، فكتب لي بخطّه :

يـا من يفـوق النجمَ مـوطنـه ... كَلَّفتني مَـا ليسَ أحسنُـه
ولْتُغْضِ عمـا فيـه مِنْ خلـلٍ ... خُلِّـدْتَ في عـزٍّ تُـزَيّنُـه

وله أبياتٌ كَتَبها على حَذْو نعل النبي ﷺ بدار الحديث الأشرفية :

هنيئـاً لِعَيني أن رأت نَعْـل أحمَـدٍ ... فيا سَعْدَ جدي قـد ظفرت بمقصِدي
وقبلتـه أشفي الغليـل فـزادني ... فيـا عجبـاً زاد الظما عنـدَ موردي
ولله ذاك اليـوم عيـداً ومَعْلَمـاً ... بمطلعـه أرّخت مَـوْلـد أسعـد
عليـه صـلاة نشرهـا طيب كما ... يُحبّ ويَرْضَى ربّنـا لمحمـد

(١) زيادة من (س) والوافي .

(٢) في الأصل : « الضِعنة » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٣) هو حازم بن محمّد بن حسن بن حازم القرطاجني (ت ٦٨٥ هـ) البغية : ٤٩١/١ .

١٦٩٤ ـ محمد بن عمر بن محمود*

الشيخ الإمام بدر الدين البابي[1] الحلبي ، المعروف بابن جَحْفَل[2] الشافعي معيد البادرائيّة .

وكان رجلاً جيّداً فاضلاً ، عنده معرفة بالنحو ، وفيه سكون كثير ، وانقطاع وملازمة لبيته .

توفي بالبادرائيّة رحمه الله تعالى في حادي عشري جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وسبع مئة[3] ، وكان قد بلغ السبعين أو قاربها .

١٦٩٥ ـ محمد بن عمر بن أحمد بن المثنى**

بدر الدين المنبجي الشافعي .

سمع من ابن عبد الدائم بدمشق ، ومن النجيب بمصر ، وتخرّج في الأدب بمجد الدين بن الظهير الإربلي رحمه الله[4] .

توفي رحمه الله تعالى بمصر سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة .

ومولده بمنبج قبل الخمسين وست مئة .

أنشدني شيخنا العلامة أثير الدين إجازة ، قال : أنشدني المنبجي لنفسه :

---

* الدرر : ٤/١١٥ .

(١) في الأصل : « الباني » ، وأثبتنا ما في (س) والدرر .

(٢) في الدرر : « جحفلة » .

(٣) في (س) زيادة : « ودفن بمقابر الصوفية » .

** الوافي : ٤/٢٨٦ ، والدرر : ٤/١٠٢ .

(٤) ليست في (س) .

ومهفهفٍ نـــاديتـــه ومحـــاجري تـــذري دمـــوعـــاً كالجُمان مبـــدّدا
يـــا من أراه على المـــلاح مـــؤمّراً بـــالله قـــل لي هـــل أراك مجرّدا

ومنه أيضاً :

وبـــــدر دجًى وافى إليّ بـــوردة ومـــا حـــان من ورد الربيـــع أوانُـــه
فقـال ـ وقـد أبـديت منـه تعجبـاً ـ رويدك لا تعجب وعنـدي بيـانـه[١]
هـو الـورد مِن روضٍ بخـدي جنيتُـه وَوَرْدُ خـدودي كلّ وقت أوانـــه[٢]

ومنه أيضاً :

ومن عجب سيف بلحظـــك ينُتْضى فيفتِـك في العشـاق وهـو كليـــل[٣]
وأعجبُ من ذا لحـظ طرفـك في الورى يـداوي من الأسقـام وهـو عليـــل

ومنه أيضاً :

وكأنّ زهر اللـوز صبٌّ عـــاشـــق قـــدْ هـــزّه شـــوقٌ إلى أحبـــابـــه
وأظنـــــه مِن هـــولِ يـــوم فراقهم وبعـادهم قـــد شـــاب قبـل شبـابـه

وذكرت أنا هاهنا ما قلته في زهر اللوز :

عجبـاً لزهر اللـوز حين يلـوح في الـ أوراق إذ تجلى على نُظّـــــــاره[٤]
عكس القضيـــة في الـورى، فمشيبُـهُ يَبْيَضّ مِن قبـل اخضرارِ عـــذاره

وأورد له كمال الدين الأُدفُوّي في (البدر السافر) قوله :

---

(١) في الوافي : « فعندي » ، وفي (س) : « فعندي أوانه » .
(٢) في الوافي : « زمانه » .
(٣) (س) والوافي : « سيف بجفنك » .
(٤) (س) : « يلوح والأوراق » .

وبـــدر دجىً زارنـــا مـوهنـــاً فـــأمسى بــــه الهمّ في معـــزل

الأبيات المشهورة :

وأورد له أيضاً :

صل الراح بـالراحـات واقـدح مسرة بأقـداحهـا واعكف على لـذة الشرب
ولا تخش أوزاراً فـأوراق كرمهـــا أكفٌّ غـــدت تستغفر الله للـــذنب

قلت : وهـذان البيتـان مشهوران موجودان في المجاميـع الأدبيـة ، ورأيت **بعضهم** نسبها إلى ديك الجن ، وهما من أنفاس المتأخرين . وقد ذكرت أنا لي هاهنا أبياتاً جاء فيها ذكر أوراق الكرم ، وهي :

وكم روضـة يحكي الـزواهر زهرهـا فـلا عجب إن قلت أفـقٌ مُكَـوكب
تخـال خيـال النجم في زهرهـا إذا تمـوّج إن الـدّر يطفـو ويرسب(١)
وتحسب أن النرجس الغضّ أعين لتـدبير هـذا الكون تسهو وتسهب(٢)
وطَـلّ على ورد حكى خـدّ غـادة بــه عَرقٌ من خجلـــةٍ يتصبب
وأوراق كرم قـد حكت كف سـائـل لمن كان في نعمائـــــه يتقلب(٣)

محمد بن عمر بن أبي بكر*

ابن قوام البالسي ، الشيخ الإمام العالم الزاهد القدوة .

روى للجماعة من(٤) أصحاب ابن طبرزد . وكان يُحب الحديث ويُسمع أولاده .

(١) (س) : « في نهرها » .

(٢) في الأصل : « ترسو وترسب » ، وأثبتنا ما في (س) ، وهي أشبه .

(٣) (س) : « لمن بات » .

* الوافي : ٢٨٤/٤ ، والبـدايـة والنهـايـة : ٨٩/١٤ ، والـدرر : ١٢٤/٤ ، وذيول العبر : ٩٦ ، والشـذرات : ٤١/٦ ، والدارس : ١٦٢/٢ ، ووقع في الأصل : « النابلسي » ، تحريف .

(٤) (س) والوافي : « عن » .

كان فيه تواضعٌ وعليه وقار ، وعنده تمّسك بأرباب السنّة والآثار ، وعليه مهابة ، وعنده تفرُّسٌ وإصابة ، وفيه صِدْق وإخلاص وقَبُولٌ عظيم من العامة والخاص ، تحبه القلوب وتميل إليه ، وتترامى بالتودّد والموالاة عليه .

وكان فيه جُود وكرم ، وسماح له التهاب وضَرم ، وله تهجد في الليل وعبادة ، ومعاملة وجد بها عند الله الحسنى وزيادة ، قلّ أن ترى العيون مِثْله في بابه ، أو تشاهد له عديلاً في أنواعه وأضرابه .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح في كفنه مُدرجاً ، ووجد له من ضيق الدنيا مخرجاً .

وتوفي رحمه الله تعالى في ...[1] سنة ثماني عشرة وسبع مئة ، وله من العمر ثمان وثمانون سنة ، ودفن بزاويته بسفح قاسيون .

وعرض عليه أرباب الدولة راتباً يكون على زاويته ، فامتنع ووقف عليها بعض التجار بعض قرية ، وكان قد جمع (سيرة) لجده رحمه الله تعالى .

١٦٩٦ ـ محمد بن عمر بن الفضل*

الفضلي ، قاضي القضاة ، قطب الدين التبريزي الشافعي ، قاضي بغداد ، الملقب بأخوين[2] ، كان صاحب مشاركة في فنون ، وقد أتقن علمي المعاني والبيان ، ونسخ كتباً كثيرة ، ولم يكن من قضاة العدل .

توفي ببغداد في سادس عشري شهر الله المحرم سنة ثلاثين وسبع مئة .

---

(١) كذا بياض في الأصل و (س) والدرر . وفي الدارس أنه توفي في الثاني والعشرين من صفر .

* الوافي : ٢٨٧/٤ ، والدرر : ١١٠/٤ ، والشذرات : ١١٤/٦ ، وذيول العبر : ٣٨٩ ، والبداية والنهاية : ١٧٥/١٤ ، وفيهما وفاته سنة (٧٣٦هـ) ، ووقع في (س) : « ابن عمر الفضل » .

(٢) في البداية : « الأحوس » .

ومولده سنة ثمان وستين وست مئة .

وكان فيه تؤدة وحلم ومروءة وكرم ، رحمه الله تعالى ، وكان يكتب خطاً حسناً ، وفيه شفقة وحُنُوّ على الفقراء والضعفاء وتواضع وحسن خلق . وقال الشيخ سراج الدين القزويني : كان فقيهاً أصولياً مفسّراً نحوياً كاتباً[1] بارعاً وحيداً فريداً من أعيان أفاضل الزمان .

١٦٩٧ ـ محمد بن عمر بن حمّاد*

شمس الدين الظفاري اليمني الواعظ المعروف بالأبلوج ، لأنه كان يعتمّ بعمامة كأنها أبلوج السكر ، فاشتهر بذلك .

وتوفي بالقاهرة في تاسع عشر جمادى الأولى سنة عشر وسبع مئة[2] ، ودفن في يومه خارج باب النصر .

وكان قد أقام بدمشق مدة ، ووعظ بمسجد أبي اليُمن .

١٦٩٨ ـ محمد بن عمر بن أبي بكر**

ابن ظافر بن أبي سعيد ، ناصر الدين أبو الفضل البصري الأصل ، الحنبلي .

روى عن ابن الجُميزي ، وابن الحباب ، وسبط السّلفي ، والسّاوي ، والمرجّى بن شقيرة[3] .

---

(١) ليست في (س) .

* الدرر : ١٠٤/٤ .

(٢) كذا وقع في الأصل و(س) . وفي الدرر أنه توفي في ربيع الآخر سنة عشرين وسبع مئة .

** الدرر : ١٢٤/٤ .

(٣) (س) : « والمرجاني شعره » ، تحريف ، ووفاة المرجّى سنة (٦٥٦ هـ) ، الشذرات : ٢٨٥/٥ .

وكان إمام مسجد ، ويلقن القرآن ويحضر الختم ، وهو فقيه بالمدرسة الصالحية . وحدّث (بصحيح مسلم) عن ابن الجباب ، سنة سبع وسبع مئة .

وتوفي رحمه الله تعالى سابع صفر سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

ومولده في شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين وست مئة .

قال شيخنا البرزالي : قرأت عليه المجلس الرابع من (أمالي أبي مطيع)[(١)] بسماعه من ابن الجباب .

١٦٩٩ ـ محمد بن عمر بن أبي القاسم*

القاضي الصدر الرئيس نجم الدين ابن الشيخ نجم الدين بن أبي الطيب [وكيل بيت المال بدمشق وابن][(٢)] وكيل بيت المال بها .

كان صدراً رئيساً وماجداً جعل الخلق الطلق عليه حبيساً[(٣)] ، له معرفة تامة بتراجم أهل عصره ووقائعهم وماجريّاتهم في وظائفهم وصنائعهم ، إذا فُتح له هذا الباب دخل فيه وحده ، وسرد ما عنده .

وباشر وظائف كباراً جاد له الدهر[(٤)] فيها بأمانه ، وتقدم في آخر زمانه . وكان مع ذلك عديم الشرّ وادعاً ، قائلاً بالحق صادعاً .

ولم يزل على حاله إلى أن غاب نجمه في الثرى ، وسلك الطريق التي ما يتخلف عنها أحدٌ من الورى .

(١) محمد بن عبد الواحد بن عبد العزيز ، أبو مطيع للديني (ت ٤٩٧هـ) ، السير : ١٩/١٧٦ ، والوافي : ٤/٦٧ .

* الوافي : ٤/٢٨٧ ، والدرر : ٤/١٢٥ ، والدارس : ١/٣٤٠ عن الصفدي .

(٢) زيادة من (س) و (خ) .

(٣) (س) : « جليساً » .

(٤) في الأصل : « الدهر له فيها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

وتوفي رحمه الله تعالى في رابع شعبان سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة ، توفي من جَمْرة[١] ظهرت في وجهه ، أقام معها يومين ، ومات - رحمه الله تعالى - .

وكان شافعي المذهب . حسن الشكل ، تام الخلق له تودّد وملقى [وملق][٢] .

وكان قد تزوج ابنة القاضي محيي الدين بن فضل الله ، ولم يزل على حاله الناقص إلى أن توجه محيي الدين إلى مصر كاتب سر ، فتولى بواسطته نظر الخزانة ، ووكالة بيت المال ، وكان بيده أولاً نظر الرباع وتدريس المدرسة الكروسيّة[٣] ، وتولى الوكالة بعد القاضي شهاب الدين بن المجد لمّا صار قاضي القضاة في يوم عرفة سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، وكان ابن المجد قد وليها بعد القاضي علاء الدين بن القلانسي ، وكان علاء الدين قد وليها بعد أخيه القاضي جمال الدين[٤] أحمد بن القلانسي ، وكان قد وليها بعد كمال الدين بن الشريشي ، وكان ابن الشريشي قد وليها بعد الشيخ كمال الدين بن الزملكاني ، وكان قد وليها بعد[٥] نجم الدين بن أبي الطيب والدصاحب هذه الترجمة ، وقد تقدم الكلام في ترجمة والده لأي شيء سمي هذا البيت بابن أبي الطيب .

---

(١) في الوافي : « حمرة » .

(٢) زيادة من (س) ، (خ) .

(٣) واقفها محمد بن عقيل بن كروس ، محتسب دمشق ، (ت٦٤١ هـ) ، وهي إلى جانب المدرسة السامرية الشافعية . الدارس : ٣٣٩/١ ، وعبارة (س) : « للمدرسة الكروسية والمدرسة .. » ، وفي الوافي : « المدرسة الكروسية والصلاحية » .

(٤) (س) ، (خ) : « شهاب الدين » ، سهو ، وهو أحمد بن محمد بن محمد ، سلفت ترجمته .

(٥) في (خ) زيادة : « ..كمال الدين بن الشريشي ، وكان وليها بعد نجم » .